

سلسلة الجواهر



أنيس منصور

# عاشور في حياتي



الهيئة  
المصرية  
العامية  
للكتاب

سلسلة الجواهر



أنيس منصور

# عاشور في حياتي



الهيئة  
المصرية  
العامة  
للكتاب

## مقدمة

سؤال : هل تعرف فلاناً ؟

جواب : نعم أعرفه !

سؤال : هل سافرت معه ؟

لا ..

إنن أنت لا تعرفه !

...

وقال أوسكار وايند الأنيب الساخر : أنت لا تعرف امرأة ، قبل  
أن تعرف جسدها !

...

سؤال : هل تعرف فلاناً ؟

جواب : لم أعرفه .. لأننى قريب جداً منه !

...

سؤال : هل تعرف فلاناً .

جواب : لا أعرفه .. فأين أنا وأين هو .. إنه بعيد جداً حتى  
لا أكاد أراه !

ومن الصعب أن تعرف إنساناً جيداً ، إذا كنت تحبه .. فأنت تراه ولا تراه ..  
وإذا كنت تكرهه أيضاً .. فأنت لا تحب أن تراه ، فكيف تعرفه وأنت لا تراه ..  
وأنت قد أسقطته من عينيك .. أو سحقته بعينيك .. أو أغمنت في قلبه  
رموشك ..

فالذي يحب كالذي يكره : لا يرى بوضوح !  
ولكن لا بد أن تحب ولا بد أن تكره .. ولذلك فأنت لا تعرف الناس جيداً ..  
وإنما تعرفهم بالتقريب .. أو تعرفهم بعض الوقت .. وتحبهم بعض الحب ..  
وبعض الكره .. فأنت تعرفهم إلا قليلاً !

والفرد في عين أمه : غزال .. إذا أحبته ! وفي عينيها : فرد إذا كرهته !  
وتلك إنسان عدة صور :

صورتك كما ترى نفسك .

وصورتك كما تحب أن ترى نفسك .

وصورتك كما يراها الناس ..

فإن كنت أديباً أو فناناً فأنت تساوى ما تقدمه للناس . فأنت تساوى كتبك أو  
لوحاتك أو موسيقاك أو تماثيلك ..

ولا توجد وسيلة أخرى لكي يعرفك الناس غير هذا الذي أبدعته ، أو عجزت  
عن إبداعه .

ولكنك لست في كل الأحوال قادراً على الإبداع .. فأنت تتعب وأنت  
تضيق .. وأنت تعب .. وأنت تمل .. وأنت على أعصابك كأنك وقارناً ..  
ولذلك فليمت لك صورة واضحة لا عن نفسك ولا عن الناس .

وإذا أنت نظرت في المرايا .. فهناك مرآة تجعلك صغيراً ، وأخرى تجعلك  
كبيراً .. وثالثة تجعلك مقفراً .. ورابعة تجعلك ممحياً .. وخامسة تجعلك أصفر  
اللون .. أبيض .. أحمر ..

ورأى الناس مثل هذه المرايا .. فأنت متحد الأتولن والأحجام والأوزان  
والأهمية والقيمة والأثر عند الناس .

وإذا سألت الناس : فأنت مثل الذي يسأل جميع المرايا .. فماذا لو نطقت  
جميع المرايا معاً ؟

مرف تسمع ضجيجا من الثعالب ، ومنوصاء من العواطف .. وتري  
قلوبنا من الأمزجة .. وكلها هي : أنت في عيون وأذان وأتوف وعقول وقلوب  
الآخرين ؟

وأنت لك وجهة نظر ، وأنا أيضا . وأنت على حق ، وأنا أيضا . والذي  
يعجبني فيك ، هو الذي أحبه لنفسى .. والذي لا يعجبني فيك ، هو الذي لا أحبه  
لنفسى ..

والذي أقبله بالمقل ، أرفضه بالقلب .. والذي أستريح إليه وحدائيا أنفر منه  
عقليا !

قال الفيلسوف الألماني كارل ماركس : أنا أكل ، إذن أنا موجود ..

وقال الفيلسوف الفرنسي ديكارت : أنا أفكر ، إذن أنا موجود .

وقال الشاعر بلرون : أنا أحب ، إذن أنا موجود !

وقال الأديب كافكا : أنا خائف ، إذن أنا موجود !

وقال تولستوى : لن أكون حراً ، حتى تموت زوجتى !

وكل واحد من هؤلاء يريدك أن تعرفه على هذه القاعدة . فهذا هو مفتاح  
الذهول إلى أفكاره وأعماقه النفسية .

• • •

وفي حياة الواحد منا ألوف الناس .. قريبون وبعيدون .. يعرفون أن  
يتركوا أثرا ، كما تمر الرياح على أوراق الشجر ، أو على رمال الصحراء ..  
أو يتركون أثرا كما تمر السيارات في الوحل .. أو كما تنفذ أشعة الشمس إلى  
الغرفة المظلمة .. أو كأعواد الحديد الساخن على بشرتك .

وقد يكون أقرب الناس إليك ، أبعدهم عنك .. ويكون أبعدهم عنك أقربهم  
إليك ..

وقد يكون الشخص متواضعا ، ولكنه عسيق الأثر ، أسمى وأملك مثلاً !

وقد يكون أكثر ثقافة وأوسع إدراكا : المدرسون مثلاً .. ولكن لا أثر لهم .

وقد نقرأ كتابا قيما فهزك .. ونقرأ كتابا حديثا ، كما نقرأ صحيفة يومية  
لا نهزك ..

وقد يكون الكاتب الذي تقرأ له جميل العبارة عميق النظرة منبهاً للعصر ،  
يلقى الضوء في كل مكان .. ولكنه لا يشترك ..

فقد يكون قد جاء في الزحام ، أو يكون قد جاء في الوقت غير المناسب ..  
فعندما كنت مشغولاً بالاشتداد العقاد ، لم أكن أقرأ لسواه .. لدرجة أنني لم  
أعرف أن هناك أنباء آخرين غيره في مصر .. ولما قرأت مقالاً لطله حسين  
بعد سنوات من متابعتي للعقاد ، أدهشني أن هناك أنباء آخرين .. ولكن طلّه  
حسين جاء في غير أوانه .. جاء بعد أن امتلأ عقلي بالعقاد ، فلم أجد له مكاناً ..  
ولم أقبل عقلي بونه .. وإنما أجلسه على بابي ستة .. وعشر سنوات ..  
وأحزنني أنني لم أعرف طلّه حسين والحكيم والمارتي والرافعي وشوقي وابن  
المقفع والجاحظ وابن خلدون والحريزي وزكي مبارك إلا بعد ذلك بوقت  
طويل ! تماماً كما تتوفر كل الظروف المناسبة لنمو بذرة من البذور : الأرض  
والماء والهواء والشمس .. وسلامة البذرة ، ولكنك ألقيتها في غير أوانها ..  
وبوم قرأت رواية ، الحب والنميمة ، للشاعر الألماني شيلر ، لم أكن  
أعرف أن هناك قصصاً وروايات مصرية أو عربية ..

وبوم عرفت الأديب الإيطالي الفرتو مورافيا ، وقابلته وصادفته وقدمته إلى  
اللغة العربية ، لم أكن أعرف نجيب محفوظ ولا قرأت له ..

عندما حفظت القرآن الكريم كنت في السابعة من عمري ، وأنا لا أعرف  
معنى كلمة واحدة مما أقول .. وانتقلت من القرآن الكريم إلى قصائد المتنوفين  
وإلى مدائح الرسول .. فحفظت ، البردة ، لليوصيري ، وأنا لم أسمع بشوقي  
أمير الشعراء ، ولا عرفت قصيدته ، نهج البردة ، إلا بعد عشرات السنين ..  
وقرأت مئات الروايات المترجمة في سلسلة ، كتاب الجيب ، من ترجمة  
الأستاذ عمر عبد العزيز أمين ، ولم أقرأ رواية عربية واحدة ، ولا عرفت أن  
هناك روايات عربية ..

عرفت تولستوى ونستويسكي وبروست وشبلي وبيراندلو ونكز  
وبلزاك ، قبل أن أعرف أسماء الأنبياء المصريين .. وكنت في الثانية عشرة من  
عمري ، هل كنت أعنى ما أقرؤه ؟ لا أعرف .. ولكني أقرأ واستمتع .. وأطلب  
المزيد ، ويגיע المزيد في صناديق وجوالات .. فقد كانت هذه الروايات  
رخيصة الثمن وتباع في كل مكان ..

وعندما كنت متلقيا في الجامعة ، وكانت قوات الإنجليز في مصر ، أثناء الحرب العالمية الثانية .. اشترت عربة عليها مئات من الكتب الصغيرة المعجم التي كانوا يطعمونها للقوات البريطانية في مصر .. وكانت هذه العربة نياح بمائة قرش - كل الحاضرة للقرية بهذا المبلغ التافه 1

وعرفت الفيلسوف الألماني أوزفالد لينتشر ، فيلسوف الحضارة الغربية . وقرأت ما كتبه أمثالنا عبد الرحمن بدوي عنه ، قبل أن أقرأ سطرًا واحدًا للمؤرخ المصري عبد الرحمن الراافعي ..

وقرأت للمؤرخ الإنجليزي توينبي ، قبل أن أقرأ لأساننا المؤرخ شفيق غزال وأساننا علي إبراهيم وأساننا إبراهيم نصحي ..

وعبد الرحمن بدوي أساننا في القلمة قد قدم لنا عشرات الأسماء في الفلسفة والأدب والفن والموسيقى .. وفي زحمة هذه الأسماء الباهرة ، ضاع هو ، فلم نعرف أثره وقدره ، إلا بعد عشرات السنين ..

وقرأت للأديبة الوجيهة سيمون دي بوفوار ، قبل أن أقرأ سطرًا واحدًا للأنسة في زيادة أو حتى للتغناء ..

وعندما قدمني الأستاذ إحسان عبد القدوس على أنسى ، فيلسوف المستقبل ، وأديب الوجودية الشاب في سنة ١٩٥٠ ، لم تكن أقرأ لإحسان عبد القدوس إلا ما كتبه في السياسة ، ولم أقرأ له رواياته إلا بعد تلك السنوات .

وعندما عشت ديوان ، أعاني الكوخ ، للشاعر الروماني محمود حسن إسماعيل ، لم أعرف مصطفى صادق الرافعي .. مع أنهما من مدرسة واحدة .. هذا روماني في الشعر ، وذلك روماني في الفكر ..

ولا أعرف إن كان الشاعر محمود حسن إسماعيل قد تأثر بما كتبه مصطفى صادق الرافعي في كتبه : السحاب الأحمر وأوراق الورد ورسائل الأحرار .. ولم أجد لمحمود حسن إسماعيل بيتًا واحدًا من دولونه الأخرى ، وقد أذهله مرة عندما جتمعنا لقاء أدبي أنسى أسمته معظم النيوان ..

وأنا لم أعرف الشعراء الرومانسيين محمود حسن إسماعيل والهمشري وصالح جودت إلا عن طريق الشعراء الرومانسيين في أوروبا : لرمثوف الروسي ونوفاليس الألماني وليويردي الإيطالي ودي ميسيه الفرنسي وشيللي

الإنجليزى .. قرأت لهم .. ووجدت عندهم ما قرأت ووجدت إلى أسمهم في لغتنا العربية .. فأحببت الأوريجين .. وأصبحت مثلاً في شئ نصير ..

وله أسطع أن أحد أس الرومى : رعد بعد العذبة

والما أعيت وأعيت بالشاعر العظم في كل العصور : العيسى .. فهو عبقرية أفنتها الأخلاق .. أو قالت الأخلاق .. وهو لا يقل احتقاراً للناس عن احتقار أنه حيان التوحيدى والحارثى وتحدثت : فيلسوف الأسماء لئلى والشاعر الإيطالى بزارقة : الأتوب الفرنسي : لئلى .. واتحق بمجد .. فهو أعظم من عصورهم .. وأفقر من سبهاء زمانهم !

وبهرسى عند من المؤرخين الأعلام : بهرسى الأتوب الفرنسي أندريه موروا .. وفكرته العذبة على تحليل الشخصيات

لأن العذبة أروع منه في معرفة ملامح الشخصية التى سوف تترسها .. ولكن العذبة أروع في مساعدة مقاييس الشخصية .. إنه يعطيك مساحاً صغيراً جداً .. فى عبارة واحدة .. وبسرعة تفتح لك أسرار هذه الشخصية وإذا بك فى أعماق أعماقها .. فاعلم مهترس إلكترونى : لا يتلصق على سبب العذبة شئ هذا الملتصق .. وهو يحصل أن يهزك .. أن يقوم جور .. الحارثى الذى يعجز له .. لأنه يحسن أن يكون شخصاً معزواً .. فبذلك تراه حارثاً للعذبة !

ولكن أندريه موروا يعطيك مقاييس كثيرة .. ومداخل عديدة .. وهو يصطبك معه .. وينور حوز الشخصية : يستمع إليها .. وإلى الناس حولها .. ومن كلام الشخصية وحببت الناس .. وبين محتهم له .. وكراهيته لهم .. وبين القصص .. وأثوار .. والفواجم تعرف الطريق إلى القلب وإلى العقل ..

وإذا كان للعقد مهترساً .. فأندريه موروا قارىء كهم .. قارىء فجان .. ضارب ودع .. قصاص أثر .. مصر أحقرم .. وذلك فأندريه موروا أروع وأجمل وأمتع ..

وشخص آخر أسعنى أن أعرفه إنه الكاتب الأمريكى الرائع : ول نيورانت ..

فليس فى اللغة الانجليزية كلها شخص له عظمة وجمال وسحر هذا المزجل وزوجته .. فقد اتركنا معا فى مؤلفاتهما الأخيرة .. ولكن ول نيورانت انفراد



.. لأعمل ثلاثة وحده : قصة الفلسفة الحديثة .. وقصة الحضارة بأجزائها  
الأحد عشر .. ومناهج الفلسفة .. ودروس في التاريخ .. ثم ترجمة حياتنا ..  
في حينهما اللتين معا .

فهد رجل ديورانت قد أوتي من العلم والأدب والثوق ما لم يؤته أحد في  
عصره .. ولذلك فهو مثل أعلى في الكتابة .. ومثل أعلى في لتساع النظرة  
وهو تفترة الفذة على الصياغة الأدبية .. فأنت عندما تقرأ لا تعرف إن كان  
هو الذي تقرأه أدبا أو تاريخاً أو فناً أو رسماً أو موسيقى . إنها جميعا .  
وكثيرون غيره كانوا هداة صادقين بارعين لكل أبواب ودروب وأغوار وفهم  
لحضارة الغربية .

وعندما قرأت لمؤرخنا عبد الرحمن الراجعي بعد ذلك ، وجدت أنه رجل  
وضى على خلق . ولكنه ليس أدبياً ولا فناناً ولا فيلسوفاً ..

وعندما اتجهت إلى التأليف المسرحي ، لم تكن عندي دراية واضحة بقنون  
لكتابة المسرحية .. وكان مزاجي أن أكتب المسرحيات الكوميدية .. وكنت ..  
وظهرت مسرحيات على المسرح وعلى الشاشة .. ووجدت أن مزاجي يميل  
إلى السخرية .. بل هو أقرب إلى الواقع الحديث .. فنحن في عصر  
العدايفات .. عصر الانهيارات المذهبية .. عصر الانحلال الحضاري ..  
فالإنسان هو الذي يدعو إلى السخرية .. إنه لا يصدق ما يقول .. ولا يؤمن  
بما يكتب .. ولا يعمل على إنقاذ نفسه من نفسه .. وهو في كل الأحوال يبحث  
على الإعجاب : فهو يكتب ببراعة ويصدق بمقربة .. وهو يخترع وسائل  
النمار بذكاء ، ووسائل العلاج والحياة بالصرار . فكيف لا نضعك من زماننا ..  
من أنفسنا ؟

وقبل أن ألتقي بمؤلف مسرحي واحد قابلت الأدبيين : ديرنمات وفريش ..  
ترجمتهما في موسرا ..

وترجمت لديرنمات مسرحيات : زيارة السيدة العجوز .. وزواج السيد  
مسيبي .. وهبط الملك في بابل .. والشهاب .. وظهرت كلها على  
المسرح ..

وقابلت فريش في بيته وترجمت له مسرحيتين : مشعلو التيران .. وأمير  
الأراضي البور .. وظهرت الاثنتان على المسرح ..

وأناش عظماء لعينهم لحظات .. بمصنوع كان عميقا .. وكذلك عدد من  
الجماليات ..

فمنما رأيت مارلين مونرو في هوليوود . وبعد ساعة من الانتظار قالت  
لي : أزيك يا إنت !

وهي لا تعرف من أنا .. ولا من هو أى أحد .. فهي جميلة فقط . ويوم  
انتحرت مارلين مونرو ، كتبت عنها وبكيت أيضا . فقد رأيت فيها نموذجا معذبا  
للعذاب الإنساني .. كيف يكون الجمال نقمة .. كيف يكون اليتيم مسكينا .. كيف  
هي تجارة الرقيق الأبيض .. ويوم تزوجها الأديب آرثر ميلر ، كرهت هذا  
الرجل .. ويوم ترجمت له مسرحية « بعد السقوط » التي بها صفحات عن  
مارلين مونرو ، ازددت كراهية له ..

وبقيت مارلين مونرو صورة جميلة ذهبية بارقة لامعة أمام عيني ، وهي  
وغيرها من الشقراوات ، طريقي إلى دراسة طويلة عن عذاب الجمال ، أو  
جمال العذاب ، أو عن « جهنم الشقاء » .. ولم أنسها ، ولا تركت كتابا واحدا  
ظهر عنها .. حتى تجمع لدى مائة كتاب !

ويوم قابلت الرئيس الجزائري هواري بومدين ، وهو رجل رقيق ، هامس  
الصوت مهذب ونود قال لي : لو اشتغلت بالسياسة ؟

فقلت : يكون ماذا يا سيادة الرئيس !

قال : تكون السياسة أبنا يقرؤه الناس !

ونسيت هذه العبارة ، فلم تكن لها ضرورة أو صدى في نفسي .. فأنا لست  
سياسيا ، ولا أحب العمل السياسي . وإن كنت قد اشتغلت بالفكر السياسي أو  
الفلسفة السياسية . وكنت أقوم بتدريسها في الجامعة ، كجزء من تاريخ  
الحضارة الإنسانية ..

وفوجئت بعد ذلك بسنوات بالرئيس السادات يقول لي : لو كتبت في  
السياسة !

فقلت : يكون ماذا يا سيادة الرئيس ؟

فأجاب : تكون أكثر إيجابية في عملك الوطني !

ودارت هذه العبارة وترددت وتخبطت في رئسي مترنحة ، نهائيا وإيلابا :

أكثر إيجابيه . هي العمل الوطني .. وهل الذي أقوم به أقل  
يحسنه ، أو هو أكثر سلبية من العمل الوطني ؟

خرجت إلى الكتائب السياسية ، ولست بانما على ذلك ، ولكنها أبعدني عن  
. تبينة الصحبة الصحيحة ، التي تنامي .. عن الأدب والعلم والخدمة . أي  
الإنساني وعلاقته بنصه وبالأخريين ..

وعند ررت الأديب السويسري ماكس فريش في البيت الذي يسكنه عند  
مضج أحد الجبال ، سأله مؤالاً تقليدياً : كيف حال صحتك ؟  
أجاب إجابة غير مألوقة : أنا في صحة جيدة جداً .

وكانه لم يقل شيئاً غير عادي ، همسي يشرح ذلك : أنا أعمل ثلاثة شهور  
في السنة .. وأسهل وأسهل بشفة السنة . وأسكن هنا .. وقد اخترت الارتفاع  
للمنجمي . فالبيت يقع على مستوى ١٨٠ متراً من سطح البحر . والهواء  
كثير وكسجين .. ودرجة الحرارة معتدلة .. وقوة الجذب على هذه المسافة  
معتدلة تقريبا ورني وسفي ..

فإن هناك درجة حرارة وارتفاع وجانبية وأوكمحين لابد أن تكون مناسبة  
نعم .. وعلى الأديب أو المفكر أن يختارها . ولم تكن أعرف ذلك .

وإذا كنت لا أعرف المباحة ، فإنني أمارس مباحة للمسافات الطويلة  
. فحسب في أعماق الكتب ، أصعب الكتب وأطولها وأعمدها هي تسمى بغت  
من البحر ولا أخالف الفرق ..

وعنني حب السفر ، متعة السفر .. ولذة التعبير .. وجمال الحركة .. أنا  
سأني السفر جميعاً ، من مكان إلى مكان ، من كتاب إلى آخر ، ومن مفكر إلى  
سيف إلى موسيقار إلى كاهن إلى راهب إلى قسيس إلى شيخ إلى حاخام إلى  
معلم إلى دورو ، يودي .. وكما يقلب الإنسان الكتب بأصابعه ، فإن كذاب  
يقلبهم ، أو يعين .. فلما على سفر دائم .. وأنا أعرف في بلاد  
عربي لا انتهت نفسي ، ولا أحسست بلبي قريب لأحد أو من أحد .. وإنما  
عريب في كل مكان ورومان ..

وبكنا استبدنا أرسطو قد علمنا : أن النهضة هي بداية المعرفة .. فلما  
.. ال في مرحلة النهضة فلا نهاله للمعرفة ؟

وهيما مثل الشاعر الألماني جينه : ما هو الكتاب الذي أثر في حياتك ؟ ..  
فهز رأسه بأنه لم يهتم  
فأعيد السؤال : ما هو الشخص الذي مر حياتك ؟  
فهز رأسه كأنه يرفض السؤال . فقل له : ما هي البلدة التي أثر أنبائها  
ومفكروها في حياتك ؟

ولم يهر رأسه . كأنه لم يسمع شيئاً . فقل له : إن ما هو الشيء أو الأشياء  
في الأدب والموسيقى والتاريخ التي تركت أثراً في حياتك .. أي أثر .. وليس  
من الضروري أن يكون عميقاً أو هامشياً \*

فاعتدل الشاعر وأسد ظهره إلى الحائط ، فمس عذته أن يكتسب وانها لأوجاع  
في مصرايه الغليظ وقال : أهمل أن أحب عن هذا السؤال كذبة ؟

وكتب جينه بقول : كما أن أحداً لا يعرف نوعية الطعام والشراب الذي  
يجعل أطايرك وعيبك لامعة ، فإن أحداً لا يعرف بالصبط ما الذي أثر فيك  
أدبياً وطمعياً !

ولما قيل للشاعر جينه : ما رأيك في هذه العبارة : لا يضر على الوحدة  
إلا حيوان أو إله ؟

فأجاب بسرعة : أو .. هما معاً !

أي الحيوان الممدح المخلوق .. أي الإنسان الأديب أو الفيلسوف أو المفكر أو  
الموسيقي . فقط هو الذي يظن أن يضل وحده بسبع كن مصمات وعناصر  
لحسرة الإنسان !

وأجاب هرسا مالرو هو الذي قال إن الموسيقار لا يتعلم الموسيقى من  
خبرير المعياء .. وإنما من موسيقى الآخرين . والزمام لا يعلم كيف يرسم ،  
إنما ينظر إلى غروب الشمس وشروقها ، وإنما من لوحات الفنانين الآخرين ..  
يرى عملية تركيب الألوان ، ويرى حركة الفرشاة .. والأديب لا يتعلم  
مما يسمعه من قصص وحكايات ومن حكمة الشعوب ، ولكن من الذي يعرؤه  
للأنياء الآخرين ..

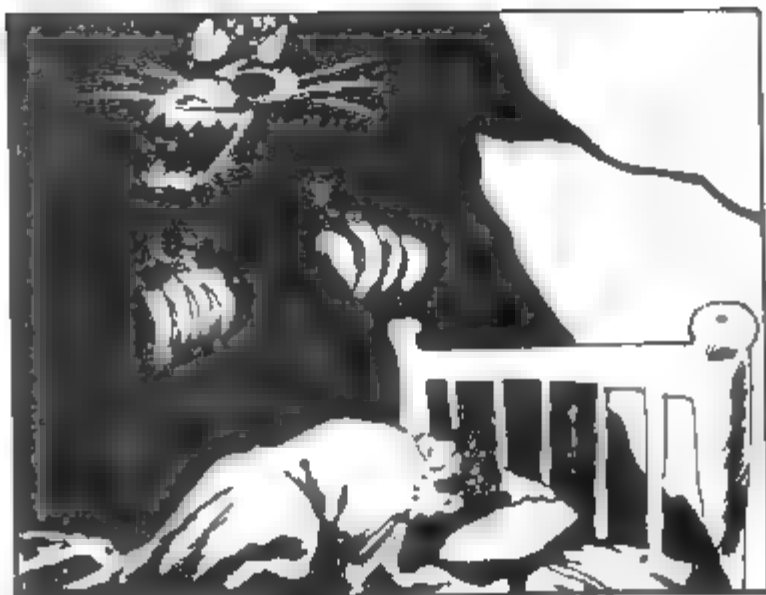
إن . سوف أحكي لك حكاية من عرّف وكيف عرفت .. كثيراً أو قليلاً ..  
ولا نهاية للذين عرفت عنهم وقرأت لهم .

ولكنني سوف أكتفي بالذين عرفتهم عن قرب .. بالمعامشة والصداقة والحب  
والعامل والتأثر ..

ولن أدعى شيئاً من قبحه ، ولكن سوف أدعى حرصي الشديد على أن  
أعرف وأفهم : وتقديرى العظيم لكل من حاول أن يعول جديداً .. أو يعرض  
جديداً هكراً قديماً .. ويكون ، العرض ، هو الجديد .. أى الأسلوب هو الجديد  
والأدب واللغز . أسلوب .. ولنت بملوى أسلوبك !

ونفس صحيحاً أن أحداً يستطيع أن يرى كل ما حدث وأن يسمع كل ما قيل ،  
ويلمس كل جسد .. لأننى لا أرى إلا من خلال ثقوب ، في الباب .. هذا للثقوب  
هو ، وجهة نظرى ، ، وهى صيغة ، كما أن عيني : تقابل فى وجهى .. وهذا  
تقهار صيقال ، ولكنهما قادرتان على رؤية ملايين الملايين من الكينومترات  
المربعة : السماء مثلاً . ورؤية ملايين المجوم التى تبعد عما ملايين السنين  
الصونية ..

و ، ثقوب الباب ، أيضاً هو مجموع مشاعرى حبي وكبرهى .. ومبالائى  
ولا مبالائى . وما ينطق مع مراعى .. وما ينامق للقارىء . والمجلة التى  
تشر لى ما أكتب والمصلحة الورقية .. والمصلحة الرسمية .. وعذى بعنقال  
الغارى ، لذلك . دعك من احتمال الكاتب أيضاً !



كل ما يولد في الريف  
لا يموت في المدينة

## كل ما يولد في الربيع لا يموت في المدينت

صحوت مبكرا لأجد جليدا أبيض مغطيا بالأزرق وإلى جوارى حذاء حديد .. إن هو يوم غير عادي موبد يبدأ في حيلتي . لقد تقرر أن أذهب إلى نكدب . أي مدرسة القرية . والقرية اسمها : بوب طريف ، مركز سبلاويين . جاءها والذي من المنصورة ليشرف على الأرض الزراعية لمز سين بك يكن . وواضح بعاما أن والذي مختلف عن بقية الناس . فالببت الذي عينه فيه كبير من طابقين وحوله حديقة وملحق به اصطبل للجسموس والأغنام ولخيول . وله باب حثيثي صغرم . وأمام الباب يتمدد الصخر وروجته إلى جواره هار . أما في الليل فهو بنام وراء الباب . وهي كل ساعات الليل والنهار إذا ناء والذي فانه يجيب : موجود بأحصرة المغنث .. أو نعم يا محمد أهدي .. وقبلها بيوم سمعت والذي يقول . لا داعي لأن تذهب إلى السوق .. هات الحمار والبردة الجديدة .. لأن سلاح سوف يذهب إلى الكتاب ..

أ . سلاح ، هو اسمي في ذلك الوقت ..

وعندما صحوت وجئت أُمي قد أعدت ستونشا من الجبن الأبيض وأخبر .. أما الجبن الأبيض فقد كانت تصعقه في البيت . وقد رأيتها كثيرا صيف سائلا في لون الشاي الحقيقي من رجاجة . وفي الصباح يحول اللبن بي جبن .. هذا الجبن هو الذي لم أعرف سواء مسوت طويلة .. أما بقية الأحداث في ذلك اليوم فهي كثيرة وملاحقة وجديدة . جاء رجل ورأى وقد رنتيت الجلباب الأبيض والحناء الأسود للامع وقرأ آيات من القرآن الكريم . وجاءت أُمي باليعفور ودارت به حولي .. ثم طليت من الخاتمة وهي سيدة كبيرة في السن ، أن أدور حول النار ونقول هي : عين الحسود .. من عين - رأى ولم يرحم ، والذي نظر ولم يصل على النبي .. في عين ثلاثة وعلاية .. وعلاي وعلان ..

وعجأة وجدت شيد يطعنني تحت فتحي . لقد صنعت عسا من البيض  
 لاروي لكي أنومه . فلذا نسنته ذهب معقول الحسد و : العقلاب : إن كان  
 أحد الحاسدين أو الحافدين قد أعدها لثمن ذلك اليوم . ولم يكذ البيص يطق حتى  
 ر عرفت الحادثة ، أن الله سبحانه وتعالى قد أذهب عني الشر في هذا اليوم ...  
 وأعلم الباب وقت الحمار .. أبيض عال وحملني العير إلى ظهره وأمسكني  
 حتى لا أفزع .. وسبغت روحته وراحت تبتز الماء بمبنا وشعالا ويدعو الله أن  
 يحميني من عيون الحاسدين . وأطرد والنتي كانت تنظر من النافذة ولابد أنها  
 هي تكرر الدعوات .. وانفتحا من أمام البيت إلى الشرفات الصيقة للصعابة  
 بالزوايا والطيب .. والتي يتراحم فيها الناس والجواميس والحميز والأعنام  
 وكنت وأنا فوق الحمار أرى ماذا يحدث فوق الأسطح .. أطفال كثيرون وأغنام  
 وكلاب ودواجن . ولا أدرى كم مصي من الوقف لكي أفضل إلى : الكتاب ،  
 ولابد أنه وقت طويل . علم أنني أدرى بالصبط ماذا حدث أو سوع يحدث ..  
 ولكنه يوم غير عادي بل أكثر من يوم . فلما أسمع عن هذا اليوم منذ شهر ..  
 وسمعت الناس يتحدثون إلى والدي ويقولون : أن الأوان . أن أبدأ حياتي  
 وأتوكل على الله ..

ولم يكن والدي يمارس .. وإنما هو يستعمل هذا اليوم وكذلك والنتي ..  
 هل الذي أحر هذا القرار أن الكتاب به أطفال كثيرون . والمكان صيق .. هل  
 لأني : سينما ، أي صاحب الكتاب والمدرس الوحيد مريض . أو هل كان  
 يبروج هو . أو يبروج أحد أولاده .. هل كنت أنا مريضا وكان لابد أن نحف  
 مناعتي .. لقد عرفت فيما بعد أن أحد أصدقاء والدي من الذين يفهمون في  
 الطالع والنجوم والحسابات الفلكية هو الذي أختار هذا اليوم . كما يختار الأيام  
 المناسبة للأزواج . أما هذا الرجل فهو شديد اللباس لرق العيبين . وله لحية  
 صميرة . وهو يحب الصنك والباس يحويه . ولكن لاحظت أنهم  
 لا يحترمونه بدرجة كاهنة .

وبعض الناس يصريه في بطنه وبعضهم يثنت لحبته . ولكنه موجود دائما ،  
 ومسموع الكلمة . وهم يطلبون إليه أن يحكي الحكايات ويروي التواريخ ..  
 ويقولون تركي .. ويقولون أفعاني .. ألياني .. ألياني .. طليسي ..



.. ثم جب صغير مكثس حرقه قش الذرة والقطر والأرز وبصاوح النيوك  
جسمه وبكتلات ، وقف في الحمار ، ولما حاول أن يزل معنى الحبر  
.. كسى وعط وحقق في داخل البيت ليعود ويقول لي : أن سيد مريض  
.. عدا إلى شاء الله ..

.. سر - بشيء من الأرياح . وعنا إلى البيت . كان المزارع تعرض  
محصر . وكان البيت حارح للحرية .. ورأيت أصدقائي من الأطفال قد جنموا  
غير حصى الطريق .. وكانوا يبتلعوني . ولكني لم تكن أريد أو اسمع  
مبعوثون ولا أعرف ماذا يمكن أن يقال

.. مع محطات وصلنا . لقد كان المشوار قصيرا جدا . ولم يكن في حاجة  
من ترك الحمار ولكنه في مثل هذا اليوم لأبد من السحابة بحر ملت غير  
عنه

.. في اليوم التالي وجدت الجناب والجرمة والسدوش وبرت وحدي  
مد البوابه وجدت الحبر . وفهمت أنني ملعت قد عرفت الطريق . يجب  
.. ذهب وحدي على بركة الله .. ولم أجد أحدا لا أمام الباب ولا من الدفدة  
حس . أنني كنت بمنت إلى عند من الفلاحين ، لم يلاحظ أنني في طريق إلى

.. كان من الصعب أن أوقف بين لحظة وأخرى وأمسح حذائي الذي تلوث  
.. حبي ومحطات الهائم . فلا يهذه لذلك ، ولا معنى للطافه . كما أنني عذبت  
عني ، بعضها ، فلأبد أن اعلا على أنثراها في حذائي وملابسي .. وكلم مره  
صبي كل لك وأنا أمر بالهرب من حاموسه أو بغرة !

.. ثم تكتب وحتت عدا كبيرا من الأطفال .. قد ملأوا جيوبهم بالخبز  
.. .. والحبر الساخن وهوال السكر . ووقف جميعا أمام الباب . ولم يجررو  
.. حذائي على السحول . ومصفت ساعة وساعة . والباب معوج نور أن يطلب  
.. من حذائي بنحلي .. وظهر طبل وقال لنا : عدا ..

وعنت إلى بيوتنا

.. في اليوم الثالث وهي ساعة مبكرة لم أجد أحدا أمام الباب كل الأطفال  
.. حذائي لبس وبطرت فوجدتهم جالسين على الأرض بين العصاة وبين

شيخ الحمر وابن البقال وابن الحولى وأطفال آخرون البيت من الدخان ككل  
التراب .. طين جاف فوقه تراب . وفوق التراب قش .. وبس .. وقطعة من  
هنا وكتب من هناك . وحمام بطير داخلًا وخارجًا . وكل شيء أسود .. كأننا  
دخلنا في بطن حيوان . نو في قلب قري .. أو أن للظلام قد اتخذ ملمس الطين  
والتراب . وجاءت سيدة وشحطت في الأطفال .. ودعيت هذا وصبرت ذلك  
وتكوسا في جنب .. ثم أثارب بيدها إلى كل الاجتماعات . وفي كل الاتجاهات  
تفرق الأطفال .. واحد يطفئ الحقل بالتراب والرمل .. وواحد يهرط كبرلي  
النره . وواحد يعلق العصيل على حبل في السقف .. وواحد يمسك المقشة  
ويكسر أمم البيت . وواحد يجمع الحطب ويصحه في الكابون . وأنا طلبت  
مى أن نرش الماء بعد أن يفرغ رملاني من الكس . ولما أنهيت دهشتي  
أو جهني بذلك . فلما بها درغني في بطني وتقور . نعمل كده .. أنت ابن  
مير ؟ هللت لها . وكان ردها : بكرة تتعلم كده ..

وراحت تصرب بيدها في جردل الماء ليخرج الماء هنا وهناك لكي يمكن  
التراب ..

ولا أعرف كم مضى من الوقت ، عندما قالت : غدا .

وخرجنا . وفي اليوم التالي غدا ووقفنا أمام الباب . وجاءت نفس السيدة  
إنها منوطة الطول والصر .. يرتدى ستانًا أسود ومن سحبه قميص أحمر .  
ولها حلحال من القصة . وفي يدها أساور من القصة أيضا . وفي عينيها كحل  
أزرق . ومن اتعها يتكلى شيء مستدير . ولم تكذ درلي حتى قالت : مالك  
ياواد . أنت بخلق لي كده ليه .. عينك في الأرض بلاو . حد ..

وأعطتني المقشة . وأشارت إلى داخل البيت . إلى جانب من ركن مظلم  
تلمنا هما عدا كوة تدخل فيها أشعة الشمس .. وفي هذا الركن نامت جاموسة  
صغيرة . ومطلوب أن أكس تحتها نون أن أوقفها . ولابد أن بقية الرملة  
لهم مهام أخرى . ولكن عدد الجاموسة يوجد مهام كثيرة . فهناك ديب  
يلسع .. وهناك أكرام من الطين والمخلفات . ومطلوب أن أسوى تلك كله  
بالأرض بالمقشة . ثم أن ألقى عليه بالتراب الجلب . وعدا لابد أن أنقل تلك  
في مظلم خارج البيت .

ووجد سمعنا سراها ويكاد . إنها تصرب ابن شيخ البلاد . وفهم أنه وهو  
حب حنجر . وقع منه الكثير في الأرض .. ولم تكن قد رأيت حبيب الماعز  
.. حواميس .. ووقفت وهي تعلمه كيف يسحب الماعز إلى الورا وكيف  
يجري .. ها في حجره وهي الوعاء الفخار . الطاهر .  
وقنت لنا : غدا ..

وكـ قد تضحينا قليلا . فحين لا نجلس أمام الباب بالصبي .. ولكن كنا نلعب  
عده عـ . وكل هذا اللعب نوعا من التمرد . وسبب هذا التمرد ، أنها عرنا  
نصط م هو المطلوب وماهي العقوبة إذا لم نعد المهام اليومية التي تطلبها  
به سيد نر زوجته . وحتى الآن لم نر موبدا . ولا حتى عرفت أسمه ..  
.. سألني ولدي في إحدى المرات : هـ .. ماذا فعلت ؟ .. قلت له ..  
.. ورف الرجل الأبله أو اللطيلاني : إنه نوع من الانصياط .. ناعما  
كنمكرية .. فهم يذهبون في الموعد المحدد ويتقنون التعليمات ..  
وكـ يحكي حكايات مما عرف هو في طفولته .. وكان الجميع يصنعون  
نـه . وم فهم شيئا مما قال . ولكنه ، ولكنهم راصون .

رفعه جمعونا من الحفول ، فقد ذهبنا نجمع القول ونكومه . ونصعه في  
مـ .. عنى طهر حمار . وندوبا . وندوبا . أنه مجننا قد حصر .. أو قد قام  
من سرير أو أن الدراسة قد بدأت .. ونزلنا إلى البيت . فالأرض نهبط  
.. وهي جانب لم يره من البيت ، كانت غرفة . ضيقة . مظلمة .  
.. الأرض مغطاه بالقش .. وهيا حشرات تسمع .. والسقف اسود قريب جدا .  
.. هـ أول الأمر كذلك . ولكن بعد أيام عرنا أننا إذا وقفنا بين السقف  
نصصم رؤوسنا .. وكانت للغرفة مائدة . والنائدة مرتفعة . وهي ضيقة .  
وصو سم الشخص . وفي أشعة الشمس ما لانهية له من الثرات البهضاء التي  
رف سيج ونقلب .. بعض الأطفال همس في أننى : إن هذه الثرات  
مركه

.. حب النافذة توجد مصطبة . وعلى المصطبة توجد حصيرة . ومروص  
.. يحس شيئا فوق الحصيرة ونحن نأمله على الأرض . وكما نرى المسافة  
.. وبه بعيد . هو فوق .. ونحن تحت .. والصو في عيوننا ، فلا نراه  
..

وجاء سيدنا الشيوخ . سيد الريلاوى . .. وهجر إلى المصطبة . ولا يراه  
يوصوح .. وإنما هو طويل عريض . يمد عا الصوء . وله عملة  
كبيرة . وهو يهز في جلمته . ويدانا ولحنا واحدا اسمك إيه .. أبوك  
مين .. عا يدعوى المعلوم .. كل واحد يسأل الله .. وبسم الله .. ويقول  
سيدنا معذور . عدا . نوكلنا على الله .. حافظين للفتحة ..

فقلنا جميعا . أيوه ..

قال : بسم الله الرحمن الرحيم .. نوكلنا على الله .. اللهم افتح علينا أما أقول  
وأنتم تدرسون ورأى .. بسم الله الرحمن الرحيم .. هولوا ..

وبقول ..

ويقول . ألف لام ميم .. ذلك الكتاب لا ريب فيه .. ألم . ذلك الكتاب لا ريب  
فيه .. هدى للمتقين .. قول يلواد . سمعى صوتك .. قول يلواد .. دى امها  
سورة البقرة . سورة إيه .. البقرة .. ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ..

ومعنى اليوم الأول ونحن نريد طول الوقت ما حفظنا من سيدنا وفى الليل  
سألنى والذى : إن شاء الله تكون حفظت .. قل ما حفظت .

وقلت : إنها سورة البقرة ..

ما شاء الله

.. هه ..

ألم . ذلك الكتاب ، لأريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالمعيب ويفهمون  
الصلاة ومما رزقهم يفتقرون . والذين يؤمنون بما نزل إليك وما أنزل من قبلك  
وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

وطلب سى والذي أن أعيدها مرة وثلاث ، فلم يكن يطفى سليما ، ولا كنت  
اتوقف عند نهاية الآيات . وكان يطلب سى أن أطلق الحروف بوصوح وأن  
أتلو ذلك على مهل تام . لأن القرآن مختلف عن كلامنا العادى . وأن العارى  
يجب أن يؤدى ذلك فى هدوء وحشوع ..

وبدأنا نرى سيدنا أوضح . وفى استطاعه الواحد منا أن ينظر إليه . وأن  
يلمسه أيضا . كان يصافحه ويقول يده . وأن يشم رائحة العنبر فى يده ، ولكن  
لأنجروا على التحديق . أو رائحة الحطب المحروق .. أو رائحة نوع فطير من

عصر بصره سيدنا .. أما مجدداً فيس طويلاً عريضاً . إنه رجل قصير  
 لا بد أنه في مثل ارتفاعنا عن الأرض . فهو عندما يتحدث إلينا يكون  
 منه موارد بوجوها وفي يده عصا طويلة .. وهو يزدى حذاء عالي . ثم  
 مصطبة قريبة من الأرض . وهو يثقل عليه الآيات ويكررها ..  
 صعب إلى خالوج البيت .. ويهتف .. ونظلم نحن نكرر .. هذا أرضنا  
 .. بأن السعصع أصواتنا . سمعناه يقول أمام البيت : إيت يا أولاد إيت  
 يا أولاد الكتب .. أنا سامعكم .

ومعنى ذلك أن مرفع أصواتنا بالآيات .. ونحن - عادة - جالسون على  
 الأرض . ونعطين من التراب . وبعد أهدنا إلى ما تحت ملابسنا بسبب تسع  
 من عيش . ونهتز إلى الامام وإلى الخلف ونحن جالسون .. وهجأة يظهر سوب  
 إيهان عليه جميع صربا بالعصا .. جميعا . ونذكر الآيات والنموذج  
 في عيوبنا .. ويهددنا إن لم نسكت سوف يقطع جلوتنا ضربا . وركلا  
 وصعب . وينتهي اليوم الدراسي فجأة . ومخرج من للكتاب .. وكأننا هرجنا من  
 تدبر إلى وجه الحياة ، وبهزل . ونسبح . ولا يجوز واحد منا أن يروي  
 فيه ماداً حيث أو ماداً أصابه .. لا الصرب ولا الشنك . ولا غسل  
 ناصق وبشر الفصيل والكنس أمام البيت وداحله . ولا تعريض كبري الدرة  
 وعصيف الملوحة .. واحد منا فقط هو الذي اخباره روجة سيدنا لكي يلقها .  
 ن نحن أمامه ونعطيه رأسها يقب في شعرها ويلتقط العشرات !

ووجد آخر قد حصه سيدنا بأن يطفئ أصابع قدميه .. وفي نفس الوقت  
 بر - راءه . وإذا غل لأنه لا يستطيع أن يعمل شيئين في وقت واحد صربه  
 تنصص . فينكي ويؤذي الاثنين معا !

• • •

وفي يوم نعلت الصبيحات والصرحات هي شوارع القرية .. والناس  
 يسعون ببلايص والحلل التي لعلت بالماء لإطفاء حريقه . الحريقة هي  
 بيت حر عليه كل يوم . بابه لونه أصفر وواجهة البيت عليها صور بحيل  
 وصور . وله عيه من الحجر الأبيض .. والنفس ينداهمون داخلين خارجين

ومن الباب يرمون يورق يكتب محروقة .. وصناديق خشبية .. ومقاعد .. وحل وأطباق .. إنه بيت ذلك الرجل الطلياني .. والبس يطعنون النهرين وهم يصحكون .. هي البيت أذنبة كبيره وقباقيب .. وهي ترابيزات .. وطبول .. وهي شبثة .. وحفلات خشبية .. وصور مطقة على الجدران ..

وهي ذلك اليوم ملأت حجرني بالكتب المحترقة .. بفان كتب .. جئت كتب .. أو كأنها حمام أبيض احترق ريشه .. فلم يعد قادرا على الطيران .. لم اسمع من أحد يصيرا لشيء .. كل الذي أذكره هو أن ألوف الكتب قد احترقت .. ظننتها ألوه في تلك الوقت .. وإن الناس يلقون بها خارج البيت .. ولم ينتبه أحد إلى عودتي إلى البيت .. ولا إلى النموع على حدى .. ولم أكن فاهما لشيء .. وإنما هو شعور غريب تولاني في هذه السن الصغيرة .. هل كانت للكتب أى معنى ؟ هل كان الحريق هو الذى أزعجنى .. هل كنت أتمنى أن أقتنى كتبا .. فوجدتها قد احترقت .. هل صحيح أن هذا الرجل قد وعدنى ببعض هذه الكتب أو كلها .. هل صحيح ذلك .. أو أنني توهمت أنه وعدنى يوما .. إن الكتب هي بيننا كنز جذا .. ولكنى لم أكن أعرف القراءة .. فلما أظلم فيها وانفردت عند الصور .. وأحاول أن أفهم ..

وصحوت في ذلك اليوم على عيون تطل ماحيتى ونقول : بسم الله الرحمن الرحيم ..

لقد أخرجوسى من تحت السرير .. عند سطلت ومعى الكتب المحروقة .. وغلبنى النوم .. ولم أر أنهم يبحثون عنى في كل مكان .. وأنهم عند منتصف الليل وجنوسى دائما على الأرض ويذى على هذه الكتب التى لوئت ملابسى ووجهى ..

وعلمت أن أختفى تحت السرير كثيرا لأى سبب يخصمى .. وتعلمت أن أضع رأسى على الكتب .. وإن أنام وينزعونها من فوق صدرى .. وقد أمسكت بها بدأى .. ولم أفس هذا المشهد طوال حياتى .. وكنت أرى أن إحراق الكتب هو أبشع جريمة .. ولم أهدأ إلى سبب واحد يجعل إنسانا يحرق كتبه .. أو كتب غيره .. ولعلنى قد رأيت في ذلك الوقت أن الكتب هي الحياة .. وأن حياة أى إنسان هي كتبه .. هي القراءة .. وأن الحياة من غير كتب ، حياة بلا حياة ..

بعد ذلك يسوات كتيب مغالا في مجله كليه الاداب بعيت أن تكون وفائى  
 على هذا النحو . أن أنقى وسط الكتيب حيا ، ثم يشعلون النار فيها جميعا !  
 من تأثرت في هذه الصورة بما يحدث في بلاد الهند ، فهم يحرقون جثث  
 موسى . وكانت الزوجات يحرقن مباشرة بعد أن واجهن . حتى لا تكون لهن  
 حيب بعد المرحوم . أى بما معناه . يعيش معا ويموت معا . هل تصورت أن  
 بـس إذا احترقت كتيبه ، فلا حياة له بعدها .. مع أنه يمكن تعريض الكتب  
 محترقة . ويمكن إذا احترقت أن تقرأ غيرها في المكتبات العامة .. أو أن  
 تحبذ فائزون على شراء الكتب وانسانها ، وأن الكتب عاجزه عن أى شيء ..  
 وإن أن يكون هذا الشعور هو تدريس للكتب أو وثيقه ورقيه . به حماس شديد  
 كل ما هو مطبوع !

ولما جاء الطلياني إلى بيتنا لم يكن قد تأثر بما حدث .. فهو بصحك ..  
 . من يسافرون من الصحك .. ويهللون ويصيحون ويطلبون إليه أن يعنى ..  
 . كيو يحسدونه على النعمة التي هو غارق فيها .. فلا عمل له .. ولا ساعات  
 عمر . وهو ملطال زمانه يصحو وينام ويجد الطعام في أى بيت .. وكل  
 نصحه وحكاياه غير صالحة .. ولكنهم يستمعون إليه .. إنه طراز من الناس  
 حين على الحكايات وأفعال القصص والروايات .. أنه مثل : أبو الصبح  
 تسكنرى في مقامات بديع الزمان الهذلي .. أو أبو زيد المروحي في  
 مقامات الحريري .. ومثل الصماليك والشعراء المثنوي في أوروبا .. هي  
 ساعاته أن يثق أى باب في أى وقت .. وأن يجلس فيجىء الطعام والشراب ،  
 من من الضروري أن يلغى باصحاب البيت .. هو اعداد على ذلك .. وهم  
 بس وما علم أنسى بكت واستعت عن الطعام يوم احرقوا بيته . لا أحد يعرف  
 من الذى فعل ذلك . أحضر لى عدا من الكتب .. وهو يقول : عندما تكبر .  
 . كنت أنصع هذه الكتب تحت عيني ، وأنا لا أفهم منها شيئا .. وكانت  
 . فى بقلها من تحت المجدد كل ليلة ، وبصمها أمام الميرير .. فأعود لنقلها  
 حب الصلحة ..

، فى يوم لم أجنها لا تحت المجدد ولا أمام الميرير .. ولا تحت الميرير ..  
 . هـ دعب الحائمة ووضعها فى والكتب المحترقة التي أحرقها تحت الميرير .  
 فى خرب ..

وعرفت أول . بقص . في معننى لأسباب عصبية . وضد هذا الالم  
بصالحينى عشرات المحين !

• • •

كان لابد أن يجرى والدى إلى الكتاب وكان عاصبا ووقف بحصانه أمام  
الببيب . وبنوا على سيدنا .. وسمعت صوت والدى . وبنزلت من تحت إلى  
هو .. كان والدى ومعه عند من للخبراء .. وكان سيدنا واقف . ولصغار  
في أنسى .. والأطفال يرددون نون أن يجرؤ ولحد على أن يوقف أو يطر  
للحفاة للتى أمام الباب . وعندما غادر والدى المكان دزل عند من اليس مع  
سيدنا وراحوا يعمونه .. وهو يحاول أن يقول شيئا .. وهال . ولم افهم .  
ومزكوه وعاد هو إلى مكانه من المصطبة .. وتركنا نكرر ونكرر . لا يكف  
الله صب إلا ومعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت .. رب لا يؤحنا ين سيبا  
أو أحطأنا ربنا ولا تحمل علينا إسرأ كما حملته على الذين من قبله . رب  
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به . وأعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولاهم بالصبر  
على القوم الكافرين . وكانت آخر سورة البقرة . وقد مصى علينا في الكذب  
أكثر من شهر ..

وكان سيدنا في حالة صيق شديد .. يطر إلينا . ونحن ننو ملك . ولا يطق  
بكلمة . حتى العصا عندما وقعت من فوق المصطبة . انكسر واحد من وكنها  
ثعبان وقمها له . فلم يشأ أن يمد يده . فتركها للطفل على المصطبة ..

وهجأة دخلت زوجته وقد حملت على رأسها طبلية .. ووضعت الطبلية على  
المصطبة . إن سيدنا لم يتناول إبطاره بعد . ورائحة العطير المثبت الساحن  
نروح ونشل الفترة على التكرار .. ورائحة القشدة وسيدنا يأكل على مهل  
ويشوية مفتوحة . وأكثرنا غير قادر على المصى في التلاوة بسبب هذه الروائح  
الشهية . ولكن سيدنا مشغول عنا تماما . ولطه قد لاحظ ذلك .. فكان يقف إلينا  
يقطع من العطير .. وكنا نراهم عليها . ولتقطعا من بين القش .. ونمسحها  
بأيدينا أو في ملابسنا ..

ولم يقل شيئا .



١٠ هـ - دأبنا وشكونا ما فعله سيدنا - فقد صرنا على قدمي صرب  
١١ هـ - لم على أيدينا .. وظهورنا .. وقد رأينا القبة لأول مرة  
١٢ هـ - جلس على الأرض ويرفع ساقيه ، ويلف هو الساخن بحبل ويهز  
١٣ هـ - في غنمين .. ونحن نصرخ وهو لا يوقف .. جميعا ..

١٤ هـ - خط سيدنا أننا صلبنا أيدينا وأرجلنا بالحذاء - كما هي العادة في الريف  
١٥ هـ - قال الأطفال يحشرون أنفسهم بين العذبات والسيارات ويظنون  
١٦ هـ - صعد صعد في أيديهم ، ويربطوها بالقماش حتى الصباح - وكذلك نطهر  
١٧ هـ - في الصباح تكون الحذاء حمراء فاحجة الألوان .

١٨ هـ - سيد يرى ذلك حتى يهال عنيها صربا وسما وسدا لآيات وأهيب  
١٩ هـ - يحفظ القرآن وتصنعون الحذاء .. ياتسون ياتولاد السوس !

٢٠ هـ - كنت الأباء من هذه القبوة في الصرب ، لم يمتعه من أن يهزوا  
٢١ هـ - من حين إلى حين

٢٢ هـ - تعرف كيف يصنع الحذاء من أيدينا . وقد حاولت ذلك كثير .  
٢٣ هـ - صبر ، الحذاء والصنوبر ..

٢٤ هـ - أريد جميعا أن نقول قبل أن نقرأ القرآن وأن نقول إذا  
٢٥ هـ - كنت وحيد نقرأ . وكان الواحد منا يرفع يده ويقول : اريد أن  
٢٦ هـ -

٢٧ هـ - سمح بـ سنك .. ويذهب إلى أقرب قاعة أو ترعة ويوصا .

٢٨ هـ - نحن سيدنا يهز مرة واحدة ثم يطلب من واحد منا أن يرافقه  
٢٩ هـ - صعد عليه الماء لكي يوصا .. ولم يكن نفهم لماذا هو في حاجة إلى  
٣٠ هـ - كبر بوصوء من ضرورات الصغار . ولا لماذا هم مرة واحدة  
٣١ هـ - بعد بعد بطول العطير المشتمت كل يوم .

٣٢ هـ - سمع صبر يهال عليها من فوق المصطبة . ولم يهز مرة واحدة  
٣٣ هـ - لم على . لقد نام سيدنا يوما عميقا . ولكن يجب ألا نوهب عن  
٣٤ هـ - يهز من واحد منا أن يهز بيتنا ممسكا عسا سيد حتى يراهم  
٣٥ هـ - سول لأيت وكان عليه هو أيضا أن يرددنا معنا ، حتى يصمو  
٣٦ هـ - وحتى يعود من لحد المشلوبير ..

وهي إحدى العرات جاء مبتغا هوجد الطفل الذي أمسك العصا بيكي . فآخذ  
منه العصا وانهاى عليها سربا : أنا عارف أنكم أولاد أبائكم . أن عارف أنكم  
طلعنوا عيه .. أنا سوف أرميكم بالولاد ..

ورحنا بصرخ وبكي . ثم سأله : عملوا هيك ماد \*  
ولم يكن أحد قد مضاهيه .. وإنما هو لا يستطيع أن يخلص من زعمه البول  
المعاجة !

• • •

كانت الحياة منتظمة .. أو رتيبة .. ولكن من حين إلى حين يجرء من إلى  
البيت .. ويمهرون ويتكلمون في أشياء كثيرة .. بعضها فهمه .. وأكثرها  
لا أهمه .. يتحدثون عن بلاد بعيدة وعن أحداث .. قتل وبيع .. وعن  
الغنائم التي تهلج القرى وتخطف الأطفال والأغنام .. وعن النوبة التي  
لا تسريح إلا إذا أخذت بثأرها .. فإذا قتلوا زوجها ، ظلت تطارد كل الناس  
حتى تجد الرجل الذي قتل زوجها ، وعندما هذه القدرة الهائلة على معرفته ..  
وكذلك الاعمى التي إذا قتلوا زوجها ، ظلت تطارد القاتل حتى تجده وتذقه ..  
وتقف عند رأسه حتى يموت !

وحادث السطر .. للتصوم يجبنون من بعيد وفي الليل يسمون في  
الحقول . وأحيانا يخفون تحت ماء النرع . وأحيانا يعطون أجسامهم بالزيت  
والشمع حتى لا يستطيع أحد أن يمسك بهم . وإذا أمسك بهم فإنهم يفلتون ..  
والتصوم الذين سطوا على بيت العمدة نفسه .. وكان موجود . وكان معه  
الحفراء وشيخ الحفر .. وللمأمر أيضا . فانتهر التصوم هذا الجمع في  
مكان واحد وسرقوا البهائم .. ويصنع البهائم تبهوها وتركوها في مكانها ..  
وتشاجر التصوم وبعضهم اعترف .. وفي إحدى المرات أمسك الحفراء أحد  
التصوم واكتشفوا أنه كان امرأة . خرجت تأخذ ثأر زوجها الذي قتلوه من  
مناوات .. وأعجب بها الحفراء فأطلقوا سراحها لأنها قالت : رجال يلقون  
القبس على امرأة .. عار والله عار !

وعرفت الحروف . وعرف ابن الزعم يستولي على الريف كله من غروب  
الشمس . فاللصوص والفتان والادهى كلها يحرق بالنار  
وعرفت أن القطط بالليل ليست إلا عفاريت أو ارواح واشباح .. وأنها  
ليست قططاً وإنما هي اشدب شكل القطط .. ومن يهر من بها ، فإنها تدره  
على أن تصببه بالليل وتقتل النطق

وبحت كل ورقة في شجرة بام عفریت . وهذه العفاريت يسقط على الناس  
كالأمطار ليلاً . ولذلك يحب ألا يخرج الطفل وحده . أما الرجال فهم يحتمون  
البناديق والبنادق حتى إذا سقط عليهم عفریت قتلوه . وبنا بنت عفریت واحد ،  
هربت العفاريت كلها !

وعند منتصف الليل ، من كل ليلة يحرق ، الداهية .. . وهي امرأة طويلة  
جداً تسمى بين النيبوت وسادى الأطفال صبيص الأطفال من نومهم  
وتصيح عليهم .. ويمسرون وراءها . ويندب بهم إلى الليل ويهزقون  
وينبش عن عفرهم . والداهية فائرة على أن تشكك كما تريد . فهي إذا  
وجدت فلاحاً يعمل في الحقل ، جعلت من نفسها حماماً .. فيراه الفلاح  
هزركيه .. ويطل يرتفع ويرتفع . وتلقى به من فوق ظهرها فيكسر دراعه  
أو ساقه .. ويهرب وهي تصيح !

أو إذا مات واحد من الناس في أهل القصب يستحقون عنه طوال الوقت .  
ويستحيون أنه مارل حيا . ولستك تذهب الداهية إلى روجه القصيد .. وتغرب من  
باعتها وتناديها بصوت روجها .. صبيص ويطل من الباهة فتجد رجلاً مثل  
روجها ناعف . وتمشي وراءه لأنه يريد أن يتحدث إليها لأخر مرة .. وأنه  
مخرج من القصر لهذا العرس . ويطلع النهار عنها عجب نفسها في بلد آخر .  
ويصم الأطفال يؤكثون بهم مروا على الكتاب ليلاً سمعوا أطفالاً يبنون  
القرآن .. في بيت صبيص ، صبيص ، بالعفاريت . ويصم الأطفال يؤكثون أن  
صبيصا نفسه من العفریت .. وأحرور يهولون . بل هو يعيش مع العفریت ..  
وأنه مروح من عفرته . وأن زوجته هذه ليست إلا عفرته .. ولذلك طيس  
عندهما أولاد .. وأنها تجمعهم من معصرة البيت ليلاً .. وأنها بصريه وهو  
يصرح . وأن إنسان كثيرين سمعوه يصرح .. فلما دعوا الباب ليعرفوا ما

يحدث له حرج لهم هالدا مستكرا . يقول الناس انه ، يخافون ، الحس ،  
وأن أبه الاطفال قد شاهدوا مبعثا في المنصورة . وفي دمياط . وعسف  
حاربوا أن يعرفوا ، احبتي .. هيتنا من ، أهل الخطوة ، أي يستطيع أن يضع  
رجلا في القربة ورجلا آخر في المركز . وإن إسماعيل كثيرين رأوه في  
المنصورة . فلما غدوا إلى القربة وجنوا في البيت . وأن إسماعيل هزين شاهدوا  
في نفس اليوم في دمياط . وهو يصلي العجر في ، سيدي البر ، في دمياط  
وفي مسجد سيدي أبو أحمد الشريفي في شربين وفي سيدي البدر في طنطا !

وفي إحدى الليالي وجدت والدي والذني والحادثة يتسابقون على السلم ..  
وسمعت الحبر وروجه والخبراء .. وكان ذلك عند منتصف الليل . ولم أجد  
على أن أسأل . ورددت كلمة اللصوص وكلمة اللص .. وعرفت أن أحد  
الغائب أو أحد الغائب أو أحد الصباح .. قد هجم على جاموسة وفتح بطنها ..  
أو على حمار .. أو أنه حطط طملا كان دائما بين الحبر وروجه . وأهم  
وجدوا الغائب قد سلك إلى بيتنا وحطط الدجاج من المطبخ ..

هل في ذلك الوقت تعلمت أن أنام وقد غطيت رأسي تماما ؟ هل الزعشة  
التي تصيبني كل ليلة وليس لها علاج هي بسبب هذه الخوف .. فلا أستريح  
إلا عندما أقدم إلى جوار والذني أو نجوى هي نائم إلى جوار حتى أذهب  
في النوم . هل عرفت في ذلك الوقت الخطأ النقيس تسده وصيها ، إني هني  
هذه اللحظة أتعطى بالاحباب والضيافة . وبالصعافها شدة . ولا أشكو من  
الحرارة ولا أصيب بها . بل إني عسا أذهب إلى أي بلد استوائي ، فإني  
أطمع أجهزة التكيف وأبعت عن غطاء ثقيل . حتى هذه اللحظة ؟

هل خوفي من الإصابة بقرصان صيفا وشتاء ، لهذه الأسباب القديمة ؟

لقد حاولت أني أن أسمع إلى نصيحة طبيب من أفريقيا ، بأن تجعلني أصاد  
على الغطاء الخفيف بالتدريج ، فكنت أوهم أن العماريت هي التي تعزني كل  
ليلة . ولم أجد على أن أصارع أحدا بذلك .

وفي ذلك الوقت كنت أجد الراحة للكثير في رواية قصص المعاريث التي  
رأيتها من القاهرة وفي دورة المياه والتي تمر بين وبين الحائط ، تكون لها مثل  
صوت الهواء يجعل من تحت الباب . وكيف أني رأيت فقط يحول إلى ريب

والأرنب إلى عصفوره والعصفور إلى بطة والبطة إلى دبة ننحدر من انفس  
ونظهر كل ليلة . لهذا صحت فيني لا أجدها

وعلمني والذي أن أتو آيات من القرآن كل ليلة . وأظن أن الله حتى اسم .  
وعلمني والذي أن الله سبحانه وتعالى يحول حروف الآيات إلى جنود تحرسني  
من العفاريت ، وكنت أنام بعمق ولا أرى ولا أسمع شيئا ، ولكن بقي العبد  
ثقيلا جدا صباحا ومساء ؟



حالة فرع في نصف الليل

## مالة فزع في نص الليل

وفي يوم استوقفى سيدنا قتلا : سوف أذهب معك إلى والدك !  
وتطلعت عيون الأطفال . في رعب . ولكن أحدا لم يستطيع أن يهجم . ولا أن  
وتقدمى سيدنا وسرت وراءه حلقى الرأس . وفي الطريق بداعبى الرجال  
ويقولون : الله يفتح عليك يا سيدنا الشيخ ..

وجاءت سيده ودمت في جيبى قلما من مكر الثبات وهي تقول : سلم على  
ماما .. وكل لها هذه بركة من الشيخ عجل .. هي تعرف .. ليالك أن تنسى !  
ومررت على بيت الطلاني ودق سيدنا الباب . وسمعناه يقول : من الحمار  
الذي يرفس الباب .. إنطق بالحمار .. ألا تعرف إننى أستمع الآن ..

قال سيدنا : أنا الشيخ سيد

وجاء الصوت : إيه يا شيخ زهت ؟

ونظر سيدنا ناحيتي في شيء من الخجل . ثم قال : محمد أفندي في  
البيت ..

وجاء الرد : اخطف رجلك إلى بيت محمد أفندي .. ولا أنت على رجلك  
الحنة .. ولا شاطر تضرب العمال عنما يضمنون الحنة على أرجلهم !

إنه يسأل عن والدي ، لابد أن لديه شيئا هاما .. خطأ قد صدر مني في  
الكتاب ، لابد أنه سوف يشكر أو يظلم ..

وأمام البيت هربت من سيدنا ، ووقفت وراء الباب أستمع إلى ما سوف  
يقوله .

وإذا سيدنا يقول : إن شاء الله تكون مبسوط .. إلى ه صلاح : يحفظ القرآن  
ربطه على أحسن وجه .. وسوف يكون له مستقبل إن شاء الله .

.. إن شاء الله ..

.. والله يا حضرة المعتمد حدث شيء غريب النهارده .. ورينا بسامحني ..  
وصلاح هو السجب .. وأنا طالك إنك تقومط .. وتكون واسطه حير .. ببال  
الله ..

هذه ذهب معي إلى الكتاب ، مرفص ، زميلي وصاحبي .. وأبوه هو صراف  
القرية .. ولاحظ سيندا أن مرفص لا يتلو القرآن ولما طلب إليه أن يرفع  
صوته .. ثم يفعل .. فهو لم يكن معنا في الكتاب .. ولما كرر الطلب لم يفعل  
فإنهال عليه صرير .. ووضع قدميه في ، الفلق ، ولم يجرؤ واحد من بهن  
إنه ليس زميلا في الكتاب ، ولما صريره وأوجعه ويكي أصر سيندا على أن يردد  
مفردا ، بات للقرآن الكريم فقال : كهيعص .. هط ..

ولما طلب إليه أن يكمل لم يعرف هأله . أنت مين ياو اد أنت ؟

.. أنا مرفص ..

.. أنت إيه ..

.. مرفص ..

.. نصراني ياو اد ..

.. أبوه ..

.. نصراني .. وريه اللي جالك هنا .. بنهار أسود ..

فأشتر مرفص إلى أنه جاء معي ، وأتني طليت منه أن يجيء . هجاء ..  
ولم أكن أعرف معنى أن يكون طفل نصرانيا بوظف آخر مسلما ، لم أفهم .  
إنه ككل الأطفال بل هو أقرب الأطفال وأحبهم . وأنا أذهب إلى بيته وأجلس  
إلى أمه وأخوته وأأكل ونلعب . وهو يجيء إلى بيتي . وأحيانا يبيت عندنا ،  
ورحمه أن بيوتنا متقلبه وأنه تزورنا ، وأمي تزورهم .. وأبوه يجلس مفردا  
مع والدي ويتحدثان ساعات طويلة .

وبدأت أنظر إلى مرفص على أنه إنسان غريب .. مختلف . وكل الذي  
اهتديت إليه في ذلك الوقت أنه لا يستطيع أن يجيء إلى للكتاب لأن والده على  
حلاف مع الشيخ سيد . هذا هو السبب .

هل صحيح ما لاحظته في ذلك الوقت ، أن والده على حلاف مع كل



لاباء .. وان مرقس لهذا السبب لا يلعب مع واحد منهم ، معنى فقط .. هل  
لدى أفضله على كل الاطفال ، بدأ الاطفال يتعدون على وعه ..

ولابد انه المصعب الشديد هو الذى جعلنى أحرم على مرقس أكثر من  
أى واحد آخر .. ولابد أن حرصى على الانضمام إليه وإلى أسرته . وهى  
مواجهة كل الاطفال سوف أحرم عليه أكثر .. هى مواجهة الاطفال قلت  
نعم .. سوف أتزوج أخت مرقس .. انتقنا !

وكنا فى ذلك الوقت فى المنام من العمر . وعندما علم والذى راح  
بصحك . وكان ينهر فرصة وجود الصبوح ويسألنى : يا صلاح .. هل انتقلت  
مع فريزة على الزواج ؟

وأقول بكل صدق وسلامة : نعم .

هل تعرف معنى الزواج منها ؟

أنها تجىء إلى هنا وتعيش معنا .

وأين ننام هى .. إن سريرك صغير

مع ملما ..

وهل إذا تزوجت سوف نصنع المبة فى يدك ونصنعك ؟

لا .

لماذا ؟

لقد ضربنا سيدنا .

وكانت فريزة إذا جاءت إلى بيتنا ، كنت أجلس إلى جوارها .. وألف  
دراعى حول عنقها . والناس يضحكون وأنا لا أفهم . ولم يكن أحد يهتزم  
على هذا السلوك من طفل دعه للحب والإخلاص إلى صديق له أن يذهب إلى  
أبعد مما يتصوره أو يدركه ..

هل فى ذلك الوقت لتجهنا نحن الاثنين . مرقس وأنا . إلى ملاحقة أبناء  
العمر ، لكنى يلعب معهم ؟ هل كنت أكثر شجاعة من مرقس .. هل مرقس  
ثم يكن فى حاجة إلى أن يشد شتيلا عند أبناء للعجر ، فهو أيضا مثل أولاد  
العجر .. فلم يكن فى القرية من الأبطال إلا أربع عائلات معروفة .. ليس فيها  
طفل واحد يلعب مع مرقس ولاهانة تلعب مع فريزة ؟

إنس أنا الذى ذهبت إلى مخيمات الفجر .. وكنت هذه المخيمات بالقرب من المحطة . محطة الدنا .. أى الحطوط الحديدية الصيقة .. والحيام صغيرة متجاورة وحولها عدد كبير من الحمير السوداء .. والكلاب التى تبيح كل من يقترب منها .. وليس هناك إلا رجال كبار فى السن وأطفال .. أما النساء فهن يذهبن إلى القرية يبعن البيض والأقمشة وقرآن الطالع للنساء ويصرين للودع .. هكذا قيل لنا .

وكثيرا ما حملت الطعام والسكر والأرز لكى أعطيه للأطفال الفجر . إنهم يقتربون ولا يتكلمون ثم يحطون الذى أحمله أنا ومرقس ، ويفارون فى الحيام .

ولما رويت لأمى أين كنت .. وجدتها قد ارتدت ملابسها بسرعة . وابت روجة الحمير والخائفة . وطلبت منى أن أألقها على مخيمات الفجر . ولما اقتربنا من الحيام ، راحت الكلاب تبيح . وتضمت الخائفة تسأل عن مبروكة .

ومبروكة هى واحدة من الفجريات التى نعرفها القرية . وظهرت مبروكة .. أو واحدة أخرى . وإذا بوالدنى تقول لها : هل هذا يصح ؟ وأشارت لمحبينى . ولم تدرك الفجرية ما تقوله . ولم أكن أدرى بالصبط ما هذا الذى يصح أو لا يصح .

فلما عندما جئت أبحت عن الأطفال للفجر لكى ألعب معهم ، جاءت سيده ، وخلعت جلبابى وحدائى وأعطتنى جلبابا قديما وحذاء مهلهلا . وهى تقول : قل لوالدك يشتري لك غيرها .

وهى اليوم التالى جئت ومعى جلباب آخرى بحثت بها والدنى . ومنذ ذلك اليوم بدأت صلة عميقة بالمجر .. فى مصر وهى فرنسا وألمانيا ورومانيا .. وتابع الفجر .. والروح الفجرية المشرقة للمشرقة على كل أنواع الحدود والقرائب .. وتصحيف الناس مذاهب وفوائد !

• • •

حفظت القرآن الكريم بعد سنتين وبضعة أيام . ومشاعرى لا توصف فقد كبرت فى عيون الناس كثيرا . وكان لابد أن أمشى على الرأس . وألا ألعب

مثل الأطفال . ثم أن والدتي لم تعد تضرعني .. ولم يعد اسمي صلاح .. وهو اسم بتدليل .. وفا أسمى هو الذي جاء في شهادة الميلاد .. ثم إنني أذهب إلى الصلاة في المسجد .. وإذا سمعت القرآن في المسجد فإني أتابعه بصوت منس .. ألمت قد حصلت للقرآن مثله ؟

• • •

وكانت الخطوة الثانية أن أذهب إلى المدرسة الابتدائية في الصباح كل يوم . وأمام العلوم الجديدة الكثيرة ، فلما واحد مثل كل الطلبة . هما عدا ، حصنة الدين . فلما لست في حاجة إلى حفظ الآيات المطلوبة مع التلاميذ . لقد حفظتها وكل السور وكل القرآن الكريم ..

وتقابلت السورات . لأجند لا حواشي . كل شيء عادي جدا . وكان ترتيبني الأول . ولم أستطع أن أتكلم إلى والدتي أن مدرسي الحساب واسمه هيكل أهدي .. وهو رجل بكرش أحمر الوجه طويل الطربوش أفضر العينين يستدعيني من حين إلى حين وأذهب إلى حيث يدرس في فصل آخر ويسألني وأجيب ، بينما لم يطلع واحد من أقراني في الإجابة . ثم يطلب مني أن ألقه ، أي أحمله على صدرى . لكني بصره هيكل أهدي بالخصا .. وبعد ذلك يطلب مني أن أعود إلى فصلتي !

وعرفت انقطاع الثاني في معنيتي .. عندما طلب مني هيكل أهدي أن أحمل واحدا من إحوسي لكي بصره . وحدث ذلك أكثر من مرة !

ولم يوم استدعيتي باظر المدرسة . لأجد والدتي هناك . ووجدت عندي من المدرسين . ووجدت والدتي يقول :  
- أنت تحفظ سورة هود .

- نعم .

- اقرأ يا بني .

- بسم الله الرحمن الرحيم : الز . كتاب أمكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم

خبير ..

- وسور • مريم •

- بسم الله الرحمن الرحيم : كهيمص . ذكر رحمته ربك عبده ركزياً ..  
وقال أحد المدرسين : تحفظ سورة الطور .

- بسم الله الرحمن الرحيم . والطور وكتاب مصطور في رق مشطور .  
قال والدي : سورة الماعثور .

- بسم الله الرحمن الرحيم : إذا جاءك الماعثور قللوا بشهد إنك لمسول الله  
والله يعلم إنك لمسوله والله يشهد إن الماعثور لكاتبون .

قال ماطر المدرسة : ما شاء الله .

ووجدت والدي يقول : ثم إنه يحفظ الكثير من الشعر .. في هذه المرة  
لا يعرف معنى الذي يحفظه . ولكنه يحفظ ويطلق بطلا سليماً . وهو قادر على  
أن يحفظ أية كمية من الكلام الجديد . فبعد أن حفظ القرآن الكريم لم أعد أحاف  
عليه ..

ثم قال والدي : قفا نيك

قلت :

قفا نيك من نكري حبيب ومنزل

يسقط اللوى بين الدخول فعمول

- هل تعرف من صاحب هذا الشعر ؟

قلت : القيس

قال والدي : امرؤ القيس . قل : لخرقة لطلال

قلت :

لخرقة لطلال ببرقة مهمد

طللت بها أنكى وأنكى إلى الدد

- من صاحب هذه القصيدة ؟

- ابن العبد

- طرفة بن العبد .. قل : لمن أم أوفى ..

قلت :

أمن أم أوفى حسنة لم تكلم

بحومانة الدراج فالمتنم

فالمعنى من صاحب هذه القصيدة

رهيز بن أبي يحيى

قل ي محتر رخي

قلب

و محتر رخي

ي عظيم الله

أكثر ما لك خلق الله

و ما يد بخلق

محتر في عظمي

أشعر في عظمي

من في سب

المعنى

عن نمراد الجيد عمر و من كلفه

قلب

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

أشعر في عظمي

وأقرب منى واحد من المدرسين يقول : أنت أستاذ .. أنت لست تلميذا !  
وكان هذا هو مدرس « الانشاء » وقد أعطاني صفرا في موضوع الانشاء ..  
ثم كنت في كراسي أنت سرقت هذا الموضوع من أحد الكتب . صغر ..  
ولم أكن قد مررت بالموضوع وإنما كتبه . ثم وسعت فيه بعض أبيات من  
الشعر .. هكذا أجد لكل مناسبة أبياتا من الشعر . ول كنت أسرف في وضع  
الشعر في كل موضوعات الانشاء .. هل لأنني أحفظ للكثير .. هل أرئت أن  
أكون مختلفا عن التلاميذ ..

وقبل أن يخرج من غرفة حصة الناظر . التفت والدي يقول لي : قل  
لأستاذك أبيات الحريري .. هل تذكرها .. سامح أهلك ..  
قلت : نعم ..

سامح أهلك إذا خلط

منه الأصالة بالغلط

ونجاف عن نسيمه

شكر الصبيحة أم ضبط

من ذا الذي ما ساء قط

وله المعنى فقط ؟

ثم وضع والدي يده على فمي ليكمل الأبيات :

محمد خير الوري

من عليه الوحي هبط !

وحين صحك الناظر والمدرسون والوالدي . ومدرسون آخرون جاءوا مع  
أولياء أمور التلاميذ خرجنا .. وغنت إلي البيت !

وكانت بداية شعور عميق عندي لم يبرحني وقتا طويلا . أنا إنس مختلف  
عن بهية التلاميذ .. ثم بهية الطليعة بعد ذلك . والباس أيضا !

وعندما تعمق هذا الشعور واستقر لبنداء من الكتاب بالمدرسة والجامعة .  
وجنب في العزلة والانطواء والقراءة للعلج الوحيد .. المحيأ الأمل من  
مخاوف حبيبة ومحلوف وهبية .. ومحلوف تضحمت في العزلة وكبرت مع  
القراءة وبمكنت أمامي مذاهب فلسفية بعد ذلك . ووفعت مضحية لأشياء كثيرة :

لم أعد أعرف إن كان الحرف هو الأصل أو هي الرغبة في الانطواء .. هل  
أنا حائفة ولذلك لمزلت . لو أنا مطو بطبعي واعدت على ذلك فأصبحت  
محب من أي شكل آخر من أشكال العلاقات الاجتماعية ..  
ولم أكن خائفا من شيء محدد .. وإنما أسيب الخائف للعام !

• • •

كان يوم الجمعة . وكانت غرفتي قد انعمت بواحد .. ووجدت حركة غير  
عادية في غرفتي .. طشت وأوعية من الماء الساخن .. ويخور وصلوات  
ودعوات . وجاءت خالتي ، مبروكة ، العجوزة .. وراحت تنقش رجلي وبدي  
وجبهتي باللون الأزرق والأسود . وكنت مستسلما تماما . لم أسأل . وكنت  
أقول : هلاوتك .. أمير والنبي !

وعرفت أن المرحلي ، من صغتي أيضا .. فلا سألت ولا اعترضت ،  
وكأنني أفرج على إسماء آخر لو كانتا رغبتي في أن أعرف هي أهم من كل  
شيء .

وأجلستني على مقعد ووضعت قدمي في الماء الدافئ الذي راحت تثلو عليه  
صلوات وعبارات لا أفهمها ثم يشرب منه وتلقى بالماء من معها . ثم تنثره  
من معها على وجهي .. ثم تنثره في الثغرة .. وتلقى به على السرير . وتحرق  
ورقا بعد أن وخرنه بالندابيس .. ثم تلقي بالماء على السرير .. وبالورق  
المحروق في كل مكان .. وتطلب مني أن أشرب كوبا قد شربت من منه ..  
ثم وضعت في يدي ورقا محروقا وطلبت مني أن أبتلعه .. وأبتلعه .  
وأعطيتني قطعة من سكر الذبات .. وطلبت مني أن أبتلعه . لم تطلب وإنما  
لمزنتني بتهديد ووعيد .

وبرعت ملابسني .. وراحت نصب الماء على جسمي .. ثم أتت بملابس  
نظيفة وألقت عليها الماء .. وأرندبت الملابس النظيفة . وافتتح الباب بسرعة  
ودخلت عجوزة أخرى ومعها عود من الحديد الأحمر .. وأقربت مني وإذا  
بني أهرب بسرعة . لأجد نفسي على السلاكم خارج البيت متجها إلى المسجد  
بين صهوف المصلين وأجلس إلى جوار والذي الذي أهرع منظرني . وإنما لم

يجدنى قلادرا على أن أروى له ما حدث . إنجه بي إلى جنب من المسجد .  
وسألني . وحكيته له . فعصب صارحا : جهله .. عجائبي !

ولما لم يجدنى قلادرا على الصلاة من شدة الخوف وكثرة الدموع ، طلب  
منى أن أجلس ولجفت دموعى !

وهي الليب سمعت القصة . فقد شكت وللتنى لجارتها أنسى أبصر من النوم  
في حاله هرع ورعب نون أن يكون هناك مجد لذلك . وأن هذا الفرع يحدث  
أول الليل ونصف الليل .

وقيل لها لا بد أن يكون قد حدث بعد ربابي الأخيرة للمعابر وحذى لولا ..  
فقد مات أحد أقاربى . وسمعت من الأطفال أن الميت بعد أن يدهوه يفتح القبر  
ويطلب شيئا من أى واحد .. والذي يحق له هذا الشيء يسجل الجنة . ولذلك  
ذهبت . ولم أجد أحدا . ولما لم أعرف كيف أعود إلى البيت بسبب بهاج الكلاب  
أو صوت الذئاب ، دخلت الصريح وأغلقت الباب وغلبنى النوم همت ..

وقيل أيضا إن سبب هذا الفرع يوم سقطت من فوق ، الدورج ، ولولا أن  
البقرة التى تجره كانت مرهقة ما توقفت عندما سمعت صراخى . وأن الله قد  
كتب لى عمرا ثانيا . ولكن الحصنة والسقوط نعت عجالات النورج ، هي التى  
أنت إلى تخوف ، القريب ، والقريب هو أحمى الروحي الذى يعيش تحت الأرض  
والذى لا يفارقنى ليلا ومهرا !

وقال أحد المتقين من أصدقاء والذى إن هذا الخوف سببه يوم تمت  
، طهارتى ، فقد كنت نائما .. ووجدت بحائق الصحة . ثم إبهم كنفونى ..  
ومثل هذه الحالة ، يطارد الأطفال وقتا طويلا !

ولكن العجيرة ، مبروكة ، هي صاحبة فكرة ، الكى ، بالنار .. ليدهب  
الخوف والأرواح الشريرة . ولم يقل أحد ، أين موضع الكى .. هي الرأس  
أو فى كعب القدم أو فى الذراع أو فى الكتف . ووجدت شيئا من الحكمة فى  
هذا الذى كانت تفعله العجيرة . فلكى أعود إلى حياتى الطبيعية بلا خوف ،  
لا بد من الكى بالنار .. لا بد من الحديد والنار . إبه ثم نادح !



كانه من الصعب ألا يكون الإنسان طبيعياً . فإذا أراد أن يكون هويماً سيف  
يؤذي مثل بقية خلق الله فلا مفر من الأثم . من الحرافة التي نعرف ، ويطعن  
شرف مدى التحية !

وكثير من البور التي مراكها ظلام الريف وحولته وأرضه الصيقة والعمى  
، التيج والحوار والتعيق فهي هي حياتنا بقاوم العلم والحصار . ويظهر هي  
الكرهات في الأحلام أو في المعالوف التنزيحيه . نقد متعرب إلى أركان  
النسب جوا وبزاً ويعزاً . ومن حين إلى حين نغفر قصصه عريضة ليس لها  
سمن . ولا نعرف كيف ظهرت ، ولانما لاي منطق . مثلاً كنت في جزر  
هوى أتمنى على منطلي ، وكيكى الحميل . وأستظم الأيس كريم هي نصف  
جوزة الهند الواحدة في حجم البطيخة وعجاء ومن عبر عنفات وبلا معنى  
ولا علاقة وجنسى أعنى .

إن كنت يوم ربيع كهر النوار  
على الشمال زور أبو حمص  
تلاقى محل عليه شيار  
فيه البصلتج راحة ترغص

وسجلت هذه الحكاية في كتابي . حول العالم هي ٢٠٠ يوم ، نور أن هدى  
إلى بغير . فلا وجه لتنبه بين أبي حمص وكفر النوار وهوبولو .  
ولا وجه لتنبه بين برعه المحمودية وشاسي وكيكى على المحيط الهديء  
ولا حول الحاج عطيه أليكس والأيس كريم بجور الهند إذا كان هوبولو  
هي الجبه من الموكد أن أبو حمص هي جهنم العمراء أعنت تلكا فري

ومرة أخرى كنت في مدينة ، فاح محل ، بالهند وعجاء وجنسى اقرب  
يا عم جوزة من الهند  
ومركب عليها غاب  
فأأقنت منها بضر  
والعقل على غاب  
يا عم .

وأما لا أفسح ولا نحت . ولا علاقه بين الجوزة وبين غيبات العقل وبين هذا

الأثر المعماري الجميل الذى ألقاه المصلح لزوجته الوهية ، فكان بناؤه تحفة تاريخية !

وهى من أغنيات الريف ..

وفى القاتيكال كنت أحضر قداسا للبابا يوحنا الثالث والعشرين .. ونفضل  
ومد يده على رأسى وخلع اللطافة ووضعها على رأسه ثم أعادها بركة .. وحفدا  
من كل الموجودين ..

لم أعرف أهمية الذى فعله صاحب القداسة إلا عندما خرجت من كنيسة  
القديس بطرس ، وهجم للناس على رأسى وحطروا اللطافة ومرقروا ملئة  
قطعة .. وكل واحد احتفظ بقطعة منها .. بركة حتى الموت !

ولم أكد أرى الراهبات وقد خرجن من القاتيكال .. فى ملابسهن البهيماء  
كالطهارة والصفاء والإيمان .. شغلوات جميلات .. خرجن حائبات الرؤوس  
ونلائين من الجماهير .. هوجدننى أرعد ما كان يقال فى أعالي الأهراس فى  
الريف :

يانوم العازب يانله

ده نومة الكلب أحسن منه

يحط قنبصه تحت رأسه

والمعدة بنات رجله

يانوم العازب .. الخ

لاوجه للشبه ولاميرر ..

وفى كثير من الأحيان أجد منعة فى البحث والمقارنة ، ومطاردة السبب  
القوى لدى جعل شيئا كهذا فديما يطغو على الدكرة ..

كأننى كنت أسمعها تحت رجلى عشرات السنين .. ولما رقت رجلى ،  
هريت إلى رأسى .. أو كأنها كان يجب أن تخرج من اللاشعور ، لتسوت بعد  
ذلك .. وجاء دورها لتسوت .. أو كأنه العقل نصه تعب من التراميل والضوابط  
والمسائل والتعبود والكليشات لكل أحداث الطفولة ، فأظنحت هذه الحائثة هى أن  
تهرب من عظمى إلى عظمى ، وتجعلنى أدوح وأفتنى أثرها فى كل مكان ..

.. بش قد بهر به من بقو سو جنو به سب زه د سبه  
 و سدهنه .. بسنه هه بسانه .. صبه .. سو سو لار  
 فها هي هذه المياسة ياتري .. لايد في امدر في سده .. كاد هدر بهه عو  
 الى اذو عي .. لا .. حاه بمفكر بهه سمر في جيوه و جيوه و حمر  
 وعقولهم وعظه .. وقلبه وقلوبهم .. ليس هه الفله و سمر .. مصبده  
 عصبه بونا خليج .. سو به لاس و لاس و لاس .. بهتر سو سو علفه الصار ..  
 في بقوله وسنه ورجوه وهد لاجري ..  
 .. ان عادو اسم بهه الفله العرييه و حده صني بهه سو بوچه  
 سماعي .. بكر لا اعرف كيف بهه عني  
 من افور نك ما سدر هه سو قنمر حالاً و كنه سمنه سو ما جاء في روايه  
 بوهيق الحكيم .. بوهيات نلف في الأرياف .. جاء  
 بهيك ما انتهت  
 والطبع هيك غالب  
 ويلي الكتب ما يمدل  
 لو علفه هه قال ..

\* \* \*

الله سبحانه و تعالی .. بسامحه ..



جاء الحب.. ذهب الحب



الوقت كنت أقرأ الصحف أو المجلات . ولكن أراها أحياناً . ولم أشعر  
بصدوره قراءتها .. ولا بأن هناك نقصاً لأننى لا أقرأ ما فيها . ولم جد أحداً  
من الزملاء يتحدث عن الصحف ، المجلات .

وفى اليوم التالي كنت أرى هذه الفتاة أيضاً . واعتدت أن ألتقيها بعينى ولذلك  
سُتطيع أن أصعبها . بحبيبه . سمراء . طويلة . موداء الشعر . لها مشية  
غريبة . هتماها منعرجان كأنها بطلة أو أورة .. ونور رأسها بصورة عصبية ،  
يتحول شعرها من جانب إلى جانب . ثم أنها تنظر بحبيبي .. تنظر فى عيني .  
ولا تقول شيئاً . لا أعرفها ولا وجهها ولا اسمها . ولا شيء . أو كأنها تريد  
أن تقول شيئاً .

وفى يوم تحلف للزملاء . وانتظرت طويلاً . وفرت أن أعود إلى البيت .  
وعندما وجدت الفتاة قد اقتربت فى اللحظة التى تحركت أنا أيضاً .. ودون قصد  
وجدت بعينى قريباً منها إلى جولتها .. أمشى ورامها . ولما اقتربت من الناس  
تأخرت عنها . ولم ألاحظ أنها قد أسرعت فى مشيتها . وإنما هى تأخرت  
أيضاً . كأنها تريد أن يمشى معاً . وتوقفت حنى يمشى معاً . فتوقفت هى  
أيضاً .

وفتاة سألتنى : كم الساعة ؟

قلت : لا أعرف .

هبطت فى ساعتها وقالت : الساعة .. ولكن ساعتى غير مصبوغة .. أنت  
رائح فى ؟

وكان هذا الحديث مفاجأة . ولربنكت . ولم أرد عليها . ولابد أن يكون  
وجهى قد أحمر تماماً . ثم عادت تقول : أنا أبحث هريد .. هو الآن فى  
القاهرة .. أنت تعرف هريد ؟ قلت : أعرفه ..

وأظن أنها هى التى تكلمت طول الوقت . ثم إذا بها تقول لى أنها جاءت  
هى ووالدتها ورايت والدتى من بصعة أيام . فقد كنت مريضة جداً . وكانت  
هى ووالدتها فى زيارة أقارب لهم فى نفس البيت . ثم إنها دخلت غرفتى  
ووجدت كتباً كثيرة على مكتبى . ثم إنها رأت أنه من الضرورى أن أفتح تلك  
مكتبى . فالتفت رطبة جداً . وهى متدهشة كيف أنسى أذكر فيها . ولكن علمت  
من والدتى أننى أصبح يطنبية على ظهري وكنتفى وطافية من الصوف . إنسى

مر يوم معظم الوقت .. وأتيت أنام على المكتب وكثيرا ما سقط المصباح فاحرق  
كتبي أو أتيت اقتربت منه جدا فأحرق رموش عيني ... وأتيت وحيد تماما .  
ليس لي أصدقاء . ولا أزور أحدا ولا يزورني أحد . وأتيت أكثر أخوتي حنانا  
بأمي وأبي . وأن أمي إذا مرضت فإني أذهب عنى مرضها حتى لا تعطلى  
عن المذاكرة . وأن أمي إذا توجعت فإني تصنع رأسها تحت اللحاف حتى  
لا اسمع أصواتها .. صومى خفيف جدا . ويكفى أن أسمعها تقول : أم لا اطل  
ساعدا حتى الصباح .. ثم قالت إن أمي روت لأمي ولها أيضا ، كيف أتيت ثم  
أذهب إلى المدرسة منذ يومين وظللت أبحث لها عن دواء في كل الصيدليات ..  
في العصوره وطلعا .. ثم ركبت القطار إلى السيلابون . وأنها لذلك لا تطلب  
مسي أن أشتري لها أى دواء .

وقالت لي أن أحاديثي لا يهتم بأحد . لا بأمي ولا بأبي ولا أخوتي .  
وأنها عندما شكت له أن الشبان يملكونها في الشارع ، لم يهتم . حتى عندما  
قالت : أن أصدقاء يملكونها ، لم يظهر عليه أى شيء من الاهتمام . وقالت  
إنه يملكن أخوات أصدقائه إذن لا مانع عنده من أن يملكونها هي أيضا . وهي  
إحدى المرات طاردها ولحد منهم وأمسك يدها ، وقال لها كلاما لا يليق . وبكت  
وشكت لأخيها .. وكل الذي قلته لها : إقمي الجرعة واسريبه على نساءه !  
ثم نظرت ناحيتي وقالت لي : ولكنك مختلف !

أما كيف انتهت هذا اللقاء .. أو هذا السير معا . كل الذي أنكره في ذلك  
الوقت أنا سرنا معظم الطريق الواحد وراء الآخر . أنا الذي أمتنى وراءها .  
ولكن عندما اقتربنا من شارعنا سرنا معا . ووفضا أمام بيتنا . وأشارت بيدها  
إلى بيتها ، وكان يعد بصعده أمتار . ثم قالت : صيدة .. أنشوطك غدا .

في ذلك الليلة كانت مسورتها وصورتها على صفحات الكتاب . وفي صباح  
أصبحه ألقى .. وفي السقف .. وصورتها كان يجيء من أنسى .. إذن هذا هو  
الحب .. أو بداية الحب .

إنها أول فتاة أقرب منها ، أو تقرب مني .. جاءت إلي بيتنا . ورأت أمي .  
ورأت عروني .. وسمعت حكايتنا . لقد دخلت حياتنا .. وحياتي . هذا الذي  
يأمرى قد حدث في بيتنا ؟

أمي مريضة ؟ لا غربة هي لك .. ولا عيب .. غرفتني صغيرة رطبة  
محبوبة ؟ صحيح .. والباقية معلقة وهي لك رطبة .. يساقط من جذرائها  
الجبر على الأرض .. ثم أنسى أصح حصيرة على الحائط ورأى .. وأصع  
الأغلبية على كفى .. حاملا كأنني واحد من أهل الاسكيمو الذي يصنع بيته من  
كزل الجليد .. وكنت تنظر إلي جبهتي كثيرا .. يا الأحمر فوق حاجبي الأيسر  
مبهه أنسى دمك وأنا أذكر قلبي رجاك المصباح ..

في المتروحة رحت تبحث عن أحياها فريد .. إنه في فصل آخر .. وكنت  
انظر إليه من بعيد .. إنه أبيض وهي سمراء .. إنه مرح محبوب من كل  
اللائحة .. وهو قوي يدخل في حنايفت ويصمون له قلب حسب .. ثم إنه في  
هريق الممبار وهو يفر إلى العتلة والمتوازيين .. وهو يدحرج .. وعندما  
إعزبت منه ومن زملائه دون أن أتحدث إليه وجنته يروى حكايات غريبة ..  
عن فتيات وينكر أسماءهن .. وكيف عكس فلانة وعاكسته فلانة .. وكيف عاد  
إلى البيت متأخرا يمشي على أطراف أصابعه .. وأن والدته صبطته ووعدها  
بأن تكون هذه هي المرة الأخيرة .. هو علم أبوه لسريته وحرمة من  
المصروف .. ولم أفهم شيئا من كل هذا الذي قل ..

ولم أعرف هذا الشعور الغريب الذي كان يدفعني إليه .. هل أريد أن أكون  
قريبا منها هي .. أو من أي أحد على صلة بها .. أو أن أعرف شيئا عن حياتها  
وعن بينهم .. هل أريد أن أعترف له ؟ .. أعترف بهذا ؟ هل أعترف له ؟  
.. ولكني لا أعرفه .. وليس هناك شيء عني يقال .. لقد وجنتني مشغولا  
بالبحث عن النظر إليه والاضراب منه .. أما هو فعنده أصدقاء كثيرون .. ثم  
أنسى لا أعنيه .. واللائحة يظنون بلحيتي على أننى مختلف .. وأن وجودي  
بينهم .. شيء غير مريح ، فأنا تلميذ فقط .. مجتهد فقط .. لا أكتب ..  
لا أسهر .. لا أعرف أحدا .. وليس عندي ما أقوله .. فلا حياة لي .. لا في  
البيت ولا خارجه .. بالضغط المودج لما لا يجب أن يكون عليه التلميذ المرح  
الشاب المتدفق حيوية وشغوة .. فلما أيضا مثلها هي : حزين الوجه .. بلا كلام  
يقال لا على الوجه ولا من العبير .. أنا نمثل نصف .. من الممكن أن يوضع  
فوق ترابيزة أو إلى جوار حائط وتتركني ساعات وأنت على يقين من أنك سوف  
تجنى في مكنتي ..

ونجأة رجعت فريد يقول لأحد أصدقائه : إبعد عن ميمي





شعور في أعماق أعماقي .. هذا الحب .. الحب .. الأمان .. ولم أشعر لأية واحدة من أحواشي ، بمثل ما شعرت به لهذه الأخت .. التي كانت أمومتها عبكرة . وكان عطفها وحننها هيبا لا ينتهي . سقط نظرتها .. لمستها .. صوته .. الأمان إلى جوارها ومعها .. وكنت إذا وجدت فستانها قد ارتفع عن ساقيها قليلا فبسي أسحبها إلى فمها . وفي إحدى المرات وجدتني تحمل طفلا من أقاربها .. همبرعة جللت إليها أن ترفع الطفل لكي أسحب فستانها إلى فمها .. والأقارب يتعجبون لهذا الشعور العجيب بيينا . وكنت جديتها تقول : سبحان الله . لو لم يكن أخاها ، لكان أحسن روج لها .. ولكنها أكبر منه .. مع أنه لم يعش معها في بيت واحد .. ولا رآها إلا عندما كبرت ..

وروت جديتها أنها بحثت عن أختي في يوم من الأيام فوجدتني جالسين تحت شجرة من الصباح حتى المساء .. لا نكلم ولا نأكل .. ولا ننهي لنا كلام ..

هل كانت ، أ .. ، صورة أخرى من أختي .. هل هذا صحيح أو أن خيالي هو الذي صورها كذلك .. لو هل هو إحساس بعدد أختي جعلني أتمنى أن أجد تعريضا في أمال .. أحيانا أجد أمال هذه مختلفة عن أختي .. مختلفة تماما .. فهذه سمراء وأختي حمراء اللون .. أمال سوداء العينين وأختي زرقاء العينين مثل والدتها وجدتها وعماتها وحالاتها وأخواتها وأخواتها غير الأشقاء .. ولكن للصوت واحد .. فأعني كان لها صوت ملهى فيه ، بحة ، كأنها تنصت كلاما .. وكانت إذا صمكت فراجعت برأسها إلى الوراء .. وظهور على ملامحها طفل بريء .. وكانت مثل كل بنات الريف إذا صمكت وصمت بدعا على فمها حتى لا يسمع أحد صمكتها ثم إنها تقنعني إلى الأمام كأنها نخفي وجهها أيضا . هل كانت أمال تفعل ذلك .. أو أنني تخيلتها للصورة الجديدة لأختي .. اغتلطت الصورتان أمامي . وتداخل الوجهان . وأصبحت أشجع في مقابلتي لآمال .. أنهب لقلتها . وأنحدث إليها . ونظر إلى وجهها وأتابع ألوان الكلام والمعاني على وجهها وقد تلاشت صورتها أمامي وكذلك صوتها . فلم أعد أنشغل بها كثيرا . وإنما أحرص على أن ألقبها . وكما نلتقي أمام بقاع الطوى ويبيع الكتب أيضا . وكان اللقاء يسفرق نصف الساعة . وأحيانا الساعة وفي هذه الساعة نحدث . هي التي تتحدث أكثر . في أي شيء .. وكان عندها موسوعات كثيرة . وحكايات لا تنهي . وكنت لا أعرف كيف أجرى حديثنا ..

محكياتها مليئة .. أو عندما هذه القدرة الهائلة على تحويل أى شيء إلى حكاية ورواية .

أر أختي يرحمها الله كانت أجمل وألطف . ولكن لم يكن لديها كلام تقوله . كانت مثلى تماماً . أما أ ... ، هذه عندما كتب ومجلات وأغنيات ثم إننى لا أعرف كيف أجيبها على كثير من أسئلتها مثلاً : ما الذى تقوله أنت وزملائك عندما تمشون على القيل ؟ .

ويكون جوابي : عن الكتب .

- أى كتب ؟

- التى نقرأها .

- هل تعرف أنهم لا يعودون إلى بيوتهم مثلك !

- لا أعرف ..

- واحد منهم يعرف إحدى ريملتى ويحبها .. والثانى خطب إحدى قريبائى .. والثالث سوف يزوجه أهله ..

- لا أعرف .

- إنى عن أى شيء تتحدثون ..

.....

ولم لكن أعرف ما هو المقصود بكلمة : الحب ، وكل لدى أنكره أنها كلمة ، مبنية للسمعة ، وفى كل مرة أسمعها فى بيتنا أجدنا مرتبطة بالإهمال فى المذاكرة والرسوب .. أو التفتين .. أو السهر أو طلب الكثير من المصروف .. ولكن لم أكن أعرف بوضوح ما هى العلاقة بين كل ذلك والحب ..

وكننت من حين لحين تسألنى هكذا : وأنت ؟

- وأنا ماذا ؟

- ما رأيك ؟

- فى أى شيء ؟

- فى هذا الذى أقول ؟

ويكون لدى تقوله عن الزواج .. وعن المستقبل .. وعن الحب .. وعن

موفت أحبها منها وإهماله لها .. وقصوته عليها .. أو قصوة أمها .. أو العمر  
والتمز من صديققتها اللاتي رأيتها معي أمام البقال .. ثم طهور المسرحين  
والإشغال عليها وعدم قدرتها على التركيز .. وما لدى يعجبها هي واحد  
متلى . لا يهش ولا يش .. ولا يصد ولا يرد .. يمشي ووجهه في الأرض ..  
ولم تكن أعرف ما معنى أن يكون لي رأى .. لو تطبق على هذا الذي قالت ..  
هي قالت وأنا سمعت . انتهى . ولم يكن من السهل أن أحكم على هذا الذي  
سمعت هو سماعتي له .. فلما لا أعرف الحوار . لا حوار هي بيتا .. إن أهم  
القضايا التي يناقشها في البيت .. أسمى تتكلم . وأنا أسمع . هي مريضة .  
ولا رأى لي .. جامدا صبور .. أعمل لهم الشاي .. فلا رأى لي .. قل  
لصاحب البيت : سددع الإيجار بعد أسبوع .. فلا رأى لي .. أنا أذهب إلى  
غرفتي وأذكر وأنام وأصحو .. وأذهب إلى المدرسة ولا رأى لأحد  
.. ولا رأى لي ..

مرة واحدة من أسمى : هل يريك أن أسمى في الشارع وحدي .. وفجأة أجد  
أحد أصدقاء أسمى يفرصني من هنا ..  
قلت بسرعة : قلة لب !

وظهرت عليها السعادة . ولأول مرة وصحت يديها الاثنان حولي . وكانت  
حركة مفاجئة . وبحركة عصبية منحت يدي وأبعدت يديها .. ولم أفهم  
ما قلته : أنا سعيدة جدا اليوم !

• • •

وفي يوم كان اللغاء في حديقة شجرة الدر ، وأنا الذي اخترت هذا المكان .  
لم أعرف لذلك سببا واضحا . هل أنا أحاول أن أقعد ما يفعله مؤلفو الروايات  
للعراية .. هم يذهبون إلى الحدائق .. أو يجلسون تحت الأشجار .. دائما  
هناك حديقة وشجرة ورد .. وعصفور .. وأحيانا مجرى ماء .. نبع ماء .  
ينز .. ودائما تكون قطرات للندى قد غطت أوراق الشجر .. أما السماء فلا بد  
أن تكون إما صافية تماما .. ولما مغطاة بالسحب .. والأرض إما متوحشة  
أو مغطت عليها أوراق الشجر .. وهذه الأوراق تلبلة .. وأحيانا تجد أطقالا

يعبور .. ويمرعة محيى ككرة صغيرة يجرى وراءها طفل .. ليهدى عليه  
المحبوب ويهلوه .. وتتلاقى عيونهم بما لا يهابه له من المعاني : الحب  
والبرواج والأمور وسعده الأطفال .. فرأت فى قصة إسمها ، فى غياب القمر ،  
لا أعرف من الذى ألفها ، لى اثنين من العشاق جلسا تحت شجرة .. وكان من  
بين أغصانها ، أنثى منخفان .. ولم تجد تطيور مكانا لهما ولا أجمل من هذين  
الخصميين ..

أما العنى فقال : لأن المصافير كثيرة ، هذ فركت مخلفاتها على الأوراق ..  
أما الفتاة فقالت : ما أروع احتمال هذه الأغصان .. وما أشد صجرها .. إنها  
بسطى للدهاء والملمأ والطعام ، ثم تلقى هذا المصير من المصافير ..  
قال العنى : ليست عقوبة .. ولكنها طبيعة الحياة .. فالذى يأكل هو الذى  
يترك المخلفات .. وهذه المخلفات هى مواد عضوية تقوى قشرة الشجرة .. إن  
المصافير قد أعطت الشجرة أعظم ما تحتاج إليه .

قالت الفتاة لقد أنسيتنى صوت المصافير وشكل المصافير . وهذا الحوار  
الأبدى بينها وهذا العشاق الدائم يلف رقابها .. وهاتين الحاملتان .. آه لو  
تكلفنا تفكر ما الذى يمكن أن نقوله إحداهما للأخرى .. لابد أنهما معا سوف  
يسطغان بكلمة الحب فى نفس واحد ..

وقال المؤلف بطيفا على حوار العاشقين طبعى أن يكون العنى العاشق  
مهذب راعيا .. وأن تكون الفتاة العاشقة رسامة عابدة للألوان .. لموسيقى  
الألوان ..

وفى رواية أخرى عنوانها ، حذف للتيللى ، لا أعرف اسم مؤلفها وجنتلى  
قد وصفت خطأ تحت هذه العبارة قالت الفتاة : لا تقل إنك تحبى .. فلما على  
يقين من ذلك .. الأشجار والأزهار والطيور قد قرأت أفكارك وراحت ترد  
هذا المعنى ورقة وشجرة وسمة هواء وفى يريق النجوم .. ولكن أجمل لمعنى  
هو الذى فى حبيبك .. لا تقل شيئا .. لقد قلت .. قلت كثيرا جدا .. إنك خلقت  
غاية من حرمين ومحيطا بضحج بالأمواج .. لا تقل .. وأنا لن أقول ، لنسى  
أخشى أن تتداخل النجوم والقمر والسحب والرياح فى ملهمة الحب الأبدى ..  
وأنا لن أقول . لقد قلت . وهذه الدنيا شاهدة عليها !

هل لهذه العبارات معنى خالص .. لم يكن لها معنى حدى . وإنما تراكيب الكلام وبحريج المعانى بعضها من بعض هو الذى يبحث على دهشتى فى ذلك الوقت .

ولما سألتنى : ولماذا حذيفة شجرة الدر ..

كان ردى على ذلك شبهها بمثل هذه الكلمات : المكان أجمل ، والأشجار الطويلة على الجانبين .. والأعشاب كالحرير .. والأوراق أكتب صغيرة تنصزع إلى السماء .. والأزهار ابتسامات ..

هل أدهشها ذلك ؟ هل أعجبها ذلك ؟ هل قلت شيئا يستحق الإعجاب ؟ ولكن لماذا قلت ؟ لم يكن فى قدرتى أن أفكر وأصر وأعبر وأبرر .. ولكى أحاول أن استسلم لمشاعر غريبة فى داخلى .. أو أنسى تشجعت فأكون منحنيا متكلماً أو مفكراً ..

وفى ذلك الوقت عرفت الكتابة .. وكنت كتابنى على شكل منكرات .. أو على شكل حديث بينى وبين نفسى ..

وسألتنى : ماذا أقول لو رأنا فريد ؟

ولم أكن فكرت فى ذلك .

ولكنى قلت : إننى أشرح لك النحو والصرف .

فألت : ولكنى ممتازة فى النحو والصرف .

قلت : اللغة الفرنسية .

فألت : ولكنى ممتازة .

قلت : إذن التاريخ .

فألت : ولكن ليس معنا كتاب للتاريخ ..

ولا أنكر كيف انتهى الحديث بعد ذلك ..

ولكننا ذهبنا كثيراً .. وكنت فى أكثر نسلولا عن الذى سوف أفعله فى المستقبل . ولم أكن قد فكرت فى ذلك . فأتانا أعرب ماذا يحدث غدا .. بل فى هذا العنصر نفسه كل شيئا . فلم يكن فى حسابى أن أكمل تعليمى . فالظروف صعبة . وكانت هناك محاولات كثيرة فى أن أوقف عن الدراسة وأن أعمل موظفاً فى أى مكان . فالظروف قسوة . ولكنها والذى . وهى تنظر

بى أفكارها من المحامين والمهندسين والوزراء ، قد أصبحت على أن تكون  
شيئ .. فإن تكون تلميذا هو نتيجة جهود مصحبة قامت بها والدتي . لم أعرف  
بما صيحتها إلا متأخرا جدا ..

ولم أشعل لحظه واحدة بمقتضى فكل الذى أعرفه هو أن أذاكر وأن  
أعرف . أما بعد ذلك فلا أعرف . ولم أشعل بصي . ولكنها كانت تفكر فى أشياء  
كثيرة لم تخطر لى على بال . هل تحدثت عا ، وعن الإثنين ؟ لمت على  
يقين من ذلك . ولكن لاحظت أنها تقول : مع .. والدتي يقولون عا .. أمها  
قالت .. ورحيلتها قل عا ، ولم يكن فى استطاعتى ، أن أفهم بعيدا ، وأخرج  
عليها عن الإثنين . وكيف يبدو لمن يرانا من بعيد . هى أكثر حيوية ومرحا  
وأكثر كلاما وأكثر وعيا بمن حولنا من الناس .. وهى ترفع صوبها وتحفصه ..  
وسوف عن الكلام وأحبنا نوارى وجهها .. وفى نفس الوقت لا تعيب عنها  
كلمة أو لصحة واحدة مما أقول . ولذا أتوجه إليها طول الوقت ..  
هل لى يا ..

وسقطت اسمى .. وأدهشنى ذلك . ثم وجدتني سارحا فماتت وقالت : هل لى  
يا .. وكذرت اسمى أيضا ولمسنى ذلك النداء . وسعدت لإسمى ربيا وأداء  
مختلف ..

وسألتنى : هل تحب الأطفال ؟  
وأجبت : لا أعرف ..

- إذا رأيت طفلا صغيرا كالذى رأيت أمسى .. فما الذى تشعر به .. أنا أشعر  
كأنه ملاك .. كأنه هابط من الجنة هورا . أنه أجمل مخلوقات الله .. منتهى  
السعادة أن أرى طفلا وأن أعانقه وأن أهله .. ولا أمل للنظر إليه أو الكلام  
أو اللعب معه ..

- لم ألتب مع أطفال ..

- لكن بعد أن رأيت لم تشعر بأى شيء نحوه ؟

- كانت طريف ..

- هيا ..

وكنيت أجد الحديث عن التاريخ والأدب وعن الكتب الجديدة ، هو الحديث  
المفضل . ولم يكن هى تجد فى ذلك لذة .. وكنيت أحنثها عن كل رملتى ..

ولكن لا أحدثها عن نفسي . ولا أجد ما أقوله عن نفسي وأسرني وأقربني ..

وسألتني : وأنت لم تشعر بالحب نحو أحد ؟ ..

- والدني .. والدي ..

- أفصد أية هالة من أقربك ..

- لا ..

- هل توجد شئ في الأميرة ؟ ..

- نعم .. ولكن ليسوا في هذه المنطقة ..

- ولا واحدة جعلتك تشعر أنها تحبك ..

- لا ..

- ولكن بفرص أن واحدة جاءت وقالت لك : أنها تحبك .. فمادا تفعل ؟

- قلة أدب ..

- أنها تحبك يكون معنى ذلك أنها قليلة الأدب ..

- أعني ذلك ..

- هل أنا قليلة الأدب لأنني أخرج معك .. وجلس ونفائش .. ونحدث عن

مستقبلي .. يعني أنت كنت تحترمني أكثر إذا امتنعت عن الكلام معك .. وإذا

رفضت فكرتك بأن نجى إلى هذه الحقيقة .. إن أنت ترى أنني ماكنت قد

خرجت معك قد فعلت ذلك مع شبان آخرين .. ومعنى ذلك أنني كذابة عندما

شكوت من معاكسة الشبان لي .. ولابد أن تكون قد خرجت مع واحد منهم ..

ولكني أقول لك ذلك لكي أعطيك تطباعا أنني أفضلك عنهم .. مع أنني لا أريد

منك أي شيء .. كل ما هناك لأنني أعرف أنك تلميذ مجتهد .. كلهم يقولون

ذلك .. وأنت مؤدب خجول .. وأن والدتك تحبك جدا ، ومعها حق .. لأن عندك

حنانا عميقا .. وأنا أجد معك كل شيء ليس في اخوتي .. وأنا أشعر معك بالأمان

والراحة ، أكثر من اخوتي .. ومنذ أيام سألتني لماذا إذا كنت ما أزال أقبلك .

- هي تعرف ذلك ؟

- ملكة لم عجت هكذا .. طبعا تعرف . وأنا لا أخفي عنها شيئا ..

- ولكنني لم أقل لوالدتي ..

- وهل يضيقها أن تعرف ؟

- لا أعرف ..



.. هو الخطأ في الجلوس معا ، أمام كل الناس .. وفي أيدي كتب  
.. حتى جانسان في غلبه الأدب والاحترام " .

و مضط السلة بينما تملأ . ولم أفكر في الذي حدث . وكلتها ورقة سقطت  
من كتبي . أو كلتها ورقة سقطت من شجرة حتى صورنها لم بعد مظهر  
مصري . ولا صوبها في أنفي . وحتى عندما حاولت أن أمتدعي صورتها  
صوبها . لم نجد بصي قادرا على ذلك .

سحب كبت ، منحودا ، .. مملويا .. مخطوفا .. غائبا .. فالظروف كلها  
جنب هذا سموت على .. فلما لا أرى بوضوح ولا أسمع بوضوح .. ولا صوتي  
. صبح . ولا تفكرى .. وإنما أنا أعيش ببعض بصي وأفكر ببعض على  
، حر .. و فرح ببعض قلبي .. وأنظر إلى الدنيا بجانب من عبي ، وأنصت إليها  
سره آخر غير أبدي .. فأى نوع من البشر أنا في ذلك الوقت لا أعرف  
ولاحظه في ذلك ..

كنت كواحد له أصابع ولكن لا يستطيع أن يصمها بعضها إلى بعض ..  
وسلك كانت تتسرب من بين أصابعي كل الأشياء . وغير قادر على التركيز  
حول شيء . ولذلك تتسرب عن عبي كل الصور .. كواحد اعتاد أن يصنع  
مطارا على عته .. واجنفي المنظار من سموت ، فهو يجمع الصور  
و لأصوات والتماني والملاقات بصحوبة .. ثم لا يكون منها شيء في النهاية .  
وهذه القصة أهي قصة حب ؟ .. أو كائن من الممكن أن تكون ؟ .. كل الكلمات  
كل اللصبات .. كل التغيرات .. كلها عناصر الحب الحقيقية في هذه المس  
ولكني لم أكن قادرا على اتخاذ هذا القرار .. أو لم أكن قادرا على الاستسلام  
لهذه الإحساسات .. لم أفتح في أن أقبض على هذه الفرصة ..

إن تاريخ الحضارة الإنسانية كلها أسامه : أن الإنسان استطاع أن يمسك  
بأصابعه المواد الأولية وأن يصنع منها البيت والطن والمهم والحرية .. ومع  
حركات الأصابع ، محرك الجهاز العصبي .. والنقل والفكر والإبداع .. اعتاد  
لإنسان على أن يمسك غصن الشجرة ويجعل منه سهما ويجعل منه قوسا  
وعصا ومقنا .. وكذلك كل المواد الأخرى ..

هكل شيء قد بدأ من لحظة اكتشاف هذا الإتقان قدرته على أن يقبض على  
شيء .. على معنى .. على إحساس .. وأن يمس به وأن يمس عليه وأن

يطوره .. وكذلك كل لحظة حب وصديق ..

لم أعد أراها .. وجعلت أمر أيام بيننا ليلا ونهارا .. وافعل الوقوف لاي سبب .. وصحوت مبكرا لأراها وهي غي طريقها إلى المدرسة . ورأيتها . ولكنها سمعت ألا ترائي .. كئسي لم أعد شيئا . بل أكاد أتمس في نظراتها ، قلة أحب .. أي أنني قليل الأثب .. وأنتي مثل كل أصدقاء أخيه . أعاكسها . وهي ترحس ذلك ..

وكنت أنهب إلى حديقة ، شجرة الدر ، وحدي . وليس سمعها أنني ذهبت لأفرا . فالكتاب في يدي وأحاول أن أفتحه . ويصح للكتاب وتكن رأسي لا يفتح . فقد اتسد بامام . والصفحات بيضاء وصورتها لم تعد تظهر أمامي . رغم محاولاتي ذلك . وكنت أنظر إلى الأشجار ، وأتابع العصافير . لقد أفتحت ممالي الأشياء .. فالأشجار أغصانها واضحة ولوراقها بارزة . وعصافيرها عريانة . ثم أن الحديقة مكشوفة صغيرة . وكنت أراها قبل ذلك أحصانا تحبو عليها ونمترنا . وتمسيت لو أنني ، لو أنها أسندت رأسها إلى صدري أو رأسي إلى صدرها وسمت . فاليوم راحة ، وهو في نفس الوقت يوغر عني للكلام الذي لا أجد . وإذا وجدته فإنه ثقيل وهي تجعلني عندما أسمع . أو هكذا كان شعوري ..

وتذكرت أنني كنت عليها عندما قلت لها أنني رأيت شابا يعاكس فتاة ومجمت عليه وصبرته قلما . ولأن الناس طاردوه !

وأسمعها ذلك جدا ..

وسألتني يومها : يعني لو أن واحدا عاكسني الآن ..

قلت : سوف أمزق ملابسه !

قلت : أنت تفعل ذلك مع أية واحدة .

قلت : طبعاً ..

قلت : إذن ليس هذا من أجلي وحدي ..

قلت : بل أية واحدة ..

قلت : ولكن إذا عاكسني واحد فسوف تغضب أكثر . وتضربه أصعب .

قلت : طبعاً ..

قلت : ولكن لماذا ؟

قلت : لأنها هالة أدب .. وإمالة ..

قلت : إمالة لك طبعا .. لأننى موجودة معك .. فى حملك وهو قد اعتدى عليك أبت ..

قلت : صحيح ..

قلت : ولكن لماذا تهتم بى كل هذا الاحتمال .. ما الذى يجعلك تهتم بى أكثر من أية واحدة أخرى ..

قلت : لأنك لأجعل واحدة فى الشارع ..

قلت : أنت تترافى هكذا .. منذ متى رأيتى هكذا جميلة .. أنك لا تنظر إلى وجهى .. وإذا نظرت فأنت لا تعطينى هذا الانطباع .. لماذا تخفى مشاعرك .. لماذا لا تعطينى عن نفسك .. عن إحساسك بالنسبة لى .. لماذا تتركنى هكذا أنعب وأستنبح بصعوبة كل هذه الأحاسيس الجميلة ..

وكنت أتعجب لقدرتها على الكلام والتعبير .. وأنا أمامها ، خيبة ثقيلة ، وكانت تفسر ذلك بأن أحدا لا يتحدث معى فى البيت .. ولذلك فلا حوار .. ولا سؤال ولا جواب .. بينما هى تلتقى مع زميلاتها وتجلس معهم ويفكرون معا فى كل هذا الذى يدور بينا ويتسامى وينظرون اليوم التالى للمناقشة من جديد .. وفجأة وجنتها تقول : أنت تحبنى .

قلت : نعم ..

ولم أكن صادقا . أو كنت صادقا ولكن لم أعرف معنى هذا الذى قلت .. وقلت : ولكن تبدو حزينا على ذلك كأنك ما كنت تريد أن تحبنى .. أو كأنك أسف على ذلك .. أو كأنك لا تحب لى هذا المعنى ..

بمنتهى الوضوح لقد هزنتى هذه الفتاة هزا عبقا .. كأنها أمسكت رأسى وصبرته فى الحائط ألف مرة .. ولدى سقط من رأسى ، ألقت بعضه فى الرابطة .. والباقي وهو مجموعه من القمصان والقلاووظ أُمسكتها بأصابعها وربطته ربطا متينا ووضعته فى رأسى .. ثم ضطبت أنفى على صوتها ، وعينى على صورتها ، وعطى على وجودها .. أما قلبى فهو : أسجدة . عصرته عصرا .. فنزل منه سائل غريب .. مسحته من الأرض بقدميها ..

لقد صيقتني عليها تماما . كيف حدث ذلك لا أعرف .. مع أنها كانت أصغر مني بسنة .. ولكن تبدو هي العشرين رغم أنها في الخامسة عشرة .. وكانت تبهرني بفهمها لكل أنواع السطع والملابس والطهر وأسعار كل شيء في الدنيا .. وأسماء العائلات والفتيات والأزواج والأطفال . وكل ما يحدث في المتصورة شرقا وغربا . إلا أن أفكر ليلا ونهارا . وأجرب لكي أراها . وإذا لم أرها اختلطت الصور والأصوات . وأصبح الجزمة وكوى البطلون والقميص . وأعمل أسابي وأطافري وأسنانتي ..

وظهرت مع إحدى صديقاتها ونهبا إلى حديقة شجرة النر لآخر مرة وكنت أتحدث إلى صديقتها . أما هي فكانت لا تتكلم . حدث ذلك عدة مرات .. وكنا نجلس مما ساعات طويلة .. ولم تكن تعباً كثيراً أن يربنا الناس معا .. كانت تبدو أكثر جمالا : عينها ووجهها وشعرها وصوتها وعنفها وصعقتها .. ولأصيت ليلة كاملة أكتب لها خطابا حاولت أن أبعثه أدبيا .. وأصبح فيه الكثير من أبيات الشعر . وأعطيتها لصديقتها . وكنت أقصد أن أنقل لها بصورة واضحة إيماني نحوها مرة واحدة . كل مشاعري . وفي آخر الخطاب قلت : يبقى أن أعرف رأيك !

ولما قرأت صورة الخطاب كنشيت أني لم أكتب إليها خطابا عاطفيا ، وإنما مقالا أدبيا . فالمطلوب أن أعرف رأيها في الأسلوب ..

وفي حديقة شجرة النر جاءت صديقتها وحدها متجهة ناحيتي .. وتلفتت حولها وقالت : أخشى أن يربنا أحد . لقد أعطيتها الخطاب . وقرأته هي .. ثم استأذنتها في قراءته . وخذا خطبتها !

وكلام آخر لم أعرفه .. ولم أتنبه . ولم أفلح في ربط المعاني والكلمات والأحداث السابقة ..

وبهضت . وصافحتني . ولم أجد سببا يجعلني أمشي إلى جوارها أو وراءها . وعنت إلى مكاني من المقعد تحت شجرة . وبسرعة جاء الليل . وأظلمت الدنيا . وانتظرت . وفي حالة من الإغماء أو الدهول وجدتني أمام بيتا . في الفراش إلى جوار والنتي .. ولم أسمع في تلك الليلة أهانها !



قباقيبوموسيقىوالمستقبل

## بقايا .. وموسيقى .. والمستقبل

وكان من عائلتي في ذلك الوقت إذا سمعت عن شخص لا أعرف عنه كثيرا  
أن أبحث في القاموس عن حياته وأعماله .. أو أن أذهب إلى أحد من المدرسين  
أو أقاربي ..

وهي ذلك الوقت ظهر كتاب صغير عن شجرة الدر ، ملكة مصر التي  
عاشت في مدينة المنصورة .. وكان كل ملوك مصر يتم سلطنتهم في  
المنصورة لأن القوات الصليبية قد هددت مصر واحتلت دمياط ولريد أن تنقذ  
مصر إلى بقية البلاد .. ولذلك كل الملك ورجاله وجيوشه يحتشدون في  
المنصورة وحولها .

ودعيت إلى حديقة شجرة الدر ، ومعى الكتاب الذي ألفه ممنوح كمال الدين  
سهربري . من أقارب والدتي .. والكتاب مختصر وليس معنفا ولا جميلا ..  
ولكن به من المعلومات الطريفة ما يفتح شهية القارئ الشاب .. وكان يقول  
عن الملك الكامل ناصر الدين محمد أمين الملك العادل أبي بكر بن أيوب . أنه  
كان يحب الأدب .. وينظم الشعر ويرتجله أيضا . ويقال أن الشاعر مظهر الدين  
لاعشى قد زاره . فطلب منه الملك الكامل أن يكمل الأبيات التي بطرحها  
عليه

قال الملك :

قد بلغ العشق مآله .

قال الشاعر :

ومدبري العاشقون ما هو .

في الغدا .

و بعد عيدهم حجبوا

قار السحر

فله قهقهة في ربه

قال بعث

لاي حـ ر ر ر ر ر

قال لست

وما يعرف على امره

قال لست

ربحه خفي في حتماتي

قال السحر

و ربه محض في حذر

قال لست

ربه كلها مراء

قال السحر

حامي يمت من لاء

قال الكافر

لست كله راء

قال الشاعر الاعمي

ويؤلى كلها انشاء

وقد ربح السحر مغرب راء المنصوره ايام تلك الكافر . وعرض  
على احد من التجار حبيبه وقصر . عترب الحواميس . الحفول والحمير  
الطيور . سداها الساحر . ولما طلع النهار وجد نفسه ياتع في ريقه  
سهم . ورى سائل سائل عن المعزى وعن الحبيبه . وعرف الناس ان  
الساحر قد خدعه وامتولى على أمواله .

سواء من لست حبيبه تحرق الر . فم آكل في حافة إلى ساحر  
يخبر . حبيبه هو حمر صعب عرين . لأرض . الشجر والجنير وإلى . يكون

سحب في السماء هكذا كالبحر - غيابه فثمة بكفي أن يحدث كل ذلك  
حسب الكمثرى ذهب إلى دمشق ومرصن ومات سنة ١٨٢٤ م .

كان تبه الملك العادل دلقبا عنه في مصر ، وسلطنوه ، أي جعلوه ملكا على  
مصر ولكن أجه نجم الدين أيوب كان أكبر منا وأحق بالملك . عجيب أجه  
عبد ثم قتله بعد ذلك

وسلطنوا ، نجم الدين ملكا على مصر . وهو الذي اشترى عددا كبيرا من  
مدينتك وهؤلاء العماليك طعوا وبعوا وسرقوا ونهبوا فأقام لهم قعدة في  
مروسة وركبهم هناك .

وكان على أيامه القاضي القضاة ، سلطان العلماء ، عز الدين محمد بن عبد  
السلام القاضي فضاة الشافعية في الصعيد . ونقله القاهرة . ولم يكن راضيا  
عز ذلك . والعز بن عبد السلام هو الذي باع الأمراء في السوق لصالح  
سحب .

مرصن الملك نجم الدين أيوب . وانتشر المرصن في جسمه . وكانوا ينقلونه  
عنى محفة إلى المعارك ضد الصليبيين في دمياط . ثم هرب أهل دمياط  
حاصرها فأحرق السلطان المدينة كلها . ومات الملك نجم الدين أيوب في  
مقصورة .

وكانت له روجة اسمها ، شجرة الدر ، تركية جميلة ذكية . كانت تحكم  
مصر سرا وكانت هي التي توقع المراسيم يعطها . فقد كان خطها يشبه خطه  
عما . ولما مات استطاعت أن تعفى وقلته عن الناس . وكانت تطلب إلى  
الأطباء والصيوف أن يدخلوا ويخرجوا كأنه مارال حيا حتى لا يؤدي وفاة الملك  
في صعب القوات المصرية ضد الفرنسيين وجاء إليه نوران شاه وسلطنوه .  
كان أخرج أحرق واستطاعت القوات المصرية أن تأمر الملك لويس التاسع وأن  
جسمه في بيت القاضي ابن بعبان . وكان نوران شاه سافحا . هاجمه العماليك  
طعوا أصابعه . ثم بيده وهرب وطاردوه وأحرقوه في بيت كان يقم فيه .  
.. هرب إلى البحر هتلقه بالسهام والنبال .. وحكم أربعين يوما .. وتوفي في  
مقصورة .



واتفق الأمراء على تزيين شجرة الدر روجه الملك الصالح نجم الدين أيوب  
« وأم خليل ، ملكة على مصر »

وكانت توقع المراسيم باسم ، أم خليل ، وكانوا يحطون لها في المسجد  
ويدعون لها قائلين : « اللهم أحط للجهة الصالحة ، ملكة المسلمين . بحصمه  
الدنيا والدين . تات الحجاب الجليل . والنخر الجميل والذة المرحوم خليل »

ولما هاجمها رجال الدين . وحاسة سلطان العلماء العرب في عهد السلام ،  
خلعت نفسها من السلطنة . وكانت قد حكمت مصر ثلاثة شهور .

وأشار عليها القضاة بأن يروح الوزير أبيك التركماني . ويروجه . وهو أول  
ملك تركي حكم مصر . وهو أيضا مثل شجرة الدر كان من محابيك الملك نجم  
الدين أيوب .

وفي ذلك الوقت هبت عواصف على الكعبة أطاحت بكمونها . وشدهم  
الغاس .

وجاء هولاء وهم يمداد وقتل الحنية المستعصم باق . ورالت دولة بني  
المعالي .

وبدأ الخلاف بين شجرة الدر . وروجه الملك أبيك التركماني وكانت تقول  
له : أنا التي جعلتك ملكا !

ثم طلبت إليه أن يطلق روجه ، أم علي ، وحلفها .. ولكنها اكتنفت أنه  
طلقها من أجل أن يزوح امرأة أخرى . فتأمرت على قتله . وفي يوم جاءت  
العنيت وألقي عليها ماء الورد والورد .. وهن بتليكيها وتجميلها . وارتدت  
أهل حليها وأجمل أثوابها . وذهبت للملك وانحبت على يده نقبلها . وسعد الملك  
بنك . وطش أن هذا قمة العور والسماح من سيده الملاح .. ويوازي الإنسان  
في العرائش .. وخرج الملك إلى الحمام . وخرج من تحت المريز ومن الحمام  
رجال ونساء صربوه وقتلوه بالقباقيب ..

وعرف الله الأمير على بما حدث . فألقى القيص على شجرة الدر وأسلمها  
لأمه . فقتلتها بالقباقيب .. ونقلوها عارية إلى القاهرة يعيث للصوص في

مذسها ويقتنعوا المجوهرات من عنقها وصدرها وساقها . وكانت هي التي  
سعدت أن تصنع المرأة عفودا من اللؤلؤ حول ساقها .

وكان يقال لنا ونحن صغار أن كل بنت المصورة هي شبيهة من شجرة  
الدر ' جميلة فادرات على الانتقام . وكان أبناء المحافظات الأخرى يقولون  
من ينخل المصورة مفقود ومن يخرج منها مولود ..  
فما من شاب نحلها إلا وجد نصه مدروجا .. كيف ؟ هم يقولون '

نما أوصاف شجرة الدر . فهي ببهاء ذهبية الشعر ورقاء العيين . مليئة  
الشعنين طويلة الأنف طويلة العنق . ويقال إن صوبها جميل .. وكان الملك  
يحب أن يسمع إليها وهي تسمى . وكانت تعني عند قدميه . فلما أحببت له ابنه  
خليل فزوجها فكانت تسمى له على السرير . ولما أصيب بمرض جلدى كان  
يألم دائما طوال الليل . لأنه لا يطيق للملابس والأغطية . كانت تعني له وراء  
الباب . فلم يكن يحب أن تراه وهو يهرش ويكي في نفس الوقت . ولما رآه  
طبيب مغربي يصحه بأن يمسي معظم الوقت في حوض من الماء ، فكانت  
تعني وقد أدبرت ظهرها له .. وكان الملك يحب أغانيها للفرجية .. وهي التي  
اهترعت تلعن جسم الملك بالبرودة .. وأحيانا يلعن أشجار الحمير .. وأحيانا يلعن  
الحمير والخيول ..

وكانت شجرة الدر تقرأ له الشعر الذي يترجموه عن اللغة العربية ..  
وكانت تنظم الشعر أيضا .

وومن أهل المصورة عندما اعتقاد أن كل واحدة اسمها شجرة الدر سوف  
تقتل زوجها وسوف يموت قبله أيضا ولذلك من التلذذ أن نجد واحدة لها هذا  
الاسم ..

ويبوت كثيرة في المصورة قبل إنها بنيت في نفس المكان الذي به قصر  
شجرة الدر ، وظهرت قصص وشائعات عن ظهور شجرة الدر ليلا في  
ملابس الحداد . ويقال في ملابس للزفاف . وكانت عندما قصص ونحن أطفال  
أن من يرتدى القفاب ليلا ويحل به الحمام ، يظهر له عريت شجرة الدر .  
ولذلك فإطفال كثيرون يخلعون القفاب في الليل ..

وفي مذكراتي التي كنت أكتبها في ذلك الوقت جعلت اسم الفتاة ، ث . ا ،  
أى شجرة الدر .. ورجعت أحد في ملامحها كل ملامح ملكة مصر .. وكأنني  
سجوت من الموت وكأنني أنعمتها هي أيضا من الموت . وأعجبتى هذا الاكتشاف  
الذي كان نوعا من الانتقام أو الغرط من إهانتها .

وفي يوم استمعت إلى محاضرة في « ندى البلدي » لأستاذ من عائلة نور  
راح يقارن بين حثشبوت وعربى وكليوباترا وشجرة الدر ..  
وكلهن ملكات لمصر ..

حثشبوت عاشت وماتت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد

وعربى عاشت وماتت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وكليوباترا عاشت وماتت في القرن الأول قبل الميلاد .

وشجرة الدر عاشت وماتت في القرن الثالث عشر بعد الميلاد .

هل كانت المقاربة واسعة في ذهني ، لم تكن كذلك ولكن بهي هذا العلم  
الفرير . وكان الرجل لا يتكلم من ورقة . وأكثر للحاصرين من السمات . هل  
كانت هي . ث . أ . بين الحاصرين . لمت على يقين من ذلك . ولكنني في  
ذلك الوقت كنت أجد شيئا كبيرا بين كل الفتيات . لا لأهن كذلك ، ولكن لأنني  
لا أظن باهتمام أو بدقة إلى وجه أحد من الناس .

أما حثشبوت فكانت عاشقة .

ويقال أن مفرتي زوجة أمانون الذي وضعها بالجمال والدلال . كانت تعلم  
أنها أجمل مخلوقات الله . والعمان الذي صنع لها النماذج النصفى كان ينفذ  
في جمالها .. صحيح أن زوجها أمانون كان مريضا أو مجنونا أو سقلا  
النكوبين ، وله وجه طويل وأنف طويل وشعر امرأة وكذلك نهداها وردفاها .  
ويقال بل هذا نوع من الكاريكاتير ..

ولكن هذا الكاريكاتير لم يتناول عربى ..

أما كليوباترة ملكة مصر أيضا ، فهي سابع واحدة لها هذا الاسم . هي  
يونانية . لم تكن جميلة . وإنما كانت نكبة . وكانت شرهة . مصاصية للدماء .  
ولولا أن لها تحلا في تتابع الملوك في بلاد الرومان . لما حدثت التاريخ . وقد  
حللته على أنها أخطر عاشقة . وكانوا يصعبونها بأنها « ملك مصر »

- و يسمونها « ملكة الملوك » ... ولما احتشمت هي ملك الملوك .. وأما  
سحرة السر ، فقد أسماها الأستاذ نور ، ملكة العبيد - هي مملوكة تركية تارت  
عسى غيرها من العبيد الأتراك ، رجالا ونساء .

شيء عجب قاله الأستاذ المحاضر ولم يناقشه أحد في ذلك ، أنهم جميعا  
يمتلك صوته جميلا .. النقوش العرجونية تقول أن عريضة كانت ساحرة الصوت ،  
« الصورة » ، وكليوباترة كان صوتها يدوخ وكذلك شجرة الدر .

ثم هذه العبارة : إن الصوت الجميل يعبر نكاه . بهيق حمير .. والنكاه  
بلا صوت جميل : زفير أمد ..

وما أعرف ما هي العلاقة بين كل ذلك .. ولكن أعتقد أن يكون للملكات  
صوت جميل .. ومثلن أم كلثوم بنت النخيلة .. ومحمد عبد الوهاب الذي يقال  
أنه من دمياط ( نخيلة ) ويقال من المنصورة .. كأنه لابد أن تكون لكل بذات  
المنصورة صورة شجرة الدر وصوتها أيضا .. حتى إذا كلى موت : طلميت  
سوف يذرى أجمل صورة ويسمع أجمل صوت !

ولم أكن في تلك الوقت ، ولا أحد من رماكس التلاميذ يناقش مثل هذه  
القضايا وإنما نقبلها ونصفيها إلى معلوماتنا . وبحث عن شيء جديد هي مرحلة  
تحصيل معلومات وجمع أكبر عدد ممكن منها ، أما العربية والاختيار والتحليل  
والتعليل . سوف تهجى بعد ذلك !

ولابد أن نكون لفتاة « ش . أ » هي المسلوقة عن المشغالي بمستغلي . وأن  
يكون المستقبل بعيدا تماما عن القراءة وعن الكتب . فهذه الكتب لم تجعلنا قانرا  
على الحوار معها .. ولا قانرا على إقناعها أو الاحتفاظ بها . وعندما حاولت  
أن أقدم لها نصي . كتبت مقالا أو بحثا في موضوع غريب .. لابد أنها انتهت  
إلى قرار مؤكد وهو أن هذا الشاب مجنون .. أو عبقري يحتاج إلى صبر أيوب  
في انتظار قدرته الخارقة .

فقد كان الموضوع : لماذا لا يحش للتلاميذ في بيوت بعيدة عن الأسرة ..  
ولماذا لا يعيش في القسم الدلطي بالمدرسة الابتدائية والثانوية والجامعة . حتى  
يتفرغ للدراسة والتفكير ، دون أن يشغل بمناعب الأسرة ، وما يصرفه عن  
التفكير .

أى لماذا لا يعيش بلا حب بصوفه عن المذاكرة - أى أنها قد عطلت حياتى .  
ولريد أن أعرف رلها فى تلك .

وتذكرت أنسى كنت قد بعثت لها قبل تلك خطابا طويلا جدا . لى فر أنه موف  
تجد أنسى أحدثت عن : تعلمة كل طفل له أب وأم .. وتعلمة أن يكون فى الدنيا  
أغنياء وفقراء .. ولماذا لا تكون الدولة هى أم كل الناس .. توخر لهم الطعام  
والشراب فى بيوت لا يملكها أحد .. بل لا داعى لأن يتعامل الناس  
بالطوس ..

قرأته ش . أ ولم تعلق عليه . ولكن أجاما هو الذى قابلنى فى القطار وقال  
لى : نعت السواهى نواهى .. لم تكن أعرف أنك شيوعى ؟

ولم تكن أعرف معنى أن يكون الإنسان شيوعيا .. ولنى كنت سمعت هذه  
الكلمة كنوع من الإهانة البالغة والتحقير الشديد لبعض الناس . ثم انشغلت  
بالبحث عن معنى هذه الكلمة وعن مقارنة هؤلاء الشيوعيين بغيرهم من الناس .  
وما هى الفروق فى الشكل والتفكير . ولم أمتد إلى شيء . وأقرب الصعات إلى  
هؤلاء ، الشيوعيين أنهم لا يصلون ط وذلك قد وجدت هذه الصفة  
لا تنطبق على .. ولم أفكر فيما بعد ما هو المقصود بهذه التهمة أو هذه  
الشنينة .. ولكن استنتجت أن هذه الصفة . أو هذه الشبهة هى التى جعلت أخته  
تبعد .. أو تهرب .. أو تتزوج . واقتلت هذا النوسبه مهلتيا ..

ولكن انذكر أيضا أنها سألتنى : ما الذى قلته لعلان وأنىم فى المكتبة ؟

- بشأن ماذا ؟

- بشأن مستقبلك ..

- لا أنكر ..

- هل قلت له أنك تريد لى تنسى .. وأن تكون لك هرفة موسيقية وراقصة ..

وأن تنتقل مع غرقك بين القرى ..

- آه .. قلت إننى أريد أن أظنى ..

- ... بل أنت تذهب إلى بيت الست شج شج .

صحيح . أما الست شج شج فهى السيدة : شجرة الدر الطليجي ، وأنا

في عرف من هي بالصحيط . ولكن ذهبت مع بعض الرملاء الى القرب من  
بيها . امام البيت . وعندها موسيقى وطيل ورمز . ومن العواهد نستمع الى  
نغمات الشعبية .. وأغاني أم كلثوم وممنوعة للمهدية وصالح عبد الحمى  
ورعدة تيموني ودون همنى .. والاصوات لرجال وساء وأطفال . ويقال ان  
هذه هبات برهمنى أيضا . أما للصوت العليل الذي يشط ويطن فهو للفت  
سح شح . ولم أرها الا مرة ولحده . كما لا وفه امام الباب يتفرج ويمتدح من  
حب . ولاجرؤ على الاقتراب . ولكنها هي تلك اليوم خرجت ورأت وقالت :  
معن ياواد انت وهو : تملقوا ..

واكنت لنا لاذاعي للخوف . ودخلت ووجدنا أنا جالسين على الأرض .  
معهم الطيوب والمرمار والصلجات . أما هي فتجلس على مقعد وسط كل  
هولاء في بدنها عصا . وقالت . أنت بريد ان تسمى ا

وانهنت جدا . ولكن أحد الرملاء قال : أنا قلت لها ان صوتك حلو .. وإذا  
بها بقول للحاصرين . عوا له انت وعرولى وزماني .. وانت تسمى معهم .  
و ب سوف أسمع صوتك .. لا تنجل . كلهم كانوا مثلك ..

وكان هذا هو المستقبل . وكانها هي شجرة الدر التي حكمت المصوره ..  
فمن أن أسمع كلامها وإلا فالنهاية معروفة .. ولم أفكر . واقترب الرملاء  
ورجدا يمشي معا . وهجأة وجدنى وحدى أكمل الاعبية . إنها انفتحت معهم على  
سك أي على ان يهوا معا .. وفي لحظة بوهوى لكى أمضى وحدى فتعرف  
حاسة صوتي وحسريتى بعصاها وهي تقول . كويس يا واد .. بجى منك ..  
روح هات والدك .. عدى كلام معه ا

ثم بهضت الست شح شح وراحت تادى بأعلى صوبها : باجماليات .. يااست  
ابوها .. يااستطية .. ياقدود ..

وطهرت هبات طويلا وقصيرات وبدييات شقراوات ورقاوات العيون  
حسا . ببعض النبان جميعا . ويصرين منها هي ليمطار أولمها . ثم التفت  
..حبيى لنقول واحدة مهن موب تذهب معك لتعرف للبيت وسادى والدك ؟  
وحفت من أن يحدث ذلك . هوعدت أن أنى به .  
و خنتعت طويلا حزينا على الذى لصاينى . ولم أصارح أحدا بذلك ..

وعرفت د ش - أ ه كل هذه الحوادث بدقة وتفصيل عجيب . فالمقصودة  
مدينة صغيرة . وهي لها علاقات بأناس كثيرين . ثم إن رملاني يتحدثون  
كثيرا . ولم تكن أعرف ذلك ..

وعندما عدت إلى البيت وجدت أحد اقاربي .. وهو شاب لطيف طريف إلى  
حظ . وكان يعيب علينا أننا في حالة حزن دائم . وأنا مدعوون بالحياة وأنه  
ما لم يجد شيئا يضحك له أو منه فلا أمل في أن نكون في صحة جيدة . ولا أمل  
في أن نكون شيئا .. وأنه سمع من ولنته أن أخاها وكان وزيرا يحب  
الرفس .. وأنه يطلب لأولاده ويجعلهم برشسون . وأن صوته جميل جدا .  
وهو لا يقنى إلا عندما يكون عالما مع أصدقائه بشريون ..

وسألني قريبي هذا الذي هاجر إلى ألمانيا ومات هناك : عندك بنت ؟

بنت يعني لي .

بنت نحبها .

لا ..

بانهارك لسود .. حتى الآن ؟ متى إلى مياه الله ؟

كلهن مثل شجرة الدر .

مش فاهم .

فأثلاث .

ومن هي شجرة الدر ؟

لا نعرفها !

لا أعرفها ..

ويعلق على المعلومات التي قلنها له بسرعة : وما دخل شجرة الدر هذه  
ببسات اليوم .. إنها واحدة قتلت زوجها وضرتها قتلها .. حكاية قديمة . ولم  
أسمع عن واحدة قتلت زوجها .. ثم قل لك تتزوج .. الخ .

وعرف متى أنسى أتردد أمام بيت القمت شج شج . وأسعدته تلك . وطلب  
منى أن تذهب معا .

وأشزت إلى البيت . ووجدته قد نحل . وتعالى الضحكات . وخرج مع

بحدى العذبت وقد عانقها . وراح يقبلها أمامى . وهى لم تعرض . ومحببى  
وقال لى : احل يا عظيم !

وملأته السم شح شح . إن كان يمرضى . فقال إنه ابن حلفتى . وقال إنسى  
حام .. لوح .. لينك والارض .. خليك معايا أنا !

وبسرعة غريبة وجنته قد لف متديلا حول وسطه . وهات يارفس .. وإذا  
به بقول لى : إرجع انت إلى البيت !

وأصغت هذه التجربة الساحقة إلى سلسلة الفضل من مجالات أخرى كثيرة ..  
وأصبح من عادتى أن أفأقش على مهل بعض هذه الأحداث . ولم أجد أنها  
مروع من الفضل . فلا أنا حاولت . ولا أنا صبرت . ولا كان عندى أمل فى أن  
أكون مطربا أو راقصا .. ولكن من حين إلى حين أعرب وأبحث عن أى مكان  
يشعلنى عن نفسى .. وأحسست أننى تقول جدا .. تقول على قدمى .. ورأسى  
أنتقل من جسمى . وإذا كنت فى جنبى يوجعنى ، كأننى أصبحت هلا .

. أما العلامات السوداء حول عيسى فسيبها نقص التعدية والنوم .

ومن غير تفكير ذهبت إلى بيت السم شح شح . ولم أجد قريبي هناك .  
ودخلت وجلست ووجدت رجلا يعنى . معمم أعشى . ولم يكن يشعر بأن أحدا  
قد دخل حتى يسأل : من ؟

فقالوا : تلميذ .

ونسامل : لماذا ؟

فألقوا : عاشق

. عاشق شح شح .. الله ؟ هل هى تركت الرجال واتجهت للعبال .  
هاها .. هاها

. عاشق للى باعم الشيخ دغلز ..

. آه كده .. إسمعك . لا تريد أن تتكلم .. بالله سيدى .. أريد أن أسلمن .. تانى  
وحياة عبيك .. مولاي كن لى ..

وراح يعنى بصوت أجش قوى .. وينمليل يميناً وشمالاً وهم يرددون وراءه  
شعرا قال إنه من نظم للشيخ سيد درويش .. ولكن عرفت فيما بعد أنه من نظم  
الشاعر المصرى : البهاء زهير .. وحفظت هذه الأبيات كما كان يسيدها الشيخ



دهليز .. وكانت مكسورة فقد كان يصيب إليها حروفا وكلمات من عنده .

مولاي كل لي وحدي

هزني لك وحدي

وكن بقلبك عدي

أه .. يا عيسى أه

لي هيك نصد جميل

لا حبيب الله هسندك

لي تمن عهدي إني

والله لم أنس عهدك

أصحت ود محب

مارال بحفظ ودك ..

.. أه يا ظبي أه ..

مالي عليك اعتراض

أذنب كما شئت عهدك

أه عيدك .. والنبى عيدك ..

مولاي لي غبت عني

وا سوء هالي بعدك ..

بالهوتي بعدك .. أه ..

بادهوتي عندك .. أه ..

وكانوا يقتضون للتشيخ دهليز ، شربنا يشربه هي القلة .. وقالوا .. كويباك ..

وقالوا : بيرة .. وكان صوته جميلا . وكان رجلا لطيفا . وكان بعد أن يعرغ

من الغناء ويطلب من الحاضرين أن يرددوا وراءه يسأل كل واحد منا عن

حاله .. وكان يقول : إبت ياإني .. إيه اللي رمالك هنا ؟ إبت إيس مير ؟ ساكن

هين ؟ وتريد أن تترك المدرسة ليه ؟ هل نحفظ شعرا .

قلت : حضرت القرآن الكريم والشعر القديم .

قال : ملشاء الله .

- وتريد أن نغنى .. ونسرح مع الفت شيخ شيخ ؟

لا . لا . فقط لنا أحب أن أسمع الأعلنى .. ثم إنى لا أجد مكانا أتذهب  
مع رجاءت السيدة شج شج . واندھشت للحوار والمودة بينى وبين الشيخ  
- هب فقال له : من شاء الله . حافظ القرآن . وحافظ الشعر القديم كله ..  
حاجة نروح .. الله يهيج عليك .

وجلس السيدة شج شج على الكرسي . هي الوحيدة التى تجلس عليه ..  
ممنته طويله عريضة . صدرها بفر . وقد نعطى بالذهب والأماور في  
مراعيها والحوامد والفرط طويل على الكتف للحرير .. وعندما نسمع سافا على  
سوى نكتشف سافا . ولكن أهدا لا يجرؤ على أن يطر . ولما لاحظت أن  
حد العالمين قد نظر إليها صفحه على غده . دور أن نشرح لماذا . ودور  
أن يستدر . هو أعطى وهى عاقبته قورا ..

وسألتنى : حافظ الشعر القديم كله ..

- ليس كله .. أحفظ شعرا قديما .

.. مثل ماذا ؟

فقال الشيخ دهليز . هل تحفظ قصيدة دعوا الوشاة .. دعوا الوشاة وما قالوا  
وما نقلا .. ياواد يابعدوس .. إنت ياأبى .. تعالى معى سوف اغنى دع  
الوشاة أن لا أحفظها كلها إذا احطأت ردى .

قلت : حاضر ..

وزح الشيخ دهليز بصوته القوي يقول :

دعوا الوشاة وما قالوا وما نقلا

بينى وبينكم ما ليس يفصل

لكم سرالز فى قلبى محبة

لا الكتب تنفعنى فيها ولا الرسل

رسائل الشرق عدى لوبعت بها

إنيكم لم تسعها الطرق والميل

أمنى وأصبح والأشواق تلمسنى

فقلت والأشواق تلمسنى

قال .. وكفى أحمل كلبى .

قلت : قلبي

وكم أحمل قلبي في محبتكم

مالمس يحمله قلب فيحتمل

قال : قضيتي في هواكم مشكلة

قلت : قضيتي في الهوى والله مشكلة

قال : قضيتي في الهوى والله مشكلة

ما تقول ما الرأي ما التدبير ما العمل ؟

يزداد شعري حمما حين أنكركم

إن المصلحة فيها يحسن للفعل

يا خائبين وفي قلبي مسكنكم

قلت :

يا خائبين وفي قلبي أشاهدم

وكلما انفصلوا عن خاطري اتصلوا

لنا الهوى لأحبابي وإن غدروا

لنا المقهم على جهدي وإن رحلوا

فيا رسولى إلى من لا أروح به

إن المهمات فيها يعرف الرجل

بلغ سلامى ونحياتى له

قلت :

بلغ سلامى وبائع في الخطاب له

وقبل الأرضى على عندما تصل

بالله عرفه حالى إن خلوت به

ولا تطل فحبيبى عنده مل

فالناس بالناس والنفيا مكافأة

والحيز وشكر والأخبار تنقل

قال : وهو ينشئ ويهتز ويتوجع :

إن المصلحة تنفيها ملاحها

لاسيما وعليها الحل والحل

ثم عاد يعنى - بن المايحه - الله ولولا يد دهلير .. الله يحفظك يا واد  
سألتى ابن كاسب الفصيده قد انتهت كتب - ما يزال بها بعض الابيات ..  
قال - هات الابيات  
فقلت

صيعت عمرك فلحرن لى هليت له  
فالعمر صرف للبللى سابق عجل  
سابق رجلك خروفا من نظبه  
فكم تقيت الايام والنول

وبعيت السميت شح شح وهى تقول : والنبى يجمعك - حده معك ففعدت  
عنى كلمة هو الذى سوف يكمل لك الفصيده - حلاوته - حده معك يدهلير .  
وعلى الاقل يسحبك بدل من يحبطك فى الشوارع  
وقال الشيخ دهلير صاحكا : أهو بنت طلعت من ولاد - أنا عنده الريح  
يقولون : مسكين اعمى . ولكنهم لا يعرفون لنى أترج من الاسبط . ولكن  
عندما يسحبى واحد وأترج يقولون ابن سيدنا سكرلى .. ثم إنه ابن ناس .  
فأقلت : ولما ألقى ولاد كلب .

قال : معلوم أولاد سيدى كلب ابن بس ألقى قاعده على الكرسي - وبعد  
جب الحبط على الارض - وحياتك كلاب .. لولا الكلام لحنو ألقى بعدى كل  
ليه ؟

وهى الطريق إلى بيت الشيخ دهلير . وهو قريب جدا من بيت فى حي  
الحسينيه إنه مزروج ويسكن عرقه فوق المصروح - وروجه معب : داية .  
وبس عنده اولاد - وهو سعيد بذلك - ويصطحب قاتلا أنا كم نرى .  
وروجنى لكثرة الأولاد التي تنزل على يديها كرهت كل الأولاد ؟  
وقال لى الشيخ دهلير أنه يفضل لى إلا أخرى وحدى وإنما ان أكون مع  
أخرين . لمجرد أن يكون معا - وسى إذا تحبب ان أسمع إليه تحصى .  
فالبيت قريب - ووحشها فكره أعجبنى جدا .  
وكنت ادعيت إليه أنا وبعض الرمثاء - وكان الشيخ دهلير يعنى لى سيد

درويش والحامولي وصالح عبد الحى وعبد الوهاب . وكان ينفق بأصابعه على  
الأطباق .. وأحيانا على ظهر الحلة ..

ولم يعرف أن واحدا من الزملاء ينطيع الحرف على العود .. وأن يصاحبه  
كأن سعيداً وجاء صديق له يصطحبه على الناي .. وكانت روحه مسودة  
لطيفة .. وإن لم تشعر بالصيق من وجودنا ، فكأن نحس أنها فى حاجة إلى  
الراحة .. وكنا نسحب الشيخ دهليز إلى خارج الغرفة وجلس عند جانب من  
السطح حتى نخلل نيام والشيخ وشيخ آخر والزملاء يعربون ويطنلون . وكان  
الناس فوق الأسطح المجاورة يصيحون لنا ويطلبون مشاركتهم لنا ..

كل هذه الحوادث تفصيلها كانت عند الالة ، من أء يوما بيوم . ولم أسأل  
كثيرا لها ذلك ..

وكان الشيخ دهليز هو الذى أطلق على هذه المجموعة من عشاق الموسيقى  
، فرقة عشاقنا عليك يارب ، وكان يدعونا لتدرب فى الغرفة بهار ، عسى  
تكون روحه مشغولة أما عند أعضاء الفرقة فهم سبعة . أما الشيخ الجديد  
واسمه الإسناوى عبد الصبور ، فكان صوته غليظا ليست له طبقات . مثل جبل  
مشنود .. لا يعلو ولا ينخفض .. وإنما هو قوى دائما ، حتى فى كلامه  
العادى ..

أما الأغنية فقد اختارها الشيخ الإسناوى وهو يعمل الفصائد والموشحات .  
وذعبا معه فى آخر حى ، توريبيل ، وهو الحى الأرستقراطى فى المدينة .  
ووقفنا أمام البيت . ثم أشاروا لنا بأن ندخل . ودخلنا غرفة مجاورة للباب وجاء  
خادم وقدم لنا ، المقات ، وهو الشراب التقليدى عندما يولد طفل ، وعلى  
المقات الساخن يصعدون الجوز واللوز والينفق . ثم أشار الخادم أنه حان وقت  
الغناء . وكان المصطفى هو للشيخ الإسناوى وطلب أن نردد وراءه ، اللازمة ، ..  
وهو الذى سوف يحدثنا لنا ..

قال على الصوت :

عنب الحبيب ظم أجد ..

آء عنب الحبيب .

سببا لذلك العنب حلات

ويردد : سبها لذلك ..

واليوم لى يوحى لم نره

وهذا اليوم ثالث

ويردد : اليوم الثالث

تعجبت كيف تغيرت

منه حلاته الدمانت

ما كنت أحسب أنه

من تعيره الحوادث

وباد لى العتب الذى

صنق الوداد عليه باعث

عتب الحبيب أقد من

بعم العتاسى والمثالث

ويردد : عتب الحبيب أقد .. أقد .. أقد ..

لك لا أشك قضية

إنه سائل عنها ويبحث

ويردد : قضية أنا سائل عنها .. قضية أنا سائل عنها .. قضية ..

وجاء الخادم وقدم لنا مريدا من المقات والحلوى .. ثم قال : سعادة البية

سوف يحضر حالا .. ومعه بسلامته المولود الحديد .. عاورين هيمه .. ياعم

الشيخ . إنه ولد على خمس بنات .. ربنا يحلى !

واعندل الشيخ دهليز لوضي فسيخته الجميلة بصوته الحزين وببره اللامعة

الهاكية . ويحلى للشيخ دهليز أنه سوف يعنى : غيرى على السلوان قاندر ..

ويضحك الشيخ الإسماعلى : كل هذا العرس لأنك لم تر روحك من يوم

نزوجنها .. والله بالشيخ ربنا لطيف بيك .. هاها ..

ولم يضحك ولا الشيخ دهليز . وعرفت فيما بعد أنه كل عاشقا ، معذب .

وأن المعشوقة هجرته وغدرت به .. ولم يستطع أن يمسها . يقول للشيخ دهليز

ومن نرند وراءه كل بيت :

غيرى على السلوان قاندر

وسواى فى العشاق غاندر

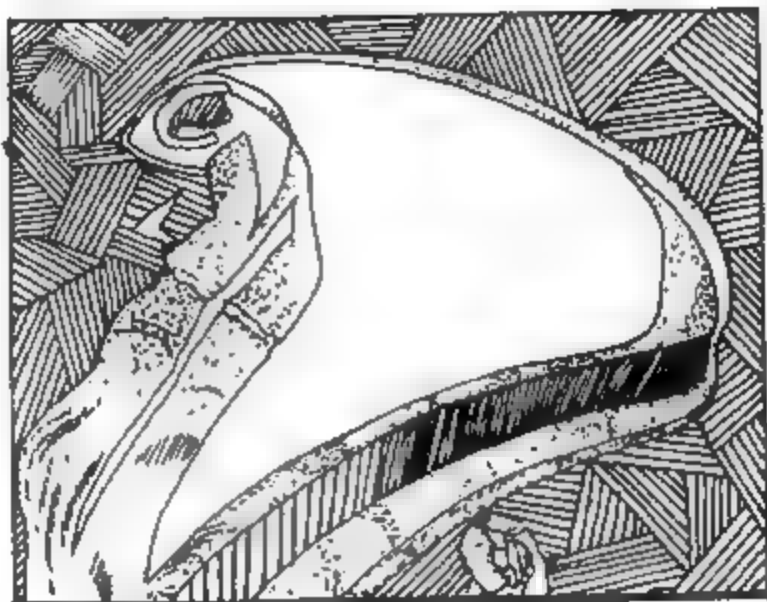
لى فى الغرام سريرة  
 والله أعلم بالسرائر  
 حلو الحديث وإنها  
 لجلوة شقت مرائر  
 أشكو وأشكر فضله  
 فأعجب لشكك منه شاكر  
 لا تنكروا عفتان قلبى  
 والحبیب لذى حاصر  
 ما القلب إلا دله  
 ضربت له فيه البشائر  
 بالليل مالك آخر  
 أبدا ، ولا للشرق آخر  
 يا ليل طل . يا شوق دم .  
 إني على العالمين صابر  
 .. ويردنها ويحيدها  
 ويروح بها ويكى .. نعم ويكى ويتفطر ..  
 لى فبك أجز مجاهد  
 إن صبح أن الليل كافر !  
 ويرد : كافر والله كافر ..

وكان الشيخ دهليز ينشد واقفا يمينه شمالا . ثم أجلسناه وتساوبا بمسح  
 صرقة ونموصه .. عندما جاء الخادم يعلن : أن سعادة اللهيه يريد أن يصافحنا  
 ويشكرنا ..

وجاء سعادة اللهيه .. واتبهرننا نحن الثلاثة .. إنه ناظر المدرسة ولكن لم  
 يلاحظ الاضطراب الذى ظهر علينا وبيننا ..

ولكن الشيخ دهليز قال له : أولئك .. نلاحظك فى المصورة الثعوبية !  
 وانرجع الناظر ومقلنا إلى كل ذلك حقا . فأصرح واحد منا قال : لا .. نحن  
 من مدرسة الرشاد

وهى مدرسة ثانوية أخرى !



أهلاً أستاذنا دكتور هersh





## أهل أستاذنا دكتور هريش

شارع السمكة الجديدة في المنصورة كان بداية أشياء كثيرة في حياتي .  
مجرد صدفة ..

ففي هذا الشارع كان يوجد محل نصر لبيع اللوريش .. صاحب المحل  
فلسطيني وروجته من بولندا وعندما ذهبت إليها لأول مرة وجنتها تقرأ رواية  
« الأبله » لنستوهيسكي وباللغة الروسية .. وحاولت أن تشرح لي عظمة  
المؤلف والرواية . ولكني لم أفهم .. أو لم أكن قادرًا على استيعاب هذا الذي  
تقول . ثم من هي ؟

وبالقرب من هذا الشارع يوجد دار ابن قصان الذي أسرنا فيه لويس التاسع  
أيام الحرب الصليبية . وفي داخل هذه الدار وأمامها وفي الطريق إليها أناس  
من كل شعوب الأرض .. أشكال وألوان وأحجام وأصوات . وكانت معهم كتب  
صغيرة وكبيرة بعد أن يقرأوها يتركونها إلى جوار الحائط .. وكنا نذهب لجمعها  
وأحيانًا نطلبها .. وفي إحدى المرات عندما تزلحننا على هؤلاء السياح منسولين  
فكاسوا يعطونا نقودًا وأحيانًا بقايا الطعام .. ولم تكن نسحقنا الإنجليز  
أو الفرنسية أو الإيطالية ، هؤلاء هم أسا لا يريد إلا الكتب !

شيء غريب في ذلك الوقت كما يجد أصحاب أي بيت وأي مكان يجلسون  
أمامه .. الرجال والنساء والأطفال . ومن السهل أن نتحدث إلى أي أحد في  
أي شيء .. مثلاً كانت هناك مكتبة للدميري .. يدخل الواحد منا يسأل : عندك  
مؤلفات للمصطفى فيقال : لا .. نحن لا نبيع الكتب .. نبيع الكراريس  
والأقلام ولكن إذا أردت أن تجد هذه الكتب أذهب إلى شارع كذا . وإذا  
لم نجدها في هذا الشارع فسوف نجدها عند التمت حميدة في شارع كوهين  
المتفرع من شارع الشيخ حميد .. إنها مبددة مسكينة . حاول تصاعدها ..  
سأذهب معك ..

ويجيء رجل طيب معنا ليدلنا على مكان بيع الكتب الجديدة والرخيصة .  
وفي يوم كنا نبحث عن القوراة لنقرأ معا وبصوت مرتفع مفرح ، شديد  
الانشاد ، بسبب ما عرفنا عن هذا السعر ووصف لنا فيه من جمال شاعري ،  
وموسيقى ففعل لنا : عرض الجواهرجي .. له أخ قصير وصوته جميل  
ويساعد الطلبة . إذهبوا إليه .. ربما أعطاكم ما تريدون مجانا .. ولو طلبتم  
إليه أن يشرح لكم كل شيء فسوف يفعل .. إذهبوا إليه ..

ونذهب . ومجد القصير هناك . ويطلب إلينا أن نروره في بيته .. ويشرح  
ويشرح ويحب فيه أبيه ورقته ومرحه وإحلاصه .. ويطلب إلينا أن نذهب  
لنسمع معطنه في الكنيسة .. ونذهب . وجلس في آخر الصفوف .

وفي شارع السكة الجديدة ، سرجة ، - أي مكان نبيع الزيت المبرج -  
وربوت أخرى واستخرجنا من الكتب .. وكان لكسب في ذلك الوقت يدوسه  
الرجال بأقدامهم المضبوطة النظيفة . وكنا نقف بتفرج وهم يعطوننا من تحت  
أقدامهم ويأكل .. ولكننا كنا نذهب بتفرج على ، أم أحمد ، أجمل بنات الحي  
في ذلك الوقت .. إنها هاتئة وليس لها ابن اسمه أحمد فهي لم تتزوج .. وقد  
علموها أن تقول إنها مثل أم درملن ولم توفيق وأم الطول .. كانت جميلة  
الساخن ..

وقد عرفنا من روجة عم مصر صاحب محل التوريش أنهم في هولندا  
وروسيا يدوسون العشب بالأقدام ليصنعوا منه النبيذ . ويدوسون الزهور  
والورود والباسمين ، ليصنعوا العطور .. وأن الكثير من الشعراء كانوا يطلبون  
من الجميلات أن يعلين ذلك ثم يجلس تحت أقدامهن يعترضن الريح من  
أقدامهن وأصابعهن .. وكان أمير الشعراء الرومي يوشك أن يأتى بهتة جميلة  
ويصيب على رأسها النبيذ ويسرع إلى ارتشافه قطرة قطرة من فمها .

ولم تكن نعرف ذلك .. ولكن الإحساس الجمالي واحد عند كل الناس .. فكان  
يرصدنا أن نأكل لكسب من تحت فمها ولما عرف أبوها أننا نجىء لسبب آخر  
غير شراء الكسب ، منع أخته من ذلك !

وامتعضا نحن أيضا دون أن نتناقش في هذا الذي حدث ..

ولما عرفنا أن أم أحمد سوف تسافر إلى القاهرة لتكمل تعليمها هناك .. ذهبنا

إلى محطة السكة الحديد قبل موعد القطار بساعات .. وجاءت أم أحمد وكأنا  
كنايت متوقع هنا القوابع .. جاءت إلينا تصافحنا ومارعنا إليها . وعصفت لوجهت  
ن كك القطار .. كان حناؤها هديما .. وكان ذلك آخر عهدنا بفهمها ..  
ولا أنكر الأبليات التي نظمناها معا هي جمال قديمها وكعبها وأصابها ..  
ولا من الذي وصف أصابعها بأنها شعاع ، وأظافرها بأنها عيون ومناشيرها بأنها  
نمياط ورشيد ..

وهي ذلك الوقت إنهار بيت في شارع السكة الجديدة .. سقط نصف البيت .  
وبقي نصفه الآخر .. هبات الأب ولم تمت الأم وماتت البيت ولم يمت الولد  
ومسب نصفه ولم يمت الكلب .. ونجت البيت كان صللون حلاقة .. مات  
الزبون على المقعد ولم يمت صاحب المحل . ووقفا نسامل : ما هذه النكتة ؟  
ما الحكمة ؟

وتناقشنا في هذا الحادث طويلا نيبيا وعلما واختلفنا ولم نتفق على شيء ..  
ونساملنا ودعينا لرجال الأنبال الثلاثة . ولم نقتنع ..

أما نكتة النكت هي ذلك الوقت أن دعينا إلى إحدى الصيدليات .. واكتشفنا  
أن صاحب الصيدلية من أقاربنا .. أما روجه فهي مميحية ، وكانت جنتها  
يهودية .. وجنتها قريبة لأحد الاصدقاء وهي الآن قريبة لصديق أيضا ..  
أي أما نحن الثلاثة أقارب . ولهم وداود وأنا . وطلنا نبحث طويلا كيف حدث  
ذلك . وكنا نطلق على هذه الصيدلية : صيدلية العائلة المقجمة .. وكان لهذا  
الاكتشاف أثر كبير في نوسا .. جعلنا أقرب وأكثر حرصا على استمرار هذه  
العلاقة بيننا .. وكعادة الاطفال نهمنا أمام نصف وأمام المماه ألا نفضل .  
همل هذه العلاقة للناصرة يجب أن يبقى .. ولكن لماذا ؟ لم نسامل . ولكن شينا  
ما قد هربا بعمق . وقد احترمنا هذه العلاقة حتى دعينا إلى الجامعة معا . ثم  
نمرقنا ..

وهي شارع السكة الجديدة محل ساعتي اسمه ، هرنس ، ولم يكن بيننا واحد  
يحمل ساعة في يده أو في جيبه . ولا عرفنا حتى إلى كانت هذه الساعة  
ضرورية . ينكي أن نعرفها في الصباح ، لنكون قبل رين الجرس في  
المصول . وبعد ذلك لا يهم الوقت . فتحن في المدرسة وهي التي نسيب مواعيد  
النحو والخروج .. فادا خرجنا من المدرسة . فالوقت لا يهم .. ولكن محل

هرش كان غريبا .. فهو أسود اللون من الخارج . وله فتويه صغيرة فيها  
المساعات من كل حجم . ونحن لا نتوقف عند هذا للمحل . ولكن كنا أحيانا ننظر  
في داخله نجد أناسا قد عكسوا على المساعف يصلحونهم رجالا وساء وهم جميعا  
من الألمان ..

وكان لابد أن يمر علي هذا المحل ذهبيا وليلها . مرة نراه ونحن أمامه ،  
ومرة نراه من الجانب الآخر من الشارع . وكنا نساكن في معرقه المحلات  
على الجانبين وفي ترتيبها . ولم تكن بحظي كثيرا . وفي يوم وجدت رجلا  
حواجة أمام باب شقتنا . قال لي . إنني أراك كل يوم تمر أمام المحل أنت  
وأصحابك .. أنا صاحب محل هرش ..

وكان يسأل علي أحد مكان البيت . ثم طلب مني أن أحيي . أنا وأصدقائي  
لنستمع إلى الموسيقى في النادي . وحدد لنا المكان والساعة . وذهبنا جميعا .  
المكان في منطقة نوريل الجميلة . أحد البيوت . الدور الأرضي . البيت به  
حديقة ذات أشجار عالية . الطرقات نظيفة . ولما صعدت على الجرس خرجت  
سيدة عجوز . ونظرت في نهشة وشيء من الفزع . فقلت . الحواجة هرش  
هو الذي دعانا ..

وتغيرت ملامح السيدة . ونركتنا ونحلت ليخرج الحواجة هرش منهلك  
الوجه مرعبا .. ومن وراءه ظهر شبال وشابات في مثل سننا ووجوههم  
صاحكة : تفصلوا .. تفصلوا ..

ودرنا الدرج . وكانت قاعة كبيرة . بها مقاعد وبها رجال كبار السن  
وسيدات أيضا . وتتوسط القاعة منصة عليها رهور وكوابل وبسكوبت . وفي  
الجانب البعيد من الغرفة يوجد قوبوغراف ، له بوق كبير . وإلى جواره  
توجد اسطوانة .. وجلس إلى جواره رجل يخرج المنديل من جيبه ويمسح  
الاسطوانة برفقة باللمة . ثم يصعها بعضها فوق بعض بصلابة قاتمة . والصمت  
تام .. فالرجال قد مكثوا والنساء قد انحسرن ينظرن إلى الأرض . ولا ينظرن  
إليها . والشباب والشابات في صمت . وجملة ألهت صوت الموسيقى ..

وكان هذا أول عهدي بموسيقى عربية لا أعرف ما هي . ولا أعرف  
المصطفى . ولا أعرف كيف يمكن أن يكون لها معنى . ونظرت حولي فأجد  
الموسيقى قد استولت على كل الذين حولي . ولا كلمة . ولا نص . ولا رغبة

عند أحد في أن ينص أو ينحرف .. ولما جاء طفل صغير تصابقت الأيدي  
لاحتضانه قبل أن يطلق بكلمة .. ثم راحوا ينقلونه من حضن إلى حضن ، في  
هوى شديد ..

ولما سئلت : إن كانت للموسيقى قد أعجبتني .

نظرت إلي زملائي وقلت : جدا !

والحقيقة ، أني لم تكن أعرف ما هذا الذي سمعت . ولا ما الذي أعجبنى  
ولم يعجبني .. فهي المرة الأولى التي أستمع فيها إلى موسيقى ليس فيها غناء  
ولا إيقاع ولا طبل ولا عود .. إلى أصوات موسيقية فيها شيء لا أعرفه .  
ولا أطر أحدا من الرملاء قد أسعده أو أمتعته ما سمع . ولكن لديها رغبة في  
أن يعاود الاستماع . وقيل لنا إنه من الممكن أن نجو كل أسبوع !

ثم كانت أول محاضرة للحواجة هرش في نادي البلدية .. ولم تكن لها أية  
علاقة مباشرة بالموسيقى وإنما كانت تتحدث عن الحرب العالمية الثانية التي  
أعلى أسهاؤها أحيرا وعن الحروب عموما وعن العلاقات الإنسانية  
والأسرة الواحدة .. وكان يعظر إلينا نحن الثلاثة . وهما المعنى  
المقصود . ثم عاد فتحدث عن الأدب والفن والجمال وهوانت التاريخ الأوروبي  
وجاء اسم عرابي باشا الزعيم المصري واسم ابن حلدون المؤرخ التونسي .

وفي نهاية المحاضرة بلحظات تحدثت عن موسيقى بينهوس . وكانت هذه  
أول مرة أسمع فيها اسم الموسيقار الألماني العظيم . وأول مرة أسمع فيها  
تفسيرا لهذه الموضوعات الموسيقية التي سمعناها والتي سوف نسمعها بعد ذلك .

وأول مرة أسمع كلمة « سيمفونية » وكلمة « حركة » في داخل السيمفونية وأول  
مرة أسمع كلمة « أوركسترا » وفاندا للأوركسترا .. وكانت السيمفونية الخامسة  
لبينهوس .. وكيف أن بدايتها هي عبارة عن نقات للقدرة .. تعلى الهريمة ..  
أو تعلى صراخ الإنسان مع القدرة .. وأول مرة أسمع هجوما عديدا على الداربي  
وعلى هتلر .. وأشياء كثيرة قلها الحواجة هرش . ولم يفهم منها شيئا .

ولكن في اليوم التالي عندما جلسنا على سلاط « المكتبة الفاروقية » جعلنا  
مسترجع ماذا قال للحواجة هرش وما المعنى ، ثم من هو هذا الساعثن الذي  
يعرف عشر لغات ويتحدثها بطلاقة .. حتى لحنه للمربية سليمة فيما عدا اللهجة

الأجسبة .. من هذا الذي يستطيع أن يتكلم عن أشياء كثيرة بثقة وبغير وجدأاس  
كثيرين يستمعون إليه . وكان في بعض الأحيان يقرأ من ورقة مكتوبة أمامه ..

وفي ركن من القاعة كان جهاز الفونوغراف الذي رأيناه من قبل .  
أما الموسيقى فهي لبيتهوس وهي السيمفونية التاسعة . ولم يعرف واحد من  
ما هي العلاقة بين كل الذي قال وبين هذه الموسيقى التي ليست فيها كلمة واحدة  
ولا أعية ولا جملة يمكن حفظها أو ترتيبها .. ولكنها جميلة . مؤثرة ..  
وإذا حاول الواحد أن يشرح معنى الجمال ، فإنه لا يستطيع أن يقول شيئاً .  
وكان عند الحاجة هرش جواب عن هذه العبارة فهو قال لنا : مثلاً رائحة  
الوردة كيف يصنعها ؟ الفرق بين رائحة الورد ورائحة القربل كيف يصنع كيف  
يحده . \* طعم اللحم وطعم السمك . القمر والنجوم في السماء .. موج  
البحر . كل ذلك كيف يصنع . إن اللغة لا تسعنا في التعبير . ولكن نحن  
نعبر عن هذه المعاني تعبيراً غير دقيق . أما الشيء المؤكد فهو أن نوعاً من  
الارتياح للذي رأينا وسمعنا وتوقنا .

وكذا ندهش لهذا الذي يقوله الحاجة هرش .. كلام غريب وعجيب  
ومعظمي . ولا يعرف ما هي العلاقة بين الساعات والموسيقى ولا بين  
الموسيقى والسياسة والتاريخ والحروب ..

وسمعا بعض الناس يقولون للحاجة هرش : يا لكتور هرش .  
وكان الرجل يرد ..

وعزها فيما بعد أنه مهتمس كهرباء .. وأنه جاء من بولندا أو من ألمانيا .  
وإنه هاجر إلى مصر واستقر في المنصورة . ولم يكن يعرف كلمة عربية  
واحدة . ولكنه استطاع أن يتعلم وأن يقرأ وأن يكتب وأن يحاضر وأن يكون  
واصلاً . وقبل لنا إنه ألف كتباً في الأدب والفن والموسيقى

وكانت له أبنية طوبئة بحيفة شفاء تصلحبه أحياناً بالعرف على الكمان  
لكي يوضح بعض المعاني .

إنه أوز من أشار إلى الموسيقى الكلاسيكية .. وإلى الموسيقى الألمانية ..  
وبيتهوس بالذات .. وإلى أن هناك كتباً عن الموسيقى وفي الموسيقى وإلى أن  
هذه السيمفونيات التي سمعناها لها قصص وخلفية نصية وتاريخية .. وكان ذلك  
كلاماً غريباً للذين لم يعرفوا إلا الموسيقى الشرقية . وإلا الأغاني ..

واعتقد أنه بعد شهور من الاستماع إلى هذه الموسيقى الأوروبية بدأ نشوى  
وسقطهم هذا النوع العجم الضخم من المهتمه الموسيحية أو من الصروح  
الموسيحية ..

• • •

ومن ذلك هذا الماعفى بشلوع السكه الجنبه بدأ السلم إلى الموسيقى  
العربية .. إلى لروع متعه من منع الحياه .. إلى هذا الطعام اليومى الذى  
لا يشبع منه ولا يستغنى عنه ، ويستحيل الاعتاش الروحى من غيره ..  
ومن ذلك الحين وأنا أجد نفسى متجها إلى الموسيقى العربية باحثا عنها ،  
دارسا لها .. مصعبا فى سعت وتأمل عميق لها ..

وعندما دخلت الجامعة انصدمت إلى جمعية الجراموفون ،  
أى الفونوغراف . أى الاستماع إلى الموسيقى للكلاسيكية فى إحدى قاعات  
قسم اللغة الإنجليزية بكلية أدب القاهرة .. وكان يرأس هذه الجمعية ويشجع  
عليها دكتور لويس عوض وهو أحد أساتذتنا الذين أنشروا فى حياتنا الأنبيه  
والفكرية أيضا ، بعدا عنه أو قريبا منه ..

وإذا كانت موسيقى بيتهوفن قد بهرتنى ، وإن كنت غير قادر على تفسير  
هذه للمشاعر العاصره وغير الواضحة ، فإن حياه هذا المبقرى قد أدهشتنى  
أكثر .. فهو قد ولد سنة ١٧٧٠ مع أمير الشعراء الألمانى هيلدرن وأمبر  
الفلاسفة الألمان هيجل . وكان رجلا عبقا قاسيا على نفسه . ساء الظن  
بالناس . وكان منافسا عنيفا أيضا . فعندما ذهب ليرى الموسيقار المبقرى  
موتسارت ويطلع عليه على بعض أعماله الموسيقية اندهش موتسارت لرويته وقرأ  
ما كتبه ثم قال : لا ترفعوا عيونكم عن هذا الشاب ، سوف يكون حديث الدنيا  
كلها ؟

وإلى أن مات بيتهوفن لم يقل كلمة واحدة طيبة عن موتسارت !  
وكان مودعا للموضى فى بيته : البيت قدر . الأوراق على الأرض ونحت  
المحذات ، الأطباق والحلل على المرير .. فحشرت فى هراشه وهى ملايه :  
وكانت أعظم هدية يقدمها الأصدقاء له . هى أن يلتوا له بمساحيق نقل

الحشرات هي ملائمه وسريه وشعره .. كما كانوا يمزقون ملائمه القديمه  
ويصنعون مكانها ملائمه خنثيه . لانه لا يستحم ولا يميز ملائمه !  
وكان يسمى ان ياكل في سبب . على مرر كثيره يذهب الى المطعم .  
ويجلس سارحا ثم يظن ان يدفع الحبيب . ففارسه . ولكنك لم تاكل في سبب  
الاستد !

### هياكلر المطعم نور ان ياكل !

وكان كثير المشكوى من الناس . ومن انه لا ياكل ما يستحقه من التفخير  
الالى والمادى وكان يبالغ في طغى . والحقبه ان احد لم يلق من الإجلال  
مالقيه هذا الموسيقار العظيم . والتفخير المادى بعد

أصيب بالصمم وهو في الثانية والثلاثين من عمره . وكان تلك حادث  
فطيف . فالرجل الذى يعتمد على أذنيه ، لم بعد قادرا على ذلك .. فاعرب تمام  
عن الدنيا ولم بعد يستمع إلا إلى الموسيقى الحائله في أعماقه . إلى نفسه فكان  
هذا الصمم سببا لمزيد من الإبداع الموسيقى

وقد أدى الصمم إلى عدم الثقة بأحد من الناس .. وقد ألقى هذه الكارثة عن  
الناس . وكان يظن أنه مروحان حتى لا يسأله أحد عن الذى قاله له

وفى بيت بدهوش بمدينة بور عاصمة ألمانيا الغربية نجد الأبواق السى كان  
يصنعها في أذنيه لكي يسمع . بدأت الأبواق صغيرة ثم راحت تكبر وتكبر حتى  
أصبح من الصعب حملها نور إنارة الصمك

وعلى الرغم من استمرافه فى الإبداع الموسيقى ، كان يشغل نفسه بعصايا  
ما أعياه عنها .. مثلا قصه ابن أخيه . مات أخوه وترك ولدا . وأراد  
الموسيقار العظيم أن يصمم هذا الولد إلى حصانته بدعوى أن أرمله أخيه سيئة  
السمعة . ونهب إلى القضاة بزمجر وبصرخ وبنق الأرض سموات حتى  
حكمت له المحكمة بحسنة ابن أخيه .. وكان ابن أخيه بمونجا للاستهتار بعمة  
العظيم .

ففيه أخرى . أب كان يصرب لبيته الجميلة يريد أن يرعها على الرواح  
من شاب غير الذى تحبه . ويهدد أهل القناه . ان هو لم يكف عن التخلل فيما  
لا يعنيه .. وقد تدخل بعض نلامته وبهوه إلى حظوره تلك على حياته  
وأعماله العلية .



وكان يحدرد التعبدات في الشوارع .. لا يكاد يرى فيه جميله حتى يرحمها  
بعضها . وكنت ألتصق بقلبه . إذهب واسمحم . حينئذ ان يسر  
خدا . ما هي امره رغب فيها الحق . لأبد لك جزرا بعد بيهو في  
حركته .

وكان الموسيقار العظيم بحب الحزبه وببعضها . ولكن في بيه طبعه من  
سرحه الاولى . يرفض ان يجيء لحد ازياره . وإذا جاءه من بعد سده إلى وره  
على الارض . وإذا جاءه من بديل الزياره اكثر من حقيقه أو اثنين .  
وكان شديد العزور . وهذا طبيعي . طلب إليه أحد الامراء أن يعرف تيب  
مجنود الفرس من جيش نابليون . فرس . فهدده الأمير . فخرج من تيب  
لأمير يرياد شوارع المدينه حتى وجد عربيه نظفه إلى مدينه هينا . وهناك وفي  
بيته عظم بمثال الأمير وداسه بعدائه وهو يقول ليس بالامر . يسي لسب  
مذهب ولا عريحي . . يسي اعظم معلومات انه لآلف معه فاعه . ١  
وهو حقيقه كذلك . ٢

هل كان هذا المبري مهملا . ٢ نعم . هل أراد الانحلال لا . إن لمادا  
بمعاظم ٣٢ رجالة جنوب مهنه في أسبوع واحد حتى مات ٢  
من المؤكد انه كان بطمع في أن يلقى نجرا لما أعظم ومالا أكثر . وكان  
يصوق في من الوقت بالمصم الذي أصابه . ويصوق بعياله الخاصه المبريه  
المطويه . ولكنه لا يعرف حلا لبقاء البيت على ما هو عليه . وبطافته دون  
أن يدخله أحد . ١١

وهي إحدى ليلتي الشتاء وفي عاصفه رعيه توفي أعظم الموسيقيين في كل  
المصور عن ٥٦ عاماً ١

♦ ♦ ♦

وهي القاهرة عرفت أحد أفريي وكان عاشقا للموسيقى الكلاسيكيه . قد تعلم  
في ألمانيا . وعده بيت جميل . ولطواني . واستعصت لأمه معلوماتي  
عن الموسيقى . فوجد أن الذي لديه أسعاف ما عدى . ووجدتها فرصة لكي  
يقعني بذلك . فدعاني إلى بيه . وصعدت ما أستحي عن الموسيقى نسوي .



وكان الحلاق الذي قص لي شعري بالأعص . وذهبت معه إلى النكاح  
وارتديت بذلة وكراغته ونحلتها معا .. وكنت هذه أول ناز للأوبرا أرها في  
أوروبا لا تحتف كثيرا عن أوبرا القاهرة . بل أوبرا القاهرة أهم . ولأن كانت  
أوبرا ملربورج أنظف وأكثر إتصافا .

ونحلت الأسطوانات والغونجرات مكسي .. ونكسنت الأسطوانات من  
أوروبا ومن رومب ههنا أرخص الأسطوانات وأجودا ورنا . وبعد الأسطوانات  
نحلت الكاسنات وأجهزة التسجيل . وعلقت أننى بالنرايح الموسعة في  
الاداعة .. أبحث عن اتسجيلات الحديده للموسيقى الكلاسيكية .

وهي سنة ١٩٥١ وفي مهر إحدى الجمعيات البيية بالقاهرة ألفت محاضرة  
عنوانها : مبادئ الموسيقى ، أعجبتى العنوان والسجع بين الموسيقى  
والميناهريقي .. وكان لابد أن اعتد سرعة عن هذا العنوان ، وأن أهد  
المخاوف النى من الممكن أن يتركها في يفر من المستمعين .. وكان موضوع  
المحاضرة عن النطق والاسرار والاتساج والجمال والجلال في الموسيقى  
الكلاسيكية . وصريت أمنه لذلك . مع عبارات من موسيقى بيتهوفن  
وموسارت وبرامر .. ولا أدعى أننى كنت متمكنا تماما . ولكن كانت عندي  
شجاعة . وعدى ما أقوله هي الفلسفة أكثر مما أقول في الموسيقى ..

وكان من بين المستمعين الأستاذ أحمد حسن الشجاعى المايسترو المعروف  
وسديق الأستاذ العقاد والمثرب على الموسيقى في الإداعة .. وطلب التعليق  
على الذى قلت . وكان لطيفا مجاملا .. ثم أضاف معلومات جديدة عن حرفة  
الموسيقى والعرف والفائيف ، وهو مالا لمنطيع . ثم طلب من الحاضرين أن  
يحرصوا على استدعائى من حين إلى حين ، هي تلك كسب للطعمة والموسيقى  
معا !

واستأنف الأستاذ العقاد الموضوع الذى تحدثت عنه ، وأضاف هو أيضا  
الكثير عن نصية الموسيقى وعن التنصير التنصى للعمل العلى والادبى .. وحذر  
بيتهوفن نموذجاً لكل ذلك .

وكان لابد أن ألقى محاضرة أخرى وفي نفس المكان وأقبل للاستاد الحاضرين  
ما قاله الأستاذ العقاد وما قاله الأستاذ الشجاعى وما سمعته من الموسيقى نكتور





سحرة الدر : ماما وسابا

والأيام المنسية

## شجرة الدر ماما وبناتها والأيام المنسية

نعم كنت مسلطاً على مصرى - لماذا ؟ لا يوجد سبب معقول يجعلنى طول  
الوقت أفكر فى الذى أعمله فى اليوم السابق . وقد كنت أنام عندما أصبح رأسى  
على مكدته فجاء امام وفجأه أجد النهار قد طلع . لا مجهود أبنته لكى يجرى  
النوم . وكنت اندمض للذى اسمعه من الرملاء إليهم يشربون الشاي فى السرير  
أو يترنن حتى يجرى النوم . وأحياناً لا يجرى . ولكن لا أسأل أحداً .

أما فى ذلك الوقت فقد اعتدت أن أتقلب على الفراش . وأن أدير فى رأسى  
كل ما حدث طوال اليوم . فما الذى كان يحدث ؟ . لا شيء ذهب إلى  
المنبرسه . تناقشت بخافت . ثم سكنت . وجاء المدرس وطلب منى عدم  
الاستراخ فى الاعتبار الرئيسية قتلاً : إقرأ لك كتاباً أحسن لك . هؤلاء شبان  
باطلون يحتاجون إلى تربية . أما أنت فاطه بفتح عينك !

وكى الرملاء يصحابون من ذلك .. ويصحبون عاصلاً نادياً وثلاثاً بيضى  
وبهم وهم يحاول أن يلب أو أربل هذه العواصل .. فلم يبق لى من كل بلائمة  
المدرسه سوى ثلاثة .. أحدهم يودلى الأصل والثانى العلى الأصل والثالث  
مصرى . من الأربعة أصنف الأصدقاء . ومنهم وبغلف . ولكن على المصدة  
ندور المناقشات من جديد ، لا أجنسى سعيداً بما قلت أو بما تنكرت تنى قلت ..

وعندما أقارب بيدي فأنسى أجنسى الوحيد الذى يصر على أن يردى بطلوناً  
طويلاً ومحبصاً له كم طويل .. ثم إلى الحذاء له كعب غلظ مرتفع لا يريحنى  
أنشاء المسير الطويل .. ولكنى أنا الذى اخترت ذلك .. لماذا ؟ لم أعرف لأنسى  
نم أفكر ولم أفكر لأن تفكيرى كان فى اتجاه آخر تماماً .. أو على الأصح  
كان تفكيرى مشلولاً .. فلما ملق التفكير . هناك شيء ما ، يمنعنى من أن  
أناقش أشياء كثيرة ، لا مع مصرى ولا مع غيرى .

عندى هذا الشعور بالنقص الطبع . مصدر هذا الشعور . والذى لم تكن  
معا . فكم مرة جاءت أوراق من المدرسة ودعوات لحفلات . وان سألنى احد  
أقول . والذى سألنى .. إنه مريض . سوف يحىء وحيدى . فصدق بصدق ان سألنى  
انه مات . ولكن ليس عندى أى دليل على انه مريض . كنت قسم نائى فى  
البيت .. ونعالموا شوقهم . ولا احد يحىء . عما كان هذا الشعور هو الذى  
جعلنى أشعر بأن هناك شيئا ما فى حاجة إلى أن أهدى الكلام عنه . وحقه  
ولذلك كان حرصى على أن اجعل البسطون الطول والقصير والحمد اعلى  
أى لابد أن أصيب شيئا ما . لأن هناك نقصا ما . ولم أجد ما أقوله عندما  
يندهش الزملاء من الإصرار على أن يكون الكم طويلا والبسطون أبيض . مهما  
كانت حرارة الجو . وكنت لجد اعدادا مختلفة . ولم أنقل من تفكيرى إلى  
القول : ليس من الضرورى أن يكون كل الآباء والأمهات فى مكان واحد .  
فبعض الطلبة نزوح أبائهم سيدات أخريات . أو انهم ماتوا ..

وبنأخذ هذا الشعور بنقص شيء هام فى حياتى عندما أروى بعض الزملاء .  
فمعدى أو يذكر معا . هناك اختلاف هائل بين بيت وبيت أخرى .. البيوت  
الأخرى فيها أصوات كثيرة . والأصوات عالية ولها رنين . البيوت الأخرى  
داخلة فيها اثاث كثير ومغطاة بالسجاد .. وأشياء كثيرة معلقة على الجدران  
وإذا وفقت أمام بيت من هذه البيوت . على روائح عريضة تخرج من تحت الباب  
وإذا انفتح الباب خرج الهواء داخا محملا بظهور مختلفة رائحة الطعام  
والكولونيا والصابون .. وإذا انفتح الباب نطلعت وجوه كثيرة جالسة . ووجوه  
واحدة .. ويرون اتجهت إلى الداخل . وكلهم يتكلمون فى وقت واحد . ولا يذى  
نمتد والقبلات . والدعوة إلى الصالون والشاى والدعوة إلى الغداء . وعندما  
حكايات كثيرة يشاركون بها جميعا .. وإذا واحد فاته أن يسمع جانبيا من القصة  
طالب الآخرين أن يسطروه حتى يسمعوها من أولها . وكنت القصة نقال عدة  
مرات .. بناء على حماس الجميع ورغبتهم . وكل شيء يبعث على الضحك .  
أى شيء . كيف ؟ لا أعرف .

أما فى بيتنا فنمضى الساعات لا احد يسمع أحدا . ونجتاز غرف البيت كلها  
فلا نجد رائحة أقوى من جبر الجنرال ووطوبة الحمام والمقافير والنساع  
واليسون . وإذا جاء الطعام فإن لحد لا يدعو أحدا . ذلك . وإن يجلس ويخرج

من الطعام ولا كلمة واحدة . والأصوات ليس لها رنين ولا لها صدى . كل الأصوات تحتاج إلى بحيرة الطعام لكي تنتقل بها من مكان إلى مكان . عبط عندما يجيء أقرب لنا ، فإبهم يجلسون مع والدتي بالتساعات . وكل حكايتهم عن فلانة بنت العم وبنت فلانة بنت الحال وعن أرض وجاموسة وهرج وحطوبية فلانة بنت فلانة .. وإذا جاء حلالى أو خلتي أو جنتى ، فيكون لى نصيب من الكلام .

هذا إذن هو الفرق بين البيت والمسكن بين الأسرة والعائلة .. بين دهب اللحاف والبطانية ودماء الأمومة والأبوة والأخوة .. أما لماذا يصحك الناس بمسابقة ومن غير مناسبة ، وكيف ، فهذا الذى لم أهدئ إليه ..

معها حق ، أ .. عندما كنت تكرر دائما : بابا قللى لى .. ولما قالت لا .. بابا قل : أبوه .. كلمة واحدة .. وهو الذى يعطى المصروف .. وهو الذى ذهب إلى ناطر المدرسة .. وهو الذى اشترى .. وهو الذى احتار .. هل كانت تعرف أن والدى ليس هناك .. وأن هذا هو الفرق بينى وبينها .. أو بين عائلتها وأسرتى .. هل أرأيت أن تقول لها مهما كانت حرة فى خروجها ودخولها ، فلا بد أن تسأل والدتها عندما يجد الجد .. وما هو هذا الجد الذى يجد ؟ إن أنتم أطلب بدها ؟ أنا ؟ ومن الذى فكر فى ذلك ؟ هى التى فكرت هل تسأل أباها وأنا أسأل أمى ؟ ولنا أسأل لى ؟ كيف .. أخطو إليها واصطلم بنزيرة عليها مائة علبة ورجاجة دواء وأراها شاحبة وأقول لها : أريد أن أنقدم .. إننى لا أستطيع أن أكمل هذه العبارة التى لم أسمعها من ، أ .. ، ولم أجرو أن أقولها لنفسى ..

هل كانت تعرف أن والدى ليس موجودا هنا مثلها هى ذلك ؟ وأنا لم أر أباه .. وأنا أشعر بأن والدى حاصر كل الوقت . أين أبوها وسلطته وموعد ويده العظيمة وفراعه الطويلة وأخوها يشرب للسجائر ويقال يشرب البيرة ويعرف الفتيات ويسهر ويسقط فى الامتحانات ولا يقف إلى جوار أخته إذا عاكسها أحد . إن والدى ليس مصا ، ولكن لا أمل شيئا من هذا الذى يفعله أخوها . هى التى قللت عسى إننى مختلف عن إخوتها .. هل قالت إن كل من عدى من صفات حميدة ومن أخلاق ، بييلة ، - هى التى استخدمت هذه الكلمة . لا تجد لها نظيرا عند أخيها وبخه لإخوتها ! إن ليس من الضروري



أن يكون الأب هناك لكي يكون الشعور به عميقا ؟

ورغم هذه المناقشات هي دل على ليلا ومهلا ، فيها لم تفتح هي نى بريل ذلك الشعور الأليم بأن والذى لم يكن هناك معظم الوقت . وأنه لذلك محور قصص ونولدر ويطولات كلها من احتراسى عندما أواجه المواقف والساوالات التى تقصى وجوده بيها .

ولو كان والذى معنا لكان حطى أجمل . لأن خطه جميل . ولحفظت شعرا أكثر ، فانا لم أنصف إلى محفوظانى من الشعر بيها واحدا ولكنك صليب العجز حاصرا وشريت الناي بالتمتع . ولتعبت معه إلى صلاة الجمعة . وانحصرت حفلات الذكر والتواشيع ودلائل الحبرات .. ولكنه ليس هناك .

وهي كل ليلة أفتح درجا من مكتبى وأصع ورقه أو ورقتين وقد كنت شيئا أحرم على ألا يراه أحد . ولم تكن تلك الأفكار إلا شطحات فلسفية . لا أعرف بالصبط ما هي .

مثلا : لماذا لانفبت من الأرض ، مثل كل الأشجار .. لماذا لاتحمل الطيور فى منافيرها بدورا للقصص والقصص .. وبدورا أخرى يخرج منها الأطفال والشباب والرجال .. لماذا الأسرة ، لماذا العائلة .. لماذا لا يكون كل ذلك فى الحقول ؟ ا ولماذا إذا ولد طفل لا تتركه أمه فى الملجأ . ونقوم موظفات بتربية الطفل . فإذا كبر كان بلا أم ولا أب . لا يفرح إلى وجد أباه ولا يحرى إلى ثم يجد أمه .. ولماذا لا ينتقل الطفل من مدينه إلى مدينه ومن مدرسة إلى مدرسة . فإذا ولد الطفل فى المنصورة فإنهم ينقلوه إلى القاهرة . وفى القاهرة ينقطع صلتهم بأهله أو أمه أو أبيه .

أو أفكار أخرى تقول : ولماذا تكون للبيوت أبواب وللا أبواب اقفال ومفاتيح .. لماذا لا تكون للبيوت بلا أبواب .. لا حواجز .. كل شيء لكل أحد ولكل الناس .. لماذا يولد طفل غيبا ويولد طفل آخر هيرا .. مع أن الطفل اتضى ثم يعمل ما يجعله يرث ما تركه وللداء ، والطفل الفقير لم يرتكب جريمة حتى يكون محروما .. لماذا هذا الظلم التاريخى .. إنى لا يوجد عدل فى الدنيا .. ولا أمل فى أن يكون هناك عدل . لماذا كل طفل يرث أباه وأمّه .. إنى لا معنى للوراثة ولا معنى لأن يكون لأحد ثروة ، ولأحد الفقر والذل والهوان ..

وفي يوم رر المشورة وزير المعارف . محمد حسين هيكل بشا ، كل  
 ساء في امره قد كره عرفت الناظر طالع دارل والفرانجور  
 والمبرسون والارض هربا رملا والرج والور قد سائر في كل مكان  
 ، صاين سدوا لالاب ، الناظر على عبر عابه يصحك ويدعد الجلدة  
 هساربان والقصور مسجده وعسوه . جاء هيكل بانث إلى الفصل ومعه  
 حصره الناصر وسجديات خرى لا عفاها وبها مهيكل ناشا بطل من كل  
 طالب ان يجيب على هذا السؤال :

ما هي اميتك ؟ قالوا : مدرس طائط طبيب عني شيخ عاشر  
 وسال الوزير صاحبكا : من هو الشيخ عاشر ؟  
 قال التلميذ : خطيب مسجد الحميمة .

وقال بلاده محمد عبد الوهاب صهي باب امكك الشاوش  
 وقلت أنا : آم

قال الوزير : من هو آم ؟

قلت سيدنا آم

قال الوزير لماذا ؟

قلت : لأنه بلا أب ولا أم !

، جلسنا ، رفعت رسي لأحد الكهنة على وجه الوزير والناظر  
 والمبرسين ولا أعرف ما الذي قاله ، وخرج وزير المعارف . ولم أعد أسمع  
 شئ مما يدور حولي ولا معنى من بدنه امي كثيرا بين رماني في تلك  
 اللحظة ..

وبعد اية وحشة ، جدا من اخواني سائلي هل صحيح أنك وفقت أمام  
 الوزير وقلت لك معنى ان يفتل ، التلك تكون بيننا باراك !

ولم أعرف كيف فكرت في ان أكون سم هذه الفكرة لم نحظر على باقي  
 منسك ، انما وحت هي لحظتي بها عدة كتبه المعاني خلاصة مشاعر  
 مؤمنه برسنت في اعماقي وبيلورب ، اسحت بها الفرصة ، ففرت على  
 سائلي أمام الوزير والناظر شئ عفيف ان يرحح الأفكار هكذا نون نحل  
 مني .. في دون تفكير أو تدبير

وجاء والدنى وسألنى : أنت قلت إنك تريد أن تكون ادم .. اول انسان  
لا بد أن يكون هذا شعورك .. فأنت الأول وسوف تبقى كذلك .. ولكن آدم عاش  
وحده فى الجنة .. ثم عاش وحده على الأرض .. لا بد أنها حياة موحشة أن  
يكون الإنسان وحده .. لا لب له ولا أم .. حتى زوجته خرجت منه ، كما خرج  
أولادها منها .. وبقي هو وحده .. كل الانبياء كذلك .. كل العظماء كذلك ..  
الله يفتح عليك !

اقترب والدنى من كل للمعنى ، إلا المعنى الذى يعذبى . ولكن يكفى أنه جاء  
وأنتى جلست إليه .. وأنتى لمسته . وأنتى قبالت يده وأنه قبلى . وأنه أدابنى .  
هنا بعضه . ونحس واحد . وفى لمسة واحدة وضمة واحدة ترودت بكل التماس  
وكل الراحة وكل الأمان . وقد ألتصقتى وروانى وصلاى كل ذلك .. وحتى لو  
غاب شهرا فالدنى تصرب منه إلى جسمى ونفسى كثير جدا . يكفينى شهرا  
وعاما .. إن والدنى لم يره أحد ، ولكن الناس وأنا عرفناه بالحق والقلب .

ولاحظت بعد ذلك حرصى على أن أعود إلى البيت من المدرسة .  
ولا أخرج وأنا الذى أفتح الباب وأنا الذى أورد بصوت مرتفع إذا أهدق  
الجرس . وأنا الذى أورد وأتكلم وأهتف العناقشات . وإذا دعانى أحد الأصدقاء  
إلى الغداء يكون الرد جاهرا ، ولكن والدنى وحدها !

أو أقول : مصروف البيت مالى ولا بد أن أعود إلى البيت فوراً !  
وتعلمت أن أردد عبارة سمعتها من والدنى ولم أندك معها بوصوح : أنا  
رجل البيت !

وعندما كنت أذهب إلى المكتبة أجد صورة والدنى تقفز أمامى على  
الصفحات . وعندما ألام وأحلم بوالدنى . فى شينا شينا يقع .. كأنه جاء فى الحلم  
وفى البقطة لكى ينبهنى إلى ذلك .. وظل هذا حالى معه ، سنوات طويلة بعد  
موته .

وقد نصحبى والدنى أن أصادق أحد سكان البيت .. إنه شاب فلسطينى ..  
سورى لبنانى لا أعرف . وهو يبيع اللون أسود القشعر . أما واللثة فهى مثله  
تماما . وإن كل شجرها أطول . وكنا نسمع صوتها من أى مكان فى البيت .  
فهى تتحدث بصوت مرتفع . وكنا نعرف بالضبط ماذا يدور فى شفتها . وهى

١٠ جه صاحب البيت الذي هو مدرس اللغة الإنجليزية هي مدرستنا .

١١ قال والذى لم أكن أعرفه ، السيد بهرا كثيرا ، وعنده كتب كثيرة . وقد اتفقنا  
١٢ ، بحثت معه فأعجبته ، وأسمي هذا التوجيه للمباني من والدى ورحبت  
١٣ به ، وماله من كل لديه كتب . ولدى كل بعيرى ولحدا ولحدا . ولم يبرند  
١٤ حظه . وعرفت أنه يقرأ بالفرنسية أيضا ، وأمه تكلمه لغة عربية وعرفت بما  
١٥ عد أنها العبرية . وأنه لم يقرأ بالفرنسية ، وإنما من زوجها الأول . وهو من  
١٦ مثل منى . لطيف . مرح . دائما . على استعداد لأن يتحدث في أى وقت وفي  
١٧ أى موضوع . وعنده موضوعات كثيرة . وكل شيء فيه يلعب . شعره الأسود  
١٨ الناصع ووجهه وعينه وحذائه . والمبني الأبيض والبطون الأزرق أو بني  
١٩ ومظهر دائما .

وفي يوم دعاني للأعتمر معه . ونصبت ونظمت أمه معا . ووصفت أفعالا  
٢٠ كمية كبيرة من الطعام . شاي ساخن وهماجين كبيرة ولبن ساخن . وعيش  
٢١ فرسى . وببزر وفول وجبن وحلاوة وزبدون وهاكية . وأنفست أن يكون  
٢٢ كل ذلك في الإفطار . ولم أعرف متى سيء لدا أو يابى سيء لنهى . وكانت  
٢٣ هي التى تصبح الشاي والجبن والبيض . ومطلب من ابنها واسمه جمال أن  
٢٤ يساعدني فلما في غاية الفجل .

٢٥ وجاء صوت غليظ من الداخل . يزعق وينادي : راثل .. راثل .. أنت  
٢٦ به بنت الكلب !

٢٧ ومنع وجه السيدة وابنها . ووقف الطعام في فمي .. وفجأة تعالت  
٢٨ الصيحات والصراجات والاستغاثة . وخرجت السيدة راثل من باب لشقة  
٢٩ تجرى على السلم بميصوم اليوم والمدرس وراءها يبتلون بالبهامة وبلا جاكنة  
٣٠ وبلا مظارة . وقف جمال وأخى رأسه . وبدا به يهجه إلى جمال ويقول :  
٣١ وأنت بابي الكلب ! منى هات بنت سيى كلب . وإلا فهي طلق !

٣٢ وفجأة جلس المدرس ووضع المصفا على درابيزة الممرز . وامدنت يده إلى  
٣٣ البيض والفول والجبن . ووجدني هي بيضا في مزبلة أعني من مقص  
٣٤ شديد ولم أجد للكتب في يدي . لقد سينها وحظر لي أن أفسد وأسأل من  
٣٥ الكتب . ولكن هزعت مما قد يحدث . ولم أعرف ما الذى يمكن عمله . ولم  
٣٦ أجرو أن أعني ما حدث لأخت . ولا حتى لوالتي .

وفي الصباح الباكر جاعني جمال يقول في لهجة رقيقة عربية لم أسمع مثليها  
من أحد : أسف لما حدث . ماما شديدة الأسف !

لاعمري سمعت مثل هذه الكلمات ولا فهمت معنى الاعتذار . ولم يشرح  
لي جمال ماذا حدث ولمماذا ؟ وكنت قيل ذلك أسمع هذه الصيحات ، ولم أكن  
أفهم بالضبط ماذا هناك فوق في شقة صاحب البيت .. الا ان فهمت أن هذا يحدث  
كثيرا جدا . كل يوم .. صرب .. وشتمه ونزول على السلم وتهديد بالطلاق  
والعودة .. ولم أعرف السبب ..

وهي يوم مضطت مدام راشل من السلم وانكسرت ساقها . وذهبت إليها مع  
والدني في المستشفى . وتحدثت هي عن أن زوجها رجل عصبي بحيل جدا .  
وأنه معقد لأنه غير قادر على أن يأتي بأولاد .. وبهذه العناية الشديدة بابنها  
الوحيد وإيماله هو ..

وكانت تقول لوالدني : ولا يهمك .. إنعني الإيجار فيما بعد .. ليس الآن ..  
الأمس لبعضها .. سوف أذهب وأنتي على مهلك !

وكانت أمي تحبها وتمنحها إليها ..

ولم أكن أعرف ما هو الفرق بين اليهودي وبين المسلم ولا بين المصنم  
والنبطي .. فلما أنظر إلى جمال وأنظر إلى ميشيل اليوناني الأرثوذكسي وإلى  
وليم النبطي . لا فرق .. وليست عندي معلومات عن الفروق بين هذه الأديان  
الثلاثة .. ولاكنت تخطت كنيسة أو محبة يهوديا .. ولكن كانت عندي معلومات  
قليلة جدا عن الفوارق بين الأديان .. فمن طعونني أجدني أصدقاء من  
المسيحيين واليهود . ولم أشعر بأي نوع من الخلاف بيننا .. فما دخل الدين  
في أن نتحدث في الأكل أو الشر أو المشي معا في الشارع وأن نضحك وأن  
نلتقي في قلوبنا التلي .. لم أجد سببا للخلافات بيننا في أي وقت ..

سألت جمال : أين ولدك ؟

قال : مات !

سألت وليم : أين ولدك ؟

قال : قتلوه .. إنها مسألة ثمر بين عائلات في الصعيد .

سألت ميشيل : وولدك ؟

قال : فى أثينا .. لن يجرى إلى مصر ترك البيت منذ عشر سنوات .  
وهجأة اكتشفت أننا جميعا بلا آباء .. ولكن أحدا منهم لا يعانى للذى أعليه  
والذى بالعت فيه كثيرا . وكان ذلك أعظم اكتشاف لأرحمى تماما ..  
لقد وجدت أن كل أصدقائى بلا آباء .. يتامى ؟ ربما .. وكنت أذاع  
لزملاء : إن آدم عليه السلام هو أبو البشرية بلا أب ولا أم .. فمن جميعا  
وذا رجل يتيم !

وفى بيت جمال .. رأيت للتوراة لأول مرة .. قليت فيها وقرأت .. اللغة  
عربية غريبة وأسماء كثيرة . وأتت جمال أن أهد الكتاب معى إذا شئت وقلت  
فيه كثيرا ، ولم أهد متعة عند قرأته لأول مرة .. ولكن كانت لديه معلومات  
كثيرة . وناقشنا . وسرنا طويلا . وجلسنا للنقيا ولمنت بدى إلى التوراة أقرأ  
وأفهم وأستمع أيضا . ولكن أين هذه التوراة من القرآن الكريم . لغة التوراة  
عربية ولغة القرآن هى قمة اللبان والجمال والموسيقى والحكمة ..

ونهبنا معا إلى محل ساعاتى فى شارع السمكة الجديدة اسمه ( هرش ) .  
فه شبه كبير جدا من جمال وولفته . أبهى أسود الشعر والعينين رفيع  
العبارة . ووعضى بمسحة مختصرة للتوراة ولكن بالفرنسية . فلم أستطع  
فراستها . ووجدت على نسخة عربية مختصرة . وبعد أيام وجدتها على  
فى البيت .. وجاءت كتب صغيرة وكبيرة بالإنجليزية والفرنسية والعربية ..  
وكانت نوعيات غير مألوفة .. وأكثرها فى التاريخ العربى واليهودى .. لمؤلفين  
ومترجمين لم أقرأ عنهم .. انه عظيم جديد غريب ، ولكنه ليس معنما .

ولم يشأ جمال وآخرون أن يصمموا إلى المجموعة القليلة التى تلتقى كل يوم  
على سلم المكتبة العامة فى المنصورة .. هو جاء مرة واحدة . ولم يسر إلى  
أنواع التناقضات .

وجامسى يقول : أسف .. إن لأحضر اليوم . أنتم لكم موضوعات بعيدة عنى  
تماما .. ولكن يكفى أن ألتقى بك فى بيتك أو فى بيتنا ..  
وفى إحدى الليالى دق الباب . وكان جمال .. وقال : أريد أن ألتحدث إليك  
عزرا .

ودخل . وطلب أن تدخل مكتبي . وهي غرفة صغيرة بجوار الباب . ليس فيها إلا المكتب في منتصف الحجرة ومعد . وجلس هو فوق المكتب وقال لي : هناك شيء صائغى أنا ولما .. وهي التي أرسلتني إليك الآن . وهي تعرض عليك أن نقيم عندما الشهور الثلاثة القادمة بمسرح يكون وحسباً ماما ! لم أفهم . أدهشنى هذا الذى قال . وأدهشنى أكثر عندما قال : إن أنت لا تعرف .. لقد أنصت والدتك مع مدام شيرى أن تنتقل إلى شقتها .. إنها تريدك أن تعيش عندها بين أولادها . إنها تحبك وتريد أن تعاملتك كواحد من أولادها . والدتك وافقت أن تكون مثل أمك .. تتينك . حتى تحصل على الثانوية وتذهب مع أولادها إلى الجامعة !

حاولت أن أدير هذه المعاني في دماعى . أن أقبها . لم أفهم . فهي كلمات كثيرة أصادفها لأول مرة .. لم أفهم معنى أن تكون مدام شيرى في الدور التالى وبحر في الدور الأول . وأعيش عندها لماذا ؟ بين أولادها لماذا ؟ كواحد من أبنائها لماذا ؟ وأمى وافقت لماذا وكيف ؟ لم أفهم . وقد حدث ذلك من أيام . ورأيت أمى جلست معها واشترت لها الأدوية وبرت في كل الصيدليات .. وجلست إليها وبحثت معها ولم نقل لي شيئاً . وكيف أتركها وحدها وما المعنى ؟

ونصر جمال . على أن التقى بولانته هو عدا لأبها فصرت جالسا من هذا النقاش بين والدتى ودام شيرى ..

وقابلتها . وسمعت منها تفاصيل ما دار بينها وبين والدتى ودام شيرى وبناتها وأولادها . أما بناتها فقد رأيتهم كثيراً في شقتها ومأم البيت وعدد النقال : كاميليا .. متوسطة الطول واسمه للعديد مستديرة الوجه صغيرة الشعر فيها حبيوة .. وحطوتها صغيرة . وإذا مشيت تلتفت حولها . حتى إذا لم يكن هناك أحد أو شيء يستدعى الالتفات . ولكنها صغيرة الحركات ..

ومنى .. متوسطة الطول سمراء موداء الشعر .. ناعمة الصوت قلقة . وهي عادة التي تفتح الباب . وهي التي تشتري وساقط البذعة على السلم . وهي التي أدارتني نقول : سلم لى على ماما . والأخت الثالثة : نهاسي بيضاء

ممثلة واسعة العيين والمملعة . وشعرها مملعة وعينها ودرعاها .. ولم  
أسمعها نكلم احدا .. وإذا رأتني نظرت في عيني ولا تقول شيئا . أما الولدان  
فهما زميلان في المدرسة . أحدهما معي في فصل الفصل . أن أول الفصل  
وهو آخره .. وظلنا كذلك حتى تركنا المدرسة إلى الجلمعة ..

أما السيدة شيري . أو شيري .. وإن كانت رثيل شديدا شلجوني .  
شجيرية .. ويحدثني للفرسية معا . ومع اللغات الثلاث . هي الأم الرفيعة  
الطبيعة الصنوع المرحجة ..

وهيأت أن والنبي مكشوفة تماما أن تطعنني في هذا الموضوع .  
أما الموضوع فهو أن أنقل كتيبي وملابسي وأعيش مع أسرة السيدة شيري .  
سأدا ؟ لي انقل والسلام . من أجل صحتي . ولم أجدني إلى أني أعمل أعباء  
كثيرة . بسبب بروة الثقة . وإن نظري قد ضعف بسبب الإساءة السيئة  
أو بسبب كثرة المذاكرة . أو سوء التغذية . وإن هذا القرار . انتهى .

وبل جمال . وجمع كتيبي وملابسي . وانتقلت من الدور الأرضي إلى  
الدور الذي فوقه . إلى سرير صغير في غرفة الولدين . أما كتيبي فقد أحضرت  
تحت السرير .. سرير .. وملابسي وضعت في أحد الأراج . ولم أعرف  
ما الذي يجب أن أعله بعد ذلك .. كيف أنام .. كيف أذكر .. إذا برلت إلى  
المدرسة هل أمر على والنبي .. وإذا عدت من المدرسة هل أنق الباب ماذا  
أقول لها ولماذا أقول لإخوتي ..

هل أستاذ من ملما لكى أرى مدام شيري .. هي قالت لي : قل لي  
يا ملما ..

هل أستاذ من ملما .. وإذا مرضت ملما هل أستاذ من ملما لكى أبيت  
عندها . وإذا أرادت دواء هل أنطلق في الشوارع أبحث عن الدواء . وإذا  
كان هذا هو ما يحدث كل يوم فما معنى أن أمضى معظم الوقت تحت ، ثم أذهب  
إلى فوق لكى أنام أو أتناول العشاء .. وأنام . فما المعنى ؟ وكيف أتحرك وأخذ  
سوري في الحمام .. وأينما ذهبت فعيون كثيرة تنظر ناحيتي .. أبيت والولدان  
وعاما .. كل هؤلاء يظرون ويعهمون ويقولون ، أو لا يقولون ، وأنا لا أعرف  
ما الذى يقولون .. ولا كيف أوصح ولا كيف أدافع عن نفسي .. عن موقفي



العلمي .. ولا أعرف كيف أبدو راضيا أو ساخطا .. أو كيف افقتعت بأن  
أكون بينهم .. ولا أكون نعت ولا أخاويل أن أتحدث عن الذين نحت . ولا إذا  
جاء ذكرهم أن أطلق بشيء .. كأنه من المفروض أن أقطع والذين واحوني .  
لماذا ؟ ما الذي جعل والذين فعل ذلك .. ماذا حدث ؟ وما سوف يحدث . هل  
انعتت مع والذين على ذلك .. إنها لم تقل لي شيئا .

وكل الذي قلته السيدة شهرين يوم حملت كتي وملايمي : أهلا وسهلا ..  
بيتك ومطرحك .. مع إخوتك .. لهم يتعلمون منك المذكرة والأخلاق  
والنجاح .. ظلت تتحدثون عنه وكيف يذاكر وكيف ينجح . جاء إليكم بنفسه ..  
تعلموا منه ..

وبعد سنوات سألت واحدا من أبنائها كم يوما مكنت عندكم . قال : ثلاثة  
شهور ..

وقالت والذين : بل تسعة شهور ..

وقال لي جميل : شهران ..

وقالت لي : أ .. كيف استطعت .. كيف وجدت قلبا يطاردك بعيدا فريها  
عن أمك وإخوتك سنة كاملة .. أين ذهب مكنت تقوله عن الأم وحيات الأم ..  
وعن الإنسان الذي لا يخل من الواقع .. وكل إنسان له واقع خاص .. تماما  
كما أن له إسما وجسما فله واقع .. ولا يصح أن يخل منه . وما هو قضاء  
وقدر هو عظيم الاحترام .. فهل تسمى ما حدث قضاء وقدر ؟ كان في وسعك  
أن تمنعه .. إنك لست طفلا رسيما .. ولا أنت طوية يقطبها من عرض  
الطريق إلى جوار الحائط إلى بقية الطوب في أحد الجدران .. ليس قدرا ولذلك  
لا هو ولا أنت تمتحق الاحترام . كيف حدث ولماذا ؟ هل تريد أن تقول : إنك  
أردت أن تعرف .. أن تجرب .. أن تفهم .. لقد جربت فهل فهمت . قل لي  
الآن .. فقد وجدت الآن ألف سبب لكي أسقطك دمة من عيني 11

وكتبت قد ابتعدت عن كل طريق تعشى به : أ ... وكل مكان .. ولم أعد  
أمر أمام بيتها دهايا وأياها من المدرسة .. وتفايت أن أرى أخاها واصدقاءه .  
وعندما وجدت صديقها أمام المكتبة حاولت أن تتحدث معي ولكني أدت رأسي  
بعيدا فلحجها ذلك .. ولم أعد أراها . ولكن : أ .. لم تطلق صبرا عندما

عرفت هذه الحكاية الغريبة .. لقد جاءت لزيارة والدتي وبعت لي واحدا من اخوتي . وبنادقي . ونزلت . ووجدتها قد جلست إلى مكتبي . وطلبت مني أن أغلق الباب وراءني . ولم تترك لحظة واحدة أرد بكلمة أو حتى أتنص بصوت مرتفع .. ولو أعطيتني الفرصة ، ملوحت شيئا أقوله ...

لقد كنت مأخوذا .. مملوبا .. مسحوبا .. من تحت إلى فوق .. فكما كنت غائبا تحت ، فلنا فوق أكثر غيلبا ..

كانت أيام تعلمة - نعم . منتهى التعاسة . فلا لنا فوق . ولا أنا تحت . ولا لنا طرف في كل المصافقات . ولا الصعك ولا الدفء . ولم أعد أشم تلك الرائحة التي تفوح من ثقب الباب ومن تحت الباب .. وإذا اتجهت إلى الدور العلوى ، أحاول ألا أنظر إلى شفتي وأغشى أن يفتح الباب فجأة ويراني أهد .. فلذا حدث فلا أدرى ما الذي يمكن أن أصله .. لم أفكر . لم أهد إلى حل . ولا ماهي للمشكلة ..

وفررت بنسي وبني نفسي أن أعود إلى تحت .. فرار .. وأحاول أن أجد صيغة مناسبة لتوديع السيدة شيرين وأولادها .. وفررت أن أجمع كتبي وملابسي وأهبط السلم في ساعة مبكرة واترك لهم خطيها أشكرهم على كل شيء .. هذا فرار ..

وفي يوم دق الباب وتلقموا جميعا بفتحون الباب . وسمعت صوتا أعرفه .. ونظرت إلى الباب من بعيد .. أعرفه طبعاً . إنه الشيخ دهليز .

قالوا : تفصل .. قلت له أيضا . وصافحته . وكانت مفاجأة مخجلة . فلا أهد يعرف أنني كنت أتنفي بالشيخ دهليز وأخفى معه .. فتلك قصة خالصة أخفيها بين طيات خكرياتي المتواضعة .

وكان هو الذي بدأ بالكلام . وتعامل بسرعة وبصورة مباشرة وتوجه بحديثه إلى السيدة شيرين قائلا : أنت تعرفين فقه إيني .. حبيبتي .. فنان .. الله يفتح عليه ..

ولم تكن هي تعرف هذه الصلة ..

ومضى يقول : انقطع عنا شهرا . سألت عنه . قالوا إنه تزوج بنت واحدة غنية وجئت أسأل . صحبح واستعانم .

صعكت السيدة شيرين : في هذه المس يزوج . الله يصححك يا سيدنا  
الشيخ ..

.. لا تقولى : سيدنا .. أنا لست سيدا لأحد ولا حتى لمراسى أنا أرتدى العمامة  
ولكى لست سيدا .. أنا رجل علم جدا .. أسأليه . هاه .. هاه ..

وسألتنى السيدة شيرين : من هو ؟

قلت : إنه عم الشيخ دهلير .. يا معلم

فالت بصنوب : قل يا ماما

قلت : الشيخ دهلير يا ماما .. يعنى ويحفظ الشعر .

قلت : يعنى ؟ والله ؟

والبنات قلن . يعنى .. الله .. تعرف ؟ .. والله فرصة !

وبسرعة غريبة ظهرت الطلبة والرق والعود والتفت الفتيات حول الشيخ  
دهلير وعلى إصااع الطلبة . والرق والعود : لا والنبي يا عبده . والنبي  
يا عبده . !

وأغبيات أخرى كثيرة . كانت معجأة لى . وقمنوا للشيخ دهلير الشاي  
والقهوة .. وكان سعيدا وهم أيضا عندما طلب إليهم أن يشربوا القهوة لأنه يريد  
أن يقرأ لهم القرآن !؟

أما زوجته فهي التى سعيته إلى باب الشقة على أن يعود بعد ذلك . ولما  
علدت قرأت لهم جميعا للقرآن ..

ووعدهم بأن يعود . ثم أخرج خطابا من جيبه وقال للسيدة شيرين : حصرتك  
المت شجرة الدر غنام .. ألقت كذلك ؟ !

قلت : مضبوط ..

قال : معنى خطاب من المت شج شج .. نعرهينها \*

قلت . طبعا هى التى قامت برفاقى من عشرين عاما كيف حالها .  
وحسننى سلم عليها . وقل لها اسى سوف أكون سعيدة اذا رارتنى ..

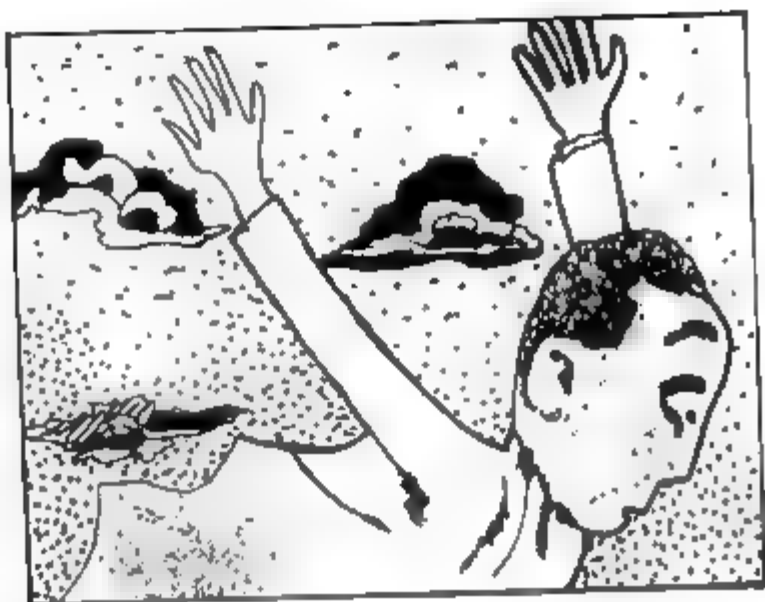
قال الشيخ دهلير مودعا . يا سب شجرة الدر لا تقصينى من الذى جاء فى  
هذا الخطاب .. لقد جاء رمزؤه فى المدرسة وقالوا بك أرعمت والده على  
أن يعيش بينكم .. يقولون إيك نعت مبلع من المال . يقولون . رمزؤه  
يقولون .

صايفه السيده تجره النر وهي نول . تعود نادم ما هذا .. به نعيم  
سار طيب . وأن احب ان يكون بين اولادى . ثم به ليس بعيدا عن والده  
هم فى النور الذى تحبها . فقط ان يكون مع الاولاد .. انهم يحبونه . هذا  
فى ما هناك . ولا أن نسريت ولا أمه باعت . ولا عدى عروسة . ولا هو  
عريس .. أنا مثل والدته .. حالته .. عنه . وأنا الأحظ انه ليس بعيدا .. بل  
م .. قد نعيمك كتابا .. لا هو ذلك ولا تولادى .. وأنا لونت لن اسعده ..

لكن مادام ليس بعيدا ولا رملناؤه وربما والدته . فهو على كيفة نسا  
وانجه الشيخ تظير باميسى . ومدينه جنى وجنى وقال ' مبروك ياعم ..  
أفرح !

كانت لحظة مظهره . لا أنا شكوت . ولا أنا صغت بالإقامة عندها . هذه  
معنى لا أعرف كيف أحيط بها . ولا كيف أحسها . ولا دار بينى وبين ونسى  
و الشيخ تظير نو رملتى حديث أو حوار عن هذا الذى أنا فيه .. وأحسنت  
بالجمل الشديد من السوده وأولادها جميعا . فلم يسره لى أحد . لا بكلمه  
ولا همسه ولا إشارة ولا لميحه .. ولكن الإساءات الكثيرة جدا كانت فى  
عمافى .. فى داخلى .. على شكل نطصات فى المعده .. ومحص وأوجاع فى  
حشائى بعد كل وجبة . وعند المذكوره وعند تحول الحمام . وعند المرور  
امم شكنا متجها إلى أعلى ..

كنت أشعر نسى لا أصعد إلى فوق . وإنما أنا أسقط . أسقط . أسقط إلى  
فراغ لا فاع له .. أسقط فى دمايى .. لقد بذلت جهدا كبيرا جالكي أنفكر تلك  
الأيام . فقد تعلمت كل فترائى العقلية على معو هذه الفترة من عمرى .. وكنت  
جهدى أعظم وأعظم عندما لسمعتها . ولسمعتها وتكرنها وجمعتها  
وسجلتها .. إنها الأيام المسية أو التى يجب أن نطل مسية فى طموسى !



شجرة الدر لأخر مرة  
وجاء لطفى السيد

## شجرة الدر للأفندية وجاء لطفى السيد

فى ذلك الوقت كنت أعى فى حفلات المدرسة .. وكنت أعى فى الجلسات الخاصة بين الرملاء .. وكانوا جميعا يغيرون ألبسا . أحمل هذه الأصوات كان للرميل جمال أبو ربه .. والذى أصبح بعد ذلك مؤلفا لقصص الأطفال . كان صوته طويلا جميلا .. وكنت أحب الاستماع إليه .. ولتردد فى أن أعى أمامه .. ولكنه شجنى . وكان أكثر واقعية عى . فقال : عندما تصل إلى القاهرة يهرب من الجامعة وينفرغ للفناء والطرب .. ولا دراسة ولا زهت ! أما المقهى الذى أغلقناه علينا فهو مساحة من الأرض فرة .. كلها تراب وبعض الصناديق الفارغة .. والباليص .. والدكك المكسرة .. والسقف فوقنا هباب أسود .. وقماش يغطي المكان .. ونخان للجورة والشهنة بعد إلينا حانقا .. وموضوعا للمقهى والرائد .. ولذلك يجب أن تتعالى أصولنا لكى يطفى على كل ذلك ..

وفجأة سكنت كل شيء . لقد ذهب الشيخ نور الدين إلى صاحب المقهى وأعطاه مبلغا من المال ، فأقبل الرائد . ووقف نور الدين مائتفا إلينا قائلا : والآن .. بستمع إلى مطربنا المجهول .. صاحب الصوت الجميل ر : البجة ، النفلاوية الساهرة .. إلى ..

وأشار ناهيتى . ولم أتوقع ذلك . ولكن لا مفر .. وقال للشيخ بعليز : آه .. عدى اقتراح يا سيدى .. رغم أنسى لا شارب لا اسود ولا احضر . قل يا حبيبى من مقام الحجار : تنبى على العشاق .. الله بكرمك .. قول .. بس اصعط على الآخر .. أحب أسمع .. الله بكرمك يا سيدى .. حتوحننا .. الله يلين الظففة واللى بدعها .. ما كنت قاعد معا .. وقننى ومن بى اللبى ما حد واخذ منها حاجة .. الظففة تعرف إيه ظس × صفه .. هاهما .. هاهما ..

وجاءت السيدة شبح شبح .. وجاءت الزرافة . وأمسك الشيخ نور الدين  
بالطبله .. والتف الزملاء حولى ..  
ورحبت أغنى من مقام الصبا .. هم الذين يقولون إسم للمقام .. فأنا  
لا أعرف .. وكان يماعننى جمال أبو رية .. ويهمس فى أذنى بأن أرفع  
صوتى ..

تنبه على العشاق فى حال خضر  
مفككة الأزوار محلولة الشعر ..  
برعق الشيخ دهلير : مفككة الإيه .. محلولة الإيه .. آه .. فك الزرابر  
يا سيدى .. فك .. الله بفكها عليك .. تانى ..

تنبه على العشاق فى حال خضر  
مفككة الأزوار محلولة الشعر  
فقلت لها : ما الإسم ؟ قلت : أنا التى  
كوبت قلوب المشفقين على الجمر  
شكوت إليها ما ألقى من الهوى  
فقلت : إلى صخر شكوت ولم تدر  
فقلت لها : إن كلى قلبك صخرة  
فقد أنبع الله قزلال من الصخر

الشيخ دهلير : صخرة والنبي صخرة .. بنت للصخرة .. أقعد انت  
أفك أنا الزرابر على طريقى .. القرارة يا واد يا رهبرى يا ابن الصخرة ..

#### القزارة ١.

وبدأت الأصوات تتلاشى .. فقد تعب الجميع .. ونهرنا .. دون أن نتفق  
على موعد .. ودون أن يملئنى أحد منى مسافر . لقد أرهقنا لغناء والرفص  
والترديد .. ولما طلب منى الشيخ نور الدين أن أرافقه غلنا إلى البيت ،  
اعتذرت بأننى سوف أصحب الشيخ دهلير .. قال لى الشيخ دهلير : مطلوب  
منك مجهود كبير .. فلما دلج على الآخر .. وصوف أجد متعة كبرى فى  
الوقوف على الأرض والندمفة فى الوحل .. فلا تتركنى .. وإذا كنس على  
النوم ، ضعنى إلى جوار الحائط .. وتعالى خدا أوفقنى .. ولا تنس التطور ..

ببصر وجبة وشاي محض .. هاها .. هاها .. واليبي أخوتك سوده يا ولد  
يا بغير .. يا واد يا يلير إنت .. آه .. فيك نفس نفسي .. أعنى أنا ..

عشنا يا نعم عيش

إفنى كالفستين

اليس من شؤم بضمي

أصبت نفسي بضمي !

وقال : وحياتك لم يحدث شيء من هذا .. لا عشت ولا عاشت .. ولا إلفى  
ولا عشتين .. وأين هي العين التي سوف أحمدها بها بضمي .. هاها .. هاها ..  
أهو كلام حلو .. المسمم القادم من النيل أنعمشى .. أين نحن الآن ؟  
قلت له : أمام قسم البوليس ..

قال : أعوذ بالله .. حدى إلى مكان على النيل .. أريد أن أحدث إليك ..  
أنت صعبان على جدا ..

وجلسا معا .. فى صمت .. وطال صمته .. واستغرق فى النوم ..  
وبركته .. ومصت دقاتى .. وانشغلت بما فى داخلى .. واستعدت ما كان فى  
بيتنا .. ما دار بيبي وبين والدى .. وحاول والدى أن يجلس على ركبته ..  
فلما كبرت على هذه الجلسة حشر سنوات ..

قال : يبقى الابن صغيرا فى عيسى والديه حتى لو كان عنده أولاد .. قل  
لى : علما فريد أن تكون عندما تكبر ..  
قلت : لا أعرف ..

قال : بالتقريب ..

قلت : لا أعرف .. منى مسافر إلى القاهرة ؟

قال : سوف أسافر أنا أولا .. وأبعت لك بمن مسافر معك .. عندنا بيت  
جميل فى الزمالك .. أحمل أحياء مصر .. عندنا شقة مستقرة .. إنه قصر له  
حديقة جميلة .. ونحن لنا شقة علية لها سلام وسوف يكون فيها معا .. فإذا  
جاءت والدتك وإخوتك سوف يسكن معا فى مكان آخر أكبر وأوسع ..

وأجسنى أطلع إلى وجه والدى .. أراه هو الآخر بوضوح .. لنا مدمش  
من حالتى .. قلنا نطرح إلى الناس .. وأفتح عيسى جدا .. كل شيء أصبح يبرز  
منونا .. والذى أبهى الوجه مع إصرار .. للمبتلى خسران .. طويل عريض



يرتدى البذلة والصديري دائما .. والكرافة التي تكتف حولها سلسلة ذهبية ..  
وهناك سلسلة أخرى للساعة يضعها في جيب الصديري .. وله منظار ..  
وصوته هادئ .. وإذا تكلم فإنه يمسك يدي أو يهرسي منه ..

ولابد من هذا السؤال : ماذا تفعل الآن .. هل أنت في حلجة إلى كتب  
قل لي وسوف أبعث بها إليك .. إذا صابك كتاب ، أي كتاب ، لا تستمر في  
قرايته .. اقرأ فقط ما يجعلك تشعر بالانيماس . إذا جاءك كتاب ووجدت أنك  
لا تستطيع أن تتركه وجاء موعد الطعام لا تأكل .. وجاء موعد النوم ،  
فلا تقم . وليس سهلا أن تجد مثل هذا الكتاب ، ولست عابرة هذه المنة ..  
أحرص على هذه المنة .. فإنها أروع ما في الثقافة .. صدك كتب ؟  
قلت - نعم .

قال . كلها ممتعة ..

قلت : ليست كلها ..

قال : هل لا يزال أصدقائك هم الذين أعرفهم ..

قلت : ربما زلوا اثنين أو ثلاثة ..

قال : أراك حزينا . لماذا ؟

قلت : أمي برناد مرصها وأنت لست معها .. ولا تكتب لها خطابات ..  
وسبع الإيجار متأخرين وأنا لا أستطيع أن أقوم بأي عمل آخر .. حاولت أن  
أعمل في محل في شارع السكة الجديدة .. ولكن نصي لم تطاوعني .. ثم  
وجدت زملائي على استعداد للصغرة معي ..  
وبكونت . وسكت والذي طويلا . ووجدته قد أخرج منديلا من جيبه ومسح  
نموحه هو ..

وعدت من هذه القضية الحزينة إلى الشيخ نعلور الذي صبا من يومه وجعل  
يهرني أنا لكي أتفق من المرحلي الطويل . وقال لي : أنت لا معجبي لا اليوم  
ولا أي يوم .. لماذا هكذا صامت . ما الذي ينقصك .. لك رجلان .. الحمد لله  
لك عيوان .. وأبويا وياح في المدرسة ومرف تدخل الجامعة .. ألف شكر  
لك يا رب .. ما الذي يضايك .. إنك تمكث في النور الأرضي .. ولكن مكان  
النور الثاني يحسدون أمك عليك .. ألم يطلبوا إليك أن تعيش معهم وتكون  
لهم .. ورينا أعطاك قدرة هائلة على الحفظ .. وحفظت القرآن الكريم وتحفظ

حرف البيت الشعر . وأصدقائك يحبوك . بصراحة أنت مش جدع .. وأنا  
حي جبال .. كنت أريد أن ألقى ببصبي في الليل القليلة . ولكن لا أضل لك  
سرى . أعرف أنك سوف تحكى ما حدث .. هل سميت كيف جئت نروى  
س .. ما حدث لصاحبك هورى مع أبيه وأمه .. كيف تشاجرا وكيف أن هورى  
ك .. يبكى طول الوقت .. وكنت أحب أن أستر صديقك .. ولذلك أن ألقى ببصبي  
في اسيل .. ثم أنك مش جدع .. وحبك هذه البيت آمال . اسمها آمال ..  
ولا سمها فامضة .. آمال كانت مخطوبة لصاحبك بمرى .. هل قلت لك ذلك ؟  
قلت . لم تقل شيئا .

قال . جامك كلامى .. كذبت عليك .. وتلافى آمال هذه لم تعطك بدما ..  
ببما كانت كلها في أحضان بمرى . لباس مظاهر .. أنا أعرف ذلك تماما ..  
ن .. لم أفقد بمرى إلا منذ سبع سنوات .. لقد كنت أرى وألعب وأستمع ولكن  
حدث ما حدث .. مظاهر كلها كذب .. وعيبك أنك تصدق كل شيء .. طيب ..  
عبيط .. وحريى على يه مش هاهم ؟ عارف الشيخ نور الدين كان عاشقا للمنت  
شيخ شج وطلب الزواج منها وهو صغير .. فرفضت طلبها .. وضربتها .. وكنت  
صربها .. ولكن الشيخ نور الدين أصاح للكثير من مثله عند قدمى شيخ شج ..  
ولا يزال يحبها . ويحب أن يكون بالقرب منها .. ولا يزال هو الذى ينشئ لها  
بالأرز والسكر والدواجن .. كل أسبوع وحباتك ..  
قلت مندحشا : لا أصدق ..

فان : إن شاء الله ما صدقت .. لكن هذا هو الذى يحدث .. هل سألت نفسك  
ماد . الرجل صاحب البيت يصرب زوجته اليهودية .. لا تعرف .. هذا الرجل  
عاجز جسديا .. وزوجته هذه شريفة كريمة .. وهى تجمع الفراء وتقدم لهم  
الطعام لوجه الله .. وهو رجل بخيل .. وفد لسولى على طوسها وأمنكها ..  
وكل يوم يهدمها بالطرد .. وأنا أعرف أنها سوف يهرب من مصر . أنا  
عارف .. لماذا لأن الواد شولمان الذى يسميه شولج من أقاربها .. وهو  
سوف يهرب .. ولكن لا أعرف متى .. ويوم تحدثت أنت وإيها جمال صربها  
وصرب جمال وطرفهما .. لأنه لا يحب أن يدخل بيته أحد .. وهذه السيدة قد  
أسلمت هى وإيها من أربع سنوات .. فهى سيدة صالحة وهو رجل حفيظ  
شريف .. إنت مش جدع أبدا .. إصحب .. إليك أن تنام .. هل تعرف كلميليا ..

قلت : من هي ؟

قال : صديقة أُمِّي .. كانت محطوة لصايط بوليس .. تركها وتزوج خالمتها .. ها كان منها إلا أن عاكمت صايطا آخر يكرهه . وسوب تنزوج هذا الصايط انتقاما منه . فرف .. وأنا لا أعرف لماذا أصبحت بسك .. لا أنت أحببت .. ولا خطبت ولا وعدت بالزواج .. ولا أي شيء .. ولا لمست يدها .. وأصبحت البلاد تتكلم عن أحبيب عيب شهنته المنصورة .. وبصراحة أنت لم تجد أحدا يعلمك .. لا أهك ولا الكتب .. هل من المعقول أن يحب الإنسان امرأة .. المرأة لم يخلقها الله لأن يحبها . يا أخي ربنا يقول : ولقد كرما بني آدم .. ولم يقل كرما بنات هواه .. ويقول إن كيدهم عظيم .. وقال إن كيد الشيطان كان ضعيفا .. ومعنى ذلك أن الرجل أضعف من الشيطان والشيطان أضعف من المرأة .. وفي هذه المس تحب ليه وتنبل ليه .. يا شيخ بلأ فرف .. اسمع

- نعم ..

- إصيح وكلمني كويس .. هل قبلتها ؟

- لا

- هل عانقتها ؟

- لا

- هل وعدتها بالزواج كده وكده ؟

- لا ..

- هل اصطدمت بها .. اختلطت إنك تمشرت في طوية ثم ألقيت ببصك على

صدرها .. حركة يعني ؟

قلت : لا ..

قال : عندما أرادت المس شج شج أن أتزوجها .. كنت لم ألمسها .. فتمشرت وألقيت بنفسي عليها .. ووجدت أنها مجموعة سعدات ويطانية .. نعم وشعم عظيم .. لو ألقت ببصها فوقى لكنت نهايتي .. ورفضت الزواج بعد هذه المعايمة . التي لم استخدم فيها عيسى !

ونهب .. وسحب الشيخ دهليز في طريق السكة الجديدة المظلمة الباردة وقال لي : لا تصدق عينيك .. كل ما تراه كذب .. الرجال يكذبون

والنساء يكتبن أكثر .. والمرأة عندها غريزة .. فهي طول عمرها محروبة بالجرمة .. ولذلك فهي تمسك الرجل الذي تضربه بالشيشب .. ثم تنكي لأنها لا تجد الرجل الذي لا يضربها ولا يعذبها .. ألم تقل لك : أ ... ! اضربي فلما انحط في .. بطونتي .. ألم يحدث .. لا ..

إن أنت لم تسلمها فحصة لكي تتظاهر أملك بالكبرياء لكي تكلها وتعذبها ونحتقرها .. شج شج هذه الجبهة في ليلة من ليالي الأتس .. وجنتها تنكي .. قلت لها : مالك .. قالت : ليس هي حياتي رجل .. يشخط وينظر ويصرب ويطرود ويجعلني أنام كل ليلة وبموى على خدي .. فصنحت يدي إلى الأرض وأمسكت للشيشب ورحت أضربها .. وهي تصرخ وأقول لك الحقيقة : تولاني الرعب لأنها تستطيع أن تسحقني .. وفجأة وجنتها هجمت على يدي قبلها .. من يومها وأنا أحتقر هذا الإنسان الذي اسمه المرأة .. أنا أعرف أنك لن تأخذ بما أقول ولكن تذكر ذلك عندما نذهب إلى القاهرة . لا فرق بين بدات المسورة وبدات القاهرة .. فالمرأة واحدة وإن تغيرت صلاتينها وشبابها .. لا تدرع إذا قلت لك : إني كافر .. ملحد .. وهذه قصة أخرى .. إذا جلسا معا سوف أحدثك كيف أنسى كبرت بكل أحد وكل شيء .. ليس الآن .

ولم بدر الشيخ طليز أنه حزني بحنف وصدمني في كل حائط وفي كل عمود نور .. ثم ألقى بي على الأرض وراح يدوسني بأفكاره الجريئة .. ثم يلقى بالطين على رأسي .. قلم أكن أتصور أن هذا للرجل : الهجاس : لديه هذه الأعماق .. أو عنده هذا الفهم من المرأة ..

إن كل الناس يعرفون حكايتي - وهي ليست حكاية فلا هيها شخصيات ولا فيها أحداث .. ولكن مشكلة تكبري أن يكون لأي إنسان هذا العدد من الأصدقاء الذين يحبون الكلام ومثل الكلام .. إنهم إذاعة متعددة الموجات .. وكلهم يريد أن يكون مدرسا ومحاميا وأديبا وشاعرا ومطربا - جميعا صناعتهم الكلام .. قراءة الكلام وكتابته وألقاه .. وأنا المحدث الوحيد الذي يستحق كل هذا الاهتمام .. أنا الطوية التي سقطت في هذه البحيرة الهائلة .. أنا الجنة التي طغت على سطح هذا المستنقع الرلكد .. مفضل - أنا بهذه الصفة ولكن لا أدرى . وكذاب أيضا .. أي برويتي كاذبا . فلا أحد يتصور أن حزني هذا لأسباب كثيرة

نصيحة عائلته لاجتماعيه . فهم لا يجنون سببا لهذا الحر : فلما طالب متعوق .  
 وأعيتني مع أنسى ، وأنسى حي .. وفي طريقي إلى الحمامة .. إنى لا أعنى  
 للحزب .. فإذا كان حرر لو أنسى أو شجن فالحبيب هو هذه القصه الحرامية .  
 والحقيقة غير ذلك .. ولكن الناس لا يصنفون إلا ما تقع عليه عيوبهم .. فهم  
 إنى لا يعرفون الحقيقة . لأن الحقيقة ليست ما يرون . وليس عند الناس وقت  
 لكى ينحنوا ويحللوا ويصنعوا . ولذلك فلنأخذ طالعون وعيوبهم مصالحة . وليس  
 حبا من الناس أن ينحنوا عني .. ولا أنسى صاحب بطولات حارقة . ولا أنا  
 قوس وهي ليلتي .. وإنما الناس يسلون بظلم الناس وفسيحة الناس وبهيلة الناس  
 وتشويه الناس .. واستغلال الناس . فهم يعاملونى بشكل ، وينحنون ورائى  
 بشكل آخر . وأنا لا أصدق إلا الذى أرى . والذى أراه كتب . ولكنى  
 أصدقه .. معك حق يا شيخ دهلير . من أين أنتك كل هذه الحكمة .. أنت الذى  
 لا ترى وأنا الذى أرى ؟ وكيف أنك جاد هكذا وهارث فى نفس الوقت ..  
 فلا الهرل حقيقته ولا الحد .. أو أنك هارث حقا حريص حقا .. هي وقت الهرل  
 منتهى المسعرة ، وفي ساعة الجد هي منتهى الصدق . ولكلك لا تعرف كم عند  
 السكاكين التى أغصنتها في أماكن مختلفة من جسمي ومن بعضى .. حتى أ ..  
 هي الأخرى .. إننى لم أعد أرى وجهها .. فقط حسبتها .. التى هي لغز ..  
 لا أعرف كيف أصعها .. موسيقى من الإيقاع والإغراء والانفاس والانتفاث ..  
 تمشى ويطير .. بعضها يمشى وبعضها التلنى بحاول الطيران .. أحب أن أراها  
 داهية وأن أراها قلعة .. سميت أن أف في منتصف دائرة وهي تلف حولي  
 حتى الموت . كرهت هذا أيضا . لماذا أصبحت أرى كل شيء بوضوح .. إلا  
 هي .. أهذا هو الحب ١٢

وفاجأني الشيخ دهلير . إنه مجرم ذلك الذى اخترع كلمة الحب .. لا شيء  
 اسمه الحب .. إنها لحظة جدوى .. رجل يريد أن يفقد عقله وامرأة تريد أن  
 تلعب بهذا العقل . مقتل مثل حضرتك بنوه .. بدوخ .. ويقتل نفسه ويقول  
 لها : أحبك . ولكنها لا ترد مع أنها تموت عليك ومن أجلك .. ولكنها تبلى  
 حروفها وتستخدم في كلامها معك كل الحروف إلا الحاء والياء . كيف  
 لا أعرف .. من الذى علمها ؟ لا أعرف .. ونحن الرجال بمنتهى البسط لا نجد  
 في كل حروف اللغة إلا هذين الحرفين .. هل تعرف زوجتي .. أنت رأيتها ..

هي التي قلت لي : أحبك .. وبعد أسبوع من الزواج قلت : أنا أحبك لأنك  
مرهف القبي .. أي أنها أحبتني من باب الشفقة .. طبعي هنا رجل أعشى ..  
ولاحظ أقرابي أنها تصرف في وضع الابيض والأحمر . لمن إذا كل روجها  
أعشى ؟ ومن شهر بعد الزواج قلت لي : إني أنا معروف .. فلم أكد أنمكن منها  
حتى بدأت أجري من البيت .. فهل معقول أني أنا أنمكن منها .. كيف . تريد  
أن تقول انني أنا أغوي ، وأنها أصعب .. وأنا استطعت أن أستحل عظمها لكي  
يس إيمانها .. كذب طبعاً .. وبعد سنة من الزواج قالت : أنني صعبت عليها  
حتى جعلتها تقول : أنها تحبني .. أي أنها لم تكل ذلك .. ولا وجدت سبباً  
معقولاً .. وإنما هي أرادت أن تمكثي فقالت إنها تحبني .. والآل أنت تعرف  
البدعي .. مع أنني لا منظر ولا منصب ولا أي شيء .. ولا يوجد عدى أية  
وسيلة للتصط عليها .. إن هي قتي صحت على لكي تتزوجني . وأهممتني  
أنها تتزوجني لأنني رجل طيب .. كله كذب .. أبداً هناك في مصر بشكل  
حر .. عفا الله عما سلف .. وكأنك لا رأيت بسات ولا جلست إليهم ولا تحببت  
ولا تميت .. اهرب بجلتك .. اهرب يا مبدعي . اهرب يا حبيبي .. وسوف  
تهرب . ولن أقول لك كيف تهرب . وكل واحد له طريقة في الهرب ..  
وسوف تهرب .. انذهب بي إلى بيتنا .. ربما لأخر مرة سوف تنفصل قريباً  
وبسرعة إلى شاء الله ..

قلت : وأين ستذهب بعد ذلك ؟

قال : أين ؟ إلى حيث بدأت . إلى شجيب المثل شج شج .. هاها .. هاها ..  
وهم بينه وحدث بعض القرملاء في المنظر لما . غريبة .  
وقالوا معاً : إننا في انتظاركم من ساعتهن ..

وقال الشيخ دعلير : أهو .. استلموه .. الآن أحسن من أي وقت مضى ..  
شده الله بعد الكلام للفارغ .. ولين شاء الله سوف يتم شلوه عندما يذهب إلى  
العمارة ولن يرى أحداً منكم يا كذابين يا أولاد الكذابين .. أصبحوا كما أميتهم  
على رحت ١

ومحكوا .. وصحكت أنا بصورة عصبية .. وإذا الشيخ دعلير يقول :  
.. الله .. أسمعا تلتني .. إصبعك والفتى بالقوى .. الله .. إصبعك  
.. سدي .. عدي لكم جميعاً مفاجأة كبرى . عدا تحيتون وسرل معاً ..

وترتدون أحسن ملايسكم .. مفاجأة كبرى .. أنا الذى سوف أقولكم أيها  
العميان .. غدا ..

ما هى المفاجأة . لم يقل .. ولكنه كان جليدا .. واقترعت منه أسأله فهمس  
فى أنفى : لطفى السيد .. سنجلس إليه فى بيت أقاربه .. الساعة العاشرة  
صباحا . ١

لطفى السيد ؟! لقد رلرنا هذا الرجل الأعشى الأعرج الهجاس الجاد ،  
المستهز المتكلم الكاهر الهلس الذى لا يغمى إلا شبرا جيدا .. ويكره اللغة  
العلمية فى العناء .. أنا لا أصدق .. ولكنه يتظاهر بذلك .. فهو عندما يقسم  
بأنه يقول : عندما أقسم بأنه قلنا لا نكذب .

إن كيف يقسم ما يكرر به .. إنه هو الآخر يكذب .. ويريد أن يهدس  
بصفت .. وهو قد وعد بأن يلتقى بالأمجاد لطفى السيد ، الذى هو من أقاربه ،  
وقد وفى بالوعد .. ورغم الهبسة والفوضى التى حوله والذى يردى فيها كل  
لولة ، فهو لم يمس .. ورغم أننا نراه معظم الوقت هس لا يعلم من الذى كله  
بالاتصال بلطفى السيد ونحدد موعد لنا قبل أن يرى الرجل الذى هو معجزة  
الدقهلية مثل على باشا مبارك .. وحسين هيكى بلشا والشاعر على محمود طه  
والشاعر المعشوى ولم نكنوم ..

• • •

بيت له حديقة على النيل . ومولانا الصمت والاحترام الحاصر لطفى السيد .  
ولكن أحدا منا لا يعرف من هو بالضبط لطفى السيد .. ماذا كتب ماذا قال ..  
ولماذا هذا الاحترام العظيم له .. فكل حديث عنه يجب أن يكون بحساب  
وباحترام بالغ .. فعندما اقتربنا من البيت .. وجدنا بوابة جالسا على مقعد أمام  
الباب .. اقتربا منه لم ينهس . قال له الشيخ دهليز أنه على موعد مع التيه  
الكبير .. وقام البواب متكسلا وهو يرمقنا جميعا بما لا يستحقه من الاحتقار ..  
وطالب منا الشيخ دهليز أن تصف له البواب فصصك وقال : أعور ٢ ..

وإذا يدهليز يطلق كالمندفع : أنت يا ولد يا عبد الرمولى يا بواب يا أعور ..  
تعالى .. إلى هذا البواب كل يعمل فى القمهى للمجاور لبيت لست شج شج ..  
وهو يعرفنى جيدا . ولأن كل يتجاملنى الآن .. ولكن لا بد أن يعرف مقامه ..  
لا بد ..

وجاء البواب .. وقال : انفصلوا في الصلوات بالدور الأرضي .. وسعادة البية سوف يجيء إليكم بعد شرب القهوة ..

وقاطعه دهليز : يا عبد الرمولى ..

قال البواب : نعم ..

- طبعاً نعرفنى .. أنا الذى كنت أدع لك البقشيش .. تمام ؟

- تمام يا سيدنا الشيخ .

- كذاب .. أنت تعرف لى لم أكن سيدنا للشيخ .. هل تعرف أن سعادة البية يبقى ابن خالتي .

- أعرف ..

- هل تحب أن ترى سعادة البية وهو يقول بدى .. لا .. من صحيح .. هذا

أفكر من عدى .. هاهنا .. هاهنا ..

وجاءت القهوة . وجاء لطفي السيد . وقد ارتدى عباءة .. جلباب .

وصافحها وعندما جاء الشيخ دهليز قال له : وأنت يا إيليز كيف حالك .

لا تزال تمهر وتسكر وتغرر بهؤلاء الأطفال .. أخرج من بينهم إليها الشيطان .. كم عمرك يا إيليز ..

لم يرد دهليز ..

قال لطفي السيد : أنت هي من عدد الكرم .. إنى أنت هي الثامنة والعشرين

لأن .. ولئى كنت تبدو أصغر من ذلك كثيراً .. قل لى آخر ما نظمت من الشعر .

ودهليز لا يرد .. لكن وجهه قد امتنع .. وجلس قبل أن يجلس وقبل أن

يطلب إليها أن يسريح ..

وقال لطفي السيد الذى بدا شمعى لوجه مشدود المعالم يتحدث بالقلم العربية

بطريقه غير مأثورة .. كان يحنثا وكأنه يحطب فى اجتماع سياسى كبير ..

كانه لا يرى أنما ستة أشخاص .. ستة طلبة جاموا للدرجة عليه ، لأنهم

لا يعرفون من هو .. وإنما فقط ليروا من هذه الشخصية العظيمة الاحترام فى

بلادنا .. ولم يتكلم دهليز .. ويبدو أن لطفي السيد قد اعتاد أن يتكلم دون أن

يوقع رداً من أحدا .. ولذلك لم يحرم على أن يطلب إلى دهليز أن يتكلم ..

ولابد أنه لا يعرفه جيداً .. فلو كان يعرف أن دهليز غلبوى لأنقشه هذا



الصمت . ولكنه لم يندهش إذن هو لا يعرفه هي جلمات الهلس والعريضة  
وأخيراً تكلم : الصيال دول .. أراؤوا أن يجلسوا إليك قبل سهرهم إلى  
الجامعة !!

ولا أعرف ولا أتذكر شيئاً مما قاله لطفي السيد : قال كثيراً في موضوعات  
شني .. ووجدتها فرصة لكي أشرح وأستحضر أشياء كثيرة قالها دهلير ..  
ومما قلت ومما قال غيري .. هي الماضي البعيد وأخيراً وما قال والذي ..  
وما قالت لمي .. وما قلت .. أو ما تحدثت لمي قلت .

وراح الكلام ومعالجه .. وحده . وداخلت الصور .. ولم تبق إلا صورة  
« مشيداً » بعيداً . وكلما ابتعدت وتلاشت عادت ووجدت لتتلاشي .. هي  
لا تمضي إلا لكي تظهر .. ولا تظهر إلا لكي تختفي .. وكذلك كل الأصوات  
والعبارات وأنبيات الشعر والموسيقى . ودقات الطبول .. ولوعة الكمان  
وتباريح العود ، وخفان الطلبة .. وشهقات الشيخ دهلير ..

انتهى .. ما الذي انتهى .. لا أعرف كل شيء انتهى .. العنصرية  
انتهت .. المدرسة .. هي .. وأنا انتهيت .. وتحدثت لمي أصعد فوق الكتب .  
سلمة سلمة .. أصعد .. وأصعد وهجأة أترعطق ثم أقع من فوق .. طائراً  
بعيداً .. كأنني سحابة .. لا نحنى ولا فوقى .. ولا أنا أى شيء .. انتهى ..  
انتهيت .. 1

• • •

وهي محطة مصر وجدت والدي هي انتظاري .. لا أعرف ما الذي قاله .  
ولا أفرى من شوارع القاهرة شيئاً .. ووقت التلكمى أمام بيت ..  
وقال والدي : حمد الله على السلامة .. تعلم للعنوان ٣٩ شارع شجرة  
النور ..

واينسبت لآخر شجرة نور في حيلتي .. ولم أقل ، ولا هو قال شيئاً !



شجرة الدر : أخرا العنقود

## سجرة الدر آخر الفقد

لم أعد أجد كتاباً أقرأه في المكتبة العلوية . ولذلك أخذت كتاباً معي . وجلست إلى جوار النافذة المطلة على النيل . ولأول مرة أنظر إلى النيل . مع أنه هناك كل يوم . ولكن بدأت أنقل عيني بين النيل والسماء .. وأخذت الكتاب . اعتدت أن أطوى الكتاب . دون أن أفكر في شيء ، وأن أنظر إلى الجالسين معي في المكتبة . أكثرهم من طلبة المدارس . ولاحظت أنهم يقلبون الكتب بحسب . الورق في أيديهم يصرخ . أيديهم غليظة . الورق يتكرمش . إنهم لا يعرفون كيف يتعاملون مع الكتب .. لماذا جاءوا ؟

اقرب من أمين المكتبة وسألني : مالك ؟

قلت : لا شيء .

قال : أنت لا تعجبي . أنت شخص آخر غير الذي عرفته . لا تقرأ . لا تتكلم . لم نعد الكتب الموجودة هنا تعجبك . صحيح أنك قرأت أكثر الكتب هنا . ولكن ما تزال هنا كتب نمتحق القراءة . كتب قديمة ولكنها قيمة .

ثم أشار إلى جانب من المكتبة . واتجهت عيني إلى حيث أشار . ولم أشأ أن أقول له أن هذه الكتب عندى في البيت . وأنها من أحب الكتب إلى والدى . وأنسى قبيت فيها كثيراً . ولكن لم أقدر على استعمالها .. حاولت ولكن لم أستطع إنها : التفانى للكبرى ، لا ينفع . إذا كان من الضروري أن أقف على مفرد لكي تصلها أصابعي ، فإن عني يحتاج إلى سلام طويلة لكي يبلغها ويحيط بها . حاولت ويكفيني هذه الآن .. ومن الممك أننى موف أعود إليها عندما أكبر ..

ولكن الذى لاحظته أمين المكتبة صحيح . ولذا أيضاً قد لاحظت على نفسى مراحى .. مأخوذ .. شيء ما يسحبني إلى مكان ما بعيد .. ما هو هذا الشيء . لا أعرف . هل هناك ما يضاهىنى ؟ هل هناك ما يشغلى ؟ لا شيء ؟

لا أحد . ولكنى غير قادر على التركيز .. عظمى مثل أصابع مشدودة معدونة ..  
لا تحتفظ بشيء . بل كل شيء ينساق دون أن أجد القدرة أو الرغبة فى التثبيت  
به .

ونعلمت أن أنظر لنفسي فى المرأة . ونطرت وتكررت عيناى على عيني .  
النظرة حريئة . العين سائرة .. للمرأة على شفتي . الشعر قصير جدا . لأول  
مرة ألاحظ ذلك . وأعود مرة أخرى أنظر إلى وجهي . شيء ما أعجبني فى  
نظرتي . تسى أفكر . ويتكرر كيف بهرسى صورة الفيلسوف الألمانى هيجل .  
العجبة عالية واسعة . والראس كبير . والعيان واسعتان قد امتلأت بالكون .  
والشغل ممتلئتان . حتى النعم يبدو وكأنه هو الآخر قد امتلأ بكل ما فى الدنيا ..  
ولم أر بقية جسم الفيلسوف ولكن هذا الذى رأيت يكفى .. ورأيت صورة الشاعر  
الألمانى جيته .. وصورة للموسيقار بتهوفن .. وتداخلت كل هذه الصور ..  
ولا أعرف ما هو الفرق بين كل هؤلاء .. ولا ما هى القيمة الحقيقية . فأنا  
أعرف عن الفيلسوف . والتقليل عن الشاعر . ولم أستمع إلا مرة واحدة  
للموسيقار .. وكان ذلك فى إحدى حفلات السيد هرش ووسط هذه التجليات  
اليهودية فى المنصورة .. ولكن هذه الوجوه الرائعة تطل من كل الصفحات ..  
حتى عندما نظرت إلى نفسي فى المرأة كنت أحاول أن أقتل أى واحد من  
هؤلاء .. فكنت أفزع عيني وأطبق شمي وأبدو كما لو كنت كبير الرأس معتملى .  
لنعم . ولكن ليس عندي ما هو أكثر من ذلك ..

ولما قرأت ما كتبه فى مذكرتي التى احترت لها عنوانا عربيا عجيبا . قال  
نى القدر قل . فقلت : ولا أدرى من أين جئت بهذا العنوان ولا بهذا الحوار  
ولا بأن يكون الحوار على هذا المستوى الرفع . ولو سألت نفسي فى ذلك  
الوقت عن معنى القدر . ما وجدت تعريفا لذلك .

وقرأت فى المذكرات : لا أعرف أين أنير وجهي . لا أعرف أين أهدى  
مسار عيني . لا أعرف ما الذى أقوله لزملائى لو قابلهم . لم يعد عندي كلام .  
ولا عندهم أيضا . هم يقولون وأنا لا أسمع . هم يصيحون وأنا لا أرى سببا  
لذلك . إذا ساروا تقدمهم أو انحلت عنهم . كأننى لا أريد أن تكون هناك  
علاقة .. أو إذا كانت علاقة . فأنا حريص على تبديدها .. تمريرها ..  
إعذارها .. لماذا ؟ كل شيء ممل : لصواتهم .. وجوههم .. السريق .

الناس .. للكتب .. كلامي عمل . تفكيري عمل .. المرأة ممتلئة .. أو الوجه الذي  
يطاعني منها فيه إلحاح كثير . فقد رأيتُه أمس ، وأول أمس .. ولا معنى لأن  
أراه اليوم أو غدا .. عمل .. للندى ممتلئة .. هذه للكتابة .. هذا للورق هذا القلم ..  
هذا الجبر ..

إن هذا هو الذي أصابني بصورة واضحة : إنه المال !

عندما وجئتني محتاجا إلى أن أغير لوجوه والطريق ومواعيد الخروج  
والعودة إلى البيت ، ذهبت إلى حديقة ، شجرة الدر ، .. لختلعت الألوان في  
عيني .. أوراق الشجر صحراء .. الأوراق أكف تتصول الاهتمام بها ..  
الأعشاب على الأرض جافة . المقاعد صافت .. صغيرة نهزت عندما جلسنا  
عليها .. لم أجد شيئا من كل هذا الذي كنت أجده قبل ذلك .. أين اللون الأخضر  
وأين الأحمر والأصفر والأبيض .. وأين رقة السماء .. وأين الفضة في  
قرص القمر ..

شيء عجيب .. كأن للعالم الخارجي ليست له ألوان . وأن هذه الألوان  
تخرج من عيوننا . فليسعد يجعل الدنيا حوله سعيدة .. والشقى يجعلها كذلك .  
والذي لا يستطيع شيئا تفنن للدنيا كلها في خلقه . أو تسقط من عيبيه أو تنهار  
من أنفيه . فالدنيا كلها تخرج منا وتتشكل وتتلون وتقرب وتبعد كما نريد .. فهذا  
المقعد جلست عليه وقتت وسمعت . وتحيلت . وكان يصنع لثلاثة معا .. وضائق  
بي وحدي .. شيء عجيب . وللكتب التي كنت أجدها من نعم هذه الحياة . لم  
تعد من هذه الحياة ولا حتى لها حياة . وكنت أنا قلبها الذي يثق كل يوم ومنذ  
سنوات .. فلا أنا قلبها ولا القلب يثق .. مرص أصاب الدنيا .. شلل .. ولكنه  
أصاب نيباي أنا .. فأناس كما هم . والزملاء يجيئون في نفس الموعد .  
ويعشرون معا ويساقفون ويصحبون . ثم تتعثر دنياهم . لأنهم لم يتعبروا . إن  
أنا مريض . ولزمت البيت ..

وجامسي الزملاء يصحبون واسمعت شيئا من الانعاش . وقال واحد منهم :  
هل من المعقول أن تجلس بالمساعات أمام ملجأ الأطفال ثم تريد أن تكون سعيدا ؟  
وكنت قد سميت تماما أنني مررت بملجأ الأطفال . وتوقفت عنده طويلا  
ورأيت السيارة تنقلهم وترعهم أمام البيت . وتتهالوى الأيدي والأرجل تدفع  
الأطفال إلى داخل الملجأ .

وجذبني هذا الملجأ تماما .. وظللت أيلما أتردد على بابيه .. وأقف عنده .. وأرقبه من بعيد .. فقد تصورت يوما أن السعيد من لا أب له ولا أم .. السعيد : طفل ولد في الطريق .. وألقي به .. ثم امتدت يد رحيمة ونقلته إلى ملجأ .. وكبر في الملجأ لينأ لكل الناس .. قريبا منهم .. فإذا خرج من الملجأ استطاع أن يختار لنفسه من يشاء من الإخوة والأيام والأمهات .. لا شيء معروف عن عليه .. إذا تعذب فهو الذي اختار وإذا أسعته الأيام فهو أيضا الذي اختار .. وأما الذين يقومون بتربيته والصفاية به فهم موظفون .. ألف مدرّس والأم مدرسة .. وإخوته كل الأطفال اللقطاء .

إن ملجأ اللقطاء مثل .. مثل الورد .. فالورد ينقلون شجراته من الأرض إلى أوعية فخارية في المنزل .. في البيوت الصغيرة للرجالية .. ويبدو الورد في الوعاء الفخاري .. ثم ينقلوه إلى الحديقة .. فهو ينقل من مكان إلى مكان .. كل يوم هو في أرض .. ليس مرتبطا بأرض ولا بأحد .. ويلقى العناية من الجميع .. إنه الكفيط مثل الطيور في المزارع .. ينقلونها من بيوت الفلاحين إلى حظائر الدواجن .. فالحظائر أرحم كثيرا من البيوت .. والأوعية الفخارية أكثر حنانا وعناية من الأرض الشاسعة ..

ولكن لم أر المساعدة على وجوه الأطفال ولم أفهم .. ووجدت أنه لا بد أن يخلهم أحد على هذه النعمة التي هم فيها ولا يعرفونها .. لا بد أن يكون من واجب المدرسة أن تقول لهؤلاء الأطفال .. أنهم لا ينتظرون عودة الأنبياء وشقاء الأم .. إنهم لا يدورون في الشوارع يبحثون عن الدواء .. ولا يقفون أمام الأفراس يبحثون عن الخبز .. ثم إن لدينا لا يفسر ولا يلعب إذا تأخروا عن دفع الإيجار .. وعندما ينتم الواحد منهم فإنه يغرق في النوم .. فلا يسمع آهة مريض ولا سعال أطفال .. ويكون هذا المريض أباه أو أمه ويكون الطفل أخته .. إنه ليس ممنولا عن أحد .. فكل الناس مسئولون عنه .. نعمه .

ولكن لم أشهد إلا الحرى في عيون الأطفال .. وأنا أحب الأطفال .. أو أحب أن أكون على مقربة منهم .. هل لأنني لم أجد أطفالا في بيتنا .. هل إذا زارنا أطفال فالفترة قصيرة ؟ ربما .

ولابد أنني كنت سارحا تماما عندما استنكر أحد الزملاء أنني أتردد على ملجأ اللقطاء القريب ..

ثم قال زميل آخر : لقد رأيتك منذ أيام وقد وقعت تورع الملبس على الأطفال أمام باب المدرسة .. من رأيك يقول أن الله أخا أو أختا .. هاها .. هاها ..  
ملاح حدث . فقد ظننت أن هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى بعض العلويات . واشتريت . وذهبت . ولكن الأطفال خطفوا الملبس . وكلفت أصابعهم مثل منافع الدجاج تحطف حبات القمح وتجرى دون أن يبدو عليها المساعدة بذلك . ليسوا سعداء . ووجوههم هي للحرر النعير . وعيونهم نموع جافة . والمدرسون في غاية القسوة . وجوههم مجرمة . وعيونهم كراييج لا الأطفال سعداء ولا المدرسات . ليس ملجأ . وإنما هو سجن للأطفال . وكل هؤلاء الأطفال محرومين . لابد أن يلقوا جرائمهم . مع أن الأطفال سحيقة .

وتشاء الصدفة وحدها أن أروى صديقا من أغنياء المصورة . كبيرا في السن . أنيق الملبس . يميز ويبدل في ملابسه وفصلته وكرافاته كل يوم كيف ؟ إنه كذلك .. إنه غير بقيه الناس .. وفي بيته وجدت إحدى المجلات لأندية .. وقلبت ووجدت مقالا لمصطفى صادق الرافعي عن «عربة اللقطاء» .. فقد رأى عربة تنقل اللقطاء إلى الشاطئ .. والعربة يجرها حصانان . والحاصلان في حوار حول هؤلاء الأطفال المساكين . وفرت مقارنة بين هذه العربة وعربة الكلاب .. وأذكر له وصفا لهؤلاء الأطفال فقال :  
إنهم أولاد التجرة على الله . والنمى على الناس والاستعجاب بالمترايع .  
والاستهزاء بالمصائل . وهم الكراهية الخارجة من الحب . والوقامة الآتية من المحل . والاستهتار الصادر عن الندامة .

وما أسدفته عندما قال : لنقسم الأطفال بوجوه بنومة !

وكرهت الأستاذ الرافعي فقد كان قاسيا . ومن أدراه أنه ليس رينا غير شرعى ، كيف عرف أنه ابن والديه ؟ من الذى قال له ذلك .. ومن هذا الذى على يقين من أنه ابن حلال ؟ ثم ما نسب هؤلاء الأطفال ؟ .. إنهم صحايا .. ولكنهم بشر . مسكينين . والذى ينتظرهم في الدنيا أكثر قسوة ونعاسة من كل ذلك .. إنهم يعانون كل يوم .. إنما لم نطع في إلقاء القبض على المجرم فحسبنا القتل .. وكان القتل طعنا ولم يكن قتيلا ولكننا نقول قتله بانتظام كل يوم !  
فما الذى أحرزنى ؟ ما الذى ضلوقى ما الذى أهرعنى ؟

فقط انهزمت أمامي . وانهزمت بي أيضا : أفكار كثيرة كنت أقمتها في  
الصمت وحدي . وهي أن أسعد الناس : اللقطاء ..

وما دام اللقطاء ليسوا معداء ، إذن فلا سعادة في هذه الدنيا ؟  
وكل من بين الرملاء شاب لطيف رقيق . كل أكثرنا هدوءا . أما أبوه فهو  
خطيب مسجد الحميدية . وهو من أحب الناس إلى الناس . وأكثرهم صلحة  
وبلاغة . وكل صوته قويا مليئا . وقلت للرميل : أريد أن أرى والدك وحدي ..  
ممكّن !

قال : طبعاً . متى ؟

قلت : اليوم ..

قال : هل تنترك الرملاء ؟

فقلت : أرجوك ..

وفي الطريق سألتني : إن كان شيء قد أصاب والدتي .

قلت : لا شيء .

قال : ولذلك ؟

قلت : لا شيء .

قال : إذن أنت تريد منه أن يقرأ لك سورة ، يس ، لتخفف عنك الأثم . أو  
تريد أن يكتب لك حجاباً ..

قلت : لا ..

قال : إذن أنا عرفت .. وكان يودى أن أنصحك . ولكن لم أثنأ أن أتدخل  
في شئوك . تريد أن تشكو له ابنة أخته ؟

قلت : مبن ؟

قال : وأ ..

ولم تكن أعرف ذلك . ولم يكن عدي سبب واحد لكي أشكوها . أو أشكو  
أحدًا من الناس .. عدي إحساس أني ، صغيث ، حساسي مع الذنب كلها .. وليس  
لي حق الحياة . انتهى . لاهي البيت ولاهي للتنازع .. وكل صور السعادة قد  
انهزمت أمام علج اللقطاء .. ثم إنه ليس هناك أحد يعنيه امرى ، ولا يعينني  
أمره . كل الحيوط تقطعت . والأرض تحت همى بئر عميقة مظلمة باردة



وما أخط .. فلا شيء أراه ولا شيء أسمع .. ولا أرض تحت قدمي .  
ولكنني أخط .. أخط ..

عسى مشككة أريد أن أعرف ربه فيها ..  
قال : مشككة الشيخ نظير .. تريد أن تدرك المدرسة وتحترف المعاش ..  
لا يوجدني إذا كنت أحول أن أسألك .. فالطريق أمامنا طويل .  
قلت : لا ..

قال : إن هل صحيح ما يقال من أن جمال ابن صاحب البيت يريدك أن  
تعمل معه في مكان الوريث .. مكان الوريث هي شارع السكة الجديدة .. لن  
أقربه بملكون هذا المكان وهو يتردد عليه بالنظام ..  
قلت : لم أكن أعرف ذلك ..

وأعتقد أنه سألتني كثيرا ولكنني لم أجد ما أقوله .. ووقفت أمام البيت .  
وقال : في الدور الرابع .. والسلام مظلمة ومظنة ومكسرة . ويجب أن نساعد  
على الجدران .

وقد تولاني شعور غريب .. إن السلام هي أيضا بنز مقبوه .. إنني  
أصعدنا نور وعي مني .. فأنا لا أصدق وإنما أنا أخط .. وإن بعض لحظات  
حتى نقلب السلام ونكون بنرا .. وأخطها على رأسي .. نوحه . من الموكد  
سي دائخ وأسي الذي أنور حول بصي .. أما الدنيا فهي على حالها ، محتلة  
مستقيمة عريضة .. وتسايف نشاطها اليومى كما هي .. ولكنني .. نعم ولكنني  
ألهى ارتبكت كل خيوطه . وتصصمت كل عقده .. وأصبحت مثل عنكبوت  
فرر كل هذا السيج تم سقط صحبة لكل ذلك .. فأنا الذي أهررت خيوطي  
وعقدتها .. وتعلقت بها مشوقا .. وأنا الذي شغفت نفسي وأنا الذي أبحث نفسي  
وأنا الذي حكمت بإعدامي .. فنتهى الظلم !

ووجدتني أمام الشيخ محمود عيد البر أخطب خطباء المنصورة . وحده .  
وهو ارتدى جلبابا أبيصا وطافية ببصاء . واضرب علاء الدين إبيه وعمس في  
سبه . فقال الشيخ محمود : تفصل يا إني أعلا وسهلا .. أخرج أنت يا علاء !  
حيلا يا إني .. كيف حال الأسرة الكريمة ؟

- الحمد لله يا أستاذ

- وصحتك

- الحمد لله .

- إني حبيب يا إني !

- لم أعد فاقرا على القراءة يا أستاذ ..

- استرح يا إني . أنا أيضا يمر بي أيام لا أفتح كتاب . وأحاول ولكني

لا أستطيع .. العقل تعب . العين تعب .. النفس تعب . قال رسول الله ﷺ :

« إن لبدنك عليك حقا » ! أنا أعرف أنك مرأ كثيرا

- ولا حتى كتب المدرسة .

- إنها جميعا كتب . كتب المدرسة وكتب المكتبة . ولكن منذ متى

يا ولدي ؟

- منذ شهر ..

- هل تمام جيدا ؟

- نعم .

- وبأكل ؟

- نعم ..

- لم أعد أراه في المسجد ..

- صحيح . إني لا أذهب .

- لماذا ؟

- فالمسجد هو الآخر أصبح مثل الكتب .

- آه . أنت جلست مع الشيخ دعليق . إن هذا الرجل مهمل . لقد كان خطيبا

لمسجد في نصاب . وطردوه لأنه طلب من المصلين ألا ينحلوا المسجد لأنهم

جميعا كتابيون ماضون . وفي يوم وقف على باب المسجد . معلنا أن الذي كتب

أمن لا يحل . وحاول مع الناس صنعوه من الصلاة وخطبة الجمعة ثم

طردوه ..

قلت : ولكنه لم يخبر يا بشيء من ذلك . إنه يعني ونحن كنا نعني وراءه .

ولم أعد أراه منذ شهر ..

قال إنه هو .. أنا أعرفه .. هو .. لا أحد سواه ذلك الشيطان اللعين  
قلت . ولكنه ليس شيطاناً .. إنه رجل لطيف رقيق ..

وجاءت حاجب القرفة . وطلب مني أن أقرب . وكنت القرفة ساحبة جدا .  
ولمعتني وصرحت صرخة مكتومة . وصحك وقال : مدد هذه اللحظة لي  
تعرف عنم القرفة . فاللسان المنسوع لا يتدق شيئا . هذا الذي لمعتك  
بـ ولدي ؟ حتى لم يعد شيء ، طعم على لسنتك .. أهى ، آ .. . أنت صغير  
وهو صغيرة يا ولدي . وأفكر كما صغيرة .. والطريق أمامك طويل .  
ولا تجعل على كتفك شيئا الا .. سوف تعمل الكثير على رأسك وقلبك ..  
المثل الشعبي يقول : معها نعيم .. أي أبعاد الأحمال من فوق المركب هكوي  
حقيقة نعيم بسهولة .. والمثل حكيم . ولما لم أفكر في الزواج إلا بعد أن  
سحرجت في الأثره وإلا بعد أن استقرت الدنيا ناعما . ولما تزوجت انحزرت  
و حدة تعرب بالصبط ما هي طبيعته عملي .. فزوجني أبوها إمام مسجد سيدى  
شمس الدين الشربسى .. وهي كريمة من أسرة كريمة . والحمد لله .  
هل صحك الرجل . هل أغشى عليه . هل سقط من فوق المقعد ، هل تعظم  
حجاب القرفة في يده هل جاءت زوجته هل جاء كل الأولاد ؟ هل انفتحت النوافذ  
ورأيت كل الجيران حولي يصيحون عندما قلت له : يا أستاذ أنا أريد من  
حصرتك حزمة

قال : بكل سرور يا ولدي .

قلت . أريد أن أدخل إلى ملجأ للقطا ؟

ووجدت نصي أنعز في الشارع علدا إلى البيت !

• • •

وهي اليوم التالي أحسست بشيء من الإرتياح . فلم يقل الشيخ محمود شيئا .  
ولكنه استقبلني وحشني وسألني . وحاول . أنا لم أقل شيئا هنا لم أعرف ما هذا  
الذي أشكو منه . وهو حاول . ولم يهتد إلى حل لأنه لا يعرف المشكلة ..  
يكفى أنه كان أنا .. أو في لحظة كل أنا .. وأنا كان قد أضحكك الذي قلت ،  
ولم يه شيء مصحك . فهو لا يعرف التاريخ للتويل لهذا المعنى . ولا العاء

اليومى الذى أروح بحتة . ولكن لا أجد نصي صبحكا . وإنما هى المعجزة التى  
نصحبك . ولو جلس معى واستطعت أن أحكى له لكلى أقل صبحكا . بل لعله  
يكنى .. كما يكنى الناس وهم يستمعون إلى خطبته فى المسجد .. إن الشيخ  
دهليز نفسه هو الذى لم يكف عن الصبحك عندما ظلت له : وماد ، لا مدخل  
القر .. لئرى الملائكة كيف يحاسبونا ؟

فقال صبحكا : أما أنا فلى يحاسبنى أحد .. إنا جاء الملائكة فسوف أقول  
أنا لا أعرفكم . أنا أعصى .. فتحوالى عيسى ثم حامسوى .. ولو فتحووا عيسى  
لهربت منهم هاهنا .. هاهنا .

وكنيت أعجب بأفكار الشيخ دهليز . لو على الأصح كانت معجبتى فيه أنه  
يواظب على أفكارى . وكان يقول : والله ملجأ اللقضاء أحسن من القرف الذى  
يعيشه مع الست شح شح .. على الأقل نغنى وبرفس على مراجعنا .. ليس  
بالقوة ولا بالكرياح والنسخط والطر .. نعرف أول أمس كان عدى مفضل  
بمرفقى . ومع ذلك كنت أضى : إهرج باقتبى لأم كننوم .. وغيت البهر  
بمصحك ليه وأنا مارله لنلع املا القل .. والله حصل .. قرف .. سخره .. يمكن  
لأنى أعصى محتاج لمن يجرجرسى هنا وهناك . ولكن أنت م الذى  
يجرجرىك .. الدنيا واسمه أمامك .. إفل ما بذلك .. فالملجأ للمعيا فقط ؟

قلت : ولكنى لم أجد أرى

قال : إذهب لطبيب حيون !

قلت . ليس هذا ما أفصده

قال صبحكا : والله هذا ما أفهمه .. إنك تحدث أعصى عن جمال الدنيا .. أو  
بها لم تعد جميله . فكيف تنظر رأبى .. فمن لا رؤية له لا رأى له !

مقول ولكنه ليس مربعا . وإن كان لم يرفس مثل هذه الأفكار الجنوبية ..

وفوجئت بالشيخ دهليز على باب بيضا

وقال : قل لى أحمل ..

قلت : اتصل أحمل ..

قال : أين عرفتك ؟

قلت : اتصل .

قال : إفل البلب .. أنت أعطيتى فكرة كانت غلبة على تمام .. وأنا جئت

طلب مساعدتك بأى شكل . أنا تعيان مع زوجتى . وهى بعيانة . وهى تعب  
وأنا كما تعلم . وأريد أن أطلقها . لايد . هى قد سجلت للكثير من مشاكلى .  
ولايد أن تكون مبدية طيبة القلب . وإلا كيف بزوجت مصيبة منكلى . اما الخدمة  
التي اطلبها منك فهى أن تنجب معا ابلى قريبك المحلمى ..  
فقلت : لماذا ؟

قلت : موضوع خاص ..

ودميا معا ، وعاتحه المنيع تملير قائلا : يا صاحب السعادة .. جلست اطلب  
خدمة إنسانية لرجل أعصى . الله يسترك لا تعضضى . ليرد أن أحل السجن .  
فصعلك المحلمى كثيرا . وسأله : لماذا ؟

قال : لأننى فى سجن . كما ترى . ونحولى أى سجن لا يصيف لى شيئا  
جديدا . ولكن فى داخل السجن سوف أجد حرينى . لا شغل . لا إكراه فى  
المساء .. لا بحث عن الطعام لا روجة نص عليك بالطعام والشراب والحياة  
معا . الله يسترك إسجى . أنا معى الآن قطعة خشيش . وأرجو أن تهت  
الخادم يطلب البوليس لإلقاء القبض على .. الله يخليك يا معلمى البية .. ربما  
بكرمك كما أكرمى . إذا لم يكن السجن .. إذن أقدم لك بطلب آخر لى  
وتقريبك هذا .. أحلنا معا ملجأ لقطاء !

وعندما عدت إلى البيت وجدت جنتى لأمى ..

وهى ملامحها كل الذى يرهق الأعصاب . ولايد أنها جاءت لأسباب  
فهرة . فأنا لا أراها كثيرا ولا أحب .. وهى طويلة عيفة مشنودة العود ..  
مشنودة الوجه ررقاء الصبيى . تتباهى بأنها فرسية لوربية . لم أرها جللسة  
قط . وإنما كانت دائما واقفة لأن الوقوف يعطوها هذا الشكل الذى بأسر وبهمى  
وبوعود . وقد صربسى كثيرا . وتؤكد مر حى إلى حى أنها على استعداد أن  
يفعل ذلك لأى سبب .. توى خجل تؤكد هذه للمعنى . ونوى أن تلاحظ  
سحربنى منها واستكلى لهذا الذى تقوله . ولا تسمع ما يقال لها من أنسى  
كبرت .. وأنه ليس من شأنها أن توجه لى نقدا أو توجيها .

ولم تكد تراتنى حتى قالت : عندك إيه يا كلب ؟!

وكل الناس عندها كلاب صغيرة وكبيرة . وهى تذلل الناس بهذه الصفة .

أما بعينه التحبب أنت فهي للإلهانة . ولكن الكلب ليل على المودة والرفقة والتلطف  
وهنح فهو لب الكلام . فقلت : لست كلنا !

محاو لا أن أقبل باب الكلام . أو أي باب يبني وبنيها . ثم قالت : اليوم مسافر  
معي إلى بيت جندك . ليصنع أيام لكي تعود كلنا هوبا وفي صحة جيدة وبدلا  
من أن تبج جندك فبك نعصها ونأكل دراعها ..  
أيي وألك ؟

أه .. هذا هو السكين القديم ، الذي كانت تعمد في قلبي ويحرق داميًا وتتخرج  
عليه لتعتمد في مكان آخر .. من أجل ذلك كرهتها .. ولم أمتش في جدارتي .  
ولم أفرحم عليها لحظة واحدة . ومن أجل ذلك كنت أني بالتراب والقي به في  
حلل الطبخ .. ومن أجل ذلك حاولت إشعال النار في ملائمها !

• • •

وفي القرية .. انجهت إلى بيت صديق تركنا ومحل الأهر . أما النور  
فوجهه ، وأما الهنوء فكل جسمه . وأما الراحة والسعادة فهي كل الناس  
حولها . كيف استطاع ذلك ؟ كيف صار هكذا مختلفا عنا .. ثم إنه راض تمام  
الرضا ..

قلت له : كيف .

قال : القرآن ..

قلت : أي شيء في القرآن ؟

قال : نحن حفظنا القرآن معا . ولكنني انشغلت به أكثر وتعلمت كيف أبوسل  
إلى كنوزه وكيف أحسني عليها وأحرص .. وأصلي وأصوم وأتوب .. هذه هي  
السعادة الحقيقية .. ولتعبد إليه في كل الأيام .

وفي كل مرة أرداد راحة وتفتح أمامي بواحد الأمل .. شيء ما انصاء في  
داخلي .. أضاعني .. لا أعرف ما هو ..

وخرجنا معا . وتحت شجرة على نرعة صليبا . وأخرج من كيس كتابا .  
وقال سوف أقرأ لك :  
وقرأ :

قال تعالى : يا ايها الذين امنوا لمسيروا وصبروا ..  
وقال تعالى : وثبوتكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال  
والانفس ولتفروا وبشر الصابرين .

وقال تعالى : واستعينوا بالصبر والصلاة الى الله مع الصابرين .  
وقال تعالى : ولتثبتكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين .

وقال رسول الله ﷺ الطهور شطر الايمان ، والحمد لله . فعلاً  
المبرر ، وسبحان الله والحمد لله تعالى ما بين السماوات والارض .  
والصلاة : نور والصفه . برهان .. والصبر : صياء ، والقول : حجة لك او  
عليك . كل الناس يغدو : يفتن نفسه ، يفتنها او موثها ..

ويقال ان للرسول عليه السلام أعطى أماساً هائله حتى لم يبق معه شيء .  
فقال لهم : ما يكن من خير . هل تحبوا عكم ، ومن يستمع بكم الله . ومن  
يسمع بكم الله . ومن يصبر يصبره الله . وما أعطى احد عطاء خيراً من  
الصبر .

وقال رسول الله عليه السلام : عجباً لأمر المؤمن ان أمره كله له خير وليس  
للك لأحد الا للمؤمن ان أصابه سوء شكر فكان خيراً له ، وان أصابه  
سراء صبر فكان خيراً له .

ولما نقل العرس على رسول الله ﷺ قالت فاطمة رضى الله عنها : وأكرب  
أبناء . فقال عليه السلام : ليس على أبك كرب بعد اليوم .

فلما مات قالت فاطمة . يا أبناء لجاب ربا دعاء . يا أبناء حمة العرثوس  
موا . يا أبناء الى جبريل بسماء .. فلما دفن قالت فاطمة رضى الله عنها :  
اطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ النراب ؟

مر الرسول عليه السلام على المعابر فوجد امرأة يبكي فقال لها : إننى الله  
واصبرى . فقال - إليك عني . إنك لم تصب بمصيبتي .  
فعل لها : إته المي ﷺ .

فذهبت الى بيت رسول الله ﷺ فلم تجد عنده حراماً فغالبته : لم أعرفه .  
فقال الرسول : إنما للصبر عند الصلوة الاولى !

سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله عن الطاعون فقالت : كان عذابا يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يفع في الطاعون . فمكثت في بلدته صائرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له . إلا كان له مثل أجر الشهيد ..

وقال رسول الله . يقول الله عز وجل : إذا ابتليت عبدي حبيب ، عوصته الحنة ..

كان رسول الله مريضا . فقيل له . يا رسول الله إنك بوعك وعكا شديدا . فقال : أجل إني أوعك كما بوعك رجال منكم . فهل له . ذلك أن لك أجري ؟ قال الرسول . أجل لك كذلك . فما من مسلم يصيبه أذى شوكية مع وفائها . إلا كفر الله بها عن سيناته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها .

قال رسول الله : لا يتمير أحدكم الموت لضر أصابه ، فليس كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة حيرا لي ، وموئلي إذا كانت الوفاة حيرا لي . ذهب جماعة من المسلمين إلى الرسول عليه السلام وكان حاله إلى جوار الكعبة فقالوا : ألا ندعو لنا ؟

قال . قد كان من هلكم يؤخذ الرجل هو حذر له في الأمر . ففعل بها .. ثم يؤتى بالمبشر فيوضع على رأسه . ففعل بصين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصرفه تلك عن دينه . والله لن يتم هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذنب على عنقه . ولكنكم تستعجلون !

قال رسول الله . إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا . وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه حسه حتى يوافي به يوم القيامة .

وقال أيضا : إن عظيم الجراء مع عظيم البلاء . وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم . فمن رضى ظله الرضا . ومن سخط ظله السخط ..

قال رسول الله : من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفقه . دعاه الله سبحانه ومعالى على رؤوس الملأ يوم القيامة حتى يخيروه من الحور العين ما شاء . قال رجل للنبي ﷺ : أوصني يا رسول الله قال له : لا تعصب .

وهي إحدى العزوات قال الرسول عليه السلام لرجائه بعد أن غربت



سمس : يا أيها الذين لا تصوموا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا فهمهم  
فاصبروا ، وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف  
ثم قال عليه السلام : اللهم يا منزل الكتاب ، ومجزي السحاب ، وهارم  
الأحزاب ، إفرمهم وانصرنا عليهم ..

كم أمصيبا من الوقت . لم تشعر بشيء من العكاز أو الزمان . وإنما كل  
لذي أنكره في ذلك الوقت أن استردت الدنيا كل أوليها . الذرع أحصر  
والأنجار .. والقنوت . وانطلقت عطور من كل شيء . ولقراشات كآنها  
ملائكة .. أو كتبها كلمات طائرة .. أو كتبها دعوات صالحة .. وعبادة طهر  
الأطفال والأبهار والجواميس والأغنام . وكل شيء له لون وله صوت وله  
هجم .. وكل أصواء الدنيا انعكست على وجه زميلي الشيخ نور الدين . كيف  
هرا .. كيف كان صوته .. كيف كان شعره .. فما الذي فعله كل ذلك بهنسي ..  
نقد أصبحت أحف وريا .. أطول أعرض .. وحنيني قد نشرت ذراعي  
ومددت ساقي . واقطع واقطع أعواد البرسيم وأضعبها في فمي .. كأنني  
أريد أن أعبد الدنيا كلها إلى أصفى .. كأنني أستطيع أن أحتوي كل شيء ..  
وكنيت قد رفضت ورفضني كل شيء ..  
نعم : لا تنصب ..

قالها رسول الله : لا ينصب من أحد .. لا ينصب على أحد .. لا ينصب  
من نفسك .. لا تكن فاسيا عليها . لا ينصب .. لا تسقط لا ترخص .  
أمسك نفسك ، نطل الدنيا أمامك . إذا أطلقت العصب على نفسك ، فتدنها ،  
ولم يجد ما يعوضك عنها .. صدق رسول الله .. ما أعظمه ما أحكمه . إن  
لا بد أن أصالح نفسي على نفسي . فهذا قدر .. وهذا قضاء وقدر . وهذا  
مستحق . وهذا صعب . والطريق طويل .. ولا بد من الصبر على الطريق  
ويلااب الطريق . وأكثر ويلات الطريق : الناس !

وعندما بهنسي الشيخ نور الدين وهو يتسند على الشجرة . قال :  
قيل لرسول الله : يا رسول الله من هو أكرم الناس ؟  
فأجاب : أتقاهم .

فقالوا : ليس عن هذا نسألك !

فان جئت في يومك ...  
 فاني لست في ...  
 فاني لست في ...  
 فاني لست في ...

فاني لست في ...  
 فاني لست في ...  
 فاني لست في ...  
 فاني لست في ...

• • •

فاني لست في ...  
 فاني لست في ...  
 فاني لست في ...  
 فاني لست في ...

فاني لست في ...

فاني لست في ...  
 فاني لست في ...  
 فاني لست في ...  
 فاني لست في ...

فاني لست في ...  
 فاني لست في ...



شجرة الدر للأخرمة

## سجدة الدر للاغمرة

مضى وقت طويل قبل أن يخصص للمولد في رأسى وفي أحدى وهي عيسى ..  
وسماطت خطوط كثيرة كانت تربطني بالآخرين .. ووجدتني وحدي مرة  
أخرى .. ولكن أكثر عرلة من أى وقت .. وأخف وربما وحركة وأميل إلى  
المرح دور سبب واضح . ولكن شينا ما تقبلا كان هذا على رأسى .. كل هناك  
في قلبي .. كل هناك في قلبي ..

في الصباح الباكر ذات يوم وقفت على كرسي في غرفتي لأنظر إلى  
الشارع .. لم أجد شارعاً . إنها جارة صيقة . وهي مواجهة البيت توجد  
حراية .. وفي البيت المجاور وجدت هنا صغيرة تنظر هي الأخرى من  
النافذة . وجدتني تصعك .. طبعاً نمرضى وكنت أداعبها عندما كانت نعبو وفي  
حجم الكرة .. وكما نقاهس في حملها إلى البيت .. إنها للعبوة الشارع كله ..  
ولم أجد لها كما كنت أراها قبل ذلك ..

وخرجت من البيت .. وأمام الباب نظرت بحميا وشمالاً .. ثم إلى عتبة  
البيت .. إنها مثأكلة منهارة .. وإلى داخل البيت إنه كتيب كالحج .. والسلام  
سواء فندرة .. ولم لكن قد رأيت ذلك بوصوح قبل ذلك ..

وقررت أن أتجه يساراً . وأن أمر أمام بيت آ ... ، ولا أتوقف .  
ولا أحاول أن أستمع إلى شيء يجيء من النافذة . فلم تعد تهمنى : لا بيتها  
ولا صوبها ولا صورتها .. ولكن إذا كانت لا تهمنى فما الذى يبعثنى هكذا  
من جهدا خارقاً على تعادى تكرارها .. ولا أرى أخاها وصديقاتها .. ولكن  
ما يجب أفعل ذلك ، فهي إذن ما تزال تهمنى .. نعم تهمنى . ولكن أقل من دى  
هنا . فهل يا ترى لو رأيتها الآن .. هل تمرى الكهرياء هي جسمي .. وأجسدي  
سحرت إليها ومألها .. وانتظرت أن ترد .. أو انجبت إليها لكي أرميها ببطرة  
عاب ثم لا أنطق بكلمة .. أو أمسك يدها وأقول لها : أنت تسحنتى ..

وقيل أن نرد مسوؤله معني تلك الامم بعولي . نعم أنت فصحتني هي  
المتصور . كلها .. وأنت تعرفين السبب !

ولكن ماذا يحدث لو قلت هي . بل أنت الذي فصحتني وأنت تعرف ماذا  
جرى في المعنى المسخوف الذي يحسبون فيه .. أنت مالك . لماذا تعتمد أن  
نسمى إلى سمعك .. ما علاقتك بهؤلاء العاطفين الذين يعنون ويرقصون .  
لماذا لا تتفرع لذرومك .. ما الذي أصابك ؟ أين الكتب ؟ أين العسفة ؟ أين  
ما كنت تعلم به ؟ كل ذلك تبدد مع الطفلة والمرمر ؟ وأين ما كنت تقول عن  
المكان المفضل الذي بحثته والذيك من حياتك ؟ وريسي أن أصدقك بعد  
ذلك ؟ .. إنني لم أفصحك .. أنت كنت خطيبا ويعت به . وقرأته صديقتي ..  
وهي مسودع أمراري . وهي حكمت كل ما هزأت تصديقات أجريبات أقل  
تحكما فانتشرت قصيا في البلد . ولكن لا تظنق .. فالتاس يعرفون أنك  
حصول .. ويعرفون انني على خلق .. ولم يحدث ما أجهل منه ولا أنت  
أيضا .. فأنى هي الفصحة ؟

أو قالت : إنني الآن مطوبة فبعد عن طريقي ..

ووجدت أن الحوار في داخل يديني .. يتهمني . واقتربت من بيتها  
ودفعت الباب . واتضح ونخلت . لا أعرف كيف . وكانت هي التي تفتح الباب .  
وقالت : أهلا .. تفصل .

ونخلت . وغابت لحظات . وعذب تقول : شكرا . أن كنت متوقعة أنك  
سوف تجيء تسأل عن صحة ماما .. الحمد لله .. اليوم أحسن !

ولم أكن أعرف أن أمها مريضة . وإنما لنا فررت أن أراها . والحقيقة أسي  
لم أفرر . وإنما صدر فرار من جهة ما في جسمي . فامتدت يدي إلى الباب  
تدفعه ..

الشيء الوحيد الذي تغير هو أنني الآن أراها بوضوح . لم أعرفه من قبل ..  
لا بهم أن أصف لك اليب والصالون . ولكن هي ..

وقد ارتكبت غلطة هي أول لحمة ظف لها . يا فاطمة ..

قالت : الحمد لله فاطمة أحسن .. هي التي كتبت مع ماما . لما سقطت على  
السلم . فأدركتها أحتي فاطمة . وقد أصيبت بجروح بسيطة الحمد لله ..

الحمد لله .. إنها لم تنبئه إلى أنى أخطأت . والمعجب حقاً أنني لا أعرف  
هذا بهذا الاسم . ولكن لابد أن رعه هوية في داخلني أو فنتني في هذا للحضاً  
لكي أصيب مشكلة نهى هذه العلاقة

دعني أصعبها لك .. فلم أرها قبل اليوم بهذا الوضوح : سمراء حمزية ..  
منبوطة القامة .. ولكن في تكوينها عجائب العناصير . أما ابتسامها  
فمر بحة مصبنة .. روعة هجرة لكي تكون أكثر قرباً . أما عيناها . صوداوان  
جفيفتان لامعتان . متألفتان فلعان . سحان في رعدة دائمة . كأنهما  
حائرتان .. كأنهما للإنسان آخر غيرها . والذي نقوله نغناها بذكره عيناها ..  
والذي تعد به إسمائتها الكريمة المحبة ، نرفسه عيناها الحائفتان الرائعتان  
المروعتان . شيء عجيب . كل ذلك في وجه واحد . ولم تكن أعرف أن في  
رأسها كل هذه العمليات الحسابية المعقدة .. كل ذلك وأصبح في عينيها .. ولها  
سمة غريبة لا أعرف كيف أصعبها . حطوانها قصيرة : مصورة على غصن  
بمائل . أما الساقان فأبوثة كامله .. الساقان ملوحتان مستديرتان . وأما  
حصرق صغير . والحرام الذي يصحه دائف . بلغت العين إلى هذه التحفة  
جميلة .. وأما ما فوق حصرق شيء آخر .. كأن نصفها المنطلي لامرأة  
جميلة . أما نصفها العلوي فطائر كبير . فهي إذا مشيت باعنت ذراعيها عن  
حسنها .. كأنهما جناحان وكأنها بهم أن تطير .. ولكن نصفها المنطلي يعارض  
ذلك .. فهي الإنسان الطائر وهي الصاحك الحائف .. وإذا هي ذهبت بعيداً .  
فكأنها لا تريد ذلك ، وإذا جاءت فكأنها تريد ذلك . حيرة أن تعرف إلى من  
سميت إذا جلست معها . إلى هذه الدعوة . إلى إلقاء الدعوة إلى الإنسان ..  
إلى طائر إنها كنيز : كانتات مختلفه في جسم واحد .

بعمه الله على الشاعر الأعمى الذي قال عن محبوبته : كلماتها مخدرات  
بوسدها .. صمكتها شمعاعات أستدفيء بها غصباتها عواصف في هجان ..  
ولم أنشد من كل هذه الصفات إلا البحث عن مخدرات الكلمات .. عن الراحة  
في الكلمات أو بسبب الكلمات .

قلت لها : كم من الوقت أستطيع أن أجلس ها \*  
قالت : ما تشاء ..

قلت : عددي ما أقوله لك .. لآخر مرة ..

قلت : ولماذا آخر مرة ؟

قلت : تعرفين أنني سوف أتحل للجامعة .

قلت : كلية الآداب .

قلت : قسم الفلسفة ..

قلت : إذن أنت اخترت ما هو مناسب لك تماما ..

قلت : نعم .. هل أستطيع أن أعود حوارا قديما بصورة أخرى ..

قلت : لا بأس ..

قلت : نعلمين أنني أحببتك ؟

- لم لكن أعرف ذلك !

- قلت لك .

- ليس الاعتراف بالحب دليلا عليه .. فكثيرا ما انفعل الإنسان ، فقال كلاما

كثيرا ..

- نعم انفعلت ، ولأزلت . فعلا أحبك .

- والآن ؟

- لا أعرف .

- ولنا الآن متلك تماما لا أعرف . أنا بدأت هذه العلاقة بأنني لا أعرف

مشارعري ، ولست على يقين من مشاعرك . وأنت بدأت على يقين من

مشارعك ، وانتهت بأنك لا تعرف . إذن نحن في تلك سواء .. مع فارق

واحد ، إنك نادم على ما كان ، ولنا لست نادمة على ما لم يكن !

- من علمك هذه الحكمة ؟

- أنت الذي قلت أن المرأة تصبح أسرع من الرجل . وتذكر أوصح . ثم

لأنها رغم نموها ، أكثر واقعية من الرجل الذي لا يهكي لشيء أو من شيء ..

قلت : وما الذي جعلك هكذا خائفة .. هذا الحرف الرهيب في عينيك .. من

أين جاءك كل ذلك ..

- ما سمعت في أسرتي وما حدث لصديقتي .

- ولكم لست خائفة راضية .. وإنما أنت ترغيبين وترفضين في وقت

واحد .. لانتسامة تدعو ، ومطرة ترفض .. يدك هي يدي تصمط على أصابعي

، هي ترتجف .. فهي لا ترفض يدي ولكنها ترتجف بسبب ذلك .. إنني أكاد سمعك ترتجعين .. أكاد أسمع للجنب والشد في أفكارك .. مشيتك نفسها .. حنك العلوى بسحب نصفك المظلي .. والنصف المظلي بقومه لا يلقى به .. ولكن تعاملش النصفان معا .. كما تتعاملش إبتسامتك العريضة ، وشكوكك الزهيدة في عينيك .. أقول لك حاجة .. أريدك أن تنصوري سلاقا ركب سيارة : وراح بنوس البنزين والفرامل في وقت واحد . فالسيارة تحترق ، ولكن الفرامل تمنعها من التقدم شبرا واحدا .. أنت هذه السيارة .. أنت الموقر الصارخ والفرامل للعنفة .. أقول لك حاجة أخرى .. أنت مثل أهل الإسكيمو .. إنهم يبدون بيوثهم من الجليد .. وأنت تحلفين أن يقترب منك أحد ، حوفا من أن تزدري أنفاسه العارقة وأنفاسك إلى تذويب الجليد فيهار البيت فوقك .. أقول لك حاجة أيضا : أنت مثل حيوان القصد .. لا تريدن للضاهد الأخرى أن تقترب منك حتى لا تفسد الأثراك بعصها في بعض .. أقول حاجة أخيرة : أنت هذا القصد وكذلك نزعيت جللك وارلديت هذا الجلد بالمقلوب .. فالملمس الخارجى ناعم مثل إبتسامتك ، ولكن لفؤوك مثل مطراتك قد إنغمس في لحمك فأنت ترتجعين في صمت .. أنظري إلى عينيك هي المرأة ..

قالت : يعنى ماذا ؟

قلت : يعنى أنك معدية ولذلك لا يضايقتك أن تعدي الآخرين .. بل أنت تنعمدين تعديب الآخرين ..

قالت : أنت مثلا ؟

قلت : خطيبك اليوم وزوجك غدا ولولادك بعد غد ..

قالت : أشكرك على هذه النصيحة سوف أخرج على إسماعلهم جميعا ، والاكتفاء بمداهي لنفسى ..

قلت : لا أستبعد ذلك .. فأنت سوف تفرمين بنفس الدور ، ولكن على نحو آخر .. سوف تكونين الشجرة التى تحرقها الشمس .. ولكنها سوف تحمل هذا العذاب ما دام الجميع يعمون بظلمها للولوف ..

قالت : هذا صحيح .. ولكنك لم تكن نصلح أن تكون زوجا .

قلت : ولماذا ؟

قالت : أنا لا أحب الرجل الذى يفتنى في غيره من الناس وينسى نفسه ..



لا تعصب منى .. إننى رأيتك قد تعديت نعلما فى حبك لأملك . هذ خلق عظيم .. ولكن لا أحب الرجل الذى يمسى نفسه . ولا أحب الرجل المتواضع .. أحب الرجل المتكبر . أحب الممرور .. فأنت أشهر تلميذ فى المدرسة .. وأول كل الشهادات .. ولكن عندما التفتت بك كنت أمتوضعك إذا كان هذا صحيحا . فكنت تقول : إنه صحيح .. ولكن صوتك وطريقتك وأنت تقول ذلك : كأنك تعتد عه .. لا أحب ذلك .. ولا تعصب منى ولا أحب الرجل اللجول . أحب الجريء .. الذى يفعل أى شئ . وبعد ذلك يفكر فيما حدث .. أن يعتد عه . أو لا يعتد مطلقا

قلت : هل نعرف منى لم أكن أعرف أن شيئا قد أصاب والدتك . لقد قررت أن أراك . ولهذا جئت .

قلت : أحب هذا ..

قلت : ولم يحظر على بالى أن أتافئك ولا أن أسألك عن الحب . كل ذلك خطر ببالى الآن .. وإنما جئت أسترجع كتبى .. عشرون كتابا . أريدها الآن عورا هل سعى إلى القاهرة .. وأرجو أن تكون بطيعة كما كانت .. ألا تدين أنسى مختلف نعلما .. أنسى شخص آخر غير الذى عرفت من قبل . هل أشكرك .. هل أشكر الشيخ دهلوز .. هل أشكر نور الدين .. هل أبوس فمى ويدى والذى الذى جاعلى منه خطاب طويل بهمنى بنجاحى ويتسمى مريدا من النجاح ويدعونى أن أسافر إلى القاهرة وحدى بمص الوقت قبل أن تلحق بى والنفس وإخوانى .. تغيرت الدنيا فجأة .. حتى أنت تغيرت فى عيسى ..

قلت : أنا تغيرت .. هل تراسى قبيحة .. هل حاب أملك .. هل كان يصيبك أن نفقى معا .. وأن نتزوج فيما بعد .. أرجوك تقول لى : كيف أبدو الآن .. وكيف كنت أبدو قبل ذلك .. هل تعرف أنك لم نقل كلمة واحدة .. إننى كنت ألاحظ أن عيبك تكرر مرة على شفى ومرة على عيسى ومرة أصابعى .. ومرة أجلك تقابنى بطولك عندما أتركك .. وكنت أتمنى أن أسمع منك كلمة واحدة عن هذه الإحساسات .. ولكنك لم نقل كلمة .. ويوم قلت لى : أن صوتى كله أنونة وأن بهرات صوتى أصابع ورموش .. كلها تداعبك وتدغدغك وتثيرك وتحرك مواجك ، لم أسمع منك الكلمة .. فلم أسمع كلاما أعظم وأجمل وأصدق وأقوى من هذه الصعائى . ونوقست منك أن تقول شعرا .. ولكنك لم تفعل .

ما الذى صدك ؟ ما الذى أَسَكَّكَ ؟ ما الذى صدك ؟ إذن حدث شيء ما جعل  
 صبورنى تتغير وتبدل فى عيبك .. ماذا حدث قل لى .. لآخر مرة !  
 ولم أجد ما أقوله .. ولكن تنقلت عيناى بين المساجيد التى بدت متعفة ..  
 وحدتها القديم .. الذى خلعه وهى جالسة ملى .. تظهر قدامها وأظاها ..  
 وتراب أو طين هنا وهناك .. ورأيت ذيل فستانها قد خرجت منه خيط .. ثم  
 إنها لا تستطيع أن تصبغ ساقا على ساق .. فساها متلفتان جدا .. وهررت  
 كفى عندما لاحظت أنها بسرعة قد مسحت دموع من عينيها .. ورأيت أن  
 وجهها جميل .. وشفتيها جميلتان وعينيها أيضا .. وعنقها مستدير ممدود ..  
 وأيديها صغيرتان .. وذراعيها متلفتان .. وخصرها صغير .. ولكن فى  
 استطاعتها أن تضع ساقا على ساق .. فالباطن هو الذى جعل ساقها نديان  
 كما رأيت .. ثم إن حذاءها ليس قديما .. إن لونه بى .. وقمعيها ورديتان ..  
 والكراب ولا طين .. وعنه البقع فى المساجيد ليست إلا ورونا دلكنة ..  
 وبهتت ثلثى بالكتب ورأيت لكثير العرافى الذى يصفه إسمان وبصفه طائر ..  
 وجاءت وقد أسندت للكتب إلى صدرها .. إلى حيث تمنيت يوما أن أجد  
 رأسى .. أن أجد نفسى .. أن أجد حياتى كلها .. وكنت صغيرا لا أعرف ..  
 ولا أنهم .. أصغر منها كثيرا .. فهم أكثر ولقمة وأربع فى الحساب وأنكى ..  
 شكرا على أنها أفلت الهم والوفاء والطريق فى وجه الحب الرومانسى  
 الساج ..

ومدت يدي .. وحملت الكتب .. وهرزت رأسى خارجا فقالت :  
 ولا كلمة .

قلت : شكرا .

قالت : هذا كل ما عندك .

قلت : أشوفاك بحير فى مصر ..

قالت : وإذا كنت أريد أن أراك ؟

قلت : تعالى ..

قالت : سوف أقبل ..

وانشغلت طول الطريق إلى البيت بأنى قلت لها : تعالى .. ولم أحدد لها  
 أين تجيء .. فى شجرة الدر .. أمام المكتبة .. فى بيتنا .. فى مصر ..

ولاحضت أنني أخف وزنا .. وأنتى استطعت أن أملك أصواتا كثيرة هي  
أعماقى .. انتهى .. أو يجب أن ينتهى هذا .. الحب .. أو ما توهمت أنه  
الحب ..

وعرفت فيما بعد أن الكلمة التي قلها صديقى جمال .. وهو يصف حالتي  
للصحة والجسمية قد جاءت في التوراة .. هي بحر ، تشيد الانشاد : .. قال لى :  
أنت مريض حبا !

فعلا مريض . ومريض لا أعرف مكانه . إنها صاعقة أخذتني . إنها  
عاصفة صدمتني . إنها أمواج صممتني .. ولكن أنا الذى لا خبرة لى بالمساحة ،  
نزلات المحيط ووضعت رأسى تحت .. وهى التى تعرف المساحة ، كانت  
حريصة على أن يظل رأسها فوق الماء ..

هل هى جميلة حقا ؟ نعم . هل ساحرة حقا ؟ نعم . هل مشغول بها ؟ نعم ..  
غارق .. هل أنا مهموم القلب موجوع الخطوات ؟ نعم .. هل هى تدرى ؟  
نعم .. هل يهمها الأمر ؟ يهمها ولكنها لا تريد .. أو تريد ولكنها تخاف . لأنها  
سيلة الطن . وهى سيلة الطن لأنها لا تثق فى أحد . وهى لا تثق فى أحد لأنها  
لا تريد أن تهرب . لا تريد أن تكون طلاء وهى فضية . هى مشكلة .. ولذلك  
قطعت ذراعها حتى لا تصافح ولا تعلق .. انصدمت على إلتصامها لتقوم  
بتروير كل هذه المشاعر .. فلما نظرت إلى إلتصامها وإلى عيوبها معا ، كانت  
الدوخة من نصيبك .. فلما تحت هربت منك .. لأنها لا تريد أن تشاركك أو  
بشاركها أحد .

وعندما جاءت إلى بيتنا لزيارة أسمى .. دخلت غرقى . وطلبت إليها أن  
تجلس على مقعدى . وأجلس أنا على المكتب . وقت : لا أعرف أين رأيت  
هذه الصورة .

قالت : أية صورة ..

قلت : أن أجلس هنا وتجلسين أنت هناك .. فكرت أنك أسمى .. وفى خطيبك  
وصيبت نفسى شامتا هيكما ..

قلت : تشمت عينا . لماذا ؟

قلت : سوف تكونان معا لنص روجين . أقول لك لماذا ؟ أنت جميلة جدا ..

وهو غنى جدا .. بموتجاف للتعلية وسوء الاختيار .. فكل امرأة جميلة محرومة من حب الناس .. فالتاس يقتربون منها لجمالها .. لا لشخصها أو أفكارها .. أو إنسانيتها .. وكل رجل غنى محروم من الأصدقاء .. فالتاس يقتربون منه لظومه .. فهو محروم من الصديق الذى يريد له نصيبه .. وهو لن يصدقك .. فأنت أيضا تريدونه لظومه .. وأنت لن تصدقه فهو لخطارك لجمالك .. لبشرتك .. لا بتسامحك لصوتك .. لهذا الذى يراه كل الناس .. فقد حملك قبل أن يعرفك .. ووافقت قبل أن تعرفه .. فالتقى للكتب فى لحظة واحدة .. وغدا فى فراش واحد ..

وكلام آخر قلته .. وردت فى عليه .. فهل كنت صادقا فيما أقول .. هل أردت أن أفرش طريقها بالشوك .. هل أردت أن أرجعها كما أوجعتنى .. هل أنا حافد عليها .. عليها .. إنتهى ما قلت .. ولم يبق إلا كلمات وعناق وقبلات للأصدقاء ..

• • •

ومضى وقت طويل .. وكل شيء يمشى بهبطه .. فقد لزمنا البيت والفراش وغرفتى وأفكارى .. أتلطم نفسي وكتفى لكى أنسحب من المنصورة .. من الطفولة والشباب .. والصيرة والندوة والسناجة .. وأتجه إلى المدينة الكبرى القاهرة .. وأجندى أرور القصيص والبطول والهاكت كئسى أواجه عاصفة .. فأنا أختصر فى حركتى .. وفى كلماتى .. وأختصر فى الكتب والملابس التى سأحدها معى إلى القاهرة .. وكئسى أريد أن أتمالك من المنصورة ، حتى لا يرانى أحد .. كئسى ارتكبت جريمة .. وأغشى أن أفرج حولها فاصبطنى الناس .. أو كئسى أكره أن أبدو خلعا .. أو أن يرى أحد نودى .. أو أن تكتشف هى ، أننى مريض بها ..

وقد تمتصت كل حركتى بالتطرف .. ففأ أندفع خارجا ودلجلا .. أندفع إلى الرقص وأندفع إلى القبول .. خوفا من أن أتردد .. وبعد أن كنت قد قررت أن أساهر فى أقرب وقت ، قررت البقاء وقتا أطول .. ما الذى أظنه بهذا الوقت ؟ لا شيء ..

وأمام البيت نظرت فى كل الاتجاهات كئسى فبحث عن وجهة ، ثم اندفعت ..

وكانت الدنيا مظلمة والشوارع صيقة . والأرض قد بللها الماء والوحل .  
وتمثرت وسقطت أمام بيتها . وتسفتت على الباب . فأحدثت صوتا . وسارعت  
حتى لا تتصور أننى تعمدت تلك إثارة لاهتمامها أو لشغقتها . ووصلت شارع  
المكة الجديدة .. واتجهت إلى شارع صغير .. ثم إلى الشارع الكبير .. وعند  
النهاية يوجد مقهى .. واتجهت إلى المكان الذى أعرفه .. إلى ما وراء المقهى .  
مفاجأة .

لقد وجدت الزملاء . والشيخ دهلير .. وأعجب من كل ذلك . رملى الشيخ  
نور الدين .. وابن باظر المدرسة ومدرس الألعاب الرياضية ..

وبادانى الشيخ دهلير : تعالى يا مودى .. تعالى .. يا خيبة الأمل بدرى  
يا حبيبى .. تعالى إلى جوار عمك الذى هو الخيبة الكبرى .. يا عذبة ..  
يا بنت يا عذبة .. تعالى ..

وجامت عذبة .. إنها راقصة صغيرة .. رقيقة جميلة الوجه .. قصيرة  
القامة ..

ونادى الشيخ دهلير : يا نور .. تعالى يا حبيبى ..

نور الدين ؟ .. الشيخ نور الدين ها ؟ .. رجل النقى والورع فى هذا  
المكان .. وسوف يخنى .. لقد ارتبكت أشياء كثيرة فى رأسى ..

وجلست ساهما غالبا . ولكن الشيخ دهلير بحيويته وخفة دمه .. وملامحه  
الواسعة المتناثرة الألوان .. يخرج من جيبه رجاجة يشرب منها الذى  
لا أحرف بالضبط . وراح يزعم ويقول : إيه يا مودى نور مانا تريد أن أغنى ..  
أنا أقول لك .. تحب أغنى لك روحى وروحك .. أه .. وهو كذلك ..

قال الشيخ دهلير وظهرت الطبول والنأى والعود فى أيدى الناس جاموا من  
داخل المقهى ..

وفجأة وجدتهم معا يقولون :

قل لى يا بتاع القلمة : سفة

بدمتك ده وش ولا قفا .. قفا

قل لى يا بتاع الجسراية ..

بدمتك ده شعر ولا قاهية ..

وكان الشيخ نور الدين أعلام صوتا .. ولنصمت إذ أيضا .. ورحلت أقول  
وأقول ..

وتعبرت المقاعد والدكك محتنا .. فهي قديمة مكسرة .. ثم هبطنا .. وجلسنا  
على الحصير .. على الأرض .. وأغلقوا علينا الباب ..

وارتفع صوت الشيخ نور الدين يقول في هدوء ووقار :

روحي وروحك مضمومتان في جسد

يا من رأي جسدك قد ضم جسدين

ويا معركه عينيه ليقتني

إنني أخاف عليك العين .. من عيني !

أخاف عليك العين .. أخاف

من عيني .. أه من عيني !

وكان صوت الشيخ نور الدين جميلا محترما .. فهو إن رجل يحب للشعر  
ويحب الطرب . ولا يشترك هما هو أكثر من ذلك ..

وكأنه عرف ما الذي أريد أن أقوله فقال : إنني أعرف الشيخ دهليز من وقت  
طويل . ولولاه ما اجتزت للمصائب التي مررت بها .. صحيح أنه هو شخصيا  
عنده مصائب ولا يعرف كيف يخلص منها .. ولكننا نساعد به بكل ما يحتاج إليه  
من فوس وطعام وملابس .. إنه شخصية فريدة .. ليس له مثيل ..

وارتفع صوت الشيخ دهليز : دعوني أغني أنا .. تحب ملدا يا شيخ نور  
الدين .. يا من كله نور لا أراه ، ودين لا أعرفه .. هاها .. هاها .. أبوه  
يا سيدي .. تعالى يا حبيبتي ها يا حليمة .. التموين .. للقرارة .. لم تعد بها  
قطرة .. بلود رهيري .. القرارة ... يا والد .. أغني يا سيدي .. هذه الأغنيات  
ترجع القلب والله .. الشاعر يريد أن يقول للمحبوبة .. إنها تركت أثرا سلعرا  
في أربعة مواضع من جسمه .. إن أقول لكم .. عرفوها أنتم .. يا الله يا سيدي  
سمعتي الطيلة .. أه سمعتي الزرق .. أه .. اسعري بالنأي .. أه .. بطلمسي على  
العود .. أه يا سيدي .. تعال أنت يا قيس .. ( يقصتي ) ها .. إلى جواربي ..  
إسمع وإنعلم .. إسمع عمك الشيخ دهليز طيب الله ثراه ..

وقى أربع منى خلت منك أربع معانا : هي أربع مآكن منى أنا ، وجدت  
حاجات حلوة فيها هي ..

وقى أربع منى خلت منك أربع  
هنا أنا أدرى فيها حاج لى كبرى

أوجهك فى عيسى ؟ أم الرقيق فى فسي ؟  
أم النطق فى ممسى أم الحب فى قلبى .

ويصرخ : وقى أربع منى .. آه .. وأربع منك آه .. لأوجهك ؟ .. آه ..  
أريقك ؟ آه .. أصونك آه .. أحبك آه .. خليك معانا .. إسمع .. يا سيدى ..

إحلىع ببغداد العذارا

أه يحسى إكتشف وجهك .. خليك على راحتك .. آه

إخلع ببغداد العذارا

ودع القنسك والوقار

إحلىع ..

لقد بلوت بمصبة

ما أن يرون العار عارا

آه ..

لا مسلمين ولا يهود ..

ولا مجوس ولا نصارى !

إحلىع ..

آه .. تعالى عدى هنا .. وسمعى الدريكة على الآخر .. تعالى بالقوى ..

أرجع .. أقتل .. إتهج .. معانا يا شيخ نور .. معانا والنبى ساعدى على

بلوتى .. قول يا حبيبى قول .. الله بكرمك .. قول خليك معانا .. سبيك من

الصيال دول .. بكره بديهم الفرس والجزمة .. يمكن بعضنا نخلص الجزم كلها ،

بكره بديهم الفرس بالبرطوشة .. تعالى لى .. قول يا حبيبى

لين الزمان زمان و سو ...

وجميع هذا الخلق بو ..

أى زمان سوء .. والخلق بؤس ..

إلى الرومان زعلان صو  
وجميع هذا الخلق يو  
وإذا سألتهم ندى .  
فجوابهم عن ذلك هو ..  
لو يملكون الضوء بحلا  
لم يكن الخلق صو ..  
ذهب الكرام بأسرهم ..  
وبقى لنا : لوت ولو

آه يا سيدى آه .. يا ميلة بختك يا دهليز .. بين الموه واليونس والصوه  
والهو ..

ووجدت للشيخ مور الدين بنمايل فى نشوة .. ولكنه لم يفعل أكثر من الوقوف  
والاهتزاز ثم راح يعيد كل أغنى للشيخ دهلير مع شرح للمقامات الموسيقية .  
وشرح لهذه الأببات .. ورقص كل الأعيان فلهس لثنى كان فى نية الشيخ  
دهلير أن يغنيها مع الزائفة الصغيرة فى تلك الليلة ..

معاذة أخرى لقد وجدت ابن ناظر المدرسة . إنه أطيب مما تصورت .  
وأكثر أنها وأكثر انسجاما . وهمس فى أذنى قائلا : ولدى يريدنى أن أدخل  
كلية الهندسة .. أبدا وحياته .. سوف أتعلم الموسيقى والطرب .. أبى غنى  
وأبى غنية وأنا أبحث نفسى عن الوظيفة لماذا ؟ وقد اتفقت مع ولدى على  
ذلك .. ولدى تركت ولدى وتزوجت رجلا آخر .. وهى لا تعب أبى ..  
مشرب ؟

قلت : أشرب ماذا ؟

قال مشربا إلى الزجاجاة فى يد الشيخ دهلير قلت : لا . أشربك .. لا أشرب

قال : إلى متى ؟

قلت : لا أشرب .

قال مخمورا : حدادا على وآ .. .. لقد رأيتها من يومين فى فرح ..  
حرموها ورقصت أحسن من العوالم .. وأنت حزين عليها .. يا حريا ..  
سجيك !

قلت : كل القبات نرقص .. طيبسى !



وقد صابقتي بك .. وأصرب من الشوح شاعر أكثر .. وهمت هي نيه  
 أريد أن أسمعك .. شيع شاعر  
 قال أنحمدك على السمعة أير كعب لا أمكت الله بك صونا نعال  
 حب عمك نعال .. روح قلبى يا هزين الدهر " منى يا نور النين  
 من لأول



اللهم ادمنا من فولتير

## اللام اصحنى من فولتير

كالأطفال الصغار ، إذا عرفنا اسما جديدا أو تعبيراً عربياً ، فإننا نكرره  
بمناسبة ومن غير مناسبة ..

لا أعرف متى وقعت عيني على اسم فولتير .. فقد كنت أسرف في  
استخدامه حتى ألتفتي في مناقشة مع والدتي قلت لها : أنت مثل فولتير !  
ولم تفهم طبعاً ولم أكن أحسن حالاً منها ..

وكنيت أقصد أنه لا يعجبها للمعجب ولا الصيام في رجب .. ولأن كل من يفعل  
ذلك فهو مثل الفيلسوف الفرنسي فولتير !

وفي يوم كنا في زيارة أحد زملائنا في المدرسة ، إنه تلميذ مجتهد . وكان  
أكثرنا تعرفوا في اللغة الفرنسية - فلمه فرنسية . وهي بيته كل ما ليس في بيتنا ،  
أو هي بيت أي أحد أعرفه من أقاربي ، أعياء أو متوسطي الحال مثلاً . فالببت  
به شكل غريب . وله رائحة غريبة لا أعرف من أي شيء تتكون . ولا أنكر  
أنني شممت لها مثيلاً .. ثم لم ألبت هادئاً جداً إلا من أصوات المصاهير في  
الأفصاح ، صفراء وحمران ..

باب الشقة مغلق تماماً - لا هو مفتوح ولا هو مغلق ، كما هي عادة البيوت  
تسمى بها أطفال أو التي ليس بها خدم يفتحون الباب ويفلقونه . ورجاج الباب  
منزول . والشقة ليست مفتوحة التوافد . وإنما مغلقة وعليها صكاز . ودرجة  
الحرارة منخفضة .. كأنك تجلس في ظل شجرة . والشجرة تتساقط منها  
الزهر . والزهور تحملها إليك طيور . والطيور تفتح بصفافها عبيدك وشعبيك  
ويطردك للتدقيق معنى غريباً عجيباً للحياة . أما أثاث الشقة فلا أعرف كيف  
نصحه ولكنه مختلف تماماً عن أي بيت . ولم تجلس إلى جوار الباب .. وإنما  
في عرفة بعيدة عن الباب . الغرفة رطبة . وهي جوانبها للورود . شيء

عجيب . وجاءت خاتمة بسرعة . القادحة نظيره للملابس . طينتها أول الأمر  
أغث هذا الزميل .. جاءت بالشاي . والشاي مغطى : البراد . والحلوى  
أيضا . وقبل أن نمتد أيدينا إلى الشاي أو للحلوى ظهرت والددة الزميل . طوبلة  
شفراء زرقاء العينين نظيره الشعر . منبت يدها . صافحتها . نعمها العربية  
مكسرة . إنها هرسية . وسألتنى عن أحوالى . ولا أعرف بالمصيط ماذا قلت .  
وقالت إنها تعرفنى من إنها . وكان لبسها يروى لها كل ما يحدث فى الفصل  
وفى المدرسة .

ثم قلت . ألم يقل لك ، وجيه ، إيسى أن نجى . على عيد ميلاده ..  
قلت : آه .. سميت

قالت : بلهجة الأم المصمطة : لا تقل سميت .. قل أسف كانت ماما  
مريضة .. كان بابا عائدا من السفر .. أو تأخرت عن الموعد . فأكسفت أجيء  
مأخرا .

قلت : حاضر ..

قالت : لا تقل حاضر . أنت مثل جدام .. أنت مثل وجيه إيسى تماما ..  
وإنما أحسن أن نقول : مأنيف . أرجو أن تقبلى عذرى .. كان من الواجب  
أن أبعث بحطاب اعتذار أو بإرسال وردة أو نقول : كما فى بيتى أن أجيء  
فى اليوم التالى .. ولكن ..

قلت : حاضر ..

قالت : يبدو أنك حجول جدا ..

قال وجيه : جدا يا ماما .. وعنده اعتقاد أن أى شيء سوف يعطله عن  
القراءة .. وأن أى بنت تكلمه فى الشارع سوف تعطله عن المذاكرة ..

قالت الأم : تفصل يا إيسى .. صم القوطة على رجلك .. انفصل الشاي ..  
أو انفصل الكيك .. سوف أترككما معا لتكونا على راحتكما تمام ..

ثم عادت تقول : إيسى غلباوى .. إنه قولتير الأسرة .. قصير وسحب  
ودمغه كبير ولسانه طويل ؟

وأسمعت صفة أخرى إلى معلوماتى عن هولتير هذا : إنه قصير للقامة نحيف  
كبير الرأس طويل اللسان

وظل اسم هولنير في رأسي ولكن لا أعرف كيف أجمع أية معلومات عنه ..  
وفي ذلك الوقت من أوائل الأربعينات لم أكن قد رأيت قاموسا أو سمعت عن  
دائرة معارف ..

وفي إحدى حصص الطمعة ذكر لنا المدرس واسمه مصطفى خالد متوسط  
للقامة أصغر ، له جبهة عريضة معيبة عبارة واحدة غريبة للتكوين لم أستوعب  
معناها في ذلك الوقت . العبارة تقول : حتى إذا احتلعت معك في الرأي .  
صوب أمتوت دعاءا عن حزينتك في التعبير عنه !

وقال إنها للعالموف الفرنسي هولنير الذي مهد بأفكاره للثورة  
الفرنسية . خدم كل الخرافات السياسية والدينية .. وهذا المسرح في باريس  
لقيام ثورة ضد الأسرة المالكة الفاسدة ..

وفي حصص التاريخ تحدث المدرس عن الذين مهدوا الثورة الفرنسية فأضاف  
اسم جاك روسو الذي هو في مع هولنير في سنة ١٧٧٨ .

وفي مجلة « الرسالة » قرأت مقالا عن هولنير بقلم رمول لنا يكبرنا في السن  
اسمه عبد العزيز العجيري .. كنت أعجب به جدا ، وأراء مودجا لكل ما في  
هذه الدنيا : نفاقه وثراء ولغة فرنسية عالية ولغة عربية متينة . ثم إنه ينشر  
معالات بقلمه في مجلة الرسالة ؟

ولكنه في الفصل ليس متوقفا .. بل هو دائم الرسوب .. ولم أفهم في ذلك  
الوقت لماذا ؟ وكنت أحب الجلوس إليه . وأدهش كيف تتجمع لديه كل هذه  
المعلومات في الأنثى والتاريخ وإن كل رميني وصديقي خالد حسونة ، هو  
أكثرنا دراية بالتاريخ وأوسع اطلاعا على مذكرات المؤرخين ..

وفجأة ابتعدت عن العجيري هذا . فقد سمعت أنه يشتم أمه .. وقد يكون  
هذا الخبر غير صحيح . ولكن ذهبت إلى أبعاد من تلك في خيالي .. فكنت  
أروى عنه قصصا من احتراعي وأقول إنه يشتمها ويضربها أمام الناس ..  
وإنه .. وإنه .. كلني أردت أن أضلع كل صلة بين وبينه .. وأبرر ذلك  
نفسى .. فلما لا أتصور أن أحدا يشتم أمه ، هذا شيء ضليع .. وكلني العجيري  
هذا قد مات في نظري وذهنته .. أو كلني لنا الذي قتلته وسرت في جدارته  
وذهنته ورسمت لي يتوهم عليه أحد ؟!

ورغم حرصى على أن أعرف أي شيء عن هذا الفولتير ، فإننى لم أنطق  
أن أنظر إلى المقال لدى عبد العزيز المجبوري . ولكن رغبتي في أن  
أعرف انتهت في النهاية .. ففتحت المجلة على المقال .. وتجمعت لدى  
معلومات كثيرة عن هذا الفيلسوف الفرنسي .. وعرفت عددا من ممرحياته  
وروايته ودراساته الفلسفية ومعاركه وصداقاته مع الملوك والأمراء ..

ولم أفهم في ذلك الوقت ما هو الفرق من دراسة العظماء .. هل نستخدم  
موتجنا للتفكير . أي مفكر منهم ؟ هل نستخدم موتجنا للسلوك . أي تعيش  
منهم ؟

فالمعلومات التي نجعلها ونحن نلاحظها لها هدف واضح : أن نعيدا في  
الامتحان لكي نتجح .. هذه هي الدراسة وهذا هو الهدف . وفي هذا المجال  
يكون التنقو . في جمع المعلومات . وننظرها والاحتفاظ بها .. ثم نساها بعد  
ذلك ..

ولم يعلمنا أحد : أن الدراسة ضرورية حيوية . وأن الاحتفاظ بالمعلومات  
سوء بمعنى فما بعد .. في حيلتنا الأدبية أو الدراسية أو العلمية .. ولكي تبقى  
هذه المعلومات في مكانها من العقل ، يجب أن نحصلها بمنحة .. بلذة .. وأن  
نكون هناك صداقة بينا وبين الكتب وبين المؤلفين .. ولكن الذي يصد علينا  
هذه المنحة : الخوف .. الخوف من الامتحان .. والخوف أن نكون قد بسينا  
شيئا . مع أن التسيان ضروري . أي سوء بسى المعلومات التي لا فائدة  
منها ، وسوء ننسى المعلومات التي جمعناها ونحن متعبون مرهقون .. تماما  
كما تنساق الأشياء من أصابعنا المكنونة .. ولن يحتفظ العقل بكل الذي عرف  
ورأى .. سوء ينسى أشياء كثيرة ، لتحل محلها معلومات وتكريرات جديدة .  
ولكن كالمقل لا يسى بل وسوء يظل عند حاجتنا إليه .. سوء يبقى كل شيء  
في مكانه . الذي حدث في المقلولة سوء يبقى تحت الأمر لحين استدعائه في  
أي وقت .. بل إن ما يحدث للجسد في بطن أمه يبقى أيضا في الذاكرة .  
فلا شيء يصبح !

ومن النادر في ذلك الوقت أن تفتح كتابا كذا قد أغلقناه .. فالكاتب تنمرف  
أوراقها من المدكرة الطويلة ولذلك يجب إحصائها وسجلتها ..

أما الكتب التي تبقى ، فهي التي أصبحت مقررة عليها .. أي التي تشنيرها  
لنقرأها أثناء الإجازة . فمن مقرؤها لأننا نريد ذلك . وإذا قرأنا فبأكمل حريتنا  
وبلدة .. ودرى في هذه القراءة تأكيدا للذات وتنمية للشخصية .. وفرصة لأن  
نبدى بذلك بين زملائنا الذين يقرأون في موضوعات مختلفة . وكان من عندنا  
أن يحرص ويمنع عرض كل واحد منا الذي قرأه . وما للمضى وما للهدف  
وما للعائدة وما رآه هو ..

وفي المكتبة القاروقية ، بالمنصورة وجدت عددا من مجلة ، الرسالة ،  
وهي مقال للأب أنستاس ماري الكرملى يقرأ بين طه حسين وفولتير . وكان  
طه حسين هو الاسم الجديد الذي لم أكن أعرفه .. فكأن لابد أن أعرف شيئا  
عن طه حسين هذا ؟ وبسرعة قول إنه أزعزى أعشى ونظم فى فرنسا وعاد  
سناذا فى الجامعة يدرس الآيب العربى وهو ضد رجال الدين ، وقيل ضد الدين  
أيضا ولم أفهم كل هذه العبارات : كيف يكون أى أحد ضد الدين ؟ معنى ماذا  
يقول وماذا يفعل ؟ ولماذا ؟ فلم يكن ، الدين ، قضية فكرية أو وجدانية عندى  
فى ذلك الوقت .. فالذى أعرفه من ديني قليل .. فبما عدا أنني حفظت لقرآن  
الكريم ، ولكن لم أفهم الكثير من معانيه أو فلسفته .. أما الأستاذ العقاد فقد قرأت  
له .. ومعلوماتى عن مقالاته لا بأس بها .. ولكن هو الآخر لا أعرف ممن جاء  
رعا الذى نعلمه وما الذى جئنه هكذا واسع الأفق والثقافة قوى الحجة ؟ وكيف  
يكون لى شيء من ذلك ؟

ولم أفهم جيدا مقال الآيب الكرملى . ولا كيف يكون لها وأديا أو نافعا فلسفيا  
مكدا ؟ لا أعرف . أما للمقارنة فهي أن فولتير وطه حسين يهاجمان رجال  
الدين . ويريدان أن رجال الدين قد أضلوا حياة الناس فى كل العصور . وأن  
مصائب الدنيا كلها بسبب الخلافات بين علماء الدين . يقول فولتير : إن  
الصراعات الدينية قد خلعت من الكرة الأرضية لأصحاب ما هدمته الزلازل  
والبراكين !

وأهم ما فى المقال صورتان : فولتير وطه حسين بالطربوش والتمنظار  
لأسود .. أما فولتير فعلى وجهه ابتسامة ساخرة . بحيف طويل الأنف صنيول  
الحجم جبينه عالية . وطه حسين أيضا له ابتسامة ساخرة . وعلامحه حادة .  
وفي المقال - وأنا أقول من متكراتى للمناقضة من سنة ١٩٤١ ويقول

الفيلسوف الفرنسي فولتير : يجب أن تفكر أنت .. فكر لنفسك .. يجب أن  
تتشكك في كل ما يقال لك .. إذا أنا أحطأت فلأنتى حاولت أن أعرف ، إذا  
عرفت فلينى أحطى ، لأن الذى عرفته قليل جدا ، ولدى لا أعرفه كثير جدا  
ولأن عقلى صغير ووقتى قصير .. ولكن لا يهم ما الذى هممت وكيف أحطأت  
المهم أننى حاولت وموت لمضى فى المحاولة .. وخير لى أن يشبهونى لأننى  
حاولت فأحطأت من أن يتوجسبى لأننى ما ظلت وكنت ولخدت وخذعت !!  
ولا أظن أننى أحطت بكل هذه المعانى الخطيرة التى جاءت بهذه العبارة ..  
ولكنى نقلتها إعجابا بها .. وإن لم يحط على بالى ، أنسى سوف أعاد قراءتها  
والتفكير فى معانيها .

وهى منكراتى عبارات كثيرة وأبيات من الشعر أعجبتنى فى ذلك الوقت ..  
ونقلتها وحصلتها ونسبتها أيضا . ولكنها تدل على ما الذى كان يهمنى  
أو يشغلى .

ومن مقال الأب الكرملى نقلت أيضا أنهم اتهموا فولتير . كما اتهموا سقراط  
من قبل : بتسويل الشباب وإفساد الرأى العام وازالة الإيمان من قلوب الناس ..  
ووجدت هذه العبارة أيضا : إن فولتير هو الرجل الذى حول الغضب إلى  
سخرية ، والذى حطم الأصنام .

وقال فولتير أيضا : إن الدولة بكل أجهزتها لا تستطيع أن تقاوم سلاحا شعبيا  
بطلق قنار فى كل الاتجاهات وينهجر فى كل بيت . النكبة !  
وجاء أن فولتير قد دخل السجن مرتين .. سجن الباستيل الذى هدمته الثورة  
الفرنسية ..

وبعد ذلك بوقت قصير ظهر مقال للأستاذ على أنعم عن فولتير فى مجلة  
« الرسالة » : الفيلسوف السيسى !

الآن فقط أستطيع أن أرى بوصوح من هو هذا الرجل . وما هى الطمعة  
وما هى المياسة .. ثم ظهر مقال ثالث ورابع ومقال للأستاذ العقاد ومعالان لطفه  
حسين ومقارنة بين فولتير وروسو .



انه يحصل من المعلومات عن هذا الشخص الفريد في التاريخ .

ولد يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٦٩٤ . صغيرا محبها وقرر الأطباء انه سوف يعيش من أربعة إلى ثمانية أيام . وكانوا يصريونه ويفرصونه ويهزونه لكي ينق قلبه .. أو لكي يتكلموا انه ما يزال حيا - وعاش هولتير ٨٤ عاما وألف مائة كتاب وبعت بثمانية آلاف خطاب لملوك ورؤساء وأمرأه وقساوسة وعامة العظم في زمانه .

أبوه يعمل محبها ، وقرر أن يكون ابنه كذلك . ولم يطع الابن فقد اختار - يكون كاتبها . ماهر إلى هولندا وهرب مع عائلة - فأعاندوه مفصوحا إلى والده في باريس ..

وصاق به أبوه . ولكن لم يحصل سوى سموات قليلة حتى يكون ابنه مشهورا بعد أن اختار له اسما مستعلا هو هولتير . أما اسمه الحقيقي فهو فرسوا مازي لرويه ..

ولم يكد يظهر له أول عمل مسرحي . حتى أممكته الرقابة ومنعت صوره .. وأدى ذلك إلى انتشاره فأصبح هذا الشاب النادر مشهورا في فرنسا وفي أوروبا كلها ..

ودخل معجن البلاستيك علما .

وشاعت الصدفة أن يسمع قصة حريه استنجمها وسيلة لضرب الكمية صنف فقد ماتت ممثلة معروفة اسمها أدريين لوكوهرير .. وهي على فراش موت جاءها القسيس يطلب إليها أن تعترف بأنها أخطأت عندما أحرقت سمبل .. فرفضت . فتركها القسيس دون أن يكمل الطقوس السابقة على الوفاة . وكان معنى ذلك ألا يجرؤ أحد على نهها .. فذهبها البوليس في مقبرة محبولة !

وهنا نشط هولتير يهاجم القسوة والصف التي مارستها أحد رجال الدين باسم تسي ..

وقال : معنى موقف القسيس انه إذا لم تكن من رأيه فإنه يلقي بي في سراح ، أو يقتلني .. إنها جريمة ضد الحرية وصد الصنق وصد كرامة دين .. وضد الدين !

ولعل المعجن . وعندما أخرجوا عنه اشترطوا أن يتنازل البلاد  
وتعبد إلى إنجلترا . وشهد جدارة العالم الرئيسي الكبير ديون . ورأى الشعب  
البريطاني كيف يقنع العلماء . وكيف يحترمون القلوب والحرية  
والديمقراطية .. وكيف أنهم في فرنسا لا يحتفلون هكذا بالعلماء ويمشون في  
جنازات مهينة ويدهونهم مع الاحترام والأمن ..

وأكثر من ذلك كله كيف يحترمون ويحبون الأسرة المالكة . لأنها تملك  
ولا تحكم .. ولأنها تحترم الناس ، فاحترمها الناس !

وفي لندن عرفه بعض الانجليز فصرخوا هذا فرنسي .. اقلوه ..  
فوقف فولثير يقول لهم : أنتم تريدون قتلي لأنني فرنسي .. ألا يكفي عفا  
أنسى لست إنجليزيا ! وأسعدهم ذلك . وتركوه ..

وحصل على إذن بالعودة إلى فرنسا . وعاد وكان في الخامسة والثلاثين  
من عمره .

ولم يعرف بالضبط ما هي مولود الفيلسوف فولثير . ولكن من المؤكد أنه  
كان يحصل على هبات من الملوك والأمراء . وأنه كان يعمل بالزبا .. وأنه  
لم يكسب مالا من طريق مشروع قط ! بل حدث أن أعلنت الحكومة الفرنسية  
عن بالنصيب قومي .. وكانت المماجاة الكبرى أن فولثير قد أسس جمعية لشراء  
كل أوراق بالنصيب .. وكسب مالا كثيرا ينفق منه على الملابس الأنيقة والشقق  
العفنة والعربات الجميلة التي يستعملها ..

وحدث في ذلك الوقت أن شابا شقفا أبوه لأنه أراد أن يغير مذهبه الديني ..  
وحكمت الكنيسة الأب وأعدمته .. وهذا استخدم فولثير كل مواهبه في الفلسفة  
والمنطق والسفوية وهاجم لقانون الجنفلي هي فرنسا .. فلم يكن قانونا بالمعنى  
الذي أصبح معروفا بعد ذلك عند بابليون . ولا بالقانون الذي يعرفه  
الانجليز .. ولكتشف أن الضمير يستطيع أن يحاكم وإن ينفذ الحكم ، وليس لديه  
قانون .. ولا عهده شهود ولا محلفون ولا المتهم يملك أن يוכל أحدا يدافع  
عنه ..

وطالب بفتح ملف قضية : كالامس . وهو اسم الأب الذي شقق إليه ..  
ولما جاء الفرنسيون مع بابليون إلى مصر كانوا يحاكمون الناس بالقانون

وبالمثل . وقد ذكر لنا المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرني جانباً من هذه المحاكمات .

وعلق المؤرخ البريطاني العظيم توينبي على ما ذكره الجبرني بأن المؤرخ المصري هذا يعتبر أعظم المؤرخين في كل العصور .. أولاً : لأنه كان أميناً جداً في كل ما سجل عن أحداث الثورة الفرنسية .. وثانياً : رغم كراهيته للفرنسيين فإنه قد أضاف بالمقالة في محاكمهم . فهم يتأتون بالعثمانيين ويعطونه فرصة الدفاع عن نفسه ويؤكدون محامياً عنه .. فالجبرني يكره الاحتلال الفرنسي ولكنه يقدر العدل الفرنسي !

وكان فولتير ينتقل بين العواصم الأوروبية وكان الملوك يجلسون عند قدميه .. وكان يضيف بهم أيضاً لأنهم كانوا كالدون المهرطور الأعشى الذي يؤكد إعجابه المطلق بفولتير ، ويحدد قوات عسكرية في كل مكان . وفولتير يرى أن جريمة الجرائم هي الحرب !

وفي آخر أيامه قرر أن يعيش حياة هائلة في جمهورية جنيف ..

ثم اشترى قطعة أرض بالقرب منها لدخل فرنسا .. وأقام لنفسه قصراً عظيماً . ولجأ إليها الهاربون من الظلم والقهر .. وبني لهم بيوتاً حولها أيضاً . وأنشأ الكتائف والمدارس . وكتب عليها : أنشأها فولتير لله ..

وفي هذه المنطقة المسماة « فرني » رآه كل عظماء العالم يسألون عن صحته . ويستمعون إليه . ويدلوا من أن يبقى الولد منهم يومين أو ثلاثة ، فإنه يمكث شهوراً يمنع الأذن بما تقوله أعظم عقلية في ذلك العصر ..

واشتاق فولتير إلى ليالي باريس . فقرر السفر . وعلى الحدود وقف رجال الجمارك يفتشون عريته . وفوجيء أحد رجال الجمارك بصوت نحيل يقول له : لا شيء ضد القانون إلا أنا !

فصاحه الجندي وتفحص الرجل الخيال الهزيل المريض وقال : آه .. ممبور فولتير تفصل يا مبدى !

هذه العبارة هي التي اقتبسها أوسكار وولف عندما ذهب إلى أمريكا هائلاً في الجمارك إن كان يحمل معه شيئاً ممنوعاً قتل بهم .. عبقريتي !  
وفي باريس جاءه القسيس يطلب إليه أن يعترف . فرفض فولتير قتلاً :

لا أريد أن تكون آخر كلماتي كتبها !

قل له الفصحى : جنتك من عند الله :

سأله فولتير : ولين أوراق اعتمادك ؟

ثم ألقى على الذين حوله : إني لموت مؤمنا باقة ، محب لأصدقائي ، غير  
كاره لأعدائي ، محترما لكل أنواع الحرايات !

وكان لابد من دمه في مكان آخر .. ولما قامت الثورة الفرنسية أعادوه إلى  
مقبرة المعظماء بعد أن وصعوا بعشه ليلة كاملة فوق أنفاس مسجون الهاسنول .  
تكريما وتعظيما للرجل الذي أودع هذا المسجون عقابا على أفكاره العظيمة التي  
مهنت الثورة التي هزمت الهاسنيل وعنه الظلم والقهر !

وكان قد رآه الرجل الأمريكي للوحيد الذي يعرفه : الفيلسوف بنيامين  
فرانكلين . وكان معه واحد من أحفاده . ووصح فولتير يده على رأس الطفل  
وهو يقول له : الله والحرية !

والكتمان هما خلاصة فلسفة فولتير !

• • •

ومن كل الذي قرأت عن فولتير في ذلك الوقت . وهو قليل ، لم يبق في  
ذهني إلا عبارته الشهيرة :

اللهم احمني من أصدقائي ، أما أعدائي فأنا كمثل بهم !

الخير ليس حرا ، إنه يخدم في كل بيت !

• • •

ثم ملخص إحدى مسرحياته التي موضوعها أن اثنين من سكان الكواكب  
الأخرى واحد طوله مليون قدم والثاني طوله خمسون ألفا . هبطا معا إلى كوكب  
الأرض . وراحا يهوضان في بركة اسمها البحر الأبيض المتوسط .. وهي هذه  
البركة وجدا شينا صغيرا عاتما .. إنها إحدى السمى .. وفي هذه السحابة وجدا  
بيدانا مشغلة تتحرك .. هرفع أحدهما السحابة فوق ظهره وألقاها من أنفيه فوجد  
أن هذه الديدان ليست إلا مجموعة من فلامسة بنى الإيمان . وأن هؤلاء

بموت الملايين عن حرب صليبية .. هذه الحرب سوف يموت فيها الملايين  
من أجل الاستلاء على جبل مقيم اسمه فلسطين .. ليس دفاعا عن الدين .  
وإنما دفاعا عن الملك هنا والسلطان هناك . فمن أجل هذين الرجلين سوف  
يموت الملايين !

وسمع العملاق من أحد العلامه أن الله قد خلق الملك كله من أجل البشر .  
وصحك العملاق لذلك حتى سقطت السحابة في جيب واحد منهما .  
فأخرجها وهو يصحك من هذه الدندان .. ثم ألقاها في الماء !

• • •

نحن الذين نتوهم أننا كائنات ذات أهمية حارقة ، وأن الكون كله قد خلقه  
من أجل هذه النذرة القافية - الكرة الأرضية - ومن أجل هذه الحشرات  
بناطقة - نحن البشر - وليس أكثر غرورا منا ولا جهلا ولا إسامة لعظمة الله !

• • •

ولا أظن أن من كل الادي قرأت في ذلك الوقت تجد ذلك بسوء قد صرب  
أحد عظمى بالشلوث كما فعل فولتير .. !

لقد أذهت غروري تماما ، وأوقعه أمامي وطلب مني أن أدوسه بالهزيمة  
وأن أجلس إلى جوار الحائط ، وأن أغمض عيني وأن أتذكر دائما قوله تعالى :  
وما أولئك من العلم إلا قليلا .

فهذا العلم ، وهذا الشك في قدرة للعقل الإنساني ، قد دفعني إلى الإيمان  
العميق . والآل أتذكر كيف كنا في المدرسة ..

فأنا أول الفصل وأول المدرسة ..

ووجدتني مبعولا عن التلاميذ .. أجلس وحدي .. ولا أشارك في النشاط  
المدرسي .. وحتى إذا حاولت أن أشارك في الألعاب ، فإن مدرسي الألعاب  
يعزل :

اقرأ لك حاجة تفعلك .. أما هؤلاء - أي التلامذة الآخرين - فلا مستقبل لهم

وكنيت أشهرهما يعني وبين نفسي أن أول المدرسة أحصل كثيرا من أوائل  
الفصول ١

ثم أصبحت أول مصري في الثانوية العلمية وأول كلية الآداب في  
النيكسون ..

ولكن وجدتي أقول لنفسي - إيه يعني .. أول المدرسة .. واحدة من ألوف  
المدارس .. وأول الثانوية العامة .. وإيه يعني .. وأول النيكسون وإيه يعني ..  
وأول الجامعة - واحدة من ألوف جامعات العالم - وأول مصر يعني أول  
دولة من مائة دولة - وأول الكرة الأرضية مثل أيشيس .. وإيه يعني ..  
الأرض كوكب من ملايين ملايين ملايين الكواكب في هذا الكون - وإيه  
يعني .. حتى أيشيس أعظم علماء الطبيعة في زماننا عندما سئل عن الذي يعلمه  
والذي لا يعلمه قال : هات طابع بريد ثم ضعه في الهرم الأكبر .. فإلى أعلمه  
هو طابع البريد والذي لا أعلمه هو الهرم !!

وقال أيضا : أنا طفل يلعب على شاطئه محيط العلم .. ولم يسعد  
بالرمال .. ولا أعرف أكثر من ذلك ..

وعندما ذهبت إلى الجامعة درست الفلسفة وتخصصت وعمقت .. وأسعدني  
ذلك .. ولكن فجأة وجدت قولير هذا ينكد حباتي ..

فالفيلسوف يحصر كل مشاكل الدنيا ويميد وزنها وحسابها ووصفها والتعمق  
فيها .. من أول وجديد .. وكل فيلسوف بعيد ، نقيض ، أوراق اللعبة الفلسفية .  
ولعبة الفلسفة هي دراسة الكون والبشر الإنسانية والإيمان والعلاقات بين  
الإيمان ، وبين الإنسان والله على أساس من الحرية والعقل والصنق . ثم  
تصير معاني الحق والعقل والحير والجمال والفصيلة والحياة والموت والحياة  
بعد الموت ..

وكل فيلسوف لا يكفي بما ذكره فلاسفة قبله ، وإما بعيد النظر فيها كلها .  
ومن أول وجديد ..

فالفيلسوف هو صاحب أعظم الأقوال ، ولوسع النظرات وأشمل النظريات ١  
وهو يحتوي البناء الكوني في عقله وبيرونيه ويعلمه كأنه هو الذي خلق  
الخلق .. وكأنه هو الله .. أو نصف إله ..

ولذلك بعثنا الفلسفة وجعلت لمفولنا فكرنا .. فكان الواحد يمثل مفعول  
من ، محدود الاطراف .. بين الأرض ويناطح السحاب ..

ولكن كان هولير هو الذى يقوم بتصويب الدبابيس إلى عظمى مرا .. فكما  
وحدت دفعة عدى أو عدد بحري أمسكت ديوما وأفضته فى الكرش  
بعظمى .. فإذا به هواء .. وإذا يصلح به جنة هلمة على الأرض .. كأنسى  
سقطت بالونا .. أو كأنسى بزعت جناحى بسر كبير ..

وانجهت من دراسة الفلسفة إلى دراسة الفلك .. إن الفلك هو العلم الذى  
يجعلك تشعر بصالة نفسك وعقلك وأوصك وعالمك ..

ولذلك كان الفيلسوف الأمانى كنت يقول : شينل أشعر أعلمهما بالتواضع :  
الصمير الاخلاقى فى أعماقى ، والكون العظيم من حولي !

وانتابنى بعد ذلك فترة من الشك العميق .. الشك فى كل ما يقوله  
الفلاسفة .. والشك فى قدرتهم على الإحاطة بكل شيء . ويتدرى على العهم  
وعلى أن أكون قادرا على الحكم على الأشياء ..

وقد دلست الشك إلى كل الاتجاهات الفلسفية والدينية .. كل مجموعة من  
النصوص والمجربين بطارونوسى فى كل مكان .. فكنت أحنىء فى كل بيت ..  
سحت كل مظلة .. فى كل نقطة بوليس .. فى كل مسجد .

واجنحت إلى وقت طويل ، لكن أعرف أن هذا الشك فى داخلى .. فى  
أعماقى .. وأنه ليس من خارجي !

وأنها غلطتى عندما أحسنت أن كل سقف أجلس نحتة سوف يقع فوق  
رأسى .. وكل سلك كهربي وكل صود نور .. وكل شجرة وكل سيارة .. وكل  
كوبرى .. سوف بهار .. ولذلك فقد امتلأت بالتحوف والشك والوسوسة  
ولم أعد قادرا على الثقة بأحد أو فى شيء . حتى هذه الكلمات أحسنت أنها  
عاجزة عن أن تقول لى ، وأن أقول عن طريقها أى شيء !

ولمحت إلى وقت طويل لكن أتحذر من شيطان هولير وغيره من  
العلامنة ..

صحمد الله على سلامة عظمى ، وإيمانى وبقينى وللشعة بالنفس والنفس وبالله !



تکلم حتى أراك



## تكلم .. حتى أراك ..

كنا نجلس كل يوم على سلم مكتبة المنصورة .. وكل واحد منا يلحس الـدى قراه . ولاحظت أن كل رملكى يتحدثون بصورة عادية .. إلا أنا .. فلما أرفع رأسى وأراجع إلى الوراء ثم أنظر إلى الأرض .. ولا أقول شيئا . وبعد ذلك أنصع يدى على رأسى وأحاول أن أقول . ولا أعرف ما الذى يحتاجه رملكى . هل كانوا يقولون : هذه هى طبيعة الطلعة .. أو هذه هى نهاية كل من يدرس الطلعة .

أما أنا فلم تكن قد فكرت فى شيء من ذلك .

وفى مرة أخرى وجدنى أتحدث إلى نفسى بصوت مرتفع قليلا : لابد أن أعرف نفسى .. أعرف قدرنى ومستقبلى لابد أن أعرف ذلك بنفسى ! ثم أجدنى قد سكنت . واتجهت إلى شيء أبير ..

ورأيت أننى لمست فاهما هذا الذى أقوله وإنما أنا أقعد مدرسين الطلعة . هذا كان يشغل من باب الفصل ويشغل عنا من الواقفين نهاية له . ويظل يروح ويحس . وقد يمسنا تعلما . ثم إننا هو يهيق من انشغاله العميق . ويظهر إلى وجوهنا . ونخاف من نظراته الفاضة والنقى تكتسحنا عموما ، ثم تتركنا واحدا واحدا . وقد اعتدنا على أن نقب بلا معنى وأن ينعرك هو بلا هدف .

إذن هذه هى الطلعة . وهذه هى البداية اليومية لحصة الطلعة . أما بعد ذلك فهو شيء عالى جدا . هو طلع المدرسين طربوشه ويصحه هرق أوراقه ويمنهم ويعود ببانديا واحدا واحدا كأنه كان وسيطا فى جلسة تحصيل الأرواح ثم انتهى دوره .. وعاد إليها . فى غاية البساطة . وبعد ذلك ينجه إلى المنصورة ويكتب أسماء وعبارات . ويذى الجرس وينتهى الحصة . ولم يفهم أى شيء .

هل كنت أقعد المدرس ؟ نعم . هل الفلاسفة يفعلون ذلك دائما ؟ يجوز .

وفي جلسة لوالدي مع عدد من رجال الدين والشعراء دعت وصحوب  
أقول : ولكن يجب أن يعرف الإنسان نفسه نفسه ! لم تكن أحد من طلبة من  
أن أقول شيئا ، ولم تكن هذه العبارة لها أية علاقة بما يقال . تلت الجميع  
بعضهم إلى بعض .. ووضع والدي يده على جبهتي ليعرف إن كنت مريض  
ثم انتقلت يده إلى خدي ثم إلى كتفي قائلا : الله يفتح عليك يا ولدي !  
وكننت في حاجة إلى هذا النداء . لعل الله يفتح لي نوافذ العلم ويصح لي  
كنوز الصبر وأبواب المستقبل !

وعرفت أولا أن هذه الفلسفة لمست مما يهم كل الناس . وبس من الصهل  
فهمها . ولكن لا بد منها .. ووجدت أن عندي استعداد كبيراً لدرستها وإن  
كنت لا أعرف كيف أنجح في ذلك . فالذي يقوله المدرس ليس واضحاً ، وثبت  
كانت هناك بعض العبارات الجميلة . فقط عبارات . ولكن لا يوجد أشخاص .  
وعنى الأشخاص لا أعرف ما معنى مثل هذه الأسماء : سقراط أفلاطون  
أرسطو .. هيناغورس .. ألكسندر عوارس ديموقريطس .. هرقليطس  
جورجياس . ليس سيكون هبوم .. كنت . هيجل شوبنهاور ونيشه .  
ومفروض أن أعرف كل هؤلاء في سنة واحدة .. وأسماء أخرى عربية  
الفرائي وابن سينا وابن رشد والملايبي والكندي وإخوان الصفا .  
إلى هذه هي الفلسفة ..

وأول الأسماء وأعظمها : سقراط ..  
وهناك أكثر من سقراط . سقراط الذي سمعت عنه في الفصل ..  
هذا الرجل قال : إن الإنسان يجب أن يعرف نفسه . بنفسه .. وعلاقته  
بأنفس . ضروري . وأن يعتمد على نفسه في فهم ذلك  
وأن هذه هي النصيحة التي قالتها قارئة الأفكار . العرافة . وهي فتاة صغيرة  
تجلس في كهف ويذهب إليها الناس حسبا لهم بمستقبلهم ولما ذهب إليها  
الفتى سقراط قالت له : [أعرف نفسك نفسك !

ودع الفتى يحاول أن يعرف ما هو الجسم ما هو العقل ما هو الفكر ما هو  
الحوار الذي بينه وبين الناس !

وهناك سقراط آخر ذلك الذي سمعت عنه في كلية الآداب وهو رجل

معمور بالفكر عن الحياة . وعما يدور في رأسه ، عن الذى يدور في رؤوس  
-- بل إن مر واحده أن يفتح أئمنه الناس وأن يستخرج منها للعقل والمخ  
عج بطوبهم وأن يستخرج منها قلوبهم وأن يفصلها وينشرها أمامهم سقراط  
حور . إن أمي ، دابة .

وهو الآخر يهوم ببعض العمل هوولد أفكار الناس ..

كل تلك بالعقل . فهو يمشى عن كل الأفكار الجعية والظاهرة . ويأقنها .  
عن يافئ والناس مبهورون به حتى يصحج كل أفكارهم . وكان يهل تلك  
هه يتمشى في الشوارع . أو وهو جالس على سلالم المعابد . نلما كما كنا  
حسن على سلالم المكتبة .

وكان سقراط يمشى جاليا . وهذا ما لم أستطع . وعارى الصدر شناء .  
وهذا ما لم أستطع صوبا .

وه سميد نكي بارع عظيم هو أفلاطون . وهو الذى سجل كل محاورات  
سقراط مع تلامذته .. كيف سجلها . لا يعرف . هل كل الذى كتبه أفلاطون  
هو بصيغ ما قاله سقراط أو هكذا بحبه وأصاف إليه الكثير من الجمال  
بصيق ؟ لا يعرف . وإنما سقراط لم يكتب حرفا واحدا ، وأفلاطون لم يؤلف  
حرفا واحدا . وإب هو سجل فتم لنا ما قاله الأستاذ . فتم لنا أستاذين عظيمين  
في وقت واحد ؟

وسقراط ثالث هو الذى قرأه على مهلى وبمنعة لا تنتهى . فلم أكن تعلمدا  
بكر ، ولا طالب يبحث . وإنما كنت قارئا كانا يتأمل وبمنع . هذا هو  
سقراط الذى أعجبنى والذى أحببته ، بلا حوب : أى بلا حوب من الامتحان .  
بلا صبط من الوقت الصيق . والأستاذ المنعجل ، وإنما بهرتى هذا الأستاذ  
عظيم والإيمان البسيط ، والبغرية المتواضعة .. والذى لا يستطيع أحد أن  
عنده أو يجاريه ، ولا هذا من الصورى في شيء . إنه هو هكذا ، وهو  
حده .. ولا يمكن تكرار ما حدث له أو ما أحفته ..

في ساعة مبكرة من كل يوم يلاحظ الناس أن سقراط قد خرج مسرعا .  
حافى القدمين عارى الصدر والرأس . ويخرج من شقيقه صوت صبايح : صبايح  
نحير .. ونحن لا نعرف إن كان خيرا أو شرا .

ثم هو بمعنى يحدث نفسه : ولكن ما هو الخير .. حيرى ان أو خيرك أنت .. أو هو خير الناس جميعا .. الخير الذى يريده الأغبياء أو الخير الذى يشده الفقراء .. وما هو الخير الذى يريده المظلوم ؟ أو الخير الذى يريده الظالم ؟ وهل إذا صبح الإنسان منكيا لتفسير الخيار واستخدم فى قتل إنسان فما هو الخير . ما هو الخير الذى يمكن أن يحققه المسكين .. وهل إذا كان المسكين مسروقا والخيار ليس مسروقا ؟ هل من الخير أن نقشره بمكين لهما لك ؟ وهل هذا خير أن يكون المسكين مسروقا والخيار أيضا وانت تفعل ذلك من أجل إيمان جائع ؟

وكثيرا ما سمع الناس سقراط يهمهم ويقول : ولكن لا أعرف الحقيقة ؟ نسي أحاول أن أفهم ولكنى لا أستطيع ..

ثم يخرج سقراط قطعة من الأسطح ويطلب بها النماثيل فى المصعد ، هذه هى طبيعته فالمصاهر قد تركت مخلفاتها . ولابد من أن يطفئ النماثيل كل يوم .. وكثيرا ما سقط الجير على وجهه . ونسى أن يمسحه ويقال إن هذا الجير هو الذى ترك البثور الفاترة على وجهه . وبذلك أصاب مریدا من القبح إلى صاحب العبارة الجميلة . وكان سقراط نعيما جدا . لدرجة أن تلاميذه كانوا يعترضون عنه . فعين يذمه الواحد للناس يقول : ولكنه سقراط أستاذنا العظيم .

أى رغم هذا القبح والنعامة فهو أستاذنا ومعلمنا

وكان سقراط يمشى متفرج السافين . وكأنه يسعى إلى الأمام ويحول إلى من يراه أنه يعتمد لأن يقفز .. أو للسقوط على الأرض ، لكن يمشى على أربع .. وكأنى يمد يديه إلى الأمام . كأن يديه كانتا ساقين من هبل ، وأنه حديث العهد بالمشى على رجلين ، وكلنت حياء واستعين .. وكان تلاميذه إذا نظروا إلى عبيده ففهم يفهمون كل الذى يريد أن يقول . قال واحد من تلاميذه : لم أر الأستاذ بأفكل قط .

وقال آخر : ولا رأيت لديه أية رغبة فى النوم .

وقال ثالث : كنا نبيهه إلى ضرورة العودة إلى البيت .

وقال رابع : ولا مرض قط ..

وقال خامس : ولا سمعته يجيب عن سؤال إلا بمسؤال آخر .. فكل عبارة

يقولها تنتهى بمسؤال .. فهو السائل إلى الأبد .

وعندما هبطت حمامة فوق رأسه اندرج وقال : كأننى شجرة لو كأننى  
حنان . كأننى ميت .. هل أنا لم أنحرك منذ وقت طويل ؟

فقال له : منذ ساعة .

فقال : ولا أنتم ؟

فقالوا : ولا نحن .

قال : ولماذا ؟

قالوا : سنظر ذلك يا أستاذ .

قال : على ماذا ؟

قالوا : على السؤال .

قال : أى سؤال ؟

قالوا : وهل نصبت يا أستاذ ؟

قال : فما هو التمييز ؟ هل الإيمان يسمى الذى كل يعرفه .. هل يسمى شيئا  
كـد يعرفه .. ثم جاء شيء قد جعلنا نفسى .. فليهما الأقوى .. وليهما الأضعف :  
نرى عرفاه وسماه .. لو الذى عرفاه أميرا فجعلنا نفسى ما كنا نعرفه .. هل  
سيان بعمه ؟ هل من التصورى أن ينكر الإيمان كل شيء ؟ هل هناك أشياء  
مجهلة ولذلك يجب أن نساها ؟ هل هى صارة ولذلك يجب أن ننساها ؟ هل نحن  
نسمى الذى نحب لو نفسى الذى نكره ؟

ويقال إن تلميذة أفلاطون كان غنيا وأنه هو الذى كان يفتق على أستاذة .  
كما حدث فى القرن الخامس عشر عندما كان إنجلز يفتق على كارل ماركس .  
ولا نعرف كثيرا من الذى كان يحدث فى بيت سقراط .. فقط نعرف أنه  
مروج وروجه اسمها أكرنطية . هو الذى حدثنا عنها . وهو الذى قال أن  
« ولادا » ماذا كانت تقول الزوجة والأولاد ؟ لا نعرف . فقط هو الذى  
صححنا على زوجته . وهو الذى أبكى سماء العالم عشرون قرنا . فقد كان قسما  
على المرأة عظيم الاحترار لها . وكل علامة الإهريق وأوروبا حتى نهاية القرن  
خامس عشر .

هذا الذى يجعل روجة سقراط تهجم عليه بالكلام الخارج أمام الناس ؟ فلماذا  
صححه ذلك ؟ إنهالت عليه ضربا ؟ فلماذا أضحكه ذلك ؟ كانت إلى البيت بسرعة  
« ملأت وعاء بالماء القدر وألقته على صدره المارى .

فلذا أطلق من هذه الإهانة ، التي تؤكد احتقاره العظيم للمرأة قال . إن زوجي  
كلساء تزعج وتبوق ، ثم تعطر بعد ذلك ؟

ولم تكن زوجته كلساء ، وإنما كنت كالأرض يدومها ويصربها بفسانه  
ويطعمها في أفسح صورة طسعة عرفها لفكر الاتسالي !

وطبيعي أن تصيق امرأة برجل من هذا الطرار : عاطل .. لا وظيفة  
ولا مال .. ولا حضور له في البيت .. ولا يدرى من أين جاء أولاده .. ولا من  
هم أولاده .

فلذا قلت له للزوجة : ألا نشمر أن لك بيتا ؟

فجيب : كنت على يقين من ذلك !

- وأن لك زوجة .

- تصيب ألا تكون .

- وأولاد ؟

- طبعي أن يكون هناك أولاد ، ولكن ليس بهذه الكثرة !

- فما لدى تقترحه حلا لذلك ؟

- ما رأيك أنت ؟

- هل نغرقهم أمهات !

- ممكن ولكن هل هذا يحل مشكلة الأولاد في كل بيت ؟

- لا شأن لي بالبيوت الأخرى . إنني أتحدث عن هذا البيت .

- ولكنني مشغول بالبيوت الأخرى !

- إنهم أحسن حالا .. فهي بيوت لها أرواح .. لها آباء ..

- وأنا أنت زوجا ؟

- ولكني لا أملك .

- هل أنا زوجك ما كنت في البيت ، فلذا خرجت لم أعد زوجك ؟ .. هل

ينبغي لكل روح أن يسحب زوجته من بيتها وأولاده وراعه لكي يؤكد للناس أنه

روح وأنه أب وأن هؤلاء أولاده .. فلذا لم يعمل تلك فليس زوجا وليس له

أولاد ؟ هل إذا جاء أخوك لزيارتك ، هل يكون هو الزوج لأنه موجود في

البيت ؟ هل إذا خرج معك إلى الشارع ومعهك وأولادك يكون هو الزوج وأكون

أنا العتيق ؟

ولا تملك زوجة سقراط إلا أن تنهض وتحضر قطعة من الأسحج في صه وتحاول أن تصفه . فهي قد تعبت من مثل هذا الحوار .. تعبت لأنها لا تعرف إن كانت زوجة أو تلميذة في متروسته .. تعبت فهي لا تعرف إن كان زوجها يتحدث إليها أو يتحدث إلى صه .. ينظر إليها أو ينظر إلى أشباح في الظلام .. وفي يوم عاد سقراط إلى بيته فوجد الباب معلقا . وراح يندق الباب . فلم يصح أحد . فجلس أمام البيت . وجاءه تلامذته يسألونه : ماذا حدث ؟ فقال سقراط : نعلها خرجت . ولكن لا أعرف إلى أين ؟ فهي عادة لا تذهب إلى السوق ؟ ولا تستطيع أن تذهب إلى أهلها .. ثم أنها لمبت من الشجاعة بحيث تنقل نفسها .. ولا من الجسور بحيث تنقل أولادها .. فهي لا تصعد تلك .. وإنما هي تريد أن تقتلني ؟ ولا أعرف إن كان هذا هو الحل ؟ فإني قتلت ولادها فلا أعرف ما هو الهدف ؟ وإن قتلت نفسها وتركنت أولادها فهل هذا هو حب لأولادها وكراهية لنفسها ؟ وإذا قتلهم ثم قتلت نفسها فما هي المشكلة التي انحلت على يديها ؟ وهل الانتحار حل ؟ وأيهما أشجع : القاتل أو القاتل . فإذا كان القاتل هو القاتل ؟ من هو المجرم ومن هو الشهيد .. وما هو الفرق بين قاتل صه وقاتل غيره ؟

وكان الحل هو أن واحدا من تلامذة سقراط قد انتقص من مكانه . وبه سقراط إلى أنه يندق الباب للحظا . فلم يكن ذلك بيته 1

وكأبوا إذا قدموا لسقراط تلميذا جديدا يقولون له : يا أستاذنا هذا هو التلميذ الجديد فلان الفلاني .. أبوه .. وأمه .. وطبقته الاجتماعية .. وهو لا يحمل وإنما يريد أن يتعلم على يدك فهل أن يعمل .. الخ .

وهنا يندق حينما سقراط وتفجر في داخله ألوف الأسئلة . وليس من الضروري أن يجيب عنها التلميذ . فسقراط لا يسأله وإنما هو يسأله أمامه : ولماذا اخترت القلم ؟

- وإنما أنا اخترتك يا أستاذ .

- وما الذي اخترته .. إن كان جسمي فهو سلك لي ، ثم إن جسمك كغزير حيوية وشباب .. وإن كان عظمي فهو ليس ملكا لأحد .. لا لك .. ولا لغيرك .. ثم ما هذا الذي تريد أن نعمله .. إن كنت تريد أن تصبح نجارا ، يجب أن تذهب

إلى المجار .. وإن كنت تريد أن تصبح طبيباً ، فإذهب إلى الطبيب . ولكن  
الفلسفة ؟ ما الذى تريد منها ، وما الذى تريد أن تكونه ؟ ثم من الذى قال لك  
أننى أحسن الناس ، أو من الذى قال لك إنك أحضرت الاختيار ؟ ثم هل أنت  
احترت بكامل حريتك . أو تقلد المملكتك ، أو هرباً من بيتك ، أو عناداً لوالدك  
الذى لا يحبنى ، أو اتفاقاً مع أمك التى تريد أن تغوط والدك . وبصحبى  
بمستقبلك .. قل لى بالصبط !

وفى يوم التفت للتلامذة حول الأسد العظيم وسألوه جميعاً .. إلا واحداً ..  
محل سألنا . كلما اتجهت إليه عينا سقراط ، جعل ينظر إلى الأرض إلى  
قدميه .. وكلما حاول سقراط أن يقترب منه ، هرب بهيمه بعيداً عنه .. وأخيراً  
قال له سقراط كلمته الحكيمة البليغة : تكلم حتى أراك !  
أى تكلم لكى أعرف من أنت ؟ ما تفكره ما هدفك ؟ ما أمك فى الحياة ،  
ما الذى يفتقك على نفسك !

• • •

هكذا كان أسناننا للعظيم سقراط . قد علمنا : أنه إذا لم نسال فلي نعرف .  
وإذا لم نسال أكثر ، فلي نعرف أكثر . وإذا لم نندعش فلن نسال . فالدخلة هي  
بداية المعرفة لنفسك .. ولنفوس الآخرين .. لعالمك ودمها الناس ..

وكل أب يبحث عن ابنه فلا يجده ، فإنه يعرف أين هو .. يذهب إلى أحد  
مبائير أثينا .. ليجد مجموعة من الشباب قد التقوا حول سقراط .. فالتشبس قد  
مركوا المدارس والوظائف والأعمال والحياة البينة .. لا يريدون أن يأكلوا ولا  
أن يشربوا .. ولا أن يسمعوا إلى مصلح التالدين .. فلا أب إلا سقراط ..  
ولا حكمة إلا لسقراط .. ولا هدف إلا لسقراط ..

ثم ما الذى يقوله لهم ؟

إنه يشكك فى كل شيء .. ولا يتقبل كل حقائق الدين والحياة دون بحث ودون  
مناقشة ..

قد رثل سقراط كل أسس للدين والتقليد والأسرة والأبوة والأمومة .. ثم  
أنه المحترق العظيم لكل صاحب سلطة وصاحب مال وصاحب جمال فكل



شيء فان والانسان ما دام فلنيا ، فكل ما له علاقة بالانسان رائل .. أما الباقي فهو الفكر .. فهو الحقائق التي تحيى بعد نامل : الحير والجمال والحق والعدل والتفصيله التي هي جوهر كل سلوك انساني !

• • •

وصليق الآباء وقرروا أن يقضوا على سقراط ذلك المصد العظيم والمعلم لآمال الآباء .. والخائن للوطن والداعية إلى ديانة جديدة . هكذا اتهموه ! وهي مكان عام قرر أحد الآباء أن يحرض الناس على سقراط فأثنى بواحد من أبنائه وسأله أمامهم :

- أنت تلميذ لسقراط ؟

- مع الشرف العظيم .

- ولست تلميذا لوذلك الذي يعدم الناس في كل مكان ، والذي سوف يترك لك ثروة عظيمة ولزوجتك وأولادك وأهلك ..

- ليس أعظم من سقراط .

- أغنى من أبيك ؟

- نعم بأفكاره العظيمة .

- وأبوك بلا فكر ؟

- لم أهرب الحوار معه .

- إذن حلورني الآن ..

- موافق .

- هل تؤمن بزيوس كبير الآلهة ؟

- إني لا أعرف بالصبط من هو .. ولا معنى أن يكون أحد إله ، وأن يكون أحد آخر كبيرا للآلهة .. ما فائدة أن يكون هناك إله ؟ ما هي صفاته وما هي قدراته العارفة ؟ ومن الذي صنعه .. لابد أن أحاوره هو أيضا ؟ فلنا كان هو إلهنا لك ، فلنا لم نأخذ قرارى بعد ..

- ما الفرق بين الانسان والاله إذا كلان لابد أن يحاوره وأن يزيل الغموض

بيهما ؟

- إتني لا أرى القوارق إتني أصيقها فقط .. لكى أراه ويرانى .. لكى أعرف  
منه بعض المعلومات .

- مثل ماذا ؟

- مثل ما معنى القنصة ؟ وأى قلعة للانسان أن يعترف بها .

- إن الإله لا يتزوج ؟

- ولكنه يعنى على الزوجات .. فلماذا ؟ هل لكى يؤكد قدرته .. ألا توجد  
وسائل وصور أخرى يقتضا بها ؟ إن الذى يحتاج إلى قوة خارقة لكى يكون  
خارقا ، ليس خارقا .. فالغنى جدا ليس هو الذى يقرص فلوس الآخرين ...  
وإنما هو الغنى بالله هو ، وبما ملكك بداه ..

- ألا ترى أننى غنى ؟

- أرى ذلك .

- وأنت غنى ؟

- لا أرى ذلك ..

- إن مالى هو ملك .

- ليس صحيحا .

- لا تصنفي ؟

- لا أهمك فقط .

- حاول .

- سوف أحاول : أنت تملك مالا كثيرا ؟

- نعم .

- هل أنت أغنى أو غنى ؟

- أنا

- من قال ذلك

- أنا

- ولكنه يقول أنه أغنى منك .

- سوف أكون أغنى منه .

- إذن أنت لست راضيا عن حالك .. كذلك فقير .

- كائى

- إن أنت لست غنيا ، وأنا لست غنيا أيضا .

- عندما أموت سوف تترك أموالى ؟

- وقد أموت أنا قبلك فترثت أنت ما كان يجب أن ترثه .. ولكنك سوف تكون غنيا .. لأنك فقير بملكك ، وسوف تكون بلا ولد .. وسوف تريد فقرا .. إن أنت لست غنيا .. ولئى تكون غنيا بعد موتى .. هل تكون غنيا إذا مات عمى ..

- نعم ..

- ولكن أموال عمى سوف تذهب لأولاده ..

- سوف أكون أغنى من كل أولاده .. لأن أمواله موزعة عليهم ..

- ولكن ما قولك إذا أولاده قد أعطوك هذه الأموال كلها . هل تكون غنيا ؟  
.. أكون غنيا جدا ..

- ولكن أنت لا يملك أن تكون غنيا . أنت يملك أن تكون أغنى من أخيك وأولاد أخيك .

- صحيح .

- فإذا لم تجد أحدا تشعر بأنك أغنى منه ، هل تكون سعيدا .

- لن أكون سعيدا ؟

- إن أنت لست سعيدا الآن .. ولا سعيد إذا أنا مت .. ولا إذا مات حوك .. ولا إذا ترك أولاده ثروتهم لك .. فانت لست غنيا إذن !

ولم يكن الآباء فى حاجة إلى ما هو أكثر من ذلك من أجل القضاء على سقراط .. إنقاذاً للشباب والأسرة والبلاد والدين والمطعة والممتلكات ..

وكأنما أراد هذا الأب أن يقضى على سقراط بالضربة القاضية الفدية . فسأل به : وأنت ؟

- ما لها ؟

- أليست أمك ؟

- هى التى تقول ذلك .

- وأنا ألتصق بأباك ؟

- أنت الذى تقول ذلك .

- إنى كيف تتأكد من أنك لست لى وليس لأمتك ؟

- لا اعرف الا . سوف أبحث ذلك مع سقراط

- هل هناك شك في أننى أبوك ؟

- ممكن

- إن لم أذا أحبك ؟

- لم الامان يحب ابنا كثيرين .. حاتم وكلية وروجه وعشيقته ..

وعمثالا ووردة . والسماء والنجوم

- وأنت ألا تشعر بشيء باحبنى ؟

- بالامتنان

- لأننى أبوك ؟

- لك لو كانت صفتك

- فما هي صفتي ؟

- لابد أن أتأكد من ذلك

- إن أنت لست على يقين من أننى أبوك فذلك ابسى .. وأن أمك هي

والذلك ..

- بالصبط .

- وحتى نتأكد

- سوف نحاول ..

- فإذا لم نتأكد هل تبقى في البيت ؟

- الأمر متروك لك ..

- وليس لك رأى ؟

- سوف يكون لي عندما أتأكد .. لكن إذا أردت فنت أن أتترك البيت فوراً

سوف أعمل .. وسطر الأب إلى بقية الاباء . واتجهوا جميعا إلى القضاة

ورفض سقراط وحوله القنيل . وجهوا إليه بهمة : تكبير الشهاب وإسنادهم

ودعوتهم إلى إسقاط النظام والحكومة والتقاليد وتحقير كل الآلهة وكل الأديان .

ولم نسمع المحكمة لوجه سطر سقراط هي أجمل وأروع مراعاة في التاريخ

فحكمت بإعدام سقراط .

وبصحة تلامذته بأن يطلب العفو .. رفض . بل يطلب التوبة .. رفض .

وجامت زوجته وأولاده بىكون . وانتظر القضاة أن يستمطعهم رفض .

وحيروه بين أن يموت شيقاً وأن يموت بالسم . فاختار أن يموت بيده  
وسجل لنا نلموده أفلاطون السابعة على موت سocrates . وهي صفحات  
مدرسة ما عرفت الفلسفة والأدب وعلم النفس والتربية ..

تذكرت كل ذلك يوم جلسنا حول سرير الأستاذ العفاد مريضاً ممدداً شلجها  
هاسس الصوت متوقد العينين حليصاً الذاكرة لا يغيب عنه شيء مما يقول ..  
وكن هو أيضاً يتحدث عن الدين والموت .. وما الذي خرج به من هذه الدنيا ..  
وما الذي يساويه كل هذا العناء . قلت : هل هذه الدنيا يساوى ؟

قال : يساوى . نحن لم نعرف غير هذه الدنيا .. لو كنا نل للواحد منا أكثر  
من حياة كما تقول الدينية للهندية .. لمرها إلى كانت حياتنا هذه أصل من حياة  
سبعة .. أو من حياة لاحقة .. إذن هذه الحياة يساوى ..

- لو عدت إلى الوراء

- لو عدت إلى الوراء لأحدث هذه الحياة بكل ما فيها من قرب .. لأسى  
عسى أعود فسوف نعود كل ظروفي النفسية والاجتماعية والسياسية .. وسوف  
سحب في آلة العصر .. مصغراً ضمن آلة صفحة .. وتقوم الآلة والنبور  
معها .. وأبلغ هذا الذي بلغته ..

- وهل تأسف على شيء

- وما جدوى الأسف يا سيدي . لقد انتهى كل شيء ..

- والذي تفكر فيه الآن ؟

- أفكر في أن التفكير لا جدوى منه .. وإن يكون عندي منافع من الوقت  
نحى أعرف .. ولكن عندي إحساساً غريباً الآن . هدوء وصفاء .. وأفكار  
كثيرة ومشاريع أدبية .. كانت كلها قائمة .. ومضى ذلك أنني عندما كنت  
مشغولاً ، كنت مشغولاً عنها .. تماماً كما تنصرف إلى عملك ، ولتشتغل عن  
تواضيع على باب مكتبك أو عن الجالسين معك .. أو عن سماعة القهقريون التي  
وصفتها وتركت واحداً على الخط .. أما الآن .. فلا أحد أمام الباب ولا في  
مكتب ولا على الخط ، فلم تعد مشغولاً عن الذي في دماغك .. بل أنت  
لا تستطيع أن تشتغل بهذا الطريق الطارىء الجديد .. لا وقت ؟

وقال أحد الحاضرين وبسرعة خوفاً من أن نخونه الكلمات : إن كنت في  
حياتك امرأة يا أستاذ فلماذا لا تتزوجها هورا ؟

وصحك الأستاذ العقاد حتى خشيما عليه أن يموت من شدة الاهتزاز بكل جسمه .. بكل البطالين والبربر أيضا .. وصحكا نحن أيضا ، حتى أحسب أن البيت سوف يهدم فوق رؤوسنا نحن أيضا بهتر مجاملة للأستاذ وسادة لصفاته ونوقعا لشيء سوف يقوله . أنت فقط تريد أن ترى أرملى : هاهنا ! ولم نجد ذلك مصحكا . وإنما استرحنا إلى أن الأستاذ العقاد قائم على الصلح ، وعلى تشجيعنا على ذلك ..

وهول سقراط جلس ثلاثيته أكثر حزبا وأكثر حيرة . ولا يعرف كيف يفعلون سقراط بألا يموت بالسم .. ولم يطعوا ..

وجاء من يحمل له السم . وودع سقراط ثلاثيته . وأوصاهم بالتساؤل ليعرفوا أكثر .. ونصحهم بأن يصفوا ما يعرفون . وطلب أن يكون وحده عند شرب السم . ولحد الكأس وأنها من صه . ونقصت أسنانه . وأمس بمفص عنيف . ووضع يده على بطنه . وأحصى وجهه . وسحب الفطاء . وتمدد نون أن يظهر الأثم على وجهه ..

ونلوى مثلا أعلى وموتجا رهبا لعب الحقيقة والسر عليها . والدعوة لها . والموت في سبيلها بشجاعة وكبرياء !

مات سقراط عن سبعين عاما سنة ٣٩٩ قبل الميلاد واختلف ثلاثته سقراط . فأناس حاولوا أن يقتلوه في طريقته في الكلام . وقتلوا . مثلا : يوم ودعوه وقتلوا صامتين لا أحد يريد أن يتكلم ولا يعرف . حتى تشجع واحد فقال . هل مستف هذا طويلا ؟

- وهل وقفا ؟

- إذا لم تكن جالسين ، فمن واقفون .

- ليس الوقوف والجلوس هما اللوصفان للوحداني للإنسان .. من الممكن أن ينالم واقفا وأن ينالم جالسا ..

- هل تريد أن نقول أنك الآن تتكلم أثناء اليوم ؟

- بل أنا لا أتكلم ولا حتى أفكلم .. ليس أفكلم نفسي .

- ولكنك تتكلم .

- وأنت سمعتني بالصدفة .. أنا لم أفصحك .. أنا أقصد هذا الكلب القاتم

محوها !

ومثل هذا الحوار المحيف جعل للثلاثة يهربون من بعضهم البعض . هـ  
مات التردعي ، ففترعت الأغنام ..

ابتلع الخيط ففترقت حيات للمعد . ؟  
لقد أهد مغرابط المعنى معه ، فأصبحت ألفاظ بلامته بلا معنى !  
وبعض تلامذه اختار أن يمشى عاريا خلفها وأن يبيع .. نعمًا ككلاب ..  
وقالوا : أينما يبيع الترديلة !

وبعضهم قرر ألا يعود إلى البيت . وأن ينام في الشارع . وفي براميل  
الـ " " بعضهم توجهوا إلى الشوارع الجدي لاحتقار المرأة واسمها عنها ..  
أما تلميذه المعلم أفلاطون هـ بشر هذه المخزورات . وحاول أن يطبق آراءه  
في السياسة . فأصوبه جريدة لكي يهتم عليها المجتمع المحيد الذي يتساور فيه  
كل الناس والذي يكون فيه الفلاسوف هو الملك .. فقد كان الفلاسوف هو  
الصفولك سقراط .

وشمل أفلاطون في تحقيق حلم الفلاسفة في أن يكونوا ملوكا يطبقون  
آراءهم . وتحقيق حلم الملوك في أن يكونوا فلاسفة أي لهم ثقافة والحكمة ..  
بهم السيف والمصباح .. لهم الطريق والطريقة !

• • •

وفي إحدى ليالي الشتاء في جمعية ، الإخوان المسلمين ، بامبابة .. وكانت  
ليلة القدر . وكانت لي فسيدة . ألفتها وجلست . وكان في أنس صبحر  
وبصيف وصوصاء . ولا أدعى أنسى عرش شوق مع يقال هولي .. ولا رأيت  
بوصوح . واقترب مني أحد الأخوان وسحبني إلى ركن في عرفة مخفية  
وأقبل الباب وقال لي : هل تعرف معنى الذي قلت  
- ما الذي قلت ؟

- هذه الفسيدة .  
- معروض أننى أعرف وأننى نظمت وأننى ألفت . وأننى مسئول عن كل  
كلمة صانها قلت ؟

- لا تعجب منى . صغير . وانا فى مقام والذئك .. والذئك لا يرمى  
الذى قلت فهو رجا صغير مصروف . وأنت تمنى مؤمن ما فى ذلك شك ..  
ولكن هذا الذى جاء فى القصيدة  
- لا أفهم

- كيف سئلت ما السواول . ما اجابات .. ما الذئك .. ما الطريق بين  
المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ؟  
- ألا يصح ان تسأل ؟

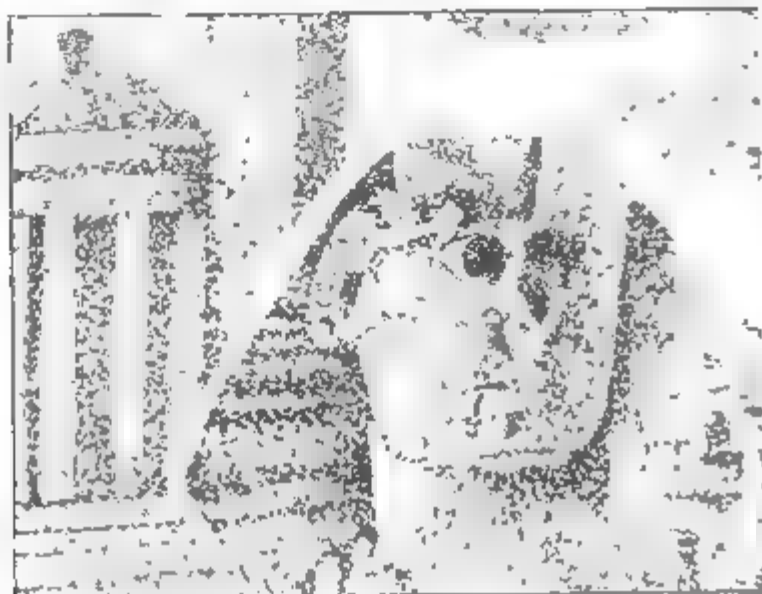
- صح . ولكنك تعرف الاجابة .. ثم ما الذى توقعه من المأمعين إذا قلت  
لهم ما يقول بلا سواول . ما سواول بلا تعجب .. ما تعجب بلا عيون .  
ما عيون بلا حجاب . ما حجاب بلا إيمان . ما إيمان عيون لا يرى إيمان .  
ما معناه لا يظن أحدا . أشك تفزع الناس لك شكك فى كل شيء .  
- معك حق ؟

- معى حق فى أنك تشكك فى الدين  
- لا أفهم .

- انتهى كل شيء .

ولم يجهه أننى سألته لتفليسوف العظيم سراج . وسيتت المصدايق  
والتمكيد والزمان . قد حثيت منى ما رست حالك على سلام المكينة حتى  
رامى وتور بعينى فى الارضين وهى عبور الناس ، وانقلب بين السماء  
والبحوم . وعلى فرائى رسمت علامات الاستفهام ، تعجب وعلى محسنى  
صوره استار استغشى . سراج .





لكن سقراط لا يعيش في  
بؤلاق الذكرور

## لكن حطرات لا يعيش في بوراق الكرو ..

كان من عديمي وأنا طفل في المنصورة أن أذهب إلى محل حلواني في شارع  
السكة الجديدة . ولا أعرف السبب . أما الحلوى فأراها كما هي كل يوم .  
لا تميز .. ولكن عرفت هما بعد أن الذي يشغلني هو شكل الرجل صاحب  
المحل .. إنه قرفان دائما .. وأنا تناول طعاما فهو يأكل العيش والملح ..  
و العيش والحب القديم . ولكن لا يدق الحلوى .. بينما الأطفال سعداء  
بذهاب إلى المحل والوقوف عنده .. وإنظار نورهم في أن يقدم لهم  
.. يربطون .

وأحيانا تشغل أيديهم إلى الحلوى هيراهم ويعطوهم . أو يشجعهم على  
.. والذي يأخذه الأطفال بحدقه من القراطيس التي يعطيها لهم .. واندھش  
رجل . وكذلك لأولاده عندما يجيئون إلى المحل ويبيعون .. إيهام أيب  
: يكسب شيئا من الحلوى .. ولابد أن يكونوا قد رفقوا منها .. فهي عندهم  
.. تروفت ..

هذه الملعونة هي التي أمتلئها لنفس كل يوم .. ولكن لا أذهب في  
تعب .. بعد من تلك . إن بائع الحلوى لا يدورها .. لأنه دافعا كثير . فقد  
عرف ..

.. كـ .. يرى بائع المرقسوس يصنع برميلا رجاجيا على صدره . هيراجع إلى  
لـ .. و يرى الذي يحمل القربة يسمها على ظهره هيرجس إلى الأمام .  
.. .. في يعمل في صباغة الملابس أسود اللون والأظفر .. و يرى الحداد  
عبد شرع ..

.. نمته ولصحة الأثر في كل هؤلاء .. فالمهمة بترك أثره عصويا  
و ..

وهي الريب كنت أرى المرأة ، المعنده ، الذي يستأجرونها لكي بعد مرأيا  
الميب وبكي عليه وبشر السماء هيكير . إنها نجوم يدور عصير البيض في  
العيون . تدور الشمس على كل لسان : هذه المرأة جامدة .. ذيب السماء نعمة  
وهي لا تبكي ولا ترحن . إنها لحنوت إلهية للنموح ، وروية النموح نور اب  
يهدر لها جه ..

ولو تطلعت في وجوه الناس فترة أطول وأعمق لأرباب العجب ولكني  
كنت أنوق بمزعه والاحط وأمسي لكتبي .. فلم يكن عدي وقت لكي أنامل  
وسسلم وأرنب التلنج وأخرج منها مرأى لو بطريه .. فلم يكن الوقت ، كاهي ،  
ولا كنت قد تعلمت أن أقامل وأن أسجل كل ذلك ..

وكلما رأيت أناسي في الطمعة استعنت كل هذه الصور .

فالشهخ مصطفى عبد الرارق أسناد الطمعة الإسلامية : لطيف رقيق أنيق  
واضح الفلق .. ولكن كل الحر في صوته وهو يثلو القرب والآنانيث  
ويستمرس المطريات الفلسفة . فبانه ما الذي استفاد ، وكيف يهيد ؟

د . عبد الرحمن بدوي أسناد الفلسفة والمطلق صارم الملامح جاف خشب  
لا عواطف لا مشاعر جارج الألفاظ قرفان دائما .. فما الذي أعطته الفلسفة  
وما الذي يستطعمه لنا ؟

د . علي عبد الواحد واهي أسناد علم الاجتماع بحيف جاد ، لا يكن حبا لأحد  
من زملائه ، ولا نحر نكر له شيئا من ذلك . لا هو ألقح في أن يجمعنا بحبه ،  
ولا ألقحنا نحن أيضا في أن نجعله بحبنا ..

د . عبد العزيز عرت أسناد علم الاجتماع إنه قصير دائري الشكرين لطيف  
بضحك بصورة عصبية ولكنه لا يكف عن اتهام كل الناس بأنهم جهله . ونحر  
أيضا . ولا بضحك ولا يعطى أملا لأحد أو عن شيء .

د . يوسف مراد أسناد علم النفس ، إنه هو الآخر في حالة قرف ومثل ينكلم  
وهو كآبه يخاف أن يقول ، ويخاف أن يسكت .. وهو دائم النظر إلى وجوهه .  
يتوقع أن تسقط عيوسا تحت قدميه لينوسها ويسحبها جميعا عميان ورعي في  
ظلمات النفس البشرية .. لا هو مستريح ولا هو مريح !

د . عثمان أمير أسناد الفلسفة الحديثة . إنه هج أبواب الفلسفة وألقها على

فيسوف واحد هو الفرنسي ، ديكرات ، .. هو أول التفكير وهو آخر التفكير .. هو البداية ويجب أن يكون النهاية .. وكلّ الفلسفة قد أخذوا منه . كلهم حصوص . أما أساتذة الفلسفة ، أساتذنا ، هم جهلاء وهم كذابون وهم أميون جميعا . وسوف نرى ذلك فيما بعد .. أما الفلسفة الإسلامية فهي أوصاف بدأت رسيته بالإمام الشيوخ محمد عبده .. وقد يحصل د . عثمان أمين في هذين ترخيص وكتب عنهما أجمل وأوضح ما ظهر في اللغة العربية . ولكنه هو نحسباً قد تجرد تماماً عند هذين الرجلين ويريدنا كذلك !

لأسناد محمد محمود حصيري أسناد الفلسفة الإسلامية . فهو رجل لطيف حميم الصوت له إلمامة حلوة صافية .. وهو لا يكره أحد ولا يهقد على أحد . ولا يعمر ولا يلمر .. ولكن المائدة التي يدرسها لنا جافة ولونها جافة بحد . فهو صورة مختلفة عن الذي نقوله لنا .. وإذا رفع عنه عن الكرسي نرى معنى منها ، كان أظف وأوضح .. وكان هو الوحيد من الأساتذة الذي به بوه راحة . ولكن هذه الأبوة بفسدها ما يقوله ، وهذه الأخوة تعرقها لسته نعمة ..

لاموت رئيس قسم الفلسفة .. رجل انجليزي في غاية الرقة واللطيف . وهو إذا تكلم أحسبنا كأنه يمشي على يمين أو على شوك أو على نار .. يمشي حبيب شديد . يريد أن يقول كلاماً دقيقاً جداً . ولذلك فمن خوفه أن يقع أو يحضيه شديد الكتابة ويقسم بعض الزملاء أنه رأى يضحكه مع عميد الكلية . ونسب لورأيت هذا المنظر !

د . بريستيانى أسناد علم الاجتماع وهو رجل بونفنى . وله كتاب مشهور عن بعض القبائل البدائية . وهو يدرس لنا هذا الكتاب . يدرسه فقط لطلبة لاميير . وكتب أما طالع الامتياز الوحيد في قسم الفلسفة . وهو رجل لطيف حريف . وكثيراً ما دعاني إلى بيته بين زوجته وأولاده .. ولكنه يتكلم في موضوع واحد لا يمل تكراره . وقد مللت !

د . مصطفى حلمي أسناد التصوف وهو رجل ضريب . وكان أحف لامتدح لما ، فهو يعلم أن الفلسفة مرحلة للأعصاب ولذلك كان يذعننا نصحك . وكان هو يصنعك أيضاً .. وكان يستخدم التكتك والتفتشات لتجديد شع شجبة في محاسناته . ولكن فجأة ينقلب غليظاً ملحطاً لأتفه الأسباب

ويؤمن للطلبة والظمفة واليوم الذي ، رأنا ، فيه .. ونقول : معذور !

ود . منصور يائسا فهي ، وكان يدرس لي وحدي ، علم الجمال ، وكان قد انقطع عن القراءة وقتا طويلا . لقد أصبح من معالم المجمع المصري الجامعي والثقافي . ولابد أن يكون الأستاذ العقاد قد ساعدنا على أن نراه في أسوأ صورة . فقد كان دائم السحرة معه ومن علمه وثقافته .. وكنت أشعر بالعباسة في محاضراته . فقد كان يختار أصغر حجرة في الكلية .. مجلس نحن الاثنين معا .. وكان يذعن الباب . ولنا أخفق . فلم يمانني مرة إن كنت أضيق برائحة الدخان . وحتى عندما يصاب بالركام فإنه يظل يسهل ويسهل ويدخن والباب مغلق علينا . ولكنه لا يعتذر ولا يهمه أن ننقل لي العذري . وأكثر من ذلك فلما الذي ترجمت كتابا من الفرنسية إلى العربية عن ، مبادئ علم الجمال ، .. فلما الذي أقرأ وأنا الذي اشرح وهو يمتنع .. ثم خرجت به يطلب مني هذا الكتاب ، ويلي منه محاضرات في الراديو ..

والسيدة برج أسنادة اللغة الألمانية .. إنها سيدة عجور لها سيارة صغيرة مثلها . وكانت تطلب مني أن أذهب إليها في بينها في ميدل الروضة لأركب معها السيارة ونحدث قبل المحاضرة . وعرفت فيما بعد أنها في حاجة إلى من ، يزي لها السيارة كل يوم . وكنت أفعل . فإذا انتهت المحاضرة حملت لها الشطة الملينة بالكتب والتي لا تفتحها . ولكنها تأتي بها كل يوم .. فإذا حدث معها إلى البيت ، اجلسني بعض الوقت لكي تقدم لي الشاي والجاءه .. ولكن قبل الشاي ويسد لابد من معركة طويلة عريضة بلغة عربية مكسرة مع الحادمة ، التي لا تفهم معظم الذي تقول .

د . ابراهيم بومسي منكور أستاذ الظمفة الإسلامية ، وكان عصوا لي التبرلمان .. وكان يحاضرنا وفقا مرتجلا . وكان هو أيضا متعبا . كله قاضي في محكمة الجنائيات . وليس أملكه إلا حشرات الأحكام بالإعدام والمجن .. المزيد .. وكانت محاضراته نوعا من الخطاية مع ضغط شديد على كل الحروف . وبعد المحاضرة لا نجد .. فهو ألقى خطبته واختفى .. والذين عروه عن قرب يقولون .. أنه يسأل الطلبة عن أهوالهم وهو يمس ما يقول لأنه لب وأح ..

ولكننا لم نر شيئا من ذلك !



مثلا في أحد من تلك الأيام ، وكنت قد دفعت سيارة الميمنة برج ، ذهب وإيها  
ثم أربع ساعات في دراسة عقد قسليا المطبق القديم والحديث .. وريارة  
مستشفى الأمراض العقلية ، أوجعت للقلب وأنصت العقل ، وأطعأت كل نور  
في هذه الدنيا .. بعد هذا اليوم الطويل ذهبت بعد صلاة العشاء إلى مكان الحاج  
عمران . وكل هو والإخوان قد عاثوا من المسجد .

لا أعرف أكثرهم .. ولكنهم في حالة من الانتعاش .. الوجود معسولة  
ونفوس أيضا ، وشهيتهم للكلام مقبوحة دائما ..

قال واحد : بل أعظم الشر هو الذي قاله أبو الأسود الدؤلي :

يا أيها الرجل الصلح غيره

هلا لنفسك كان ذا التعلّم

نصف الدواء لدى المقام ودى الصنى

كها يصح به ، وأنت سقيم

أبدأ بنفسك فانها عن غيرها

فإذا انتهت عنه ، فأنت حكيم

فهناك تعذر إلى وعظمت ويفتدى

بالقول منك ، ويقبل التعلّم

لأنه عن خلق وتأتى مثله

عاز عليك إذا فعلت عظيم

قال آخر : بل هذان البيتان هما أروع ما سمعت :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله

فأجسامهم قبل القبور : قبور

وإن أمراً لم يحى بالعلم مينا

طيس له حتى النشور ، نشور ا

وقال ثالث : بل هذان البيتان :

علمى معى حيثى يعمت يبيعنى

قلنى وعاء له لاسطر صندوق

إلى كنت هي البيت كان العلم فيه معى

أو كنت في السوق كان العلم في السوق

أما الحاج عمران فقال : والله أحسن ما قول هو ما قاله سيدنا وإمامنا على  
بن أبي طالب :

قال كرم الله وجهه :  
إن المكارم أخلق مطورة  
فالعقل : أولها والدين : ثانيها  
والعلم : ثالثها والعلم : رابعها  
والجود : خامسها والعرف : سادسها  
والبر : سابعها والصبر : ثامنها  
والشكر : ثامسها واللين : عاشمها  
والنفس تعلم أني لا أصدقها  
ولست أرشد إلا حين أعصمها  
والعين تعلم من عيني محدثها  
إن كان من حزبي أو من أصديها  
عيبك قد نلتا عيني منك على  
أشياء لولاها ما كنت تديها !  
الله - الله - كلهم يقولون معا .

أما هذا الرجل الذي لم أره من قبل ذلك اليوم ، فهو أحسنهم نطقا وأقبحهم  
كلاما وأكثرهم انتباها إلي ما يقال ، وإن كان لا يطلق كثيرا .

فقد قال : أما أحسن ما قرأت للقاصي علي بن عبد العزيز :

يقولون : هوك انتباهي وإنما  
رأوا رجلا عن موقف القتل أحجما  
أرى الناس من ذلتهم هان عندهم  
وما كل برق لاح لي يستعزني  
ولا كل من لاقيت أوصاه منعم  
إد قول : هذا مهمل قلت : قد أرى  
ولكن نفس الحر تحتل الظلما  
ولم أهنل في خيمة العلم مهجتي  
أحجم من لاقيت ، لكن لأحدا



أشقى به غرما ولجيه ثلة  
 إنن ، هاتباع الجهل قد كلل أحزما  
 ولو أن أهل العلم صلبوا صلبهم  
 ولو عظموا هي النفوس لعظما  
 ولكن أهانوه فهان ونسورا  
 صعباه بالأطماع حتى تجهما  
 . وأنت ؟

وكان المصنوع أن أقول أنا أيضا شيئا من الشعر أو الأديب . وكأنني لا أجد  
 ما أقول .. أو اكتفيت بما سمعت . مع ذهني التي لا تنتهي من هذه البساطة  
 والسهولة والارتياح لما قالوا وقيل لهم .. فلم تسمعني ذاكرني ، على كثرة  
 ما أحطت قلت . عبارة قديمة تقول : إذا اشتد الكلف - بفتح الكاف - هانت  
 الكلف - بضم الكاف .. أي إذا اشتد حب الناس لشيء ، هانت تكاليفه من التعب  
 والعذاب ..

فضحك الحاج عمر بن قاتلا : معنى الناري ينقط بطقه . أي أن الحب  
 بهذلة .. حب الأديب والشعر والظيفة وحب الناس وحب النفس وحب الدنيا  
 وحب الآخرة - والله اعلم .

• • •

إنن .. إنن ..

إنن هؤلاء الناس الطيبون يتكلمون .. يتحاورون .. ويسمعون لبعضهم  
 البعض .. ويصدقون ما يسمعون .. ويصدقون الذي يقولون . وعندهم  
 استعداد دائم لأن يقولوا .. وهم يقولون أحلي الكلام ، شعرا وشرا

أما نحن . طلبة الفلسفة . فلا حوار بيننا هالذي نسمعه لآنرند . وإنما  
 هو عيب نقول .. نحاول أن نقى به من فوق أكتافنا ، ونفرغ منه رؤوسنا .  
 ثم أن الذي نسمعه نهتمه .. أو نقابل على ذلك .. فكلماتنا إن لم تكن طوبى  
 فهي رطل ، وإن لم تكن رطلًا فهي رسائل مطلقه على بعضنا لبعض . فكل  
 فيلسوف هو مدفع يجب أن يطلق على فيلسوف آخر .. وعليها نحن أن نجمع  
 الشظايا من هنا وهناك ونصنع منها ملابس وبيوتًا لتوقيه والعلاج والحياة .

فما نحن مرتاحون إلى ما نسمع ولا إلى ما نقول .. ولا نحن نقول .. ولأن  
معلومات متشابهة ومحدودة ، فليس لدينا اعتماد لأن نسمع ما نعرف .. ولذلك  
فلا كلام بيننا ..

وعند النفس يقول لها : أنه لا شيء يريح الفعيال إلا أن يقول ويقول .. إلا أن  
يصف بما في صدره ..

وكأن بعض الفلاسفة عندما يضيق بالأمس ، يجترأ إحدى الأشجار ويحدثها ،  
وغير يعلم أنها لا تسمع .. ولكنه لا يستطيع أن يمتك ، وأن يطوى نفسه على  
نفسه ..

ولأنهم يحدثون أنفسهم والشيوخ أيضا .  
وقد ظهرت المقامى في التاريخ لأن الناس يريدون أن يقولوا .. أى شيء  
أمر حدث فى أى وقت وفى ذلك راحة لأنفسهم ..  
وكذلك اعتراف المذنبين فى الكنائس ..

والزهاد الذين يحبسون أنفسهم فى الصوامع يتحدثون بصوت مرتفع ،  
ويعصم يتحدث ملائكة وشياطين .. ليكون بينهم حوار أو نكات .. فهو يخرج  
من شياطين والملائكة من أعماقه .. يصممها يخترعها ، لأنه يريد أحدا آخر  
يحدث إليه ..

حتى تم عليه السلام قال شعرا . قلله لنفسه ، فلم تكن البشرية قد انحدرت  
منه بعد . فقط أربعة نواتم ولد وبنت ثم ولد وبنت .. وأحد الولدين قد قتل  
حده . قال آدم شعرا ، يحدث نفسه ، فآدم عليه السلام هو أكثر المخلوقات  
سحر بالوحدة والدهشة فى التاريخ .. فقد جاء فى كتاب : مروج الذهب ،  
تأليف العريبي أبى الحسن على بن الحسن بن على للمعتمدى على لسان نبينا  
ص - وسلعه العربية ( ١٩ ) :

تغيرت البلاد ومن طيها  
فوجه الأرض مغير فيبح  
تغير كل ذى لون وطعم  
وقل بشاشة الوجه الصبيح  
وجاورما صدو ليس ينسى

لعين لا يموت مستريح  
وقتل قليل هبيل ظلما  
فوا أسفا على الوجه المذبح  
ماتلى لا أجود بمكب دمع  
وهبيل يصعبه الصريح  
أرى طول الحياة على عما  
وما لنا من حوائى مستريح ؟

وسمع آدم عليه السلام صوتا يرد عليه ، ناله صوت الشيطان ، سمعه ولم  
ير . قال إبليس ..

نح عن البلاد وسكنيها  
فقد فى الأرض ضائق بك الفسح  
وكننت وزوجك للحواء فيها  
آدم من لذى الدنيا مريح  
فسألت مكابدى ومكرى  
إلى أن فلتك لثمن الزبيح  
فلولا رحمة الرحمن لأضحت  
بكك من جنان الحقد ربح

ويقال إن آدم سمع صوتا ولم ير شخصا بنشد هذا البيت :

لها هبيل قد قُتل جميعا  
وصار الحي بالميت الدبح ؟

فلماذا آدم حزنا على أن القاتل سوب يكون فتىلا .. وأن كل من عليها لاس ..  
لقد استراح آدم عندما قال وعندما سمع من يرد عليه .. عندما كان هناك حوار  
ما ، أو تخيل أن هناك حوارا ..

والذين يترددون على أطباء النفس ليس من الضروري أن يكونوا مريضى ،  
وإنما كل ما ينقصهم أن يجدوا أحدا يسمع إليهم .. فقط ينظر إليهم وهم  
يتكلمون .. وكثيرا ما توهم المريض أن الطبيب مهتم به بصفة شخصية ..  
فوجب الطبيب .. وتكون مشكلة خطيرة عندما تكون مريضة تحكى وتروى  
والطبيب يستمع باهتمام شديد وتتوهم أنه مهتم بها شخصيا .. أى أنه يحبها ،

محبه هي أيضا .. وتصبح وتتصح مهمة الطبيب : كيف يحصل المريض من هذا الوباء .. فقد احتلظ الأمر على المريضة .. فقد ظنت : الاهتمام المهني ، اهتماما عاطفيا شغويا . ولكن المريضة معذورة : لقد وجدت من يستمع إليها فويلها من ملل ؟

وقد ضحكنا كثيرا علنا نشرت الصحف الأمريكية أن : وكالة المستمعين ، قد أنشئت في أمريكا ، الوكالة أعلنت أن لديها مستمعين من كل نوع .. وأن هؤلاء المستمعين لديهم صبر عظيم .. وهم قادرون على الانشغال ساعات .. وهم قادرون على الانشغال إلى كل أنواع الكلام ؟ في الرياضيات والطب والفيزياء والفلسفة والدين واللاهوت .. ولأن المستمعين على استعداد لأن يسموا إلى من يريد في أي وقت وفي أي مكان . ولأن يرتدوا من الملابس .. بحبها المتكلم .. وبعضهم بمنطوق العرب على البيلو أثناء الكلام ..

والوكالة أعلنت عن استعدادها لتزويد مستمعين قادرين على التحمس والمتابعة .. وأنهم بذلك يؤثرون خدمة عظيمة للدين يشعرون بالوحدة واليس من الحياة ..

ويقول الوكالة أيضا : أن هناك مستمعين قادرين على أن يشاركوا في الحوار - أريدت .. وقادرين على أن تكون أصواتهم هادئة وخشنة .. وإذا أريدت أن يصبرونك ، وإذا أريدت أن يمسحوا بدموعك إذا بكيت ، هل يفرحوا .

ي أن الوكالة يعلن عن استعدادها لإمداد الناس بكل أنواع الناس ..

وهذه الوكالة قد نشرت جنولا بوعيات الوجوه والأصوات والملابس وساعات الليل المناسبة لكل إنسان .. وتؤكد أنها أقل تكلفة من التردد على عيادات الأطباء النفسانيين ..

وليس في استطاعة أساتذة الفلسفة أن يفعلوا مثل مفراط .. أو مثل - سطر - فكلهم يتكلم ماشيا على قدميه : ثم هو يهرط الطلبة بالتسؤل .. ويهرعونهم بتصحيحها والتشكيك فيها . وتشجيعها أيضا .. ثم تقديم معلومات وبطريات جديدة .. إنه يستخرجها من عقولهم .. كما تستخرج : الموندة ، حبوب من بطر أمه .. وهي تطلب منها أن تساعدنا بالمصراع . لعل صراحة عليه نقف بالطفل إلى الخارج .. وكان مفراط يقول : إنني مثل والدي .. في مستخرج المونود من بطر أمه .. ولنا مستخرج المعاني الوليدة من عقول الناس .

ثم بعد ذلك من لا يأنسده في أي علم قدر على أن يكون معرّفاً ولا يحسن  
 فسرور على أن يكون بلا مبدء تنصبي في شوازع حيدر أو بين كبد  
 ولا القسمة في التبعة التوحيد التي تروى ببدل وبها . ولا أن مكنت أنه حبيد  
 هي العنفة . وأما الممكن والممكن والممكن والممكن . وأما العنفة . وأما العنفة .  
 وصعوبات ومحدودات وأوهام وحرفات أخرى لا نهاية لها

ولو ظهر سطرط فعد في مولاتي الكور . وروى هؤلاء الناس بعضهم  
 ينظرون إلى دارهم دون صديق من الطير والنوح والندب . وإلى أصداء في  
 سماعة . فكمز لأحجار فوق أبعينهم وحسبهم في أن من التي بحسن عيب  
 وسهرجها في النيل فهم بمدحهم لا يحب ولم لا يحب أبعين .  
 لا يعرف القوي . والنعوس التي لا تعرف العرب . واسطة التي لا تعرف  
 الشفاء .

إنهم لم يدروا لضي الفكر المذهب . ولم يظهروا صدء المعرفة . ولم يحفظوا  
 نهضة الحقيقة التي حصد بين النعم والجهد . فمن لم يكن معرّفاً حاشد على  
 هؤلاء الناس . فصور يلقى هو نفسه في التي فتدأ بما هذه البعده في  
 الأيمان . والرصا بالفتير . وأما في الخيال . وأما في النج



كايها سايه العالم

## كأنها نهاية العالم

جلسنا نحن الثلاثة ..

أنا قلت : هل هناك معنى لهذه الحياة . جوابي : لا معنى ! هل هناك هدف من هذه الحياة ؟ الجواب : لا هدف .. هل هذه الحياة تساوي هذا العذاب .. هذا العناء .. هذا الهوان .. هذا الدل .. هذا الشعور دليلاً بأننا نأفهم جهلاء .. وأنه لا وقت لأى نعرف .. فلماذا عرفنا فما قيمة هذا الذى عرفناه .. ثم ما الذى نعرف .. أن الأرض أصلها من مادة .. والمادة لا شكل لها .. وفى الله هو الذى شكل هذه المادة .. ثم فلامحة يقولون بل مائتات .. وآخرون يقولون : بل ثلاث .. وغيرهم يقولون : أربع .. وخمسون يقولون بل أصل الكون ذرات صغيرة .. وكل ذرة روح .. وكل روح فى داخلها برنامج .. فى داخلها عقل الإلكتروني يقول لها : انضمي إلى هذه المادة .. ادخلي فى حلف معها .. فى عدا .. فى صداقة .. فى عناق .. أو هذا الحيوان المسمى بهرد بهرد البهيمية .. ليكون إنساناً .. أنا وأنت .. ليكن . ما المعنى ؟ ما الفائدة .. ما الحكمة .. لا حكمة نحن فقط نحاول أن نجعل لحياتنا معنى .. أن نجعل لوجودنا أهمية .. قيمة .. مثلاً مثلاً .. نحن نحىء إلى هذا البقال كل يوم .. هل هناك هدف ؟ أبداً .. هل هناك معنى ؟ لا معنى .. ولكن إحساننا بتفاهة المشربز وهباله الحديث ، نحاول أن نجعل لأنفسنا قيمة أو ضرورة .. ضحكتة عن الذى سمعناه فى الجوامع وفى جمعية الإخوان المسلمين .. بل لحياتنا نحدثه عن الذى قاله الأساتذة فى المحاضرات .. ونحاول أن نجعل كل شيء مفهوماً له ومصمماً أيضاً حتى اعتاد الرجل أن يسألنا .. إنه هو أيضاً يريد أن يهوى علينا هذا الوسخ لثقافته .. نحن اعتدنا أن نقول ، وهو اعتاد أن يسأل . انصنا على أن نجعل له الحكليات وهو ينظرها وأثناء ذلك يجيء الشاى بالسماح ومحصل على كرلوس المحاضرات بالتصريح .. هل تظن أنه إذا لم يكن عنده

شأى بالجمع ، وإذا لم يكر بقبل تصييط الكراريس ، هل كنا نسهب إليه  
 ونحدثه .. أبدا .. فللرجل جاهل وصحته عليه وهو يبحث على الحرر  
 والأنسى .. والمكان قدر والريالة والوحل والدياب .. ثم إننا جالسون على قوائم  
 الطوب وعلى مقاعد مكسرة .. والرجل ليس أحسن حالا من بقية أصنافه الذين  
 جاءوا لأنهم يريدون ذلك .. ولأنهم مرتبطون به عاتليا ونجاريا .. ثم إنهم  
 يتدارسون في حدود صبيحة ، آيات القرآن الكريم والأحاديث .. أكثر من ذلك ..  
 أنما رأينا ثلاثا من بناته .. القبهات جميلات .. طابعت مقلنا .. ونتمنى أن يكون  
 بيت حديث هذا أو حتى في الجامعة .. لم يتمكن من ذلك إلا لحظات .. ولكننا  
 نريد .. وأنت شخصيا لم تملع في الروايع من ولحدة سهر .. بل انك اقترحت  
 أن ندورج نحن القبهات الثلاث .. ألم يحدث ذلك ؟

قال الثاني : عندنا في قتلمود ، وهو كتاب اليهود الأعظم أن الأسكندر  
 رار أحد الملوك . فأجلسه الملك إلى جواره . وجاء رجلان يتشاجران  
 ويحتكمان للملك . قال الرجل : يا جلالة الملك أنا اشتريت منه بيتا . وفعلة  
 وجدت تحت البيت كنزا فذهبت إليه أرد له الكنز .. لأنسى اشتريت البيت فقط ..  
 ولم اشتر الكنز .. وقال الرجل الثاني : أنا بعت له البيت . بما فيه .. بما نحنه  
 وما فوفه . ولذلك فلما لا أستحق هذا الكنز ...

وضحك الملك : هل لك ولد ؟

قال أحد الرجلين : نعم ..

وسأل للملك الرجل الثاني : هل لك بنت ؟

قال الرجل : نعم ..

قال الملك : إنى ليتزوج الولد والبيت ، فيكون الكنز من نصيبهما !

أما الإسكندر فقال : للقانون عندنا أن من يجد كنزا في أى مكان فهو من  
 نصيب الملك !

فقال الملك للإسكندر : هل تشرق الشمس في بلدك .. هل تنزل الأمطار ؟  
 أجاب الإسكندر : نعم .

وسأله الملك : وهل عندكم حيوانات ؟ أجاب الإسكندر : نعم ..

وسأله الملك : إن هذه الشمس وهذه الأمطار تنبت الررع لتأكله الحيوانات



عنه .. واجمن ليأكله الملك الظالم :

عظم من كل عظمة اعظم من هؤلاء فلاسه الذين شيوخكم

في النجوم الملك سليمان قد يده إلى الأرض فالتفت إليه وبركها  
فقال له وسعدني بغير له أن اعظم مني في الدنيا كبراً فاجاب  
في ذلك وقتك انت لئلي اجلس انما علي كعبا

چیس ۔ ہمہ لا یھمی من یل جعث ہد لیب وذا ین نھمی  
سب عا سبی حی رجب ۱ اعیش حی حبی ، لا تغفل  
بہ . ولا أقمد الطریق إلھا ..

فردی نیست که می‌تواند به تنهایی به این راه برسد و این راه را به تنهایی می‌تواند طی کند. این راه را باید با دیگران و با کمک دیگران طی کرد. این راه را باید با دیگران و با کمک دیگران طی کرد.

سیدتی فی السمودی من سر سدا کای بعلول سمید سمیر  
 و کف اعرف ان هذه الف ؟

فصل في معرفة راجع بعض المصنفين في بعض الكتب و بعضهم في بعض الكتب و بعضهم في بعض الكتب و بعضهم في بعض الكتب

١. في رد المدرس: كنك تقول حسن - هذه الف

[illegible]

ذخيرة العرس - عينا منجم - هرق في البيضة التي صنعتها السجاجة  
ماء والبيضة التي صنعتها الدجاجة السوداء ..

هذه رسالة فنيّة:

وعنتا هي ، التلمود ، فوليزر كثيرة مثلاً : أن رجلاً ألقى ببصمة فأعرق  
مستين مدينة . وأن سيده مصريه أنجيت ٦٠٠ ألف نسمة ..

حل القرورة الأولى : أن رجلاً كسر ببصمة فوق ورقة مكتوب عليها اسم  
مستين مدينة ..

حل القرورة الثانية : أن السيدة هي أم موسى عليه السلام : أنه مكتوب عندنا  
في التلمود أن موسى يساوي الشعب اليهودي كله !

باختصار شديد أنمي أن لكتب كل الذي قلته الآن في ورقة وأرسي الورقة  
في القبالة .. أو أدفنها في باطن الأرض في احتفال مهيب بليق بصداقتنا  
وأحونا ومحبينا وحزينا على أن يعيش معا ويموت معا حتى يسريح من  
وجع الدماغ وينفرغ للحياة !

قال ثالثنا . أمي مريضة جداً .. شعاعا الله .. وهي عندنا نبقى من الدوخة  
ندعو لنا بالنجاح .. وقد تعلمت منها شيئاً أشكرها عليه فهي ليست لديها قدرة  
على التركيز .. ولذلك فأنا أذكر لها الحكاية الواحدة عدة مرات .. وإذا حاولت  
أن أتوقف لأفهم غير قادرة على متابعتي ، فإني تلح في أن أقول .. وقد تعلمت  
منها أن ، أشرح ، إذا جلست إليها .. لأنه لا معنى لأن أقول ، فهي في حالة  
غيباب مستمر .. إن قدرتها على الفهم ، تشبه أحياناً اليد العاجزة عن الاحتفاظ  
بأي شيء .. فلا هي قادرة على الفهم ، ولا من الضروري أن أقول لها أي  
شيء .. ونحن إذا جلسنا معا . هي تنظر ناحيتي ولا تتراني ، وتصغي  
ولا تسمع وأنا لتظاهر بأن أقول ، ولكني لا أقول .. وأتظاهر بأن أسمع ،  
ولا أسمع وبمنتهى الصراحة أنا لم أسمع شيئاً من كل الذي دار بينكما .. ولست  
أسفا على ذلك .. فقد عرفت الخلاف بينكما منذ سنوات .. ولكن الذي يهمني  
جدا أننا لصداقة رغم هذا الخلاف .. وهذه هي الحياة .. أننا سواء كنا راضين  
عنها أو ساهطين ، فحسن ما يزال أحياء .. والشيء الوحيد الذي يجعلني أحتفل  
هذه الحياة ، أن عندي أملاً في أنها سوف تكون أفضل .. هذا ما كان يقوله  
أبي ، برحمة الله .. وقد بدأ حياته صغيراً جداً .. ولكن بالإصرار والشجاعة  
والقضية صابر كبير وأعشى ، واتسعت حياته وتألقت .. وكل عند أمل في  
أن يكون أفضل ذلكم .. وقد ورثت منه ذلك ، كما ورثت تعصبه الديني ..  
والمسيح هو الذي علمنا : أفرعوا وفتح لكم .. أي أن الإنسان يجب أن يثق

الباب .. وأن يدق .. سوف يجد أحدا يفتح .. عن رغبة أو عن رهبة أو عن  
صديق .. ولكن لابد أن يفتح الباب .. ومن وراءه باب ثان وثالث .. ولا شيء  
يدخل على أن حلقة الشئ عندك أنت قوية [لا رهيبك لهذه المنطقة للكرهية  
الرائحة .. ثم تصورك أن الدنيا كلها كذلك .. ولا شيء يدخل على أن حاسنى  
الشئ والنظر عندك أنت ضيقاى إلا عدم إحساسك بفتح هذا المكان وبشاعة لونه  
ورائحته .. ولو أحسست مثنا ، تكرهت الدنيا كلها .. ولكنك تقبل الدنيا كما  
هى .. ونريدنا كذلك !

وبهنا فجأة فقد مرت سيارة ملاكى بسرعة .. وقذفت بالماء والطين علينا  
جميعا . ونظر إلينا المسائق ولم يمتدح . ومعه حق .. فما الذى بنوقه أناس  
جلبوا على حافة بركة فى شارع مليء بالمركبة ؟  
وكأن الماء والطين كبرياج لسمنا .. فابعدنا ..  
وعندنا اقتناع صامت بأن الذى أصاب ملابسنا ، ليس أسوأ من الذى أصاب  
بعضنا ..

قال أحنا : الماء والصابون يغسل ملابسنا ، ولكن الذى هنا ( وأشار إلى  
رأسه ) والذى هنا ( وأشار إلى قلبه ) والذى هنا ( وأشار إلى يديه ) ما الذى  
يغسله ؟

نحن الآن فى أواخر سنة ١٩٤٥ ولست فى حياتنا أحداث هامة .. فالحياتة  
ليس لها طول ولا عرض ولا وزن .. ننكرت ما كتبه الأستاذ العقاد عن أيامه  
فى السجن .. فكان يقول أنها أحيانا تكون فى وزن العجالة .. وأحيانا تكون  
تربا فى حلقة إلى كتفين .. ولكنها تمر به أو يمر بها .. ولكن أحيانا يعرفها  
بكترة السؤال : اليوم ماذا ؟ فقول : الأريماء .. اليوم ماذا ؟ يقول : الملبع  
عشر .. أليس اليوم ١٩ ؟ يقول : لا .. بل خمسة وعشرون من شهر ماذا ؟  
يقول : من شوال .. أو نوفمبر .. أو برمهات ..

مات لنا مدرس .. ومن بعده مات عم درويش أهم شخصية فى بوهية  
الكتابة . وهو الرجل الذى يعطى بحساب .. ولكن الحساب يتأخر مئذنه شهرا  
عد شهر .. إنه شخصية محورية فى حياتنا .. تبدأ به اليوم بالتمسكة مبالغ فيها  
جدا . همدك أنه لا يوجد معنا قلوب .. قلنا دفع واحد منا لندهش الرجل وراح



وكان عندها مال وأرمن ومجوهرات .. وعندها ما هو أجمل من كل ذلك :  
وجهها .. أجمل الوجوه التي رأيها ، وصورتها أجمل من وجهها .. أما قلبها  
فهو أجمل وأكرم وأصدق من كل القلوب ..

رحلت أروور المدرسة التي تعلمت فيها وأرى أساتذتي . لم أجدنا . احترقت  
وانهارت بعضها فوق بعض .. انتقل والدي إلى « العولمة » ليجد رعاية أكثر  
من إخواني .. بقيت أمي وحدها في البيت ، أشد مرضا . فورت ألا آكل في  
البيت حتى لا تضطر والدي أن تتحرك من فراشها . ومأنتني في دهشة بالغة :  
ولكن لماذا بالودي .

فقلت : إن الجامعة قد جعلت من حق الطلبة المنقرضين أن يسطروا ويتعدوا  
ويتعضوا على حسابها ..

ولم تفتح والدي .. ولكن هذا قرار .

وفي يوم جامعي صاحب البيت يملأني : قولي ياسيدنا الأندى .. ولماذا  
لا تعمل في الجيش الإنجليزي ..

.. أعمل ماذا ؟

.. أي شيء ..

.. مثلا ..

.. في الورش ..

.. ولكني ..

.. أنا كنت مثلك لا أعرف أي شيء ولكنهم علموني للتحام بالأكسجين ..  
وعلموني الفلك والريط .. والآن كما نرى الحمد لله .. الأشياء معدة .. ثم أن  
هناك كثيرا من طلبة الجامعة يعملون أيضا .. ما رأيك ؟

قلت : دعني أفكر .

قال : إذن أنت لا تريد أن تعمل .. لأن هذه مسائل لا تحتاج إلى تفكير ..  
والعمل ليس عيبا .. أول شيء .. أنه سوف يمكنك من أن تترك هذا البيت ،  
نعميش في بيت أفضل .. مادام أفتريك الذين يمتلكون البيوت للحلوة هي الممالك  
وفي الأزهر والعميدية لم يضعوا في عيونهم حصوة ملح ويعطوك شقة .. أنا  
أرى أن هذا أفضل وأكرم - لماذا تقول ؟

ويعدّها بأيام جاءني صاحب البيت يقول : أريد أن أعرفك بشخص موجود  
عندنا . فقال ..

وصاحب البيت كان يسكن في الدور العلوي مفاجأة . إنه صابط في الجيش  
الإنجليزي .. ويكلم العربية . وقد أقام له الرجل وليمة : الفودج المحمر وعلى  
برابرة أخرى بطيخة . وكان الرجل لطيفاً ولين بكنه . تكلمنا بالإنجليزية ..  
ثم هملنا اللغة العربية حتى يشاركنا صاحب البيت في الحوار .

ويلدري يقول : إن بعض أصدقائك يعملون معاً في العنابية .  
ثم ذكر لي أسماء أربعة من الأصدقاء .. وقد هممت لماذا لم أجد أياً منهم ..  
في معظم أيام الأسبوع . وإذا ذهبت أسأل عنهم قبل أن : سافرو .. خرجوا ..  
بالعموم ..

ولكن أحداً منهم لم يخطر شياً من ذلك . فلا يزال العمل مع الإنجليز مما  
يحجل منه المواطن المصري .. أو المنقب . أو الطالب الجامعي .. فهم  
يعملون عملاً شريفاً لا علاقة له بالمهاسة .. أو لا علاقة له بالاحتلال  
البريطاني لمصر .. فالإنجليز موجودون .. ولن يطيل أو يقصر أعمارهم ، أن  
يصد بهم أحد من العمال والفلاحين أو المنقبين ..

ولكني لست في حاجة إلى عمل .. فلما لا أريد أكثر من القبول الذي أمكنه  
من أي شيء ..

وكان عدي ثلب مات .. وحزيت عليه . ولا أعرف بالضبط ما الذي  
أحزمني .. كان هذا الكلب يشم رائحتي قبل أن أصل إلى البيت بوقت طويل ..  
وكنت أطلق صفارة مسنوخة من موسيقى للموسيقار الروسي برونويف .. من  
مقطوعة « الراعي » .. فلما سمعته الكلب راح يبيح ويهوى .. وقد عدلت عن  
ذلك لأنه يزجج والنمى .. ثم إنني كنت أعود إلى البيت من شوارع عكس اتجاه  
الريح حتى لا يشم الكلب رائحتي ويبيح ويرجج والنمى .. مات .. وكان كل  
الذي يربطني به هو الترحيب من بعيد ومن قريب .. ثم أنه بجيء وبتمدد عند  
قدمي .. فلما تمت كل عند قدمي .. وأحياناً عند رأسي .. وكان يستغرق في  
النوم وله تشخير .. وكان يوقظني فكانت أترك له المبريد وأروج أنام في غرفة  
أخرى .. مات واهتدته أصابعي . وفكرت في أن أتى بكنك آخر .. ولكن لم

حرف .. ولم نجد نفسي تطاول على أن السبيل به كذب آخر .. فهو لم يكن كذاب ،  
وبعد هو صديق زميل .. لأحد أفراد الأسرة ١

وفي يوم وجدت أمام مريوى ثعلبا ميتا كيف ؟ لا أعرف . وقد تكاثرت عليه  
من بيته وحواله إلى مسحوق .. هل وقع من السقف .. هل مات ومحبوه  
فى - احد العرفة .. هل هى نهاية معركة بين الثعلبان وبين القطط .. ممكن .  
.. جنى رأس الثعلبان ، لقد ابتلعته إحدى القطط .. مات .

.. سمعت من والدتى أنها أخصت بمعركة صامتة بين القطط .. ولكن لم تسمع  
.. شجار التقليدى - معركة القطط مع الثعلبان ١

.. سبت كراسه إحدى الزميلات فى الدرام .. ونصابت جدا . وكان لابد ان  
فى بكراة أخرى .. أى لابد أن أعيد نقل كل المحاضرات .. بخط واضح ،  
.. عنها لها فى أقرب وقت مع الاعتذار الذى أرجو أن يكون مقبولا .

.. فى الليل اصطدمت بشيء على مصدة بين العرب وتحطمت كل الأكوام  
.. وأصاق .. وبرعجت وشامت .. وأحسست كأننى فى نهاية العالم .. فالتفت  
.. وكلام الأشياء حولنى تنعطم .. وبغنى .. والأصدقاء يذهبون وينباعدون .  
.. جنى أتمشى وحدى بين الكيت كات فى امبابه وكاريدو الحمام فى الجيزة ..  
.. حذر تماما . ولا أعرف كم استغرق من الوقت .. وأمام مششعى المجورة  
.. من اتي ، العواصة ، التى يملكها واحد من إخوانى ويهاجم فيها أبى مريضا .  
.. لا أعرف ماذا أقول .. ولا هو فى حاجة إلى أن يقول .. إننى حزين وهو  
مريض وحزين أيضا .. وكثيرا ما أحسست أننى لا أتمشى ، وإنما أنا أتمشى  
فى حسرة كل المعانى وكل الناس واليوم والعد .. وحذى .

.. فشئى أننى فى بعض الأحيان إذا وجدت جنارة فى الطريق ، انصممت  
.. من نمشجيم ورحلت أبكى .. إنها رغبتي فى البكاء ! إننى لا أبكى أحدا . وإنما  
بكرى نوب .. اعتصر عيني واعتصر قلبي وعقلي .. إنها الرغبة فى التفرج  
.. عن نفسى ..

وعندما أرداد حروبا وهما وغما وفرقا من الدنيا ، فإننى أبحث عن صديق  
.. لا يكف عن الضحك . ولا أعرف كيف . بينه وبعد عن بيتنا عشرات  
أدب . ولكننى أشعر أن المسافة بيننا تكبر وتطول وأعز من وأعظم من هذا

بكثير .. من أين يأتي بخفة الدم والظفر إلى للجوانب المضحكة أو الهزلية من كل شيء ؟

وهي إحدى المرات كنا نصلى في مسجد سيدى اسماعيل الإيماني . فوجدته يخرج من الصلاة بصراحة وقد لمحت الضحك على وجهه . وبعد الصلاة وجدته ينساقط من الضحك . وسألته قال : إنه اشترى بعض السمك المقلّى ووسمه إلى جوار المنبر بالقرب من إمام المسجد .. وتذكرت أن الإمام يحاف من القلطي . وأنه لا يستبعد أن تجيء قطة تبحث عن السمك .. وخشى أن يصحك بصوت عال إذا جاءت للقلطي وهرب الإمام !  
ومضى يصحك ..

والله تذكروا إلى الغذاء والعشاء ونحرص على ذلك وهي سيدة لطيفة كريمة . وهي عندما نصلها عن أحوالنا ، فإنما تصي ذلك .. وهي تعرف كل شيء عن أصدقاء ابها .. وهي قد ذهبت إلى بيوتنا جميعا وهي سيدة قوية اختارت له أصدقاء هكذا :

فلا هذا أحب أن تعرفه . فهو متقف وعلى خلق . وهو بحبك .. وفلان هذا ليس متقفا ولكنه متدين نظيف .. وهو بحبك .. وفلان هذا من أسرة كريمة . وله أخوات بنات . ولذلك فهو لا يستطيع أن يؤذي بنات الناس . وهو بحبك .. وفلان هذا عينة مليانة وأمه لا ترفع عيناها عنه وعن أخته .. وهي سيدة كاملة وقد ربيتها تربي أولادها بحرم . والكلمة كلمتها . وأعجبنى أن أولادها يقبلون يديها وأميان يديها ورأسها . وهي تصر على أن يفعلوا ذلك . هي سعيدة . وهم سعداء ..

وفي أعياد ميلاد أولادها كان لابد من عمل المسابقات التي تنتهي بأن يفوز كل الأصدقاء . هذا يهطلون وذلك يقهقهون وثالث يملع من المال ورابع يبرججة دواء وكانت من نصيبي . وعرفت أنها زارت والدتي . وعرفت حديثها إلى هذا الدواء ..

وكانت هذه السيدة : مسخورة ، أو هي غنية جدا .. وكريمة جدا . وكانت أما لنا جميعا . وكانت تحب أن سألها بكلمة يا ماما .. وكانت تقول : أنا أم لكل أصدقاء أولادي !



ووجدنا أنها أكثر مرحا من كل أولادها ..  
وكانت مضحك وتقول : أنا كنت أريد أينا هو خليط منك أنت ومن أبني ..  
بعض العقل وبعض الهرل ؟  
وفي منكراتي كتبت :

نحن إذن في نهاية العالم .. انتهت الحرب .. وبدأت تصحيات الحسابات ..  
ألمانيا استسلمت .. الأمريكيون هجروا أول قبيلة درية في الصحراء .. وعرفوا  
الطاقة التي تنطلق من القوة إذا اضطرت . مجتة للتجربة . وأسطفوا أول  
قبيلة درية يوم ٦ أغسطس على هيروشينا .. وقبيلة أخرى يوم ١٢ أغسطس  
على نجاركي .. واستسلمت الياباني بعد ذلك بأولم ..

الإيطاليون أعدموا عوسوليني .. وبعدها بيوسين انتحر هتلر وروجنه لها  
براون .. والفرنسيون أعدموا رئيس وزرائهم لافال الذي كان عميلا لهتلر ..  
وحكموا بالموت على قائدكم الجنرال بينان ، ثم لكتوا بسجنه مدى الحياة ..  
ومات روزفنت ..

والنرويج أصبحت الخالي الأول كويرنج .  
والمصريون قتلوا أحمد ماهر رئيس الوزراء ..  
وبدأت محاكمات نورنبرج - محكمة القادة النازيين ..  
ومات في هذه الحرب أكثر من ثلاثين مليون نسمة !

وخرقت في أوروبا وأمريكا والقارات الأخرى ملايين زجاجات الشمبانيا  
ابتهاجا بيوم النصر : ٨ مايو سنة ١٩٤٥ ..

ومات الأديب الفرنسي بول فاليري .  
والأديب النمساوي فرانز فرفل .  
والفيلسوف الألماني كليمبر .  
والموسيقار الإيطالي ماسكاتي .

وأصبح نينو رايما ليونوسلافيا .. وديجول رئيسا لفرنسا .. وطالبت  
المنظمات اليهودية بضرورة هجرة مليون يهودي إلى فلسطين .. وأعلنت الدول  
العربية أنها سوف تحارب إذا قامت لليهود دولة . وتأسست الجامعة العربية ،  
لمواجهة ذلك ..

وتأسست الأمم المتحدة ، عندما وافقت ٢٩ دولة على ميثاقها ..  
ولتكتشف الأطباء : فينلمين أ ..

وأعلنت بريطانيا عن اختراعها للعظيم : الرادار ..

واكتشفت أن الزميلة ، من م ، تحب زميلا غيبي رأيتها بعيني .. حتى  
أنت يا .. لكن لم أكل لها شيئا ، ولا هي قالت .. ولا دار بيت حوار ..  
ولا صلة .. ولا علاقة .. ولكن إحساسي ، بأن واحدا آخر كان أسرع .. كل  
أنكى . فتهد الفرصة .. وصل .. لا أشعر بالبعد عليه ، ولكن عدى الشعور  
بالخيبة . رغم أنني لم أحاول . شيء مصحك : فلا أنا أحببتها ولا قادر على  
ذلك .. فاحب نرف .. فاحب كاملتك سيارة وفيل وأل يكون في جهنم مائة  
جميه .. كل ذلك نرف .. سابق لأوانه وقد لا يكون له أوان .. ومع ذلك  
تصلقت وهزمت .. وعلى الرغم من أنني أسفر من نفسي ، ولكن أجد شيئا  
بوجهي .. هنا لو هنا .. لا أعرف كيف أعدد مكان الآثم ..

حتى ابنة بلتع اللب في امبابه ، لم تعد تكلمني .. ولم أهم .. ولكن عرفت  
أنها شكت لوالدها أنني أحببنا أنظر لها مظاهرات آثمة .. والحقيقة أنني ، لسرح ،  
وتكون نظرتني في أي اتجاه .. وعلى أي شيء .. ولو عرفت هي ماذا في  
داخلني ، ما خطر على بلها شيء .. فأننا لست ، هنا ، ولا ، هناك ، .. أنا حائر  
بين كل الأشياء والامس والمعاني ..

وفي الناس نسوة .. تنظر في عيونهم . إنهم أقسى وأصف وأكثر شراسة  
ما نتصور .. رأيت ذلك عند الفصيح وعند الحميد . وعند النجاح ..

ولكن أقسى ما صلاهي يوم كنا نصلي في مسجد سيدنا الحسين ، ولأول  
مرة . وكنا وراء الإمام ، وإذا برجل عجوز بمسكني من ملابس ويطلب مني  
أن أخرج فسورا من المسجد .. سألتني :  
الرجل - أنت شارب !

قلت : ماذا ؟

قال : هل شربت ؟

قلت : عصير قصب ؟

قال : بل خمر ..

قلب : أعود بآله .. عسير فصف وهؤلاء أيضا

وأشرت إلي زملائي ..

واقترب للرجل من أوهاما وراح يشمها ويعلم بأنّها خمر ثم يلتفت إلي  
نفس كأنه يريد رأيا عاما .. وأخرج أحد الأصدقاء رجلة صغيرة بها عسير  
فصب كان قد أخفاها في جيب البالطو .

واعتذر الرجل .. وخرجنا من المسجد دون صلاة . آه لو رأيت ما في  
عيون الناس .. وما في عيني هذا الرجل . منهي الوحشية .. !

ومثلنا المرشد العام للشيخ حسن البنا . فقال : إن بعض الظن إثم .. وهو  
لا شك رجل إثم .. وعنده مقول إن شاء الله !

ولم نمتزج إلي ذلك ..

وقال صنيقا الذي لا يكف عن الصحك : أحمدا ربا .. لو كنت مكانه  
حسرتكم جميعا بالجزمة وأطلقت عليكم الناس .. ثم اعتذرت لكم بعد ذلك ..  
لأنني ضرتكم بالجزمة .. في مهبل الله !



وفي الليل التفت حولي الأصدقاء جالسين وقالوا لي : لابد أن نتقاضي  
حر . لابد .. كلهم يعملون ذلك !

قلت : ولكن نعرض أن الصوت ثم يعجزهم .

لا .. صوتك حلو .. لابد أن نتقاضي أجرا ..

ودعينا إلى حلاق واحد . وارتندينا للتقصان والبهلولونات النطيمة .  
وحسبنا .. ومرنا على أقسامنا من لمبة إلى مصر الجديدة .. وظللنا نبحث  
عن المورل حتى قرب منتصف الليل .. ولما لمنا قررا أن نجلس على  
لرسيف ونغني لأنفسنا .. وجاءا لكتشف أحدا أن المورل قد سميه في جيبه .

ولم يكن البيت بعيدا .

ومرت الليلة بسلام ..

قال أحد الأصدقاء : لم تسألني إن كانوا قد ذهبوا أجرا .. لقد دفعوا فعلا .  
هو الأجر في مطروق مقبول .. حلال عليك يا عم !



ولا هذا ولا ذاك.. أو الاثنين معا

## وللهذا وللاذالك .. أوالاتان معاً

كل الناس يتكلمون .. ويتعمصون .. ولكن أحدا منهم لا يتحدث معي .. وأنا أشارك في كل القضايا . ولا أعرف على أي أساس أفعل ذلك . فأنا لا أتابع كل الأحداث السياسية والإقتصادية والأدبية ولكن يبدو أنه من الضروري أن أشارك بكلمة .. أو بعلمة . أو محاولة إنهاء المناقشة .. ولا أدرى بالصبط ما هي القضية .. ولكن الشيء المؤكد هو أن القليل جداً من سى أسمعه وأشارك فيه ، يبقى في رأسى ..

وأنا أعترف بأننى لم يكن لى أى اهتمام بالسياسة من أى نوع .. ولذلك لم تكن أقرأ الصحف بانتظام . أو حتى أفكر في قراءتها .. ما الذى كان يشغلى في تلك الوقت ؟ هو كل ما يشغل الطالب المهموم الذى لا يعرف له وجهة أو طريقاً أو غاية .. ولم تكن عندي إجابة من قبل هذا السؤال : وبعد ؟

أى بعد التخرج في نهاية هذا العام سنة ١٩٤٧ : ما الذى سوف تفعله ؟  
 - مريد ؟ لابد أن تكون لديك فكرة واضحة . هذا هو السؤال الذى أسمعه من كثيرين مع الصمط الشديد على كلمة : واضحة . . وهي الكلمة الوحيدة التى لا تجد لها معنى عندي .. فليس عندي شيء واضح في أى مجال لا فى الدين ولا الفلسفة ولا فى نفسى ولا فى العلاقات التى بيننا ..

ورغم ذلك فالوصوح مطلوب دائماً .. أى مطلوب أن أقول : ما الذى أريد .. عمنه بعد الليسانس ؟ هل لأكمل دراستى وأحصل على الماجستير والدكتوراه ، كور مدرسا فى الجامعة ؟ إن بعض أستاذتى قد ألتكوا لى ذلك .. ولكن هل أصبح إن أظن طالبا حمس سنوات أخرى ؟ ماذا لو مات أبى ؟ ماذا لو عجز عن العمل وظل مريضاً وأسى كذلك .. ماذا لو طلب منى والذى أن أعمل .. م احتسرت كل هذا العذاب وعالوتت التفكير فى الانعزال . لقد علمتها فى

أحدى المرات . وهشلت حظتي في أن ألقى بخصي في النيل .. إني مهيا نسما  
لهذه الفكرة لسبب بسيط : هو أنه لا شيء يملأني . ولا شيء له معنى .  
ولا شيء له هدف .. ولا حكمة لوجودي وللوجود كله .. ولا راحة أراها اليوم  
أو غدا .

وهي يوم جاء عند كبير من أصدقاء والدي وكانت مفاجأة . فليس من  
المألوف أن يزورنا مثل هذا العدد من الناس مرة واحدة . واعتدت أن أكره  
نوعين من السيوف : الأطباء وبعيه الناس . فالأطباء يدخلون ويخرجون  
ويتركون الأدوية وبأحدث الفلوس والأمل . وبعيه الناس لا داعي لأن نراهم  
هأنا لا أسدهم .. أي لا أصنق ما يقولون ثم أنهم يجيئون في صيق شديد  
ليقولوا كلمة أو يورقوا والدي بأن تعد لهم الطعام والشراب وتظاهر بأنها في  
صحة جيدة ووالدي أيضا .

في تلك اليوم قالوا لا شاي ولا قهوة .. نحن قادمون نوا من المعهى ..  
جئنا للسلام والتحية .. تعالى اجلس معنا .. تعالى .

أحدهم من حزب الوفد . رجل ميلسي أنيق . وأظنه من أصل تركي ..  
لا أعرف بالضبط .. هو أنيس أجمر له لهجة أجنبية في الكلام . هو الذي  
بدأ المناقشة هكذا : وهل تكسب القسبة .. سوف يشكو بريطانيا إلى الأمم  
الم المتحدة بعد أن قطعنا العلاقات معها .. وسوف يساعد السود على الحكم  
الذاتي .. ثم إننا رهننا مصير فلسطين بين العرب واليهود .. ولكن بريطانيا  
المعومة هي التي ضمت الهند إلى دولتين .. الهند وبناسها نهر وباكستان  
وبراسها على حل .. وشجعت منطقه كنشير على الانضمام إلى الهند لتعصب  
باكستان ..

وقال آخر وهو باظر مدرسة سابق . يا سيدي هذه حكايات طويلة جدا .  
السباسب حبالها طويلة . وإذا انقطعت فإنها تلتحم من تلقاء نفسها . وكما أن  
الانجليز احتلوا مصر ثمانين عاما سوف يهاضمهم هي السياسة مثل هذه العدة  
ورياته . نحن نريد من يفكر لنا في حل سريع لانعاش البلاد قضاياها .

لأمريكان اخترعوا مشروع مارشال لانتقال أوروبا من النمار والحرب .. وهذا المشروع هو احتلال أمريكي لأوروبا إلى جانب الاحتلال العسكري .. وأنت ما رأيك ؟

إنه بقصدى .. رأيي ؟ وهل من الممكن أن يكون لي رأي ؟ وهل أنا فاهم كلمة واحدة مما يقولون ؟ لقد ذهبت من باب الاستطلاع أخرج على مصطفى الحاس باشا وهو يحطب .. وسمعه ورأيت .. فكنتى لا سمعت ولا رأيت . إسي مشغول بما هو فى رأسى من أفكار غير واضحة .. هذه الأفكار مثل طيور جارحة تتصيح وتتصارب بالمصافير والمطالب .. معركة . ولا أعرف القسب ؟ هى تريد أن تقصى على بعضها البعض .. هل هى تريد أن تحطم رأسى .. ويهرب منها .. أو تحطمها وتنهشها .. ولماذا ؟

وكأن لابد أن أقول .. مثلا : لابد أن يخرج الانجليز من مصر بالقوة .. كل الغزاة بالقوة .. وأن تبقى القوة فى أيدينا . حتى إذا خرجوا . لن يعودوا مرة أخرى .

فقلت لى : ولكن نعرض أنهم يريدون أن يخرجوا بالدوق . فهل لابد من اللجوء إلى القوة .

قلت : لا أحد يخرج بالدوق ..

فهل : تعرض أنك تصليقت من وجودنا فهل لابد أن نضربها لكي نخرج . حتى لو قلنا لك حقيقة واحدة وبعدما سرود يعود إلى المقيى .. فنصر أنت على صربنا بالجرمة لأن أصولنا مرتفعة مرعبة لوالديك ..

قلت : ولكمكم لا تحتلون البيت .. أنتم زولر ولستم غزاة ..

.. ولكن احرص أنه خطر لنا أن يحتل البيت ..

.. بالقوة .. فتوى وهوة الجيران والبوليس . وحتى الموت ؟

.. شباب .. ما يزال صغيرا ..

قال ثالث وهو طبيب المركز وهو من اقارب والدى وكثير السؤال عنه .. ولكنه من السنر أن يبدى رأيا في علاجه .. فهو طبيب أسنان .. قال هو الآخر : من كل أحداث هذا العام أعجبتى قرار البرلمان الهندي .. أنه لا مبيود يعد اليوم .. حتى الهند طائعة من المبيودين . لا يقربهم الناس .. بل لابد أن يمثل الواحد منهم على مسافة أمتار من أى مواطن عادى .. ولهم رى خاص . ولا بحق لهم أن يأكلوا أو يشربوا إلا بعيدا عن بقية الناس . البرلمان الهندي أصدر قرارا بأنه لا مبيود بعد اليوم .. الإسلام قرر ذلك من ١٢ قرنا : إنما المؤمنون إخوة .. لا فصل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .. الناس سراسية كأسان المشط .

. ولكن المسافة كبيرة جدا بين القرار وبين تطبيق الناس لهذا القرار . صحيح .. ولكن القرار قد أصدره مندوبو الشعب للشعب ورأوا في بقاء هذه الفجوة المصرية إهانة للإنسان ..

. أنا أرى كرجل مشغول بالعلوم أن أصطع خبر بشرته الصحف هو أن عندما كثيرا اسمه يهكت كتشف أن كل جسم يدور . كالجموم والكواكب في السماء . يخلق محالا مغناطيسيا بل ليس الأجسام المادية وحده . وبم البشر أيضا .. فالإنسان الذى يسافر ويمتثل له جانبية .. له سحر خاص .. والناس يلتفون حوله بسعونه ويكلمونه . ونحن نلاحظ أننا كنا نتهاق على عم محمد يقصود والدى . فهو قد رأى الدنيا التواسمة . وحط الشعر وانقضى بالشعره والمطربين والبيانوات .. ما رأيك أنت ؟

ولكن لم يكن لى رأى .. وكلما تكررت لهم أنسى سوف أشجع رادى على أن يحامل ويستند ليخرج إليهم . ممنونى من ذلك . وقالوا : اجلس مع .. نحن فقط نريد أن نشعر ولذلك أننا جننا بسأل عنه . ولا داعى لأن يرهق معه .. اجلس .. ما رأيك ؟

ولا رأى لى .

قال أحدهم : أنا سمعت من والدك أنك تكتب مذكرتك . صحيح ؟

قلت : محاولات .

. هل تقرأ لنا ماذا كتبت ؟



ليست مذكرات .. وإنما هو نوع من تسجيل الأحداث .. ولا أعرف إن كنت منهود إليها وأكتبها بشكل آخر ..

رسمت بدى إلى إحدى كرايس المحاضرات .. وأخرجت منها بصع ورقات صغيرة . وقلت : ليست مذكرات .. إنها رصد للأحداث التي تهمنى أو التي يجب أن أعود التفكير فيها .. مثلا : ظهرت أخيرا رواية « دكتور غولدنوس » للذئب الألماني توماس مان .. ظهرت رواية « الطاعون » للذئب الوجودي الفرنسي كامي .. ظهر كتاب « الوجودية » للفيلسوف الإيطالي روجيرو .. ظهرت مسرحية « عربة اسمها اللة » للذئب الأمريكي توماس ويليامز .. ظهرت مذكرات الفتاة « أن فرانك » التي مجت من مذبح التاريخ لليهود في هوسد . اكتشف اليهود « لغات البحر الميت » في وادي قمران . وهذه المؤلفات سجلت عن حياة اليهود في القرن الأول قبل الميلاد .. وفاة أعظم عالم هزباني في كل العصور اسمه ماكس بلانك .. وفاة هوردي مخترع السيارة المعروفة برك وراه ثروة بلغت ثمانمائة مليون دولار .. استطاع البحار الروسي « برودال » أن يبحر من بيزو إلى جزر بولينيزيا في ١٠٦ يوم على ظهر زورق خشبي ، في نفس الطريق الذي سارت فيه الهجرات قبل التاريخ .. ظهور « صديق الطائرة » في أمريكا .. وفاة الفيلسوف الإنجليزي هوبنثام .. وفاة رجل مصابات الأمريكي الإيطالي الأصل آل كابوسي .. وفاة المطربة أسمهان .. أسمهان .. ولكنها ماتت غرقا في النهر منذ ثلاث سنوات ..

ولكني لم أسمع بهذا النبا إلا أخيرا .. وحررت عنها .. ولم أصدق عسيها التي تقول فيها : أنا التي أستاهل كل التي يجري لي .. فهي لا تستاهل .. تعوت غرقا في ربحان شبليها ..  
ومضجوا ولم يعلقوا علي ما قلت ..

ونظر بعضهم إلى بعض . وكان ذلك علامة على أنهم يريدون أن يخرجوا . ولما رأوا شعشي وحيرني . قال لي أحدهم : اسمع يا إني .. إنما رب أن يعرف ما الذي تريد أن تفعله عندما تخرج في الجامعة . نحن في عيه نقلق على صحة ولذلك .. والأعمال بيد الله .. والحياة رساله متلقها من حسب البعض . وبعضنا يجد نفسه رجلا مسئولاً . وهو ما زال طفلا .. أنا وفاة والذي عملت في التجارة لكي أتعق على إخوتي الصغار .. ثم أكملت

معلمي .. والحمد لله .. أنت أكملت تعليمك .. وربما يتحجك إن شاء الله نطلع  
الأول .. وبعمل مدرسا في الجامعة .. والبركة هيك .. وأبوك وأمك راضيان  
عندك تماما .. البركة هيك يا إيدي .. وبمصدقنا يكبر ومع ذلك يعطى طعلا بيمينه  
على والديه .. وهذا نوع محبوط من الناس .. وإذا فرج الطعنة والشوكة  
والسكين من الذهب الخالص .. فليس في حاجة لأن يصب .. ولكن الرجال  
تحلقهم المناعب والمصائب والتعديت .. والرجولة ليست صفة .. وإنما هي  
فعل متواصل .. وأنت رجل ..

- (إن أنت يا إيدي قررت .. إن شاء الله أن تكون مدرسا في الجامعة .. مثل  
ابن عمك وابن خالك وعمك .. إنها أفضل مهنة في التاريخ .. إنها مهنة الأنبياء  
والمرسلين .. وشوقني بقول :

### كاد المعلم أن يكون رسولا

إني على بركة الله يا ولدي وربنا يوفقك !

كانهم قد جاءوا لمعرفوني .. ولا بد أن ولدي أراد أن يعرف ذلك منهم .  
ولم يشأ أن يسألني .. وهو يعرف تماما أنه لو طلب مني أن أكون مدرسا  
ما ترددت .. لو لي أصل في أي مكان ففعلت . هل لأتني هكذا سلمي ؟ هل  
لأن حبي لو ولدي أقوى من أي رغبة عندي . فالقرار قراره .. هل لأتني  
وصلت نهاية اليأس من الحياة .. هل محبي ذلك أنه يستوى عندي أن أعمل  
أولا أعمل .. أن تكون لي إرادة لو لا تكون .. هل هذا الاستسلام عقاب  
فرصته على مصي .. كلني أقول : لقد درست وتفوت .. ولكن كل الذي

درسته وتفوت فيه سوف ألقى به في الريلة ؟ هل كنت أصبل أن أدرس في  
كلية أخرى .. هل تميت أن أكون أي شيء آخر ..

في ذلك العلم كتبت مقالا في مجلة « كلية الاداب » تميت أن أكون فيها  
شجرة على ترعة .. أن أكون شيئا حيا .. لا كقنا عاقلا حيا . أي أن أكون

بلا إحساس بلا فكر بلا هم بلا غم .. أكون شجرة تنمو وتزهو .. ثم تموت  
هي مكنتها .. فلا لب ولا ألم ولا أمة .. ولا إخوة ولا أخوات ولا خالات  
ولا عمات .. ولا من عاش ولا من مات إذن هذا هو شعوري الحقيقي .. وهذا  
هو سر رفضي لأن أكون أى شيء .. قلنا لا أريد أن أكون شيئا .. فلي تم  
أستطيع أن أكون شجرة ، فلماذا لا أكون شيئا قريبا من ذلك ..

وعرفت فيما بعد أن الانتماء تتمسك عليه مثل هذه الأفكار إذا كان لا يتحدث  
إلى أحد .. إذا كان لا يحاول أحدا .. إذا كانت أضواء الآخرين تنعكس عليه ..  
إنها أفكارى قد توارت فكانت لها رائحة المرص والموت .. فلا أحد يكلم  
أحدا ..

في الجامعة : محاضرات .. أى أن الأستاذ هو الذى يتكلم . ولا حوار  
بيننا ..

في المسجد : الخطيب هو الذى يتكلم ولا حوار بعد الصلاة ..  
وفي جمعية الإخوان المسلمين : الإخوة الكبار يخطبون ويصيحون ومن  
النادر أن يكون حوار ..

ومن الطلبة معا : كلنا نتكلم .. وكلنا نسمع ولا يسمع .. نحن إما شبان  
حائرون ومنهم قليل .. وإما شبان بلا مقاعب مدنية ولا مشكل عائلية ومنهم  
خفيف ولا يقولون شيئا مفيدا ..

وفي الليل حاولت أن أنام . فلم أستطيع . لقد أدركت كل الكلام في رأسي حينما  
رسمنا . وفكرت من الفراش . واتجهت إلى سرير والدي والبنى . وقت له :  
لا تطلق على مستقبلتي . سوف أكون عدد حسن ظنك .. غالبا ، والله أعلم ،  
سوف أكون مدرسا في الكلية .. وسأكمل دراستي ..

وأشار والدي أن أساعده على الجلوس فقال : إنما أريد أن أراكه لحسن  
حالا . سوف تكون بلدين الله يا ولدى ..

وأشرت والذي أن أساعدها على النهوض . واقرئت مس وهلسى على  
جبهنى . ورععت يديها اقبلهما لنقول : ربنا يكرمك يا ابنى

ورأيت الذى توحى : هو الذى شديد الضعف .. أين الوجه الجميل والعينان  
التحسروان .. والإبتسامة الدائمة . ما الذى جعل الرأس الكبير صغير .  
ما الذى جعل العينين غائرتين . ما الذى أحصى الرأس على الصدر .. ما الذى  
جعل القبطل تشهم ركب الحصان قد تكور واتحد شكل الجنبين . أين ذهب  
الحب والعنان والحيوية والمنهامة .. أين القصص والموارد أين الشعر ..  
أين الذين أحبهم والذي وحشى من أجلمهم . أين هؤلاء الفلاحون البسطاء الذين  
ناصرهم أبى ضد أصحاب الاقطاع .. ومن بين أصحاب الاقطاع أقاربه ..  
وقب معهم بدافع عن فقرهم وعجزهم عن سداد الديون .. أين الذين كانوا  
يطلبون إليه أن يدعو الله لهم لينجيهم .. فكان يسخر ج الأورى الصغيرة التى  
كتب عليها آيات من القرآن لشفاء المرضى . وكانوا يشعرون بشئ الله . فقد  
كان والذي يؤمن بأن كل كلمة هي القرآن لها سر وسحر .. ولا يعرف هذا السر  
إلا من درس وقرأ واتحد عهدا بأن يصون للكلمة والسر .. هذه الأصابع الماعمة  
في لون الشمع هي التى كانت تمتد إلى الأفاعى . فتلتف حولها لأفعى ولا  
تلدغه . ويقال إنه تعهد لأحد مشايخ المرقى الرهاعية ألا يؤذى ثعبان . فقدم  
له شيخ للطريقه شرايا حاصلا . من يشربه لا يلدغه الثعبان . وكانت الأفاعى  
تقترب منه وتنام في حصنه ولا تلدغه . أين كل الناس . أين الذين أحبهم  
والذين أحبوه .. والذين تطلعووا إليه وهو يلقى الشعر . وهو يتلو القرآن وهو  
محطوب وهو يؤم المصلين .. أين القيور أين العربات أين الدنيا .. كل ذلك  
انحسر .. والصوء انحسر .. والصحة والحياة .. حتى اللقمة .. حتى الكلمات  
حتى التظارات .. هكذا تكون نهاية الحبر .. نعلما كنهاية الشر .. يبقى الإنسان  
وحده مع المرض وحده .. مع الموت وحده .. ربنا الله وإن إليه راجعون .  
وامتكت يد والذي نمنح نموعا من عبنى وحذى البركة هيك إبت  
يا ولدى ..

( ٧ )

وهي بيت الأستاذ العقاد نميت أن يطرح عليه أى موضوع يتشلى منه أن  
فيه .. يستغرقنى .. يعرقنى ..

ونظمت إلى أناس آخرين غير الحاصلين .. جعل أصدقاء الأستاذ : النفس  
صلاح والشاعر عبد الرحمن صدقي والمفكر على أنعم والموسيقار الشجاعى  
، المصور خورشيد والسيدة : ل .. والاسية : ف .

وسميت أن أقوم وأصنع قطعة من القطن بين شغلى الأستاذ العقاد حتى  
: يحصى فيما يقول .. لو أصنع هذا القطن فى أنسى ، ويظل الأستاذ العقاد  
يحديث لكل الناس إلا أنا ..

فأخذ بدافع عن نفسه ، وبهم الذين يقولون أنه محتشام .. فهو رجل  
معتد . يقول الأستاذ : إننى أقول للحياة نعم .. إنى أقبلها .. واستمر معها ..  
وحدث أن أصيب ما استطعت . وأن أخير وأن أهدل .. إننى أرفض السلبية  
، رفض أن أكون متفرجا .. لأننى أؤمن بأن هناك حكمة من وجودى .. فأله  
: بحق أحدا لو شئنا عبثا . فلنا حكمة .. أو موجود لحكمة . ومن الحكمة  
لا رفض حكمة الله !

وحسبت أننى عندما سللت وحدى من بيت الأستاذ العقاد ، جعلت أنفسى  
سى . حتى لا يبقى فيها شيء من الذى قال .. ما هذه الحياة التى تقول لها :  
حمر . حياتها هو .. يجوز .. حياتى أنا ؟ أقول . نعم لأى شيء ؟ لهذا القرب  
والعز وسرور .. لهذا الفشل والكتب .. لهذه المذاهب الفلسفية والدينية التى  
: حفزنى الراحة والأمان .. لهذه الدوحة بين الأرض والسما .. ألم يحاول  
الإنسان .. يتنهر ؟ حاول . فهل عندما انتهر . كان يقول للموت نعم ..  
تصبيحة : نعم .. للفشل : نعم .. لخيبة الأمل : نعم .. هل كان يشجع له عند  
قصر بو برك رسالة من ألف صفحة يحاول أن يقتنعهم بصق حكمة فى أنه  
حمر نموت . إننى لا أصدق ما يقوله الأستاذ .. إنه هو أيضا مثل أستاذة  
تصعب . إياهم شعراء وصعهم القراء الكريم : ه ألم تر أنهم فى كل واد  
صحنون وأنهم يقولون ما لا يفعلون . .

وبعد .. هبطت الدرج .. ووقفت أمام بيت الأستاذ العقاد ثم هواء منعشاً .  
حدثت نفسى قليلاً . وعدت إلى مكثى من الصالحون .. ولم ألاحظ أن الأستاذة  
تكره قد برزوا أيضا . فلم يبق إلا السيدة والأئمة .. ويصن الزملاء الصغار

من الطلبة . قلت : يا أستاذ أنت تقول للحياة نعم .. أى حياة يا أستاذ . أنت تقول : نعم .. فهل كل أتمنى يقول : نعم .. هل من الضروري أن نقول نعم لما نكره .. لما لا نفهم .. لمن يظلم .. لمن يقهر .. هل نقولها للجوع والمريض .. فلما لم نقتنع ، فكيف نقول : نعم .. أنك لم تكن كذلك من عشر سنوات ولا من عشرين عاما .. فهل تقول ذلك لأنك قاربت المسنين يا أستاذ .. إن لك شعرا حزينا عجميا . فكيف كل ذلك يا أستاذ ؟

فقال : يا مولانا إنتى أقول للحياة نعم ، بعد أن جريت ومارسيت . وأنت تريد منى أن أقول مثلك : لا .. مع أنك لم تجرب .. إن الحياة حدثتكنى طويلا وحلورنها .. واقتنعت بها . ولكنك يا مولانا لم تسمعها .. لم تلمسها .. لم تعرفها بعد .. فكيف ، وأنت دارس للطفة ، ترفض أن تسمع ثم تصدر حكمك عليها .. الذى هو حكم على نفسك .. أنت لم تظلم الحياة ، وإنما أنت ظالم لنفسك .. أعط نفسك فرصة .. وقتا .. لتتأمل .. خذ نفسك .. ثم قل ما بدلك بعد ذلك .. أنت يا مولانا مثل قاض وقف أمام باب المحكمة وأدان المتهمين .. فلا هو عند جلسة .. ولا هو درس القضية .. ولا عرف كل وجهات النظر .. إن مثل هذا القاضي ، قد حكم على نفسه بأنه ليس قاضيا ، وإنما طاحية جاهل ؟

### ( ٣ )

وكما هي العادة عندما تتمد المواهب والأبواب وتفسح الشمس من سماءنا نذهب إلى تكتور طه حسين . بانرنا بقوله تعليقا على الذى قلت : وماذا قال عباس ؟ قصد الأستاذ عباس المقاد .

وقلت وأطقت . وكان يصلحني بصحكنه الرقيقة الساهرة . ويتراجع في مقدمه ثم يضحك عاليا .

قال طه حسين : أنتم تعرفون أن عباس عصبى المراح . وأنه لذلك يسرف على نفسه فى اتخاذ مثل هذه القرارات المفاجئة .. كذلك كان فولنير وأبو العلاء .. ومن المعروف أن فولنير كان قد هاجم الإنجليز بسف وقسوة ..

إنه رجب عيسى ، مع أنه من أشد الناس إعجاباً بالديمقراطية في بريطانيا .  
 صباحك عالياً ) .. وفي يوم وجد نصه في لندن .. في شوارع لندن .. وعرفه  
 نيس وقرروا منزيه أو قتله .. والبعت إليهم يقول : يريدون عقابي .. ألا يكفي  
 عني ألا أكون إنجليزيا ؟

واعندل طه حميس ليقول : إن عيلى أكثرنا جميعا استخداما لكلمة : لا ..  
 فهو قد رفض الكثير من الأفكار والأنظمة القديمة في التاريخ والنقد الأدبي  
 ورفض .. ولولا ذلك ما اكتسب العقاد سمعته الأدبية الواسعة .. إنه رفض  
 تشبوه ورفض رقم ١٣ ورفض أن تكون البومة مصدرا للتشؤم .. ورفض  
 عكره اننى نقول أن الموت والحراب والنمار يلحق بكل من يدرس الشاعر  
 .. نرومى . وقد درسه العقاد وألف عنه أحسن كتبه .. إنه عيسى المراج ..  
 لا .. أنه كان كذلك .. ولا بد أن أحدا قد قال له : إننى أقول للحياة : لا ..  
 سر العقاد في بعض النعطة أن يقول لها : نعم .. وأن يراجع عن ذلك مثل  
 كرم محام بارع . في المرافعة .. وليس من الضروري أن يكون مقتنعا  
 به يقول ؟

• • •

( ٤ )

هـ .. ماذا قررت ؟

هـ .. سؤال الذى سمعته كثيرا في ذلك الوقت من كل الذين أهرهم ..

كنت أقول : لا .. ونعم ..

بـ .. متى : ماذا تقصد ؟

هـ .. متى : عن الذى سوف أعمله بعد التخرج . وأنا أجيب عن سؤال

هـ .. متى يقول للحياة ؟

هـ .. جميعه كانت الحياة بلا كتب .. وفي الجامعة . كتب بلا حياة ..

هـ .. جميعه كتب وحياة .. أو لا كتب ولا حياة .. طه حميس أو العقاد ..

هـ .. لا .. لا .. أو هما معا ؟



من هنا بدأت كل  
متاعب المستقبل



## من هنا برأت كل متاعب السَّقبل !

لم أعرف السلام في بيتنا .  
لم أعرف شيئا واحدا مصمونا . أو شيئا واحدا من الممكن أن يتكرر بصورة منتظمة . فلما دق الباب . وهذا يحدث كثيرا ، أصابني الفرع . مع أنني . وأنا ، لا أتوقع أحدا محبفا أو كارثة .. أو حتى إذا كانت كارثة فما معناها .. لا أرض ولا بيت ولا نكاح لنا ولا سبارة ولا حتى حمار .. ولكنه الخوف العلم ..

عصاة الطفولة التي كانت متفلة من بلد إلى بلد ، ومن مدرسة إلى مدرسة ومن أصحاب إلى رعايا آخرين .. والتفكير المستمر لوظيفة والدي ، وأبنا دائما على سفر .. وأن كل الذي يملكه يوضع في سبارة واحدة . ويكون من نصيبي أن أصعب ساعة الحائط على ركبتني .. وهي من الخشب كأنها ثابتة .. أو بعش مات فيه الزم ، أو لكي يذهب فيه الرمي . وإن كنت أتمنى أن أذهب الحوف وألقى به في النيل .. ولكن عاشت هذه الساعة ولا تزال على حائط البيت الذي تسكنه والدي ، يرحمها الله .. فلم تكن نابونا وإنما هي مثل الحواصل للرهور ، ينمو فيها الخوف إلى جوار اليأس إلى جوار المرارة والعزلة ومريد من الحوف .

ولا حدث أن رأيت أبي وأمي يجلسان معا ويتحدثان في أي شيء .. فأصي دائما في حالة غضب . ولا أعرف سببا لذلك إلا أنها مريضة وإلا أنها شديدة العساسة ، ولا أجد والذي إلا هادئا معظم الوقت صامتا .. أو يوقف هذا الذي لا أهم من المناقشات العادة بالصلاة أو بتلاوة القرآن بصوت مرتفع .. وأحيانا أسمع استئناف لهذه المناقشة في الليل .. ولكن لا أهم . وفي اليوم التالي يخفى والدي ، إنه يعمل بعيدا .. وهو دائما يعمل بعيدا حيث لا أعرف .. وأرى وأسمع لأمي وهي تتحدث إلينا ببعض الطريقة .. لا فرق بين الذي نقوله لنا ونقوله لوالدي أو لأحائمتنا .. فهي في حالة غضب ومرس .. غضب بمبيب

المرض ، أو مرض سيب العضف .. ولم أسمع من والدتي بالحديث ما الذى يعجبني فى أى شيء .. إنما هى الأخرى تتوقع أن أحطىء فى كل الذى أفعل ، حتى فى المناكرة وهى لا تقرأ ولا تكتب ، لها رأى أيضا ، وأجندى أطيع أوامرها : اجلس الآن فأجلس . افتح الكتاب أفتح . لا تتم قبل أن تنهى من دروسك .. وكنت أنام ولنا أذاكر حتى أنهى كل يوم وقد أحرق المصباح الفارى رموش عيني وشعر رأسي ..

ولم استطع أن أنظر إلى وجه والدتي فى ذلك الوقت من الدراسة الابتدائية والثانوية لأرى إلى كنت قانرا على الامسك لو حتى على الانسجام . ووجدت لها عدرا . فالمسك فى مثل هذه الظروف لا سبيل إليه ..

ومن أنواع المحاورات بين والدتي وبيبي وبيها وبين والدتي . انت تأخرت فى المدرسة اليوم .

.. ولكن فى الطريق من المدرسة وقعت مع زملائي نكلم .

— ولكك لم تفعل بالأمس .. سوف تكون مثل حالك .. لن تنفع فى شيء !!

وتتركى إلى أى شيء آخر . علا قالت شيئا ولا عدى فرصة لأشرح .. أو حتى لا داعى لهذه المناقشة بهانها فلأن أنهر نصف أو ساعة لا أهمية لذلك .. فليس عندي ما أفعله غير الجلوس فى البيت ، حتى يحىء الساعة الحاضرة فأخرج للرهة مع زملائي .

وحثلا : هل قلت لحالتك شيئا عن المناقشة مع فلامية ؟

— لم أر خلقتي ..

— ومن أين عرفت هى ؟

— وكيف أقول لها إذا كانت قد سافرت إلى القاهرة منذ أسبوعين .. والضافة حدثت من يومين فقط ..

— يمكن أرسلت لها خطابا ..

— وهل أعرف عنوانها ؟

— وكيف أعرف ؟

ويتمنى للحوار . فاك انتهى فلا كلمة واحدة تدور ببينا .. هل هي على يقين  
من أنني ككاتب خطابا ، هل لابد أن أكون متهما مهما كانت الظروف .. هل  
مهمت أنا شيئا .. لا شيء ..

أما هذا الحوار النموذجي بين والدي والذتي فلا استطيع أن أنساه . هكذا  
كان والدي وكنت والذتي وكنا نحن في هذه الحيرة والقلق . مثلا هذا الحوار  
مع والدي :

قالت : كم يوما ستبقى هذه المرة ؟

— قال : ربما أسبوع وربما أكثر .

— وربما أقل ..

— لا أظن ..

— ولماذا فأنت كل مرة تقول أسبوعا وتبقى يوما أو يومين .. والأولاد  
بـعـشرون لذلك .. فلم يحدث في مرة واحدة أن بقيت معا أسبوعا .. حاول أن  
تصبر لهم ذلك ..

— أنت تعرفين أنها وظيفة جديدة .

— كل الوظائف جديدة .

— صحيح . ولكن ما الذي أفعله ؟

— لا شيء طبعاً .. إنه سوء حظ وقلة بخت ودوحة عيال .. فلا نحن  
مرطعون ولا نحن فلاحون ..

— ...

— إنه في حاجة إلى كتب .

— اشتريت له .. أليس كذلك ؟

فأقول : شكرا ..

والذتي : ولكنك لم تقل أن بابا اشترى لك كتباً .. أحبتها وأحبيها في  
عرفتك ..

هو : مبسوط .

أنا : شكرا !

هي : ما دام هو مبسوط خلاص .. متعلق بحزن .. ومستطيع أن يسهل الآن  
وهي أية لحظة ..

ويرفع بيرة الحوار وتكون مراجعة كاملة لحياتنا معا .. منذ ولادتي  
وقبلها .. ويحدث .. أما النهاية فهي معروفة : بهمس والذى هائلا ويفتح الباب  
ويخرج ولا يعود إلا بعد أسبوع . يلسا من أمل في حوار هادئ . أو هدوء .  
وعلى الرغم من أن هذا الحوار يتكرر كثيرا . فإن أحدا منهما لم يفلح في  
الوصول إلى صيغة معقولة .. أو درجة معقولة من الخلاف أو سبب  
موضوع يمكن الخلاف أو الاتفاق عليه .. وأرى أبي معتورا .. فهو لا يحمل  
كل هموم والذني . تعدد هموم أخرى لا نعرفها ، ولم نجعلنا طرفا فيها .. إنها  
هموم الأعمال الحرة . الأعمال الزراعية عند أصحاب الإقطاع .. بكلمة يعمل  
وبكلمة يجد نفسه بلا عمل .. وقد لا تكون كلمة وإنما إشارة بيد .. وقد يكون  
سبب هذه الإشارة ، نسبة ، من أحد .. هو الذي رجل طيب القلب حسن الية ،  
وقد لعب كثيرا بسبب حسن ظنه بالذني . ولابد أن يكون والذي رجلا متسامحا  
جدا . فهو يقول كل شيء يجيء . فالتناس أشرار . لا علاج . ولا مفر من  
ذلك . والحياة الزوجية لا هي خير ولا هي شر . وإنما هي كل ذلك ولا مفر  
لرجل طيب مستقيم من أن يقول هذا المصير وما يأتي به من أولاد تكبر معهم  
مشاكلهم أيضا .. ووالذي . هو الآخر ، لم ينسح وقته ولم يطل عمره ولم تستقر  
الأرض تحت قدميه ، حتى يكون قادرا على إصلاح الذي فسد ، وتقويم الذي  
انحرف ، وإنشاعة السلام في المكتب والحقل والبيت وبين الأولاد .. فالحياة  
بصها لم ننجح في أن يكون لها مذاق حلو على لسانه .. فالمعاناة هي لسان أبي .  
كانت الشعر الذي يرويه والنواير التي يملكها وصوته الجميل يرتل القرآن ،  
وعبارة بسم الله الرحمن الرحيم عند بداية أي شيء . والحمد لله عند نهاية أي  
شيء بأكمله أو يوجعه .. هلمس الله بداية كل شيء . والحمد لله نهاية كل شيء ..  
وكان الصفاء والرواء واليهاء على وجه والذي معجزة من معجزات علم  
وطائف الأعضاء وعلم النقص وكيمياء الإيمان بالله .. كيف كل ذلك ؟  
لا أعرف .

أما مع والذي فكان الحوار بيضا هكنا ويكون في الساعة الرابعة صباحا ،  
قبل صلاة الفجر . أجنس دائما إلى جواره أو على ركبته أو على صدره : أنت  
نمت .. يا رجل أنا أوظفك لكي نحدث إليك .. ثم ..

وكنيت أرى النموع فى عيبه .. وسرعة تنقل نموعه إلى عيسى . لا هو  
قال شيئا ولا أنا قلت ..

وبسألنى : عامل إيه فى المدرسة ؟ كويس .

.. نعم ..

بارك الله عليك .. أنت تعرف يا ولدى .. يجب أن تكون الأول .. فلذا كبرت  
كنت شيئا ههنا .. أنت تعرف أن أمك تمبك جدا . ولكن هذا الذى يقوله لك  
من شدة حبها .. إنها لا تتركك .. أبدا .. أنت شاغلها الوحيد ..  
.. أعرف ..

.. وهى تحبى أيضا .. عندما تزوجتها كانت تنظر لى على لى والدها ..  
لأن أكبر منها بعشرين عاما .. ولكن الأيام والظروف وحالتها الصحية  
وحالاتها مع إخوتها .. ولتنقل من مكان إلى مكان بينما إخوتها جميعا على  
أرصهم وبين أقرانهم .. يأكلون ويشربون من الحقل وبسهولة .. ولكنها لا بد  
أن تشتري من السوق وتبخر الماهية حتى أبعث بها .. ثم أنها وحدها مع  
تولادها وحدهم .. حياتها شاقة .. إننى أعدها .. ولكنى عاجز عن فعل ما هو  
أفضل لنا جميعا .. لذلك فأنت وحدك القادر ، عندما تكبر ، على إراحى  
وأهلك .. وبخوتك .. وكل الثبوت بها مثل هذه المشاكل وعندما تكبر سوف  
تعرف .. وسوف تجد العذر لأهلك وأهلك ... أنت نمت يا ولدى ؟

ثم يقول لى : لماذا تنكى .. أنت رجل .. كفت أتحدث عنك . وكل الناس  
يريدون أن يروك .. بعد نهاية العام الدراسى سوف تنقل إلى هناك لتزى  
لأطفال فى مثل سنك .. وسوف يعود معك كتب كثيرة .. وقد اشتريت لك  
عددا من البط الأبيض والأور .. وهناك كلب صغير قد ربيته لك .. وهناك  
شجار النوت والجيمير .. أريدك أن تحفظ هذه الأشياء ..  
ثم يلقى أبياتا جميلة ويكررها . وأردتها وراءه . وقد حفظت ألف أبيات  
الشعر قبل أن أدخل المدرسة . تماما كما حفظت القرآن الكريم قبل أن أذهب  
إلى المدرسة .. وأنا لا أهم من معانيه وكلماته شيئا . وإنما هى الموسيقى  
السماوية والقدرة الفائقة على الحفظ عدد الأطفال فى مثل سنى - أى فى  
السبعة ..

ولم أكن أعرف هي ذلك الوقت كيف البيوت الأخرى .. وكيف الأبناء والأمهات . وما الحوار .. وما الخلاف وما الاتفاق وما الأمل والبأس وما المستقبل . لا أعرف . فلا رأيت ولا أحد قال .. ولا عرفت كيف تكون أحسن وأسوأ . لكل واحد قد انطوى على حاله . ولا أحد يقول شيئا لأحد . ولا أحد يسأل أحدا . وعرفت فيما بعد أن كل الناس أمام كل الناس ممثلون : يكذبون ويبالعون ويظنون الحقائق .. حتى لم يعد لمثل هذا التمثيل معنى . هانت لا تمثل أمام متفرج . ولكن تمثل أمام ممثل آخر : لا متعة ولا لذة ولا معنى .. فلا أحد يصدق أحدا .

ولم أعد أحد أمي ، عجباً ، بين الأمهات والزوجات ، فكلمهن كذلك .. وكل الآباء والأزواج أيضاً !

وعندما كبرت ودرست علم النصر أصبحت هولتي أن أعود إلى طفولتي ما كان وما لم يكن . وأصبحت متعنى أن أجرى وراء الأحداث الصغيرة وأطارد بها وأستوقفها وأستوضحها .. لعلني أعرف كيف حدث ما حدث .. وكما نظرت إلى بصرى ، رأيت من الضروري أن أعود إلى العاصمي النعبد لكي أراعي طفلاً صغيراً في البيت . أي بيت ، وفي الشارع وهي المدرسة ، ووجدتني أذاكر ولا أعرف لماذا أقيمت على الدراسة والقراءة بهذه الصورة القشرية . لم يقل لي أحد : إفعل ذلك .. دلتما ووجدتني وهدي مدفوعاً إلى الفرقة مدفوعاً إلى المذاكرة .. هربصاً على أن تكون الأول في كل مراحل التعليم والشهادات العامة .. لماذا ؟ لا سبب . ما هي للمعة التي كنت أهداها ؟ لا متعة . ما هي المكافأة التي أنلقاها ؟ لا مكافأة .

عندما قرأت في صحيفة ، الوفد المصري ، أن نرتيبي الأول هي الابتدائية سارعت إلى البيت .. وجدت الباب مفتوحاً .. دخلت ووجدت أمي تسرف دما ، فبعت منها أن أسبحض طبيباً ..

وعندما جاء نرتيبي الأول هي الثانوية العامة ، عدت إلى البيت . دفعت الباب فافتتح . وجدت أنا وأبنتوني يرتدون الملابس السوداء . حلاتي وأولادهم . نقد ماب حالي . وعندما جاء نرتيبي الأول في الليماسن دعيت أنقل هذا الدبا إلى والدي وكان مريضاً . سألني إن كنت الأول قلت : نعم .. إن كان يحلني بمرتبة الشرف الأولى . دخلت نعم وسمعته يحمد الله على ذلك ويموت !

يوم عيبت رئيساً لتحرير مجلة ، آخر ساعة ، ذهبت لأمي في المستشفى  
مراجعتها فارتقت الحياة . فشرت صحيفة ، أحيار اليوم ، في صفحاتها الأولى  
سُعيبي رئيساً للتحرير ، وفي صحيفه الوهبات : شيعت جنائز والدني ..  
وكنت ألتقي برقيات التعازي والتهاني معا إنها عليه حسابية . أحد من هنا ،  
رحصم من هناك !

• • •

وسحرت النظريات والتفسيرات في يدي لما حدث رمل ، ولما هو حادث ،  
وبم يمكن أن يحدث ..

واهدئت به من الوقت إلى نصير مريح . ولكنه ليس مصبوطاً بعام . ولكنها  
صورة الأخرى التي وجنتها .. وهذا يدل على حذوني ، .. وهذه الحيرة هي  
التي جعلتني أختار أي نصير مريح رأسي من دوامه الدوران حول نفسي بيلا  
وبهارا وتعديني لها أيضا ..

فقد قرأت عن قصة ، أسرة برونفي ، وهي أشهر عائلة أدبية في التاريخ  
الأسرة تصم أباً أدبياً شاعراً قسيساً اسمه باتريك برونفي .. وحصا من ابنت  
ولدا .. ماتت اثنتان وبقيت ثلاث بنات أدبيات . وابن أدب ورسم أيضا .

الأب القسيس باتريك برونفي ( ١٧٧٧ - ١٨٦١ ) كان شاعراً غريب  
لاهوار . كان مرعبا منهوسا . عصيبا . لم يكن جملما عطوفا رقيقا . وإنما  
هو رجل عصبي . وهو الذي نوحهم انه شاعري لأنه سريع للتأثر والبكاء .  
والحقيقة أنه ليس كذلك . إنه عصبي عيب غليظ . وهو يعمل بنانه كنوع  
من الحشرات والكلاب . وهو يغضب ويسخط ويمسك على الأرض ويلعن الأيام  
لتي أنت بهر .. ثم يهوس ويطلق النار في الهواء تحريفا ، أو تفريرا لغصبه ..  
به شعر الأب الكبير أشعاره .. ولكن لا قيمة لها . فهي منظومات موروثة ..  
وهي شعر كنائس أخلاقي . ليس فيها ذوق ولا إحساس . ولذلك كان لابد أن  
حوت هور ولاننها .. وهي ضرورية للدراسة إذا اردنا أن نعرف للرجل الذي  
كان أب لثلاث أدبيات مشهورات ..

أما السلت للثلاث هـ بشرى شعرا في ديوان واحد . لم تبق من هذا الديوان إلا نسخة واحدة .. والشعر يدل على الموهبة المبكرة وعلى سمو الحس وجمال الذوق وعلى الإبداع أيضا . والبنات بشرى هذا الشعر بأسماء مستعارة .

البيت الكبيرى هي : شارلوت برونتى ( ١٨١٦ - ١٨٥٥ ) . وكانت روايتها « جين آير » . وتزوجت وتوفيت بعد رواجها بشهور .

والثانية هي : إميلى برونتى ( ١٨١٧ - ١٨٤٨ ) وهي التي ألقت رواية « مرتفعات ودرنج » وهي أكثر الثلاث موهبة . وشخصيتها أقوى . وهي أكثرهم جمالا . وفي روايتها هذه كل صور العذاب والحزن وقمة الرومانسية ..

ماتت ولم تخرج ..

والثالثة هي : آن برونتى ( ١٨٢٠ - ١٨٤٩ ) وهي أقلهن موهبة بل هي منوسطة القدر في كل ما كتبت . وروايتها الوحيدة هي « أنيس جراى » .. وهذه الرواية كانت مبهمة لما سوف يكتتب الشخصية الإنسانية بعد ذلك بمائة عام .. فالشخصية ليست شخصية ولا ملامح لها .. وإنما يتشابه كل الناس حتى ليصعب على أحد أن يميز واحدا عن واحد .. ثم كانت الدعوة إلى أن يصبح الناس مثل قوالب الطوب .. لا خلاف بينهم ولا معنى للخلاف !

أما الأخ برنولي برونتى ( ١٨٢٧ - ١٨٤٨ ) فقد كان أملا والده . وكان حريصا على أن يجعله هو الأديب وهو العاقل . ولذلك بعث به يدرس الرسم في لندن . وعاد من لندن غائلا . وبشر شعرا ويقال أنه ساعد أخته في تأليف الصفحات الأولى من « مرتفعات ودرنج » . وإلى كانت الأخت هذه قد وسعته هي روايتها .. ذلك الشاب المشهور المدمن للخمور والمخدرات والذي جعله يصعد في النهاية .. وعاش ومات في غيبوبة تامة لا يدري بالضبط ما الذى فعله إخوته البنات ..

أما الأم فقد فوجئت هذا العدد الكبير من الأبناء ، ثم ماتت بعد تسع سنوات من الزواج .. وجاءت أختها تساعد في تربيته هؤلاء البنات ، وتداول أن يعتقدن من جنون والدهن . فكان الأديب هو الملجأ الوحيد للبنات .. وكان الخيال هو المأوى الأمين من طلقات النار وسورة العصب وتشنجات الأب من حين



بى حير . ومهنيده لهن بأنه سوف يترك البيت هيفلن به ويوسن عند قتميه  
.. يعنى من أجلهن !

وعلى الرغم من أن هذا الأب قد دروج عن حب فإنه كلن يلن زوجته  
ويقول : اللعة عليها بنى تزوجنها .. اللعة عليها أنها ماتت .. اللعة عليها أنها  
أنجبت هذا العدد من الأبناء .. اللعة عليها أن تركتهم .. اللعة عليها أن جاءت  
أحنها إلى البيت .. اللعة على اللبت أنى ما أرل حيا أعانى وألن كل الناس !

• • •

فأى وجه للشبه بين نسرتى وهذه الأمرة .. لم أتعامل كثيرا . وبما  
رئستنت هذه القصة تفصيرا لحياتى ..

لا بد أن تكون اللامبالاة والقصور معا هى وجه للشبه بيىا .. هناك قسوة .  
وهناك لا مبالاة .. وهناك خوف من المرض ومن الموت .. ومن كل شيء  
ومن كل أحد .. وهناك الأبواب المعلقة على صغار هاربيين ومن الواقع إلى  
الخيال .. هناك كتابة المفكرات سرا ، هناك الأمل فى الخلاص .. هناك احتفاء  
الأم ، بمعانيتها ورعايتها وعنايتها وحضانتها .. وهناك اخفاء الأب .. فالأم وإن  
كانت مرجونة . فأى وجود هذا ؟ والأب وإن كلن موجودا فأى وجود هذا ؟  
ولو اخترت لويا يفسب هذا البهت لجعلت السواد هو اللون ..

لو أخذت طعما لهذه الحياة لكانت المرارة ..

لو أضدت رائحة لهذه الأسرة لكان للخل ..

لو أحننت اشجاراً لأجعل سوراً لهذه الأسرة لكان الشوك ..

لو أحنرت نهاية لكل شيء لكانت النهاية هى البداية : لا شيء .. فالبدية  
غامضة . والنغمة أكثر غموضا ..

ورجل الدين والشعر لم يطح فى أى شيء .. لا للدين جملة شخصية هامة  
ولا الأئب .. وإنما هو صلتع بين الدين والدنيا .. بينما الدين لا دين لهم  
ولا أئب ، هم الذين يملكون ويتحكمون فى الدين يعرفون الدين ويتذوقون  
الأئب ..

وكنذك والذي كان رجلا مؤمنا شاعرا وقيفا بنوق جمال للكلمة والجمعة ..  
ولما كبرت وجدت أن هذه الصورة ليست منطقية تماما .. بعضها فقط ..  
ووجدت في حياتي أنباء وفلاسفة كثيرين ما يطابق حياتي . وبعد ذلك لم أعد  
في حاجة إلى البحث عن أناس أكون نجيبا بهم .. ولا هو من الضروري .  
فكل واحد له حياته وكل واحد صنعته ظروفه .. والظروف سبقتنا إلى  
الوجود . فلا أحد قد اختار آباء وأمه .. ولا أحد قد اختار صفاته الوراثية ..  
ولا أحد قد اختار دينه ولغته ووسعه الطبيعي .. وبعد ذلك فإن هذه الظروف  
هي التي تشكلنا ونحن نساهمها ونعمرها عليها .. ومن العسيرية والمرد تتكون  
ملاحمنا النفسية والاجتماعية والعقلية أيضا .. فالظروف الواحدة التي عشت  
فيها مع أروني . لم يجعلك متشابهين . بل إننا مختلفون أشد الاختلاف .. فليس  
بين إروني أحد له علاقة بصناعة الكتابة . ولا أحد أنجبه إليها . ولا رغب  
فيها . رغم تطبيق كل الظروف والأحداث . والمنهجم والإطارات النفسية ..  
فليس من الطبيعي أن أبحث لي عن نظير أو شبيه بين أنباء وفلاسفة عاشوا  
في ظروف أخرى وفي أزمنة أخرى ، لمجرد أنني أريد تفسيراً ملموساً  
أستعين به على فهم نفسي وعقلي وآمالي ومخاوفي وكفري بكثير مما يؤمن  
به الناس !

• • •

وفي يوم جعلت أنسلي بحيلتي .. وتحيلت قلبي منارة ألقى بها في طمولي  
أستفزع مخاوفي ، أو أسباب مخاوفي . فإلما على بأن المخاوف كالمسك . إذا  
أخرجناها من الماء ماتت ..  
ووجدت عجباً ..

وأعجبني من الذي وجدته . أنه رغم معرفتي بالأسباب ، فإني لم أفلح في  
أن أعود إلى السلوك الصحيح .. أي لم أفلح في التخلص على مخاوف الطفولة ..  
مثلاً . لم أفلح في أن أتعلم السباحة . حاولت كثيراً . ولكن عقلي  
لا يطاقعي . بل أن عقلي أصبح مثل الفرائل التي انصرفت بالعجل . لماذا ؟  
نعتبت حتى وجدت السبب الذي كنت قد سببته .. أي تعمدت سبيله . حتى  
كانت معرفتي به اكتشافاً عظيماً ..

فقد حدثت ونحن أطفال أن نرفنا معا إلى الليل . وأنكر أننى كنت أعرف  
سباحة بدليل أننى أعمل ذلك مع أقاربى الصغار كل يوم ..

وفى أحد الأيام غرق ابن خالتي . ولم نستطع أن نعود إلى البيت . فقد  
ذهبت إلى أحد المساجد . وبعثت هبة . وفى الصباح المبكر وجدت أنسا بكثيرين  
واطفلا ووجدت والدى يبكي . ثم رأيت ابن خالتي هذا الذى غرق .. ابن  
نم يغرق .. فخرجت حائفا . وسمعت إسمى يتردد على شكل صراخ .. لقد طنوا  
نسى أنه الذى غرق . وتوجهت أيضا أن ابن خالتي هو الذى غرق ..

وقد مر أحد أصدقائى من علماء البحر ما حدث بأنسى قد نمت من التعب .  
وأنسى نمت وطلعت عائنا .. أو أننى خرجت إلى الشاطئ وبعث وطلعت هكذا  
بعض الوقت وأن ابن خالتي بحث عني فلم يجدنى . وكانت السباحة ليلا . علما  
مبحوث من النوم لم أجده فطست أنه هو الذى غرق ..

ولا أنكر أننى تولت إلى البحر بعد ذلك . وكنت أقول : أننى لا أعرف  
سباحة قط ..

وتم لكن أعرف الأسباب العميقة فى نصي .

وعلى الرغم من أننى رأيت أجمل شواطئ الدنيا بعد ذلك . فأنسى لم أرند  
ميوها ولا وفقت إلى جوار الشاطئ مرة واحدة ..

وأنكر بعد ذلك بسنوات عندما كنت فى جزيرة كابيرى .. ودخلت بالزوارق  
فى المعمارة المعروفة باسم المعمارة الرقاه . أن اصطدم الزورق بالجدار .  
وحيل إلى أننى سوف أغرق فصرحت وبكيت بسرعة . واندشش الناس .  
وسهشت أنا أيضا فادعيت أن شيئا لسمي فى الماء .. وبسرعة اتجهت العيون  
سوى التى لم تكن مبلقة .. ثم أنه لا توجد حشرات أو أسماك من أى نوع ..  
وحجبت من الذى حدث . واشعلت بالتفكير فى ذلك .

وعندما ذهبت إلى جزيرة هاواي . ووجدت الناس يتمتعون بسف عراة  
على الشاطئ . ويملكون فى انتظار مد المحيط الهادى الذى يصل إلى  
فأهم ثم أجسادهم يبهضون فى هرع . هذا الفرع اللينيد .  
هو المطلوب .. !

ووجدت شجرة هريية من الماء وصعدت عليها .. وكان جذع الشجرة على شكل مصطبة . وتمددت على هذه المصطبة .. وكان المحيط الهادئ هادئاً ، صلباً .. حسيصاً . جريزاً .. وكان القمر في السماء كبيراً جميلاً .. وبمتى لا أعرف كم من الوقت مضى وعندما بصحوت وجدت المد قد رجع إلى منتصف جذع الشجرة .. فتولاني الخوف الشديد .. وبخزي إلى الماء .. ولم أجرو أن أقصر من الشجرة لأعود إلى الشاطئ . وإنما ظننت أنظر إلى القمر في السماء وهي الماء حتى طلع النهار . واكتشفت مع ضوء الشمس أن الماء لا يزيد عمقه عن شبر واحد !

وأول مرة أنزل إلى الماء وبالمياه كان في مدينة الحديدة في الهم سنة ١٩٦٣ .. فقد كنت صغيراً وقد الأنباء ' يوسف السباعي وجيب محفوظ وصالح جونت ومحمود حسن إسماعيل ومهدي علام . ولا أعرف من الذي اقترح أن نزل إلى الماء . وكانت المياه هات جاهرة . ولم أجرو أن أقول إنني أخاف من الماء . ارتدبت المياه ومرت إلى الماء .. وظننت وقفا . والماء يصل إلى أعلى الساقين إلى الحصر . وهجأة وجدت نفسي تحت سطح الماء أشرب أفتر ماء في العالم .. لقد كان المرحوم صالح جونت يداعبني ، فدعمني من الخلف ولم يصق أحد وأنا أصرخ وأقول كلاماً غير مفهوم أني سوف أغرق .. ولا أعرف كيف خرجت طلياً من تحت الطين .

وبعد ذلك حاولت أن أصبح .. لم أستطع . واقترح الأصدقاء أن يعلمني السباحة أحد الأساتذة ..

وكان السباح الكبير عبد الباقي حسين هو أول أستاذ لي . وذهبت إلى حمام المعلمين .. عندما يكون الماء ناعماً .. وجلس عبد الباقي حسين على مقعد عدد حافة الحمام . وطلب مني أن أنزل إلى الماء . وأحاول الطفو وأن اسبق رأسي إلى أعلى . وأن احرك ذراعي وساقني .. وأن أجعل رأسي فوق الماء . ووجدت في الحركة ولكن تحت الماء ..

ولم أتقدم في السباحة ..

وأخيراً حاول السباح العالمي أبو هيف أن يعلمني . ولكن لم أطاقه ! ولاحظت أنني لا أستطيع إلا بالماء القاهي . ولما كان الماء القاهي نيس

من هو دائما ، ولا كان صروريا في معظم اوقات السبعه ، كان الجرحى عليه  
رفض موقفا للماء ، فان في أعينى لا اريد الماء عموما ، والماء انوار  
خصوصا أى انه مزارى محتوته عميقه من ساحلى لتابعه عن الماء ؟  
ولكن أحدا لم يساعدنى على فهم ذلك فى من مبكرة \*

إسى لا أحب الشيكولاته .. ولم أنقها إلا تحيرا وإلا قليلا \*  
وهشت فوجدت ان السجى هو إسى عندما كنت تلميذا فى الثالثه الابتدائية  
كان يدرس تاريخ الشعوب ، دراسة مريعة ، هى يوم قال المدرس : ان  
الأحباش نيسوا سودا ، ولكنهم فى لون الكاكو ..

ورفعت أصبعى أسأل : يعنى إيه كاكو ؟

يعنى إيه ؟ لا تعرف الكاكو ..

قلت : لا ..

قال : ولا شربها ؟

قلت : لا ..

وصحك التلاميذ ..

وعاد المدرس يقول : أنت طبعا تعرف الشيكولاتة ؟

قلت : لا ..

وصحك التلاميذ ..

ولا أعرف كيف كان وجه المدرس ..

ولم أفهم ما هى العلاقة بين الكاكو والشيكولاتة ..

وفى اليوم التالى جاء بطور المدرسة وهو إسى حالى ، وكان رجلا صعب ،  
مباليا ، لا يهجه المدرسون ..

وبحل الفصل وإنجه ناحيى وقال : أنت قلت أنك لا تعرف الكاكو ،  
ولا تعرف الشيكولاتة ..

ثم أخرج من جيبه قطعة من الشيكولاته وزمانى بها وقال : دى نيلها  
وتشرب منها .. هذه هى الكاكو !

وحرح . وصحك التلاميذ والمدرس . فلم يجزؤ احد أن يصحك في  
حضوره !

وطال طول عمرى لا أشوب الككاو ولا أتوق الشيكولاته وإن فعلت  
الآن فالقلب جدا !

أنكر أنسى كتبت مجموعة مقالات في مجلة « الجيل » التي كتب رئيس  
لتحريرها .. عن التفلول والتسلووم .. ومما قلته : إن سقوط رجاجة العطر هي  
بنك مقفلة لأحداث سيئة !

ولا أعرف من أين أتيت بهذه المعلومات في تلك الوقت من سنة ١٩٦٠ .  
واستشهدت بحوادث وقعت في بعض الأفلام ، وفي حياة الناس أيضا ..  
ولاحظت أن شركات العطور حريصة على أن تجعل الزجاجات كبيرة غير  
قابلة للكسر حتى لا يتساقط أحد من الناس !

ثم اكتشفت أنى كتبت مقالا في « آخر ساعة » بعد ذلك بسنوات أحدثت عن  
تدوّل بعض الناس إذا سقطت من يده رجاجة الكولونيا .. وكانوا يقولون :  
أحدث الشر وبركت عطرها الجميل ، لكنى نسى ما حدث .. أو نسى الزجاجاة  
ولا نسي العطر .. ولم يكن ذلك إلا استنجا ..

لم راحت زجاجات الكولونيا تتساقط من يدي .. نون سبب واضح لذلك ..  
فلا أنا ارتطمت بشيء .. أو أن أحدا دفعني فسقطت الزجاجاة من يدي ..

ويوم سافرت إلى باريس لأول مرة سنة ١٩٥٠ برئت في هذق مواضع  
جدا وكان لابد أن أحمل ملابسى إلى الحمام العمومي كل يوم .. فالتوكأنة  
بها حوص لفسيل الأيدي . وليست بها حمامات . ونذكرت حكاية « السيد  
ومرأته في باريس » التي كتبها ميرم النوسى . وكان على زوجة السيد أن  
تذهب إلى الحمام العمومي وتسل ملابسها وتبقى بالمساعات دون أن تعرف أن  
تدور الحمام بالساعة ..

ولكن أهم ما اكتشفت في تلك الوقت أن العرسميين لا يسمحون وإنما  
يشدرون زجاجات الكولونيا الطويلة الرخيصة . وقطعة من الأسنح ثم  
يسحقون بالكولونيا .. وقطعت ذلك يوما ويومين .. ولكن رجنت أنى  
لا أستطيع أن أمر بالأسنح على كل جسمى ..

وصدفت في نيك انه هو ما قيل ان الموسيقار محمد عبد الوهاب يفعل ذلك  
أيضا ، حوفا من الميكروبات التي في الماء !

ويوم سحلب الكولوني في عيني وهي لمعي كذب أموت - ولا اعرف كيف  
حدث ذلك - ولا كيف سقطت الزجاجات فانكسرت وبنارت شظايا على  
الارض تحت همني العاريتين وعلى جسمي وهرعت بعد ذلك ، وعذلت عن  
استخدام الكولونيا بدلا من الماء !

وكما هي العادة رحلت أهش في طعوني عن سبب لكل ذلك واهديت إلى  
السبب الحقيقي ..

كان ذلك في مدرسة مشهور الثانوية . وكنت أبحث للشهادة الابتدائية . وهي  
مادة الرسم لم أكد أفرا ورقة الأسئلة حتى رحلت أبكي وبسقطت دموعي  
على الورق ..

وجاءني المراقب يسألني :

ماذا يا ولدي ؟

قلت : لم أر زجاجة كولونيا في حباتي ..

هبط المدرس إلى الأسئلة فوجد أنه مطلوب مني أن أرسم زجاجة كولوني  
وراءها قرص الشمس ..

وسألني الرجل : لم تر زجاجة كولونيا ؟

قلت : نعم !

قال : أبدا ؟

قلت : أبدا !

واندهش الرجل ونظر إلى الرملاء يتوصحهم قتلوا له : إنه أول  
المدرسة ..

هسألني الرجل : أي نوع من الزجاجات رأيت يا ولدي ..

قلت : زجاجة الريت .. زجاجة السيك .

وظهرت الحيرة على وجه المراقب .

ولا أعرف بالضبط ماذا حدث .. فأخرج زجاجة صغيرة من جيبه وقال .  
مثل هذه ولكن اجعلها كبيرة يا ولدى .. انظر إليها جيدا ..

ومسحت دموعي . وسحبك للتلاميذ ..

ونذهب هذا الحادث مع حوادث أخرى كثيرة ولكن لا نزال يدي ترتجف إذا  
أمسكت زجاجة عطر ..

وكان من الممكن أن يكون العكس كل أفوم بكسر الراجزة ، بدلا من إلقائها  
في سلة المهملات عندما ينتهي استعمالها .. أو أتعمد كسرها ، دفعا لهذه الحواف  
القديم . أو أنسى هذا الحادث تماما .. وأسهر من كل ما أساسى عندما كنت  
طفلا !

• • •

مرة كنت أعرض نصي على أحد الأطباء .. وطلب مني أن أفتح فمي وأن  
أقول آه ثم أن أصع الترمومتر تحت لساني .. وبحركة عصبية صغلت  
أسناني على الترمومتر فتهم بما .. وبحركة لا شعورية حاولت أن أنحلص  
من بقايا فمي .. فأدى ذلك إلى خروج كثيرة في لساني وهي حلق الدم ..  
وظللت سنوات أجد صعوبة في وضع الترمومتر في فمي خوفا من أن  
يتكرر هذا الذي حدث ..

ثم وجدني أرفض أن يصح الطبيب الترمومتر في فمي .. وإنما كنت أخد  
أنا وأضعه تحت لساني ..

وهي بعض الأحيان يكون حرصى على تلك عصبية .. فأحطفت الترمومتر  
من يده ، أو أضعه من أن يعمل ذلك . وأحاول أن أتناهز بالحرف ، كأنسى  
لسان حائما . والطبيب لا يفهم هذه الحركة التطورية

وبعض الأطباء يستعظم ملقعة لكي يصممها على اللسان ليعرف إن كان الحلق  
ملتهبا . ووضع الملقعة كل مشكلة عويصة . فأنا لا أطيع ذلك .. ولكن  
لا بد .. وأفوم كثيرا ، أفوم شينا في داخلي بمعنى من الاستسلام لرغبة  
الطبيب .

وكنت اندثر لهذا السلوك ولا أعرف السبب . وحاولت . ولم أهد



فقط عندما كتب أخير عن علاقتي بجماعات العجور حين كنت طفلاً .. كان من بين أصدقائي طفل من العجور .. وحاولت الهروب .. وطلبت من إحدى سيدات التفجريات أن تخدمني ابناً لها وزوجاً لابنتها .. وكنت في السبعة من عمري أو ثوب ذلك ..

كتب أحمل الطعام والسكر والشاي إلى هذه البيت الصغيرة التي طلبت يدها من أمي هكذا . أنا ويونديا يريد أن يكون عندما أولاد صغار مثلاً نلعب معهم !!

ويبدو أن الأم ترجعت من هذا الطلب العجيب .. وبسرعة جرجرت يدي جرجرت يدي إلى بيتها وطلبت من كل منا أن يشرب من ثم الآخر .. فأصبحنا هكذا زوجين ؟!

وانكر أمي مرصت وارتفعت درجة حرارتي وبذلاً من أن أعود إلى البيت . ذهب إلى خيام العجور . وأنا أبكي . وجاءت يونديا وأخذتني إلى أمي . وبسرعة راحت تلك لي رأسي .. وقضت فمي .. وقضت لي مشروباً من زيت الساج .. ووضعتني في حضنها وعلى صدرها . وبمت ولا أعرف كم مضى من الوقت .. ويبدو أنني كنت مصلاً بالحمى ، فكنت أهدى هرايت من راسي وحوشي وحدى وحدى .. وبهتت مفروعا . ولم أجد أحداً .. فقط جيب والشموع في عينيها . ثم جاءت أمي . وطلبت مني أن أنام . ثم صحت متنبلاً في فمي حتى لا أصرخ وكان في يدها مسمار أخرجه من الباب . حتى لا يتكوي ، علاجاً للحمى .. وقاومت ولكنها أحكمت المنيديل على فمي حتى لا أصرخ ويتكوي بالبار !

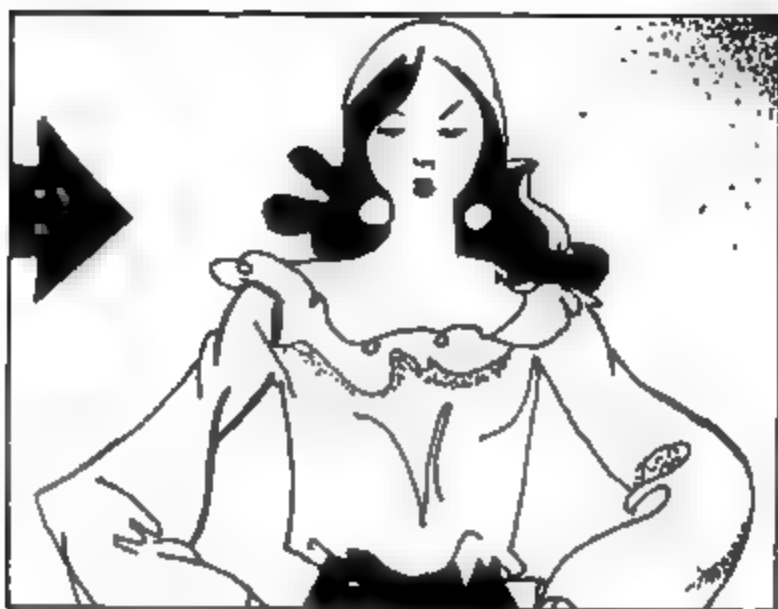
لا أعرف ماذا حدث في اليوم التالي . ولكن عرفت من يونديا أن أمي جاءت بي . وبرتكتني على أن أعود إلى أبيي في اليوم التالي .. ثم لاحظ الأثر الذي تركه المسمار في رأسي إلا بعد أيام .. بعد أن شعيت شعماً ، حبستني أمي حبساً إنفرادياً . وكلفت تلقى لي الطعام من الباب .. وإذا اتسع وقتها ضربتني بالحصا . ثم جاء ما هو أقسى من ذلك فقد امتنعت عن الطعام . أو امتنعت نصي . ذكر فمي أمي على الطعام وكنت هي التي تصنع الطعام في فمي بالعود ؟

- - - فم نسمع وقف أنى وسمى ، لكى بسهمى أحد إلى ما حدث .. وكيف يمكن  
المعلم عليه ..

ولم أكن مؤهلا عقلي لدولة بصرى وإطلاق الأصواء فى داخلها لأعرف  
الجوانب العظيمة والذى يتراكم هناك بعيدا عن مداول ما تعلمته فى علم  
النفس .

ولكن عندما أصبحت قلندرا على الفهم ، لم أجدنى قلندرا على أن التحلص  
مهايتها من المخلوقات العنيفة . والقلق القديم .. واعتقاد السلام والأمن ..  
والنموذج الحسن للحياة الاجتماعية .. وللعلاقات الإنسانية ..

ولكن أبناء الطبقة الوسطى ، عندهم كل أحلام أبناء الطبقة الأرستقراطية ،  
وعندهم كل ويلات ومخاوف وعذاب الطبقة الفقيرة .. ومحببتهم نفيلة أنهم  
يريدون أن يكونوا طبقة أخرى ، لا هى تحت ولا هى فوق .. ولكنها تتسبح  
بوجه تحت ، وتكونى يبار فوق .. ومن النخار والنز والطير ، والأمل  
والبلبل ، فتولد كل شرارات الإبداع عند الاتصال . ولكن ما أهدح النمن !



هؤلاء الصغار.. وأما لهم  
الكسرة

## هؤلاء الصغار .. وأما لهم الكبيرة

لا بد من مسجزة لانتشالنا جميعا مما نحن فيه .. فلمن عندما جلسنا معا ، أحسست أن كل واحد منا غرقان في شيء ما .. وأنا هكذا وقفت في أول الطريق ..

هذا غرقان في القراءة .. أى في قوهم وعي أفكار الآخرين .. وأنه يرى أن الحياة تبدأ بالكتاب وتنتهى به .. وأن الكتاب إذا كان يبدو محيطا فإنه في نفس الوقت زورق النجاة ..

وأن هذا غرقان في الجنس وفي الخمر وفي ظلمن أبويه .. وأن هذا غرقان في الواقع .. في الواقعية .. وأن الإنسان يجب أن يعيش على قده .. بمعنى أننا ما نمنا طلبة فكيف نمكر كأسيادة .. وإذا كنا من أبناء نربف الفقراء ، فلماذا الاصرار على أن نحقد على أبناء المدينة الأضياء .. الفرق بيننا هو آبارنا .. فلا نحن سبب فقرنا ولا هم سبب في ثرائهم .. أى أننا يجب أن نفكر ، على قننا ، أبصا .. وأن يؤمن بأن الفقر مرحلة .. والخوف مرحلة .. والتلمذة مرحلة .. وأن أعظم المظلماء كانوا مثلنا وأسوأ .. يكفي أن نقرأ ما كتبه طه حسين في ، الأيام ، وما كتبه العقاد بصورة رمزية .. ويكفي عذاب العقاد في حبه وهي كبريائه .. فهو يرى أنه أعظم الناس ، ولكنه لا يلقى من مناع الدنيا إلا ما يجده بواب البيت المتواضع الذي يسكنه . بل إنني رأيت حاتم العقاد يمسح الأكواب في طرف جليابه . وليس في البيت فرطة واحدة غير التي يمسح بها الأسناد العقاد وجهه ويديه ..

وليس من الضروري أن نكون أغنياء مثل أفلاطون وشوبنهاور ، وإنما فقراء مثل سقراط وأرسطو وألف هيلموف آخرين ..

وبيد ثوار لهم دين .. وثوار ليس لهم دين ، لا الماركسيه ..  
والنبي لهم دين يريدون أن ينقلب الدنيا على رؤوسنا جميعا وهم يرون هذا  
ممكنا . وأن الإسلام قادر على أن يحقق المعجزات . وله لا حل غير الإسلام  
ولا علاج مبرور . وأن الثورة انية لا ريب فيها .. إنها مسألة وقت وظهور  
بعض الشخصيات البارزة المكلفة من السماء ، بإصلاح هذا الكون ويومها .  
وبومها سوف يبدلون نشقنا جميعا في الميادين العامة - عيرة وعظمة لكل  
الناس .

ولكن لماذا ؟

لأننا نشغطنا بالفلسفة عن ذكر الله ..

وأسأل : كيف ؟ إننا جميعا في جماعة الإخوان المسلمين .

ويكون الرد . ليس كأيها ما يؤديه من هرائص . يجب أن نذهب إلى أبعد  
من ذلك هناخذ بأيدي الناس . وآلا يكون لنا هدف وغاية غير ذلك التصحية  
هي أول المبادئ والشهادة هي المبدأ الثاني . وراحة الصمير .. والباقي على  
الله !

والذين يريدون الثورة بلا دين . لأن الثورة هي الدين ، يطالبوننا بأن نسطر  
إلى ما هي لدينا .. ما الذي فيها ؟ لا شيء إلا بقايا الصبر والراحة الطعام .. وقد  
لاحظ واحد منهم أن الفقراء هم الذين يمشون وأصابعهم مضمومة .. لأنهم  
يتقصصون على الهواء .. أو يتوهمون أنهم يمشون شيئا في أيديهم . أو يحبون  
ذلك .. أما الأغنياء فأصابعهم مفرودة .. هكل شيء عندهم في البيت .. في  
الحقل .. في البيك .. فليسوا في حاجة إلى أن يصموا أصابعهم .. والفقراء في  
الدنيا أغلبية .. فهم قوة .. ولكنها قوة عمياء .. هي حاجة إلى عيون ، من  
عبورها ، وهي حاجة إلى جنة ، والجنة هي المستقبل .. المستقبل الممكن وليس  
المستقبل المستحيل .. ولا يمكن أن نخصم لقلوب الصدفة .. فمن الصدف أن  
والدك تزوج أمك .. ومن الصدف أنك خرجت فسيروا كوالديك .. أو غيبا  
أو مريضا ، ربيما أو حقيرا .. عشتما أو متقاتلا .. إنها الصدفة التي جعلتك  
أفقر وجعلتني أغنى .. ولا مد من أن نعرض العدل حرصاً .. بالقوة .. بالحديد  
بالنار .. لا بد أن تكون هناك أهران .. وفوقها الناس .. أعداء الناس هم الحطب

الجنس . وغضبنا هو الكبريت وحرارتنا هي اللبدين .. وسوف نتفح  
جميعا .. هذه هي الثورة ولا تزال الثورات هي أنبل وأطهر ما عرف  
الإنسان ، علاجا للإنسان ، ونقويا للإحراف ، واندفاعا للجنة الموعودة ..  
جنة التي وعدنا بها أنفسنا لأنفسنا ..

وهنا هنانون وشعراء راصون بالقليل من هذه الدنيا .. يكفي أن يكون لدى  
إنسان إحساس بالجمال والحريه والمثل .. يكفي أن أفك أمام رهرة .. أمام  
عصفور .. أمام طفل صغير .. أمام فتاة جميلة أو صورة لها .. فالجمال لكل  
.. والله سبحانه وتعالى قد جعل للهواء محانا والصوت مجانا والماء مجانا  
ونسهر في الحقول بلا زعموم .. أما السعادة فهي لذة الطعام .. طعام العين  
و لأفك والأنس .. وفتاة جميلة واحدة ، مثل رهرة أو وردة أو قطة تكفي ..  
.. الحياة مديبة للذين أحبوا الحياة ، والذين رأوا أن البناء أروع من الهدم ،  
.. تسامح أعظم من الانتقام ، والسلام أعظم من الحرب ، ورصا النفس أعظم  
من المرارة .. وحب الآخرين أشرف من إنكارهما والبحث عن آباء آخرين في  
كنكس أو في الشارع .

ويبدو من يؤمن بأن هذه الدنيا هي كل ما لدينا لا قبلها ولا بعدها . هذا يومنا  
، هذه حيات .. فوجب أن نعيش هذه اللحظة . هذه اللحظة .. هذا المراه هذا  
— ووجب ألا نشغل أنفسنا بما لا نعرف من الماضي ومن الغد : اليوم  
من بداية والنهاية .. فإذا صحونا من النوم .. قبلنا أنديا وجها وظهرا لأننا  
.. من أحياء .. وأبنا سوف نعيش يوما آخر .. وأن ترتبط بالشمس ، بصوت  
معها وبمنا معها .. وفي صوتها مجرى ونلث ، ثم برنمي وبسريخ ، ونحن  
.. يجب ألا يكون لدينا أمل في يوم آخر .. فإن كل يوم آخر ، فلنكن سعداء  
صحيحة .

ومن يبينا أناس أراحوا أنفسهم .. قالوا : نحن لا نعرف شيئا عن هذه الدنيا ..  
من عندنا وقت .. وليست لدينا قدره على فهم ما حدث وما سوف يحدث ..  
فكر أي شيء .. ونحن لا نعرف إلى كمال هذا الذي يقول أو نسمع صادقا  
.. كدنيا .. فمعلوماتنا عن أنفسنا ليست دقيقة .. ولذلك نحن في شك من كل  
سره لا نعرف ما البداية وما النهايه . وهذا الشك عندما مثل : عامة .  
عشر بها .. كما بعدد على الحياه من ساعت عينه وانسدت أذنه وانكسرت

مضاه لو ذراعه .. أو مات أبوه وهو طفل .. ثم ماتت أمه بعد ذلك ونقل بين  
 ، البدائل ، .. بنيل الأم والأب والأمرة والإخوة والأقارب .. وقد عريها وعش  
 أحديها وسوف يموت شريدا .. فليس طبيعيا أن يشعر بالامتنان لأحد من  
 الناس .. فمن جميعا قد أسقطنا من طائفت مجهولة على هذا الكوكب ،  
 ولا يعرف من أين وإلى أين ، ولا لماذا ولا ما هي الحكمة .. هي نحن محتلون  
 حقوقيون في دارنا الكون ، أو أننا كوميبارس .. أو أننا منفرجون عندما وجدنا  
 للعوسى على المسرح وعجائب المعنى وصياح المنطق .. ههنا إلى المسرح ..  
 فلماذا لا نمثل نحن أيضا ما دام لا فرق بين المنفرجين ، والممثلين ، فكل شيء  
 بلا منطق ولا حكمة !

• • •

وفي يوم خرجنا من بيت دكتور طه حسين بعد أن أنصبا بالحديث عن شعر  
 النجاشي ، وبعد أن أشتاع فيه للنور والدوق والشجاعة والبلبل .. نصا كأنه اقام  
 لنا حيمة في الصحراء .. ثم أتحل فيها الكهرياء والرائير والفلاحة  
 والقروحة . إنها حيمة من الخارج ولكن في داخلها حر م وصل إليه العلم  
 في المعمار والديكور والآثاث .. ثم أننا عن طريق الرانيو والنيغون على صلة  
 بالعالم كله .. تلك براعة طه حسين ..

ولكننا أحسنا بحية الأمل ، فهو رجل شاطر ولكنه ليس معيدا . إنه رحب  
 قادر على أن يستخرج اللؤلؤ من البحر والماس من الأرض . ثم يضم ذلك  
 عقودا وأهراما ويمرعه بلقى بها من النافذة .. أو يستحقها بأصبعه السحرية  
 فتكون ترابا ونحلقا .. كأننا في ألف ليلة ..

وجلسنا في حبة الأسماك في الرمالك وشغلنا جريمه شرية  
 الصليب .. وكانت هذه الجريمة مثل غزال جميل تكاثرت عليه كمجموعه من  
 الوحوش والصورى والكواكب يزيد أن نفترسه حميدا واهترسا هذه  
 الصحبة ..

سؤال : هل كنت ترتكب هذه الجريمة لو سمحت أن أأخذ من يسرى بك ،  
 ونكسب أموال الجبهات والدم لارات ؟

قال واحد بلا تردد : نعم .

وكان هذا الجواب المريع أو المتسرع يريسه أخرى . وقد علنا : كانك لا تتردد في أن تكون مجرماً ولصداً ما دام أحد لن يكتشف امرئك .. كأن الناس جميعك هو العقاب .. ولكن الجريمة مقبولة ..

فأجاب : نعم ! ولكنك تلك الرجل . والتمس للقاتل والمجرم اللعين هو الذي يقع في أيدي البوليس !

قال أهدنا : من الصعب أن يتصور الإنسان نفسه قاتلاً .. مجرماً . إنني عندما كنت أفكر رواية : الجريمة والعقاب ، لمحوه مني كان شمر راسي يقع في المعضلات التي قرر فيها الطالب أن يقتل صاحبة البيت . وهذا الطالب اسمه راسكليكوف ..

وكان الرد عليه : أنت شمر رأسك يقع لأن طالباً يحاول أن يقتل صاحبة بيت ، يلصق من دفع الإيجار .. ولكن شمر رأسك لا يقع إذا سفت هذا بيت بمن فيه من الشيوخ والأطفال والحيوانات إذا كانوا يتمشرون على أحد هذه الثورة الحمراء التي فزدها .. شمر رأسك يقع للاصرار والترصد .. ولكنه لا يقع وإنما تصبح أصلع مثل ليسن إذا أعدمت كل أصحاب البيوت .. كرس أصحاب الأرض والعصام كل الأغنياء . يا أخي شيء عجيب .. إنني لا فهمك !

قال آخر : القتل هو القتل .. وهو جريمة .. حرّمها الله . إلا في الحرب مدد عن الإسلام ، وإلا في الدفاع عن الوطن .. وعن الشرف . وإلا في قصاص . وإلا في تنفيذ الحدود التي شرعها الله !

وقد كثيرا .. وكانت هذه الجريمة مثل نار اشتعلت بحثنا بسرعة ولم نطرح في الهرب منها .. فرحنا بقلع ملابسنا .. فنعري أنفسنا .. لقد انكشف حقاً .. به مثل جريمة المعنطيس في ألف ليلة ، فلا تقرب منها سعيبة إلا انخلعت حاميها ، وأصبحت السعيبة أرواحاً خشبية طافية ، يطو بها للموج ويهبط .. في لحظة واحدة ، وفي جلسة واحدة ، كشعنا أنفسنا ، واكتشفنا أعماقنا مرة أخرى . لم تكن هذه هي المرة الوحيدة .. وإنما نحن مطلعون على أنفسنا . هذا رأي أنصا كثيراً في أنصاء كثيرة . كلنا محبوسون في صندوق سبور ، ذلك الصندوق الذي أهنته آلهة الاغريق لأول مرة .. هي الصندوق كانت كل الدلائل : الجشع والجبن والأنانية والانتقام والغيرة والعمد والكتب



والمرقة والزباد والحياه . وفي داخل الصندوق ثلاث كل الثرور وصاف  
نصفها . فلا حياه لها إلا هي الناس ومن الناس يعرفهم وحرهم . وتصرفهم  
بعضهم بعض ..

ونقول الأسطورة الإغريقيه أن الغناه يدور . قد فتحت الصندوق فخرج  
كل الثرور . وفي آخر لحظه أعطت الصندوق . فلم يبق فيه إلا . لأمس .  
الأمم في الخلاص من كل هذه الثرور ..

ولكن صندوقنا الرثي للصنع . لو صندوقنا المصنوع من الورق . خرج  
منه كل شيء .. ولول الخواص كال : الأمل .

• • •

في تلك الأيام كانت لنا زميلة . صعلوكه . هي التي تقول عن نصيب ذلك .  
ونقول : إنها سمعت من والدها ، أنه كان أسعد صعلوك في باريس .. فأبوها  
مصري وأما هرسية ألمانية يهودية مسلمة . ولم تكن تعرف ما معنى  
الصعلكة . ولكن بنظر إليها ونقول : هكذا الصعلكة .

فهي تمشي بمرعة وتتكلم بمرعة وبصوت مبرقع وهي إذا تحدثت تهرك  
كل شيء في معها .. قامت وفجئت . وأثارت بدماعها المبهلين وبها  
الجميلين وحداثها الذي يشبه أجدية الرجال . ثم أخرجت عتبة سجانر وأشعلت  
سيجارة .. وكان تحبب الطلبة شيئا نادرا .. ويهدد الصورة الشرهه شذوذا .  
ولكنها صعلوكه . أما شعرها الذهبي فكان قصيرا .. وسط بين شعر الرجل  
وشعر الغناه .. أو كان : الأجرسون . أي على طريقة الشبان . وكانت تقول .  
إن يكون الغناه الأجرسون . غلاما . هو نوع من التمرد على فكرة حريم  
السلطان . حريم الرجل الثرقي .. فهي تقترب من الرجل وسطى هي نفس  
الوقت فتني ..

وكانت هي التي تحدثنا عن لياليها . ترفص وشرب .. وليس هي يتيها أن  
سروج . وكانت ترفع يدها بالتحبة لكثير من الطلبة والمدرسين ومن لا تعرف  
من النس . إنها اجتماعيه وعلى صلة بكثيرين .. ولكنها طالمة مجتهدة جدا .  
تعرف حمص ألعاب . وتذكر وتتفوق على كل زميلاتها ..

هبل الصعلكة هي الحرية المطلقة ؟ أو هي الحرية الإيجابية التي يساعى مع  
الحرية الشرفية ، أو الحرية التي نصوب حريتنا بالجمرة .

قلبت وقد صرنا وحدنا في حقيقة الأورمان : فكرت ؟

- في أى شيء ؟

- في الهجرة إلى فرنسا ، كما تناقشنا

- ما الذى سوف أجده هناك ، ولا أجده ههنا .. إننى مرتبط بعمق العربية .  
ثم أنسى . مات أبى ، ولا يمكن أن أعتمد على إحمى الأكبر ، ولا على  
حالى وحالتي . وأن قلبى لينطع في كل مرة أجده أخى الأصغر يمشى على  
فخميته حتى يصل إلى الأنوبيس ليحمل في أحر القاهرة .. إنى أراه يعبث في  
صمت .. لابد أنه يتوقع أن أساعده ، ههنا ساعدنى كثيرا جدا .. لى كل ورقة  
مالية أفحصها منه . تشبه ، فننيل البحر ، .. إنها طلاء باعثة ولكنها تهر نار  
في يدي وفي جسمي . إننى أريد أن أنهى هذا اللذاب .. عذابا من الآثمين !  
وتلك غيرت رأيك بسرعة . ألم نقل أن لك أقرب في منطقة الأبراس  
واللورين .. إننى أعرف كثيرين هناك .. وأعرف ما الذى يمكن أن عمله .  
أو بعمله معا .. ولذى براه عربيا ههنا هي القاهرة سوف نجده مألوا هناك ..  
وسوف نكون مثلي ربما أكثر انطلاقا .. ولول نسيء سوف بعمله هو أنك سوف  
تخلص منى .

- ومع ذلك تريدين أن أهجر إلى فرنسا ..

- نعم .. من أدراك ربما سيفتك أنا إلى الخلاص .. منى ومنك ؟!

- ليس بهذه السهولة .. فلا أنا قادر على الحركة والانتقال مثلك .. فأنت  
هناك لست عربية .. وإنما أنا أشتري بالعربية هي بلادى ..

- لأنك تريد أن تبقى عربيا .. لأنك غير قادر على أن ترتبط بأحد  
أو بهدف أنت الذى تقوم بتفطيع العلاقات بين الناس .. هل هناك سبب واحد  
مقبول لى يصح رميها : أ .. لا سبب . ولكنك أنت الذى لا تريد أن ترتبط ..  
لا تريد أن تكون مربوطا بأحد .. ألا تذكر القصة القصيرة التي كتبناها في مجلة  
الكلمة وكان موضوعها وعنوانها : « ليتنى شجرة على نرعة تعيش ويموت  
واقفة » .. ليس لها إلا معنى واحد هو أنك ترهب الآبوة والأمومة والأقارب ..

بل ترفض الإنسانيته .. ويريد أن تكون شجرة تعيش وحدها وتموت وحدها  
 إنك اخترت شجرة .. كانتك اخترت علامة تعجب لها أغصان ، أوراق ، إنها  
 علامة تعجب منك ولك .. وأحب أن أطمئنك أن كل الصعاليك بدأوا حياتهم  
 هكذا ، أنك تفكر مثل أبي بلعام .. والآل يعال وجلس معه .. إنه قد سرف  
 في الارتباط بالآخرين حتى أصبح مثل جليغر في بلاد الاغرام مربوطا بالحيوط  
 والحيال من كل شجرة في رأسه وشاربه ولحمته .. فلم يعد قادر على  
 الحركة .. ولكن في هذه الحيوطة مسكنه .. فلما كما يجد قراء اليهود يومهم  
 العميق على المسامير .. وكما يفعل الرقاعية ، في ريف مصر يصيرون  
 أنفسهم بالمحيوط ويحطون المسامير في وجوههم ويطلبونهم .. وتقتصر أبداننا  
 لذلك ، أما أبدانهم فقد ودعت الحروف والألم منذ وقت طويل .

• • •

شيء غريب حقا هل جاء الخريف قبل الآوان . فالأرض تعطلت بأوراق  
 صفراء دابلة .. كأنها قطعت من كراريس انطوية بعد الامتحان .. أو كأنها  
 عملات مزررة طارت من أحد أقسام الشرطة .. أو كأنها كلمات فارغة .  
 أو كأنها بقايا معركة بين السماء والأرض .. فالأرض غطتها جثث لم يدفنها  
 أحد بعد ..

حتى وجوه الناس هي الأخرى ، كأنها فاربت بهائنها .. فالوجوه شاحبه  
 والعيون دابلة والأصوات كسيرة والخطوات ثقيلة .. والنساء ، لكنمت ، ..  
 شيء ما كنتم أنفاس الكون فلا صوت ولا نفس ولا حياة ولا حركة .. وأنا  
 أيضا ، لكنمت ، .. فلا أنفثت حولي ولا أنظر ولا أنأمل ولا أسمع ولا أفكر  
 ولا أريد .. ووجدت الكثير من المقاعد الفارغة .. كان الناس ، لمصب  
 ما يركبوا واختفوا . كل من هجوما مفاجئا وقع على هذه المنطقة من  
 « ميل الروضة » .. كأنهم المملوك للبرجيه أو المملوك للبحرية ظهوروا  
 وسولوا على المنطحة ونظروا الناس مره أخرى إلى مركبا كال هذه المنطقة  
 انتفتت وانتفعت الناس .. كان القاهرة كما وصفتها هيرونوت تسبح في بولها  
 وشوارعها المملوحيه فالتهمت الناس .. ولم يبق سوى شاهد على العصر ..  
 والمنبحة .. وعلى تعريخ الضوارع والبيوت والحدائق من الناس ..

وهجاء ظهر الناس .. وصحوت من هذا المرحل أو هذا الإغواء أو الإغواء  
 أو الإغواء .. لقد ذهبوا جميعا إلى بائع الآيس كريم .. ثم عانوا ولابت أهد  
 سحر فوا دقيقة أو اثنين . ولكن هذا الوقت القصير جدا . أحسب أنه  
 أنه .. شيء غريب وعجيب إحساس الإنسان بالزمن . إن أحسبنا هو الذي  
 يجعل الزمن يكون في سرعة عتارب التواني . ويكون في بلاء عترب  
 الساعة .. فالزمن هنا . هي داخل ولا علاقة له بهذه الساعة هي أيب

ومدنت يدى إلى الكتاب الذى تركه . المسلوكة . العرسية وهي نول .  
 إنه يضم مجرد مقترحات رديئة لا تترك ولا مساعد أهدأ على أى شيء .  
 ثم بكست شيئا بعد .. !

الله يلعبك يا ليلبان كل شيء عيك ومعك يلعب أنت مثل السك  
 الرعاش . من يلعبك تصعبه .. أنت مثل حل العسل .. إن أعصاه إلى  
 لبعض الرحيق وتفرر العمل هي التي تكوى من يدو منها . السم والعسل في  
 مكان واحد . كيف أنت هكذا .. أجمل الكلام وأجمل الملامح والحبوبة والشباب  
 والشجاعة والانطلاق والمنطق الحديدى والبسطة والنار والنور أنت  
 أسطورة ..

ومدنت يدى إلى الكتاب الذى هو اقترحات رديئة لا تترك ولا مساعد أهدأ  
 من الناس .. وبسرعة قلبت فيه وصحكت .. ثم أقلت عليه من بدايته . أعود  
 بالله ما هذا بهم شعراء وأبناء كيف كانت بهابهم التي وقعو فيها والتي  
 حداروها . الكتاب عنوانه : ' بهابهم العممية ' :

الشاعر الإغريقى انكاربون الذى عاش في القرن السادس قبل الميلاد كان  
 يأكل العنب . فبحشرت حيات في حلقه فمات .

• • •

والشاعر غريغوري رماه أهد أصدقائه بحبة من اللبن . فاسمرت في حبه وفي  
 حلقه . فمات !

• • •

والأديب اسكيلوس كان يجلس أمام بيت عتبا حلق يمر يحمل مطحونة بين  
 محالبه . فأمططها فزلت على رأس هذا الأديب فمات هورا .

والملوك المبرحي يورستس صاحبه للكلاب عمره ومات \*

\* \* \*

والفيلسوف فيوجانس طلب أن يدعى على رأسه ، ليعلم من العالم سوف  
يقبل ، فإذا انقلب صر وأفا على قدميه \*

\* \* \*

والفيلسوف الأعظم أرسطو ( ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م ) الذي سمى في البحر ،  
عند عجز عن تصير سيب النيازات البحرية ولما دعا لتغير في اليوم الواحد  
عشرين مرة !

\* \* \*

والملك الأنيب منير بانس ( ١٢٢ - ٦٣ ق . م ) كان يحاف أن يموت  
مسموما ، فطلب إلى حارسه أن يصع القليل من السموم في طعامه ، حتى عباد  
الجسم على ذلك . وفي يوم قرر الانحار . وأخذ كمية من السم ، ولكنه لم  
يمت ، فطلب إلى أحد حراسه أن يتق رأسه بحجر \*

\* \* \*

والذي كالحاس مات من الضحك . فقد عاش يوما بعد اليوم الذي حده  
العراقون !

\* \* \*

والفيلسوف هرقليطس غطى نفسه بروت البقر ، حتى مات !

\* \* \*

والفيلسوف زيبون قطع أحد أصابعه عندما بلغ الثمسين .. وراح يذبح ثم  
يقبض الأرض بضميه ويديه مرندا بينا من الشعر القديم يقول :  
جئت إلى هنا ، فلماذا أتيت بي ؟  
حتى مات !

\* \* \*

والملك الروماني السنجور مازينوس أشعل ناراً صمطة ، وراح يذبح  
حولها وابدأ إعجابه الشديد بأولها وأصواتها ثم تلقى بنفسه فيها !

و لاجبة الرومن : سكا ولوكان وبيروموس ، مرق كل منهم عروق بنيه  
استطاع الموت سعيها لأومر الطاغية بيرون الذي جلس يتفرح على هذه النهاية !

• • •

ما الشاعر هلموس سبينا ، فقد طسه الجماهير واحدا من السحاهين فتكاثروا  
عنه وقتلوه !

• • •

و أبيوس أول من ألف كتابا عن الطهي في التاريخ .. فقد استدرجه لصداقه  
في قامة رليمة صحمة ، فأفلمها - ولما عرف أن القلوس التي بنت لديه لا تكفيه  
سهر ، طل يأكل من هذا الطعام حتى مات !

• • •

والشاعر الصيني لي بو ( ٧٦٢ - ٧٠٠ ق م ) ركب رورقا في ليلة  
معمرة وشرب بيبا وعشى ونظم شعرا ، وعندما حاول أن يهمل صورة العصر  
عنى سطح الماء انقلب وغرق ومات !

• • •

والشاعر الإيطالي بنتراركة ( ١٣٠٤ - ١٣٧٤ ) تمدد على هرائه وأعلموا  
به مات وتركوه يوما بناء على وصيته .. وفوجئوا بأنه اعتدل وقام وعاش بعد  
سنة ثلاثين عاما !

• • •

والفيلسوف الانجليزي هرائسيس بيكون ( ١٥٦١ - ١٦٢٦ ) كان يحشو  
تحيوانات الميتة بالجلود ، لكي يعرف كم من الوقت تظل هذه للطيور  
لا صوية .. فمات من شدة البرد !

• • •

و لاديب بن جوسون ( ١٥٧٣ - ١٦٣٧ ) طلب أن يدعى واحدا .. فدهوه  
حت كيسمة كانزهرى واحدا !

• • •

والمؤلف الانجليزى روبرت برنز ( ١٥٩٥ - ١٦٤٠ ) توفى فى نفس اليوم  
الذى وقع فيه !

• • •

والشاعر المجرى والزعيم السياسى ميكلوس رزيسى قد هاجمه حبيب  
وفاته !

• • •

ومفت شيكسبير ، الأديب الأسبانى مرافنس فى يوم واحد - ٢٧ أبريل سنة  
١٦١٦ !

• • •

ومولير ( ١٧٢٥ - ١٧٨٣ ) كان يمثل دورا فى إحدى مسرحياته . النور  
هو أن يتظاهر بالمرض هائل يصعب ويبرد . وعندما برز المبتار مات .  
المسرحية اسمها : المريض بلوهم !

• • •

والأديب الأمريكى جيمس أوتس ( ١٧٢٥ - ١٧٩٣ ) .. تسمى أن يموت فى  
السماء بأن يجعله أحد المسور ثم يموت بين مغالبه . كان يعيش فى الحقول  
فأصابته صاعقة مات !

• • •

الشاعر الانجليزى لورد برون ( ١٧٨٨ - ١٨٢٤ ) مات عندما نقل منه  
الأطباء أربعة كيلو جرامات من ثمنه لعلاج من الملاريا !

• • •

الشاعر الألمانى هون بومل مات أيضا سنة ١٨٢٤ وطلب أن يدفنه فى  
جوف شجرة - للشجرة ما تزال حية !

• • •

الشاعر البريطانى شيللى ( ١٧٩٢ - ١٨٢٢ ) مات عرقا . وعندما أحرقوا  
جثته ، لم يحترق قلبه . فعملته روجته معها فى كل مكان !

• • •

أمير الشعراء الروسي بوشكين ( ١٧٩٩ - ١٨٣٧ ) مات في معركة بالسيف  
والشاعر الروسي لرمونتوف ( ١٨١٤ - ١٨٤١ ) نظم قصيدة بعنوان : موت  
سعر ، هو أيضا مات في معركة بالسيف مع أحد خصومه !

• • •

والأديب الأمريكي هونورن ولد سنة ١٨٠٤ كان يتشاعم طول حياته من رقم  
٦٤ فكان يحدد رقم ٦٤ من كل كتبه ومذكراته . ويكتب بدلا منه ٦٣ مكرر .  
مت سنة ١٨٦٤ !

الأديب البريطاني تالكري ( ١٨١١ - ١٨٦٣ ) مات من القحمة ! والفيلسوف  
إنجليزى بنظم ( ١٧٤٨ - ١٨٣٢ ) ترك ثروة ووصيته بأن يظل جسمه  
معروضا على طلبة الجامعة مرة كل سنة . الجسم معروض الآن بصفة  
دائمة !

• • •

الساحر الأمريكي مارك توين ولد يوم ظهر المنصب هولى سنة ١٨٣٥ وأعلن  
سوف يموت عندما يظهر مرة أخرى . وظهر في سنة ١٩١٠ ومات مارك  
توين !

قال مارك توين : إن الله سبحانه وتعالى لابد أن يكون قد قال : ظهر هذان  
المجبولان معا ، وسوف يختفيان معا !!

• • •

والكاتب سلام عليكم ( شلومو عليحيم ) كان يخاف من رقم ١٣ .. لا يكتبه  
في كتر اريسه ولا في كتبه .. وإنما كان يكتب : ١٢ مكرر . مات في نيويورك  
يوم ١٣ مايو سنة ١٩١٦ .. كتبوا على قبره : توفي يوم ١٢ مكرر مايو سنة  
١٩١٦ !

• • •

والشاعر الاسكتلندي داهيسون ( ١٨٥٧ - ١٩٠٩ ) كان قد افترض مائتى  
حبيه من برنارد شو . قرر أن يعيدها بسرعة . فعمل ليلا ونهاراً على إكمال  
حد أعماله الممرحية . فالتقى بنفسه في بحر العائش !

• • •



الأنيب الإنجليزي أرونز بيبي ( ١٨٦٧ - ١٩٣١ ) مات بحصى التليو بعد  
أن شرب كوبا من ماء نهر التيس مباشرة لذلك على أنها مياه نهرية مسحية !

• • •

الشاعر الروسي سرجي استير ( ١٨٩٥ - ١٩٢٥ ) وضع عرفا في نراعه  
وكتب قصيدة بدمه ، ثم شقق بدمه !

• • •

الشاعر الإنجليزي روبرت بروك ( ١٨٧٧ - ١٩١٥ ) ندعنه بعوصة فمات  
وترك ثروته لثلاثة من الشعراء هم : جيلمان وابركرومبي ووالتر دلامار !

• • •

الكاتب الإيطالي كارلوجو بدي مات بالتصدمه عندما فهم ترجمه لاتينية للبابا ،  
اكتشف فجأة أن خطأ مطبعيا نكلمة واحدة تكرر في كل الكتاب . ولها معنى  
مختلف تماما !

• • •

الأنيبه الأمريكية ألين جلاسكو ( ١٨٧٤ - ١٩٤٥ ) أوصت بأن تدفن مع  
كلابها .. وأن تنقل رفات هذه الكلاب إلى بعشها بعد تلك .. وألا تدفن مطلقا  
على مسافة أقل من ألف كيلو متر من هيز والدفا الذي كرهته طول عمرها !

• • •

في سنة ١٩٣٣ أمر هتلر بأن يبتلع المؤلف أرسب بولر ، كتابه الذي كتبه  
ضد النازية . الكتاب من ٤٧٠ صفحة !  
وظل يأكل كتبه حتى مات !

• • •

الفيلسوف أفلاطون في ٤٥١ ق م أحرق كل فصلاته التي عظمها ، فقد  
قرر أن يكون تلميذا للفيلسوف سقراط !

• • •

الراهب الإيطالي مافويا رولا أحرق في سنة ١٤٩٧ كل مؤلفات الشعراء .  
وبعد نيزو موريرين وبوكلتشيرو ودانته هذا الراهب أحرق أيضا !

في سنة ١٥٥٣ أحرقت فرنسا المؤلف ميشيل موهينوس . مع كل كتبه !

• • •

• من الرابع عشر أحرق مولفات بلسكال في سنة ١٧٣٤ !

• • •

• من الكتب التي أحرقت في القرن الثامن عشر في كل الدول الأوروبية هي  
• من هيلسوب الفرنسي فونتير !

• • •

• من في لغة الجنس . للعالم هاهيلوك إليس صبطنه جمارك نيويورك .  
• من عام عيني المؤلف !

• • •

• من ميموري الأمريكية أحرق رواية . عباقد المصعب . للكتاب  
• من شتايبك !

• • •

• من عبر إلى الأبد . للأنيية : كاتلين ويدسور . أحرقها الجمارك  
• من حبي !

• • •

• من هؤلاء الناس وكل هذه المصائب .. ومطلوب أن أختار في نهاية  
• من . بيد غيري .. ولكن لماذا ؟ لأنني لا أريد أن أهاجر إلى فرنسا .  
• من لا أريد أن أسلّي بها ومعها إلى هناك .. حيث يتفرق عدد أول  
• من هي في طريق وأنا في طريق .. ولكننا هنا في مصر في طريقين  
• من و لأنها تريد أن أخذ بوجهة نظرها بعض الوقت . ثم أمتحق للمفاتيح  
• من يد هذه للحماقة !

• من كل الذي قرأت لم يتبق إلا هذا المعنى . يجب أن أقطع صلاتي  
• من لا كل الماضي وإنما بعضه .

• من المصبي هو مجموعة من الكتب القديمة التي حرصت على  
• من وألصقتها بالورق اللاصق والدبابيس .. وهي جميعا كتب مدرسية  
• من إنها تشبه ملايمي الضيمة . ولا قيمة لها .

واستبعدت ان تعرفها .. أو ان أتقي بها في الليل ، كلما هطلت عدة مرات  
واستبعدت ان أبيعها بالآفة ، فأنا لا أطيق أن أرى النبات يمررها ويضع فيها  
الخيبار أو القلب .

ولم أعيرا تنكرت قصة قديمة سمعتها .. ووصفت كل كتبى في سؤال  
وطلب إلى أحد أن يحملها على . ثم وضعها على ظهر حمير وذهبنا معا إلى  
مكان بعيد من إيمانبه . ورحلنا نحو الإثنين نهر في جانب من الأرض وذهب  
كل هذه الكتب . مئات . وقد يلها الطير .. وإن يمضى وقت طويل حتى  
تكون طينا هي الأخرى .. هل دلت دعة من عيسى ؟ دلت نموع كثيرة ..  
كأننى واحد من الجاهليه ررق بنا ، وهو يكره البسات . ويراه عارا هرج  
بنها حية .. أما الولد فسط هو المفجرة . وهى ابنة .. لحمه . نمة .. ولكن  
هذا حكم المجتمع البدائى الهمجى العصبى .. ذهبت سائى وأهلت الطير عليها .  
واشترت صبت للطفل الذى كان يقود الحمير ، فأعطيه بعض المال ووعده  
بمريد .. وحمل الحمير كتبنا أخرى إلى أماكن متفرقة .. وكان الواذ وكانت  
الدموع !

واشترت نصيا لذلك ، ولأسباب ليست واضحة تماما . ربما كان هذا قرار  
موجلا بطاغنى كل يوم .. لما القرار فهو : لابد من التخلص من الكتب ولكن  
كيف ؟ وتخلصت منها ..

وانقلت من امابة إلى القاهرة إلى بيت في مواجهة مسجد السلطان  
أبى العلا . ومع البيت بغير الجيران والرملاء والأصفاء . وبغير الطريق  
دهابا وإياها وسط القاهرة .. وسعرت المشاهد التى أراها من نافتى فوق  
الأسطح ..

وتباعدت . دون تيرير وتفكير . المسافة بين كل الرملاء والأصفاء . وكنا  
نلتقى بكون اللوم رهقا . كأننا قد سلمنا أن هذا هو الطبيعى . وكأننا قد هيلنا  
معنا . أننا لا نرى بعضنا البعض . ولا لوم على أحد . فهذه هي الدنيا  
الواسعة .. التى لمئات بأئلى كثيرين . وهذه هي المواقف الجديدة والعلاقات  
والمشاكل والصناعات الجديدة .

ولا أعرف كم مضى من الوقت .. ولا بالسيط ما الذى أعمله .. وما هو  
الطريق الذى سوف أسلكه . وقد انشغلت تماما بالطريق عن نهيه .. المهم

.. س : وأن استعرق وسوف تكون النهاية هيما بعد . كل شيء سوف يجيء .  
تتكلم ما ، بدرجة ما ، في وقت ما ..

هل هو استسلام للواقع ؟

نعم

هل هي تواكلية ؟

نعم . بعدما كما تسافر بطائرة ومسلم في مقعدك ونائم .. فأنت لا تعرف  
صيران ولا علوم الطيران .. وأنت احترت الطائرة وسيلة للمواصلات ..  
و احترت معها أن بمسلم ، وليكن ما يكون .

\* \* \*

وفي يوم ظهرت ليليان ، أكثر إشراقا وبديقا وحيوية ولمعانا ومرحاً . قلت :  
كيف حالك ؟

فألت : كما ترى . كيف ترائي ؟

قلت : في أروع حال . مني تساعرين ؟

ذلت : بل أريد أن أهاجر !!

قت : وأنا أريد أن أهاجر !

فت : لا أضحك . كنت أدعوك إلى الهجرة عندما لم يكن لك عمل ..  
عند .. نحن قد بدأت .. أما الآن وقد بدأت ، من الجبن أن نهاجر . ابدأ  
.. سمر واكمل وغير طريقك وأنت في بعض الطريق

فت : ما عظمك .. ما أروعك .. ما أنصبا بعير عظمك ..

فت : أنت سادج .. أنت صدقتني . إنني قررت ألا أهاجر سوف أبقى ..

.. س : معنى .. ومعنا ثالث : روجي . فقد قررت أن أخرج صعلوكا مثلي

فت : وأنا أيضا كنت أدايعك . فأنا عارق في عملي للصحة .. أو عملي

تسري : وعدى رغبة قوية أن أعود إلى الطمعة ..

فت : جعلها فاكهة .. لا طمعاً أساسياً .

قلت : وكيف كلر غرار الزواج هذا ؟

قالت : غرار صغاليك ..

قلت : كيف ؟

قالت : ولا حاجة .. هو سألني هل لزوج ؟ قلت له : لا مانع .. و سره ح  
أنت بالذات .. وتكون العصمة في يدي .. قال : موافق .. قلت له : وأصنافي  
قال : هم أصنافي أيضا .. ولا أريد أصلا موافق على بنك .. وصلت ..  
أنا يعيش في بيت والدي موافق .. هل تريد أن تعيش معك أنت أيضا ..  
عرفت أن فوق السطوح .. أحدهما يسكن فيها .. روعف ..

.. من روعف ؟

.. صديقا ..

.. روعف حسان ؟

.. مجاهد تعالى .. سنة أو سنتين حتى بعد لك مكان مناسب .. ودع ، لك  
و حده .. ذهبت بزيارتها من حين إلى حين .. وسببا مكثه صحته بها .. سوف الك  
واللوحات والأسطوانات .. بعد .. كأنها بعينه براسيه في قريه التي دفع في  
فلب القاهرة : ما ريك ؟

.. موافق ..



موعد في الكباريه  
ولكن الملك لم يحضر

## مرعري الكباريه . ولكن الملك لم يحضر

المكان مظلم . إلا من أتوار حافته .. صحراء .. صحراء .. وهرفات الصلح . والموسيقى عالية هي كل مكان . وهبت كثيرات يجلس إلى المناصند وحدهن .. ثم ينتظرن إلى مناصند أخرى .. ولم أستطع أن أتابع واحدة منهن . فالدنيا مظلمة . ولا أعرف ماذا يحدث لو جاءت واحدة وجلست معي . مصيبة وقد سمعت أنه من الممكن أن يقال لها : اسف .. إنني أنتظر صبرها .

ويقال إنها لا تجلس ولا تعرض نفسها .. لم تكن مشاعري واضحة . ولا حتى رغبتي في أن أجيء إلى هذا المكان . وارفع الستار .. وأصبر المسرح . ظهرت فرقة موسيقية . وبعدها راقصة . أول راقصة أراها هي حياتي . لا أعرف اسمها . ولا أعرف جسمها . فقد كنت عنها كثيرًا . قصة وراء قصة حتى يبهنني أحد الرملاء إلى أنني أسرفت . مع أن هناك أشياء أخرى تستحق هذا الاهتمام أو هذا للعشق ..

وظهرت راقصات أخريات .. وكل واحدة مثل موجة البحر ، تسمح الموجة التي قبلها . ولم تحتفظ ذاكري بعلامح كل واحدة . وكان لابد أن أذهب مرة أخرى . وذهبت ولكن بعد أن أصبحت أكثر شجاعة . وراقصتي زميل لا أحجل منه ، فهو الآخر ليس صغيرًا . ولكننا معا ، أصبحنا رجلا شجاعا وجريئا أيضا . وكانت الترابيزة التي جلسنا إليها قريبة من المسرح . وجاء الجرسون أكثر بشاشة . فهو قد عرفنا . وقم لنا المرة من الترمس والجبنه بطماطم والسوداني والبطاطس . ومن تلقاء نفسه أتى بالبيرة لصديقي . أما أنا فقد أتى بشيء غاري ، لأنه لاحظ أنني لا أشرب ..

والفتت ما حييى وقال : أنت معجب بملريا ؟

من هي ملريا ؟

الراقصة ..

وكأن ذلك صحيحا . ولكن كيف لاحظ ذلك ؟ وكانت ماريا هذه من أصل  
إيطالي . وهي تعمل موطعة في إحدى شركات العطر بهاراً . ولكنها في الليل  
ترقص . ورقصها أوروبي محترم .. فهي لا تنعزى ولا تتحدث إلى أحد  
ولا تجلس إلى الزبائن . ويقال أنها تكمل تعليمها في الجامعة . ويقال أنها عسمة  
بجمع مئلف من المال سوف تهجر إلى أمريكا .. ويقال أنها تقو على والسها  
المريضة .

وهيما بعد سمعت مثل هذه القصص كثيرا . فكل راقصة تحاول أن يؤكد  
أنها أرغمت على هذا العمل . أي أنها لا تحترمه . فالضرورة أقوى من كل  
الظروف . وماريا كانت مثل كل الراقصات . ولكنها جعلت لنفسها نوعا من  
الصناعة ، أو ، نرعا ، لوقايتها .. هذا النوع هو هذه القصص التي يحكيها  
عن نفسها . والحقيقة أنها تحب رجلا ، وهذا الرجل يسي إليها أحر الليل بأحدهم  
هي وفلوسها ويحتمى ..

أما ماريا فكانت تظهر على المسرح سمراء طويلة رشيفة حركاتها  
اسبابية .. والألوان تعبر على وجهها وجسمها . ولكن أفضل النظر إلى  
عينيها . فمطراتها بلا معنى .. حرراتا معاينتان . لا تدعوان أحدا ولا تصدان  
أحدا .. وليس فيها ما يدل على ما نؤمن به . ولا صدق لما تشعله من نار هي  
المتفرجين عليها . وجسمها يدور وينكمز وينعرد مثل أفعى يتحرك مع زممار  
هندي . وبعد ذلك ، يدخل الكيم الذي خرج منه .. وكان يعجبني أنها تقف  
على حافة المسرح ونوهمك بأنها سوف تسقط . ولم أفهم لماذا تعجبني هذه  
الحركة . وأحيرا عرفت أنها مثلي تماما عندما وقفت على حافة السجى  
الجامعي أمام الباب . فهي بعث لنا خطر الوقوع ولكنها لا تقع .. أما أنا فقد  
وقعت في المحيط الذي هو خارج الجامعة .. وليس دهشى إلى الكباريات  
إلا نوعا من حب الاستطلاع والتعرف على معالم الدنيا ليلا ..

وكتبت عن الرقص وأنواع الرقص . الفنم والحديث . والرقص في  
المعابد .. والنس والحس .. والموسيقى .. والأفرب من كل ذلك .. فقد كان  
الذي أشربه يسمو بالتفح . كما حدث في أول مرة ذهب إلى الكبارية فسمعت



هبت إلى أول كبيريه وحدثت واحدا من الجرسولات يعمل ماعيا في جريدة  
"الأنس" ، وقلت له : لا أشرب !

قال : ولا يهملك !

وأنتي باليمسور - الذي هو في لون الوميكي - ووصع فيه الثلج وقال لي :  
شرب .. أو حلول !

وكان طعمه لعيبا . وهذا بعصر القرف الذي أصابني في أول ليلة ..  
وعرفت فيما بعد أنه يمكن أن يشرب الكوكا - ولأن الخمور ليست إجبارية .  
وعنيتي ذلك ..

وعندما حاولت أن أفسر بالتصبط ما الذي أصابني . وحدثت أنسي مخيلت نفسي  
مصرها في أحد الكباريات . وكنت لتسمى أن تكون مطربا . وليس من المفعول  
- أكون محمد عبد الوهاب من أول أغنية .. ولا بعد مائة - إن لو كنت قد  
حب الطرب أسلوها في الحياة ، لكن من الممكن أن أكون مطرب متوسط  
نحس . وأن يكون الكباريه هو للمكان الذي سوف أغنى فيه . هيه الناس  
"يهمسور" . وإنما هم مشغولون عن المطربين بالتغنيات والعمور .. ووراء هذا  
نفس الكبير من الغنيات والرافعات صاحب المحل الذي يريد أن يجمع أموالاً  
في شكل وبسرعة .. فهو صاحب هذه السلخانة البشرية .. وسوف يكون  
مستغلي محمدا برصاه وغصبيه .. واستجابة الناس لصوني .. وأهرعتي هذه  
تختره وهذه الصورة وهذه النهاية . فكان التفكير في تلك أسوأ طعما من  
ليمسور بالثلج !

في يوم افترحت إحدى موظفات البرنامج الأوربي أن أرافتها إلى كباريه  
كبريه . وهو كباريه عظيم الاحترام . وقالت : علي حسلي .. وسوف  
- من عليك فاروق .. والمطلوب هو ألا تسمى الكراهة !

وهذا الموعد المتفق عليه ذهبت أقف أمام الكباريه . العربات كثيرة  
هت مدبول وسائقون .. وسعرجية . وموظفون يرتدون اليوبيغورم .. وجاء  
حتي الشطره .. وأصبح الوقوف أمام الباب صعبا .. ثم إنني لا أعرف من  
كس هناك تذاكر للدخول .. أو كانت هناك برلييرة محجورة ولا أن كان من

الممكن أن أدخل وأن انتظرها . ثم من الجائر ألا تجيء في موعدنا  
ولا أعرف إلى كانت عندها سيارة أو أنها سوف مجيء بالأنوييس ..

وجاءت بعد ساعة طولها مئات الساعات !

ولم تكذ تراني حتى وصعت نواعها في دراعي وحلينا .. ولكن لابد أنه  
الموقف الذي يجمع أن يكون الناس اثنين اثنين . ولا أظن أنسى قلت شيئ  
مضحكا أو حتى قلت شيئا يجعلها هكذا نصحك وتعامل باحيتي ونخفي رأسها  
هي نراعي .. هي ألسي وأنا وراءها . وجلسا . وقلت لي : يا أخي أنت حبيبة  
تقيلة . طول الوقت أكلتك وأنت لا ترد .. إنت إيه .. ألم تر العرس الملكي  
أمام الباب ووراءه .. إن الملك سوف يجيء .. إن لابد أن ساميه جمال  
سرفس أو كاريوكا .. حظك من نار . لقد جئت هنا أكثر من مرة .. فلا جاء  
الملك ولا واحدة منهما رقصت لنا !

لابد أنها الكرافة هي التي جعلتني أشعر طول الوقت أنسى مصروف . ثم  
إنني لست مستريحا لأي شيء .. لا المكال ولا الموسيقى الأوربية . ولا لأنها  
تضرب كثيرا وتلعب حولها أكثر .. كأنها هي انتظار أحد . وأن لست  
إلا ، مرة ، ... ثم إلى كثيرين يعرفونها .. ويصاحبونها .. وتقديمي لهم على  
أننى إلى حالتها . وأننى غريب عن القاهرة . وكثيرون يحدثونها رمزا . أى  
أن بينهم حكايات مشتركة وبعضهم ترك بطاقته وكتب رقم تلفونه . وبعضهم  
طلب إليها أن تنتقل إلى ملائمتهم . وأسألني إلى كنت أحب ذلك . ويبدو أننى  
رفضت وبقيت وحيدا طول الليل . أو على الأصح بقيت وحدي فهي قد وجدت  
أشياء لتتسلى . فهي في حديث مستمر مع المناصد المجاورة بالإطالنه والعربية  
والانجليزية واليونانية .. ودون أن أسألن منها . انسمعت وعدت إلى البيت .  
ولم تسألني . فقلها ظقت اننى سوف أذهب إلى دورة المياه ..

وحاولت بعد ذلك أن تنبهني إلى أنها سكرتيرة إحدى الجمعيات الدينية .  
وأنها مشغولة عن إقلمة حظها السموي . ولذلك فهم جميعا يعرفونها . وعرفت  
بعد سنوات أنها كانت مشغولة حقا وصداقا . وعرفت أن صبقى بها ليل على  
سداجنى قليم لي حق عبدا . ولا لها عدى . وإنما هي دعوه إلى سهرة  
وإذا طلع النهار ، فكان شيئا لم يكن .

وبعد ذلك وجدني أختار الكباريهات التي أحب إليها . وأقبلها وحدى وأنا مطمئنا تمام . فقرأ على أن أرى كل شيء بوصوح . وعدى إجلة عن كل سؤال . وأحيانا أسأل وأستكر مثلا ألا يوجد معرش النطف ؟ ألا يوجد مقعد نيسي مشلوعا !

وكانوا يثيرون المعرش . ويأتون بمقعد سليم . أو أقول : هذا الموداني سليم .. هذه البطاطس لها رائحة الجاز ! أين المدير ؟ أو أين المت صاحبة بكاريو .. متى معول ؟ !

وجاءت صاحبة الكاريو . وقتموها . وقنمت نفسي . قالت :

.. أنت تجمي هذا كثيرا .

.. ليس كثيرا .

.. ولماذا لا تجمي كثيرا . هذا أحسن محل .. وأحسن معر .. أنت يه ؟

.. صحفى .

.. تعرف فكرى أباطله .. وإحسان . ومصطفى أمين . القاصى عرفته رحمن

لدى ..

.. نعم .

ولم أكن رايت واحدا منهم حتى ذلك الوقت . وإنما هي أرادت أن تقول أنها

عرف من هم أكبر مني .. وأن وجودها معي ليس إلا نصلا عظيما منها .

.. سجين أو هرجرة لرجلى . أو مجاملة لصحفى مثلى . دعنى أصف لك

بلا محى . بحيث جدا . أرتدى قميصا وبسطلونا .. أقميص واسع والبطلون

ص . وشعرى قصير جدا . ودراسى خالص يعيل إليك انسى استعد للخروج

.. أجلس على طرف الكرسي .. وأتحرك يمينا وشمالا وإذا بطرت

.. حينئذ . فإن هذا القلق بصايك .. وفى إحدى المرات . هددنى هذه السيدة

.. بها سرف بربطى فى الكرسي .. حتى لأتو كلنى شربت وأكلت وأريد أن

هرب قبل أن أدفع !

وعندما قالت لى : تعرف أننى أحب للكتابة . لقد كتبت شعرا . تحب

سمعه ..

وبدأت على أحد الجرسونات وأنى بدوسيه من أحد أنراج مكتبها .

وأخرجت الورقة الأولى . وقرأت ولاحظت أننى أنشكك فى أن يكون ذلك من نظمها . وقالت : معك حق .. فلما لم أتعلم الشعر . ولكنى أحس أن عدى رعبه فى أن أقول كلاما موريا .. أنا عروسته على صالح جونت . تعرفه . وعلى مأمور الشناوى . تعرفه . أنا عدى لك معاجاة هه احصرت البعد الذى صدر من جريدة « الأسس » وكلفت لى قصيدة مترجمة من الألب الألمانى .. وكانت موروثة ولكن لم تكن لها قافية . فإذا بها قد جعلت لنفسه قافية .. من القصيدة مع تغيير بعض الكلمات !

ولم أكن أنصور أنها تعرفه . ولكنهم فى الكباريات يعرفون كثيرا . وأكثر مما تتصور .. ولم أستبعد أن يكون أحد الجرسونات قد أخبرها بذلك !

وبعد ذلك بسنوات طويلة سألت الشاعرين صالح جونت ومأمور الشناوى عنها . فأكد أنها شاعرة ممتازة وأنها أعطت الطريق إلى المجد . وأنها لا تريد أن تصحح المسار .. فتحنار الشعر والفقر !

وقرأت كثيرا عن علاقة الانبياء والشعراء والصائين بالعائبات . وعن حياة الليل والكباريات والحنانات والمواخير . ووجئت هؤلاء الصائين سعداء فى هذا الجو البعيد عن عبور الناس . البعيد عن قيود المجتمع .. على هامش القلوب والحروح عليه .. فى استطاعة كل إنسان أن يفعل ما يريد .. وأخطأه كلها مقبولة .. وكل هؤلاء الناس هاربون .. لاجئون . جاموا يسعون أنهم آباء وأزواج .. إنهم مسئولون عن شيء أو عن أحد . مثل الذين يهربون إلى أحد المحبين أثناء الغارات الجوية .. فهم فى حالة هراز من الخطر . من الموت .. إنهم مساهمون فى أكتوبة عامة : فلا أحد يرى أهدا على حقيقة .. ولا يريد ذلك .. وكلهم يكتبون .. ولكن الكذب لا يكلف شيئا . وهم يقولهم .. يدخلون هذه الأماكن ليقتلوا عرولهم بماذا كالذى يحب ليعتقه .. والذى يضمن ليعتد إرادته .. والذى يستسلم ليعتد كرامته . إنهم جميعا مرضى وأطباء .. والأطباء مرضى .. والدواء هو الداء .. وأكثر من رواد الكباريات ومن كل الأكواب والزجاجات والعلقات الوعود الكندية . فالبس ينفسون وعودا بالنوبة ووعودا بالحب ووعودا بالزواج . ولكنهم يسعون كل ذلك عندهم يصنع النهار . فإذا طلع النهار ، بدأوا يستعدون لليل . هربا من النهار ، وقبل أن يطلع عليهم نهار جديد ..

وكنيت على يمين من أنسى لا يستطيع أن اسمع طويلا في السهر . فلابد أن  
صحو مبكرا . وأن أفرا وأن أكتب . لا بد هذه عادة . وهذا المطلوب حينئذ  
م إسي لا يستطيع أن يكتب كل أسبوع عن مشاعري في الكياريهايت . ثم لي  
في تنباي أشياء أخرى كثيرة يستحق إيماما مماثلا أو مصاحبا .

وفي يوم ذهبت مع بعض الأصدقاء إلى هذا الكليزيه . وجاءت صاحبه  
وحسب إليها وقالت . أنتم صيوفي ؟ ثم التفت لحيبي : لا مؤاجدة . هذه المرة  
صيوفي أن .. والمرة القادمة أنا معهم صيوفي !

وكانت هذه السيدة لا تشرب الخمر . ولا تأكل . واغتربت عني وسألني .  
هل أنت تعجب ؟

قلت : لا ..

قالت : أقصد إحدى البنات هنا ؟

لا ...

- وأنت لا تشرب .. فلماذا بجيء كثيرا . إسي لم ألاحظ أي تطور عليك .  
ولا حتى .. الانبساط .. فلماذا بجيء . تعال هلم عندما نكون مرهقا وبريد  
ن قرفش .. لاتفد مرة أخرى !

ولم أعد إلى هذا الكليزيه ، ولا إلى أي كليزيه آخر . وكنيت هذه التجربة  
بمعقلها وحسنت مكانتي منها . وبعد سنوات ذهبت أبحت عن هذه السيدة  
عطيه التي أدهشتني بصحتها ، وهرنسي أيضا . ويقال إنها فعلت ذلك مع كثير  
من الشبان الذين توسعت بهم لي يكووا أحسن ..

وهذا ما سمعته من الأستاذ محمد النابلي بعد ذلك !

وفي ذلك اليوم أمصيد ليلة ممتعة جميلة . نرجسا . وتحدثنا معها ومع  
غيره . وصحطنا . وعند العجر عدت إلى البيت . وعندما ذهبت إلى مكنتي  
وجدت رئيس التحرير قد ترك لي رساله عاجلة . وترك لرهام ليعودنه في كل  
مكان . وأرعجني ذلك . وفي التليفون هائل لي . للهوليس يبحث عنك أين كنت  
لأمر ؟

ولم أنفيه وحس في الكليزيه إلى أن حياقه مضيت وأنهم بسرعة قد أخذوها .  
لشوا حول أطراف الحياقه بسرعة . لدرجة أن الزينان لم ينتبهوا إلى ذلك .

وأن رجال البوليس قد عرفوا أنني كنت أحد الموجودين وأنهم يريدون أن  
يلتصوا بي .

وفي لحظة بوليس الأركية التفت بليد السباط وكلم زميلي في المدرسة

وهو الذي يريد أن يستوضحني ما الذي حدث . وكان الحوار هكذا :

- أنت كنت موجوداً ؟

- نعم .

- بالصبط ماذا رأيت ؟

- لا شيء .

- كيف . إنها الترابيزة المجاورة لك .. وكانوا يلاحظون أنك تتابع كل

ما يقولون .. ولما وصلت الخنافة إلى حد الترائق بالرجاجات كنت تنهص ..

ولكنك عندما لاحظت أن رجلاً جاء من الخارج ولقي ماء النار على إحدى

الراقصات الجلالة وراعه إنزعجت وكنت تنهص ..

قلت : هذه أول مرة أسمع فيها وصفا تفصيليا لما كان حولي .. فأنا لاسمعت

ولا رأيت .. أنت تعرف من أيام الدراسة أنني أسرح كثيرا .. وأبدو كأنني

أسمع وأنا لا أسمع وكأنني أرى ولكني لا أرى .. وهذا يسبب لي مشاكل

كثيرة .. هذه واحدة منها !

- لولا أننا زميلان من أيام الدراسة وأعرف عنك ذلك ما صدقت كلمة

واحدة ..

ثم روى لي تفاصيل ما حدث .. وهو أن إحدى الرجاجات كانت تصبني

في رأسي .. وأن واحدة استشهدت بأنني كنت أتبيع ذلك . وكلمني أعرف

الرجل الذي ارتكب هذه الجريمة البشعة التي قضت على مستقبل هذه الراقصة

الجميلة !

هل أدبت أن أعرق كل الذي قرأت وتعلمت في كهوف الليل .. تصببت تلك

ولكن لم أستطع . لقد عشت نائما اقرا ، فهل قررت أن أستلب اليوم ولكن

بصورة أخرى ؟ ربما !

ثم عندما أطلت الكلام الآن عن تلك الأيام ، أدبت أن أعرق ذكراها أيضا ؟

بحور ..

وعلى مدى كيلو متر واحد من شارع السواربى توجد دار الأوبرا .. مديرها  
العلال الكبير ستومان بعب .. ووكيلها صديقى الشاعر عيد الرحمن صنفى .  
وسكريرها الأديب الصديق صلاح دهمى .. ومدير المسرح الصديق شكرى  
راغب ..

وكان مكفى المفصل وراء الكواليس .. ومن غرفة شكرى راغب درى  
وبصم الأوبرات الإيطالية والباليه الروسى .. والمسرحيات الإنجليزية  
والفرنسية . ولم يكن هناك سبب من وفوفى وراء الكواليس إلا أننى لا أملك  
بدلة قانعة . لابد من بدلة ولابت أن تكون قانعة ..

ولكن المسرح له مذاق خاص من الكواليس . وللممثلون والراقصات  
كائنات بشرية نصنعك ونفرك ونخلف . ولكن إنا نظهر الواحد منهم على  
المسرح أصبح إنسان آخر .. أو حيوانا آخر .. وانتقل من هذا العصر إلى  
عصر المسرحية ، كلاما وحركة .. ولم يعد يملك من أمره شيئا .. فهو أداة  
أطلقها المخرج بكلمات المؤلف فى قيود وقوالب محددة بها .

وكانت الأوبرا من أهم أحداث حياتى .. وأروع أحداثها .. وكانت قصة  
منصلة تبدأ كل ليلة ولا تنتهى .. قبل العرض المسرحى وأثناءه وبعد أن ينتهى  
ويبدأ الكلام عني فى غرفة شكرى راغب . وهى المطعم بعد ذلك ...

وفى الأوبرا وجدت راقصة الباليه العالمية تمارا بوعانوف . أعظم راقصات  
روسيا فى ذلك الوقت . إنها صاحبة أجمل ابتسامة ولكن عندما تظهر على  
المسرح ههى إنسان أنى دقيق حساس . لمست فيها لية إنسانة من أى نوع .  
وهى إحدى اللهاى اكتشفت أن حذاءها قد سرقوه . وهى عادة مألوفة فى  
أوروبا . يسرقون حذاء الراقصة التى يعجبون بها .. وأحيانا يصنعون هبه الببدي  
ويشربوه .. سارت فى شوارع القاهرة حافية القدمين ..

ودخلت تمارا أحد المطاعم اليونانية . وأقسم صاحب المطعم أن يضل  
قدميها هى طشت بالشمبانيا .. وأن يعم ذلك لمن يريد من الصيود . ٩٠ %  
شربوا !

ورأيت المايسترو الألمانى فورتيجار أعظم قادة الأوركسترا فى أوروبا  
كلها . وقد أقعده عيد الرحمن صنفى أن يذهب إلى مقهى العشوى . وغرر

الرجل أن يذهب . ولم أعرف ما الذى أحسه . لو ما الذى أقوله . ولم أكن أعرف أنه ليس نكتة إلا عندما نظر إلى حى ميند للصين ورأى الناس فى حركة متصلة .. وصوصاء . ورائحة الشواء والبخور والشيء . وزد به بنوقف قائلا : لايت أن يكون الكور عند بدء الحليقة هكذا . ثم إلى الله بظمه بعد ذلك !

وعرفت الممثلة الفرنسية ميشيل مورجان . وجلست إليها ووجدتها تتكلم فى الأدب كأديبة . وفى الفلسفة كأستاذة ، وفى الشحت والموسيقى وناللى باريس وحياة الكباريات . ومن هم الأبناء الذين فصلوا الكباريات على أرفع الدرجات العلمية . ومن هم العائيات اللاتى تركز بصماتهن فى الأدب الفرنسى .. وكم عدد الأبناء الذين تزوجوا غايات . وكيف أن الأبناء يولدون مرتين : مرة فى البيت ومرة فى الكباريه .. وأن الأبناء يتناولون الخبر مرتين : مرة يتناولون الخبر المقس المغموس فى السبد من بى الكاهن ، ومرة فى الكباريه من يد الأرتست ..

وقالت : إنه لولا الكنائس والكباريات ما كان الأدب والعن .. فالكنائس حددت حرية العن ، فخير عليها . والكباريات أكتت هذه الحرية ، فهرب إليها ...

وقالت : إن الأديب اندريه جيد قال إنه كان يستمد أحداث قصصه ورواياته من تعصبات الجرائم فى الصحف .. لأن هذه للجرائم هى نتيجة الصراع بين القانون وحرية الإنسان . ولم يكن فى استطاعته أن يذهب إلى الكباريات لأنه يفصل الشبان على النساء .. ولكن كل أبناء هرسا العظيم أنصوا بصف أعمارهم فى ظلمات الحانات .. وفى غياب القانون والعادات والتقاليد والصمير أيضا !

وقالت ميشيل مورجان إلى كل الذين أحببتهم ولخطأت فى فهمهم كانوا جالسين معها فى مقهى باريس .. وكل الذين أحببتهم كانوا معها فى الكباريات .. فلقهوة تضد العقل ، وللصبر تضلحه ؟ !

ومن ميشيل مورجان عرفت مالم تكن أعرف من دنيا الليل ومخوقات الليل وعشاق الظلام الكاهن بالشمس والمصطق وكل المناهب للفلسفة !



وفي يوم نليت بالبريد نسخة من كتاب «العلاقات الخطيرة» للأنبيس  
الغرسى لاكتو - ثم الاهداء فهو : «إذا لم تكن لديك علاقات خطيرة» ميشيل  
مورجان .

وعلى مدى مدار من الأويرا : سور الأريكية .. أعظم معرض للكتب  
المصرية والعربية والأوربية .. وكلها كتب قديمة .. رحيصة النمر .. كتب من  
كل لون ونوع وحجم وسعر .. وقواميس ودوائر معارف .. وأمام السور النقي  
كل ادباء مصر عشاق الكتب .. عشاق السوق الثقافية .. وأصدقائنا الدائمون  
هم الباعة .. ثياب وشيوخ .. يعرضوننا ويحبهم ويحبونا .. ويربطنا جميع صلة  
واحدة : القريء .. فمن عندما يذهب إليهم فحق قراء .. جامعا يتخرجون  
على الكتاب .. كم قاموا مشرب كم دائرة معارف بقروش .. كم كتب على  
السور وعليها إهداء المؤلفين .. هل باعها أصحابها ؟ .. هل هي سرقت  
منهم ؟ .

سألني الحاج إبراهيم : هل تريد مؤلفات أنانول فراس كلها جلدة ذهبية ؟  
أريدها طبعاً . ولكن أن تكون هي جلدة ذهبية سوف يجعلها غنية للنمر .  
قلت : أتمنى لو كانت من غير هذه الجلدة الذهبية .

قال كما يقول كل يوم . ولا يهلك . بكرة إن شاء الله كتبك تباع هي جلدة  
ذهبية .. خذها وإدفع على مهلك !

وكانت هناك بائعة للكتب اسمها . الست أم حبيبة .. زوجها مات عنها وبرز  
لها عند من الأولاد .. ووجدت بصعوبة هي أن تعرض كتبها على سور  
الأريكية . ولكن كان هناك من يبيع لها كتبها . فكان يقول : أم حبيبة نسح  
عليك ...

.. الله يسمعها . ماذا عندها ؟

.. عندها كتاب : الإيمان والمؤامسة . لأنني صائق التوحيد هي طيبة  
بيروت .. ليس غالباً .. عندها : البحلاء : للحافظ طبعه بعدا : .. عندها : سيرة  
ابن هشام ، طبعة بيروت .. وعندها ملكولي وهارليت وكارنوش ورائيه  
وسفرانس مجلدة بجليداً فاحراً . ولكنها ليست كاملة . ورحيصة للنمر ..  
يمكنك أن يذهب إليهم في البيت وتخرج على مهلك .. كان عندها العهد والمرسي  
وعبد الرحمن صدقي ومذام طه حسين ...

وكاتب الست أم حبيبة لانفراً بأنه لغة أجنبية . ولكنها تعرف أشكال الكتب  
وآلوانها .. ومساهل كثيراً جداً عند النفع .. وعلى الرغم من أن حالتها العائنه  
صعبه . فليد لم تكن تلج في النفع هورا .. فلا يملك الانسب أمام أبيها ورفقتها  
الا أن يدفع في أسرع وقت .. ولم يكن ظهور أولادها ونحن نتفرج على الكتب  
وسيلة للصعاب عليه لكي نغدر ظروفها .. وإنما البيت مكون من عرابين فقط .  
إحناهما لمرص الكتب . .

ولم أنه لوجود مثال إبراهيم باشا في ميدان الأوبرا . إلا صاخر جداً .  
ولا رايت ، جروبي ، القريب من الميدان أيضاً . ولا كباريه بيعة مصانبي  
لا بعد أن أصبح اسمه كباريه صفيه حلمي . فقد كان مساري محبداً بامام . .  
أخرج من البيت البرازيلي وأمشى في نفس الشارع إلى نهايته .. فأجنس في  
دار الأوبرا .. وبعدها عند سور الأريكية ..

هنا إذن صرح العمليات الصحفية والادبية في تلك الوقت . إنه مستطيل  
بيداً من شارع الضواحي والإداعة والبيت البرازيلي ومكنة سميت ومطعم  
اكسلبور ومطعم أرزين بالقرب من الأوبرا أرخص المداغم ونسبها  
وأصعها أيضاً . ثم سور الأريكية دهلياً وإليها .. أو وقوف أو جلوساً . هذه  
المساحة الصيقة من الأرض هي الممرح . هي الورشه هي عقل التحارب .  
هي العمل .. هي ، البيت ، الذي يحررك عليه الأفكار المتراقصة . هذه هي  
منطقه إطلاقاً إلى سماء الصحافة ، الانترنت والمثولية من نهاية أربعينات  
القرن ..

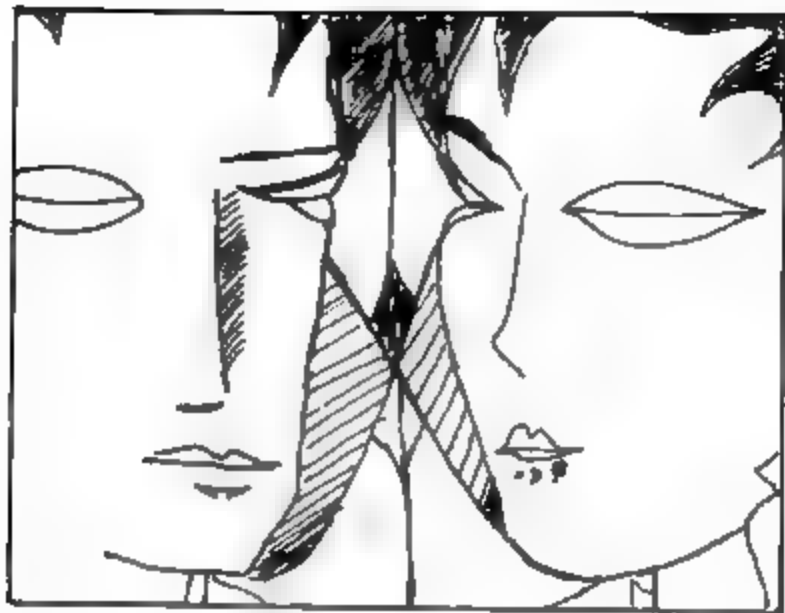
ومع بداية الخمسينات ذهبت إلى العمل في جريدة الأهرام التي تبعد عشرات  
الأمطار .. ومنها في ، روز اليوسف . التي تبعد عنها مئات الأمطار . ثم إلى  
، أخبار اليوم . التي تبعد مئات أخرى . والتي أمصبت فيها ربع قرن وعلى  
مدى ألف متر من ، أخبار اليوم . ذهبت إلى دار المعارف لإصدار مجلة  
، أكتوبر . .

وكنت تعجب كيف أن الرافضة بحرك كاتفي في مساقه صغيرة من  
الأرض .. تمايز الموسيقى وعنائها .. جانا منحت في الشارع فهي لا تعرف  
كيف تمشي ...

رأيت رافضات يكسرون في الشارع ، وتكاد الواحد بهمع . ماذا حدث ؟ إيه  
قدرة فقط على الحركة في مسافة صغيرة ، ولكن إذا اتسعت المساحة ، ولكن  
المطلوب ان نعشى لا ان برقص ، اربكت خطواتها ونعثر جرمها . .

وبعض أيضا ، قادرون على الحركة وعلى النشاط وعلى القراءة والكتابة في  
هذا المجال وفي هذه العميقة ، فإذا خرجنا منها لم نعد قادرين على فعل شيء  
حر .. فقط القراءة والكتابة .. والتطبيق على الذي قرأنا والكتابة عن الذي كتبنا  
لاحرور .. فهذا هو عالمنا .. وهذا هو مجالنا .. وهذه القاعدة التي انطبق منها  
كل واحد في اتجاه . انطلقنا واتخذنا مدارات عالية حول ، الكلمة . . كأنا  
حراس في كل ذلك ..

واضحقة أننا مشدودون مجذوبون مجاليد ، بجوارنا مرحلة : الإرادة  
والإختار .. وإذا حاولنا أن نطعن من الكلمة عندما بها إليها .. نحن محكوم علينا  
بأفكار تضافة المؤبدة حتى الموت !



في البدء كانت كارمن

## في البركات كات كارمن

عندما رجعت إلى مذكراتي وأنا تلميذ في المدرسة الثانوية أدعيتي  
ما كتبت وأدعيتي أكثر أنني كنت حريصة على إخفاء هذه المفكرات عن كل  
أحد في البيت أو في المدرسة مع أنه ليس فيها شيء شخصي . ولو قلبها أي  
إنسان من يلفت نظره شيء . ولكن حرص الصغار على أن يبدو كبارا . لهم  
أمرار . ولهم خصوصيات . وأن هذه الأمور الشخصية يجب أن تظل بعيدا  
عن عيون وأذان وألسنة الناس . لاحظت أنني كتبت تحليلا لملاح  
المدرسين . ويبدو أنني كنت في ذلك الوقت أعنف أن كل صفات الإنسان مكتوبة  
على وجهه : فالجبهة للعريضة دليل على الذكاء .. والرقب الصخم والعينان  
اللامعتان والشفاه المصومتان والصوت المليء والأصابع .. ولا أعرف من  
أين أتيت بهذه المعلومات ، أو حتى على أي أساس أتت فواعد نظرية لهم  
أي إنسان ..

وهي ولا شك أفكار ساذجة .. تدل على أنني إنسان عجول .. هبلا من أن  
أجري حوارا مع أحد . فإني أغلق باب غرضي وأدير هذا الحوار كتابة  
تحليلا .. فكأنني أتعامل مع زملائي وهي جيبتي ، دليل ، صغير لسلوكهم  
ومدح أصغر لشخصية كل واحد منهم .. فلذا حدثني واحد منهم ، فإني  
سرعة أصبح لما يقول معنى خالصا . كأن الذي يقال لي عبارة عن أفلام سلبية  
ساحفة ( ) ، وأنا أقوم بتحليلها وتلويبها في صندوق سرى في عرفة مظلمة  
في عقلي .. فكأنني معهم ولست معهم ..

وبص السريعة التي أحكم بها على الناس ، كنت أعير هذا الحكم . لأنه  
يحتف الواقع .. وهذا يدل أيضا على أنه من السهل التأثير على أحكامي .  
قد يمان عاطفي . ولكن محاولة أن أكون منطقيا تحليليا هي حيلة أحكي بها  
سختي ، وخجلي ..

وهي هذه المنكرات اراء مصحكه وحكايات صميرة ، حاولت أن نجس لها معنى كبيراً ، ولكن لم يقع في حياتي حادث كبير ، أو صانفت شخصاً بهراً ، ولا قرأت كتباً خطبتي في رأسي وجعلتني أفيق مما أنا فيه . أو غيرت أسلوب حياتي . أو حولت طريقي من جهة إلى أخرى .. فلم أكن في تلك الوقت إلا تلميذاً مجتهداً .. نبيها هي الكتب المدرسية ، واجرته أيضاً .. والهدف أن أُنجح وأن أكون الأول . لماذا ؟ لا أعرف . ولكن هذا هو السبيل ، وهذه هي الغاية .

وسمعت من زملاء لي أنهم يكتبون مذكراتهم أيضاً . ولم أسأل . ولم أعترف . فقد كانت هذه المنكرات حواراً خصوصياً . هل هي متعة ؟ هل كان لها أي هدف آخر .. كان أشرها يوماً ما أبداً .. إنني أقفل الباب وأخرج الورق وأكتب . وأسجل وأعنف على الزملاء وألصق الإتهام . لماذا ؟ وأتحدث عن الحب وأنا لا أعرف ما هو .. ولا أحببت . ولا أعرف كيف أحب لو أردت . ولكن سمعت زملائي يتحدثون عن مغامرات وقصص . ولاحظت أن كل الذين يتحدثون عن الحب هم الذين لهم شوارب وهم الذين ينخسرون أيضاً .. وهم الأغبياء . إن التلميذ العني هو الذي يربى شارباً وينسج ويحب ، ونحبه البنات !!

ووجدتني أسجل للشعر الذي أحفظه ولا أعرف الشعراء الذين نظموه . وإن كنت قد عرفت فيما بعد .

مثلاً كتبت في مذكراتي وكنت في الثانية الثانوية بالمنصورة . وأن الآن أسفل من ورق أصغر صغير . هو طهر البرقيات ، فقد كان أحد إخواني يعمل في التلهويات والتفريقات ، وكان يمتلي بهذا النوع من الأوراق :

على قدر الهوى يأتي العذاب  
وعن عذبت بقديه الصحاب  
أنوم معنبي ظلم نفسي  
وأغضبها . ويرضيتها العذاب  
ولو أني استطعت لثبت صه  
ولكن كيف عن روعي المتاب

بلوم اللاتمون وما رلوه  
 وقديماً مضاع في الناس الصواب  
 إنا ما اعتصمت عن عشق بعشق  
 أعيد للعهد وامد الشراب  
 كلن رولية الأشواق عود  
 علي بدء ، وما كمل الكتاب ..

ولا أعرف الهوى ولا أعرف الشراب ولا أعرف لوم اللاتمون ولا أدرى  
 ما معنى أن يعجز الإنسان أن يتوب عن الحب .. ثم ما هو هذا الحب ؟ ولكن  
 لابد أن أعجبنى للشعر وموسيقاه ، ولا بد أنني كنت أكرر ذلك كالنبياء . طيس  
 المعنى وإنما هي الموسيقى !  
 وفي صفحة أخرى وجدنتني قد نقلت بعض هذه الحكم ، ولا أعرف من هو  
 صاحبها :

لا تطالب بظلامتي أحدا  
 عيسى وعقلى في دمي اشتركا  
 \* \* \*

ولا رأى في الحب للعاقل !  
 \* \* \*

والجوع يرضى الأسود بالجيف !  
 \* \* \*

وهكذا كنت لي أهلى وفي وطني  
 إلى العيش غريب حينما كانا !  
 \* \* \*

وأصبح شعري منهما في مكانه  
 وفي عنق الحسناء يستحسن العقد !

والهجر أقتل هما أرافقه  
أنا العريق هما خومي من اللبال

• • •

وفضمت بالقليل وأول نظرة  
أب للقليل من الحبيب كثير !

• • •

إذا ما القاص جريهم لبيب  
فأني قد أكتفهم سداقا  
طم أر ودهم إلا خداعا  
ولم أر دينهم إلا نقاا !

• • •

وصفحات أخرى كثيرة من الشعر الذي له مذاق للحكمة .. ولعلنى قد نسيها  
من كتب ، ألب الدنيا والدين ، للمواردى .. لعلنى .

هني ذلك الوقت كنت أرى ، بل كنت أعتقد .. بل كنت نور تفكير منى .  
أنهب إلى المدرسة ثم إلى البيت .. ثم من البيت إلى المكتبة والعكس ، هذه  
هى الدنيا . ولذلك لم أتوقف لحظة أمام إحدى نور السبىما . سبىما عنى  
أو سبىما ركس .. هنى مداخل السبىما توجد صور للنجوم .. والناس يفتون  
وينحلون . ويخرجون . ولم أفكر مرة واحدة أن أدخل السبىما . ولا معنى  
ولا سبب ولا مبرر . ولم أسأل أحدا عن السبىما ولا ما الذى رآه . ولا حدثنى  
أحد . ولا دعلى أحد . وحتى عندما يملكون عن الأفلام الحبيدة بالصبل وحمل  
صور الجميلات فى الشوارع . لم أكن أتوقف لأرى . فلا وضعت ولا رأيت  
ولا فكرت . وهو شيء غريب عجيب . كان السبىما طعم لا يتوفه . كأنه  
مكس محرم . كأنها لا وجود لها . ولكن لماذا ؟ لم نجد أسبابا واضحة ولكن  
هذا ما حدث ..

وفى ذلك الوقت بالصدفة وجدت كتابا اسمه ، الحب والدميمه ، للشاعر



الأنثى شيلز من درجة حسن صديق .. وقرأت القصه هي جلمه شعطنى هذه  
القصه ولم تكن أستوعبها . عدت إلى قراعتها مره أخرى . وجدت حوارا غريبا  
بين الأب وابنته . حفظت جمله أو جملتين حملة نغول . إذا باصر الشيطان ببصه  
أفرخت بنتا جميلة ؟

وجمله أخرى نقول : إن الشاب الذى يطلب منى أحطب له ابنتى . لا ينهمى  
القه به ..

هذا كل ما أتذكره من تلك الرواية . هما معنى هاتين الجملتين . وما أثرهما  
فى نفسى ؟ ولماذا هادن الجملتان . لا شيء إلا تركيب الجملة وغريبة  
المعانى . فلا هي حياتى حب ولا تسبى . ولا أنا ذلك الشاب الحجول الذى  
ذهب إلى والد الفتاة يطلب مساعدته فى اقتراح ابنته بالزواج منى . لا شيء ..  
ولكن لابد أنى كنت أتلصص على عالم المرأة من بعيد .. لا عدى فرصة ..  
ولا وقت ولا عدى شجاعة .. ورغم القصص التى أسمعها ، ورغم الفتيات  
نسى أراهن ، لا أجرو على النظر إلى واحدة ، وإذا نظرت لا أعرف ما الذى  
يمكن أن يحدث بعد النظرة أو الانسجام أو السلام أو الكلام .. لا شيء من كل  
ذلك .. ولأحظت أنى أحب الاستماع إلى هذه المعلومات . وأنسى عندما أعود  
إلى البيت أسجلها .. أى أعيشها مره أخرى .. أو اقتررب منها أو أشارك فيها .  
ربكنى فى ذلك الوقت لم أعود بواحدة أو بقصة أو مغامرة . وإن كنت أتسمى  
ذلك . وفى المنكرات وجدت أنى أكنى قصه من خيالى ومن وهمى .. قصة  
واحدة جارة .. ووجدت أنى أكنى قصه : شعرها أسود وعيناها أيضا . وحاجبها  
وشعرها . ومشيئها كأنها بطة أو وزه . إذا تجلورتى كأنها لا تعرفنى . فإذا  
سأبتها استدارت لتنظرنى بسرعة .. ثم يتولاها الحمل فقد صبحتها ولذلك  
تدفع إلى بيها وتعلق الباب وراءها بشده . وفى المره الثانية عندما اقتربت  
منها وهى تقول : أهلك .. حتى إذا لم تكن محببى !

وهى قصة لم تحدث ، ولكن أريدها أن يحدث . وأن تكون هى البانته . وهى  
التي تحب وأنا أفرود . أو أرفض . واللمسى : أنى أنهم ما ليس كذلك !  
وهى إحدى المرات وجدت هذه الصاء تقف مع زميلات لها أمام سبعا عدس ..

ووجدتها تنير بالتذكير في يدها ، أو هكذا توهمت . أى أنها تقول . تعالى  
معى . معاً .. أنا قطعت لك تنكرة !

ووجدتنى أكتب فى منكراتى . أنها تهجمت ووصفت التنكرة فى يدى  
وقلت : تعالى ..

وتذكرت رليخة روجة موططار وما فعلته فى اللبى يوسف عليه السلام .  
إنها هى الأخرى قلت له تعالى .. القرآن الكريم يقول : « وقالت هيت لك » !  
وإنسى رفعت .. وهى قصة أيضاً لم تقع . وإنما أنا تحببتها . أى أنسى أنسى  
لو نحدث .. أى أنسى أن أرفض الحب والفتاة معاً .. ويكون هذا الرفض تعالىها  
وكبرياء . وهى عده أن أحدا لا يكلمنى ولا أكلمه . ولا اقتربت ولا عرست  
أنا ولا هى عرضت . لا شيء من ذلك !

والمعنى : أنسى أريد ولكن لا أستطيع . لماذا ، لأن هذا يخرجنى بالقوة عن  
المألوف .. أى عن الذى اعتدت عليه .. وأنا اعتدت على أشياء أخرى غير  
ذلك .

ولم أناقش نفسى فى ذلك الوقت : ما هذا الذى أعمله أو الذى لا أعمله ؟  
فمثل هذا النوع من التأمل نرف عظيم .. فلا وقت للتأمل : إننى أجمع  
المعلومات وأرئنها وأعيد ترتيبها من حين إلى آخر . ولا وقت لتغير ذلك !

ولما ذهبت إلى القاهرة ، لم يتغير شيء . كنت أمر على نور السنيما  
والمسارح والملاهى . وأرفع رأسى ثم أدبرها . وكنت أنسى لو أن أحدا سجل  
هذه الصورة : شاب ريفى يمر بكل هذه الأماكن ويرفصها ويرعد فيها ويتعالى  
عليها . وأنه لذلك شاب مستقيم وأنه أفضل وأنه قد تفرغ للعلم فقط . ولكن  
كل هذه أوهام أيضاً . فلا أحد فى القاهرة يلتفت لأحد . ولا يدري به ولا يهيم .  
ولا يدهشه إذا ذهب إلى السينما ، ولا يعجبه إذا لم يذهب .

حتى تخرجت فى الجامعة وانضحت للنهضة شوارع وميادين ومطاعم ومسارح  
وأوبرا وسينما ومطارات ومولس ورجالا وساء . وكانت حيرتى أعظم .  
ونوحنى أكبر . وفتقى أعق . وهرعى أشد ، وعزلتى مطلقة . ولاحظت أنسى  
اعتدت إذا جلست أن أفسد على المقاعد . وإذا سرت إلى جوار حائط أن أتصيح

فيها . والمعنى . أنني أرئيت سحفا . ورغبة في المشي وتمس الأشياء .. أن  
تمس على هذه الدنيا الهائلة في القاهره . وأننى غريق وأننى في حاجة إلى  
من ينشلنى . ولكن أخفيت هذا الشعور عن الأصدقاء .. وربما كل هذا الشعور  
يكسح هو الذى دفعنى إلى التردد على الجمعيات الأدبية والصوفية والفلسفية .  
فهمنى أريد أن أربط بحد . ألا أكون وحدى . ألا ينفرد هذه الدنيا الجبارة  
شخصى الضعيف . فأنا أريد أن أسعين عليها بالآخرين .

وهي ذلك الوقت اعتدت أن . أقف . أمام محل اللبن البرازيلى في شارع  
سيمس باشا .. وأقيمت الكثيرين من زملائى أن يفعلوا مثلى . وطلنا سنوات  
صيلة نصف أمام محل اللبن صباحا ومساء .. وكان الوقوف مريحا .. فلا نحن  
فى . المحل ولا نحن خارجه .. وإنما نحن كأننا كذلك . أى كأننا فى داخله  
. كنت خارجون منه .. وننور مع الوجوه التى براها .. وننور مع الوجوه التى  
سحنت إليها . وعندنا حرية النحول والنخروح والوقوف .. عندما حربه عدم  
بعد القرار .. عدم الاحتيال .. وهي نحن للوقت لدينا هذه للشجاعة فى مواجهة  
على شيء دون أن يرتبط . دون أن نلزم . على أمل أن يفعل يوما ما ..

وهي ذلك الوقت أيضا لاحظت أننى أستطيع أن أنظر إلى الناس فى عيوبهم .  
سوء غريب . لم أكن أفكر على ذلك . وأن أهمل ذلك مع الصبات أيضا .. وكنت  
بالع . ولم يكن المعنى أننى أبحث عن معنى أو أنتوق جمالا . وإنما فقط أن  
مارس شيئا لم أكن أجرو عليه .. تماما كما يكتشف الطفل كلمة هبطل  
بكرهه .. وخاصة الألفاظ الدنية التى تفرع والدنيه . وكلما فرغ الوالدان بالع  
خلف حتى يصربه أبواه .. وكنت أبلغ حتى سمعت من تقول . انت إيه ..  
نت تبطلق ثم لا نتكلم إيه ده ؟

وعلى الجانب الآخر من . اللبن البرازيلى . يوجد فستق  
وبين دي زور . وكان اكتشافا مثيرا جدا .. فى هذا المذيق يعيش فرق  
من أهل الأجبية شعراوات .. صغيرات . بجنز كل يوم ويشربن اللبن المسكدة  
من . لبن البرازيلى . .. يتكلمن الفرنسية والإيطالية والألمانية .. شئ غريب  
عجيب .. كانتات كأنها هبطلت من كولمب أخرى .. لا يكاد الجرسونات  
بمحبوبهن حتى يتعموا القهوة السوداء والقهوه باللبن والشاى .. إنهم يعرفون  
.. صحت ما يرنى كل يوم . ونون كلام تعرج الفتيات يعبرن كلهن عصافير

على أشجار مليئة بالشوك .. هه لا يمشين على الأرض وإنما ينمسينها فقط ..  
ويطرون إلى حيث لا أعرف ..

صدفة فقط أن سحبت واحدة منهم فجاءها فتناثر على قميصي .. وهي  
شديدة الاضطراب وبالإيطالية : هل تعرف الإيطالية ؟

هررت رأسى وتذكرت اللقاة التي كانت تمسك تذكرة أمام سينما المنصورة .  
ووصحتها في يدي ولكنى مررت بالتذكره ورعيت أن أجلس إلى جوارها في  
داخل السينما . وتذكرت قصة رليحة ويوسف عليه السلام .. فلم أشأ أن أقول :  
إننى أعرف الإيطالية ولا أن أسترخص معرفتى بها .. وإنما هررت رأسى فقط  
كأننى أرفض أن تنشأ علاقة ما بيننا . مع أننى أنمى ذلك . وما دون ذلك ..  
صادت نقول وهي شديدة الخجل : عددا في إيطاليا يرون أن سقوطهم  
على الملايس دليل على أن شيئا جديدا سوف ترتديه قريبا . وأعتقد أن عددا  
شيئا جديدا لك .. فمهما فاعرا إليه لأحس رميلي في العرفة الراقصة وهو في  
ملك طونك وعرضك .. لحظة واحدة وأعود إليك .

واندفعت إلى خارج المحل .. كم مضى من الوقت ؟ ما الذى دار في  
رأسى .. ما الذى أدارسى من أولى لأخرى .. وهجأة عادت ومعها قميص  
وبسرعة فكت زراير القميص . وبسرعة برعته وبسرعة كتبت أرتدى القميص  
الجديد .. وبسرعة احتضت لتفصل قميصى ونعمته في اليوم التالي .. استغرق  
هذا الحادث دقيقتين . وهي تلك الليلة لم يسمعنى كل ما حدثت من شعر .  
وما قرأت من قصص وخيالات وأحلام وأوهام .

وهي اليوم التالي جاءت ومعها قميص ملغوف في ورقة ملونة .. ودعتنى  
إلى قهوة لأعرف أحاما في صدق ، أنيل دى روز ، .. ووافقت وعرفت أن  
الفرقة سوف تسافر في اليوم التالي . وقد دعتنى لأن أنفجح عليهم في « أوبرج  
الأهرام » وأنا ومن أريد من الأصدقاء صيوف عليهم - ويسمى ذلك .

ولم أنهب . لماذا ؟ يمكن تصوير ذلك اعتمادا على ما رويت من لحظات .  
ولكن ما حدث في محل الفن البرازيلى ، ظل يتردد في عيى وهى أننى كل  
يوم - وبسرعة وجدت شريطا مسجلا في أنسى وعيى لا يتوقف عن الدوران  
ليلا ونهارا .. بل إننى كتبت في بعض الأحيان أنظر إلى يدي .. ففى بعض

لأحيان أحس كأنها قد أمسكت يدي .. بل وأنحو من النوم على ثمة من يدها  
في يدي ومن شفتيها في أنفي . وكنت أسمع اسمها يتردد ألوف المرات في  
أسي . ففجئنا سللتها قالت : اسمي كارمن ..

— رأيت ؟

— فلا !

— فلاو ؟

نعم ..

وكنت أول قصة قصيرة .. وكل عنوانها : هي البدء كنت كارمن !  
ولم تكن قصة جيدة . هذا كان شكلها عبارة عن موبولوج أحدث فيه  
وحدى .. أناجي .. وأبعني .. وأتمرق وأثير عطف الأشجار والأزهار .. على  
أفكار مثل فراشات ملونة صبيحة تحوم بعير هذب .. وطلت هذه الفراشات  
سفل من حديقة إلى حديقة إلى عابة حتى أرقها الطيران فأوت إلى إحدى  
الأشجار . وانفجعت رهور هذه الأشجار واستخرجت الفراشات واعتصر بها  
وكلها .. وانتهت القصة !

والنهاية لمست صبيحة ، فلم تمت هذه الفراشات .. وإنما هذه الفراشات  
لا تكاد نمر على حديقة بها أزهار حتى تحول الأزهار إلى فراشات . إلى  
سحب من الفراشات . وسعقد هذه السحب وبهبط مطرا . نموعا .. طربا ..  
سي على الذي لم يكذ يبدأ حتى انتهى ! فما هذا الذي بدا ؟ وما هذا الذي  
ينهي ؟ أليس الحب .. وإنما هي ، لسعة ، نار أو نور .

وفي ذلك الوقت اعتدت الوقوف على أبواب السيمما وارى الاعلانات  
والصور شيء غريب حقا لقد وجدت معنات كثيرات يشبهن ، كارمن ،  
ووهنت طويلا أنفرح .. وامدب يدي إلى الصور . وإلى المجالات الغنية .  
كنهن شعراوات .. أو أوروبيات طيعا . رشيفات . راقصات .. لهن عيون  
لا ينظر لأحد .. لهن أجسام تضير إذا سرى على الأرض . فلا هن بمشيت  
على الأرض ولا هن يطرن في الجو . لهن بين الأرض والسماء  
لا سترات ولا طائرات .. بعاما كنواقيع أمام العين اللازلي . لا هم جالسون  
ولا هم مطفونون .. بهم على الحافة بين الجلوس والامطلاق .. وأفكارهم في  
السماء أيضا ..

وفجأة مررت على إحدى دور الميخما .. ووجدت ، كارمن ، .. هي لم اسمها  
 ، كارمن ، .. وكارمن هذه راقصة .. عجيبة .. ألوانها وزديه ووجهها سارم  
 وعيناها هاجرتان . وتوقفت أنفراج وأقرأ .. للممتلة هي ريتا هيوارت ..  
 والصور لها فوق الجبال .. وهناك حمير وبعال وحيول وجود . ولكن كارمن  
 هذه ترقص في كل الصور .. وقد وصفت رجلها على عبق أحد الرجال !!  
 أنهم أن اسمها كارمن . ولأول مرة قررت أن أدخل الميخما ، وكنت قد  
 تخرجت في الجامعة قبل ذلك بسنتين . ولم أطلع أحدا على هذا القرار .  
 فلا أحد يتصور أنني لم أعرف ما هي الميخما ولا ما الذي يفعله الناس في  
 داخلها ..

وذهبت إلى الميخما فلم أجد أحدا أمام شباك التذاكر . فأسطرت حتى جاء  
 الناس ووقفت في الطابور لأرى ماذا يقولون وماذا يدفعون .. وشئت وراءهم  
 وجلست إلى جوارهم . ورأيت الفيلم . لم أسوعب تماما ما رأيته . لكن  
 اشتعلت به تماما .. وبعد يومين ذهبت مرة أخرى لكي أبدأ عيني من كارمن ..  
 وفي هذه المرة خبطنتي في تماغي بعض العبارات العجيبة ..

وبيني وبين نفسي أحسست أن هذا الفيلم هو ، الزلزال ، أو هو  
 ، البركان ، .. فقد هزني بعمق .. وصنعني .. وجعلني أمشي على رأسي .  
 وأتقرب جالسا ونائما .. لا أعرف بالضبط ما الذي حدث .. ثم ذهبت أنفراج على  
 الفيلم مرة ثالثة .. وكنت حريصا هذه المرة على أن أسمع بوضوح ما قاله  
 البطل . لقد قال شيئا كهربي .. صفني .. ما هذا الذي يقول ؟ لماذا ؟ كيف ؟  
 وما علاقتي أنا بذلك ؟ لا أعرف العمليات الكيميائية التي قبت كباسي من  
 داخل .. أمي كارمن ؟ أبدا .. هو البطل .. هو ما يقول سخف وغضب عني  
 كارمن .. وليس كل الذي قال . ولا كل توره في الفيلم .. ولكن عبارة  
 واحدة .

وظللت أكتب عن هذا الفيلم وعن هذه العبارة مقالات ومقصدا وشعرا ..  
 حتى يبهني أحد الأصغاه أن أكتب عن الكتابة فهناك أفلام أخرى كثيرة .  
 ولم أكن قد لاحظت ذلك !!

هذا الفيلم من نفسه أتيب فرما برومبير مريميه ( ١٨٠٣ - ١٨٧٠ ) وهو

يت هذا العيلم بعد أن ظهرت قصته مدد مائة عام تماما ..

لقصة . مع الموسيقي الفحمة الأبهة والرقص العجزي المجنون نرى  
حندى دور حوسيه . هو شاب جميل عنده طموح أن يكون شيئا ما يوما ما ..  
وعندما وصل إلى مدينة أشبيلية رأى للغة العجزية كلرمس . حلوة .. حمزية  
شبة .. كلها حيوية وتمرد .. التقي بها وأحبها . وفي إحدى الليالي أقعته بأن  
سرك وظيفته كجندى وأن يعيش عجريا . وكاد أن يقتنع .. ولما علم رؤسائه  
بغيبه بالمهر حارسا طول الليل . ذهبت وألعت عليه . وطلبت منه أن يهرب  
معها . وكان قد أحب العجزية . وغضب على رؤسائه وعلى حياته  
عسكرية . فدفعه المصعب والحب إلى الاقتناع . والاستسلام لها . وهرب  
معها ..

وبعد أن أحبها راحت تمسخر منه وكان يحلو لها ذلك كثيرا . وكلما عذبت  
شاد حبا لها .

وفي إحدى الليالي ذهب إليها في بيتها . وفجأة دخل أحد الصباط . إنه  
عنيف . ولعلت السيوف بين الرجلين . وسقط الصباط ميتا . وأصيب هو  
جروح في رأسه . وظلت كلرمس في غرفتها لا تأبه بالمعركة ولا بمن سوف  
يموت في النهاية . ولما خرجت ووجدت الصباط ميتا . غضبت ولعلت دور  
حوسيه واتهمته بالغبارة . لأنهم سوف يطاردونه ويطلقون بدمه ..  
ثم أحصرت له بالطور يتكرر فيه ويهرب بجثته .

ورندى الباطور . وخلق كل أماله في أن يكون شيئا مما كان يحلم به .  
فقد دفعه الحب إلى أن يكون مجرما . وكان لابد أن يعيش خارجا على  
تمويل قاطع طريق مع عدد من النشالين ..

وكان لكارمن أصنقاء كثيرون من اللصوص وقطاع الطرق .

وبم يكن أماته إلا اختيار واحد : أن يعيش معها لسا عجريا . وإن بجمع  
حربه عددا من اللصوص ليكوبوا قوة . وكانت كلرمس تنجس لهم ..  
علقت الحكومة عن جائزة مالية لمن يمتد على دور حوسيه حيا أو ميتا .  
.. عينا وإصرارا على أن يكون كما أرادت الظروف مجرما ولصا .  
. فصع بأن الذي يمارسه هو الصحيح وأن الحسنة هي السرفة الرسمية .

صحيح أن هذه الحياة ، لمست هي الحياة التي كل يحلم بها ، ولكن لابد أن يعيش . كان لطيفا وهو الآن عيب ، كل رفيقا وهو الآن خشن . كان بيلا وهو الآن مسفل . كانت له كرامة ، ولكنه مع لقمة العيش وكلمة الحب ، بلا كرامة !

وكان على يقين من أن كارمن تحبه ، أو سوف تحبه في أية لحظة ، ولكنه ابتلع هذا الهوان ، المهم أن يجدها ، أن تكون له بعض الوقت . ولكن عندما عرف أنها عشيقة لرجل أعور قتلته ، وجاءه أحد أفراد عصابته وقال له : أنت رجل مشغل .. أنك قتلت زوجها . هذا الزوج كان على استعداد أن يبيعها لك بمبلغ ناقة !

وكون دون حوسبه عصابة جديدة . وقامت كارمن بدور الجاسوسة لهم . فكانت تذهب كل ليلة إلى مدينة غرناطة تجمع الأخبار وتشتري الضعاف والسلاح . وهناك قابلت مصارع الثيران لوكاس . وعرف عشقه ذلك . فصحبها أن تكون له . وأن تمشي معه وأن تهاجر إلى أمريكا . رفضت كل الذي طلب . وقالت إنها تفعل ما تريد . للحيلة مع أي عدد من الدس وألا تكون له وألا تهجر الفولية وألا تهاجر من أسبانيا .. ثم إنها لا تتلقى أمرا من أحد .. أي أحد .. وأنها عجيبة . عاشت وسوف تبقى عجيبة حرة تفعل بصلها وبأرجال ما تشاء .. غلبها هكذا ، أو يتركها حرة .. ولما أحست بأنه يهوى قتلها قالت له : قرأت في الصحافي أننا سوف نعيش معا ونموت معا .. ولم يصدقها !

ودفعت إلى لوكاس الذي أصابه أحد الثيران ووجدتها هناك وطلب إليها أن تعود له .. وأن تسافر معه إلى أمريكا . رفضت . ودعت إلى أحد الزعماء وطلبت إليه أن يصلي على روح إنسان مهتد بالموت .

وقتلها . وينص السكين حفر لها قبرا . وجاء القسيس يصلي على روحها ! انتهى الفيلم على الشاشة ست أو سبع مرات . ولكنه لم يمت في داخل فقد استمر العرض والموسيقى والحوار لمحات طويلة . أما الذي مرني في هذه القصة فليمت الأحداث . ولكن بعض العبارات التي



جاءت على لسان البطل . فهذه عبارة تقول : التمتع على من قل إن الإنسان  
كم يكون !

ومعنى هذه العبارة : إن هذا البطل قاطع طريق . والحقيقة أنه ليس كذلك .  
وبما هو قد اضطر إلى ذلك . لاضطره الحب ، وكرهيته الإجراءات  
التي تسمى . أو هو الحب نفسه لأن يكون مجرماً وهو ليس كذلك . أي أن الذي  
بحكم عليه من مظهره يظلمه . فكل حكم عليه ظلم تماماً !

ولا أعرب كم عدد المرات التي ذكرت فيها هذه العبارة وعلقت على بعضها  
وعطمتها .. سقط البطل على كل من يسمي إليه وينظر إليه على أنه مجرم  
حقيقي .. إنه مجرم ، لكن ليس باختياره .

ومن الغريب أنني عندما شاهدت هذا الفيلم بعد عشرين عاماً ، لم أجد هذه  
عبارة ، بل هذه العبارة قد ظهرت من أعمالي . أنا الذي وصفتها على لسان  
البطل . أنا الذي قلت . لو أنا الذي هممت لذي أرلده البطل والمؤلف معاً !  
وأعجبني أيضاً أن يخلع الإنسان ملابس الجدي أو ملابس القسيس ليكون  
في شيء من أجل الحب . المهم أن يفعل ما يشاء باختياره وحريته وأن يكون  
مسئولاً عن هذا القرار . المهم أن يكون حراً . فإذا كان حراً فهو مسؤول .  
ثم إن الإنسان لا يولد جنسياً أو يولد لساناً ، ولكنه يصير كذلك .

ولم أنكر عبارة واحدة على لسان كازم . ولكن عندما رأيت الفيلم بعد  
سنة ، وجدت أن عبارات جميلته وقوية قد جاءت على لسانها السطيف .. ولكن  
لم ألتفت إلى ما تقول وإنما ألتفت إليها .. إلى جمالها وحيويتها وتمرد .  
لأعجابي بحياة الفجر له تاريخ طويل يرجع إلى طموحي . يوم تميت أن  
أكون عجزياً . وأن أهرب مع جماعات الفجر . ويوم تميت أن تنسني إحدى  
العجريات ويوم شربت من ثم عجزية وشربت من نسي . وكنت طفلاً . وعندما  
كبرت أعجبتني حياة العجز . حياة الانطلاق وعدم الارتباط بشيء أو بأحد .  
عدم الارتباط بالأسرة .. فقط أن أفل أنقل من مكان إلى مكان . وأن أعيش  
على حافة المدن والحافة بين القنات والحروج عليه .. أن أعيش في خطر .  
كم يصعد الفيلسوف الكبير ببشئه .. أن يسي بيوتنا على مروح البراكين وعدد  
منه . لم أشعر بهذا المعنى إلا مرة واحدة عندما ذهبت إلى العيين وبحنت

عن المطاعم التي وصفت منسجتها في هوة البراكين الحامدة . ولكن الأرض تحت المناسد لا تزال ترجف .. كأن أجدأ يفوم ببنيك ذلك الوحش النائم لعله يصحو . أو لعله يظل منصرفا في نومه .. وكان شعورا عجيبا أن أكل الأيس كريم في قلب جورة هند .. الأيس كريم يتجمد .. والأرض من تحتها مساجة نرنجب .. وأنا أظلم بها غللة الفيلسوف بيشه .. وفي نفس الوقت أتخيل نفسي وقد قدغني البركان في الهواء والنفطى واحد من النصور التي جاءت في د ألف ليلة ، وينور بي حول الأرض ولا يهبط إلا ونحن معا - موسى في هوة بركان يتدقق بالنار والذحان !

ويوم استأجرت طائرة صغيرة في جرد هاواي لتفزع عني بركان قد ثار فجاء بعد يوم فرين من الزمان .. وكانت الطائرة تدور والوجه يبعد من رجاها وأنا لأوب عرفا .. أحسست أن اللحظة الفلسفية الفارضية البطولية قد جاءت . الطيران فوق القمم .. وأعظم فم البراكين . والسقوط في سفير النور والماء معا !

ولم أفكر في ذلك الوقت عن معنى هذا الذي نادانا به الفيلسوف الألماني ! وعن دلالة ذلك ! ماذا أصغت ؟ وماذا أخففت .. وما قيمة أن أموت أنا أو غيري في بركان ؟

لأبد أن الفيلسوف قد أعجبته الصورة المروعة الرائعة . فقط الصورة . وإن كانت بلا معنى كبير .

وكذلك صورة المجرب كارلوس .. جمالها ودلالها ووحشيها وأنوارها الوردية ..

وعندما ذهبت بعد ذلك أتفزع على الأماكن التي تم فيها تصوير فيلم كارلوس ، لم أجد شيئا مما لحبط عقلي وشوشر على قلبي . وتهاشم الفكر والتوجدان وظللت ضحية لهذه المعركة غير المتكافئة وقت طويلا ..

واتخذت هذا الفيلم عملا وجوديا كاملا . أنا الذي قلت ذلك ورحت أتعسف في تفسير كل حركة وكل عبارة . والبدائية والنهاية . فقد كنت في ذلك الوقت من الحمسينات في حاجة إلى حجج قوية فيه لتدعيم الفلسفة الوجودية التي أدعو إليها في الصحف وعن محاضراتي في الجامعة .

وهجة وجنتى أذهب لأخرج على قيلم آخر اسمه شمشون ودليلة ، البطلة  
 هي هدى لامار ، مصاوبة جميلة . وقصة شمشون ودليلة جاءت في التوراة  
 شمشون رجل قوى ، وهو في شعره . إذا طال تعاطفت قوة عضلاته .  
 فأصبح قادرا على مداره جيش وقهره أيضا . وأحببت دليلة هذا البطل الذي  
 عم لهمة أجنها . فصبها ذلك . وقررت أن تستولى عليه بالقوة وأن تقهره  
 عندما معه . وتكاثر خصومه وزعموا مكافأة لدليلة إن هي عرفت سر قوة  
 . طلبت تستلججه إلى أحضانها حتى عرفت . وقصت شعره . وأصبح رجلا  
 عايب . وصربوه وعذبوه .. وعلقوه في الطواحين بديرها لطحن القمح . ولكن  
 سيرة حررت على حقدتها الذي دفعها إلى تعذيب هذا الرجل الذي تحبه .  
 واشترطت على أعدائه أن يملأوا به ما يشاؤون (لا إراقة قطرة دم واحدة منه ..  
 ولكنهم أقتروه البصر بوضع أعواد من الحديد للمناحر أمام عينيه .. حتى صار  
 صميا

طال شعره .. وطلب إلى دليلة التي جاءت تساعده أن ترفقه بين أعمدة  
 المعبد .. وهم المعبد على أعدائه وعلى نفسه .

أما هذا الفيلم فقد أعجبتني دليلة وليس شمشون : جمالها ودلالها .. ولم أجد  
 بها عبارة واحدة تهري . ولا وجنت لشمشون .. وبعد سنوات نبهت أن سبب  
 عجابي بدليلة هو أن جارة لي في المنصورة كانت شديدة الشبه بها : الأنف  
 والحاجبان والشعر الأسود والثقة بالنفس .. وكنت أراها جميلة من كثرة التي  
 فوق . فقط .. بينما دليلة كانت كاملة الجمال . فلما لم أنشفل بشمشون ولكن  
 دليلة ، ولم أشغل بكارم ولكن دون حوسيه .

وفي الفيلم : امرأة خادعة شرسة .. شريرة .. وأن الانتقام عندها أقوى  
 من الحب .. وأنه ليس للحب هو الذي يهم المرأة وإنما الملك ، والتسلط ..  
 فهي لا تريد رجلا ، وإنما تريد دليلا .. فإذا أصبح دليلا ، اتجهت إلى رجل  
 حر قوى .. تعجب بقوته ومنمنع بأصماف هذه القوة وسحقها وإدلالها .  
 وسجها إلى ضحية أخرى .. إنه تاريخ الاستعمار والذل والهوان الطويل الذي  
 عاشت به المرأة .. هذا التاريخ جعلها تريد أن تنتقم من مبدعها الذي حبسها في  
 بيت تنطرح بجيء أو لا يجيء .. ومن الممكن أن يبكي المرأة لأنها قتلت

وحلا تحبه . ولكن شرها أقوى من حبها .. فهي تحب الرجل ، ويحب أن يحبها الرجل ، وأن تخلص له وأن يموت من أجله .. ولكنها تحب أيضا أن تستولي عليه حيا أو ميتا .. فإذا ماتت بكى عليه .. فهي تحب عذابها معه ، وعذابها من بعده ، وتكره نصها في الحالات .. فللمرأة مصاصة الدماء .. وصحبته هو الرجل ، هكذا كازم ودليلة ؟

وفجأة ظهرت في حياتي ، مارلين مونرو ، أجمل من خلق الله وأنس أيضا ..

لم أنشغل بأفلامها . ولكن بعينها .. بها هي .. كيف عاشت كيف كانت في الملجأ . من هي أمها ومن أبوها ؟ وكيف تزوجت مصارعا .. كيف تعدت .. كيف تنقلت بين الأذرع والاستديوهات .. كيف يعرضونها لحما ورنيا .. وهي لا تعرض على البائع والمشتري .. ثم كيف آلت في النهاية إلى الزواج من أديب كبير هو آرثر ميلر .. إنه جراح .. إنه سفاح العواطف الإنسانية حاول أن يدير رأسها ناحيته لم يستطع . حاول أن يصع رأسه فوق كتفها ولو بعض الوقت .. لم يستطع ..

ودار حولها الرئيس الأمريكي كينيدي وأخوه وروج أحته .. وتحالفت المحابرات الأمريكية والعصابات على هذه الجميلة للنسبة وفصروا عليها .. ونولى الدفاع عن جمالها وشبابها وبراعتها وجنونها أبناء أكثر جنونا منها ، وأكثر سفالة من آخر أزواجها .

ولا أنكر أنني رأيت لها فيلما خرجت منه ، لكي أكتب سطورا واحدا .. فأنا راض أن أراها .. ولا يهم ما الذي تقوله .. هي تظهر وتروح ونجىء ونحب وتكره ونفسى وترقص وأنا أتولى عنها الحكاية !

وحني عندما رأيت ريتا هيلرث في القاهرة مع زوجها على حان ، ووقف الانتان أمام هندق سميراميس القديم ، ولم يجدا سيارة تنقلهما إلى السفارة الألمانية واستوقفا أحد التاكسيات .. وظن على خان أنني أحد المرشحين مسألتي إن كان معي فلوس .. وأعطيته خمسة وعشرين قرشا أخذها وأعطاهها للمساكين مقدما .. لم أجدتها جميلة كما رأيتها في الفيلم .. إنها أكثر سحافة ورقة ولم أجد الوجه الجميل الذي التفتق في عيني سموات - وكتب مثل عقارب الدهانق

والماعز أتحررك ليلا وبهارا في داخل هذا الوجه الذى كان يتسع ويفسع حتى  
تكون في رحابة السماء .. وأنا حائر دائر دلتح بين سلامحه ..

ولكن انشغلت كثيرا جدا بهيذى لاملر ولم نستطع أن أرى لها أى عيلم اخر  
غير شعثون ودليلة .. ولم تقب عن خيالى . حتى ظهر كتاب عن حياتها ..  
وأهزنتى الكتاب عليها .. فهي تروى كيف أفضت الخمر والمخدرات .. وكيف  
أن أحد أصحاب الملايين طلب إليها أن تظهر عارية تماما . مقابل مبلغ من  
المال . ثم هدمها بعرضه على الناس أن هي لم تتزوجه فهدنته هي أيضا بأن  
تروى كيف كانت علاقتهما الجنسية .. وما هي عيوبه وعجزه .. ثم إنها روت  
علاقتها بعدد كبير من الناس بأسمائهم .. وهدنت في هذا الكتاب بعض آخرين  
إن لم يدعوا لها مقعما . إلى هذه الدرجة ساحت حالتها المادية .

وجمعت قصة حياة عدد كبير من الكواكب .. ربما مائة قصة وأكثر في  
ثلاثمائة كتاب استعدادا لدراسة نفسية اجتماعية هبة تاريخية لهذه الكائنات شديدة  
الحساسية من الجميلات .

ولكن النصيب الأكبر من الكتب لمارلين مونرو .. فقد كان أثرها عميقا  
ومرجعا .. وكنت من ذلك كثيرا وطويلا ..

ولم أجد أنكر من كل صور مارلين مونرو إلا صونها في خيالى يوم رأيته  
في هوليوود وقد خرجت من الحمام والتتليك وبحار المطور . لامعة براقه  
هراشة تطير ومن بعيد قالت لى : لزيك يا انت !

ولا يسعنى قلمي أن أصف لك كيف اشترك في هذه التحية : نراعاها  
وإحدى مسقيها وعين غمرت بها وشعة ضغطت عليها وكنتها .. كل ذلك من  
أجل واحد جاءها من آخر الدنيا سنة ١٩٥٩ .. كانت هي فرقة راقصة غنائية  
موسيقية .. أغلبية ملحنة وأنا هناك بعدد أغنية مسحوقة غلبانة ١١

في ذلك الوقت كنت قد رأيت الممثلة راقية إبراهيم .. طويلة أنيقة ..  
لحمة .. ولكن لا أعرف ما معنى هذا الذى تقول وهي تتحدث في الأدب وهي  
السياسة وهي الاقتصاد .. وكان للناس يستمعون إليها .. وكان صونها أجمل  
ما فيها .. وكنت هي تعرف أن الأنوثة في هذا الصوت .. ولذلك تبالغ في  
تكبير الحروف وتقصيرها وتطويلها .. رأيته لأول مرة في مكتب المثل لنور

وحدى .. وقدمي لها هكذا : واحد من الشعراء الشباب الحدد بعجيبك . يكلم  
عده لغات .. وحولت أن أقنعه أن يمثل في السيف ، ولكنه رفض . ما رأيك  
أنت ؟

ولم يعرض أن أظهر على الشاشة ، وإنما هي دعابه  
وسطرت راقيه لإبراهيم باهيتي ، لندري إلى كاي صحبها ما يقول ولم تقل  
شيئا .

ورأيت الممثلة كاسيليا ، وكانت تتردد على إحدى محلات الاسطوانات  
ولم يعجبني .. فهي غير متقنة ولا بحس الكلام . وإنما تشترك في أي حديث ،  
إذا كانت هي موضوعه ..

ولا بد أن يكون سبب عدم إعجابي بها أنني معجب بعبرها تماما : هدى  
لامار ومارلين مونرو ..

وهن جميعا بعيدات عني . لا صلة . وبمستحيل أن تكون صلة . وفضلت  
الأكثر بعدا واستعالة .. هضلت الخيال الذي أعيشه على الواقع الذي لا أعيشه .  
وانتقلت باهتمامي بالسبما إلى نجوم إيطاليا : سيلفانا مانجانو .. وسيلفانا  
بمبيني . واليانورة روسي دراجو .. وصوفيا لوريس . وجيس  
لولو بريعبدا . ورأيتهم جميعا وتحدثت إليهن عن قرب .. وقرأت وكتبت  
كثيرا . وهرسى هلم ، مرارة الأرز ، بطولة سيلفانا مانجانو .. ورأيت في  
سيلفانا هذه كارمن ونيلبة معا . لولا أن سيلفانا كانت من عمال الترامين في  
إيطاليا . تكشف عن ساقها طول الوقت . ولكنها قوية بجمالها الصارخ .

وأعجبني الممثلة الإيطالية اليانورة روسي دراجو .. وهي أجمل جميعات  
السبما الإيطالية .. أطلقتها السبما نصرب بها سيلفانا وجينا . ولكن تزوجها  
أحد أصحاب منازل الملايين .. لم تظهر إلا في ثلاثة أفلام واخفت . وكانت  
اليانورة هي كارمن + نيلبة + مارلين + جينا + حواء الحالدة الأنوثة والميرة  
والانقسام والكتب والحداد ..

وهي ليست كذلك إنما هو المؤلف والمخرج والمنتج تعاونوا مع على إطلاق  
كل طاقاتها الكلمنة ووضعوها في لطارات جميلة ميرة !

وهي سنة ١٩٥٦ نشرت في : آخر ساعة : حديثا عن الأنثى والظمعة والحياة

في إيطاليا بعد الحرب مع اليابانورة همة .. وكان لابد أن يتعمش للقاريه كيف  
يمكن أن تكون هناة جميلة جدا ، متقنة جدا .. وكيف أن جمال الجسم والفكر  
قد جعلها واحدة من بنات آلهة الاغريق .. وكيف أن هذا الحديث بعد أن ظهر  
طلبت ترجمته إلى الإيطالية ثم بعثت لي بصورة من الترجمة ومعهما هذه  
لعمدة : كانت متفتي مصاعفة عندما قرأت ما قلناه سوريا ! ألا يخزيها هذا  
بمعونة الحوير ، إلى كثيرين يريدون أن يشتركوا معنا مع أصدق وأخلص  
نعمات واحدة مبتذلة هي كل شيء .. الحياة والأدب والى ومعرفة مصر .  
وقد نشرت هذه العبارة مع صورة اليابانورة في مجلة : آخر ساعة : ..

وكان لابد أن أعرف من هو مؤلف : كارم ، أو : غراميات كارم : ..  
به الأديب الروسي الرومانسي بروسبير مريمية . وقد عاش في عصر الأديباء  
الفرنسيين الكبار : هيجو وديكارت ولستندال وبلزاك وبولنير وزولا وفلوبير .  
وكان هادى النص . ميالا إلى التامل حاول أبوه أن يحطه محاميا . واشتغل  
بالمحاماة بعض الوقت . ولكنه كلى ميالا للأدب واختاروه عصوا بالأكاديمية  
لفرنسية سنة 1914 . وكان خبيراً في الأدب الروسي المعاصر .

سافر كثيراً . وفي رحلاته إلى أسبانيا استلهم قصة : كارم : . ثم اشتمت  
عن هذا الأديب بمنابع : كارم : همة .. ورأيت أوبرا : كارم : للموسيقار  
بيرييه على مسرح الأوبرا في القاهرة . وكنت أغمص عيني وأنا أسمعها  
فالموسيقى هي الإضافة الجمالية الحقيقية لمعنى القصة وعباراتها المنقوشة  
بعمق في أثنى وغبلى ..

وفي مكتب الصديق شكري راعب مدير مسرح الأوبرا أشار إلى هناة جالسة  
أمام وقال : هذه كارم . يقصد بطلة أوبرا كارم .

هناة أسبانية عمرية الألوان الميتين والشفنين والبشرة وكانت الأفراط مثيرة  
في أدبيها وكذلك الخوازم والسلام في عنقها وفي يديها .. والاحلاخيل في  
ساقها .. والنحال يخرج من أنفها ومن فمها هي عصبية شديدة ..

هرى شكري راعب قاتلا : ملك . أنت علور تاكلها ؟!

ولم أظن في أن أشجج له الأسباب الحقيقية لهذه الطرحة والفتوة أن أرى  
: كارم ، لحما ونما . وكلما حاولت أن أقول شيئا يعصني قاتلا : عارب

ما سوف نقول .. سنقول أنك مشغول بالقصة والإخراج والموسيقى  
والديكور .. كتب .. أنت وأنا مشغولان بهذه العلاوة والطعامه طبعاً سوف  
نحسها غدا نتخرج عليها .. لا بد من اللبلة والكراهة .. وإلا واقع العظيم لنزل  
أشبهك هيله بيله وأرميك أنت وكمال الملاح خارج المسرح !

وفي تلك اللبلة المماخرة أول مرة أشاهد أوبرا كارمن . جلست في الصالة  
مستحوراً مبهوراً .. لا أعرف عن أي شيء سوف يرتفع الستار .. وقبل  
ارتفاعه يلحظات كانت الموسيقى .. رفة عروسة عجيبة .. مظهرة  
أوركسترا لثة .. أغصت عيني لسمع واستسلم للموسيقى وللمغاني في رأسي ..  
وعندما ظهرت كارمن بصفتها الدموي الفجري وورودها وعفودها وأقراطها  
والصناجات في بنديها .. لم أعد في حاجة إلى شيء .. بكفيني هذا في تلك  
اللثة .. على أن أعود غدا .. ولكن لا أعرف كيف أفهم .. ووجدت أصابع  
تدق كغني .. إنه شكري راغب يقول : قم بلاش صبيحة !

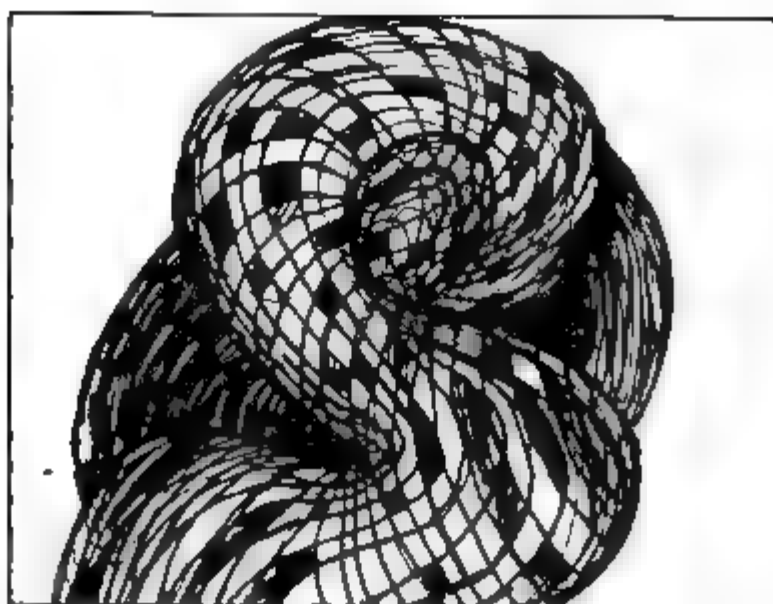
وخرجت معه . هنا لم أتمكن من العودة إلى البيت واقترح أحد مماعدي  
شكري راغب أن ارتدى جلباب أحد للمسرحية وعلمة كبيرة ملفوفة بإحكام  
.. أي ترى الوطني لأبناء القوية والسودان .

ونحن خارجون قال لي شكري راغب : لازم للنهارة .. هل تعرف أنه  
يوجد ثلاثة من رعاة السودان من الحاصرين .. وأنهم في السودان لا يرتدون  
هذا الزي .. هذا زي بولاب يا أستاذ !!

وأخذني إلى غرفة الملابس . وطلب مني أن آخذ معي بثلة سموكنج لأن  
الملك فاروق سوف يشهد الأوبرا غدا !

ورأيت كارمن بعد تلك على مسارح برلين ولندن وباريس .. جميلات  
أنيفات متمردات طموحات . كلهن كارمن !





وقررت إنماء هذه الطفولة  
المتأخرة فكتب ونشروا

## وقررت انهاء هذه الطفولة المتأخرة فكفيت ونسروا

من المؤكد أن لا ضرورة لوجود . قلنا لننسى ألف مرة . حتى أصبحت  
أسمعها دون أن أنطق بها !

يعنى لا معنى لأن أولاد وأن أكون أى شيء .. هنتلى كتيرون جنا . وليست  
لى موهبة حارقة . ولا هى إمكاني أن أسمع شيئا هاما للبشرية . إن وجودى  
هو استمرار لموه للتقدير واستمرار لحكمه أن يكون من الناس والحيوان  
والنباتات : نسيه رائد عن الحاجة لا ضرورة له .. ونحن وافقون أمام باب  
الاجلحة : كل الوجوه واحدة . كل للعبور .. بل إن قفرا كبيرا من الغباوة  
والبلادة هى من أهم معالم الجميع .. وكأننى مطالب وحدى بالبحث فى هذه  
النظرية ومدى صحتها وخطلها ، أخذت أنملى الوجوه .. والعيون والشعاع  
والأصوات ، وقد لاحظت أن أصواتنا فبيحة وأسلوبنا هى للتعبير عن أفكار  
محبب .. وأننى لم أجد واحدا من زملائى يقول لى : إسمع بعلل هذا .. لنذهب  
إلى حديقة الأورمان ولنمكر فى حائنا . ما الذى يمكن عمله فى هذه الدنيا ؟  
ما الذى نعلمناه ؟ كيف نستفيد من هذا الذى تعلمناه . هل الذى نعلمناه يكفى  
لأن يكون الواحد منا إنسانا هاما .. مثلا : أنا أريد أن أذهب إلى المريخ ولكنهم  
له يعلمونا إلا ركوب القمر . ياخذ عليك قل لى كيف ارتفع بهمارى إلى  
السماء .. أو أنهم علمونا كيف يعمل أيدنا قبل وبعد الأكل ، فهل هذه العلاقة  
البيومية بالماء تجعلنا قاندين على القمص فى أعماق المحيط لمعرفة أسرار  
هذه السموات المصنوعة من الماء .. السموات التى تحتنا .. فالتسماء هوف  
محيط من الغازات ، والمحيطات بحينا ممواء من الماء .. هل نعلمنا مثلا كيف  
تغير طريقنا وطريقتنا فى الحياة ؟ ما الذى نعلمناه ؟ وإذا كنا لم نتعلم شيئا فعلى

أى أساس نغصب من نصيبنا المتواضع على هذه الدنيا ؟ تماما كما يعطيك أبوك قرشا وتغيب حظك لأنك لا تستطيع أن تشتري به سيارة . وغيا ؟ هل لك الحق على أن تمنى ذلك ؟ إن الذى أعطاك الخرش ، أعطاك فى نفس اللحظة مجالات مسقة للإختيار .. أنت قادر على أن تشتري اللب والمودافى فقط .. هذه حدود قدرتك .. وهذه حدود قدرة أبيك . وكذلك الذى تمنعته هي حدود قدرتك .. هي للجنه الذى تمنحه من الجامعة ؟ هل أنت ضرورى لأحد ؟ لأهلك وأبيك مثلا ؟ ماذا لو مات الآن .. ألميت مثل هذه الأوراق التى تسقطت من هذه الشجرة .. وسوف تبقى الشجرة لتجدد شبابها وحيويتها فى الربيع القادم . والشجرة هي المنبع أو هي الانسانية .. وأنت ورقة دبلة .. سقطت .. أو سقطت قبل أن تدبل .. أو سقطت إحدى الأيدي قبل أن تكون شين .. هل تستطيع أن تتوقف عن الجرى - هس جري مند نعلنا المدرسة الابتدائية .. جري وبلهت .. ههل عندما وقت لكى بعد أرجلنا ونمند ظهورنا إلى شجرة أو إلى حائط وفتح عيوننا ونظر ونفكر فى مستقبلنا ؟ هل علمك أحد كيف تفكر فى مستقبله ؟ هل هي التفكير الفلسفى والأدبى هو هو نفسه من التفكير فى لقمة العيش والنور الاجتماعى الذى سوف يكون لنا ؟ هل لأننا تعلمنا السير نستطيع أن نرقص للباليه ؟ هل لأننا نعلمنا الجرى نستطيع أن نسابق القطار ؟

لم أجد أحدا يقول لى . ما رأيك نلقى بأنفسنا فى الليل .. ويكون موتنا المفاجيء رفضا للسماء التى وهبتنا الحياة لحكمة .. ونجىء نحن ونعلن أننا نرفض هذه الحكمة ، لأن وجونا بلا حكمة أو أن استمرار حياتنا ، هو تطبيع لطرية خاطئة وتقول : إنا مخلوقون لحكمة .

وبن لا نرى هذه الحكمة !

ولا وجدت أحدا يقول لى : لماذا لا تدخل دبرا من الأديرة .. سوف تقول أننا مسلمون .. فليكن .. تقول أننا مسيحيون وندرس القيلولة المسيحية ونطل على إسلامنا .. المهم أن نحصل على هذه المكينة النفسية .. وهي نفس الوقت نعلن هما بيننا وبين أنفسنا : إقلامنا الظلمى ..

ولا أحد يقول لى : ما رأيك لو قررنا النسيان .. سيان كل الذى تعلمناه .. نذهب إلى الحمامة ونشرب ونشرب .. حتى نمط على الأرض .. كل يوم ..

ويكون سقوط على الأرض سقوطاً لكل الذى تعلمناه .. ويكون السكّر والمريسة  
سحرير للعقل من قيود المنطق الكاذب . فإذا اعتدنا على ذلك ، رحد نبحث  
عن مصادر نعال .. فلا نجدها بما تعلمناه ، فنبحث عن عمل بنوى .. وموهب  
بجده ..

ورجحتنى وأنا أجزى هذا الجوارى فى رأسى أسحب جيوب بطلونى إلى  
البحارح ليمسك منها بعض حبات اللب والحمص ..  
ومن غير أى تسلسل منطقى ورجحتنى أقول لأحدى الزميلات : ما رأيك ..  
دست : مانا .

قلت : يذهب لسماع معاصرة د . ويهر فى كلية العلوم ..

مى هو ؟

.. ستاد جاء من أمريكا يحاضر فى موضوع هام : السلوك الجنسي لذكور  
وبنت بعض الأسماك والطيور ..

وأدهشها هذا الموضوع وهذا الحديث المعاجىء .. وأدهشها أكثر أنسى مصر  
على تلك .. وأنسى وصحت دراعى فى ذراعها .. مع أننا لم نكن أصدقاء .  
ولكن بسلمتها الحافية تدل على إرباح بأن يعرض عليها أحد رأيا أو قرارا  
ر يزعمها على الذى لا تريد .. وأن ذلك تطور معاجىء فى سلوك موهب ..  
كف أن نظرائى لها تدل على أن شيئا ما فى باطنى قد بولد لصالحها ..  
وبصاحبها .. واستسلمت .. وانتظرت ما الذى سوف أقوله .. ومن العجيب حق  
أنسى لم أقل شيئا طوال ساعه فى الأتوبيس إلى كلية العلوم . ولكن دور التفكير  
واصبح كنت حريصا على أن أكون قريبا منها .. ملاصقا لها . إما لأنسى أريد  
ذلك ، أو لأنسى أحول بيني وبين علامة الركاب الآخرين . وكنت سعيدة  
لسلك . ثم أنسى مندب يدي أفتت حينئذ التى انتهت .. وعندما سقط مندبها  
سارعت بالنقطة . ولم يكن مطبعا فاعتدت عن ذلك . ولم أعلق كاسى راسى  
تعلما ، وكأنه لا يهم أن يكون نظيفا أو قذرا .. يكفى أنه متبذرا ، ولها فرصة  
لكى انحنى أمامها وأفور بابنسلمة . والحقبة أنسى ثم أكن أعنى شيئا من كل  
ذلك . وإنما لدى شعور بأنسى لا أريد أن أذهب وحدى . ولا أريدها أن تفكر  
لحظة واحدة فى العذول عن المحاصرة ، وعلى الرغم من أنها قد وافقت عندما .  
ولكن من يرى ربما جاء واحد أو واحدة ، فى أى وقت ، وأقعها بعبر ذلك ..

وهذا حدث كثيرا مع كثيرات . ولو فعلت لا سهرت للمرة العاشرة إلى نظريتي  
أن الطالبات ناهيات . وهذه لم تفكر في أن تذهب إلى هذه المحاضرة رغم أنها  
طالبة في كلية العلوم ، ولكن الذي أقعها ، أنسى رافقتها ، وأنسى عتما عرست  
عليها ذلك كنت أريد أن يستدرجها لكلام آخر أو قرار آخر .. فهي  
قد وافقت حبا لاستطلاع علما أريد . وليس حبا لمزيد من المعرفة ..

لا يهم . وأقفلت جهاز التفكير في رأسي . وجلست في الصف الأول . وهي  
إلى جوارى . وتحولت إلى شخص آخر . لا أنكم . ولا أرد ولا أصد . وكأنني  
ليست هناك . ولم يكن شيئا هاما أن تكون هناك .. وكانت تهذي .. فأنظاها  
بأنسي ذاتي .

ولم تكن القاعة الكبيرة إلا إهانة كبيرة للرجل .. فلم يحضر إلا عشرون طالبا  
وعندما ورجلا أعرفهما .. أحدهما ساعى البوهية والثاني سائق سيارة  
البروفيسور وبفر ..

بهس الرجل .. حينما . شكركم . تقدم بالإعتذار عن الذين لم يتمكنوا من  
الحضور لأن الوقت غير مناسب وأن الجو حار . وأن الاعلان عن المحاضرة  
قد جاء متأخرا . وأنه يرجو للمحاضرة الفاعلة بعد أسبوع ، أن تلقى من وقت  
الطلاب وعنايتهم نصيبا أكبر وأوفر .. وأن مثل هذه الموضوعات حتى في  
أمريكا لا تلقى عادة أكثر من هذا العدد . ثم روى قصة الفيلسوف الإغريقي  
الذي هوجيء بنرايد عند المترددين على بيته .. وهي أحد الأيام وجد رجلا  
من المصعبين . فقاطعهم متسائلا : ترى ما هو الخطأ العظيم الذي تتوقعون أن  
نسقط فيه اليوم ؟

وحكى لك قصة الأنبياء الفرنسي الذي قاطعه المسمعون بالتصديق كثيرا  
ففسائل : هل أخطأت أو أنكم تريدوني أن أخطيء ؟

بها بداية مريرة لعالم جديد جاء من آخر الدنيا ليبرص علينا نظريته في  
المسلوك الجسمي عند بعض الحيوانات ..

قال الرجل في هدوء ساحر : إن الحياة قد كلفت الذكر بأن يمد الحياة .  
وعندما شاعت الحياة أن يكون الذكر هو حامل هذه الحقيقة .. أو ناقل هذه  
الرسالة . جعله قويا . فكثر حجما أكثر على المطاردة والمنافسة

والمشاجرة .. هي عالم الأسماك نجد الذكر هو الأكثر حركة .. والاكثر انطلاقا . وهو الذى ينصخم طولا وعرضا ويطلق أصواتا وألوانا .. تلت لأنتى ، وينير غيظ الذكور الأخرى . إن الحياة قد أودعت في كل ذكر هذه الحكمة : فتش عن الأنثى أكثر عليها . علقها ، تكاثر . أى أن طريق الذكر ينتهى بالأنثى .. والذكر يطلق حيواناته المنوية التى هي أيضا كثيرة الحركة . وبهاتية الحركة أن يستقر هذا الحيوان في البيوضه . وتبدأ دورة جديدة للحياة .  
ويشر الأستاذ أملنا غرائط وصورا ملونة للأسماك في البحر .. ولبعص الطيور أيضا . وقال : بعض الذكور تطلق أصواتا معروفة .. وبعضها يطلق نروائح ..

فأصبح ، الذكر ، هو هدف العلماء يتابعونه ويدرسونه ويحللون سلوكه . ويكون ذلك هو السلوك العام لكل الحيوانات والطيور .

أما الأنثى فلا أحد يهتم بها لأنها سلبية . ولأنها في نهاية الطريق وتعامل الرجل : هل تعصب من الرجل الذى هو ذكر ، لهذه الذكور أيضا . فكأن الرجل يريد أن يجد نفسه في الحيوانات والنبات والطيور . لمؤكد أن الرجل هو الحياة وأن المرأة هي الجانب السلبى الذى لا نور له ؟ يهور .. والعلماء في مئات السنين قد ركزوا عيونهم وأجهزهم على سلوك الذكر فقط .. نعم كما تدعج للمصرح وتخرج على روميو وجولييت ، فلا تنظر إلا إلى روميو ..

وسكت الأستاذ بعض الوقت . وقال : إلى هنا أريد أن أتوقف بصح نقائق . وسوف أعود إليكم بتقرير جديد للسلوك الجسمى عند الذكور والإناث !  
أى أن الرجل له رأى آخر هي هذا السلوك .. والرأى الآخر هو أن الأنثى بها دور .. وأن دورها ليس سلبيا ، كما اعتاد العلماء أن يقولوا ..

ير هذا التأصيل قد أفتش تفكيرنا وخبيلنا ، وأيقظ روح التحدى عند منكور .. أو عند الذين امتنعوا إلى الصلصرة . ولم يكذب حرج من القذعة حتى سات الصافضات بين الحاصرين . بين مؤيدين له تماما ، ومعارضين .

وبصيت لو أن الأستاذ قد تركنا اليوم على أن يحتفنا غدا . سيكون لنا بعض نوتة تفكر ونأمل وبهضم هذا الذى قال في ساعتين .. ملأهما بالتواثر

والصور والحكايات التاريخية ورحلات المكتشعين لأستراليا وجنر هاواي ودول أمريكا اللاتينية .. وعن حوادث للطاعون الذي اجتاح أوروبا وعن عمر الإنث والنكور وأقنرها على مقاومه المبيدات . الإنث طبعاً . كانت المحاصرة سعة حبيبته . وهواء ملوثاً بالأكسجين الذي فتح كل خلايا العقل والجسم .. بل إنه يكاد يكون قد أخرج أحشائها وغسلها وبشرها وعرضها للصوء ثم أعادها إلى جوها ملينة بالمعاهية ومفتوحة الشهية ..

قلت لى جارتى : أنا سمعت كلامك وجئت إلى هذه المحاصرة ..

قلت : اه .. إنى أنت لا تريد أن تستمعى إلى نصيحتها الناس ؟

وعرفت أن المحاصرة مطبوعة وأنه يمكن هراستها كاملة .. وأسعدنى ذلك .

قلت : إلى أين ؟

قلت : إلى هناك ..

قلت : أين ؟

قلت : حديقة الأسماك .. كما هى العادة !

• • •

هل هذه المحاصرة قد أراحنى ؟ هل كل هناك شك فيما قاله الأستاذ .. هل كانت هذه هى القصة التى تشغلنى ؟ لا شىء من ذلك . وإنما المحاصرة قد أمتنى . هذه المنة أراحنى . وللك أحمست كأننى فى نصف عمري .. وكأننى مصاعب الحيوية والحملانية . فلم أكد أصل إلى حديقة الأسماك حتى لاحظت أن الأعشاب قد اردفت احصاراً .. وأن الزهور نثرت بألوانها المختلفة فى كل مكان .. وأن الأطفال الصغار حولنا فى غاية الجمال .. وجمالهم ومصارنهم وحيويتهم وبراعتهم وقوتهم وثقتهم فى أنفسهم .. وشىء آخر ضرورى للمعادة : الإستغراق .. فالطفل الصغير يملك رهرة أو لعبة أو بئاع هراشة .. فهو كله من أوله إلى آخره قد تابها وانصرف إليها .. ملما كأحد العلماء أو الزهيلي .. ويغير هذا الاستغراق والتزكير لا نجاح فى شىء .. ولا معاملة أوصا .. والحب : استغراق وتزكير على شخص واحد أو كما قال الأنبياء القرمسى استبدال : للحب أن تتطور كل اهتمامك حول شخص واحد . أو حول سعة واحدة فى هذا الشخص فحب هذا الشخص

كله ، من أجل الصفة الواحدة .. كأن تكون عيناها جميلتين .. أو شعناها .. أو سادها .. وبعد ذلك نكتشف أنها غيبة أو نصية أو مفرورة أو متسلطة ..

هذه الزميلة مثلا أسفها لك : متوسطة الطول والعرض والذكاء والجمال -  
الذى أقول ذلك .. ولكنها ترى نفسها أجمل واحدة في الكليات النظرية -  
الآداب والحقوق والتجارة وأجمل من نصف طالبات الزراعة وربع كلية العلوم  
وجميس طالبات كلية الهندسة .. هي تقول ذلك ولا تملك كيف حسبتها وكيف  
منتهت إلى هذه النتيجة وهي ترى أن كل الشبان يحولون أن يتحدثوا إليها وأن  
يقدموا بها أية خدمة - وعددا حكايات وحوادث - وهي لا تنعب من تكرارها -  
لأن تكرارها عبارة عن حيلة تكريم لشخصها - والمعنى : أنها أجمل  
الجماليات - وأسى يجب أن أحمد ربنا لأنها تجلس إلى جوارى .. سواء كان  
سلك من اختيارها أو من إرغاسي لها على ذلك - المهم أنها جليلة إلى جوارى  
وتتحدث وتغيط ألوف الطلبة ..

قلت لها : ممكن ؟

فالت : حادا ؟

قلت : أن يكون بيضا ..

فالت : ممكن .

قلت : ولمدة ؟

فالت : هذا يفوق طينا .

قلت : واحدة مثلك في استطاعتها أن تجد ألف معجب ، ما الذى يجعلها  
سرك كل هؤلاء لتجاس وتحدث وتفكر مع واحد مثلى .. ليس عنده أمل في  
ي شيء - لا عيك ولا في غيرك في هذه الحياة ولا ما بعد الحياة .. ما معنى  
أن تكون علاقة .. صداقة .. حب . إذا كان الطرف الثانى ليس طرفا  
ولا يريد . وإذا أراد فليس قلندا .. وإذا قدر فليس راعيا .. وإذا رغب فليس  
مصلحا .. وإذا صدق فليس مؤمنا بجنوى هذه العلاقات الانسانية .. لأنها إن  
لم تكن كذبا فهي مؤفة .. مقلقة ..

فالت : بسى لم أسمع في الصفحة ولا في علم النفس .. ولكن ما سمعت يؤكد  
سبب مثل هذا النوع من الرجال هم أضعف الناس . لا أقصد أنه ضعيف ..



ولكن أقصد أنه سوف يقول ويعلم حتى يتعب فيسقط عند أول ابتسامة . مثلا  
أنت نفاقشنى وترهسى وتكرنى وربما صار عنك .. ودافعت عن كيربانى ..  
وسطل هكذا .. يوما .. شهرا .. من المؤكد أننى لن أتعب ، فالمرأة صبورة ..  
علمها للتاريخ أن تنظر لأنها هى التى سوف تنور فى النهاية .. أما هذا الرجل  
فلن يبدأ ولن يستمر . سوف يتعب . فلذا تعب اسلمم . وقد يكون الاستسلام  
لواحدة أخرى غيرى .. كمنارة بعد برينها قبل أن تصل إلى الإسكندرية فوفقت  
فى الصحراء أمام ربيعة بهلوم .. لم تقب خارج القاهرة ولا خارج  
الإسكندرية .. وإنما وقفت عندما نفذ البهري .. وكذلك هذا العبد .. أنا لا أقول  
ذلك عن طمعة ولا عن دراسة ولكن عن منطق بسيط .. وإلا قل لى ما الذى  
صه من هو أكثر عمادا وعداوة للمرأة .. فتنقلوا من امرأة إلى امرأة أخرى ..  
أى اسلمموا من واحدة لواحدة .. وأحيرا لزوجته هى لم لأولادهم !  
. بلانج !

. نقصد هذا الحوار ؟ فعلا بلانج جدا !

• • •

قلت لها : قولى لى يا آمال  
قلت : أنا قلطمة  
قلت : يا آمال أى إنسان فى هذه الدنيا ..  
قلت : إلا أنت طبعا !  
قلت : صح !  
قلت : كذاب !  
قلت : صح !  
وصحكتا نحن الإثنين ..  
. نعرف . هى التى تقول بصوت غالى جميل ناعم . أنا مختلفة عنك معلما .  
ولكننا نلتقى فى بعض الأحيان ..  
. قولى وسوف أسمع لك .. قولى .. فمكتك يجب أن تقول .. وأن يسمعها  
كل إنسان عده لعل فى هذه الدنيا .. قولى ..

وأنا أنقل من مذكراتي القديمة التي سجلت فيها منها في أواخر سنة ١٩٤٧  
بعد أن رحلت أمشي في شوارع سليمان باشا وحضر النيل وشوارع الجبلية في  
لزمالك وكنت أسميه شارع للبهائم .. وبعد أن ترددت في أن ألق بلف ..  
له حسين .. وبعد أن تسلفت من صالون الأستاذ العقاد .. كان يوما طويلا ..  
وكانت رغبتي في الكناية قوية .. وكان عندي ما أقوله .. وظنه .. وتمييز أن  
سمها .. وسمها .. وعنت فكنت طويلا وكثيرا ..

هي يقول : تعرف .. كلما رأيت شجرة .. تسميت أن أجلس تحنها .. أن  
نفسها بأصابعي .. أن أمرر أوراقها على شعبي .. على عيني .. على صدري  
على ساقي .. كثيرا ما تحيلت نفسي أتمرع عارية على أوراق الشجر .. على  
ورق الورود .. وأنحبل هذه الأوراق قد تحممت على شكل جناحين كبيرين إلى  
سماء .. أو على شكل مرجيحة تهتز بين الأرض والسماء .. فوق السحاب ..  
وكنت أترك نفسي أحلم بأن يهني في السحاب .. أو هو السحاب .. وأن يهني  
به بواحد كثيرة .. ومناظرها شاعرة كالسحاب .. وأنني أرفع السائر بعيد  
وشمالا .. لكي أطل من فوقها بحثا عنك .. واجدك .. وأحيانا أصطك وأحيانا  
أحرر عنك .. هي كل مرة أنظر إليك أجدك جالسا في هذا المكان وأجدك  
تصاميل قليلا قليلا .. وأندهن لماذا ؟ ولكن أقول لأنك تأكل بصك .. لأنك  
تحرق نفسك .. لأنك مصوح على داحلك .. فأنت تنفق من منجراتك .. هابت  
لك مورد خارجية .. لأنك قد أغلقت مواقد وأبواب الإحسان بالخير .. أنت  
تتكلم من وراء الباب .. أنت تنظر من ثقب المصاح .. إلى أبوابي بلا مفايح ..  
بل وجنارتي بلا أبواب ولا نوافذ .. إنها شاعرة .. سألتني أمي يوما عن هي  
حلامي .. أي العتي الذي أحلم به .. أو العتي الذي هو بطل الأفلام  
والمسرحيات والأوبرات التي أديرها في رأسي وهي عيني عندما تكون  
وحدى .. فكنت أقول لها : لا أعرف كيف يكون .. الشكل لا يهم .. وإنما  
الحسن هو الذي يهمني .. ليس الذي يملأ للعين ، وإنما الذي يملأ القلب .. الذي  
.. مر إلى جوارتي أحسست أن قلبي يريد أن يفر من صدري إلى يديه إلى  
فتميه .. دون أن يكون لي سلطان على هذا القلب .. إنه الذي أجد نظيره مداقا  
خاصا ، وللمسة يديه معني جلوسا .. وحتى إذا لم يكن هناك ، فإنني حسه  
وأسمعه وأراه وأتمناه ، كما لو كان إلى جوارتي .. إنه لدى أشعر أمامه بالحيرة

والأمل .. بالبحيرة لأتسى لا أعرف لماذا هو وحده الذى أحبه .. لماذا هو \*  
ومن أين جاء وكيف ظهر ؟ إنه الذى لا أقارن بينه وبين أحد من الناس .. قلبى  
فى الدنيا سواء .. ولا وجه للمقارنة . إنه هو وحده وكفى .. والذى أشعر معه  
بالأمل .. بكل كلمة مخدنة من حرير .. وكل نظرة محابية باعثة أتمدد عليها .  
وكل ما يقوله وما لا يقوله صدق .. وكل ما يؤكده لى ، ليس فى حاجة إلى  
تأكيد .. إننى صدقته .. إننى وثقت فيه .. إننى أعطيته عقلى وقلبى وما يتبقى  
منى لا يهم .. إى شاء ، مشكورا ، قبله .. إى شاء مشكورا ، رفضه .. وأنا  
للمسيدة فى العالين ..

أمى قالت : مجذوبة .

قلت : مجذوبة لى لم أقل ذلك .. أنت لا تعرفين يا أمى . المرأة فى الحب  
بدوية .. تماما كهيات البداوة .. الحب لا علاقة له بالمدنى .. الحب صحراء  
وبخلة عند بئر وخيمة صغيرة مربوط بها حصان .. الحب هو الصحراء  
الشمسة الواسعة تدق فيها قلوب . والحب مثل البخلة تنبت فى قلبين معا ..  
والحب هو أن يفرد الإنسان بكل يحب ، ويجد الخيمة جنة تجرى من تحتها  
الأنهار ... الحب هو أن يحلم الإنسان بأنهما وحدهما ، بعيدان عن الناس ..  
وأنتما سعيدان بهذه الصحراء .. وأنتما يتميلان أن يهربا معا على حصان إلى  
آخر الدنيا .. حتى ولم لم يكن أحد يطاردهما .. وإنما هما يريدان أن يكونا  
معا .. فى الزمان تحت النخلة فى داخل الخيمة على ظهر حصان ..  
بلا سبب .. بلا منطق . ولكن فى اللحظة التى يمسك كل واحد منهما قلما  
ورقفة ويكتب : لماذا ؟ ثم يحاول أن يجد جوابا ، هذا يموت الحب . نقولين  
مجنونة .. ليس .. ولكن جنون الحب هو العقل .. عقل الحب هو جنونه  
صدقتنى .. وأنت لى تصدعتنى .. ولكنى لا أكتب على نفسى ولا عليك ..  
تعرف ؟

وقلت : أعرف ماذا ؟

قالت : تعرف هذا ؟

وشحبت ورقة أخرجتها من حقيبتها : تعرف هذا ..

قلت : ما هذا .. إنه قلم ..

قالت : ليس قلما ولكن ربح قلم .. وله ذكرى ..  
قلت : لا بد أنك كتبت به خطايا إلى الله تشكريمه على نعمة الإحساس الجميل  
والإحساس بالجمال الذي أعطاه لك ..

قالت : تعرف .. أنت محروم من أشياء كثيرة في هذه الدنيا .. وأن هذا  
الحرمان بحسبك .. أنت الذي فعلت بنبصك كل الذي أهدى عليك حياتك .. ليس  
صحيحا أنك بهذه الصورة .. ولكنك تحاف أن تهدو صحيفا .. ليس صحيحا أنك  
لا تدرك المشاعر الصغيرة والأشياء الناعمة .. إنني أراك تتوقف عند الزهرة  
وتلمس بأصابعك كأنك تلمس شفتين .. وأراك تمسك القزامة برفق تحاف أن  
يموت بين أصابعك .. أراك تفرح لقاء الأطفال الصغار وتبذل أيديهم  
وحودهم .. أراك تحب القطط والكلاب .. أراك تعطف على العير وتبكي له  
بص .. أراك تحب الصديق والمثل والرحمة والحرية وكرامة الإنسان ..  
ولا تحقد على الأغنياء ولا تعقر الفقراء .. ولا تحتقر بصك لذلك .. بل أنت  
سعيد الاعترار بعقلك ، شديد الثقة بنفسك .. وإلا ما الذي أعجبك في الأسناد  
المقاد ؟ علمه وكبرياؤه .. وما الذي أعجبك في طه حسين ؟ فنه ونمرده ..  
وما الذي أعجبك في والدك ؟ سماحته وشاعريته .. وما الذي أعجبك في أمك ؟  
صبرها ونصحتها .. إنك حفظت القرآن الكريم ، أجمل وأعظم كلام .. وإنك  
حفظت الكثير من الشعر .. أي من الكلام الجميل .. وإنك تحفظ الأغاني  
وترنمها .. إنه إنس الجمال والإحساس بالجمال .. أي بموسيقى الكون .. أي  
بالانسجام .. أي بالتعدل والخير والكمال والصفات القيّمة في الأشياء .. ولذلك  
لا أصفق ما يبدو عليك وما يحاول أن تظهره للناس .. إنما يعرف الأطفال  
بصرحون وهم حائرون .. بصرحون لأنهم يريدون أن يحبوا الآخرين .. إنني  
سكر أنهم عندما كانوا يتركسون وحدي في البيت ، فإنني أضيق كل المصابيح  
وأفتح الراديو وحنينيات للمياه .. وأغني من غرفة إلى غرفة .. لكي أؤمهم من  
بكر في السطو على البيت ، أن جميع أفراد الأسرة موجودون .. وأن اقترابه  
من البيت مخاطرة .. كل ذلك خوفا من أن يكتشف أهد ، إتني وحدي .. وأتني  
حققة .. إنني أراك وأسمعك هكذا !

تعرف .. إنني أحس أنك تقول من حين إلى حين مثل رجال الشرطة : مين  
هنا ؟ تقولها بصوت مرتفع وتقولها بصوت غلوط .. وتقولها بتهديد .. مع

من أحدا ليس هناك .. ولكن تريد فقط أن تقول للصومح أن رجال الأمن  
ساهرون .. وأنت رأيت اللص .. وأنت قريب منه وأنت مخيف .. إنني أسمعك  
من حين إلى حين .. كذلك أحد رجال الشرطة تهدد ويذو وتحيف .. أنت أول  
مريد أن تقول : أنت لا تحاب .. ومريد أن تقول لميرك : ألا يقترب لأتلك  
مخيف ..

وأنا أسمعك لذلك .. وكثيرا ما رأينا في الأفلام رجل الأمن يصرخ وهو  
يتم : مين هناك ؟؟

إنني أراك وأسمعك هكذا .. ولذلك فإنني لا أطلبك بأن تنزل الممرح أو  
تخلع ملابس الشرطة وأن تبحث لك عن « مين هناك » أخرى .. أو لا داعي  
لها .. ولكن بكفى أن تعرف إنني أعرف .. وأنت أيضا تعرف .. تعرف ..

• • •

لم أجد عندي أي استعداد لأن أعرف أكثر ، لقد فضحتني أمام نفسي .. ولم  
أجد أعرف كيف أنظر إليها .. أو أسمعها .. لقد جررتني من كل ملابس ..  
ثم لم تكف بذلك بل ترعت جلدي وشعر رأسي .. بل أخرجت عيني وقبحته  
وطليت مني أن أفرا .. وأخرجت قلبي ووضعته في يدي ففزع إلى يديها ..  
لا أعرف بالضبط ما لدى عقله .. لقد كسرت أسناني وأظفاري .. وألفت بي  
عاري في الهواء .. إنني أنا هكذا .. وهي وحدها التي تعرف ذلك .. فلا عندي  
بساط الريح ولا حاتم سليمان ولا مال قارون ولا قوة شمشون ولا مرمر دلود  
ولا حيون روقاه القمامة ولا قلب روميو ولا عقل سقراط ..

ولكن كلنا كذلك .. وكل واحد يحاول أن يرتدي الأزياء التي تناسبه والتي  
يشعر تحنها بالنفس أو بالقوة أو بالإيمان أو بأنه ملك الملوك وأخشي الأضياء  
وأقوى الأقوياء .. وكل ملابسنا مستعمارة وكذلك أفكارنا ومشاعرنا .. وحتى  
كلامها هي الأخرى .. إنها حررتني لتصفحتني .. لكي أبوء أمامها صعبا ..  
إنها أرادت أن تختصر العقوبة الطويلة .. فأبطلت مفعول كل الألفاظ التي  
أصطلت بها نفسي وعقلي وقلبي .. كأنها أرادت أن أعرق ألعلمها ، لكي  
تبتذلني .. لكي أطلب إليها أن تنتشلني .. لكي أزوجها .. لكي أتوسل إليها ..  
نميت .. عقلي تعب .. قلبي تعب .. ضقت بها وبكلامها وبأى كلام اخر ..

وكان من عاينى فى ذلك الوقت إذا جلست وحدى أن أجد دموعى على  
حدى .. وأندهش لهذا السلوك الطولى .. ولكنه العلاج الطبى الوحيد لشفاء  
النفس من توتراتها العصبية .. وغسيل للمخ من اعتقالاتها المعتمرة .. وبكى ..  
وبكى ..

ووجدت فى خيولى ورقة مكتوب عليها عنوان .. د . عبد الوهاب عزم  
كناية لآداب . لقد تصحى لستادى د . شوقي صيف أن أذهب إليه .. لئلا عذنى  
فى العمل فى جريدة « الأساس » .. ولم يكن واصحا عدى ما هو العمل فى  
صحيفة .. ولا الصحافة ..  
وسمعت الورقة ..

وعاودت استخدام كل الملابس والدروع والأسلحة التى اعتنت عليها  
واسترحت إليها .. محاولا أن أنسى كل الذى سمعت فى هذا اليوم ..  
وفى ذلك اليوم وعلى إحدى القنواصى ، قررت أن أكون جادا فى أن أجد  
عملا . وأن يكون هذا العمل قريباً أو مناسباً تماماً لاستعدادى .. واستعدادى  
هو الكتابة والقراءة ..

فى تلك اليوم ، واختصارا لطولنى المتأخرة ، وإنهاء للناس والتشاؤم  
الفلسمى ، وتسنرا على صيحتى النفسية هذه ، قررت أن أكتب .. وأن أذهب  
إلى جريدة الأساس وأن أطلب نشر الذى سوف أكتبه ..  
وكنيت .. وبشروا !



شاعر الكوخ : لم يلتفت إليه أحد

## شاعر الكوخ : لم يلتفت إليه أحد

أول ما حصلت من الشعر الحديث : شعر محمود حسن إسماعيل  
حصلت ديوانه ، أغاني الكوخ ، لا أعرف سببا واضحا لذلك .. ولكنه أدهشني  
أعجبني بهرسي . واعتنيت وأنا طفل على حفظ القرآن الكريم في السابعة من  
عمرى وحصلت ، البردة ، النبوة وألوف الأبيات من الشعر للصوفي . فقد كان  
أبي شاعرا متصوفا . ولا أدعى أنني كنت أفهم الذي أحفظه . ولكنني أهتم طويلا  
ونتهاهي به بين زملائي الصغار الذين لا يروعهـم هذا الذي أتله طويلا على  
مسامعهم بل كان يشعلهم أي شيء عن مواصلة الاستماع .. وكان يعطيني  
ذلك ، فكنت أملك بشجرة وأكمل لها القصيدة .. أو كنت أصرخ غيظا وأعصى  
في إلقاء الشعر ..

إنها الصدقة التي جعلتني أشعري ديوان ، أغاني الكوخ ، الذي نظمته  
محمود حسن إسماعيل من خمسين عاما ، وكان وقتها طالبا في كلية دار  
العلوم . وهو شاب أسمر نحيف واسع العينين طويل مجعد الشعر .  
قدم من الصعيد .. من إحدى قرى الصعيد . أما عالم هذا الشعر فهو الكوي  
كله وقد جمع في قريته .. أما أهم معالم هذه القرية فهو المقابر والعربان واليوم  
، الساقية والثور والقطى والقصح .. وهو يرى فيها الديق .. في عدها  
ر زدهارها . وفي بكائها وعويلها ونحيبها ونعيها كل ذلك هي نداء . وندب  
كثر الناس ..

إنه شاعر الكوخ الوحيد في الآنث العربى الحديث .. فالكوخ أى تلك البيت  
مصنوع من الطين وأغصان الأشجار .. لا هو بيت ولا هو مقبرة . ولكنه  
يُرس معا .. محمود حسن إسماعيل صاحب البرج الحصى . أو البرج  
حصى . إنه يحمل هذا البرج معه إلى القاهرة . بماذا كما يحمل السلحفاة  
حجرها ، والفيل حرطومه ، وحيوان اللؤلؤ أصدافه ..



ولا أدعى أن هذا الديوان قد أحدث نوباً في الشعر الحديث ، ولا في الأدب الحديث .. ولم يعرف في تاريخ الشعر كله أن ديواناً هر مجتمعاً أو فتح طريقاً أو أصلح كوما .. فالذي يبحث عن صدق ديوان كالأدي بلقي بورقة من طائفة ثم يحرق أذنيه من باقتها ليمسح انعجارها على الأرض .. ولكنه كان بداية المنع الأنبيية ، وبدلية الطريق إلى البحث عن الشعراء والشبان . الشعراء المعنئين في مصر .. وفي كل كتاب عن الشاعر الحديث ، لا أجد سطرًا واحدًا عن هذا الشاعر محمود حسن إسماعيل ..

وعلى الرغم من أنني ولدت في بلد الشعر والأدب والفلسفة والغناء في مصر : المنصورة فلم أجد أحدًا من أبنائها يتحدث عن هذا الشاعر الذي اكتشفته لنفسى .. هي المنصورة ولد الفلاسفة لطفي السيد وعبد الرحمن بدوي وركي نجيب محمود والأبناء علي بلثا مبارك ومحمد حسين هيكل باشا وأحمد حسن الزيات ورشاد رشدي والشعراء علي محمود طه والهمشري وكامل الشماوي وصالح جودت وولدت أم كلثوم والموسيقار السباطي . ولدت أم الأستاذ العقاد .. هي هذه البيئة الثقافية كنت أسمع وأنا طفل كل اسماء الأبناء والشعراء . ولكن لم ينكر لي أحد اسم الشاعر محمود حسن إسماعيل ..

شيء عجيب . ولكنه شاعر معنار رغم أن أحدًا لا يذكره . بل إنني أحسنت أنه شاعري الحاضر ، فلما الذي أتحدى به الذين لا يحفظون إلا شعر شوقي وحافظ وعلي طه وغيرهم .. وعلي الرغم من أن محمود حسن إسماعيل قد أصدر دواوين أخرى : هكذا أغنى .. ولابد . وصوت من الغد .. وثنين المعز .. ولكني أراه شاعر ، الديوان الواحد ، فقد قال كل ما لديه في ديوان واحد . أما بقية الدواوين فهي متكررات نفسية أو بدعة الموسيقى . تمويجات على لحن واحد . أو رواءد لنهر واحد . به شاعر الكوخ الذي لم يبرحه |



وفي الشعر العالمي ، نجد كثيرين قد أودعوا كتبهم الأول كل ما لديهم من حكمه وملاؤا كتبهم الأول بالوعود . وليس من الضروري أن يفرأ بها بكفي أنهم وعدوا في عبارة جميلة . ولا يهمل كثيرًا شكل الوفاء بالوعود والأدب الرومانسي مليء بالتساؤلات ، بلا إجابة . وبالدهشة وبالأحلام

والزوى . بهم حالهم لم سوف يجوء ، ثم لا يحيى شيء . والله بهم هو  
مع الأحلام وموسيقاه . يقول محمود - حس يصف الكوخ

بعض عليه النعج ما صنعت  
في قلبك الأملح يا شاعر  
والمرق له الأجفان ، ما صمها  
برج الصنى ، والحزن يا ماهر  
صمت حوائشه على عبيد  
محاربة من قلعه دائر  
يبنى عليه نعمت جبع الدحي  
شبح الليالي يومها الصافر  
ربشكي بلواه رأد الصحنى  
حمامه المنزعم الذكور  
سماره في الليل أفعامه  
والنجم ، والتابع ، والطار  
بكى سوافى العقل أشجان  
وما بكاه مرة شاعرا  
والبلل الملاح فى ركبه  
عريلى يشكو صكة خائرا

واقرا ما يقوله عن رهرة القطر :  
حين ذاب الطل فى كاسلتها  
نولزا بجري على كف الشجاع  
لثمت حد الضحى ، وابتمعت  
كلبسم للطل فى عهد الرصاع  
وبنت صفراء تحكى غادة  
بنت نصرتها يوم الوداع

يا عروسا لم تزيينا بسد  
غير كف المبدع الفن ، للمصراع  
عقدت إكليلها من سوسن  
باهت الأوف ، تبرى العاص  
مستعار من ضنى العشق ، ومن  
لوعة الهجر ، ومن لون الوداع  
يسجد الشاعر من فتته  
سجدة الفن زها حمنا وراع  
عاشت طيف الضمى ، واكتأبت  
لأصل لاح مفروق الشعاع  
وربت للشمس بخبر سحرها  
بعد ما أدخل أهداس القلاع  
فكنت حاتبة الرأس لسي  
ترمق الغرب بمصر والتابع  
من صوفى تراهى خاشعا  
مطرق الرأس بمحارب القلاع !  
ذلك ناز التهل ! فانتب عنه  
أمل القلاع ، والجهد للمصراع  
بامت النعمة عنه ! وجعت  
معصا ، لم برعه فى مصر راع  
هرت ربح الأسى كسوته  
وطوت نعماده ديا الصراع  
رأس القصر على أكتافه  
وهوجات .. بين تل واقتناع  
وسطا البرز عليه ، ففدا  
رورقا فى أديم معطوم للشرع !  
لما الفلاحة حاملة الجرة تصفها :  
سارت إلى جندولها الدافق  
سير الكرى فى مقلة العاشق

وعرفت الشاعر محمود حسن إسماعيل في الجمعيات . وكان صديقا .  
وكنت أجد معة ، ويجد هو أيضا ، عندما ألقى شعره على مسمع منه .. وكان  
يطلب مني أن أمتني في ذلك ..

ومحمود حسن إسماعيل متشاقم بطبعه . وشعره حزين . وبنياه قليلة .  
وهو يشعر ، أنه لم يزل حظه من التقدير .. وكان يدفعه أن نواويه يشربها  
الكثير من الناس - إلا التقاد . وبعض قصائدها عماها محمد عبد الوهاب . ولكن  
قصائد أخرى لم يقول عليها المطربون والمطربات . ولم أجد نه حقا في هذا  
الغصيب .. شعره جميل ولكنه حزين قلتم الألوان حول محمود حسن  
إسماعيل : هي الغروب والشروق والزهرة والفرشات والطيور ، فإنه لم يكن  
يستخدم في رسمها إلا اللون الأسود القاتم والأسود الفاتح والرمادي .

وعندما نحن محمد عبد الوهاب أغنية للشاعر السوري برار فهدى لتغنيها  
بجاء الصميرة ، قال التقاد في الشاعر السوري هو أول من استخدم كلمة  
، الصنان ، في الشعر الحديث .. أي أنه شاعر يستخدم الكلمات الأجنبية ، ومع  
ذلك شعره جميل . وقابلني محمود حسن إسماعيل حزينا : ألم أظم قصيدة  
عن ، الصنان الأحمر ، ؟ وكنت قد نسيت ذلك . ونشرت قصيدة محمود حسن  
إسماعيل التي جاءت في ديوانه ، أعاني الكوخ ، يقول :

يا نكن بارا ، فما أنشئ حنودي في سحر  
أو تكن وردا ، فبالهفة روي لعبرك  
طرقت الهمهات يدي  
لوحمة خلف ستورك  
ولمعت روي طلوت  
ترتوي من فيض نورك  
تتصلي لمر بهبات  
موجة فوق غضبك  
لوحيلا من هراما  
ساحا طي صميرك !  
ليت يا ، صنان ، لصا  
لحت تره في حيرك !

كنت نرا نـــــــــــــــــابص الإحسان  
يجرى في قلبك !  
بأنهم الحسن وبهــــــــــــــــوى  
قلبا بين عــــــــــــــــورك  
ويقول في وصف المأفة :

ناحت .. فلا الزهر على عوده  
لقي عقود لطلل من جوده  
خمرساء ، لكن صونهما صخر  
بديب قلب الصخر من جده  
لها طنين النحل في قرة  
بهاء لم تنق على شهده  
لها عيون دأملت البكا  
بدمع كالليل في رفته  
تضي نصوص الناس من فمها  
ونعها باق على عوده  
ويزدهى الزهر إذا ما جرى  
سهلها صافى على غده

ثم وصف الثور الذي يجر هذه المأفة :  
نوبة الشكوى على راسه  
في النذل معجوع على جده  
دارت به البلوى ، مما راعه  
إلا ماء غال من رشده  
أصى .. رماء البيض في دله  
لم يثر نحن لخطو من بعده  
شدت حبال النذل في رأسه  
وهت صرف الدهر في كبده

والمسابق الأبله لا يشتكى  
 عن ضربه العاني وعن كيد  
 كبروا على أنفسه مورة  
 من قهوة للسيد على عبده  
 كأنه الدهر يزجي للورى  
 تسرا إلى مله عن وجهه

وكان الشاعر محمود حسن إسماعيل عبدا عاشقا لكل ما في هذا  
 الوجود .. وحاول أن ينظم في المساسة ، فصل صلاا بعدا . فقد كان مرعبا  
 على أن يقول .. وننك هانس أسقط كل الذى قلته في المساسة ، حتى لو تكررت  
 فيه كلمة الحرية ألف مرة .. فقبل هذه الكلمة جاءت أسماء وألفاظ .. وعلى  
 لرغم من جمال البناء وروعة الألوان ، فإنها كلها سقوشة على جدران سجن  
 حجم أرغم الشاعر على أن يدخله ولن يتغنى به .. لم يرغبه أحد . ولكن  
 الجو ، قد أرغمه على ذلك ..

لما شعره الصوفى فهو أيضا مثل شعره السيسى : دوح من الهرب ..  
 فاشاعر في الستينات قد تقنعت به المن ، ولم يعد قلدا على أن يمضى في  
 شعره الرومانسى يتغنى ويعتذب ويكسى شعرا جميلا ..

وهو يردد كثيرا ما قلته الشاعر حافظ إبراهيم يائسا من بلده ومن السعاد  
 ومن مهنة الأديب :

حطمت البراج فلا تمجى  
 وعنت الليبان فلا تعنى  
 فما أنت يا مصر دار الأديب  
 ولا أنت بالبلد الطيب

يقول محمود حسن إسماعيل :  
 ولّى على الدهر قلب يلس أبدا  
 لهان II يصرخ مضى من عوانيه

معنی : کلمہ رثت مواضع

بکیت ان عز فی شهر هواسمه

كُلُّهُ نِيَامٌ طَاعَتٌ بِعَزَائِهِ

سود للذخيرة قهاجت حزن مأسه

تسبحه عن نثار الدمع منتظم

والروح ثورة هم في أعاليه ؟

على الصبى حكى يا قلبى تموت نسي

فکیف لور شدت تحملاً فی ایالتہ ۱۲

و حاول محمود حسن اسماعيل كثيرا ان يردد هذه المعاني التي هي

عصيدة له عن ، الاتوثة ، ولكنه لم يبلغ هذه الروعة التي بلغها في شبابه يقول :

والجواب : ما يمكنه في الغالب

وَأَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ

ولا شغفوت جامعا قاغادوت

عمرنا مكانة بالحب

المجلس الأعلى للمعاشرة

ومن نور الساهر العذب

بواسطة من دون الشباب

والجملية العائقة المصطلح

**ويقول :**

أَبَا ظُرَيْبٍ ! قَهْلِي

حضر هنيئتك الشهيدة

أنباء، مرقا، العام،

وزیری

وَأَسْكَنْتُكُمْ رُوحًا فَخَرَقْتُمُ الْبُيُوتَ

روحى بكلمس الأبدية

قَالَ لَنْ نَقْرُبَ رُوبِ شَعْبِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمرة من هالة  
 السور بعديك روي  
 سمح الألام من دينا  
 بالأمسى زمني  
 وتيسر منى عرى  
 وأيامى المشية  
 ان طمان هانى  
 حمر عوبك الشهية  
 قبل ان نعرب روحى  
 فى محبات المنية !  
 ويقول فى وصف خصلة من شعرة الذهبى :  
 كم تعبت لو أنسى  
 بهن طيلتك ذرة  
 أهمل العطر لديها  
 وأناغى كل شعرة  
 وفى صدى وسادة ورومانسية وغصب يروى ما الذى أصاب فتاة بركت  
 الريف ثم ذهبت إلى المنية وراحت صحية . يقول :

وأما على نديا .. ما صنعت  
 بالحن فى كنف الصبا الفانى ؟  
 فتكت بمصمته !.. ولو عدلت  
 فتكت بقلب الأنم الجاسى !  
 فى الريف منح للورى زهرى  
 ومرى بطهرى فى معانيه  
 كحلهم للبستان ، لا أدرى  
 من مفره أوهى معانيه  
 عناء كم لسعت مشاقفا  
 فتبت حشاشة قلبه الدامى !



ولكم مررت بعابد لافى  
وصح الهدى بعافى السلى  
ونزلت فى بلد شهدت له  
قدس الحجاب ممزق المنزى  
مشت للصيلة من كواعبه  
مشى للذليل بريقة الأمر  
بمزيين والأجسام عارية  
نغرى بحسن القدر والقلبة  
فصحت مملوئين أردية  
كجائل للصيد .. سامية  
وشبابه ضالو .. قسراء  
من عيشه لهو وتجميل  
سلب الأثمنة من عذراء  
ومشى .. طوبه العار مندول  
وجرت على حصى المقابر  
فولفت فيها كنت أحشاء  
عبثت بعنتى القوارير  
ومجابهة للشكوى ونجواه  
سرق الأثيم قداسى ومضى ..  
ومضيت أندب حظى الكاوى  
هوى الأروم القبر لى عوضا  
عن خسة الدنيا ، ولوصابى ..  
فأبى الشراب لما يندمه  
من لوثة الآثام والعار  
فزلت .. ما أقضى وأرجمه  
ببيت القبور ، وعش لوزلى  
أفقر فيه لمن يملو منسى  
عرضى .. بما يلهم الطوى شبي

ويد تصافح من بكلمتى  
 ويد تصور القلب أن يفعا !  
 ورد جناء المرء من كفه  
 واستألف منه الروح للقلب  
 حتى إذا أصوع من شمه  
 لقاء ميتذلا على القرب  
 ويقال في حكم الهوى : مخطت !  
 ونعم ! ولكن من خداعكم  
 ولو لا أدى الإنسان ما حصلت  
 إثم الهوى عذراء .. وبحكم !

وكان كروح الشاعر محمود حسن إسماعيل قريبا من العقابر هي قرية  
 ، المعلقة .. واحدة من ألوان القرى المصرية الحربية الكثيفة . ولذلك  
 فالموت والنمى والفرمان واليوم معردات لا يمل تكرارها في كل فصلته  
 بعد ذلك .. يصف المروء يقول :

مات النهار وهذى الشمس جازعة  
 عليه تخطر في دامي الجلابيب  
 كأنها نمى ( خوفو ) مال منكنا  
 على سرير بنوب النور مخصوب  
 أهرامة الأفق ، يجرى فوق سطحه  
 على دم من عيون الشرق مكوب  
 ربات مصر نهابت كى تشبهه  
 بلاعج من أساها جد مشبوب !  
 ويقول في وصف النمى :

بأورق الموت ماذا  
 نهالك من دى الحياة  
 فرحت عيلان بجرى  
 لضجعة فى فلاء !

غادرت ذنوبك لم تحفل بصحتها  
 حول الركاب ، ولا بالمدح الجارى  
 يعيش الهتلر بكباد ممزقة  
 من الجوى نورحيل الموكب السارى  
 وللازامل صرخات لها منم  
 تحت الاصالح مشبوب من النار  
 لاحت مناديلهم السود حاضرة  
 كأنما فصلت من حالك القار  
 كأنها فى سماء الحزن أغربة  
 تنعى حبلك فى لهف ونذار  
 يا حامل النش لا تعجل .. فلن لسى  
 من حيرة الموت أعبى بطش أفكارى  
 هذا الذى ضاقت الدنيا بمطعمه  
 نصوبه كان منها عشر أشجار !!

★ ★ ★

ونسوى إن تـررت  
 فى عابرات العنـوف  
 جماعهم ليلته مـها  
 ومخـة الفـسوف

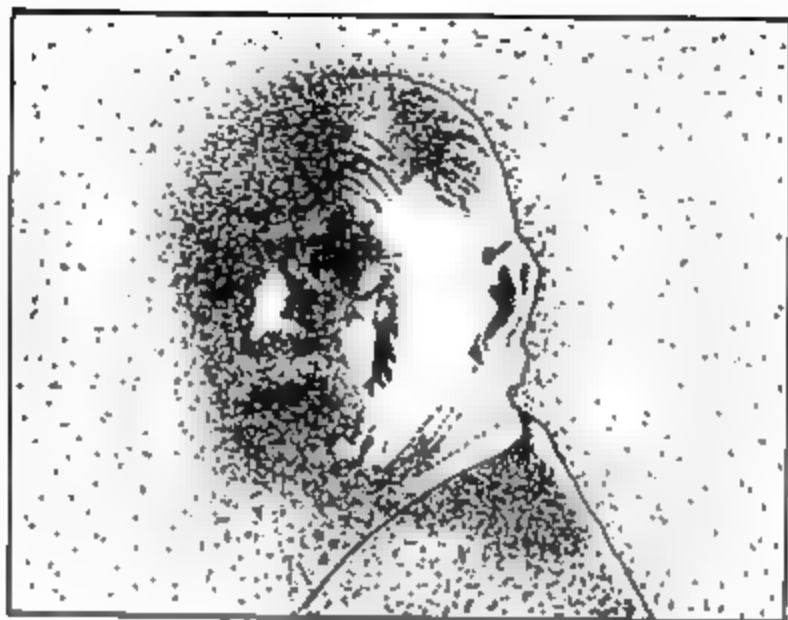
ولم أعرف فى أدبنا العربى الحديث شاعرا كان لديه الحساسية  
 النعوية مثل محمود حسن إسماعيل . ولا أدبيا مثل مصطفى صادق  
 الرافعى .. حتى لقد نهيت أول الأمر أن الشاعر قد تأثر بالأدب العالم  
 الشاعر الرافعى .. ولكن أغلب الظن أنهما يشترسان من ماء واحد .. ومن  
 الماء كل شيء حى ، رهرة القطن ورهرة البصيص .. ومنه شجرة التفاح  
 وشجرة الصبار .

والرجلان عاشقان لجمال الطبيعة ، وعاشقان لعفوية اللغة  
 العربية ..

ومحمود حسن اسماعيل يعناز شعره بالصورة الرقيقة الشديدة البعيد  
بصا ولكنه ينفجر بالشعر أو يفيض بالمعنى .. يتدفق بالخيال .. وحتى  
عندما يتكلم محمود حسن اسماعيل فهو بهنر .. فيجسمه التحديق السحيق  
' يخوى على يحمل هذه المعاني التي تهبط عليه .. أو التي تقراحم في  
منه . ولذلك كانت عباراته منقطعة ، ومعانيه صريحة . ولو أراد أن  
يكون سهل العبارة فإنه لا يستطيع . والشعر لا يسلب منه كما ينساب  
ماء من الحنفية ، أو كما يترن المطر من السماء .. وإنما هو أمواج  
، هدير وعواصف .. وهو قادر بموهبته العظيمة على أن يجعل لها هذه  
الموسيقى القوية المزيّنة ..

وليس لمحمود حسن اسماعيل قصة .. إنه شاعر يتعشى . ثم يلتفت  
حزبه ينظر إلى عيون الذين يسمعون .. ومع الأسف الشديد لم يجد  
كثيرين يبهزهم هذا الذي قال وهذا الذي أبدع ..

وهكذا انصدم محمود حسن اسماعيل إلى عدد من الشعراء الذين مروا  
بمالم لا تب . لم يلتفت إليهم أحد . ولابد أنه في تلك مثل الشاعر  
محمود حسن علي أحمد باكثير : فقد كان أنبيا مفكرا شاعرا ومؤلفا مسرحيا  
رائدا للشعر الحر أيضا . ولا صدق له !



موم: واحد من المعظماء

## موم : واحد من الفقهاء

إن احتفظت بهذه العبارة وأنت تقرأ هذا المقال كان من الممهل عليك أن تعرف من هو هذا الأديب العالمي الإنجليزي سومرست موم . للعبارة : أروع ما في العبارة : حرية القول وحرية العمل .

وهو نموذج لما تفعله القسوة الاجتماعية في طفل شديد الحساسية . أي ما تفعله النار والجلبد بلوح الزجاج الشعاع الرفيق .

أبوه كان معير بريطانيا في فرنسا . فهو ولد في فرنسا . وكانت اللغة الفرنسية هي لغته الأولى . وبويعت أمه وهو في الثانية من العمر . ولجوه توفي بعد ذلك بثلاث سنوات . فانتقل إلى لندن ليكفله عمه . وهو من رجال الدين المنزمتين . أي انتقل من باريس إلى القسيس .

وأصبحت نباه جالية تماماً من العطف والحنان والأصدقاء . ولم يستطيع موم الصغير أن يعترف لعمه بأنه يريد أن يتفرغ للقراءة والكتابة وأنه لا يريد أن يكمل تعليمه . واشتغل عنه عنه تعلماً . ورأى أن يبعث به إلى ألمانيا . وسافر إلى ألمانيا . وكان على حريته تعلماً . وعرف أشكالاً وفلوانا من العلاقات الجنسية .. العادية والشاذة . وكان يميل إلى غير العادية .

وبعد سنوات عاد إلى بريطانيا . وقرر عمه أن يدخله كلية الطب . وتخل وخرج طبيباً . ولكنه قرر في نفس الوقت أن يكون أدبياً . وفي الثالثة والعشرين من عمره ظهر له أول عمل أدبي .

وبعد عشر سنوات كانت له أربع مسرحيات على مسارح لندن . وأصبح ظاهرة أدبية . وتوالت قصصه القصيرة ورواياته ، ولم تعرف اللغة الإنجليزية أدبياً له هذه الشعبية بعد الروائي العظيم تشارلز ديكنز .

وهذا حوار حاسف بينه وبين عمه القصيص كس كاهيا لأن يفترق الرجلان .  
فلا يرى أحدهما الآخر .. حتى الموت - موتهما :

- قال القصيص : إنك لا تذهب إلى الكنيسة .

- قال ابن الأخ . وأنت لا تذهب إلى المكتبات العلمية

- قال القصيص : وأين تذهب من الله ؟

وأنت أير تذهب من البشر !

- لماذا لا تتزوج ؟

- لو وجدت شابا مناسباً لتزوجته .

- تقول شاب مناسب ؟

- إنني أفرح معك .

- وهل يفرح مع من هو في مثل سبي ومكاني ، بهذه الصورة الذميمة ؟

- المراح لندي يبحث على الصبيك هو الذي يكون بابا .

- ما كان من الواجب أن يموت أبوك في هذه السن المبكرة .. فماتزال في

حاجة إلى رعايته !

- كنت أحتاج إلى رعايته لأكون في غنى عن رعايتك !

واندفع القصيص ووراءه الباب وخرج ولم يعد - بل لا أحد قد عاد بعد ذلك : لا موم الصغير ولا عمه . وانقطعت هذه العلاقة . وسافر موم إلى فرنسا بشغل بين أركان الأرض .. هانا غنيا شديدة الجسدية واسع العيال . لديه هذه القدرة الهائلة على أن يلتهم أعقد المشاكل ، وأن يحولها إلى حيوط حديدية معقدة . فأتت نقرأ ما كتبه عن الهند وآسيا والديانات القديمة ، ونسمع في سطورها ، سمع الكهان ، ويخيل إليه أنه راهب عربي وأنه حالي الجوف حتى يكون لكلماته رنين في أعماقه . كيف ؟ هذه ميرته العظمى .

وهو يصف نفسه قائلا : جلست طويلا .. وتناقلت الكتب من يدي كأوراق الشجر . أي أنه هرا كثيرا من الكتب الواحد بعد الآخر . وكان من عادته إذا قرأ كتابا ألقي به على الأرض .. وكان يجد متعة في أن يرى الكتب قد اهنشت غرف العيلا الأنيفة التي كان يملكها على ساحل الريفيرا العرسية .

وعلى الرغم من أنه كان يجد لغة كبرى هي أن يتكلم - فهو يتكلم لكن يفكر أيضا . وعظم أعماله الأدبية هي التي رواها مرة ومرة لرواية ، فهو لا يروى ، ولكنه ينهياً للكتابة . هذا كان يتعلم في المطلق . وقد أنصبه ، الثاني ، بسبب اضطرابه النفسية ومنازعه مع عمه ومع الظروف الاجتماعية القاسية .. وشعوره العميق بالحجل .. وتحدث الناس عن ذلك . وبعمق لديه الشعور بالحجل ودفعه الحجل إلى المجز عن الكلام . والاضطراب النفسي وتعلم لسانه وحركته أيضا .

وكان عنها جدا وبحلا جدا أيضا وهو الذي يقول . إن الطوبى مثل الحسنة السائبة ، لا غنى لها عن بنية العواص الحسنة

ويقول . أن تدعو إنسانا إلى بيتك ، وأن تدعوه إلى العشاء وأن تحدثه عن تجربتك في الحياة والفكر ، كيف لا تستحق الأجر عن كل ذلك ؟!

وهذا الرجل الحجول جدا الهادي جدا . رجل شجاع جدا . هذا سقطت به سيارة . وتحطمت وحرج منها ينص التراب والهباب فسأله إن كان محمورا ؟ فاجاب : لا . سأله إن كان قد نال شيئا محترا ؟ وكان رده : لا . إن كيف لم يضطرب .. كيف لم يقلق ؟ لا شيء .. وإنما خرجت منه هذه العبارة : الموت كالإمساك ، من ضمن مناعب الجسد .. فلماذا الحوف ؟

وهو لم يخف من الموت . وإنما هو صعب حسابه مع كل مناعب الحياة . واستعد لاستقبالها لأنها هنر ، ولأنه لابد أن يجد ما يكتفيه !

وهي حياته غراميات سائبة معروفة . فهو أحب أينة العليموف الروسي الفوسوى كروبياكنين . وكان لاجئا في لندن . وتقدم للزواج منها فرفضت . وعرف فتاة يهودية ، روجة لرجل على جدا . وكان زوجها العليموفير ولكوم بيعت وراءها بمن ينقصي أخبارها . وعرف أنها على علاقه بالأديب موم . ففكرها على الإطلاق .

وكانت هذه الزوجة ممتنجا لمن لا يحب أن يتزوجها الأديب أو الفنان : عالمها محدود لا يشعلها شيء إلا الأكل والشرب والصيوف . وهي لا تعرف بالصحط ، هو عمه . ما هو مهم . ما الذي يستطيع أن تعلمه له . أن قوله . إنها إذا أصابت مصيوبا هي غرفة النوم . وإذا بلغت غلايد أن يكون في أحسنها .. فهي لا سبق أن تراء بكتب . ولا يطيع أن تمام وحدها .



كان يصنعها هيول : إنها شهية معوجة . شباب وحيوية .. وهراغ شديد !  
ولما وجدت الإبنة البرابيث أن والدها يسرق في الإبتلاق على الشبان في  
جميع أنحاء العالم ، رفعت أمرها إلى القضاء . وكان الأب موم قد حرمها من  
الميراث وأنكر بنوبها ، وبسبب شبا أمريكيا .. وحكمت لها المحكمة . فألقى  
الأب موم بنوته لهذا الشاب !

وفي إحدى روايات موم بصفت هذا الذي بيته وبني إبنته هيول ، هيها كثير  
من الفبة مني ومن أمها . وهي مثل أمها تصب الزواج . وهي مثلك من  
الإبنين . لا يطبق أحدا الآخر .. وكما لها أسوأ إبنة ، فسوف تكون أسوأ  
روجة . وإذا كنت لا أعرف كيف جمعت عالي ، فهي تعرف كيف تبده ..  
وإذا كان عمرى قد طال ، فلم بعد عى وقت للنم ، سوف يطول عمرها  
لتستمتع بكل ما تركت لها .. هي حافدة على ، ولنا أكثر !



كان ذلك في سنة ١٩٥٤ وكان سومرست موم قد بلغ الثمانين من عمره .  
ولم تكن أعرف ذلك . وإنما فقط وجدت إحدى المجلات السنائية نحتف بعيد  
ميلاد الكاتب العالمي . وقرأت المقال . ووجدت شيئا غريبا . كان غريبا في  
ذلك الوقت عند كنت في العشرينات من عمرى ، حديث العهد بأشياء كثيرة .  
أما هذا الشيء الذى أدهشنى فهو أن الأديب موم كان يعمل جاسوسا لهلانه في  
سويسرا وفي روسيا . ووجدت أنه هو الذى يقول ذلك . وقرأت العبارة ولم  
أجد علامة استفهام أو علامة تعجب . شيء غريب ألا يحتدر عن ذلك ، لو ألا  
بنوقع استنكارا من أحد القراء !

وهجأة نشرت وكالات الأنباء أن الأديب موم في طريقه إلى القاهرة . وجاء  
ونزل في فندق سميراميس . واتصلت بليونيا . ورنيت سكرتيرته . وطلعت  
لها بصى على أننى أديب شاب ، ومن أشد الناس إعجابا بالكاتب الكبير .

أما أننى أديب شاب فصحيح ، أما أننى من أشد المعجبين به فليس صحيحا .  
فلم تكن أعرفه جيدا . ولم أقرأ حتى ذلك الحين إلا كتيبه الرائع : عشرة  
روائيين . احترزم كأحسن مؤلفي الرواية في الأدب العالمي وهم : بولستوى

في روايته « الحرب والسلام » و« بنو فيسكي » في روايته « الإخوة كراماروف »  
وفلوبير في روايته « مدام بوغاري » و« بلاك » في روايته « الأب جوريو »  
واستدال في روايته « الأحمر والأسود » وسرفانسن في روايته « نور  
كهوته » .

وفكرت في ترجمة هذا الكتاب . وجلست أنقل المعجمة وفوجئت بأدب آخر  
قد أعلن أنه شرع في ذلك . وأنه بلغ نصف الكتاب . فتوقفت . وسارعت أقرأ  
عن سويرست موم في الكتب التي عندي . وتجمع لدى قدر كبير من المعلومات  
عن الرجل وأعماله .

ـ وفالت لي السكرتيرة : ولكنه مريض .

ـ قلت : إن أراءه . وأنظ صورة معه ، وأكون عظيم الامتنان

ولحظات من الصمت . لأبد أنها كانت تتحدث إليه في ذلك . ثم عادت  
تقول : غدا في الثانية عشرة !

لله إذن أول أدب عالمي ألقاه . لقد ذهبت إلى بيوت أدباء وشعراء عالميين  
كثيرين ، ولكن لم أر منهم واحدا . رأيت بيت وقبر الشاعر الإيطالي دانتي .  
ورأيت بيت الفيلسوف الإيطالي كروغشه . وكان لي حديث مع ابنه في نابلي ،  
ورأيت بيت الشاعر الألماني جيته في فرانكفورت ورأيت بيت الفيلسوف  
الألماني هيجل في تيوبينج . وبعديت في المطعم الذي كان بيتا للشاعر الألماني  
هيني ، ورأيت البيت المصمم الذي أقام فيه الشاعر الألماني هيلدرلين على  
بهر السالراح . أقام فيه أربعين عاما . ثم دخل مستشفى الأمراض العقلية  
أربعين عاما أخرى . ورأيت البيت الذي أقام فيه الشاعر هيجو . والفهي الذي  
جلس عليه وإليه وفيه الفيلسوف الفريسي سارتر وصديقه سيمون دي بوفوار  
ورأيت عن بعد ، ولم أجد في وجهه وعيبيه المتعاصمين ، كل واحد نظر  
إلى نحيه ، وقامته القصيرة جدا لم أجد روعة العبارة والإبتاعات الفكرية التي  
أجدها في روايته وكتبه .

إن هذا هو لقاء مع شخصية عالمية .. أنا أراء عظيم . ولا أعرف كيف  
تخلت إلى غرفة بومه . ولكن جاءت فتاة رشيقة جميلة لامعة نصائحني .

وعول لي انه مريض .. وهو قد أسعده أن يرى أنبا شام من مصر .  
قلت : شكرا لك .. وله .

وتفتمني ووجدت الأديب موم .. دعني أصغه لك

انه مكوم في معدن كبير الوحة مكرمش والصبار مرهقت . حفيف شعر  
الزأني كبير الدق . معطوط الشفتين . وقد ملأ العيش وجهه ويديه  
المرنعتين .. مد يده فصاحبه . وشكره . وكأنه كان يتوقع مني كل ذلك .  
وقلت له . اشكرك سيدي الكاتب العظيم على أنك وافقت على هذا اللقاء . فأنت  
أول أديب عظيم أقبلته في حياتي .

ثم حاولت أن أبدو كبيرا في نظره .. أي ان أصيف إلى نفسي شبر في  
الطول ، وشبرا آخر في العرض . وأعلو على الأرض شبرا تلك هطت : إسبي  
شافد الانبي لأكبر صحيفه في العالم العربي .. وان تخصصت في الفلسفة  
الرجسية وأقوم بتدريسها في الجامعة . ولكن هوايي وحزبي لأديب .  
وكنت أعظم الشعر ، ونم أمص في تلك طويلا . وكان والذي شاعر .. الخ  
ولا أظن أن شيئا من رد الفعل قد بدا على وجه الرجل . فمن أكون ان في  
ديناه ؟؟

ونظرت عباءة نطلمس ناحيتي وسنطراي السؤال أو التهنيت من هذه  
المنقلة . وجاء وجنب المراسله قلت . سيدي الأستاذ الكبير لقد قرأت في مجلة  
المرأة اليوم ، البريطانيه أنك كنت حاسوسا في الحزب العلميه لأوسي فكيف  
ذلك ؟

وكأنني لم أقل شيئا أو عندما قلت خرج الهواء من فمي وصاغت  
الحروف وباهت الكلمات وبارى المعنى حجلا . نظر سحبي كانه يريدني  
أن أوصح بصي .. وحاولت مرة اخرى .

ولابد أن هذا السؤال قد أعطاه الحجم الحففي لافتكاري ، والورس السقيق  
لعمني عسه فتحرك وجهه قليلا .. وصرخت فيما بعد أن هذه أجسمه ساحرة .  
وقال : .. ( هذه البسط للدلالة على التأن ، ولنه لم يطق بعد ) أنت  
صغير .

بصوت أنبي شام

ثم قال : هل إذا كل الطاعون في بلاد من البلاد ، وإرانت بولند أن تعرف ما هو فهل تبعت لذلك محاميا أو مدرسا .

قلت : تبعت طبيبيا .

قال : أصبت . وهل إذا كانت هناك مصلحات في الهند أغرق البيوت والمرارح وأهلك الحيوانات فهل حكومتك تبعت بموسيقار أو قارئ كف ؟

قلت : تبعت بمهندس زراعي .

قال : أصبت . إذن لو إرانت حكومتي أن تبعت بمن يجمع لها المعلومات ويعين لها آرائ العام ويحلل تلك ويهديها لاتحاد القرار ، فهل تبعت بمهندس زراعي أو طبيب . لآنك أنها سوف تبعت بأديب . وقد حدث .. قد كنا جيود في خدمة الوطن ، وهو كلام مطلق تماما .

ثم عاد يقول : إذا كان شعب من الشعوب يرى أن هناك ما هو أهم من الحرية سوف يهدمها .. ونحن كنا نعمل من أجل تحرير أنفسنا وعالمنا من الإرهاب والطغيان !

ورأيت في نظريته الثابتة وقلقه الهادي وحركه السكرتيرة بالقرب مني ما يدعو إلى أن أنهم . فقلت : سوال أخير من هملك !

وكان صمته وهدوؤه دليلا على المواضع . هلت : هل قرأت شيئا للعقاد .

لا .

أو لقوفيق الحكيم الذي ترجمت أعماله إلى لغات كثيرة .

لا .

إذن لابد أنك قرأت عمله حسين الذي ترجمت بعض مؤلفاته إلى اللغة الفرنسية التي هي لغتك الأولى .

لا .

إذن ما الذي قرأته في الأترب العربي الحديث ؟

ألف ليلة وليلة ، 11

وشكرته . واعتذرت له . وشكرت السكرتيرة وكل من الواجب أن أعطي الحديث معها :

ولكنى لم أفعل . وفكرت فى أن أعود إليها أستوضحها . ولكن لم أكن صادقة  
فى هذه الرغبة . ولذلك عدلت ونزلت . وجلست لأكتب . وكنتبت . وبشرت .  
وبعد يومين فوجدت بمقال لثلاثاء العقاد بها جمعى بقصوة . وأدهشنى أنه  
يفعل ذلك ، مع واحد متكى .. أى واحد من أشد المعجبين به والمرددين على  
مسأله يانتظام عشر سنوات .

وكان مقال العقاد صدمة . فهو قد أساء فهمى . وهو لم يجد لى عذرا . فهو  
قد هاجم سومرست موم . وقال : إذا نظر شخص إلى الشمس ولم يرها ، فليس  
معنى ذلك أن الشمس ليست هناك . وإنما هو أعمى !  
أى أن موم هو الأعمى وهو الجاهل بالأدب المصرى الحديث . والمريب فيه  
هو ، وليس فى أدباء مصر !

هذا ممكن . ولكن الذى قاله على هو الذى أدهشنى . فهو قال أنى نعمت  
أن أسأله هذا السؤال بالذات ، لكى أهيئ العقاد ، ولكى أؤكد للقراء ، أنه  
لا يتجاوز حدود البحر أو مصر أو العالم العربى . وأنسى لابد أن أكون قد  
تأثرت بما يقوله تومى الحكيم وطه حسين ومحمود تيمور وغيرهم !  
ولم يخطر على بالى شيء من كل ذلك . وكل ما حدث هو أن الرجل لم  
يقرا إلا ، ألف ليلة وليلة ، التى ترجمها إلى اللغة الإنجليزية المستشرق  
المعروف رينشارد برتون .. ثم إنه ليس من كتب العقاد واحد قد ترجم إلى  
اللغة الإنجليزية ، وإذا كانت كتب الحكيم وطه حسين وتيمور قد ترجمت إلى  
أربعة لغة ، فإنه لم يقرأها .. كما لم يقرأ أدباء كثيرين فى العالم كله !



وشعرت فى أعماقى بامتنان عظيم للأديب العالمى سومرست موم ، فقد أثار  
العقاد ليكتب مقالا يهرى ، فلم أكن أتصور أن العقاد هكذا عصبى .. أو هكذا  
معمور ، وأننى استطعت بكبريائه ، وأن المقاد هكذا ليست لديه أبوة ، وأن  
العقاد الذى يبدو منطقيا ليس كذلك إذا كتبت القصيدة هى : عطمة العقاد ،  
وأنا ، وأى أحد ، لا يسلمى عنده شيئا .. إن العقاد عندما يجلس إلىنا ، فليس

لأننا سألوا شينا . فل لانه لا يحب أن ينكم وحده . وإنما على مسمع من  
بناش . فمن مجرد أن ' ميكر و هو كانت ' انداء معه ، هذا صحيح . ولكنه  
ليس ، معاً ، ولا مع واحد منا ؟

وأقبلت على روايات سوعرست موم أفروها ، سبانا له ، وإعجابا بهذه  
الموهبة الأدبية العظيمة

وحدث بعد ذلك أن أهدى أعماما لهذا اللقاء . ولكن لم أطلع بهر ليس  
لأديب المودجى الذى أحبه . ولكنه ، أحد من العظماء !



## كامل الشناوى : شاعر الشظايا

## كامل الشناوى : شاعر الشناويا

لم أر البهاء زهير وحافظ ابراهيم وعبد العزيز البشرى وإمام العبد  
وعبد الحميد الديب ، ولكنى رأيت وسمعت وأحببت كامل الشناوى ..  
لم أعرفه شاعرا ولا محدثا قريبا .. ولكن الصدفة جعلتني أعرفه  
صحفيا - أهون ما فيه ..

لقد كان كامل الشناوى محدثا ممتعا .. تعرفه لحظة واحدة ، فكانك  
عرفته طول حياتك .. هو الذى يختصر المسافة ويدخل فى حياتك .. فى  
عقلك وقلبك .. فإذا به جزء منك وأنت جزء منه .. هو ضرورى لك ، وأنت  
ضرورى له - هو يعطيك هذا الاحساس ..

ومع كامل الشناوى لا تملك إلا أن تحبه جدا أو تحبه بحساب ..  
أو تحبه على حذر .. ولكن أنت تحبه .. أما حبه لك فهو ، جاهز ، موجود  
دائما . سواء عرفته يوما أو ألف يوم .  
عرفت كامل للشناوى سنة ١٩٥٠ ..

وعملت معه محررا فى ، للحرية المسائية ، التى عاشت ٤٤ يوما . وبعدها  
انتقلنا معا إلى ، الأهرام ، وإلى مجلة ، النداء ، وعندما ترك الأهرام ذهبنا  
معه إلى ، أخبار اليوم ، ونسونا أن نقدم استقالتنا أو شكرنا للأهرام . فعلنا  
ذلك فيما بعد - فقد كان يكفى أن يتكلمنا كامل الشناوى لنكون معه  
أو وراءه .. إنه كامل الشناوى . صديقك وأخوك الأكبر المتحدث بلسانك .

هو الذى يحدد لك للمرتب ، وهو الذى يطلب لنا الإجازة والعلاوة ..  
وأنا وغيرى وكثيرون يدينون له بكثير من الفضل - تشجيعه الأسمى فى  
كل وقت ..



وأنا لم أر كامل الشدوى طائفاً أرهياً . لم أره بالعمامة .. بعض الزملاء عرفوه ورملوه ورأوا شخصيه قلقة في الجبة والمعطران أما نحن فقد رأيناها أكثر قلقة في الحلكة والبطلون . وشد قلقة في الحجاب . وكان يبدى بكل كثير ، ويشرب كثيراً ويبلغ طويلاً ويصغر طولاً . كل شيء عنده بأسرف يشرب القهوة طوال النهار ، ويبلغ كميات من الحبوب المبرومة يقضي على معمول القهوة .. فإذا صبحا من دومة راح يصب القهوة ليريل أثر المصوبات . فهو - هكذا - يصحو بالقوة وييام بالقوة .. وهو مشدود دائم إلى البقطة التي يحبها والنوم الذي يحبه .

وكل لحظة عنده هي لحظة نقطة ولحظة نوم أبداً .. بعد بدم بعين وأنت نتحدث إليه ، ويصحو تماماً بعد لحظات . إنه يقف على حافة سيف يقضي بين عالم النور وعالم البقطة .. وهو وهذه القادر علم أن يحقق هذه المعجزة اليومية .

وكان أيضاً في ملابسه فهو يرتدي أحدث القمصان والكراوات ، وفي جيبه أهم الولايات .. وكل ما يملكه كامل الشدوى من الممكن أن يهنيه لأي حد في أي وقت . وهو حريص على العملات النورانية الجديدة . والأفلام الباركر الذهبية التي لم يكن أحد يعرفها .. وكان يكتب على ورق صغير .. وكان خطه رديداً .. وكان يستطيع أن يكتب وسط الصبح ، وكان يصب في الكناية ، شراً أو شعراً — بل كان شاعري التعبير دائماً ، أتيق العبارة النورية فخم التراكيب الشعرية ..

وهو مثل كل الشعراء الذين ينظمون قليلاً ، لا يعرف له معنويات .. فلا يعرف أين بدأ ولا كيف ؟ فهو من أسرة من علماء الأهرام . وكان المضر له أن يكون واحداً منهم . ولكن روحه انفعه وموهبته الإبداعية ، وحفة نعه ، ورجعة الناس حوله وحرصه على أن يكون حديث الناس ، وأن يكون الناس حديثه ، جعله ينحى إلى العمل الأنسي والصحفي . ثم الصحفي والفني والإذاعي والغنائي ..

وأنا لا أنسق الكثير مما يقوله الشعراء . لأنهم يعنون بالحب واليهوس ، ويجدون لغة في ذلك . ولو حاولت أن بعد ينك لوأحد منهم فيه بر بطوعك . وسوف يصحح منك . لأن الشاعر لا يريد علاج لعداياه . من عدايه

هو العلاج . ونفازوه هو الشفاء . ولذلك قلنا أضيق كامل الشاوى ألف مره  
عندما يقول :

أنا عمر بلا شباب !!  
وحياة بلا ربيع !!  
أشقى الحب بالمصائب  
أشربه فمن يبيع ؟!

ويتردد هذا المعنى فى كل قصائده القليلة القصيرة ، وهو الحبط الذهبى  
فى تأملاته النظرية . وإذا عرفته عن قرب . أيقنت أنه لم يقل إلا الحق وكل  
الحق ولا شيء إلا الحق ..

وكان يرعها بالسهل الطويل . وكان يعصب إذا نحن تركناه وحده أى  
تركناه مع عشرين آخرين . فهو حريص علينا جميعا .. ينتقل بنا من مطعم  
إلى فندق إلى كباريه إلى بيت أحد العائين : من عهد الوهاب وعبد الحليم حافظ  
أو فريد الأطرش أو غيرهم من الفنانين والممثلين الكثرين . ولكنه يعصر أن  
يكون على راحته فى أى مكان آخر ..

فيكون هو المتحدث الوحيد .. أو يكون هو الساهر الأوحده .. ويكون  
صحباؤه واحدا من . أو نحن جميعا .. وكان يعيش الليالى الطويله بالمقابل الذى  
هى حديث المنبهه .

هى إحدى الليالى كان موعدا أن يساوى العشاء فى بيت محمد عبد  
الوهاب ، ونوهت السيارات عند أحد المحلات . وبرل كامل الشاوى وأشقى  
لنا جميع غلب سحائر صغيرة . وبعد العشاء تحدث كامل الشاوى عن انعدام  
الشخصية عند الشباب وضرب مثلا لذلك : إنا نحن نوعا واحدا من  
السحائر .. مع أن هناك ألف سحائر !

ويظل يصحك ويصحك . وفى اليوم التالى سجدت العفان ..



وكامل الشاوى هو الذى أحيا ليالى هيلتون . كاضيريا هيلتون .. ههه كانت

هذه الكافور هي العزفة الوحيدة المصنوعة ٢٤ مداعة ، واجهت جميع قديم مصر التي هذه العزفة حدثت عن بعض مداع ، من بعدد المداعمة اللاتي يعملن جرداً ، ويتفاهنن بحسب كبير ، مد حشيش قد رويهن ، على الصفح يندب عن ثروته اجمعه التي بعد ما يصفه عنها ، تكونت  
و يعرف قد لعبت هي على صدر خد صحت مد بين لتي بر جه ،  
ذلك ..

و عامل في الكافور مكان و انور بعد ، و حدم و من كل سبب و كمر  
سجوى هو صناد الليلي و عمار ه المحبط  
عنه فده لها عبال جمنس فكان يقول لها عيبك توجمني  
و لم يجه انه ه المعنى فكنت تقول به ، ففسد المعنى انجمن ايها  
عيني انا و لابد ان توجمني انا ..

فيعول لها : و لكنها توجمني أكثر !  
فلا يفهم هرد عنها ان به سبحانه و تعالى و صم كل عطمة في عيبك  
و لم يترك الى رسك عدلاً بفهم هذه حكمه  
و لكنها لم تفهم ..

يقول كامل للشاوي مرة أخرى :

مرت بما كالطيف تسألنا  
ما زبد ، قلب بالصف  
و صب بسماني عن حده  
عم ارسه ففتها نت "



عصيب و ألق بطرزة رعت  
قلبي و شذبه التي فها  
بأنه عني بفتها  
بأنه بسماني في عها  
مرت ارسه ، عيب لها

هل تعرفين .. ومن أكون أنا ؟  
أنا يا صبيبة شاعر هرم  
قد جاء بمنوحى الشهاب هنا ... !!



أريد الهامة جديدة  
بمدر ما أنظم القصيدة



هاقرا ناظرهما ومبسمهما  
وهسيدتى ما زلت أنظمها  
.. وأظل طول العمر أنظمها !!

حتى الأستاذ العقاد للجاد الصارم كتب عن كاهنينا هيلتون التى غيرت  
وجه الحياة النيلية فى مصر ..

وكان كامل الشماوى يتندر قائلا : إن أول مكالمة تلعبونها بين الرئيس  
السوهايى والرئيس المصرى قد تمت بشأن هذه الفتاة الجميلة .. فقد وجد رواد  
العصاة السوهايت صعوبة فى الهبوط إلى الأرض .. فطلب إلى الرئيس عبد  
الناصر .. أن يمتأن هذه العصاة فنظر إلى السماء .. وعلى صرعه عينها مبط  
رواد العصاة إلى الأرض سالمين !

وكان يقول عنها : من شدة أدبها إذا فتحت درج مكتبها ، فإنها تدق عليه  
أولا !

وكان يشغلها ويشغل كثيرا بكل وجه جديد .. وحب جديد .. وكامل  
الشماوى كان شاعرا طول الوقت ، صحفيا بعض الوقت ، سياسيا نادرا .. فهو  
رومانسى مفرود ..

ونحن نعرف كل اللاتى أحبهن كامل الشماوى ، ولكننا لم نناقش فى ذلك  
لوقت هل واحدة سهو هى وزن وجمال وروعة الذى قال ؟

هل نجاء الصعيرة ، وقايرة أحمد ومور الهدى ؟

إن أحدا لا يسأل للشاعر من هي التي أحبها ، ولا ما لضمها ورمحها ؟

أو هل متبعة يسرى هي جمال الشعر الذي قلته العقاد . أو ، هي ريادة ،

في روعة ما أبدع مصطفى صادق الرافعي نثرا وشعرا .

لكن التي أحبها العقاد وحله حسين ولطفى للميد وسلامة موسى وجبران

حليل جبران ومصطفى عبد الرزاق ومحمد عبد القادر حمزة . لا أظن في

ريادة هذه الشعراء الفلسطينيين السورية اللبنانية الاوربية جملة إلى هذا الحد

الذي يسهر أكبر عقول زمانها ، ولكنها وحدها تعبت بهم وتخلت مستغنى

، العصورية ، للأمراس العقلية في لبنان .

ولا كانت لولي العامرية ولا نوقة ونمسور ولا إيعا بيزون عشيقه وروجة

رئيس الأرجنتين ثم رئيسة الأرجنتين .. ولم ير واحد مما شئت واحدا مما وصفه

الشعراء :

ولا رأينا الأنصار التي يصنعونها .. ولا الجبال ولا الأنهار .. ولا الأسود ابتداء

من الشاعر عنزة العيسى حتى الشاعر شوقي أمير الشعر ..

ولا يصح أن تطلب إلى الشعراء أن يفتنوا لنا صور معشوقاتهم . فمن

يطلب منهم المنجمل . فالمعشوقة من صمعه ومن حيلته .. هو يصنعها

ويتعذب بها ويعبدها .. وإذا رآها في الطريق ، هل يعرفها .. لقد عاينها في

خبله . ولكنه لم يجلس إليها ، لا أكل ولا شرب ولا نام . وإنما هو معها صما

ثم حر ساجدا لها .. وهو في الحقيقة عاشق لاهه ، ساجد لنفسه ..

يقول جميلا جدا كامل الشناوي :

كومي كما نعيم .

لكن إن تكومي .. !!

فأنا صحتك من هواي ، ومن جنوني .. !!

ولقد برقت من الهوى ومن الجنون !!

أما أنه صنعها ، فهذا صحيح .. وأما أنه قد شعر بعد ذلك فليس صحيحا .

لأن الشاعر لا يريد أن يبرأ من الشعر أي يكون بريئا من بهمة الشعر ، وأن

يشفي عذابه أيضا I

وبقول كامل الشناوي أيضا :

فرأيت أنك كنت لي قيدا  
حرصت العمر ألا أكسره  
فكسره !

إن كان الحبيب نبيا ، فإنه لا يطلب من الله أن يعفو له هذا الذنب .. ولكن  
المحبوبة عفرت ذنبه .. وهذا نتيب وجريمة ، لن يعفوها !  
وأنا لا أصدق كامل التنازلي حينما يقول ويمجد ويريد هذا المعنى .  
دمرتني لأنسى

كنت يوما أحبها  
والى الآن لم ير  
نابها فبك حبها !!  
لست قلبي لها إن !!  
إنما أتت قلبها !!



..لأنه ما يرال وموت يبقى بحبها ، ويحب العذاب من أجلها .. ولا أصدق  
أيضا حين يقول :

لست أشكو منك  
فلشكوى عذاب الأبرياء !!  
وهي قد ترسف المرة فيه والإياء !!  
أنا لا أشكو

هي الشكوى انحناء !!  
وأنا بمن عروقي كبرياء !!  
جرأني ولست ولا أعرف أين ؟  
بسمتي ضاعت ونمي أين !!

..الهنوى حيلان دالى الوجيبى ا  
وحيبى لك مكثوف اليبين ! أنا لا أنكر .

..هى التكرى لنعاء  
وأنا بهمن عروقى كبرياء ا  
ولكى لصدقته وهو يقول :  
لا وعيتك ما سلونك عمري  
فلسر بهى وحائرى لى تريحى  
وهو يقول أيضا :  
..أنا لم أدرك مداها !  
أه منها

.. هى لم نترك مداها !!  
حطمتنى منكم حطمتى

فهى مى ، أد منها سطب ..  
أما انه كار سطب فصحيح ، أم انها أو انهن ، كانت سطب ، فليس  
صحيح . ا

ولكنه هو الذى توهم ذلك ؟  
ويعود إلى هذا المعنى مرة أخرى يقول :  
قد خلت منك هباتى  
وجئت منى حياتك  
مانتراه منك .  
أو منى  
رفائى ، ورقائق !!



وإذا جاز هذا المعنى فهو سطب ، فب كامن المعنى ، لا شك فى  
سبب سبب كل واحد من شى جهر كامل الشعور عاصف فى صحبه و غافيه  
! شطب - وقى هـ - كامن المعنى عنى به حراء من لرحام هى مع كنه

فأصبحت الرجل ، الذى كان وحنه موكبا .. وكان هو المشاة والمحتفى به  
فهو الذى صنع الموكب ، شكله وموضوعة ثم صدقه وإن لم يكن له أى هدف ،  
يكفى أن يحتشد ويراحم ويدور حول كامل الشناوى شاعراً معبداً باليقظة  
والنوم ، معبداً للناس ومعبداً بهم ..

وكان كامل الشناوى حاد اللسان جارح النكتة . وهو صحبة الناس .. فهم  
يريدونه أن يصحك ويثير ويهز ويوقع ولذلك أوجعنا بقدر ما أضحكنا ..  
وأذكر أننى كتبت عنه مقالا قلت فيه : إن كامل الشناوى يدغدغ لأصدقائه  
بسكين !

ووجدت الأستاذ محمد حسنين هيكل يقرأ المقال للرئيس جمال عبد  
الناصر ، ويصحك ..

ولما عرف كامل الشناوى . كانت أول قطعة بينه وبينى ..  
وقد أعرضى ذلك . مع أننى لم أفعل أكثر من أننى استعرت ألبومه فى  
مداخلة الناس .. ولكنه لم يطق أن يفعل به أحد ذلك .. وفى إحدى الليالى شرب  
كامل الشناوى كثيرا وراح يركى على الرهاء والاحلاس . وكنت المفسود  
بذلك . مع أننى لم أزعج من قلبى مقال نرة من حبه والامتنان له . ولكن أكثر  
الساحرين الجارحين ، لا يحتفلون أن يفعل بهم أحد ذلك .. فمثل هذه الأسلحة  
يجب أن تكون حكما عليهم !

وقد نعت كثيرا من الاعتذار له . مع أن الذى فتنه ليس شيئا خارجا  
ولا تجاوزت حدود الأدب .. ولا حتى الحقيقة . ولكن أن يصحك جمال عبد  
الناصر لذلك ، وأن يكون هو نكتة رئيس الوزراء . هذا كثير . وأن يكون أب  
المهيب . هذا كثير جدا .

مع أن بصيبي من مداخبات كامل الشناوى كان كثيرا جدا .. فهو قال  
عنى :

أنسى إذا ذهبت لدورة المياه نفقة طكى أقرأ ثلاثة كتب !

وكان يسألنى عن سيارتى فأقول له : إنها عند الميكانيكى !

فهو يهزأ بى : كم تكلفك من التاكسيات !

وكان يقول إننى أبحث عن سيارتى كل صباح . فأجدها تلحق البيرين من  
السيارات الأخرى !



وكان لكامل الشناوى شعر ميسرى مثل مقالاته السياسية ، يجب ألا ينظر إليها بجذية . وإنما هي رائعة في النظم وجميلة في الصياغة ولكن كامل الشناوى كان سياسياً مضطرباً ، وكان كثيرين كذلك . وكما أننا لا نسأل الشاعر عن مشروقه ولا أن يعرض علينا صورته ، فكذلك نصانده السياسية مثل مطلع « نشيد الحرية » يقول .

كنت فى صمىك مرغم

كنت فى حبك مكره

هكلم ، ونألم

وتعلم كيف نكره

بعد كنت أروى لكامل الشناوى حكاية كنت مرغماً على سماعها وروايتها وأن أكون طرفاً فيها .. ولم تكن مما يسعد كامل الشناوى . فقد كان يعمل في جريدة الأهرام في سنة ١٩٥٠ ولم يكن على وفاق مع بعض الرماة الكبار . وكانوا يحاولون إبعادنا عنه ، ولتفاننا حوله . وفي إحدى المرات كان لابد أن أذهب وآخرون معهم إلى عداء خارج للقاهرة .. وخرجىء كامل الشناوى بأن سوف يتركه وحده .

ودار حوار طويل . ولم يكن كامل الشناوى يقبل المرونة . ولا أن يعسك أحد العصا من وسطها . فأنا إما معه وإما عليه .. إماهم وإما هو .. فقلت مداعباً : أتكلم .. أنألم . أنألم ! أتكلم . أنكلم وأنألم من جديد .. وبسرعة البرق عاب كامل الشناوى عن الوعي ليملك ورقة وقلم ويكتب مطلع نشيد حرية مصر كلها ، لا حرية واحد من موقف حرج !

وكذلك كل فصائد الثمراء في الغزل والصدافة والكفر بالحياة والحياة والسياسة .. إنها بجىء مثل أكبر الحرائق من عود كبريت صغير !

وكان الشاعر الالمانى ريلكه يقول : إن المعاشى تسقط عليه كما تسقط الأمطار من السحب . هذه السحب تكونت قطرة قطرة من بلاد بعيدة . ومرت على الجبال وعلى الوديان وعلى المدن . وقراحت فيها القطرات .. ثم سقطت على شاعر ما في مكان ما .. كيف حدث ذلك ؟ إن هذا ما يحدث !



وكامل الضالوى مثل كل الشعراء الرومانسيين ، ولا يربط إلا / بفول س  
سبحانة إلى أن يجد سببا أنه كاتيليل يعنى بالعزيرة ويكنى بالعزيرة ..  
فهل لو ظهرت حبوب ، منع الحمل ، فى القرب السليح عشر فى أوروبا  
وهى الجاهلية عند العرب لكأن قد احصى الرومانسيون وشعراء العرب ، ولأنب  
العبرى !

لا اظن ذلك ، وليس جنسيا ما يريده الشعراء . هو أيمز الجنس . ولكنه  
الجمال . الجمال يرويه ويغمويه يعيونهم .. ثم الجمال الذى يصعبونه  
لأنصهم . أى الإبداع والخلق . فالشاعر ليس صاحبها أنه عابد لغيره ، وإنما  
هو عابد ل نفسه . فالشعر لا يرى جميله أروع من جميلاته . ولا يرى مخلوقا  
أعظم من مخلوقاته .. فى لم يكن ذلك عبادة لذاته ، فهى شيء من ذلك ..  
بى فى الشاعر يختص حبيبته ويدوب ويديب .. ولكنه يتعنى بالتى بين  
يديه كأنها ليست هناك .. أو يستشعر غيابها ، ليشتاق إليها .. ويكنى على  
بعده .. مع أنها لهم دمع وأفاس وعطور بين دراعيه .

ولو استبعد شاعر واحد كلمة ، أنا ، من قصائده ، لم يكن شاعر .  
فالشعر ، ترجمة دائية ، كتبها عاشق لنفسه ، يريدنا أن نصدقه ونكتب  
لا نصدق . ولكن عندما نصدقه أو لا نفعل ذلك . فليد نصدق له .. فما أجمله  
كأنب وما أروع صانقا ، وليس من اللب ولا من اللغ ولا من الشعر . بفول  
له : فف من أنت .

وكلنا أصدقاء كامل الضالوى يعرف من التى يحبها .. بل كان هو يتلنا  
عليها .. ولم تكن تطابق بين ما يراه فى الحقيقة وما يراه فى الخيال . ولكنه  
برأما هكذا .. ويعبر عنها هكذا .. وهذا هو الفن !



الحكيم ثانرا

## الحكيم تائراً ..

لابد أن يكون هذا الرجل صهيبة لنكتة أطلقها على نفسه ، فتمسك بها الناس ،  
حباً للنكتة ، أو حباً للتعالي على شخصية عظيمة . هذا الرجل هو : توفيق  
الحكيم . ففي العام الماضي احتفل التلفزيون بعمد ميلاده . فكانت جلسة في  
مكتبه بجريدة « الأهرام » .

وبدا الكلام عن مناقب الأستاذ الحكيم فكانت البداية نكتة ونكتة ، وتوالى  
القصص . وكل واحد منا يحكى قصة ويصحك ويضحك والتلفزيون يسجل كيف  
عاش الحكيم بحبلا . وكيف أن الفتيات الصغيرات يدرن حوله . وكيف هو  
سعيد بذلك .. ساعة .. ساعة ..

وقدتمت أنا إلى التلفزيون أطالب بإلغاء هذا البرنامج . وألقى . فلم يكن ذلك  
تكريما لأديب كبير ، وإنما كان نهريجا في حضرة أديب كبير . اشترك فيه  
عند من الأنباء . ولم ينتبهوا إلى أن هذا الذي حدث إهانة للرجل ، وإهانة  
لأنفسنا . فالمطلوب أن نكون جادين ، فلم تكن .. وأن نؤرخ للرجل ، فكان ذلك  
هروبا من التاريخ ، ونهقرا ونصغيرا للرجل وظلما لأنفسنا . نحن بصحك  
أحياء ، ولكن ليس في مواقف الجد ، ونحن بهرج ولكن ليس في هذه المناسبة  
الأنبية !

ولا يزال توفيق الحكيم يعانى من هذا الموقف ، فلا تكاد تذكر إسمه حتى  
يتوقع الناس أن تروى لهم نكتة . فلما تكلم هو ، فأنت على استعداد لأن  
تضحك . ولها تشع بنوع من الإحباط ، كأنه قد وعدك بنكتة ، فإذا به يقرأ  
عليك دفتر التليفونات أو ميزانية البنك المركزي أو صفحة الوقفات . لماذا ؟  
أذكر أنني تناقشت مع د . طه حسن في هذه الصورة التي علقها لتوفيق  
الحكيم ، فكان رد طه حمين : أن الحكيم هو المسئول عن ذلك . فهو قد ارتدى

، البيريه ، لبعت الفطر ، وأطال شعره وأعلمك العصا وسحب وراءه حمرا .  
وأصاف إلى تلك أسطورة : أنه رجل بخيل .. ولا يهمه في هذه الدنيا  
إلا العلوم !

وكنيت هذا للرأى هائل إلى الأستاذ العقاد : ولكني لبست البيريه قبل أن يلبسه  
الحكيم ود . حسين هوزي !

إدب .. لقد أريدت العقاد البيريه ، ثم عدل عنه . ولكن الحكيم تيمسك به حتى  
عرف به !

ولكن الأستاذ الحكيم بفضل أن يكون إنسانا محبوبا لطيفا طريفا . وهو يجد  
متعة في الحديث إلى الناس ، والناس يحبون تلك أيضا . وهو بالفعل من أمتع  
المفكرين . وإذا تحدث فإنه يندفق بالتاريخ والأنب والنواير والتركيبات . ولا بد  
أن نصحك . ولكن ليس كل ما يقوله مضحكا أو يبعث على الضحك ، أو من  
أجل أن تضحك !

والحكيم له مقالات بعنوان ، حماري قال لي ، . وله مقالات بعنوان ، قالت  
لي العصا ، . حتى هذا العمار قبل أنه اقتبس من للكاتب الأسباني ، خاشته  
بهايته ، الذي كان له كتاب بعنوان ، بلانيرو وأنا ، . وبلانيرو هذا هو إسم  
جمار الأنيب العظيم للفنر بجائزة نوبل في الأدب . وقد ترجم الأستاذ العقاد  
هذا الكتاب .

وقد حدث أن عرست مجلة ، الإثنين ، القديمة صورة للحكيم مع حمارة .  
وطليت المجلة إلى عدد من الكتاب أن يعلقوا على هذه الصورة .

- فقال كامل الشناوي : إنه إعلان عن كتاب توهيق الحكيم .

- وقال العقاد : بأحمارة الحكيم روي لجمارة !

- وقال مصطفى أمين : احتر ذكائك .. أيهما توهيق الحكيم ؟ !

وصحك الحكيم ، ومن بعده صحك الناس . واحتفظ الحكيم بالحمارة ،  
واحتفظ بهما الناس صورة مضحكة إلى غير نهاية .

ولكن هذه الصورة التي تجعل الناس يحبون الحكيم ويشعرون بأنه مثلهم ،  
أو أنه قريبهم في الطبيعة والمسلجة ، وأنه أضعف منهم أعلم الفلاس ، قد أعت  
الجوانب الهامة في حياة الرجل وفي فكره وفي أثره على الأدب العربي  
الحديث .

والحكيم مثل طه حسين من أبناء الثقافة العربية طه حسين قد اختار  
« المصباح » الرسمي في الوصوح . . في التحليل والنقد . والحكيم اختار العبارة  
المبسطة ونسجه إلى المصباح الرسمي والموسيقى والنقش .

وإذا كان رهاطة الطهطاوي أول أزهري سافر إلى باريس وبهرته الحضارة  
العربية وعلا بتعنى لمصر كل شوارع وميادين وحرية وحالة وعبقرية  
فرنسا . إلا نساءها طبعاً ! فلن طه حسين والحكيم كان إشتاعهما الأنيب والنعى  
على مصر عميقاً . هذا حملاً المشاعل وأقلاما الجسور وصربا المثل الأعلى ،  
وأرسيا القواعد ثم مصى كل منهما بيدع ويصوب جديداً إلى الأنيب والنعى .

ويوهق الحكيم قد جوب كل الأشكال الأدبية : الرواية والقصة والمسرحية  
و : المبرولة ، اى - المسرحية والرواية معا . والمقالة ، ونظم شعرا أحيانا .  
وإذا كانت النكتة أو العكاكة قد أصدت علينا أن يرى توهيق الحكيم بأبعاده  
وأعماقه ، فلن اهتماما بمسرحياته وقصصه ، قد أخفى عنا براعته في كتابة  
المقال . فهو من أحسن من كتب المقال القصير .

والمبسطة والوصوح كثيرا ما كان جملة على الكاتب فكل أصحاب العبارات  
المبسطة والجمل القصيرة كانوا ضحايا هذا الأسلوب : الحكيم في الأدب المصري  
و : آلان ، في الأنيب الرسمي ، و : إنموون ويلسون ، في الأنيب الأمريكي ،  
و : رجنيزو ، في الأنيب الإيطالي ، و : أوبنموو ، في الأنيب الأسباني ، و  
« هكسلي » في الأنيب الإنجليزي . فالذي يرى دودة القز تأكل أوراق التوت  
وتجعلها خبوطا من حرير ، يحيل إليه أن هذه عملية سهلة .. فالورق ينحل  
من ناحية في هذا الكائن الهلامي ، ويخرج من الناحية الأخرى .. إنها عملية  
كيميائية شديدة التعقد . إنها معجزة من معجزات الله . وكذلك من يرى نحل  
العسل يمتص الرحيق من هذه الجهة ويخرجه عسلا شهيدا من الناحية الأخرى .  
سبحان الله ! ومن يرى حيوان اللؤلؤ وهو يعرر هذه المادة اللامعة حول درة  
من الرمل تخلت إلى جسمه فأوجعته .. فراح يعزلها عن جسمه طبقة من  
النسبة بعد طبقة ، حتى تتكون حبة اللؤلؤ . إنها لعبة كبيرة لعنان عبقري ، بدلا  
من أن يبيكي نوحا بكى لؤلؤا !

وكذلك من ينظر إلى العبارة المبسطة ، والمعنى الواضح ، والمنطق المقنع

يخيل إليه أن المعاني هكذا واضحة ، وأن التعبير عنها هكذا سهل .. ولكن الحقيقة أنها ليست كذلك . وإنما هو العلى اسطلاح بالموهبة والممارسة والمجاهدة أن يجعلها كذلك . ولذلك لم يلتفت أحد إلى مقالات وأبحاث الحكم . وإنما انجهوا إلى النكت المسرحية ، وإلى الإيماءات الإصلاحية والثورية في روايته .

والحكميم يحتر كثيرا برؤية « عودة الروح » ، ويرى أنها هي البداية لكل ثورات العصب ، وكل مقدمات الإصلاح في مصر . ولكن من يقرأ هذه الرواية الآن ، لا يجدها كذلك . فقد تجلور المجتمع بتغيراته وتقلبه ما كان يحلم به الحكميم من خمسين عاما . ثم إن الحكميم عندما أصدر روايته هذه ، لم يكن قادرا على التصريح ، وإنما اكتفى بالإشارة .. بالتلميح . ولذلك عندما أدرك الأستاذ الحكميم بعد ذلك أن « عودة الروح » قد حققت ما كان يتمناه ، وأن المجتمع في حاجة إلى دفعة جديدة ، وإلى نهضة .. أصدر كتابا غاضبا بعنوان « عودة الوعي » .. أي عودة الوعي بضرورة عودة الروح !

ولم يكن ضروريا أن ينابيع الأستاذ الحكميم الآثار الكاملة لروايته . فهو قد قل كلمته ومثى . أي أنه كأنبي ومفكر للزم بقضايا المجتمع ، ولم يستكن . وإنما درس وحل وقرر إلى الأمام وطلب من الناس أن تلحق به . انتهى دوره . انتهى دور الأنبي ، وبدأ دور المصلح الاجتماعي والسياسي . وليس من الضروري أن يكون الأنبي مصلحا سياسيا ، أو ثوريا ، وإنما هو يصح ويحبر . وبعد ذلك تبدأ مهمة القادرين على تحويل الآمال إلى أعمال ، والأفكار إلى أيار ، والأحلام إلى واقع . ثم عاد الأستاذ الحكميم واستأنف الحكم في كل قضايا مصر .. قضايا مصر والأمة العربية في كتابه « مصر بين عهدين » . وكان قلنيا على مصر وعلى العرب عندما قارن بيننا وبين الحصارات الأوروبية والأمريكية . والكتاب نظرة إلى الزواء وأخرى إلى الأمام : إلى الزواء في غضب ، وإلى الأمام في بأس ؟

وكان هذا آخر ما أصدر الحكميم . وهو حريص على أن يؤكد أن هذا الكتاب قد صدر أخيرا وأخرا . فلم يعد لديه ما يقوله . انتهى دوره في الفكر المصري والعربي . فقد قال كل ما لديه . ولم يعد لديه ما يصيفه .

وهذا طبيعي . فهناك عمران لكل أديب أو مفكر : عمره النفسي وعمره  
جسمي . فهو جسميا قد تجاور الثمانين . وهو نفسيا وعقليا قد وقف عند  
خمسين أو الستين .

وفي التاريخ أنباء وشعراء قالوا كل ما عندهم في العشرين أو بعدها يقتل .  
م . يقولون شيئا دائما بعد ذلك . والشاعر الفرنسي « رامبو » قد نظم كل دولينه  
في العشرين . وبعدها لم يقل شيئا . والشاعر الفرنسي « لوتريمو » قد نظم  
كل شعره في المئبة عشرة وبعد ذلك لم يقل شيئا له معنى ، وكذلك الشاعر  
الألماني « نوبلس » .

ومن الممكن أن تكون للأستاذ الحكيم تعليقات على الأحداث . ولكن لن تكون  
سبه نظرية جديدة . فالمطوية قد جاءت في كتبه . وهو قد أغلق على نفسه باب  
سرج العلي الذي اتخذ مرصدا لدراسة الناس والتاريخ . والآب بدأ يطل من  
الباعدة أو يسمع منها .. والذي يراه مكرر ، والذي يسمعه أيضا .. ثم إنه  
لا يريد أن يكرر نفسه .

ولكن من الصعب أن يتوقف .. من الصعب ألا يغضب ، وإذا غضب  
لا يستر . وإذا أثار ألا يقول . وإذا قال ألا ينتظر للصدى . وإذا جاء الصدى  
ألا يرد عليه .

أنكر أنني كتبت مقالا موجها بصورة غير مباشرة إلى أم كلثوم أملا في أن  
تكف عن الغناء في أيامها الأخيرة . وطلبت إليها أن تقرأ . وكان طلبا غريبا .  
فما بعليق أم كلثوم فقد كان أغرب . المقال موضوعه : ماذا لو كسب الأستاذ الطراد  
قد يوقف عن الكتابة من عشرين عاما وطله حسين والحكيم ، ومحمد عبد  
الوهاب يوقف عن الغناء ، وصالح طاهر عن الرسم ؟ قلت : إن الذي قدموه  
لما قبل ذلك يكفي جدا أن ننظر إليهم على أنهم ممتازون ، وأنهم من معالم الفكر  
المصري .. أما المهم وماذا يحدث لو أن أم كلثوم توقفت عن الغناء منذ  
سنوات .. خمس سنوات ، أو سنتين أو هذا العام ؟ فالذي قدمته قبل ذلك كثير  
جدا . وهذا الكثير يحلها تنفرد بالمظلة في الأداء والغناء . ولكن لم كلثوم لم  
نعم هذا المعنى البعيد .

ولابد أن كثيرين قد بكوا على أم كلثوم في آخر حملاتها ، فقد قطع صوتها ،  
وما زالت تتعثر على السلم الموسيقي مللعة نازلة حتى تخرجت للدموع من



ذكر العيون ، منها ، - - - - - ، في تصور أنها لو كانت في بعض  
من عمم ، شعير ، تحت جسم حارس - - - - - ، والذي قام به بكفي ، عظمه  
بها ، - - - - - ،

يا قتي الحظي...  
 انما...  
 انما...  
 يا...  
 يا...  
 يا...  
 يا...

[illegible]

و قد تأخرت في معرفة أساسه ، فهو الحكيم ، كُنْتُ به حسن ، ٥٥٠ المفسر  
بالأسناد بعدد ، الفلسفة ، الحجة ، النفس ، المصطفى بهذه اليد ، سعيه  
نفسى ، رأيت من حاله ، أنا من حال ما قرأ ، وما فهم ، وعرفت  
الأسناد ، نكبت من عهد ، من قرأ ، حجة ، بعده ، وعجب به ، وكفى  
لم تأخر به ، ثم من قرأ ، لا نفسى حاشه الشخصيه ، إلا الأية  
وما قرأه ، عدت ، معومات ، له ، في جمعها ، عد من  
من المحلات ، ثم قبلت على قرأه ، وعسى فهمه كثير ، عسى ، وعلو  
الحجراته العظيم .

ومن الصعب أن يكون الحكيم نساناً لأحد . فهو ليس صاحب نظرية . وإنما نظريته يطبقها مراراً في أعماله ، نون أن يصحح عنها .. فهو مشغول بتوفيق الحكيم . وليس مشغولاً بمن يمشي وراءه أو يلفف حوله . فهو هادئ وحيد .. أو كما يقول ، أندرية ملارو ، لأدب فرنسا العظيم : إن للسان يجب أن يكون عازياً مرعداً يحمل سلاحه وعلم بلاده ، ويضعه في أي أرض .. ثم يقف مدافعاً عنه حتى الموت !

والحكيم لم يحمل سلاحاً ، وإنما كان يحمل أعلاماً ، يفرسها في الأرض ، ويتركها متجهاً إلى أرض جديدة .

أما معنى ذلك فتروك للمؤرخين والنقاد .. وأسائنة الجامعات كلهم أصحاب نظريات ، ولكن ليست لهم تلامذة .. أي ليس لهم حواريون يمشون وراءهم . وإنما الدراسة الجامعية تغري للتلاميذ بالثورة عليها .. على جمودها وعلى قراءتها الجافة . كذلك فعل طه حسين في ثورته على الدراسة الأزهرية ، وكذلك فعل الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني والزعيم المناسي سعد زغلول ومن قبلهم رفاة الطهطاوي ..

والحكيم كان نائراً على النقيض .. فقد درس القانون وكان وكيلاً للنيابة ، ولكنه كان مشغولاً بالواقعي أمامه ، أكثر من اشتغاله بتطبيق القانون عليهم .. فالمتهمون أمامه هم أصحابا قوى اجتماعية وسياسية ونفسية منضاربة . ومن نصاريها يتطاول للشر الذي يلتقطه الحكيم ليصم به المسرح والقصة والرواية !

مرة واحدة جمعت العقاد وطه حسين والحكيم على خط تلغوني واحد . أسأل الواحد ، ثم أعود وأسأل الثاني ، وأسأل الثالث عن رأيه في الإثنين . وبشرت هذا الحديث من عشرين عاماً . ثم طبعته في كتاب لي بعنوان « بسقط الحائط الرابع » ... ومن هذا الحديث المفرد في الأندلس الحديث ، عرفت كم هي شاسعة المسافة بين هؤلاء الثلاثة المعاصرين ، وكيف أن الحرب والاحترام والتقدير

مفقود بينهم جميعاً . فكل منهم ينظر إلى الآخر من فوق .. من بعيد ، فيراه صغيراً جداً . فهم جميعاً يمشون فرياً متنافرة . وقد عرفت ثلاثتهم عن قرب وعن حب وعن امتنان عظيم لهم . ولكن أحبهم الحكيم ، وأرقهم طه حسين ، وأعظمهم العقاد ..

والحكيم هلى ، وطه حسين مؤرخ ، والعقاد باقد .

والحكيم يعنى لك ، وطه حسين بحدثك ، والعقاد ينصحك !

ولا يبقى من ثلاثتهم إلا الفن .. إلا ما هو إنسانى : شعر ، العقاد ، أيام ،  
طه حسين ، وسجن عمر ، توفيق الحكيم .

ولا بد أن المرارة على شغى توفيق الحكيم سببها أن أحدا لم يقدر دوره  
التاريخى ، وأن التقاد قد لكتفوا بأنه « رائد » القصة والرواية والمسرحية ،  
والأستاذ الحكيم يعلم أكثر من غيره أن الأديب يصبح عظيما فقط بعد أن يذهب  
مع الأسف . أى بعد أن لا يكون يسمع ما يقال عنه ، وإن كان الحكيم قد حطى  
بكل أنواع التقدير والامتنان من الدولة ومن الهيئات الأدبية .. ولكن كل  
ما قدمته مصر فى السياسة وفى المجالات الدولية ، لم تشفع لها عند مؤسسة  
« بوبل » فيفور للحكيم بما صار به أديب دولة فى القيمة والورس .

إنه ليس الأديب هذه المرة ، وإنما هى السياسة !

مرة واحدة أفرغى الأستاذ الحكيم . كان ذلك من عشرين عاما . فقد  
عرضت ولخصت واحدا من كتب الأستاذ العقاد . فقال لى الحكيم : ولعاد  
لا تتخصص فى عرض الكتب الصعبة للعقاد ؟

تماما كما فرغ الشاعر كامل الشناوى عندما كانوا يطلبون إليه دائما أن يلقي  
قصائد شوقى .. لقد انزعج كامل الشناوى الذى هو شاعر رقيق عميق أن يكون  
« قارنا » أو « منشدا » لقصائد شوقى . كأنه مكرهون ، وكأنه ليس شيئا !  
وكاننى أيضا امتت إلا قارنا فأما لمؤلفات العقاد . وتوقفت عن هذه  
التجربة . وبمحاولة حساسية قلت لنصلى : ممنوع أن آخذ من عمرى وأصيف  
إلى عمر العقاد !

وكان امتنانى للأستاذ الحكيم عميقا . فقد ضربنى وفتح رأسى على حقيقة :  
أننى كاتب أيضا .. أو سوف أكون كذلك !



قال توفيق الحكيم وقت

## قال توفيق الحكيم وقلت ..

كانت غرفة الأستاذ توفيق الحكيم مثل ، طعابة المسجرات ، فيها بقاليا كل شيء وبغاليا الحكيم . فقد تصاعد جسمه ، وانمحب الدم من وجهه ، والبريق من عيبيه ، والصوت من حنجريته .. وهذا الذي من فمه يخرج ليس إلا تنفساً بحمل ما يقتر عليه من المعاني .. فالتعلل لا يزال يفكر .

ولكن لأستاذ الحكيم . بعض الأستاذ للحكيم . بعض السرير .. سبحان الله كل هذه العظمة الفكرية والبراءة الفنية والمهجرة القومية . كلها تكومت .. بهيات لأن تكون شيئاً آخر . لم يبق من وهج الحكيم إلا الشرارة الأوسى .. سم يبق لا ما يس على أنه كان هنا ، وصار هناك ، أو لم يعد هنا ، ولم يدخل إلى هناك . شيء فطبع أن ترى عزيزاً عليك ينتهي للرحيل .. يدخل بعصه وراءه .. ربيب لبي وأمي وأحسى والعقاد وطه حسين وعلى أمين وعبد الحليم حافظ والسادات

كان الأستاذ العظيم عباس العقاد ممتداً على سريريه .. كما نراه أكبر من السرير أكبر من الغرفة .. من البيت .. من مصر الجنيدة .. كما يراه يصاح إلى جيش من الملائكة : نطفه إلى أسماء .. بل كما يرى السرير سراً قد صم جديده . وماهي إلا لحظات حتى يطير بالأستاذ .. ولكنه لنظرة حتى يكمل الحديث عن أماله المربصة . قال بوجهه الله . اعلى أن أشرح القرآن الكريم شرح هنيئاً .. وموب أبداً بصورة للرحمن !

أما المرحوم على أمين فقد قرر كما قال كثيراً : « أن أموب واقفا ! » وحتى عندما كان عاجزاً عن الوقوف كان يستعد لإصدار صحف ومجلات من كل نوع . وكان يصع مشاريع المجلات والصحف على الأرض ، ويظهر إليها دائماً من فوق السرير . وكان يقول لي . لا تترك أخبار اليوم .. سوف نستدر مجلة « أكتوبر » معاً .. كما أصدرنا مجلة ( هي ) معاً استطري !

وكان الأديب الفرنسي مارسيل بروست يستعمل سكرتيره أن يعيد إليه الصحف « لأخيرة من كتف فرع من ثأليه .. وظل يصححها ويعيد كتابتها بسرعة جنونية .. والورق ينميط مكتوباً على الأرض حتى كانت النقطة لأخيرة من آخر عبارة في آخر الكتاب .. مع آخر أنفاسه !

والرسام الكبير بليك أصمك لوحته الأخيرة واسمها : أيام رمان ، وراح يرسم خط هنا ، ويقعه هناك .. وبعد ذراعيه باللوحه ليراها أوضح .. وعندما

رأى روحه تبكي قال . الله .. لم ترك أجمل من اليوم .. ففى مكانك لكى اسعد  
هذه الصورة لملاتكيه ..

ورسمها .. ودخل فى إعماء طويلة واقف ليجد روحه ماتر تبكي  
فقال لها : هات اللوحة .. هات اللوحة .. لقد سببت لى اوقع عليها !  
ووقعها .. ووقع من فوق السرير !

والكاتب الساحر برناردشو عندما زاره الطبيب لآخر مرة ، قال له  
الطبيب : ولكن صوتك يأمسك شو أحسن .. إنك تفعل سعالاً رقيقاً .. أنت  
اليوم أفضل من الأمس ..

قال شو : بل اليوم أسوأ من كل يوم .. أما السعال فقد تدربت عليه طول  
الليل ..

والشاعر الألماني هيريش هيمه فقد كان هزيراً بعيداً . مات وحده فى غرفة  
حقيرة فى برلين . وسلى عنه كل الناس إلا الموسيقار هكتور برليور .. وبعد  
مناقشة طويلة فى الفن والجمال والشعر والمسيسة والمرأة ، التفت هيمه فسأل  
صديقه برليور : هل خرجوا ؟ فرد عليه : من هم ؟ إن أحدا لم يحضر إليك  
منذ ثلاثة شهور !..

وكان تعليق هيمه : لقد آمنت دائماً . أنك قاتل هريد فى كل شيء .. !  
وفى مثل من توفيق الحكيم أعلن الكاتب العربى شارل سانت - أرمور :  
أظن أننى سوف أعيش عشر سنوات أخرى .. فلما أكل الكاهن صباحاً  
والاسناكورا ظهراً وأثرب للشمبانيا ليلاً .. وأنام بعد العمل .. لقد كان  
شعارى : أن أصحك دائماً وأن أكتب كل يوم صديقاً !  
لما أهر الفلاسفة جميعاً لسنادنا العظيم مفراط هيمه أن دارت مناقشات  
طويلة مع تلامذته ، استأذنه واحد منهم لأمر هام . فسأله مفراط : ما هذا  
الأمر اللهم ؟

فقالوا له : إنه داعب ليتزوج يا سناد .

قال مفراط ، وقد أثار وجهه بعيداً عنهم . من الضروري أن تتزوجوا ..  
فلن كانت الفروجة طيبة . سوف تجعلكم سعداء . ولين كانت شريفة ستجعلكم  
فلاسفة !

أفريت من فم الأستاذ توفيق الحكيم لأسمع ما يقول ، رغم أن فمه امتلأ  
بالمعلم المملوق ، قال لى : من أنت ؟ ! قلت له . فقبرت وجهه بإسماعلة إلى  
غير رجعة . قلت له : هى أى شيء تفكر يا سناد ؟ !

قال : أه .. عندما يسألونني .. أنت تعرف أين .. سوف أقول : وأنا أيضا  
عندى بعض الأسئلة .. إنني لم أعرف ما هي الحكمة من هذا الوجود ..  
معنى هذه الحليقة .. لم تكن كلها خيرا .. ولم يكن الإنسان مؤملاً لأن يصل  
الحير فالإنسان ناقص التكوين - غير قادر على أن يكون خيراً دائماً دائماً  
مبدعاً دائماً ، فقد ولد والعقل معه .. ولد والشر معه والصنف معه .. والموت  
في همه ، وكل ما أريده ، ولآخر مرة هو أن أفهم معنى الحليقة .. معنى هذا  
العمل القبيح الناقص .. ولا فيه رأيك أنت ؟

قلت : إن شاء الله سوف تحل الجبة يا أستاذ ، إن كنتك عن الرسول عليه  
الصلاة والسلام يكفي ثماً لتكره التحول !

وتحولت صمكته إلى غضب مهروم ليقول : ومن الذي قال لك إنني  
نصيق عليه الجبة ؟ أنت تقول بمقابليتها وحساباتها نحن .. ولكن من يدري  
أن هذا الكتاب بالذات هو الذي سوف أتخل به للنار جالساً فوق حاروق عظيم !

قلت : إسمح لي أن أتكلم أنا يا أستاذ . لا داعي لأن نرهق نفسك  
يا أستاذ . أن سوف أتكلم بعض الوقت أرجوك .. لو إذا كنت نصر على  
الكلام سوف أخرج وأتركك للكافرة

وأشار الأستاذ الحكيم بيده بما معناه أن أبقى وأن أمسى في الكلام . قلت  
له : الأستاذ العقاد هو الآخر كان مشغولاً بمثل هذا المعنى ..

وكان الأستاذ العقاد يعتقد أن الناس البسطاء جميعاً سوف يتخلوا الجبة ..  
أما المفكرون فيخلون النار .. بعض النار .. أما العلماء والفلاسفة فنادوا مفاهيم  
جميعاً .. لأنهم درسوا وتعلموا وعرفوا .. ولكنهم ضلوا الإيمان .. وكان  
الأستاذ العقاد يقول لنا عندما يعزف المسر إلى الاسكتريه في الصيف : إن لم  
يلق في هذا البيت ، فلنار مؤثراً جميعاً إن شاء الله !

وكما نحن طلبة الطمعة نضجك لهذه العبارات التي تدل على غضب العقاد  
وعلى مغربيته .

وحاول الأستاذ الحكيم أن يرد أو يعلق ، ولكن اقتربت منه لكي يسكت  
حتى أكمل عبارتي قلت له : ولكن رحمة الله أن تضيق بك أنت والأستاذ  
العقاد .. ولا بأحد .. هل تتكر يا أستاذ التكة التي أطلقها المرحوم كامل  
الشمسوى عندما قال أن العقاد وطله حسين والحكيم وهيكلاً بشياً أن يتخلوا الجبة ،  
فقد ألف كل منهم كتاباً عن الرسول عليه الصلاة والسلام وكسبوا من ورائه

الكثير في الدنيا ، فلا مكافأة لهم في الآخرة . هل تتذكر يا أسند مسرحية الشاعر الإيطالي جيوفاني بابيوني التي عنوانها « عوايه الشيطان » والتي ترجمتها أنا ونشرتها فسوقها بالكامل أحد الورراء الملبين وجعل عنوانها « دموع إبليس » وكتبت مقالاً فصحت فيه دموع السيد للورير ! في هذه المسرحية يطلب الشاعر بابيوني الرحمة لإبليس .. فقد كان إبليس كبير الملائكة ولكنه عصا الله . فحكم عليه بالطرده من السماء . وتساءل الشاعر : هل معقول أن يصيق رحمة الله بواحد من مخلوقاته ، بواحد من ملائكته بمجرد أنه ارتكب معصية !

بل سمعنا الله عنه وسوف يدخله أوسع عذاته .. وهاجت الكنيسة على الشاعر وحرمته من تحول الجهة ضد رآته شيطاناً أسوأ من كل شيطان .. فلا خوف عليكم أنتم الأربعة يا أستاذ ..

واغتنى الذكائرة وعادوا معهم جهاز تسجيل لهذا الحوار مع الأسناد الحكيم . وكان لابد أن أسكت هذا قرر الأسناد الحكيم أن يتكلم .. وكان صوته يطلق مبحوحاً بلا معالم ، مثل نظراته ولغائه . إنه مثل مصمم كبير استطاع همه الأصواء وسكنت كل الآلات الذهبية .. ولم يبق إلا حارس المصمم بخاورسي بما لديه من معلومات صنيعة وصلاحيات قليلة وبما سمع من الاستاد طالماً وبارلاً مفكراً ومبدعاً قلقاً صاحكاً متأملاً غاصباً من ماضيها بآنس من مستقبلنا .. قلت : يا أستاذ ومصى الحكيم يتكلم وكأنني لم أقطع له : ينبغي هذا السؤال : ما معنى هذه الخلقة .. هذه المقالة .. هذه المعونة .. هذه الفسيحة .. هذه اللوحة 1 ؟ إننا عشفاً وقرأنا ما عاشه غيرنا . ولكن لم يصل إلى فهم دقيق .. فحسن لم نفهم : ما معنى ما جدوى .. ما ضرورة كل ذلك ؟! هذا هو السؤال الذي يمس كل الأبواب والدواهد .. إنه السؤال الذي يعترضنا .. ويتعب في زوري ولنا سنظل واحداً في زوره .. هه والا إيه رأيك أنت .. طبعاً الذي سوف أقبله هو نقد الملائكة .. فأننا نصفر من أقبال الله وربما سيطر هذا الملك الصغير أن يرد على سؤال الأصغر فأننا أجاب ونعني فسوف أسمع بحقارسي أكثر .. لأنني في مرتبة أقل من أن أكون جديراً بأن أسأل الله سبحانه وعائلي .. أما إذا لم يقنعني الملك فماداً أقبل به ؟ هه .. ما رأيك ؟

قلت : يا أستاذ دعني أكلمك أنا بعض الوقت .. ليس هذا حواراً يا ملك للحوار ؟



واغترب جهاز التسجيل من أنفاس الأسد الحكيم .. وتقدمت لنا إلى  
 الامام : اسمع .. يا أسناد طبعاً أنت تذكر روايه : الإحوة كراماروف : تأليف  
 مستويصكي .. هي الجزء الثاني منها نقرأ هذه القصة الطريفة البليغة - يحكى  
 الناس في مدينة أنشيلية هوجوا بأن السيد المسيح عليه السلام يعيش في  
 الشوارع .. للمسيح شعصيا .. فخرج الناس من الكنيسة وقرعوا للكاردينال  
 الفهم للصحة يصلى وحده .. وعصب الكاردينال وخرج يرى : إنه المسيح فعلاً  
 بثوبه الأبيض حافي القدمين .. مرهوق الهامة .. والباس في ذهول من رؤيته  
 عليه السلام . واغترب منه الكاردينال وقال له في جرأة وغضب : سيدي أنت  
 تعلم أننا نعبدنا كثيراً من أجل بشر نيك .. ماتت منا الآلوف وأحرق كثيرون  
 ولا نستطيع اليوم أن نطبق تعاليمك التي نقول فيها : لن يدخل الجنة غنى .  
 إلا إذا دخل العمل من حرم الإبرة .. لا نستطيع .. إن الأغنياء هم الذين بنوا  
 الكنيسة .. ولا نستطيع أن نمشي حافيي وأن ألقى كل مسوحى للذهبية والصليب  
 الذهبي .. أرجوك يا سيدي أن تخرج .. أخرج من قميصه فوراً .. أخرج  
 وإلا ألقيت القوس عليك وحكمتك بنهمة الخروج على للمسيحية .. ثم صلبك  
 من جديد .. أخرج .

وقال الحكيم وقد عجزت قواه عن رسم مشاعره على وجهه : ولما أستطيع  
 أن أفعل شيئاً من ذلك مع أحد من الملائكة بالذوق .. سؤال والرد عطاؤه .  
 سوف أقوله له : من فضلك ما معنى هذه الحليمة ، ممكن أن يصعب في النار  
 جني يتعمر معنى وسبحر معالم هذا السؤال والأسئلة الأخرى .. وبهذا الشكل  
 انحور إلى ملاك مثله .. ولا عدى أسئلة ولا مشاكل وربما أصبحت أشد  
 سحرية من البلهاء أمثلنا الذين يسألون ولا يتوقعون الإجابة حتى لو لم تكن  
 لها أى معنى .. صحيح ما معنى هذا السؤال ما فائدته ؟! لا معنى له  
 إلا عندما .. ولكن بعد ذلك فلا أنا سأكون كما أنا .. ولا شيئاً هي الدنيا التي  
 فوق .. بلما كما تكون مشغولاً بأسعار الخضروات والدولار ، ولكن فوق :  
 لا خضروات ولا دولارات .. وأشار بيده أن أغرب منه جداً ثم قال : .. ؟!  
 وسألته : ولما نقول هذه الكلمة ؟! فأجاب : قد .. وصحكت لمعة ثم الحكيم  
 حتى في هذه اللحظات التي يحتفى فيها الدم والجسم والدنيا ليتحول كل شيء  
 إلى لا شيء ..

قلت : يا أستاذ أنا عدى حل .. وهو أن تعرض قصبتك وهي غصبه  
 فطبيعة وجوديه على محكمة ، القاصي ساج ، هل تتذكر هذه المرحبة التي  
 عدولها ، وحكم القاصي ساج ، للأديب الإسباني السلفر أرنولدو ديث ؟ أن  
 أنكرك بها يا أستاذ .. هي مشكلة عمدة طوب مات فرجي . بأنه ألقى في  
 النار .. ولستطاع أن يظهر في اليوم لزوجته .. وظلت إليها استناب الحكم في  
 محكمة القاصي ساج وهو لحكم الناس في زمانه .. وذهبت الزوجة والأولاد  
 والأحفاد إلى المحكمة .. وترافع أحد المحامين عن العمدة الذي عمل الحيرات  
 وأقام الكائنات وتبرع الفقراء وعالج المرضى مجاناً .. ولم يكذب ولم يمزق ..  
 ولم يعصب من أحد ولا أغضب أحداً . وحكم القاصي بضرورة دخول العمدة  
 الجنة فوراً . وذهب موظف إلى السماء ومعه صورة من حكم المحكمة . وبق  
 أبواب الجنة . ورد عليه سيدنا رسول : من ؟ قال : أنا ممي حكم وأجب انقاد  
 أنت تعلمه طبعاً .. أو هي استطاعتك لو أردت . قال له رسول : إنتظر حتى  
 أسأل ..

ثم عاد رسول ليقول له : الحكم صحيح ، ولكن سوف يتم بعد ألف مليون  
 مليون سنة بقصبتها في جهنم .. ويقول الموظف : ولكن الحكم شامل للعاد  
 الآن .. ويقول رسول : الآن ، عنكم غير ، الآن ، عننا .. يقول  
 الموظف : الآن عننا هو الآن عنكم .. أي هي نفس اللحظة التي أقرأ لك فيها  
 الحكم .. قال رسول : هذا صحيح ولكني محتاج إلى كل هذه الملايين من

السدين لكي أصل إلى مكانه من النار .. وجاء ظهر موظف آخر من نفس  
 المحكمة بضرورة تغيير بواب الجنة رسول لأنه يعطل سير العدالة بين  
 الأرض والسماء .. وجاء ظهر موظف ثالث يطالب بسحب الحكيم معاً فقد  
 انتحر القاصي .. هنا قال رسول : الحمد لله سوف يجلس القاصي على يمين  
 العمدة في جهنم .. إنزلوا .. إنزلوا .. وأعلق الباب !

وأشار الأستاذ الحكيم بيده أن يضرب أكثر . واقترعت وهمس في أنبي  
 وصحكت . وقال : هذا ما سوف أقوله . أريد أن أرى ما الذي سوف تقوله  
 أنت .. طبعاً كلنا فوق سوف نعرف ما الذي سنقول . وسنخبرك إن كان العقاد  
 أو مله حسين أو حسين هيكل قد أعلنوا فوق ما كانوا يربونه تحت !!

قلت للأستاذ الحكيم : هل تتذكر يا أستاذ أنك أعطيتني النسخة الوحيدة من كتاب مسرحية ، فلوست الثالث ، عندما كنت مريضاً في مستشفى العقول العرب .. قال : نعم .. لماذا

قلت : هذه المسرحية التي هي من تأليف شلب مصري سمعني من القوم وحيد غير شرعي لشاعر فرنسي هو ابن غير شرعي للشاعر الألماني جيته .. إن هذه المسرحية تصم محاكمة بين الطبيب فلوست والشيطان مفوسفلس .. وعندما يتعالى صوت الطبيب والشيطان ينزل أحد الملائكة ليتوسط بينهما ويرفد هذه المعركة التي تنامت بها السماوات وسكان جهنم والجنة .. هنا يتهم الإثنان على هذا الملاك وبمآلاته ؟ إنه نفس سؤالك يا أستاذ : أشرح لنا من فضلك ما معنى هذا الكون .. ما حكمة هذه الكائنات .. ومتى ينتهي العالم ، وكيف تكون هيئة الإنسان بعد ألوف ألوف ملايين السنين .. وهل الإنسان بعد هذه المئين الطويلة سوف يحاسبه الله كما يحاسبه هذه الأيام .. بنفس المقاييس والمواريث .. أو هل لكل زعالي حساب من نوع خاص .. فالطفل له حساب والرجل له حساب من نوع خاص .. ولما اكتشف الإثنان أن الملاك ليست لديه معلومات إقترحا عليه أن يتجر ممهما .. ويكون هذا الانتظار الجماعي إحتجاجاً على ضحامة الأسئلة وصالة العقل .. أي كيف تصدر عن العقل الصغير مثل هذه الأسئلة العويصة .. ثم كيف يكون الحساب عنها ؟

وسألت الطبيب لئني أفسك الأستاذ الحكيم بهذا : لماذا لم يتوقف عن المضغ مع أنه ليس في فيه طعام ؟

فألت : ولكنه لا يريد أن يتنقع الطعام ..

وعاد الأستاذ الحكيم يردد السؤال الذي لم يجد له حلاً .. هنا أدركت أنه ليس طعاماً هذا الذي في فيه ، وإنما هو سؤال يحاول مضغه أو استقلابه .. ولكن السؤال لا يدر له من حلق .. كما أن الأستاذ الحكيم ما يزال واقفاً في رور ، الكون يسحب وراءه كائناً غريباً على شكل علامة استفهام .

وتصدق على الأستاذ الحكيم حكمة بوذا : وراء هذا الأفق كل شيء

يعبر . أبدأ .. الأسئلة هنا والإجابات هناك !

إننا ندعو الله أن تتوالد أسئلة الأستاذ الحكيم فتكون طابوراً طويلاً يمشي وراءه .. لعله يبقى بيئاً أطول ، وقبلاً أعرق ، ولنا أمتع ، يا أرحم الراحمين !



الذي هو توفيق الحكيم

## الذي هو توفيق الحكيم

من السهل أن تكره : العقاد .

من الصعب : طه حسين .

من المستحيل : توفيق الحكيم .

فليس له أعداء .. حتى أعداؤه يحبونه فالعقاد يصدمك ، وطه حسين يراونك .. والحكيم يصدمك على نفسه وعلى الناس . فهو يصنع طائفة على دعاة ، والعصا في يده ، ويسحب وراءه حملاً .. وأحياناً يطبل لحبته ، وأحياناً يطبل لشعره .. ثم إنه يعنى بديه في جيوه دلقاً ، خوفاً من أن يراها أحد فيطلب منه مساعدة !

ومن أسعد خطأ ، فقد عرفنا الثلاثة الصالحة .. أما للمفكر فهو العقاد والأديب : طه حسين ، والفنان الحكيم ..

وقد اغتفروا في كل شيء ..

ولكنهم جربوا العقال وترجمة حياة : محمد ، عليه الصلاة والسلام ..

أما العقاد فقد صنع من تاريخ الرسول درعاً محكمة من الحديد ..

وطه حسين جعله عبادة من التحرير ..

والحكيم جعله من التريكو ..

والعقاد إذا كتب عن العظماء ، فهو يتقنهم ويسحب تاريخهم وراءه .

وطه حسين يمشى إلى جوارهم يحادثهم ويجادلهم ..

والحكيم يمشى وراءهم ويدور حولهم ثم يخفى .. وأذكر أنني جمعت

العقاد وطه حسين والحكيم على حط تليفوني واحد ، ونشرت ما دار بيننا في

صفحة كاملة من الأخبار ، وكان ذلك من ٢٥ عاماً .

أما العقاد يرى أن طه حسين أفكاره قصيرة وعباراته طويلة ..  
 وطه حسين يرى أن العقاد إذا تحدث عنك مرع لسلكه ووضع لسانه هو  
 أما الحكيم يرى أن العقاد جسر إلى الثقافة الإنجليزى ، وطه حسين كوبرى  
 الثقافة اللاتينية . أى انهما جسران للحضارة العربيه .  
 ويرى العقاد أن الحكيم هادى ، وناقذ ، ولكنه حصار أن يكون راجور  
 وطه حسين يرى أن الحكيم يريد أن يتحدث عنه الناس ، ولذلك كانت  
 أفكاره الشاذة .. إنهم ثلاث فهم متقاربة . إذا نظرت من الواحدة إلى الأخرى  
 لم تجد بعيدة عنك ، ولا غالبة فوقك .. ولكننا نحن نراهم عطماء وقد  
 أمتعتنا الماريح بهم . فهربا العقاد ، وجدنا طه حسين وأمنع الحكيم ..



وتوهيق الحكيم هو ، أتم ، القصة القصيرة والرواية والمسرحية  
 والمسرواية . التى هى نوع من الرواية والمسرحية .  
 وتوهيق الحكيم هو صاحب أجمل مقال فى الأتوب العربى الحديث . وإن لم  
 يكن مشهوراً بذلك !

ولم يشغل الحكيم بالسياسة مثل العقاد وطه حسين ولكنه انشغل بالفكر  
 السياسى .. ولذلك كان صرحه اجتماعياً ، وكانت روحه ، عوده الروح ، هى  
 أم النور المصرى .. صعد رسم خطوط وأطلق نبوءات .. وألقى نبوءاً ،  
 وانتظر النتيجة . وأسنده أن كانت نوره يوتو تحقيقاً لآماله الهميدة ..  
 وعندما انجرفت الثورة ، وبحول الثوار إلى طاعة وعاد الشعب المصرى  
 إلى الهوان والذلّة والتمسكه . غار الحكيم ومعه الأنباء وكنت : عودة  
 الوعى ، .. ورأى العالم كله ثلاثة من الأنباء العظماء ينضمون طواوير  
 السلططين على لوطانهم : برتراند رسل فى بريطانيا ، وساتر فى فرنسا ،  
 والحكيم فى مصر .

وحاول الحكيم أن يفعل شيئاً ، فلمملك المقشة وكنت شوارخ القاهرة ، أملاً  
 فى أن يكون رمزاً لثقافة الأرض واليد والضمير . ولم يملك المقشة أحد من  
 بعده !

جاء كنه في السنوات الأخيرة قليلاً على قمة الهمس من السجاء  
 - - - - - هذا لحسن كل قصته في هذه العبارة : فطر ورايك في عصب ،  
 معث في يأس !

عنه ثم يوقف عن المحاولة . فكان أسبق الانباء إلى بطل ، مسرح  
 بعد - ، إلى مصر ، فكانت مسرحياته الميثية التي بدأها بمسرحية .  
 - - - - - مع سجزه ... هرق المسرح المصري بمحاولات لا معبولة .. حتى  
 من حثف المصري بهذا العبث لئلا معنى له ، سوى تقليد الحكيم وتقليد  
 - - - - - ايضا

في مواجهة الطوفان الديني حاول الحكيم ما حاوله ابن نوح عليه السلام  
 دخر نفسه من السبعة بلوى إلى جبل بعصمه من الماء . وكاد الحكيم يغرق  
 - - - - - مكسبه المطيحه عندما ، ولولا صدق بيده .. وكان ذلك قليلاً على أن  
 جدد أكبر من الحكيم ، والعواصف أعصف من عصب الحكيم ، فقد ذهبت  
 - - - - - هذا الحدث ولكن الحدث دليل في التاريخ ، على أن الحكيم حاول أن  
 حصد شجرة مصاة في قلب العاصفة . فأحرق أصابعه حتى لا ينطفئ  
 شجرة ولم ينطفئ !



لقد أحب الناس توهيق الحكيم ، ليماطنه ولأنه قريب منهم ، وبسرعة يكون  
 - - - - - واحداً وأنداداً وإيماً ، فلا هو العقاد قد لرندي ملابس مدرعة وأمسك سيفاً ،  
 - - - - - لا هو طه حسين إمبراطور الأنف وإيما هو الذي يقبل أن يمحس مدى بحله  
 - - - - - حرمه على الفلوس .. وكيف أنه يساومك حتى لا تشرب عنده هجياً من  
 جهوه ، ثم يبه ، الموسوم ، الذي يخاف من للهواء والأمراض - أي هو  
 زيس الضعيف مثلك ، بل أضعف ، مما يجعلك تشعر أنك أقوى وألك  
 عى - وهو الذي يحب أن يتحدث عن الفلوس !

قال طه حسين إن الحكيم يحب أن يكون حديث الناس ..  
 ولكن الحكيم ليس بحياناً ، وإنما هو رجل هير تحله محدود .. وهو قد جعل  
 هذا المييب للمادى موضوعاً للتفكاهة ..

وعندما كان له مكتب في المجلس الأعلى للعلوم ، كان إذا رأى صيد  
يهرس واستقبله عدد الباب وقال : يشرب قهوة عدد يوسف السباعي . وبعد ذلك  
أنا في انتظارك !

وعندما يورده أحد في مكتبه في الأهرام ، يبلذ به بقوله : يشرب قهوة  
عدد ثروت أفطحة ، أو صلاح طاهر وسوف نجدي في انتظارك !  
أذكر أنني سألت ابنه الفاضل المرحوم إسماعيل الحكيم : كيف حال والدك ؟  
فقال إسماعيل : أدفع له الديون بانتظام !  
سألت الحكيم تعليقا على ما قاله إسماعيل فقال : فعلاً .. أنا أجلس أمام باب  
عرفته ، حتى إذا صبحا من النوم طلبت منه أن يدفع الكمبيالات التي عليه وهو  
يدفعها بانتظام !

أما حكاية الديون هذه ، فهو أن المرحوم إسماعيل الحكيم قد طلب من والده  
فرساً ثلاثة آلاف جنيه ليشترى آلة موسيقية .. فوافق الأب بشرط أن يدفع  
عنه ثلاثمائة جنيه كل شهر .

وكان إسماعيل الحكيم يصحك قائلاً : ولكن والدي لا يعرف أنني دفعت  
القسط مرة واحدة . أنا أعطيه المبلغ وهو يعطيه لوالدتي ، ووالدتي تمده لي ..  
ولو مطر والدي إلى الطوفان وأرقامها لعرف أنها هي !  
وكان الحكيم إذا شرب قهوة على حسابه . ومن البار أن يحدث ذلك . فإنه  
يدفعها عند نهاية الشهر ، ويرفض أن يدفعها يوماً بيوم .. لماذا ؟ يقول  
الحكيم : عذاب يوم ولا كل يوم !

وعندما احتفل الأهرام بعيد ميلاده أخيراً ، إلتفت حوله الأبناء يتحدثون عن  
شخص الحكيم ، وكان تسجيلاً لا يمتنع أن يذاع ، فقد وقنا جميعاً في مصيدة  
مناعبة من الحكيم

ولم نتحدث إلا عن بخله وحفة دمه ومناعبة العذيات الصغيرات له  
وتهديدهن له بالزواج بالإكرام . كأنه لم يكن أديباً كبيراً ولا باقداً باقداً ولا مؤلفاً  
مسرحياناً وروائياً ولا أستاذاً للجميع ، ولا ملهماً لجيل كامل من المنقذين .. !





أذكر أننى حاولت إعراده بأن يكتب لمجلة ، آخر ساعة ، وكتب ريب  
تحريرها هوافق إلا قليلا ، وعرفت أن السبب هو اللطوس .. فأعريته بصلح  
كبير هوافق .. ثم عدل .. واتعت مع المينة صغبه للمهندس على أن أسجل  
الحوار التليفونى بينى وبين الحكيم دون أن يدرى . وبفاجأ بإداعه .. فلم يسمع  
أحد صوت توفيق الحكيم وكان يعلم أنه ليس محبها ، فلا هو مثل طه حمين  
ولا هو مثل العقاد ، ثم إنه مثل الشعراء شوقي وإبراهيم ناجى بيته ،  
واصلت بالحكيم ومنتعت المناقشة والمساومة لكنى أسجل له الحديث .. وطال  
الحديث الطريف الممتع . ولكن أجمل ما فيه بعض الجمل والعبارات الساحرة  
اللاذعة التى لا يمكن إنعتها ! ثم وافق بشرط أن أبيع له مقنعا ، وأنه  
لا يتقاسى شكت . وإنما عشرات الجدييات يراها ويحدث واحدة واحدة ،  
وكنت أذهب إليه بالفلوس بعدها أمامى ويصمها فى درج مكتبته ويقلب الدرج  
ثم يعطى المقال ! ثم سلومته مرة أخرى على أن يكتب مذكراته فى مجلة  
أكتوبر ووافق بشرط أن أبيع له صنف ما ينقصه من الأهرام ووافقت .  
وقال : مقنعا ؟ قلت : مقنعا !

وكنت فى حفلة فوجدت إلى يسارى السيدة سميحة أيوب وإلى يمينى د .  
المر ورير الأوقاف .. وفتحت سميحة أيوب حقيبتها وأخرجت المبلغ ..  
وقدمته للحكيم وراح يقلب فى الفلوس ويتأكد من أنها ليست مزيفة .. أعلاه  
بليها .. فقد تأكد من صدق النية . ولكنه عاد يسألنى : إذا كانت سميحة معها  
مثل هذا المبلغ فكيف يكون عندها من فلوس فى البيت ؟ .. ثم اهرض أننى أحدث  
الفلوس ولم أكتب ولم أردها لك فمادى تفعل أنت ؟ لو اهرض أنك لمكرت وأنا  
لم أنكر أننى أخذت منك فلوسا لكن فى نفس الوقت أنكرت أننى رأيت سميحة  
بمطبخك هذا المبلغ ؟ ثم ما مصنحتها هى فى أن تبادر ؟ واقترص أن الشيخ المر  
رأى سميحة تعطيك المبلغ ولكنه لا يعلم أن هذا المبلغ من أجلي ؟ واهرض أن  
ورير الثقافة منصور حين رأى سميحة بصلى اللطوس للشيخ المر ، ولم يرك  
ولم يبرى . ووقعا جميعا وحلعا أمام القاضي .. وقلت أنا : لم أنقص وقلت  
أنت : ولا أنا .. والشيخ المر قل : ولا أنا وقلت سميحة على سجل تعيد  
الموقف والدعاية : ولا أنا دفعت ! ثم جاءت معئلة مغمورة تريد أن تكون حديثا

للمسحوق والإداعة والتلغيم وفانتت نسي معصب ان لصعب عدد كشمي  
مميحة أبوب . قول من حق رجال الأمن في هو هيلور هذ ان يطالبونا  
برد هذا المبلغ إلى أن يظهر له صاحب ...!!

نوحى توفيق الحكيم . ونكه كتب عنه من المجلات في مجلة « أكتوبر »  
وبعض الشروط وبعض انطريه التي حشدا ثم اتصل بي الحكيم وقال لي  
الآن يجب أن أتوقف ..  
قلت : لماذا ؟

قال : أنت الآن تكتب سلسلة في صالون العقاد ونهيه الجو الأنبي  
والعلمي لقصاب كبرى تصنع منها التاج والمولجان وتنصب العرش للعقاد وأنا  
أحمل من نفسي بهلواناً ليصحبك الناس ؟ كفى !

واسم توفيق الحكيم إني هؤلاء العباقرة الذين لم يحصلوا على جائزة نوبل  
في الأدب : بولسنوي وشيخوني وجوركي ومارك توين ونيس وهاردي  
وريلكه وشرنبرج وبروست وبرث وهاليري وأوكيشي وكاراسراكس  
ومورايا ..

والحكيم مثل العقاد يكتب على ورق صغير ونه خط دائري وأصبح ..  
ويكتب بالخبر الأرق وكان العقاد يكتب بالخبر الأخضر ثم الأحمر

والحكيم بفوق : لقد كثر العقاد احكاماً جميعاً .. كان يأكل الطعام المسلوق  
وله حمير يأكله نصف مسلوق .

ومات العقاد أكل المسلوق من ٢٣ عاماً . ومات طه حسين أكل نصف  
المسلوق من ١٤ عاماً . مات الحكيم سنة ١٩٨٧

وهو أصبح الأطباء توفيق الحكيم بان يمسك عصا لتكون حطونه  
مصبغة وبذلك يسطر اتنصن والدورة النموية وتكون حطونه أبط فلا يهرق  
كثيراً ، لأنه يعطى فرسين من الامبرين يومياً .. والحكيم يسحر من الأطباء  
فأثلا . الآن لا أستطيع أن أحمل العصا ، ولكن أعطيتها لمن يعنى إلى  
جورجى .. هذا رأيت الطبيب من بعد ، سارعت وأمسكت العصا ..  
وكان الأنبي العربي الكسندر ديماس يشكو من الأرق فصحه الأطباء  
أن يأكل تفاحه في الساعة السابعة صباحاً تحت قوس النصر .. لكي يصحو

في مواعيد محددة ويأكل طعاماً واحداً وفي مكان واحد - تنظيماً للبطنة والمشى  
و لأكل والهضم والتفكير .. وكان ديماس ينفذ تعليمات الأطباء حرصاً ، يأكل  
سباحة في السابعة السابعة وقد وضع صورة لقوس النصر فوق رأسه ، ثم يدير  
ساعته إلى السابعة ويكمل الأرق حتى الصباح !!

هو تعرف ما الذي قاله نوهيق للحكيم عندما زرته في مستشفى العفولين  
تعرب .. وكان مريضاً .. سوف أقول لك ..  
وبالمناسبة فهذه هي أيضاً آخر كلمات هؤلاء القناهبين . فقلوها عندما اشتد  
عليهم المرض . وعاشوا أيضاً بعدها : كانت آخر كلمات للعالم دارون :  
لا أظن أنسى أخاب الموت ..  
والشاعر جيبه : مريداً من الضوء ..  
أوسكار وايلد : مريداً من الشهبان صوب أموت كما عشت فادح  
التكاليف .  
برنارد شو للأطباء : يحاولون أن أعيش أطول .. لا داعي .. أنمى أنا ..  
سوف أموت حالاً .

نورد بيرون : يجب أن أنم الآن !  
أيسن : أنا لا أنمسن .. انتهى ..  
نولستوي : ولكن كيف يموت الفلاحون يا نرى !  
سفرط : أنا مدين بذلك بدرت في أنبجه .. لا تنموا الوفاء بالندر  
روسو : أريد أن أرى الشمس لآخر مرة ..  
رابلية : أنزلوا المنار .. لقد انتهت المهزلة .  
هولتير : دعوني أنم في هدوء

الشاعر هيبه : أترك ثروتى لزوجنى بشرط أن تزوج هنأتى رجل يدرى  
بحالى .

بيوتر : لا أعرف ما لدى سوف بقوله للعالم عبي ، ولكنى أرى نفسي مثل  
طفل صغير كان يلعب على للشاطئ فيحتر على طلطة ناعمة من حين إلى  
حين ويمسكه ذلك .. بينما المحيط التلعب التوسع بظل مجهولاً ..

فلا يجوز - يبي أحمد الله أن ويسب رجلاً ولعل امرأة - إغريبياً ولعل  
محبياً ، وإنني عشت في عصر محراب ..  
أنا الذي هاته بوعى الحكيم وكفى صاحب الوجه مرتجب اليد مطفئ  
العبيد ، تعلّى عنه بحمه وشحمه حتى صار الهيكل العظمى لنوحيق الحكيم :  
من الذي مودع تكليف العلاج ..  
وقبل أن تصحك وحتت شعاعاً حافناً من شعنى الحكيم وعينه .. إنه  
مشروع يشاره مرور إلى الطريق إلى قلبك . إن الحكيم ما يزال يصحك  
أو يحاول ذلك رغم صعوبة الموقف !



توفيق الحكيم ينظر  
وراءه راضيا وأمامه ياتسا

## توفيق الحكيم ينظر وراءه راضياً وأمامه يائساً..

لن يكون الاستاذ توفيق الحكيم سعيداً ، إذا وصفت كتابه الاخير ، مصر بين عهدين ، بأنه أروع الدراسات الحضارية التي كتبها وسوف يكون غصبه لا بسبب اننى امتدحت كتابا يسحق عظيم التقدير ، ولكن لأنى وصفته بأنه ، دراسة فالحكيم لا يحب ان يوصف بأنه باحث أو دارس أو أنه قرا مئات الكتب ، فهو يخاف ان يوصف بأنه قد تأثر بالحد - إنما هو هنان - اى مبدع

بعض النقاد يحفون مجال ، الإبداع ، فيرون ان خاص بالمصنف والمفصيده ، وما عد ذلك من اشكال لابد ليس ابداعا - فالذى كتبه هو حسين عر الصيرة النبوية وعن امي الغلاء والتمسنى ابداع فى الشكل وسادس و لاملوب وما كتبه انعقاد عن التعبيريات - عن ببر الرومي ، تراويه ودراماته النفسية والحسية ابداع ايضا - والمصنف او المسرحية لا يجيب عن ذلك ، ههى سمط من الواقع ويعد صناعه - ويكون روية النقطه را لانسوب هم ابداع وكذلك كثر التوجاهات نفسيه والتمثيل الموسيقى ، من الواقع لا يسمى او الواقع المسحصى لم ينفذ إلى الناس

وهو يرى نحكيم هو الذى جعله يصنع فنه حسين تونه بهيل ، ويصنع بعدا دونهما بكثير ، فالحكيم عصب يبحث عن حركة الصور على حضرييت يرى انه نرعم الشوير فى الفن ، وطه حسين فى لجمعه ، نعد فى المصطلحات مع ن طه حسين لو يسل الجامعه لكن قد رربها من خارجها ، ومع ان العقلا لم يلحق بالجمعه ، فإنه هو الآخر قد هر ركان البعد الاحي والفكر الجامد ، وادخل ممهجا جديدا فى بصريات الشعر ودرسه التخصبة الإيسله وههم التاريخ - ولذلك لا يعثر الحكيم كثير بما كتبه هو من دراسات ومفالات - مع أنه من حسن وأروع من كتب العقلا فى الأدب العربى الحديث - فعبارة سريعة سبقه شذاه قطعه .

وكتب : مصر بين عهدين ، أجمل وأمتع وأعرق ما كتب توفيق الحكيم . هي هذا الكتاب ( ٢٤٠ صفحة ) خلاصة نظرنه الطويلة العميقة إلى مصر والمصريين والحضارات العربية والهندية والإغريقية والعربية . والحكيم يظرونه الشاملة إلى الأدب واللوحات والنماثيل والأهرامات والمعابد والكنائس والموسيقى ، يؤكد ذلك اقتداره على استخلاص المعنى الواحد من أشياء كثيرة مختلفة . منتهى الذكاء والبراعة . فقد ارتفع كعصهور يلقى نظرة فريدة من مصر ، ثم تحول إلى سر يدور عيونه فوق الحضارات . ومن كل ذلك يتأكد لديه : أن مصر القديمة أقوى وأرسخ وأعرق .

وقد لاحظ في شبابه في محافظة البحيرة أن في مصر ثلاثة أنواع من الناس : الأتراك والبدو والفلاحون . التركي العثماني هو الحاكم السيد ، والبدوي هو الذي يعيش على الحدود المصرية بحميتها ، وفي نفس الوقت لا يخضع لقانونها .. ثم الفلاح ، المصري ، الذي يزرع الأرض ويقوم الطعام للناس يتعاملون عليه ويحتفرونه . فالبدوي يرمي إبنه للتنمساخ ولا يزوجها لفلاح . كما يقول المثل . وللتركي يرى الفلاح إنسان قذرا ..

وتم يسأل المصريون عن هويتهم ، ومن هم ؟ وما هو المصري ومن هو المصري ؟ وأين هو ؟ إلا بعد ثورة ١٩١٩ ، وإلا بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى . ذهب الوفد المصري يطالب بمصر للمصريين . أي باستقلال مصر ، وهذا ما أراده توفيق الحكيم في روايته « عودة الروح » سنة ١٩٢٦ . أراد أن يبين : أين الروح المصرية ؟ وكيف تظهر ؟ وما شكلها ولونها وحجمها ؟ .. وما رائجها ؟ . والروح والرياح والرائحة بمعنى واحد . والحكيم لذلك لا يتقدم ، بدراسة ، عن الشخصية المصرية ، إنما هو يشم رائحة مصر . أي يشم روح مصر .. معتمدا في ذلك على تجربته الشخصية والعية في مصر وبعبارة عن مصر .. في باريس كما فعل رفاة الطهطاوى قبله بمئة عام . والحكيم قد جمع كلمة « الس » ولا يزال يردد ذلك . من عوالم الأفراح والمريكاتنية والمنحصبانية والصعاليك ، من ذراويش القفون للشعبية والمسرحية ..

وأول شيء يهر رفاة الطهطاوى في فرنسا : رائدة الطعام ونظافة الشوارع .. فقد لاحظ أن الناس يجلسون على مقاعد وليس على

الأرض . ولّى ، طليعة ، عذبة يضمونها لملهم . وأمام كل واحد طبق خاص وكوب خاص . وشوكة وسكين وملقعة . ولّى كل واحد يفرغ نفسه من طبق كبير .. أما الشوارع فيستخدمون عربات الفرش التي لها ثقب يخرج منها الماء بقوة وسجرتها للحيول .. وأما المرأة في المقاهي فلا يمسار إذا وقف إلى جوانبها فإنه لا يبدو مبيحا .. إنما يظهر كما هو . أما الحكيم فقد بهرته المسارح والمتاحف وقاعات الموسيقى والكتب على الأرضة ودور السينما وباتت التذكّر .. ولاحظ أن الفرنسيين إذا شاهدوا هيلما للممثلات الجنسية فإنهم ينظرون إلى ذلك بعد : لا حركة .. لا همس .. لا ضحك . إنهم جادون . يريدون أن يعرفوا . وإذا عرفوا بحثوا . وإذا بحثوا طبقوا . وإذا طبقوا أنفقوا . ونحن لا نعرف الإنفاق في شيء . وإذا كانت المرأة الأوروبية قد رفعت الحجاب ، فإن المرأة المصرية ما تزال تنصع على وجهها ، والرجل ما يزال ينصع على عقله .

أوصا لا نحرف ، الصيانة ، . فالفرنسيون إذا أنشأوا عمارة ، جعلوها منبهة كأنهم سيعيشون أبدا ، أما نحن فنجعلها من الطين كأننا سيموت غدا . ولذلك فهم

لا يرممون عماراتهم القوية ، ونحن لا نرمم عمارتنا المتهالكة !  
ومضى توهيق الحكيم يرقب ويحلل وينقد إلى ما هو أبعد وأشمل وهي عيبة مصر وهي خياله وأماله .

واعتدى الحكم إلى أن ملأه الروح المصرية : العلم والإيمان وقنن معا . فلاهرامت الفرعونية : عمارة وهنسة وفلك وكهنة وإيمان وأسرار .. وفي العهد المسيحي . كانت الأديرة والكنائس والمكتبات واللوحات والأيقونات .. وفي العهد الإسلامي . المساجد وأعصمتها وزخرفتها وحلقت لدراسة الدين والطب والطب ..

ومن مظاهر الحضارة المصرية : الشمول والاستقرار .. بينما الحضارة الأوروبية نجى على شكل موجات : موجة ليلى وتصيب .. وموجة إلحاد وكفر .. وموجة تطور صناعي ملهى .. وموجة تمرد على الآلة والصناعة وزحف لكل شيء .

ولم يكن الحكيم في حلقة إلى أن يسافر إلى مصر من حين إلى حين ، إنما



كلى له صديق اسمه د . سعيد .. هو مصر كلها . فهو يصنع المصطف إلى  
جوار الميكروسكوب ولا يقرب الخمر ولا يبعد عن النساء ! . وعندما عاد د .  
سعيد إلى مصر أقام في بيت به عدد من قوات الاحتلال البريطاني . وكانوا  
يصرخون كلما فتح الراديو على القرآن الكريم وكانوا يقولون له : كفى  
موسيقى ! . فبحث بخطاب إلى السفير البريطاني . وادرج السعير . وخشى  
أن يؤدي ذلك إلى ثورة دينية . إلى هذه الدرجة كان متمسكا بالدين والعلم معا

وكان د . سعيد هنا لا يفهم كيف يكون الحكم مؤمنا ومتفسعا أيضا ؟ . أي  
كيف يؤمن بالله ويتسامل عن معنى ذلك ؟ . ويكون رد الحكم معناه : أنه ولد  
وفي داخله هذا الجهار الدقيق الذي لا يكف عن التساؤل .. أو أن في داخله  
رراير . واحد إذا صطلت عليه سمعت من يقول : تؤمن بالله .. وزارر آخر  
إذا صطلت عليه سمعت من يقول : ولكن لماذا ؟

ومن ملامح الروح المصرية : التسامح . فلم نعرف مصر المذاهب التنوية  
بين أبناء الديانات المختلفة ولا بين أبناء المذاهب في الدين الواحد . وفي أوروبا  
ما تزال الحروب دموية بين أبناء الدين الواحد ، وبسرعة انزلق المصريون من  
التسامح إلى التساهل .. والتساهل هو الوجه القبيح للتسامح . فلم يعد أحد  
يهتم كثيرا بالحقوق والواجبات ، أو بالبحث والمعرفة والذقة الواجبة والمسئولة  
اللازمة ، أو التنوير والتطوير .. ويكون الرد على التساهل هو : مخلص .  
ومعناها ما عليه شيء .. ما على أحد شيء إن لم يفعل ، وبذلك تدمورت  
وتخرجت مصر إلى حفر التخلف وكهوف الجهل !

وكان بعض الناس يعتقد أن الضيقات والإملى بها ، من ملامح الشخصية  
المصرية وحدها . ولكن صحف باريس تنشر ، بلغت ، وفي شوارعها من  
يقرا الكتب والطلوع . فهل حدث ذلك لأن اضطرابا ما قد أصاب العقيدة  
الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى ؟ . لو هل السبب أن العقيدة الأوروبية  
تبحث عن مسلك أفرى لها وراء الحياة والعقل ، أو أنها معا ؟ . ومع ذلك  
فمن فرسا كانوا ينظرون إلى هذه الضيقات ، وإلى القوى الخفية كالخاسة  
الفساد ، نظرة عظمية . إنهم يريدون أن يمحروا . ولذلك فتنازلهم لملل هذه  
التصايا علمي في الدرجة الأولى . وليس تصديقها كاملا ، كما هو عندما .

وقد أثرت الحصاره المصريه فى الحصاره الأوروبيه لاشك فى ذلك .  
 — من اكتشاف العوسيين لحجر رشيد . بعد ذلك بعثت لهم وعليهم كمور  
 لحصاره العربيه القديمه . وظهر ذلك واضحا فى الفن . وبعد الحصاره  
 عربويه إتجهوا إلى الحصاره الإغريقيه المبحريه ، والأساطير القديمه . وقد  
 صبرت وقامت الرومانسيه الأوروبيه كلها على الهجره إلى بعيد والاحتفاء فى  
 حذر السوداء والاعتصام بالسحر القديم ..

ومن خصائص الروح المصريه أيضا : الشعور بالبقاء أى بالإستمرار  
 ، لديمرار ، فالمصريون على أرضهم هذه من ألوف السنين ، بعثت لتنبأ  
 حوبهم ، وبغو كما هم . جاء غراه وخرجوا وظلوا على أرضهم والعراة  
 فى كسوفها بوعين من الكفل : الحجارة والشعب . وإذا كانت الأحجار تأكلت  
 واحتاجت إلى من يرميها ، فالشعب أيضا .

( وفى الحصاره الهنديه اكتشف الرعيم غاندى أن أعظم قوة هى التكتل  
 سعى . يصنع أمام سيارات الإنجليز وفطاراتهم وجيوشهم .. هيجدون  
 عنهم عجزين عن تعظيم هذه الكتلة البشرية . وإذا أمست كل هندي حبة  
 ملح من ملاحات الإنجليز ، أقست الملاحات . وهذه هى المقاومة الشعبيه .  
 كذاً جميل قرأته أخيراً ، نكاتب الكبير كامل رهبرى ) .

وكلما مصبت فى كتاب الحكيم بهرتك روعة التحليل وإشرافه المبارة وبعد  
 سطره ، وارتفاعه الشاهق فوق الحصارات ، ولتنصافه الدائم بمصر  
 وأجمل صفحات الكتاب جميعا هى العنود الأخيرة . فقد استطاع الحكيم  
 حصوطة سريعة وأحكام قاطعة أن يصل بين الحصارات المصريه والإغريقيه  
 والنهسيه .. ولعربيه . فإلى كتبه هيا فى عشرين صفحه من الممكن أن يكون  
 معنف فى ألف صفحه . وهو أكبر دليل على الإطلاع الواسع والذائل الطويل  
 والتدقيق السليم .

ويختار الحكيم التمثال شاهداً على الفرق بين حصاره مصر وحصاره  
 لإغريق . فالتمثال الإغريقى عريان دائماً . والتمثال المصرى يصنع صامتا  
 خفيها . والسبب هو أن المصرى يجب أن يكون خفياً مثل الروح ، والإغريقى  
 يجب أن يكون واضحا مثل المنطق . والفن المصرى لا يهجم جمال الشكل

ولا جمال الطبيعة ، ولكن فهمه الفكرة . وهو لذلك ترك الحجر يقول كلام  
كثيرا . والمصري إلى سمارى . وكل شيء عنده قد هبط من السماء ، وهو  
لذلك لا يجد ضرورة للكفاح . وكل شيء متوافر عنده . ولذلك فهو آمن على  
يومه وعلى غده . ولذلك نلم أبناء الحضارة المصرية والهندية تحت الأشجار  
المقنعة ، يطمون بما وراء الحياة .

وقد قامت حصارة مصر على الروح لأنها شجعت من الملاء . أما حصارة  
الإغريق فهي لم تشجع من الملاء . هلاهم جاعة . والحياة قاسية . وصراعهم  
مع الجبال والبحار طويل . ولذلك حاربوا وكلفت لهم غزوات في كل القارات .  
فلا عرفوا الأمل ، ولا وجدوا الإستقرار .

أما المصريون فلم يعرفوا [لا الإستقرار] . بل إنهم جاموا من بعيد . بل  
لا أحد يهرب من أين جاء المصريون ؟ . ولا كيف ظهرت الحصارة  
الفرعونية هكذا متكاملة مرة واحدة ؟ ، كما يظهر فرض الشمس كاملا عند  
المشروق ..

والحصارة العربية تشبه الحصارة الإغريقية : فهي قلق وحركة والبحث  
عن المادة واللذة ورخوف الحياة . وعرف العرب الحروب والغزوات .. بل  
كانوا أسرع الغزاة في التاريخ . ولأنهم لم يعرفوا الإستقرار فلم يعرفوا التأمل ،  
ولأنهم لم يعرفوا التأمل لم يعرفوا غيور الأسطير .. ولم يعرفوا أيضا البناء .  
إنما عرفوا رخارف البناء ، ورخارف النثر والشعر . فالنفس فسيفساء . والشعر  
أرنهمك . والضياء موجات وإنحناءات وإنكسارات وتقسيم .. وسيد درويش  
ذلك الضان المبغى هو أول من أدرك أنه في حاجة إلى الدراسة لكي يغير شكل  
الأغنية والموسيقى . ولذلك تمنى أن يسافر إلى إيطاليا ، ولكن أحدا لم ينتبه  
إلى هذا .. إلى أحلام هذا الرجل !

وبعض المؤرخين يرى أن الدين هو الذي منع العرب من أن تكون لهم  
لوحات وتمثيل وعمائر . ولكن العرب لم يكونوا هكذا متمسكين بالدين ،  
فتصور الخلفاء والوراء عرفت الصجون والقصر وكل المحرمات . والشعر  
العربي يصف لنا كل ذلك في أروع وأجمل صور التبديع .. وإنما الرسم والنحت  
والنصارة في حاجة إلى فهم شامل وتأمل طويل وتذوق جمالي مختلف ووعى  
وإنسجام داخلي .. بل إننا لم نجد بين الكتب العربية كتابا واحدا عن موضوع  
واحد ، فكل الكتب قهقري وكشكيل !

ويبري الأستاذ بوفيق الحكيم . في مصر والعرب عشاقنا . مصر هي الروح والسكر والإسفرار والبناء أما العرب فهم . المادة والمرعة والرحوف .

ونسمى الأستاذ الحكيم لمصر والعرب أن يتزوجا . روحا ومادة وثقلا وسكونا . . وقد استطاعت الحضارة الإغريقية أن تحقق ذلك مرة واحدة !

ولابد أن نقرأ كتاب الأستاذ بوفيق الحكيم مرة أخرى . لأنه قد سحرنا وبهرنا وشغفنا عن مناقشة كل أحكامه المطلقة . وثقا فرائد المحنة والفصل الأخير مرة أخرى . وقد أنصت الأستاذ الحكيم وأصغى ، ولكن لابد أن أختلف معه في كثير من أحكامه ومقارناته الخاطئة ..

• • •

ومن سبق علما لم يكن الأستاذ الحكيم متفلا ، فقد جاء في رسالة له من الإسكندرية يقول :

« لود لو أكتب إليك بأخباري ومشاعري ، ولكني أراها لا تسلي شيئا كلها ، هي شيء غير بطريق طويل ومنسجمة حريمة ، كلها رافعة ورتاء لكل ما يقع أمامي هذا ، وبأس قتل وشرق دائم ، ولها تجري كالدموع الباردة ، وعياة أنمي ردها لخالقها لي لم يسطي حق استعمالها كما أريد ؟ .. هل نرائي مستطوعا أن أكون شيئا غير ذلك الآن ؟ » .

ولكنه بعد ذلك قام بحركة « التنوير » التي أرضعته وأسمعتها ..  
لما هي نهاية الكتاب وفي الثمانينات يردد الأستاذ الحكيم تسليما . فهو قد اختلف مع طه حسين في أن « التنظيم كالماء والهواء » - أي بشبه الناس وبشربونه ، ولكنهم لا يستطيعونه أو يتممونه . وكان من نتيجة ذلك : وهو الأمية على أوسع نطاق ، وتوزيع الشهادات على عشرات الألف ، تولى أن يؤدي ذلك إلى تنوير مصر وتكوين شخصيتها . ودفعها إلى الأمام ..

« فمصر الخالدة قد تكونت شخصيتها على مدى العصور ، من العهد الوثني إلى العهد الإلهي بأديانه الثلاثة الموحدة والمسيحية والإسلام ، فترسبت في قلبها كل حضارة الإنسية ، وعرفت في عهد من عهودها ما شاهدها أنا في

« الكوليج دى فرانس » من تحول أى شخص إلى الأزهى الشريف ، يستمع إلى عالم جليل يستند إلى عمود المسجد ويلقى علمه على الناس المجتمعين حوله ، ولا هدف لهم من شهادة أو وظيفة أو أى مطلب من مطالب الحياة المادية . لا شيء إلا تلقى الصوة الذى يدير عقولهم وقلوبهم .. لم يعد هذا موجودا اليوم . فالعلم والتعليم للحصول على الشهادات والدرجات .. أما التنوير الروحي والعقل لتكوين الشخصية ، فلا يفكر فيه .. حتى الجامعة المصرية التى تشغل كل بيت واسمها « القليوبى » ، إلى هى إلا أداة تنوير وتكوين .. ويرحم الله الشخصية المصرية والأسرة العربية الكبيرة ..

ولكى يؤكد لنا الأستاذ الحكيم من أين بدأ وإلى أين انتهى ، فإنه يصح في فصول الكتاب فصلا بعنوان « المواقف » .. هذا الفصل الذى يراه « إبداعا » هنا هو « مطلب .. بركة .. مستنقع .. حظيرة » طريقك إلى القبة المملوكة .. إن الأستاذ الحكيم قد مسح بالقلم أرصفة القاهرة وقلوب وطنط ورصيف سيدى جابر ليؤكد لك بالكلمة العلمية والإشارات الشعبية .. أن هذا هو « المرود » الذى ولد فيه .. وأنه بعد ذلك قد ارتفع إلى سماوات باريس وأثينا ومصر .. فو أنه أراد أن يقطعك « عمليا » أنه من هذا لولح أو هذه الأسفدة المصرية التى تنمو منها أجمل أشجار التفاح . ممكن .

ولكى يستحيل أن يخرج الأستاذ توفيق الحكيم بشيء من وحل شارع محمد على إلى « شارع الشانزليريه الفكرى » ، نون علم وثقافة ودراسة ودون موهبة . فقد استعان الأستاذ الحكيم على « المواقف » بالعلم واللس ..



— أصبحت من أهل الكهف —

## أصبحت من أهل الكهف ..

لغزونا كل منذ ثلاثة شهور ، على أن يجيء مصلا في كتاب جديد يصدر  
قريبا .. وقد رأى الأستاذ الحكيم أن أنشره هورا .

كل الذين راروا الحكيم جاءوا بهولون لي عبارة واحدة : بأحى إن الرجل  
يسأل عيك ، إذهب لزيارته !

أي أنني مقصر في أداء هذا الواجب لأستاذ وصديق عزيز .. فكنيتي لم  
أقصر قط ، بل إن الحكيم قد غصب ، ثم إنه يبهني إلى ما هو واجب .. وهو  
يشهد كثيرين على ذلك .. وعندى أسباب . فكل الذين رآوه يصغون عوده الذي  
النوى وإنكسر .. يجرمون على أستاذ العوار كيف أنه أصبح عاجزا عن  
الكلام .. وأنه يتعذب بسماع الناس يتكلمون وهو غير قادر على ملاحقة ذلك ..  
وأنه لا يرى أحدا لو لا يصح أن يرى ويمسح .. فانسحب الناس ، كما انسحبت  
كل الألوان ، فلم يبق إلا اللون الأصفر لوجهه وعيده ..

ولابد أن أراه .. وأن أتعش كل أنواع العذاب والوجع لقلبي ورأسي . فأي  
عندما مات طلب أن أراه .. ورأيتنه وهمت في أدبه لسي وجدت في اللبائس  
وكل ترسيهي الأول ليعول أبي : مبروك بلوندي ..  
وبعدما يموت !

وأسي كنت مسئولا عن أن نعتد الوعي بي وبالدنيا . وكل ما أنكره قبل  
وفاتها بأيام أنها لو صنتي بمكان أدفنها فيه .. بعيدا عن كذا وعن فلا ..  
وآلا يمضي في جنازتها فلا وعلا .. وشكرت الأطباء فقد جدروها حتى  
ماتت ، وهي لا تعرف ذلك !

ويوم رأيت الأستاذ المقاد مريضا وميتا ..

ويوم ربما طه حسين لآخر مرة سافضه في التليفزيون ، ويوم حملته مع  
سكرتيريه على مقعد من الطابق العلوي إلى الطابق الأرضي .. وهمت في  
أذن المخرج التليفزيوني أنه لو مات طه حسين وهو يتحدث إلينا ، يجب  
ألا يهزه ذلك ، بل يمضي في تصوير هذه اللحظة التاريخية - أي أنني لم  
أستارع إلى إنقاذ طه حسين أو محاولة ذلك ، وإنما سوف أسمع الآخرين من  
التراحم حول طه حسين حتى يموت واضحا على الشاشة ! وقد أحجلى هذا  
الموقف اللا إنساني بعد ذلك !

ويوم سافرت إلى الاسكندرية عندما عرفت ان الشاعر عبد الرحمن شكرى  
الذى قيل أنه مات في بورسعيد من عشرين عاما ، ما يزال حي ، قابلت الشاعر  
الكبير . وكان ينتظرني بطربوشه ومظاره .. الرجل نحيف هزيل . الغرفة  
أثوابها هي لون بشرته وجزمنه وملابسه وشعته : باهية . مبنة .. وعلى  
استعداد لذلك في أية لحظة !  
وكنيت عنه ..

وبعدما بأيام مات للرجل . فكُلَّ الرجل عاشر مرأ عشرين عاما ، وأنا الذى  
جعلت وفاته علنا !

وبقيت للأستاذ العقاد نبأ العثور عليه ، ثم بدأ وفاته .. وسمع النبأ وبكى فى  
التبصرين ، فأحرسنى حزن الصملاق فبكيت لهكاته !

ويوم ذهبت للقاء شاه إيران فى قصر القبة بالقاهرة ، كنت آخر من أجرى  
معه حديثا وآخر من رآه .. كان الشاه كما رأيته قبل ذلك فى مهرجان قورش ،  
مشدود للقامة .. كل شيء فيه مشدود .. القوام والحنق وشعر الرأس ..  
والأنف .. قال لى الشاه : أنا أعرف أنى سوب أموت .. هذه حقيقة علمية ..  
ولذلك نلاحظ أن شعري ينساقط .. وأنسى أنساقط من الداخل .. نعلما كأننى  
إيران .. وكأن المرطبان غومينى !.. وأهرنتى الذى رأيته ، فلم يكن فردا  
ولا إمبراطورا وإنما إمبراطورية !

ويوم ذهبت إلى مستشفى المعادى لأرى كيف يتمكن الأطباء من إنقاذ  
الرئيس السادات بعد إطلاق الرصاص عليه . وفى المستشفى وجدت الرئيس  
مبارك . سألته قال : ربنا كريم ..

ولقبت السيدة جيهان السادات قالت : ربنا كريم ..

لم أسأل ممدوح سالم : كلى قد داب نعلما . سألت الأطباء .. قال لى صديق :  
أنه يحتاج إلى معجزة .. ولم يرد عندما قلت له : هل تستطيع أن أراه ؟ ..  
نحلت ورأيت ما لا أزال أنتم عليه .. لم أجد إلا ملابس ونما وقلبا بمزق  
أى قلب .

ويوم رأيت المطربة فايزة أحمد فى ساعاتها الأخيرة ، أجمل وآخر  
الأصوات الجميلة .. وقد نساقط شعرها وغاب لونها وتقطعت حبالها  
الصوتية ..



بعد حزمه الموت

أما الأستاذ الحكيم فقد عارفه الجويوه أي الفرح والكلام والجلوس طويلا  
مع الصوف، سجد مائة مرة، فيها سمراء اللون مائة مرة، حذو  
الحجاب والآنسة والمعين والشمس، وهيها عبيد الحكيم

ثم رأيت هذا مخرج من دوره نفسه ووراءها بوقى الحكيم انطباعه  
بعضه مشغولة كطريقه المحرمين وبمن الأطناء البديع صغراء مرموقة  
الزراير وهو وقت بعينها يقول يا الهي يسى لحدث علك وقت لمسى لابد  
بك سوف بجيء لابد في براسي في آخر فلي لاند لند بريد ان معرف  
عده البهية فهي نهاية فعلا معيت تلك ولكن الاطباء هذا تروا في هذا  
المقلب ان اعيش مرة اخرى أي ان اسعد الحياة والفكر والإحسان  
بأنه قد قادهم بعد في دور إسهي نوري، إنتهت بعد التلاخيص فلا  
عندي كلام ولا رى ولا موقف ولا مطوب حتى أي شيء، فنب  
مغرب ألكم المطوية ليست هي لمسى، لا كلكم في لمة، لا لم  
مغير ولكن لمة كان علو، فاصبح ملها، والذي كان ملها أصبح عب  
مغرب الصوف واليه واصحبه سورا سدا لا ممر من  
قلت فلا وسهلا بعدا تم على سلامك ست لخص كثير هذا  
لحال مع لاسف لند ربيب بمسى على الموت ففهم وجب صبرى  
صلى وفلى لا يطيق ان يكون هذا، رفعت راسي إلى السماء وقت بارز  
عده هي القلعة اوجب نفسي، وموقف نفسي بمرعة إلى جوارك، لا  
رد ان يكون إلى جوارك، ولكن لا اعرف في كيف بريدك وعندي بضمه  
سنة اود ان اصبح ملك جوار عبيد لو مسجف

واغرب الأستاذ الحكيم، ومسى ر بصفه في وجس وظلت عصير  
ثبر نقل وصال لي كل لا سري القبر بدمه هو نفس النوع الذي يمتطيه،  
و انه يحتاج إلى نوع آخر وكله علامت على انه يريد ان يكون  
اصغر ر يكون صبح اليوم وغدا لير ينگم شدة القسمة التي مضت في  
المر طلل، لا سوف يطور، وليس لمة من يزهر الطعام والمرايا والند،  
لانه ينهي او هو نكد او حسن في هذا هو القرار

واسعدنى أن أجد الحكيم قد اسلم للصحة والرغبة فى الحياة .

قلت : يا أستاذ هل تنسى يوم الاحتفال بعيد ميلادك أن اقترح أحد الأصدقاء أن يختار لك عروسا .. ولحتفا فى عمر هذه العروس .. وكأن إصرارك على أن تكون فتاة صغيرة .. ولم تسأل إن كانت سوف ترضى بك ؟  
صحيح . واسعدنى ذلك .

وقال : صحيح . غرور . لم أسأل إن كان قرارى هو قرارها .. هل قلت أننى سوف أتزوجها ؟ أظن أننى قلت أنها سوف تتزوجنى (عجبا أو عطفا أو شماعة .. هل تعرف أننى فكرت فى هذا الموسوع ، وفكرت فى الرجل الذى يحنار عروسا صغيرة .. ثم يفهم أنها تروجه لشخصه .. أى تشبهوهته وليس لفلوسه .. أو تروجه للإعجاب به .. إنها تحارب الشيفوخة .. شيوخهتكم أنتم .. فلما لم أفكر فى هذا الموسوع قط !

وضحك مرة أخرى ، واسترد عصاه ووصفها أمامه . وأسند رأسه إليها ، وراحت عيناه تتحركان فى قلق شديد ..

وانضمت شهيته للحديث ، وقال لى : أنا بسيت أن أسألك .. لقد كنت أبحث عنك . وطلبت إلى كل الذين زارونى أن يأبوا بك من تحت الأرض .. أريد أن أسألك هل كتبت فى كتابك ، صالون العقاد ، عن إنتصار العقاد ؟  
قلت : نعم ..

قال غريبة أنا قرأت الكتاب نميت ذلك .. هل كتبت أن العقاد حاول الانتحار لأنه عندما أصدر كتابه عن سعد رطلول ، قاطعه الوديعون ؟ قاطعوا العقاد وقاطعوا الكتاب .. وهو أحسن كتاب عن الرعيم سعد رطلول .. فى ذلك الوقت كان العقاد غيرا تماما لا يملك مليما واحدا .. وكان يتوقع أن يعود عليه الكتاب بمال وهبر .. فقرر العقاد أن يتنجر وعاد إلى بيته . واستعد لهذه اللحظة الفاصلة . ولكن عندما أغلق الباب ، سمع طرقا .. إنه رائتر بزجوه أن يبيعه كتاب ، أبو الشهداء ، على أن يدفع الثمن مقدما .. ودفع للعقاد مائتى جنيه . وهذا مبلغ يكفى أن يعيش به العقاد معه على الأقل .. إنها إرادة الله .. معصي من ذلك .. ولولا أننى لم أجد عندى هذه القدرة على أن أحقق نفسى . ولا أن أتعلق من اللعنف .. فأنا فى حاجة إلى قوة لكى أفهم وأربط الحبل وأنتلى منه ..

ولا أعرف وسيلة للحصول على السموم . فأن هذا تحت رقابة شديدة  
ولا أعرف كيف يكون أثر انجلاى أمام هذا الحشد من الأطباء والممرضات  
الذين يهتمون بى اهتماما هائلا .. أين هذا الانتحار إهانة لهم جميعا .. لم  
أسطيع .. أنت حاولت الانتحار ؟ أنا قرأت لك ذلك .. كيف قررت ذلك ؟ هل  
تأثرت بالحقاد ؟ قل لى كيف !

قلت : فى ذلك الوقت لم أكن أعرب للحقاد .. فقد كنت طالبا متفوقا .. كنت  
الأول فى كل مراحل التعليم .. لا الأول على المدرسة وإنما على طلبة مصر ..  
وهى التوجيهية كان تزهى الأول . وكنت أول الفائزين فى مسابقة اللغز ..  
وطهر الجبر فى الصفحة الأولى من جريدة « الوفد المصرى » .. واشترت  
الجريدة .. وعنت إلى البيت ، لأجد أمى مريضة تفزع دما .. أما إخوانى ،  
هم يكن منهم أحد بالبيت .. وجدت أمى قد سقطت على الأرض . ولم أعرف  
م الذى يمكن عمله .. وأنا إيمان عاطفى جدا ، رغم أنى لا أبدو كذلك . هس  
التمسك لى بنوب منطفى وطمسى أمام حرة عاطفية .. ورحت أجزى فى كل  
مكان .. بحثا عن أى طبيب لم أجد أحدا .. عنت إلى البيت .. وجدت الباب  
مضوج .. لقد سمعته كذلك .. ووجدت قطه تلحق دم أمى ، التى تسانفت على  
الجدران واستقرت على السرير .. وقد تحدثت بحب أمى كثيرا . ونسيت لها  
الموت قبل .. حتى لا تتعب بوفاتى .. فقد كانت تعتقد أمى إنها الوحيدة مع  
أنا أحد عشر .. وبعد أيام تحسنت صحة أمى . وبدأت تستأنف عملها فى

البيت .. ولم تسلمنى إلى كنت نجت . ولا أحد سألنى . وهى ذلك الوقت جاءت  
سيدة غنية وعرضت على أمى أن تتبلى . ووافقت أمى . وهى لا تعرف  
لا نسى سوف أعيش أفضل وأكل وأشرب أحسن ، وأنام أهدأ ، وأذكر  
أطول .. وبالاتقال إلى بيت هذه السيدة الغنية عرفت كل آلام المصريين الغليظ  
وشجعت الممعة .. فقد كان ذلك إغتنابا إجتماعيا وصحيا ، وأحسست أنى  
شخص غير مرغوب فيه .. غير مطلوب .. فى غير موقعى . وقررت أن  
ألقى بنصى فى النيل . ونهيت إلى كوبرى المنصورة ، إلى الماء . وفى حالة  
من اللجوء ، رفعت ساقى لكى ألق على السور .. عندما شحنتى بد .. إنها  
بد السيدة التى تعطى والذى الحق .. وقد ظننت أنى أريد أن أسبح فى الماء ،  
فما تبتنى قللة ، يا لىس إخلع ملائكة بدلا من إلهاق والدتك بقسطنطين وكبها بعد  
ذلك .

قال توهيق الحكيم : لأن لك دورا في الحياة الأدبية والفكرية إنها إرادة الله .. لك دور ولا تزال في مكانك وموقعك .. لا تزال مستعدا لأن تعطى .. ولكن أنا بلا دور الآن ، لذلك كان من الواجب أن أموت ، لم تعد هناك القيمة التي عشنا من أجلها .. الآن كل شيء بالظلم ومن أجل الظلم .. لا أحد عبده الإستعداد الذي كان عنيدا للتصحية من أجل الرأي .. من أجل الإصلاح .. أنت الآن تجد لاعب الكرة يتقاضى ثلاثين ألف جنيه إذا أصاب هدف الخصم .. تصور لكي يتفوق الإنسان في اللعب ، يجب أن يعطيه مكافأة مالية لذلك .. إن جمال عبد الناصر أراد مكافأتي على إعجابه لما كتبت فاعطاني نيشانا رفيعا .. لم يعطني مكافأة مالية .. ولو أعطاني لفصلت النيشان .. أي اهترت التعبير الأدبي . أي اخترت القيمة وليس الثمن !

قلت لتوهيق الحكيم : عندي مثل أذكره كثيرا .. لقد نشرت سلسلة من الكتب للأبناء الشباب .. والذي أهدتني ليس فرحة الشباب بصنوع كتاب لهم . وإنما حرصهم على أن يتفادوا مكافأة عن ذلك .. فلما مثلا عندما أصدرت كتابي الأول ، وحدي مع الآخرين ، سنة ١٩٤٩ تسببت أن أنقاص أجرى عنه .. وإنما رحلت أشتري من هذا الكتاب كل ما أستطيع لكي أهبه إلى الأصدقاء والزملاء .. وعندما أهدت مكافأتي عن الكتاب إشتريت بها مئات النسخ لكي أعطيها لمن يطلبها .. وأنكر أنني كنت أفرج على المكتبات في بيروت فوجدت كتابا جديدا من تأليفي .. إنه ( ألوان من الحب ) إشتريت منه كثيرا .. وبعد ذلك رحلت أبحث عن الناشر الذي أعطاني مائة نسخة . وخرجت سعيدا وسببت أن أطلب أجرى عن الكتاب .. إنما الفرحة + هي أن كتابا لي صدر .. عملا أدبيا ظهر .

وصحك توهيق الحكيم واعتدل في جلسته ، ولما جاءه عصير البرتقال أمسك الكوب في يده والعصا في يده .. ومال إلى الأمام واستأنف الكلام . قال بل إنني لم أفكر لحظة في أن أنقاص أجرا عن كتاب .. بل ترددت في النشر .. فأنا ككاتب ، أهل الكهف ، ومركزها في البيت .. ولما جاء أحد أصدقائي ليبيت عندي ، سألني إن كان عندي كتاب يتمنى به قبل أن ينام فلم أجد ما أعطي له ، فاقترح والذي أن أعطيه ، أهل الكهف ، وكانت مكتوبة بخطي .. وفي الصباح فوجدت بأنه ترك لي ورقة يقول فيها ، أعجبتني الكتاب وسويت أعمل

هو - في مصر - ونزحني ذلك .. فقد كنت وكيل بيايه محبرها .  
 - - - بعد سمعني هذا الكتاب ولكن صبغي اصر على نشره . وقد  
 حثت - عنبرين جنبها على ان ادفعه بالنسيئة بعد ذلك .. وهو مبلغ كبير  
 في سنة الموت . وبحيرت بين ان ادفع وان اشترى بذلة جديدة . وقال  
 صديقي بن سراء سلمه وجرمه اهل - فلما لم أفكر إلا في الكتاب . وإذا  
 - - - فمسي يفتني . فلم تكن الطومس هي الدافع الأول .. ويوم كنت ، عودة  
 - - - حار الناس على أنها بالعامية . وقتلوا بني صوف أفسد اللغة العربية .  
 - - - بالناشر أطلب إليه أن يمنع صدور الكتاب . ورحت أفكر في  
 - - - صديقت سجنه . إن كان الكتاب قد صدر فلا بد ان احصل عليه وأن ألقى  
 به في سبيل - ولكن لتعرض أنبي فعلت ذلك ، وبزل الكتاب على رأس أحد  
 من كفيه ومات .. أو لتعرض أنبي أحرقت الكتاب في ميدان عام ، فما الذي  
 عجزه الناس ، ولكن الناشر أصر على أن يصدر كما هو ، وليكن رأى الناس  
 - - - بكتاب - صدر الكتاب وأصابني فرح شديد .. ولكن جامعي الأمثال أحمد  
 - - - رعيم مصر العلاء ، ورميله الأستاذ فتحي رسول ، وجاءتني الذكورة  
 - - - سهر نظموى . وقالوا : إن الكتاب يعجز عن قلعهم وعن شياهم وعن أمنهم  
 في سحر والحلاص .. من أجل هذه للمعاني ، ورد الفعل هذا ، كنت كل  
 - - - معاتب النيب نهوى . فقد كانت لنا قصة . الكتاب والقارىء . والقصة  
 - - - صحتهم ظاهرة . هل تعرف أنبي أصبحت الآن من أهل الكهف ؟  
 هؤلاء الذين كانوا هميسين فقال لهم الناس نهر لا يريد القديسين . إنهموا  
 - - - قد هموا بعيدا ، وبواروا في الكهف ومعهم إيمانهم العميق . وباموا ..  
 - - - عمت قاموا كانت الدنيا تغيرت ، لقد بعثوا إلى الحياة في رص غير رمانهم .  
 قد بدعهم المجتمع ..  
 قلت أو لعلمهم هم الذين بدعوا المجتمع ، عادوا إلى النوم إلى الموت .. كأنهم  
 خرجوا من الكهف فلم يجدوا أحدا .. تماما كما يخشى الناس في الكهوف خوف  
 من العارات الدرية . ثم يخرجون فيجدوا أن الأرض قد خلت من الحياة ،  
 لا منهم . هفروا أن يموتوا يلحقواهم ، أو يعيشوا كأنهم موتى باجنينهم  
 - - - هم الذين رهصوا الحياة .. وهذا ينكرني بمسرحية كتبها الكاتب  
 سويسرى ديرمات ..

قاطضى الحكيم قتلا : صدقتك الذى ترجمت له عشر مسرحيات .. فى غاية الروعة ..

قلت لى مسرحية ديرنمت هذه تحكى أن طبيبا ممتع عن جماعة من الموسيريين يعيشون فى أحد الوديل حول مستقع . فى ظروف سبئة جدا فالحس بأن هذه إهانة للإنسانية كلها .. والموسيرا بوصف حاسن ، وهى الدولة التى تصمم هيثاب تحارب من أجل حقوق الإنسان وسلامة الإنسان وشعاه الإنسان .. ولذلك قرر أن يذهب إلى هناك ، واستعد للسجول فى هذه المنطقة الموبوءة ، فأعطى لنفسه المعافير الواهية من كل الأمراض ، وأحد معه سيارات ومشتريات متقلة وعددا من الأطباء والممرضات . فوجد الأطفال فى صحة جيدة ، يسبحون فى المياه الراكدة المعسة ويشربون منها .. للوجود وردية والقوام ممنود والشعور ذهبية .. وفى الجو بعض الحشرات والهولم .. وظهر الآباء والأمهات .. إنهم يملأون الأكواب من الماء الراكد ، ويشربون ويمسكون الأطباق والأكواب .. ثم يسبحون .. شىء عجيب . واقرب للطبيب منهم ، وسألهم عن مشاكلهم .. فقالوا له . لا شكوى لنا . والأطفال أصحاء .. والأرواح سعداء . وفى الليل يذهبون إلى الكهوف المطلقة الفسدة الهواء ويمامون .. لا شكوى ولا أمراض القلب ولا مكر ولا تسوس الأسنان ، والوفاة فى التسعين وما فوقها .. ولهم يعيشون فى هذا المكان من منات للمنى .. راح الطبيب يحلل نماء الأطفال والآباء والأمهات .. لا مرضى .. وعندما عطس أحد الأطفال فزع الآباء والأمهات ، وقالوا هذه هى المرة الثانية التى يعطس فيها مواطن منذ مائتى سنة .. وعذبت لقاظة الطبية .. لأنها لم تجد مبررا للبقاء .. فأهل للكهف هم الذين رعصوا وبنوا الحضارة الإنسانية .. فلا هى حضارة ولا هى إنسانية !

وسألنى توهيق الحكيم لى كنت أحب لى أشرب قهوة أو شاي أو عصير برنقال أو نسكافيه . وكان جادا . وهو عادة كذلك عندما يكون الدافع أحدا آخر غير توهيق الحكيم . ولذلك لم أنشأ أن أطلب شيئا . فلا متعة هناك ، إنما المتعة هى أن تكون على حساب توهيق الحكيم ، وهو يحاول أن يقطعك بألا تشربه على حسابه !

عاد الحكيم يقول : على أيامنا فى الثلاثينات والأربعينات كانت لنا قصبة ، والقصبة هى مصر ، لى يشغل بالأدب المصرى وليس بالأدب العربى ، فتكون

القصة المصرية .. والمصرية .. وأن نقل إلى مصر بجارب الآخرين .. فله  
حين فتح باقة على فرنسا ، والعتاد فتح باقة على إنجلترا . وانجها جميعا  
من جل بهمة مصر .. هذه هي القصة .. من أجل ذلك كانت : عودة قروح ،  
وكان المسرح اجتماعيا مصرية .. كل ذلك فيما مضى .. أما الآن فليس عدو  
شيء أقوله ، أو أضيقه .. ولدت مطلوبا ..

فضحكت لأقول نحن الآن أيضا عندما فحبة هي : مصر .. يكفى أن تفتح  
لشعريون لتجد عشرات الأغاني لمصر .. حياة مصر .. وألم مصر ..  
وجمال مصر .. وحببتي يا مصر وأنى يا مصر .. لا مانع من أن يكون ذلك  
مورعا بين الأبراج وبين الأيام ، ولكن كل ذلك فى وقت واحد ومكرهون  
وحد شيء عجيب ، فلا أحد قد هند مصر ، ولا أحد قد خطف أمها ، ولا أحد  
قد حنق اسم مصر .. لا شيء .. وإنما الأغاني تريد أن تدعنا إلى أن نترجم  
لك فهي قد افتعلت قصة .. أما السبب الحقيقي فهو أن أحد المطربين قد غنى  
بمصر ، وبسرعة سار وراءه مطرب آخر ، حتى لا يتهمه أحد بالتقصير ،  
ولا أعرف معنى التقصير هذا ، فلا أحد يشك فى وطنية أحد ، ولا فى  
حلاسه . ولكن هذا الإسراف يجعلنا نشكك فى ذلك ، وتكرار هذه الأغاني  
يجعل أقل إحصائيا بها ، وأكثر سبقا بذكر مصر والغنى بها ، فمصر لم تعد  
قصة أدبية سياسية ، وإنما أصبحت قصة غنائية موروثة . والمشكلة الآن هي

مشكلة أننا بلا قصة واضحة ، ونحن بلا قصة لأن هذا الجيل ليس واضح  
تصديق واعى النظرة . إنه مضطرب مرتبك ، وسوف يبقى طويلا حتى يحدث  
شيء ما ، أو يظهر كتاب ما ، أو شخص ما يكون محوريا .. عليه وألمه  
وسببه مختلف ويتفق الناس .. ويجدون أنفسهم أمام قصة الحلاص من هذا  
نحسب أو الإخلاص له .. وأنتكر موقفا مسرحيا للكاتب الأسباني أربال ..  
عندما وقف الناس حول شخص . هم قضاة القلمة وهو طويل .. ثم هو واقف  
على أحد المقاعد ، فكأن أطول .. وهو يمسك مسدسا وكتفا وتصيحها  
ومصاحا .. قالوا له : نحن نمشى وراءك .. نحن انتظرنك ، ولكن ساعدنا على  
أن نفهمك . وهنا قال الرجل : إذا كنتم ما تراقون فى حلبة إلى أن أبدأكم .  
قد جئت سابقا لأوانى .. ولذلك يجب أن يخلص أحدا من الآخر .. وسوف  
أعذركم . خذوا المسدس .. واقتلوا أنفسكم أو اقتلوني .. ولم يترددوا لحظة

هي أن يقولوا ! فهم لم يبلغوا درجة التضج ، ولا الرؤية الواضحة أو الروي الصادقة ، ولذلك قد اخطأوا فهم الرجل ، وسبقوا رمانهم .. كأنهم عاشوا في زمان غير رمانهم ، ونصبوا عليهم بطلا خرافيا .. وبدلاً من أن يقتلوا أنفسهم ، فقلوا . فاحتفى للرجل ، وظلوا في اماكنهم .. هي رمانهم . بلا قصبة !

ولنتذكر أنني كنت في أسوان مع الشاعر الروسي يفتشنكو وهو ، بلوعة ، الإتحاد السوفييتي ، كنا ثلاثة . الاستاذ كامل رهيزي وزجاء النفاس وأنا .. وكان الذي دعانا إلى مصاحبة الشاعر الروسي هو الأستاذ أحمد بهاء الدين .. كان الليل في أسوان هادئاً ضرباً ، وتمدد الشاعر في رورق وسندار يسألنا : ما الذي يشغل المفكرين والأنباء في مصر هذه الأيام ؟ ..

ما هي قصبتكم ؟ .. ولم تكن جاهزين للإجابة .. فذهبنا في كل اتجاه .. وأخيراً قلت له : إنما سافض قصبة ، الواقعية الاشتراكية ، ولم يفهم الشاعر يفتشنكو ، وقال : الواقعية هي الواقعية . إما واقعية وإما خرافية .. وأثار عدداً من الاعتراضات ، لم تجد لها إجابة .

وقال . فأنتم إذن تتحليلون على المشاكل أو تهربون منها ، أو تهربونها أو تزورونها .. ثم قال : عنينا في روسيا نكتة .. يقال أن أحد أعضاء اللجنة المركزية للعرب الشيوعي طلب مناً ليرسمه .. جاء الفنان فوجد عصو اللجنة المركزية أعور فأرسله الفنان : إن رسمه كما هو فهذه هي الواقعية ، ولكنه لا يعرف كيف يكون أنهما على نصبة الرجل .. وإن أسلف له عينا فهذا أجمل ، ولكنه تزوير للواقع .. وإن فقا العين الأخرى فهو أسوأ ، وهو تزوير للواقعية . أما كيف خرج من هذا المأزق ، فقد رسم للرجل : بروهيل . أي صورة جانبية .

وكان الذي قاله يفتشنكو أقرب إلى الواقع الأنبي والعكرى في مصر هي الستينات !

وجاء شاب أسمر نحيف . إنه ابن ناشر كتب توهيق الحكيم وقد علمت أن توهيق الحكيم قد أصبح هذا الشاب يأن يبشر ككتابيين . أحدهما اسمه : ثورة الشباب ، من تأليف إبراهيم ناجي وإسماعيل لُحم ..

وقال لي الحكيم : عندما قرأت هذا الكتاب إندعشت كيف كان هناك علماء مصريون يفكرون بهذا العمق وهذه الجراءة ونحن لا ندري بهم .. إن صندوق



هـ . كتاب الآن ، يؤكد أنهما كانا متقدمين على عصرهما كثيرا .. إنهما  
صحب بلعة العصر .. لغة هذه الأيام التي لم أعد أعرفها ..

ح . طلب توهيق الحكيم من هذا الشاب الأسمر التحييب الذي يبدو كأنه ابن  
صق الحكيم ، وفيه شبح كبير من ابنه القائل للمرحوم إسماعيل الحكيم ، أن  
يحصر في كتابا بالعرفسية .

و هذا هو الكتاب الثاني الذي نصحه توهيق الحكيم بطبعه ، وليس بنشره !!  
ك . لي الحكيم أنه ليس مسئولا .. لأنه كتاب ملهى بالإنحداد !

و فتح الشاب ، درجا ، إلى جوار سرير الحكيم وأعطاني الكتاب .. الكتاب  
صغير عنوانه : فاوست الثالث ، من تأليف : جيهه الإيس ، أي الجزء الثالث  
من فاوست . فالشاعر الألماني جيهه قد نظم فاوست في جرعين : الجزء الأول  
من نظم هو ، والجزء الثاني وهو غير مفهوم ، إنشرك هه مع الشاعر  
سهر .. وهذا هو الجزء الثالث .

ز . لعله الثالث ، لأن الشاعر الإنجليزي مازلو قد أصدر فاوست الأول  
وجيهه أصدر : فاوست ، الثاني .. وهذا هو الثالث .

ح . نعم ، فاوست ، الرابع للأديب الألماني توماس مان . من ثلاثين

ع . أما مؤلف هذا الكتاب فهو حفيد الشاعر جيهه 19

يعول الناشر المصري على حسن في مقدمة هذا الكتاب أن عالم الآثار  
عيسى جاستون هيت قد جاء إليه وقدم له هذا الكتاب الذي ألفه شاب مصري  
مه مصرية كانت عشيقه للشاعر العرسي جبرار دي برهال الذي كان واحدا  
من أحفاد الشاعر الألماني جيهه .

و هذا الحفيد المصري كان اسمه يوهان لوهنا المصري . وقد كتبه باللغة  
عربية الرفيعة للجمعية الساحرة الصيفة للسفرية .. والاحداد 1..!

و قال لي توهيق الحكيم وأنا أقرأ مقدمة الكتاب المكون من ثلاثة فصول وفي  
١٤ صفحة : أنا لست مسئولا عن هذا الكتاب .. فالكتاب مطبوع منه خمس  
وعشرون نسخة ، وهذا لمعلوماتك فقط ، قلنا لا نستطيع ، ولا الناشر أن  
نحمل ما به من رديقة صارخة وإلحاد عميق .. ولكنه أثر ألبى لا يصح أن  
يجرت .. وقد يستعين به الباحثون يوما ما ..

ولما بدأ صوت توهيق الحكيم يخفت قليلا التفتت أنا إلى إبنته وقلت لها  
أستطيع أن أتكلم أنا وبسكت هو إذا كان الأستاذ الحكيم لا يزال راعب مني  
بقائى ..

ولكنه لمصر على أن أبقي وعلى أن أتكلم وأن يتكلم هو أيضا .  
وكنما أراد أن يلخص هذا اللقاء الطويل فقال : وهكذا ترى أننى ارددت  
حيرة عن دى قبل .. فانه قد أطلت في عمري .. ولا أعرف ما الذى اعمله  
له .. فليس عدى ما أقوله ، ظو أننى مت لكأن تلك أمرا متوقفا .. ولكن الذى  
ثم أتوقفه هو أن أعيش .. والآن أنا أعرف أنى حى ، وفى نفس الوقت أعرف  
أنى حى متوقف عن الحياة ، ممنوع من الحياة .

وكان يجلس معنا د . عبد المنعم حسب الله مدير مستشفى ، المقاولون  
العرب ، الذى أعد لوحة فنية جميلة لترفيق الحكيم تبصمها هي هذا الجراح الذى  
سوف يطلق عليه اسم : توهيق الحكيم ..

فقال الطبيب . عندك فرصة يا أستاذ أن تكتب عن تجربة المريض  
والمعالج .. عن تجربة المستشفى ..

فاجاب الحكيم : أن تكتب .. من للمؤكد أسى لى أفعل .. ولكن أمامكم  
أنتم فرصة لكي تتحدثوا عن هذا المريض الذى جاء ليبيت ، صدر صدره حكم  
بالحياة .. أنا الآن أعرف بالصبط شعور الذى حكم عليه بالإعدام ، ثم صدر  
الحكم بالبراءة بعد أن كان حبل المشقة قد لفت حول عنقه ..

أو بعد أن استقر رأسه تحت سكين الجيرتين .. لا عدى شجاعة مقراط  
ولا شجاعة العقلا .. وإنما أنا تجاوزت عمري الإفراسي ، وأنا الآن ألعب  
في الوقت الصانع . بلغة الكرة التى هي لحسن وأروع وأرقى اللغات .. إنها  
لغة العصر الهزيلة ١١٢ : لغة القدم ، لا ، لغة القلم ، كما كتبت إليك في خطيبي  
أشكرك على مقالك الرائع الذى كتبتة عن كتابي .. أنت عندك ميزة فريدة أنت  
تعيش هذا العصر وتكتب له ولكن عندك قيم للعصر الذى مضى .. أنت تفر  
وتتعب وأنت جاد .. ومع ذلك لم تهزم أمام الرفض الجهنى لهذا العصر

وذلك كل لا بد أن يؤجل الله وفاته .. هيوم قررت الابتجار ، كل الله قد قرر  
لك دورا ، مستمرا ، ووظيفه متجددة .. وهذا الطرار من الأنباء والمفكرين  
قليل ببسا .. لأن الموهوبين قلائل ولأن المجتمع يصع ، مثلا ، عليا أخرى

تتفق مع لغته وهدفه واحتياجاته .. بل أنا أشك كثيرا في وجود مثل عليا لهذا الجيل .. ولما مثله العليا . لاعبو كرة القدم والمطربون اى اللعب والأداء .. وليس الإبداع أو الخلق ..

ومدنت يدى ولكنه لم يديه إلى ذلك وظل يفكر فقلت له : لا تشغل بالك يا أستاذ سوف نمشى وراءك كما سار الناس وراء المسيح في مدينة أنشبولية في رواية « الإخوة كراماروف » لنمسيصكى .. أنت طبعا تذكر ما حدث في ذلك اليوم . كان أحد أيام الأحاد .. الناس في الكنيسة يصلون بهم الكاردينال .. وبعدها نهامس الناس .. وتمشوا إلى خارج الكنيسة .. لقد تسلموا بأن المسيح عليه السلام قد هبط المدينة .. وكان للمسيح تحفا أسمر طويل شعر الرأس واللحية والشارب .. يمشى حافيا على الصدر .. ولم يكن للناس يرونه حتى تجهر ، إليه .. التفتوا حوله ومشوا وراءه .. وكان المسيح يده بهديه إلى سماء . وفي الكنيسة وجد الكاردينال نفسه وحيدا فخرج ليرى .. ورأى المسيح فصارقه أن ينصرف للناس معه . فاقترب من السيد المسيح بقول له . من أنت سعيد بما أحدثته من هرة وإنشفاق بين المؤمنين بك ؟ .. هل هذا ما حدث من أجله ؟ هل تقبل هذه الإهانة التي وجهت إلى رجل مثلي يدعو إليك ؟ .. وكان كاردينال قد ارادى المصوح الحمراء والحرام الذهبى فوق كرشه الضخمة .. وارادى هداه لامعا .. ووضع حاتم أنيفا .. وتلك السلاسل الذهبية من عقه .. وكذلك الصليب الضخم وعليه للمسيح مصلوبا .. ثم امتوقف المسيح بقوة قائلا : إسمع إذا لم تخرج الآن من المدينة هورا وسوف أصلبك بنهمة لروح على المسيحية . إنا قد تعبنا كثيرا من أجلك .. كانت للحروب لصيبية مئات السنين .. لقد أحرقت الرومان عشرات الألوف من المسيحيين و .. أهرقوا الرهبان والفلاسفة والعلماء كل تلك دفاعا عن دينك .. ثم نجى اليوم وزيينا أن نمشى حفا مثلك وعراء الصدور وبره في الحياة .. عملا بعولك : أن يدخل الجنة غنى إلا إذا دخل للجمال من سم الحياض .. إنا لم يكن في الدين أغنياء ، من الذى يملك الكنائس والمدارس ويعيق على التبشير بيك .. وتريدا أن يستسلم عملا بقولك : من صربك على خدك الأيمن فأدر نه خدك الأيسر .. ويريد أن ينظر إلى السماء مثلك عملا بقولك : من ينظر إلى امرأة فليشتها فكنه رضى بها .. من الغير لك أن تعود من حيث أتيت ،

والا وصمتك في السجى .. أخرج هورا حتى لا يكر شعبك المسيحي .. أخرج  
أحسن لك !

ومضحك الحكيم قائلا : يا سيدي إنه للمسيح .. أما أنا فسوف أجد ألف  
واحد يصنع قلبي وقلبه في عبي .. ويملا في بالماء .. ومعدني بالورق ..  
أو أمشي أنا وراء الناس ويهتف جميعا : بسقط نوفيق الحكيم .. هل تذكر قصة  
« نهر الجنون » .. إنها قصتي كما تعلم .. الناس جميعا أصابهم الجنون لأنهم  
شربوا من نهر الجنون .. فكان على حاكم المدينة إما أن يحاربهم وإما أن  
يقتلوه . فشرّب هو الآخر من نهر الجنون .. وأصبح الجميع مجانين .. وهذا  
ما يجب أن أفعله أنا !

قلت ليس هذا هو الموقف الذي يدملك .. لأنك في قصة نهر الجنون قررت  
أن تسليق الناس .. أن تكون مجنون مثلهم .. ولكن هذا إمسلاّم للناس .. وأنت  
احتنت أن تقدم الناس وتهديهم .. والناس يسعدهم أن يتكاثروا عليك .. أن  
يهرعوك .. وهكذا يكونون جميعا نوفيق الحكيم . أما الآن فأنت تقوم بدور  
الإنسان المعترف الذي يحتاج إلى علاج جماعي .. أي تكون تلميذا في مدرسة  
بها ألف مدرس .. أي التلميذ الوحيد .. كما تكون المريض الوحيد في مستشفى  
به ألف طبيب .. هل تذكر ما حدث للسيدة لوكريسيا الجميلة في مسرحية « من  
أجل سواد عينيها » للكاتب الفرنسي جيرود .

فاطمني الحكيم : آه .. أنت ترجمت هذه المسرحية .. جميلة .. هل تذكر  
نفاصبتها .. أريد أن أعرف ..

قلت أن لوكريسيا روجة أحد القضاة .. المدينة كلها مبهلة . الرجال والنساء  
(لا هي .. فهي رمز الفصيلة والطهارة والصفاء .. أي رمز القوة .. قوة  
مواجهة الإتهام والبقاء كما هي . للجميع حولها بنهاوور سفالة وبدالة  
وعفوا وكعرا .. الرجال ينصرون بالجمال والفصيلة في شخص لوكريسيا ..  
والنساء يصنن بهذه المرأة التي تحتقرهن وتتعالى عليهن .. وأهيرا كان لايد  
من إسقاطها فأقامت للنساء حفلة غداء بعيدا عن المتبينة .. دعت إليها كل  
الرجال .. وتأمرن على أن ينهب أحد الرجال إلى حيث لوكريسيا ويعتدي عليها  
بالقوة ، ليرى زوجها بعينه أن أمراته ليست كما كان يتوهم .. وتقم المؤامرة .  
ويرى الروح وكل الرجال ما حدث للسيدة العاصلة .. وتسعد كل النساء .. لقد  
سقطت كما سقطن وأصبح الجميع سواء في الوحل ؟

ونهنى الحكيم واقفا قللا : وهل تظن أتنى قلدر حتى على مقاومة الرديلة ؟ ..  
 بدا ليست عدى قوة ولا رغبة إننى سأفقد تماما .. بل إننى لم أعد لا هد  
 ولا هناك ، ولذلك أستطيع أن أتحرج إلى الهلوية .. وبذلك أوفر على الناس  
 فى مجهود .. بل إننى أضعهم إلى استخدام طافاتهم فيما يقع للناس ..  
 ثم سكنت طويلا وعاد ليقول : إلا محمد عبد الوهاب .. محمد عبد الوهاب  
 من جيلى وهو لا يزال مستمرا .. إنه استطاع أن يعيش حتى اليوم .. وهياته  
 سهلة ممتعة .. فهو فى كل سنة يسافر إلى الخارج ويعيش ثلاثة شهور  
 أو أربعة .. يعيش ويتمتع ويعالج نفسه هيكوى أصبح وأقصر على العطاء ..  
 وعنده الصحة والمال والجمال .. فهو الوحيد بين جيلنا الذى يتكلم لغة العصر  
 ويعطى .. والعصر يعطيه بلغة العصر : الشهرة والفلوس .. فقط محمد عبد  
 الوهاب .. هو الوحيد الذى عنده فلوس !

وكان لابد أن أنهى .. وصافحت الأستاذ توفيق الحكيم .. فشكراً لله أنه  
 أحسن حالا وأصح هدنا . ومن المؤكد أنه يفكر بصوت عال فى عمل سوف  
 يكتبه بعد ذلك .. ولابد أنه قال كل الذى سمعته منه لرواره حتى حفظه تماما ،  
 ولا يبنى إلا أن يسجله على الورق بقلمه .. وسوف يتأكد لدينا أنه قادر على  
 أن يكتب وأن يفكر وأن يسفر من الكتاب والمفكرين والقراء ، وسوف يقول  
 للقراء : إنه كان وما يزال يقول كلاما معظولا ، فشكراً لله ولهم إن كان يقول  
 كلام لا معنى له ، فاللوم على الأطباء .. فقد ذهب ليموت ولكنهم قرروا أن  
 يحنوا سريره للشخص آخر ، وأنهم سوف يندمون على ذلك !

ومن نحت .. من بعيد كان يجرى صدى صرخات السماء ، فقد مات لهم  
 حد .. ولابد أن الأستاذ الحكيم يستمع إلى ذلك كل يوم .. ولكنه لم يزع ..  
 فقد إصدا على التفكير فى الموت واعتاد على رؤية للحزن فى وجوه وعيون  
 صيوفه .. ولم يعد يخاف الموت ، ولا ما بعد الموت فقد ماتت روحه ، ومات  
 يسه الوحيد .. قال توفيق الحكيم للكتور حميد مؤنس وهو يمشى إلى جواره  
 فى جمارة يسه : لقد وجدت تصميرا سريحا .. بعد وفاة إبنى أصبحت كالذى  
 أصيب بعاة دائمة : ذراع مقطوعة ، ساق مبتورة ، وسوف أعيش بهذه العاة  
 حتى الموت .. ولذلك يجب أن أعتاد على ذلك .. فلا أمل فى استعادة الذراع  
 أو الساق أو العين .

ولا أمل عند الحكيم الآن في استعادة الحياة .. لقد ذهب بموت ، وقرر  
أنه مات .. ولأن رواره هم روار قبره ، وليس لغرفته هي المستشفى .. وأنه  
هو وحده الذي يتكلم ، أما صيوحه فلا يتكلمون .. فهو الميت الأكثر حياة من  
الأحياء ، وهم الأحياء الأكثر إضرافا في الموت من توفيق الحكيم !..

ثم إصغانتفه في أن تكتب هذه الأبيات التي أضحتته وجعلته يسي أن يصافحني  
وأن يلقى بالمصا على السرير .. ولأن يتجه إلي المقعد ويجلس كأنما كان يتحدث  
إلى نفسه وليس إلى أحد على مسمع من أحد . قال توفيق الحكيم : لا أعرف  
من هو الذي قال هذه الأبيات .. إنها أقرب إلى حالي . مع فارق واحد .. هذا  
الفارق سوف أقوله لك بعد أن تكتبها ..  
إن الله عبدا قتلنا

طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا  
نظروا فيها فلما علموا  
أنها ليست لحي وطننا  
جعلوها لجة واتخذوا  
صالح الأعمال لها مقلنا

أي أن الإنسان لن ينجو من بحار هذه الدنيا إلا بالمفن .. وهذه المسألة هي  
الأعمال الصالحة .. فإن هي هذه الأعمال الصالحة التي أركبها لكي أنجو من  
طوفان القنطرة دعني .. أغرق .. أغرق كذب الله لك النجاة .. وإن كنت  
لا أعرف كيف ؟..

قلت للحكيم هناك حديث نبوي يقول : لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن  
كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم أحيي ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت  
الموتة خيرا لي ..

ولما نظرت ورائي وجدت الأستاذ توفيق الحكيم قد اعتدل في مقعده ،  
وصم سابقه وأسند ظهره وسوى ملابسه .. وأرخى ذراعيه ..

إنه يستريح من الحوار ويمسح ما تبقى من الأوكمجين في الفروة .. كأنه  
ينفذ التعليم التي جاءت في أحد كتب اليرجا - إنها تمرينات الراغبين في الحياة  
المسلمة وبعد ذلك في التفكير السليم ..

فانتظروا معي ما سوف يقوله الحكيم في كتاب جديد - سيكون عجبا !



ثلاثة مؤلفين يبحثون عن مخرج

## ثلاثية مؤلفين يبحثون عن مخرج !

دھبنا إلى الأستاذ بوهيق الحكيم في المستشفى - هجدا الباب - وجدنا معرصة ومن ورائها معرصة .. أما الحكيم فكان جالساً في سريره ، ولم يكذ يشعر بوجودنا حتى أرجع الطاقة البهضاء إلى الراء ..  
قلنا : سلام عليكم .

قال : أنتم مني ؟ أنتم مني ؟ دكانة ١٢

أنيس منصور : أنا باتوهيق بك

صلاح طاهر : أما يا أستاذ بوهيق . ما شاء الله . أنت اليوم أحسن ..

الحكيم : أحسن ؟ في إيه ؟

من ط : جالس ومسنعد للكلام . قبل ذلك لم تكن تدرى بأحد .. دخلنا  
وخرجنا .. وأنت ولا أنت هنا .

ب : أنت أيضاً تتكلم كالدكانة .. كل يوم يلتفون حول السرير ويناقشون  
بالإنجليزية واللاتينية ، كما هي الأفلام العربية .. وينحنون فراراً واصحاً أنسى  
رى القل .. وألمس رجلى فأجدتها في مكانها مدد أقدام .. وأنا غير قادر على  
الحركة .. وكأنني نمثل قد أقاموه على مربية ، ثمهداً لإلقائه في أحد مخازن  
مصلحة الأثر ..

كل يوم الدكانة يقولون لك أنت رى القل .. مع أنك رى القرفت والطين ..  
القل يتاعهم هو البصل يتاعنا .

أ .م : أنت اليوم تقول وتفكر وتحال وتمنح من الدكانة ..

ب ( مقاطعاً ) : كويس قوى .. لكن ما هي لفظة من الكلام ؟ .. أنت تعرف  
يتناع الفلسفة أننا من أسوأ الناس خطأ في هذه الدنيا .. نحن صدقنا أن الكلمة  
مقسمة ، الكلمات المعظمة .. عشنا في الكلمات . نقرأ ومكتب ويدعو الناس  
إلى إجنرلسنا .. واحترمونا لأنهم محظون مثلاً تماماً .. ومن غلبتنا وغرورنا  
أيضا صدقنا أن القراءة والكتابة هي أعظم ما أعطانا الله ..



أ. م : إسمع بانتوهيق بك .. نحن مثل دود القز نأكل ورق النوت ويجعله  
حزيراً .. وليس ورق النوت هو ألد الأطعمة .. ولكن هذا النوع من الحشرات  
لا يأكل إلا هذا النوع من الورق .. ولو وصعنا ورق النوت أمام الأسود  
والذئب لامت عليها .. ولو وصعنا اللحم والشحم أمام دود القز هبهم  
يجوار .. انتهى .. هذا نظام .. أو هذا قضاء وقدر بانتوهيق بك .. عندك  
شعلائه : أغرى نأكل منها عيش ؟ ..

ت. أ : آه لو أطال الله عمري سنين فقط .. اه

قلنا : أطال الله عمرك عشرين سنة ..

فظهرت البهجة على وجه الحكيم كأن مده الأمية تحققت فوراً . واعتدل في  
جلسه ، وسارعنا نصيح المخدرات وراءه ليكون قادراً على التفكير في هذا  
المستقبل المعاجيء ..

ثم أرجع الطاقة إلى الوراء .. وعاد فأملها إلى الأمام ..

ت. أ : فعلاً .. نحن أفسنا تمناً للكلمات .. وأخذنا بدور كالفراش حول النار ..  
أو كالبديلين حول النبحة المغنمة .. حلقات ذكر .. وطبل ورمز وبروشة ..  
الله هي .. الكلمات المغنمة .. نحن أناس مقسمون أيضاً .. كهنة فكر .. سعداء  
بما نقول وما يردده الناس لما نقول .. عشنا فقراء وموت فقراء .. بينما  
الذين صناعتهم اللبس بالكلمات على المسرح .. قد أصبحوا على الناس ..  
وكسبوا الدنيا .. ومن يدرى ربما كمسوا الآخرة أيضاً .. لأنهم أدخلوا السعادة  
على المفهلين من أمثالنا .

أ. م : ومن يدرى ربما دخلت أنت الجنة بانتوهيق بك فقد أضحكنا وصحكت  
عني ولا تزال .

ت. أ : ممثل حايب . لأنني أضحك الناس .. ولكن الناس ضحكوا على ولم  
يعطوني شيئاً .

ص. ط : عندما حل .

ت. أ : فعلاً أنت الذي وجدت الحل .. أنت أحسن منا جميعاً .. طول عمرك  
واقف على دعاغلك .. إسمها إليه البناغة التي يتعملها كل يوم باصلاح ؟ ..

ص. ط : اليوجا ..

ت. أ : آه اليوجا .. أحسن واقف .. كل يوم يقف على دعاغه .. صحة وحيوية

— رجع البقيات الصغيرات . أنا وجيب محفوظ هو صداك في حكاية  
— بصيرة .. والمرأة عموم . وأنا وأنت يا أنيس . طلعا حمير طول  
— هـ فراعده وكتابة .. حبيبة كبيرة قوي .. مثل أنت بتقول إني أنا يمكن أدخل  
حبه عشر أصحكت الناس .. الحبيبة الكبيرة هي العقاد وطه حسين .. لم  
— تصحك إلا في جلسائهما للحلابة . أما في كتبهما فالحبيبة والكاتب ورجع  
— .. الاتنين نزل على النار حنظل إن شاء الله .

— عدى حل . أنت جربت أن تكون مؤلفاً ، فلماذا لا تجرب معاً أن تكون  
ممثلين كل ما يفصا هو المخرج .. الكتابة سهلة . أنت تكتب وأنا أقرأ .  
— صلاح صاهر يرسم ويكتب .. وأنت بطبعك ممثل يا توفيق بك . لو حضرت  
في المرة الآن لوجدت لك تحريك يديك وطاقتك وحواجبك ، وعيناك قلقتان  
كم هم .. والصحك يتفجر منك ويهرجا أيضاً .. وكلنا بصحك ونقوم ونقعد .  
— عند كلام .. لكن إخراجنا لهذه المعاني ليس جيداً ..

— وأنا أقوم بدور إيه بقى ؟ عدى حل .. أنا عدى بيري . والبيري أنا  
— سمه من رمان . والناس عر هوس به . ويعدى حسين هوري ارندى البيري  
— . كما كنا بعض في باريس ..

— هذا البيري أنت أهدبته من الأسناد العقاد ..

— . صحيح أنا كتبت هذا على لسان العقاد .. صحيح أنا عتازل عن  
سيرته للعقاد .. أو دعني أنيس البيري مع الإعتراف المؤقت بأنه ملك خاص  
— . عقاد وأنا اقتبس .. باستدري مرفقه .. جلو هوى .. أطلع على المسرح وقد  
مسكب العصا ووضعت فوقها البيري — فجاء يطهر العقاد ويطاردني ويطالب  
— سيرته ويقول : يا لص .. وأنا أقول . أنت أطول لص .. وهو يقول لي : وأنت  
عصر لص . وأنا أجرى أمامه وأرفع العصا فوق .. تفكر المظفر ده بصحك  
— . المهم كم يدفع الناس لو راونا هكذا على المسرح ؟

— : أم نحن مخطئون عليكم الرصاص .. لأننا أننا بأنكما من العقلاء ، فردا  
— . نكتشف أنكما من المجذولين . وأن هذه صنعة ثقافية .. وسوف ننضل طويلاً  
— بالبحث عن معنات هذا الجبن .

ت ١ فعلا هذه بداية جيدة لعمل مسرحي . أنا سوف أساهم في الكشف عن  
جور توفيق الحكيم .. أو من الممكن أن يقال إني نحتل في مرحلة الجبن

عندما كنت مسرحية ، باطلع الشجرة ، وقد أهدت اسم المسرحية من أغنية شعبية تقول :

باطلع الشجرة ..

هات لى معاك بقرة ..

نحلب ونشهى ..

بالملقة الصبى ..

صحيح منهى الجنون أن أطلع للشجرة بحثا عن بقرة ، وأنت متى نجنت يا أنيس ؟

أ س : لابد أن يكون ذلك عندما درست الفلسفة .. والعلمة دفعنى لدراسة ٢٨ دينا لأخنار لى من بينها دينا خاصا .. وتردنت على الكنائس والمعابد اليهودية واليهودية والبهائية والحاليا الشبوعية والإخوان المسلمين . ثم اتجهت إلى الوجودية .. وقبل ذلك وأنا طفل قررت أن أهرب إلى هيام الفجر .. وأن أعيش بهم .. ولم أكن أعرب بالصبط ما هذه المعانى التى تدور فى داخلى ؟ .. ولما كثرت إكتشفت أنى مثل واحد دخل أحد المتاحف وتقل بين لوحات ونماثيل الأموات وأنباحهم وأرواحهم ، ونوهم أنه ينتقل إلى العالم الآخر .. وأنه مات .. ولكن فجأة قامت عاصفة فطاحت بلهذى التواط . ودخل الهواء والنور والشمس .. وانفتحت الدنيا على شوارع وميادين .. وانطلقت سيدا بحرينى .. ضائعا بين الميادين والشوارع وكل أنواع المواصلات .. ووجنت أن العالم الواسع ليس إلا سحبا واسعا .. وأنا ضائع مرة أخرى .. أما أقصى درجات الجنون فهي محاولتى المسمرة أن أفهم ماذا حدث لى ولعبرى من الناس .. ونوهمت أن هذه هي الفلسفة وأن الفلسفة حياة ، وأن اللبس والإفلاس من طبيعة المفكرين .. من علس فيلسوفا عاش مظلم . فزونه ورق مطبوع .. كتب .. لا يكتوت ..

ت ا ١ : والحكاية دى عرفتها لى ؟

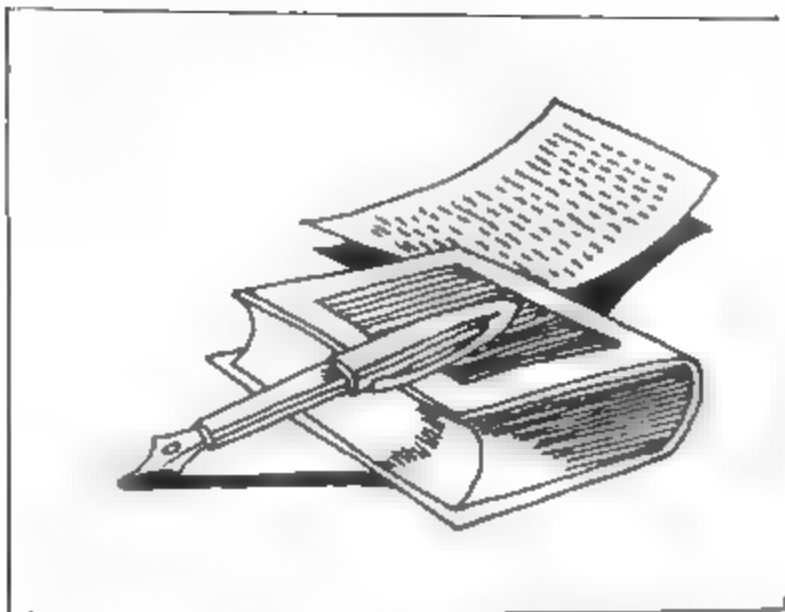
أ س : اليوم فقط .

ت ا ٢ : يا بحتك والله .. أنا بقى عاشر أوصول للنتيجة دى .. كل ما أطلبه من الله سنان .. وهى هاتين المحتتين سوف أعير كل شىء .. وأجرب أسلوبا جديدا فى الإقبال على الحياة وضرب للكتب بالجرمة وطرد جميع المؤلفين من

حيثي .. وإن أسمع لكما بدحول مكثبي أو الحديث معي .. فأننا لم أعرف بكما  
ومعكم إلا الفجر 1

م : يا صديق بك .. أنت لاتصلح أن تكون ممثلا . لأنك سوف تؤلف وتخرج  
عنى النص .. وممكن جدا تطلع على المسرح لاتنطق بكلمة واحدة .  
لا تعرف بالصبط ما الذى تفعله .

ت : أ . ممكن أطلع على المسرح وأسكت بهاتيا . لأننى نعتيت من الكلام ..  
والا لاجىء إلى المسرح .. جئت لكى أستريح .. وأملئ ألا أنطق . وإذا حدث  
ذلك سوف نكون أول من يكتب أنسى حرامى .. وأنسى سرقت هذا الموقف من  
مسرحية الكراسي للكاتب يونسكو .. ففى هذه المسرحية رجل وامرأته ..  
يرتبان المفاعد ويدعوان الصوف الوهمية إلى الجلوس ولا يتكلمان حتى يبرل  
الستار . وسوف تتخلى عني ..



## توفيق الحكيم

### قديم ما يزال جديدا ايضا

## توفيق الحكيم قديما ما يزال جديرا أيضا

لم أسأل نفسي هذا السؤال قط : ولماذا أقرأ هذا الكتاب ؟  
هنا أمد يدي إلى كتاب وأقلب في صفحاته . وأقرأ سطرا هنا وسطرا  
هنا . ثم أجد عندي استعدادا للاستمرار . هذا الاستعداد هو : رغبة في  
معرفة . فالقراءة متعة . هذا هو الهدف من القراءة . هي كل لحظة أجد فيها  
حب . أعرف . أكتشف . أحب . أصالح المؤلف . وأضيق في القراءة . وإذا  
حسنت أسمى صفت أو مللت أو سرحت .. أو أجد مشقة في الاستمرار أو  
صعوبة في الإبلاغ أو مصم ما أجد ، فإنني أتوقف هورا . فلم تعد القراءة  
ممتعة . وإذا أرغمت نفسي على تجرع الصفحات . فقد لنفسي للهدف من  
معرفة . ولذلك فمتعنى الكبرى هي البحث عن الكتاب الذي يمتعنى . فإذا لم  
جد هذا الكتاب انجذبت إلى غيره .. وإذا لم أصالح مؤلما فإلى ألقا إلى  
عشرات المؤلفين .. وتكون متعنى أن انتقل بين المؤلفين وبين جنات أفكارهم  
و عاداتهم .. فيعصر المؤلفين بثق على أطراف أصابعه ويقطف للمعنى من  
سجده عالية .. ويعصر المؤلفين بتسليق الأشجار ويتصيد المعاني .. ويعصر  
نحوين بسلوك وهو يمد يده ويملك لكي يجد المعنى .. فليكن . المهم ألا يرهقني  
في يكرهني . أن تكون الصداقة بيننا سببا فويا في أن أنشعل به وأنصرف إليه ،  
وحد له العذر أن وجد قليلا أو لم يجد . ولكن يجب أن يشبع السرور في  
نفسه .

مننت يدي إلى الكتب أمانى .. وكان كتاب أسناننا العظيم توفيق الحكيم .  
عنه . بعطلة الفكر .. فكره هو . يقول في أول صفحات كتبه : سرير القلم  
ليوم ، تغير الإصلاح غذا .. قلها يوم ١٩ هـ ربيع سنة ١٩٢٩ .

وبهية الكتاب مقالات قصيرة بشرها في أخبار اليوم وآخر ساعة والأحدر  
في الأربعينات . وكلها تدل على أن آراء الحكيم القديمة ، هي موصلة له  
العصر .

وكلها تؤكد معنى امتدحت إليه وهو أن توهيق الحكيم الروائي والقصصى  
والمرحى يحيى في المقام التالى بعد توهيق الحكيم كاتب المقال فهو من أحسن  
كتاب المقال القصير فى أدبنا الحديث . وعبارته قوية مريضة شفاقة بلغة .  
روح المرح والسخرية عند الحكم ، واسعة فى مقالاته أكثر منها فى قصصه  
أو مسرحياته .

وقد استهل الأستاذ الحكيم كتابه بموضوع : قصة الفن القصصى فى  
القرآن ، وهى رسالة جامعية للأستاذ محمد خلف الله وقد طالب كثيرون  
بإحراقها لملم الأستاذ الطلبة .. وطالب آخرون بفصل صاحب الرسالة ..  
وأعلنت بعض الصحف أن صاحب الرسالة قد ارتد عن الإسلام ولابد أن يعلن  
رجوعه إلى الإسلام ولأن يحدد عقد رواجه على زوجته إن كان متزوجا وأن  
يتوب إلى الله توبة نصوحا ..

وقبل ذلك ألف الأستاذ على عبد القادر وزير الأوقاف كتابا : عن الإسلام  
وأصول الحكم ، فكانت قلامة الأزهر وفصلته هيئة كبار العلماء واستقال  
للوزراء الأحرار الدستوريون من وزارة زيوار باشا احتجاجا عليه . وأقبل  
وزير العدل من منصبه وكان عبد العزيز فهمى باشا .

وعندما ألف د . طه حسين كتابا عن : الشعر الجاهلى ، فشكك فى بعض  
المعتقدات وقامت قيادة البرلمان وأراد مجلس النواب إخراجاه من منصبه فهدد  
على باشا بكن بالاستقالة من منصبه كرئيس للوزراء ، حماية لحرية البحث  
العلمى .

وبعد الأستاذ محمد خلف الله رسالة إلى الأستاذ الحكيم يقول فيها أنه فى  
مايو سنة ١٩٤٧ قدم رسالة لنيل الدكتوراه فى الأدب . وأحالها عميد الكلية إلى  
لجنة . فتمتحنها بعض ، وتكرها بعض .. وأقضى أحد الأساتذة بأن صاحب  
الرسالة قد كثر . وأما الشيخ محمود شلتوت فقد توثق حتى يثبت من حكم  
الله فى تفسير كتاب الله .. ويقول الأستاذ خلف الله وهو يطلب رأى الأستاذ  
الحكيم : إن الدراسة الجامعية لا تستقيم إلا مع الحرية ، وإنا لمعجب كيف يكون

شبهة الجامعيون قلادة الرجعية هي البيانات العلمية ، وكيف لا يشعرون بأن  
في ذلك الخطر كل الخطر على التقدم العلمي في هذه الديار .. هذه هي قضية  
كله الجامعة عرصها عليكم وعلى الغراء ..

١- جوهر القصة فهو : أن قصص القرآن لم تعتمد على أصل من واقع  
حادث ، أو من لتاريخ بل قد يكون ذلك من عمل الخيالي لا يعنيه الواقع  
- بحر ، وإنما يندج عمله ويبرز صورته على أساس الحقيقة العبة والفترة  
على الابتكار والتبدل .

وكتب الأستاذ أمين الخولي إلى الأستاذ الحكيم يقول : إن الأستاذ محمد جلف  
- يرى أن قصص القرآن ليس لتعليم التاريخ ، ولا سرد وقائمه مرتبة مستوفاة  
معرفة منها الحقائق التاريخية ، ولذلك لا يلزم أن تكون كل حوادث القصص  
بحر في قد وقعت ، بل ما هو تصوير وتمثيل للمعالي ، وإطمأن لهذه النتيجة  
- اعتماد على مقررات دينية .. ويحتمى أن أقرر لك أنها مقررات هرغ منها  
الاستناد لإمام محمد عبده منذ أكثر من أربعين عاما من تقرير ما هو أوسع منها  
ويعتمد على ، إذ انتهى من أن القصص القرآني فيه ما هو مثل لا قصة واقعية ،  
ويعتمد على المؤمنين حق تاويل هذه القصص على أساس أن القرآن يهدف عن  
عملي ويصورها بالحكاية وأسلوب الحوار . كما هرغ من أن وجود شيء في  
قصص القرآن لا تقتضي صحته لأنه يحكي عن حال الأقدمين الصحيح  
، حبيب ، والصالح والكاتب . ولأنه يجري تعبيراته على معروفهم  
ويعرضهم ، ولو كان خرافيا لوصف الشيطان في قوله تعالى : « ظلمها كأنه  
. موسى الشياطين » .. ومن الشيطان في قوله تعالى : « الذين يأكلون الربا ،  
يعرضون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » فليس في هذا وصف  
تصحيح من أمر الشيطان أو منه .. بل إن الأستاذ الإمام قد أول الملائكة  
- لأروح والقوى ، والشياطين وإليس يدواعي الشر ، وعرض في بيان طويل  
- من قصة آدم كلها في سورة البقرة .. ثم فصل للتأويل على التسليم بحقيقة  
هذه الأشياء والأحداث ، مقرر أن الذي يؤول أعلى كعبا على الإيمان من الذي  
يسد ، لأنه أكثر اطمئنانا ، وأقل تعرضا للشكوك ..



وفي حالة من الفرع والعصب يتوجه الأستاذ الحكيم إلى رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا قائلا : كل ما أخطئ أن أفعل هو أن أرجو رئيس هذه الحكومة أن يتكلم أو يأذن بالكلام .. وألا يمتصعز الأمر .. وأن يعلم أنه ليس هو الذي يحيف الإنجليز بصوته في مجلس الأمن ويصمته في مجلس الوزراء ، ولكن الذي يحيف الإنجليز هو هذه النهضة الفكرية التي اعتنقوا أنها نصيصة من الجامعة ، وهذه النهضة الروحية التي اعتنقوا أنها سررت في الشرق من مصباح الأستاذ الإمام محمد عبده . التقدم الفكري والروحي هي مصر هو وحده مفتاح القصة المصرية .. وإذا جلت جيوش الاحتلال عن أرضها ، فلأنها لا تستطيع البناء طويلا أمام أشعة من الفكر والعرفان تعمى أبصارها . وإذا جمبب المستعمرون حساب مصر فلأنهم يشعرون تلك المبادئ الفكرية والروحية في تلاحقهم بأنسنتها هي للعالم العربي . فالأمر خطير يا رئيس الحكومة إلى حد أن طلبك معه هو أحد من أمرين لا ثالث لهما : إما أن تدرأ في الحال هذا الخطر المحقق بهذه المبادئ الفكرية والروحية ، وإما أن تستقيل !

وقد خرج رئيس الحكومة النقراشي باشا من كلمة الاستقالة ، وانصل بالآستاذ مصطفى أمين رئيس تحرير أخبار اليوم ، غاصبا . فكان رد مصطفى أمين أنه يحترم حرية الرأي فليس في استطاعته أن يحذف من مقال الحكيم كلمة واحدة !

• • •

ويؤقت الأستاذ الحكيم عند نهاية كتابه عند الآيات الكريمة : ... ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون .. حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . وهو خلفكم أول مرة ، وإليه ترجعون ..

وتحيل أن الله قد أحبا شخصيات قصصه ومسرحياته وأطلقها على المؤلف يطالبونه بأن يطعمهم ويكسوهم .. وتحيل هذا الرحام من شخصياته التي بلغت

العثات ولكنه لا يدرى ماذا يفعل ويقولون له : أنت الذى خلقنا أنت الذى  
نطمعنا .

ووجد من السهل أن يجد عملا للأطباء والمهندسين والعاملين ، ولكن كيف  
يجد عملا للعلوك والوزراء . وأحيرا طلب من الذين يجتوون عملا أن يتصدقوا  
على الملوك والوزراء .

ثم يسألهم الحكيم : وما الفائدة التى تعود عليه هو من تشغيلهم . فاتفقوا على  
أن يعطوه ، عموله ، ولا شك أن تشغيل هذه الشخصيات أكسب له من صناعة  
النأيف التى لا تعود على المؤلف إلا بالملاليم . إلى عادت !  
ثم طلب من الله أن يكسبه شر هذه المخلوقات وأن يصرفهم عنه فلا يعرفوا  
عدوانه !

### الشاعر الجارم

كتب الأستاذ العقاد فى مقدمة « ديوان على الجارم » أن الأستاذ ينتسب إلى  
مدرسة دار العلوم ، المدرسة الدرعية ، وأن الجارم ركن من أركانها وهذه  
المدرسة تنقسم بأنها لعوية عربية سلفية عصرية .. وهى أمرة فكرية نصبة  
خلقها طيبة الدراسة التى افرحت بها دار العلوم ولم تشبهها دراسة من قبلها  
فى لغتنا ولا فى لغة أخرى من لغات الثقافة المعروفة لدينا .

ويقول الأستاذ العقاد أن هذه المدرسة قد انقسمت مدرستين لايسو  
سطربوش ولايسوا للعمامة .. يقول الجارم بروحه الطليقة يصف حاله فى  
أوربا .

لست الآن قبعة بعيدا  
عن الأرطان معناد الشجون  
فلى شبرت شكلى فانى  
منى أصعب العمامة تعرجونى

والشاعر الجارم ( ١٨٨٢ - ١٩٤٩ ) من أبناء رشيد .. التحق بالأزهر  
تلميذا للإمام محمد عبده والشيخ عبد العزيز جلويش .. ثم درس فى دار العلوم

وأوفد في بعثة إلى إنجلترا أربع سنوات وعاد ليعمل مفتشاً للغة العربية وعصوا  
بالمجمع القوي وعمينا لنذر للعلوم .

ولا أزال أذكر صوت الشاعر الجارم في الإذاعة يلقي قصائده : الصوت  
كأن مثلثاً واضعاً حسناً وكل لما زميل في مدرسة المنصورة الثانوية يشبهه  
طويلاً وصوتاً وأداءً أيضاً هو الزميل ماهر فتيل مدير تحرير « هواء » وكما  
نحب الاجتماع إليه .

وقد حصلت للشاعر الجارم ألبانا مفردة في مدح الملك فاروق وعرشه  
والترحيب به نهالاً وإلهاباً ... مثلاً يقول الجارم في قصيدته « الناجية الكبرى »  
يوم تولى الملك فاروق سلطته الدستورية يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى  
١٣٥٦ ( ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ ) :

خضعت لفضى جلالك الأبهى  
ونكت بسبك خلائك الأشعار  
وتوسعت مصر العلا في طلعة  
قد جمعها الإجلال والإكبار  
ملك تغار القنبريات إذا بدا  
أسمعت أن القنبريات تغار ؟  
غضى جعرك وانهزم فنوه  
تتضائل الآمال والأفئدة  
يوم تمناء الزمان وطالما  
مدت إليه رؤوسها الأعصار  
يوم جثا للتاريخ فيه مدونا  
على ما قد ضمت الأشعار  
يوم كان صولؤه من أعين  
من طول ما اتجهت له الأنظار  
فاروق : تلجك رحمة وسعادة  
للوانيين وعرة وفجار  
فلنعم بما أوتيت واهناً شاكراً  
لا رلت بالنصر المبين منوجاً

نحيا بك الأوطان والأوطار

وقال في حفل أهم له في الخرطوم سنة ١٩٤١ :

بنسمة رنحت أعطاف وادينا

في نحيبك ، أو عوجي فحينا

وإنا على العهد لا بعد بحونا

عن الوداد ، ولا الأمل تنسنا

وقد بدت صححة الخرطوم مشرقة

كما تجلى جلال النور في سينا

جننا إليها وفي أقباننا ظمأ

يكاد يقتلنا لو لا تلاقينا

جننا إليها فمن دار إلى وطن

ومن منازل أهلينا لأهلينا

باساقى الحى جدد بشوة ملعت

وأنت ، بالحببات ، الحمر تسقينا

واصدح بنونية لما هفت بها

تشرق السمح ، شوقي ، وابن ، زيتونا ،

ونحكم اللحن بساقى وعسى لنا

إنا محبوبك ياسلمى فحينا

شرح الكلمات والمعاني في هذه الأبيات

أما ، الحببات ، حاجين من الفخار يستخدمونها في الصودان للقهوة .

والجارم يشير إلى قصيدتين قاضيهما بون .. الأولى لأمير الشعراء شوقي

نقول :

بإنا تاح الطلح أشباه حوانينا

نألمى لوانيك لم نألمى لوانينا

وشوقي يعارض بها قصيدة للشاعر الأتلمسى بن رينون الذى قال :

أضحي للتألي بدليلا عن تدانينا

وناب عن طيب لقيانا تحافينا

أما نصف البيت الذي جاء في هذه القصيدة الشاعر عمرو بن سعد بن مالك  
وهو شاعر جاهلي كان يلعب بالمرثع الأكبر .. أما البيت كاملا فهو :

إنا محبوبك يا سلمى فحبيبنا

ولن سقيت كرام الحي فاستقينا

أما الذي ليس واضحاً في هذا البيوان فهي خفة دم الشاعر الجارم فالنبي  
بعرهومه يجنونه ظريفاً يعرف ما لا نهاية له من النكت الأنبية والبنائر  
التاريخية ..

وقد اختار الجارم علم النحو ليعرف فيه ويكتابه ، النحو الواضح ، قد أرسى  
القواعد السهلة لعلم النحو .. وفي هذا الكتاب انتهى وراء القواعد والأصول ،  
ولم يظهر روحه الفكاكية .

ويقولون : إنه كان من أطرف أبناء العصر

وكان أيضاً من فعول الشعراء التقليديين ..

وأخيراً صدر ، نيوان على الجارم ، جرائد في مجلد واحد

## التحدي الحضاري والفرو الفكري

هذا عنوان كتاب صدر أخيراً وكان محاصرة ألقاها الأنبي العراقي الكبير  
د . يوسف عر النسي الأملاك بأدب جامعة الملك سعود . في يونيو سنة  
١٩٨٢ .

وقد تم لهذه المحاصرة الأمير بايف بن عبد العزيز وزير الداخلية بقوله :  
سوف يتمرس الجيل الناشئ للمؤثرات التي ترد مع وسائل التطور الخارجي .  
لذا فإن مسئولية المؤسسات الفكرية والإعلامية أن تعمل على توجيه الفرد في  
الاتجاه الصحيح من حيث بناء الشخصية الوطنية المؤمنة ومقاومة المؤثرات  
الخارجية وبناء عوامل الصناعة الذاتية ..

يقول د . يوسف عز الدين : بعد أن حذر الاستعمار موافقه القديمة التي حصر عليها بالسلاح والقوة العنيفة بقيت مصالحه المادية تلح عليه بضرورة العودة إلى تلك المواقع التي جلبت له الرقابة والحير .. ولم يجد أمامه أسهل من التحرر العكري والسيطرة الثقافية وفيها تأمّن لمصلحته وعوده تدفق بصنائه في سجون .. ولما قابل ثبات العقل للعربي والأصالة الإسلامية ومناخ الفكر شرقى وهي جميعا تحول نور نملك هذا الفكر ، فالتصّب إلى القاعدة للحقبة في بدائيه التراثي وشموخها الحصارى بعد أن رسمت نقابنا الاجتماعية وصبحت قوية واقفة من أصلاتها وقرائنها .

ومحصرة د . يوسف عز الدين أعرق وأروع بذاه وجهه مفكر عربي إلى ملأه من الأنباء وأسائدة للجماعات ورجال الدين إنه لم يطلب إلى أحد تمسك بل لكي يوقف : عرو ، للغرب لعالمنا العربي الإسلامي .. إنه فقط يرسم بسهولة وبسرعة ماذا حدث لنا جميعا . ثم كيف نتحلل ونخلص من هذا الإعجاب العميق ، إذا نحن عدنا إلى حصارنا العربية الإسلامية ، بعيون جديدة ومفهوم مختلف وليس كل ما هو عربي ، فنيما يصلح الآن .. مهما حاول إعادة صياغته وبطوره .. ولكن يجب أن يكون الإنسان نفسه . أي يكون محتسب نفسه ، صادقا مع وطنه ، واعيا لرسالته .. فلا يرهس الغربي لأنه غربي ، ولا يفضل العربي لأنه عربي ..

وقد مشينا عميانا جميعا وراء الحصار العربية الباهرة جدينا أخذنا استولت علينا هسيما أصولنا .. قلنا ما أردنا ما أعجبنا به فكانت مداها الأنيبة والمهنية العاصمة المشوشة نقلناها إلى لغتنا وقرائنا .. وأصعنا إلى أفلاسا الروحي مريدا من القموص .. ونهولنا هاربيين من ماميتنا لاجئين إلى حصارهم منطقين بمستقبلهم .. ودرجند آثارهم .. وموهنا بها أو رخصتها ومن الجيوش بها والجيوش ضدها ، انهارت الشخصية العربية صحبة سائعة للأفكار العربية من كل لون وطعم .. وكان الخصوع لها أفسر وأجمل . ولستسلم كثيرين وقرقنا فيما بيننا معها وصدها .. ومعبا وضدنا .. أما كيف تصد التيار ؟

وأنا هنا أختلف مع صديقي د . يوسف عز الدين .. فالتصّر كله ليس شرأ .. فالتطور العلمي الأنهار ليس موجها ضد العرب . بل إننا بمنتهى من كل وسائل

العراصات مثلا . ونحن لا ننام ونصنع فنجد أنفسنا هكذا خراجات لا تؤمن  
لا بالمروية ولا بالإسلام .. وإنما نحن نقرأ ونفزع ونفخر ما يعجبنا .. ثم  
كما أنك ساهرت وتلذذت واستمتعت وتدعونا جميعا أن نقف سدا متيقفا ضد التسلل  
الفكري الذي يهدم تاريخنا ويمزق وحدتنا وقيمنا الأخلاقية .

لا أجد صعوبة هي أن يكون الإنسان مسلما وقلنا لكل الأفكار المعادية  
للإسلام ، وأن يكون عربيا ويقرأ بعشر لغات .. ويتكلمها أيضا .. فليست  
العبارة عواصف لا تصد ولا ترد .. ولا هي ولاء لا علاج له .. ولا هم آلهة  
ونحن بشر .. وإنما هم بشر مثلنا .. ونحن نأخذ منهم ما نريد ، ونعطي  
ما نستطيع . ثم إننا لا نستطيع إلا أن نبهزنا حريتهم المقدسة وكيف  
يعارضونها .. ونعجب بتكاتفهم ضدنا أو هي خدمتنا ..

وأنا أوافق د . يوسف عر الدين في بعض تخوفاته وأمله أيضا على ضرورة  
مهم حضارتنا العربية فلا ننسى الماضي ولا نستغرق في الحاضر ولكن  
الاعتدال - وهو صعب - هو ما يجب أن نحرس عليه لنا وللأجيال الصاعدة  
من بعدنا ..

وأما الداء الحقيقي فهو الذي شغفه د . يوسف عر الدين بقوله :  
« الغرب يحتضن صاحب الرأي ولو كان معارضا ، وفي الوطن العربي  
تحرق يد المعارض ويصفي جسدا حتى وإن ترك وطنه إلى بلاد بعيدة وسكن  
بلاد الغرب .. أو الوطن العربي .. فما يكون رد فعل ما قرأ ؟ إنها الحيرة  
والصياح والفرقة ؟! ..

نقط ؟

نقط !

نقط ؟!

ماذا حدث ولماذا وكيف حدث ؟

لا إجابة عند الأديب السعودي عبد الله الحفري لأنه لا شيء حدث . وإنما  
هو يكتب ويتوجع ويلهو بعدائه وعذابه الأحراريات .. إنها لغة الفن للفن !

كاتبه الأخير اسمه ، فقط .. ، وهو نموذج لأملويه الذى هو حياته  
مكتبة ، لوحات .. اسطوانات .. حوار بييه وبين التى يحبها ، والتى يكويها  
شويه .. أو يتوهمان تلك ..

عبد الله الجعري صبحى لامع . ولكنه احتار ، الضلال ، مقرا ومستقرا .  
سبب وهذا لحياته الأدبية .. فهو لا يفتح عينه فى النور ثم إنه لا ينام فى  
صداه وإنما هو يتحسس يتلمس يتصنت .. وإذا كانت الصحافة ضمت فهو  
حس البقع الشمسية .. فقد احتار خيفة من حرير شعاع فوق الرمال بالقرب  
من حله فى واحة صناعية .. ومن حين إلى حين يظل للقمر ويترنل المطر  
معاً ، أو الذمخ مطرا من عيني حبيبته .

أحرار معها أو عنها يشعل النار فيه .. فلا تزال يده ترحف تلامس يدها .  
.. حدث . وهذا هو الحدث الوحيد فى كل للكتاب . فلا بد أن يصيب القمر  
روحها . والكور كله ! .. أو نعلن الساعة انتصاف الليل !

كلام فى سلام فى كلام فى حرير فى حنان فى ضباب فى أهات فى نوسلات  
بحسرات .. ولغات لليوم الأسود الذى أحب فيه ..  
وبت غرق معه فى هذا الهباء الرومانسى بمائلها : ومن هو ابن الكلب الذى  
عصفت ؟ .. فترد عليه أنت !

ولا يصحكان . ولكنك أنت القارىء تضرع بأنك أعطيت رأسك متجها  
سرعة وأعادها لك نصفين .

عوب لها : إن نفسى فى حاجة إلى مطر يمسها .. ولكن يصيب تشبه مدينة  
جدة ، قبللة المطر .

قد كتب عليها .. إن حياته تشبه مدينة جدة ولكن ليس فى نفس المطر وإنما  
فى أشياء أخرى كثيرة ..

وإذا كانت الحياة ، جدة ، هلى الحب ، مكة ..

والأسناد عبد الله الجعري حريص على أن يظل آخر الرومانسيين فى  
ملاده ، إحياء لتقاليد أدبية اجتماعية يصية كانت مردهرة من عشرة قرون .



فیه حاضرتواء انصافم نالغشوق الی " ک  
علی راجلہا ورجلہا رفتہ . امیں !

و من انصاف لہذا عبد اللہ الحفزی "۔ میری یہ عا شق بریء فہیں  
نہ کلام معرہ "۔ اجمع راجر و مرد لا کار النہوں سنبہم !



موراثيا : الطريق الى النار

## مورافيا: الطريق إلى النار..

في حياة كل واحد منا حادثتان : حادثة نصطلم بها ، أو نتعثر بها .. وحادثة تؤدي إلى تغيير مسار حياتك !  
الأولى هي الحادثة ، الصدفية ..  
والثانية هي الحادثة ، القدر ..  
وكان لقائى بالأديب الإيطالى العظيم ألفردو مورافيا من حوادث القدر .. فقد جاء هذا اللقاء فى الوقت غير المناسب لى تماما ..  
كنت حديث تخرج فى الجامعة .. وحديث العهد بالعمل كصحفى .. وكانت ما يزال المصطلحات الطسعية عالقة بظمى .. فكان من الصعب إذا كتبت ، لا أجدنى قد استخدمت بعض التراكيب غير المفهومة (إلا للمختصين ..  
وهمست أن هذه « عورة » بلاغية . وأنسى ككلى مستخدم كلمات أجبية كثيرا  
فى حديثه أو كتابته .. أى أنا لست مفهوما .. وفى نفس الوقت انتفعت  
بعضى أبواب الحياة وشوارعها وملاهيها ..  
والمطلوب منى هو أن أعمل جادا ، وأن تؤكد وجودى الأبنى .. وأن  
سأترك ما فائسى من ملذات الحياة ..  
وفى ذلك الوقت رأيت أول فيلم سينمائى فى حياتى فلم أكن قد دخلت  
سينما فقط .. فقد تفرغت تعلمنا للدراسة والتفوق فيها وفائسى أن أرى السينما  
بتمسرح أو الملاحى . أما هذا الفيلم فهو « غراميات كارمن » بطولة ريتا  
برارث وجانين هورد .. والقصة معروفة للشاعر الفرنسي ميريمة .

وكان هذا التعلیم هو ، التعلیم القدر ، قد غير حياتي ومسار أفكاري الفلسفية .. أما الذي في هذا التعلیم هو أني رأيت العجر .. حياة العجر .. وقد كتبت عن العجر كثيرا جدا .. وأحدث كتاب صدر لي عموما ، [لا قليلا ، كتبت فيه فصلا طويلا عن علاقتي بالعجر .. وقبل ذلك أصدرت كتاب بعنوان « نحن أولاد العجر » . وفي كتاب صدر لي من عشرين عاما ، ودعا إليها النمل ، فيه فصل بعنوان « نحن أولاد العجر » .. فالتكاثف والفناء والفيلسوف والشاعر والصعلوك كلهم مثل أولاد العجر .. جماعات .. شرائح .. تعيش على الحافة بين القانون والحروج عليه .. كأننا ، مبدون من المجتمع .. والحقبة أننا أحسنا أن نكون كذلك .. ولأن صفتنا وموهبتنا ومراجنا أنفسنا ، قد جعلنا مبعثرين متفكرين .. انفصال للرهبان في الصوامع ، والعلماء في المعامل ، ورواد الفضاء .. والمحكوم عليه بالإعدام نحن أبيض محكوم علينا بالأفكار الشافة المؤيدة .. ونحن نحمل تكافنا التي سدها فيها ، وصلبنا التي نموت عليها .. أو هكذا تصورت .. وتصوريا ..

وفي ذلك الوقت ذهبت لأول مرة في حياتي إلى كباديه .. ورأيت رافسة . أول رافسة شرقية أراها شعما ولحما وابساما عاما ، ظنسته شخصياً .. وكتبت قصصا ونظمته شعرا ، وبمرعة جاءت حيلة أملى عميقة . وكانت هذه الرافسة .. هي « الرافسة للغير » ..



والثقت بالأديب الإيطالي أليرنو مورافيا بالصدفة هي هذق سميراميس بالماهرة .. وكنت قد قرأت له عملا أدبيا واحدا وكتبت عنه كثيرا جدا ، وأنا لا أعرفه .. ثم رأيت . وكان هو وزوجته الأديبة إله مورافيه . دعني أصف لك أليرنو مورافيا .. إنه محب طويل رشيق - سريع الحركة نسلح حاد الحاجبين والأنف جامد النظرة ، وروجه قد نثار هو إليها ، نهضت وسلمت عليها ، ولم أكن أعرف أن أصلي مثل أنياب الحية أو ذيل التماسيح .. فلم أكن أقدر يدما حتى حطفتها مني وألقعتها في ملابسها ، وظهر عليها الألم ، وقال لي مورافيا - إنها مرعبة .. وعرفت فيما بعد أنها عصبية جدا ،

• محبوبة إلا قليلا . وفيها معدود . هي ذلك . فهي جميلة . وهو نجم الألب  
 نوافس الإيطالي اللامع الذي تدور في تلكه جميلات كثيرات .  
 اما الرواية التي كتب قد قرأها له فهي : هانة من روما ، الفتاة إسعها  
 ريب . جميله والحياة بعد الحرب العالمية الثانية فلسية شاعرة . وكان من  
 حبيب أنريكو هذه أن تصور كل ما يلقاه الناس من هولاء وبيع وشراء . والسبب  
 سحر . والسبب . العائنه التكنوتورية هي إيطاليا ..  
 وكتب رواية : هانة روما ، أول روايه افروها في حياتها الأصلية .  
 لأسلوب جميل . العبارده سهله قاطمة صفحات الحب مشعل النار . حتى لقد  
 صبحت نفسي مرة بدلا من أن اطلب الصفحات . فإني أفتح بها !  
 كنت لأبترت موراها : أن روايه هانة روما قد لوفعتني في كارثة عاصمية .  
 عند وصفت هانة إيطاليا بأنها مثل أنريكو .. ولم تكن قد قرأت هذه الرواية بعد ،  
 اما قرأت عنها . اما هي قد قرأت الرواية . وعصبت . وانفصلت وحاولت  
 بعد ذلك أن أعذر ولكن لم افعل .

قال موراها . حدثت ذلك للأنيب الإيطالي بيرنيللو .. فقد إدعى في إحدى  
 المرات أنه قرأ الخطاب الذي بعثت به محبوبته .. وتشاجر معها . وانفصلا .  
 بما عاد إلى البيت يقرأ الخطاب وجد أنها قد وافقت على كل شروطه . أن  
 سرت زوجها وأن يعيش معه . وأن يبيع أرضها . ولكنه لم يكن قد قرأ  
 الخطاب ففهم لها ..

وعندما حاول أن يعود إليها مستترا وجد خطابا تحت الباب يقول فيه : إن  
 النساء الصغيرات لا يعرفون إلا البكاء على المصطفى . فإني كنت عندك ممسح من  
 الوقت الذي كنت فيه هي الفرصة .. لقد فلتحت !  
 ثم قابلت أنريكو موراها بعد ذلك في برلين .  
 وقابلته هو وروجه الجيدة الأنبياء الجميلة دانيا ماريلس التي كتبت رواية  
 . حدة هي : رسم المراءه . وكل ذلك في عافنا عاصمة كويا .

ثم انفصل عنها . وقابلته مع الصديقة الجديدة ماتيللا جاللي في بيته في  
 روما .

وبعد تلك توالى روايات مورافيا : زمن اللامبالاة .. والإمرأتان ..  
والحب الزوجى .. والتمل .. وعشرات القصص القصيرة .. ورأيت  
١٩٢٤ هـ .. وكتب للرحلات في الصين وروسيا وأفريقيا . وترجمت له  
أربعون قصة قصيرة .. واكتشفت جانباً مجهولاً لنا في حياته : المقالات الأدبية  
الممتعة التى كان ينشرها فى الصحف . وأتى جمعها فى كتاب بعنوان  
« الإنسان عابث » .

وعندما قرأت رواية « فتاة روما » .. إهفرت حياتى وانفتحت أمامى  
سرايب الليل فى القاهرة والمواضع الأوروبية .

وعندما ذهبت إلى روما مشيت فى نوى الشوارع التى كنت تمشى فيها  
أدريانا .. وطلعت أنسى قلوبتها .. فى ميدان البندقية وإطلالت إلى شارع  
دلكورسو . أى شارع الميناء ، حتى ميدان الشعب .. ( بياتمال بوبولو ) ..  
وصعدت إلى حديقة بورجيرة .. إلى كباريه هيل فرانكا .. ودخلت ، وكما  
دخلت خرجت بسرعة ، فقد وجدت الملك فاروق . وكان قد خرج من مصر  
مداهاً .. وكانت السماء ممطرة .. ومشيت .. ومشيت .. حتى وصلت إلى  
ميدان بيريلى . واتجهت إلى أول مطعم . وكان المطعم صغيراً . وفى أحد  
الأركان أشرفت إلى أنسى فريد أنى أكل أى طعام . ولم أر بوصوح من الذى وقف  
أمامى .. إنها فتاة جميلة .. سوداء الشعر والعينين .. وقد استندت بجسمها على  
المصيدة وانحنت إلى الوراء فأبرزت يديها وسحب حصرها . واعتكلت أنا  
لأرى فقلت : أنت أدريانا !

هزئت رأسها : نعم

قلت : شىء عجيب حقاً !

قلت : ماهو العجب .. إسمى أدريانا وأنت سألتنى بالأمس فقلت لك ..  
ولم تكن أعرف أنسى جئت إلى هذا المكان بالأمس .. وأحسست فجأة أننى  
سجنون أدريانا ..

وبقية القصة عادية .. ولكن الأثر الذى تركته هذه الرواية فى حياتى كان  
عجيباً . فقد أحسست فى تلك الوقت أننى مثل عربة يجرها حصان وحمار .

هـ الحمار فهو المسمى بالطبيعة انه الحمار فهو الذي يرى ان يعرف الحمار  
بغير حمار في امداد و يوحى بحبه على ايدى و يهاجر الذين يسيب معه بين  
من الهوى والسيب

و حارسه بر حبيب الحمار : حارسه : فحفظ الحمار بجر حارسه  
من الحمار فقد رجع في مدحه الحماره : فحفظ الحماره : ولا ينكر من  
حبيب الحماره : و امداد حسب كبره : و صعبه الحماره : و هو الحماره و رجع  
بالحمار من الحماره : الحماره : الحماره : و لم يترك الحماره : و امداد  
: و لا يترك الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
و حارسه : و كان الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
فصه إلى ما هو على الذي يرى ولى الحمار

و ربما كان حماره هو الذي لم يسمي به الا حماره : و الحماره : و الحماره :  
سوى و يهاجر : و لا أن يسمي و يهاجر هو الحماره : و الحماره : و الحماره :  
فهم الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :

بالحمار حماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :

فلم يترك الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
و حارسه : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :

سالفه : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
فلم يترك الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
قال حماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
لأنه

فلم يترك الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
في الحماره

قال حماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :  
و حارسه : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره : و الحماره :

فهمت .. إذن أنت مبهور بالأثواب الصارحة في الرواية وفي انحاء ..  
سميد بتلك الأثواب . ولكن في نفس الوقت لا يهم كثيرا بالعلاج الإجتماعي  
أو السياسي . فقلت إذن مسعد أن ترى أندرياس تنتقل من حصن رجل يحبه  
إلى رجل يكرهها ، وأخر يكرهها ، ورابع يكرهها ، دون أن تنتقل .. ودون  
تغير شخصك . ألا ترى أن القصة هنا مظهر من مظاهر القسوة أو البلاء  
والطبيب الذي يرى مسعد القتل وصراخ المرحس ولا يهتز ، ليس لأنه سيب  
الحسن . ولكنه إعتقد على ذلك . بينما أهل المرحس يصيحون ويهتفون  
نعم . إلا ترى أن القصة ليست إنسانية . فقط أن ترى وتفزع ومثل ويكون  
سميدا بلدى إهتديت إليه في النهاية .. ثم إلى هناك قدر ، من الإنسانية .. فأتت  
تريد أن تكون أندرياس فتلك وحده . دون أن تمر بهذه التجارب ودون أن تكشف  
لك المجتمع الإيطالي بعد الحرب . فهمت .. أتت ماريا شيا . وأن عينا  
كثبت روايه ، رمان اللامبالاة ، كنت أتحدث عن شباهي في ظل الحياة  
، الفاشية ، في عهد موسوليني .. ورأيت أن اللامبالاة علاج .. وفي نفس  
الوقت حزيمة .. وأنه في ظل الأزمات الكبرى يجد الناس مذهبهم بالكرهية  
والرغبة في الإنتقام . أو لامبالين كأمر لا يعيهم .. وفي العالين فإن  
المجتمع يحسن القوة التي من الممكن أن تندهم مما هو فيه . ولذلك لا يكون  
العلاج إلا بعد ذلك .. أي بعد أن تتحسس درجة حرارة الناس .. ولدون  
أوضح .. أي بعد أن تكون البيوت قد صوبت بالأرض .. ويكون الناس أنفسهم  
حرائب بسبه وعظمية . ومن هذه الحرائب وعليها ، أفهمت أعمال الأدبية :  
ها وتشريحا ودموع لإصلاح شيء !

لم يكن الحديث مع ألفريد موراي إلا سحرا متدفقا . هل كنت أكتب كل  
الذي يقول ؟ .. كنت أفضل ذلك وفي نفس الوقت أنظر إليه . إن الكلام يخرج  
جاهرا .. فليس على وجهه أي مجهود في إخراجه أو تسميقه ..  
وجاهه من يناديه .. ووقف موراي لأجده يخرج بشدة .. ونظرت إلى  
روجه لقد لفت رأسها بمنديل أحمر . ولحمت وجهها في يديها ثم اختفت هي  
في بالظن تقول .. وكان الفرح والفرح والقسوة هي بسم الشاعرات التي تعرج



مسيح في نور الحرور وفي حجه أبعاء . وعندما حاولت أن أحييها . نظرت  
في سحبه الأخرى . هلت الكلام في خلقى

، جاء موراي وجلس يقول . وكأنه رأى دعشى لأنه أعرج فقال : أنا لم  
عد في مرسة . تعلمت كل شيء في السرير . بعد أصيبي شلل الأطفال .  
، حمت ثلثة لإيطاليه والعروسيه والإنجليزيه والآلة الكائنيه على السرير .  
، سمعت من أمي بصيحه واحده مصحكه . ولكنها في علية الصوة والصق .  
و- أمي لم أستطع أن أفعل أكثر مما فعلت . حملت وولدت . ولم أستطع  
ر حملك أكثر قوة .. هذا كل الذى استطعت . وعليك الباقي ! وهلا كان  
تدري هو العبد الأخر .. ولا أعرف كيف قررت أن تكون كائنا . فليس أسم  
لعمد المشلول إلا أن يقرأ وإلا أن يقرأ وإلا أن يفكر . أما أثر هذه العراة  
في نفسه ، فليس مصموما من البداية .. وكل الذى نصبت أن أحققه . جعلته في  
حس روبايسى . بعد فعلت كل الذى لا أستطيعه

و- ثلث موراي أن كان قد مرأ شيئا من الأدب العربى الحديث .. لم يقرأ  
سب وبكى سوف يحاول ذلك ، فلا يمكن إعمال المحاضرة العربية أو ما تبقى  
مها . ولكنه نكر بعض الأسماء التى أعرفها في الأدب اللبائى الذى ترجم  
في الفرنسية ..

وفي يوم جاء أليرو موراي إلى القاهرة .. وقابلته قائلا : من محاس  
الصف أن ظهرت لك اليوم روايتان مترجمتان ..  
وكانت يده قد امتدت إلى جيبه وأخرج ورقة وقلم ، قبل أن أكمل هذه  
العبارة ، وقبل أن تظهر على وجهه معالم السعادة . لي كان يسعد ذلك .  
و العصب هائل على اسم الناشر واسم المترجم . هلت : لا نتناول أن  
نكتب .. نحن لم نوقع على ، إتفاقية برن ، فليس لك أية حقوق مادية عند  
ناشر أو المترجم ..

ووضع الورقة والقلم في جيبه . ولم أجده سعيدا بأن نكون كئبه قد نقلت  
إلى العربية . وطلب منى أن أحضر له نسخة من كل من الكتابين . وفعلت .  
ولم يعلق بشيء !

وسألتني : ما هي فضائلكم الأنسبه .. أو ما هي قصاياكم السيسيه الان  
وكننا في سنة ١٩٥٥ ..

قلت : لاشيء أكثر مما نعرفه عن الأحداث التي طرأت على مصر  
والعالم العربي بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .. ويمكن أن يقال أن المجتمع قد وجد  
« الصيغة » و « المعلم » .

فاعتدل في جملته واتجه ناحيتي باهتمام شديد قائلا : أنت قلت شيئا هاما  
جدا .. وثبتنا عميقا جدا .. وقد شغلني ذلك في العشرين عاما الماضية .  
الصيغة . والمعلم .. هل نعرف أنه من الممكن أن يجد مجتمع من المجتمعات  
صيغة جديدة لتفكيره وحياته .. وتكون الصيغة قوية مقبلة .. ولكنه يحيط في  
طبيعتها لمادا لأنه لا يجد من يعلمه كيف يعمل ذلك . ومن الممكن أن يوجد  
« المعلم » ويكون قوى الشخصية قادرا على الإقناع . ويكون قدوة ومثلا  
أعلى .. ولكن بلا صيغة .. أي بلا نظرية تعيد ترتيب وتنسيق وتطوير أدوات  
العمل في أي بلد .. ويمكن تطبيق ذلك في عالم الأنثروبيا .. فهناك لباء  
عندهم صيغة جميلة . كما وجدت أنت مثلا في رواية « هزة روما » هذه هي  
الصيغة .. ولست أنا المعلم .. ولكنك أنت الذي علمت نفسك بنفسك كيف تعيش  
على ضوء أدريانا وإلى جوارها وهي ظلالها وعلى صداها .. وكذلك من الممكن  
أن تجد شخصية أنثوية بارزة باهرة . يلتفت حولها الناس . ويكون له صلات  
أنثوية ويقوم هو بصناعة سلوك وحياء المرءات عليه .. ولكنه يهجر عن  
صناعة الفكر الاجتماعي والسبيل في بلده كلها .. ولكن إذا كان المعلم هو  
صاحب الصيغة ، فأنت أمام ثورة كبرى في كل شيء .

قلت هل أنتقل إلى الطلعة ..

قال : أيتها .. ودرستها ..

قلت : أستاذنا للتعليم أفاضل قد كتب محاوراته الشهيرة « الجمهورية »  
ووسع فيها الصورة المثالية للحياة في زمانه وكل زمان .. فهو صاحب  
« صيغة » صاحب « نظرية » .. ولكن عندما طلبوا إليه أن يطبق نظريته هذه  
في إحدى الجرار فشل .. أي نجح هلسوعا وفشل سياسيا .. أي نجح نظريا  
وفشل عمليا ..

فهو صنعت أكثر نظريه بأجده . وصاحب أكثر بحره فلسفه

وسرعته واحتصاره لنوار من الممكن أن يكون طويلاً جداً قال وبين  
نصف الناس في عصر

قلب محي في عصر العظيم الذي يحدث له عن بحره . ولأنك ليس  
عزبه أو بعلى جمال عند الناصر هي كماله . فكمه فتوره . أنه هو ورملاؤه  
من النوار كانوا من . سبب سبب . يحدث عن مولف . وهم إسم سرحيه  
لأنب الايطالي بيراسلو . وقد لاحظا عند الناصر عقلان لها . رويه .

ومعنى تلك إنه موجود وعنده رعيه وعنده اسميد لا يفعل . ولكن فوسب  
سده نظريه ولاعظه عن فيه علم وأنف حوله الذين ولكنه لا يجد  
ما يقول . أو سوف يجد ما يقول بعد ذلك

وهو موراها رسمه وقال . أعرب ذلك في التوزيع . إن لم يكن مرحله  
من حكم الفر . والكنائسويه العمولة . أي سبطل هو المعلم الذي يذهب عن  
بحره . أي المعلم الذي يحدث عن مولف بلقه ما يقول . . ثم في المرحله  
التي تحدثها لإيطاليا وعلى رأسها موسوليني . قد كثر موسوليني هو . المعلم .  
ما النظرية فهي التي وصحها به صبيحه الشاعر الايطالي . تاسر .

وكأنى وصفت في هم موراها فطعه من المجيب للملح بالندبين . فالحقيق  
فعه على مصلح . . وأسست نفسه عن الكلام

إنني أعرف هذه الحالة . وقد مررت بها . ولأفرا من حين إلى حين  
ويكن تصبح موراها صبيحي . ومن مع الحياه وتذنها . أن أفر له كل  
هذا يكتب . وأن يحدث عنه . والنقايه . رساله أين هو . ؟ وليس نحن . ؟  
و أعرف أنه من أعظم الروائيس في العالم وأكثرهم عمقا وأطولهم بظاهر  
والتياب

و قد هم يعني . أن يهتدي إلى المعنى وراء كل الفوضى والتناقضات .  
إنه هي مكلل رفيع من نفسي .



من الذي ليس مدوا للمرأة؟

## من الذي ليس عدوا للمرأة؟

• عبيط مغفل حمار - وحيوانات أخرى ١ •

قلتها في عصب وخجل من نفسي ؟

ما هذا الذي قلت . ما هذا الذي صدقت . ما هذا الذي استرحت إليه . وكيف ؟ بهذه السرعة . وما الذي تعلمينه ؟ أين العقل ؟ .. أين المنطق ؟ .. أين التحليل أين البحث في أعماقي ..  
ما الذي جعلني أعلق بهذه التهمة ..  
هل هذا هو الحب ؟

كنت أقول للنفسى تلك . ولكنى لا أصدق نفسي . فلما صدقت . وبعد ذلك أسحب بسرعة ، ظلمت عدى هذه القدرة على أن أنفع وأظل هكذا .. مهما كانت النتيجة . فلما إنسان عطشى . ولذلك فكثير من أحكامى على الناس خاطئة . هذا مؤكد . ولذلك يكون الاعتماد على الناس سريعا . ويكون السحب أنسى اكتشفت خطئى بسرعة .. فالفنيات كثيرات حولنا ..

وأصبح من المألوف أن نجد لزملاء : واحدا وواحدا .. يجلسون معا . يتكلمون يهرجون . ينتفون . والذي ليست معه واحدة ، يشعر كأنه دون الآخرين .. وكذلك الفتيات . هل هذا هو الحب ؟ لم يتسع وقنى لكى أفكر فى طبيعة هذه العلاقة .. وإنما هو نوع من : التلازم ، فقط .

ولا أعرف إلى كائن الحب ضروريا فى هذا الوقت ، أو فى أى وقت .. أما معناه : أن هذا الطلاق لا يستطيع أن يعتمد على هذه الطائفة . وأن اتفاقا سريا بينهما بالزواج بعد ذلك .. أى بعد التخرج . وليس واضحا لدينا جميعا : معنى التخرج ولا معنى : بعد : التخرج .. ولا ما الذى سوف يجرى بعد ذلك .. ولكن بعض الطلبة يرون أن الشيء المؤكد هو الزواج من هذه التهمة .. ويبحث هذا الزواج .

ولم أكن أرى في هذا ، التلازم ، شيئا هاما . فما الذي يحدث ؟ بجلوس إثنين  
يتكلمان .. يقوم الطالب بمساعدة الطالبة في نقل المحاضرات في المكتبة العامة  
وأحيانا في البيت .. ويرى في المساعدة لها ، عربونا ، للمصادقة أو الحب .  
ولكن المهم أنها ارتبطت به بشكل ما ..

وقد فعلت ذلك كثيرا . بعد مساعدة زميلات وأمليت عليهن أبحاثا كاملة .  
قرأت ولعصت وتعبت ثم أملت ذلك عليهن . لماذا ؟ ربما كان إلهترا للفترة  
وحرصا على أن تبقى الرصيلة ملازمة أو صديقة .. لو حرصا على المظهر  
للعام . وخرجت بأى إحدى الزميلات قد أهدتني ، الأجارورة ، ملفوفة في ورق  
بشريط أحمر . وكانت مشككة ، وأنا لا أعرف أين أصحها في البيت . وقد بقيت  
هذه الأجارورة ملفوفة في ورقها أكثر من عشر سنوات . ولم أفكر في منحلول  
هذه الهدية .. ولا مصاها . ولكن صاحبة الهدية حاولت أن تقول : أنها لم تفعل  
ذلك من قبل .. ولكن إحسانها .. وعمق العلاقة التي بينها .. ولم يترك هذه  
الهدية أو هذه العلاقة أى أثر لو أى معنى في حياتي بعد ذلك .. فكل هذه  
المشاعر ، نرف . ليست هي المشاعر الضرورية التي هي : الامحاح ..  
والمذكورة والنجاح والتفوق .. والعمل بعد ذلك

وهي يوم جلست في حالة قرب من حياتي ودم على التفاهات التي أرتكبتها  
بانتظام . ولا أعرف دائما حقيقيا لذلك . مثلا : ذهبت أهوى أهد الزملاء  
بزواجه ولم أحمل معي هدية لذلك !

ولم أفكر في معنى هذه الزيارة . وقلت لتفسي : ربما أريدت أن أعرف  
ما الذي يطرا على الناس بعد الزواج . وما هو الفرق بين ما قبل وما بعد  
الزواج . وإن كانت هذه العلاقة ضرورية . صحيح أن الزواج عادة قديمة  
مستمرة ، ولكن إستمرارها لا يدل على نجاحها ولا حتى ضرورتها . إنها  
مستمرة والناس يحرصون على الزواج المريع ، ليندموا بعد ذلك على مهل  
وقد أنهتني أن زميلي هذا قل لي ما كنت أتوقعه : مقاب !

ضابته : ماذا ؟

قل : هذا !

سألت : هذا ؟

قال : الزواج .

ولم يكن قد تزوج أكثر من شهرين !

• • •

وعندما ذهبت أروور أحد أقربي في المستشفى . لم يكن هو المريض .. وإنما هي زوجته قد وصفت طفلها الثاني بصعوبة . وكانت المرة الأولى في حياتي الاجتماعية . قال : أكبر غلطة في حياة أي إنسان أن يكون له أولاد فهو يتداه من هذه اللحظة سوف يكون كلبا ذليلا .. سوف يجعل حياته من أجل هذا ، المعصوم - وأشار إلى المولود .

كأنني لم أفهم بوصوح قلت : أرجو أن يشرح ذلك . فلما أعرف تماما معنى أن يكون الإنسان إنسا . معذبا بوالديه .. ولا أعرف كيف يكون أبيا .

قال : أعرف ماذا تقصد . ولكن عذاب الإبن بأبويه ، ليس إلا واحدا على ألف من عذاب الأب بأبنائه . إن هذا هو الإبن الثاني .. ولا تصدق روحك إذا قالت أن هذا الطفل جاء خطأ .. إنها كاذبة .. فهي تريد الأول والثاني والعاشر . ومهما تعسبت في الولادة والعمل والرعاية فهي كاذبة .. فهي على استعداد أن تفعل ذلك ألف مرة . فهي ترى أن الأولاد فيود تلفت حول عنق الرجل . وأنها لا تستريح إلا إذا وصفت الرجل في سلسلة من الحديد والدار .. فلا يوجد رجل يريد أن يكون أبيا ، ولكن لا توجد امرأة لا تريد أن تكون أما من الشيطان أو من ملاك الموت .. وعلى قدر فرحتها بولادها ، تقاسي بسك .. فالأب لا يبذل هذه الشعور بالأبوة وإنما هذا الشعور تفرسه المرأة فيه يوما بعد يوم .. وتربطه بولادته ساعة بعد ساعة بفترة هائلة وصير عجيب .. فقد تكون المرأة جاهلة أمية .. ولكن العريضة قد أعطتها كل الأسلحة القوية لحماية نفسها وأولادها .. ويكون الرجل هو الصحية .. هو الحمار !

قلت : لا أفهم .. هل تقصد أنك نادم على ذلك !

- بل أرجوك أن تطلع الجريمة ومصريتي بها ألف مرة .. ثم تهبط على رجلي بعد ذلك !

ذهبت أحطت إحدى الزميلات لصديق لنا . هو يحبها . لا شك . وكنت  
يعرف ذلك . وبتوقع لهما زواجا قريبا سعيدا . زارها في بيتها وزارت أمه  
ورارت العربية وعرفت مسلحة الأرض التي يمتلكها .. إنها سلمي يقين من كل  
شيء . ولكنه خجول . وهو خجول لأنه ريفي مؤمن بالله . ولا يعرف كيف  
يعبر لها عن حبه . إنما يترك ذلك للصديقات والأصدقاء . وكان من نصيبه  
أن أذهب لأخطبها له .

كان ذلك في الصباح الباكر . ولابد أنني تحدثت مع والدتها عن مزاياه وعن  
أخلاقه وعن صفته . وأنها حينئذ كلية الآداب . وإستادت الأم ، لحجى إيسها  
رميلنا الحساء . ولم أجد مجبا لأن أعود على مسلمها ما قلته لأمها فهي  
تعرف .

وغابت الزميلة وجاءت الأم بالشاي والكوك . وقالت لى : اى موافقة على  
أنك .. تتزوجها !

وروح الثناى فى حلقى .. وبظورت إليها أسو صبح . فأعادت ما قالت .  
واندهشت وقلت لها : وهل هذا رأيها أيضا ؟  
قلت : طبعا !

قلت : ولكنها تحبه !

قلت : هو الذى يحبها .

قلت : بل هي أيضا . أنا على يقين من ذلك . إنها اعترفت بذلك .

قلت : أعرف . ولكنها خبرت رأيها ؟

- كيف ؟ متى ؟ لماذا ؟ ولكنه لحم منى كثيرا جدا ، إنه غنى . وهو  
يحبها . وهذا المهم . وهي أيضا تحبه وهو الأهم . والإنسان منحبان وهذه هي  
البداية !

- كما قلت لك . إنه هو الذى يقول أنها تحبه . ولكنها لم تقل ذلك قط ..  
صديقى !

ولا أدرى كيف انتهى هذا الحوار ولا لماذا قلت .. وصافحتها نصف دايخ .  
وخرجت .



وَقَلْتُ لِصَاحِبِي عِنْدَمَا قَبِلْتَنِي : إِنَّهَا كَاذِبَةٌ .. إِنَّهَا مَخْطُوبَةٌ لِشَابٍ آخَرَ ، مِنْ قَرِيبِهَا . وَهِيَ كَاذِبَةٌ . وَأَمَّا أَكْثَبُ .. يَا أَخِي أَلَمْ تَجِدْ غَيْرَ هَذِهِ الْفَتَاةِ ؟  
.. مَاذَا تَقْصِدُ ؟

.. أَقْصِدُ كُلَّ الَّذِي قُلْتَهُ لَكَ . وَلَيْتَ كُلَّ الصَّدِيقَاتِ وَالْأَصْدِقَاءِ قَدْ كَذَبُوا عَلَيْكَ .  
.. لَا هِيَ نَجِيكَ . وَلَا هِيَ تَزِيدُ لِلزَّوْجِ مِنْكَ .

.. وَمَا قَالْتَهُ عَلَيَّ مَسْمُوعٌ مِنْ هَلاَنَ وَهَلاَنَ .. وَخَطَلَبَتْهَا الَّتِي تَقُولُ : أَنِّي الْحَبِيبَةُ  
سَمِيدَةُ : إِنَّتِ أَنْتِ وَأَنْتِ .. وَاللَّهِمَا إِنَّتِ : أَنَا أُولَاهَا وَهِيَ آخَرُهَا .. كُلُّ هَذَا  
.. مَعْنَاهُ ؟ لَمْ أَضْرِبْهَا عَلَى يَدَيَّ لِقَوْلِ كُلِّ ذَلِكَ وَبَعْطَلَهَا وَبِمَسَلَّتَهَا ..  
.. فِي الْزِيَاةِ ؟

.. نَبِيَّةُ زِيَاةٍ ؟

.. هِيَ وَأَنْتِ وَالْخَطَلَبَاتُ ؟

• • •

إِنَّمَا زَمِيلَةٌ مَتَوَسِّطَةٌ لِقَائِهِ سَمْرَاءَ .. بِقِيَّةِ الصِّفَاتِ الْآخَرَى لَا لِيهِمْ ..  
لَاسِي لَسْتُ مَهْنَمًا إِلَّا بِوُجُودِهَا مَعِي . أَوْ بِأَنَّ هَبْلَكَ مَسَافَةً أَلْمَسِي تَشْغَلُهَا هَذِهِ  
الزَّمِيلَةُ . مَتَقَنَّةٌ ؟ نَعَمْ . تَقْرَأُ ؟ نَعَمْ . تُحِبُّ بَنِي كَطَالِبٍ مُجْتَهِدٌ ؟ نَعَمْ . مِنْ الَّذِي  
سَدَّ عَنِ الْحَبِّ . هِيَ ؟ لَا .. أَنَا ؟ نَعَمْ . أَنَا الَّذِي قُلْتُ أَنِّي الَّذِي يَهْمُا حُبِّ  
رَبِّهِ عِلَاقَةٌ قَوِيَّةٌ . ضَرُورِيَّةٌ . وَأَنَّمَا أَلْخَلْتُ لِنَفْسِي وَالْوَلَوِيَّاتِ الْزَهْرُورِ وَلِمَعْنَى  
السُّجُودِ فِي حَبْلَتِي الزُّرْكَادَةِ .. وَأَنَّمَا تَعْوِيضُ عَنْ لَهَامٍ بَارِدَةٍ وَلِهَالٍ خَلَقَةٍ . وَأَنْتِ  
جَدَّ الرَّاحَةِ إِلَى جَوَارِهَا ..

وَلَكِنِّي أَكْثَبْتُ مَعَ الْأَسَفِ أَنَّمَا لَمْ تَقُلْ ذَلِكَ . وَإِنَّمَا أَنَا الَّذِي طَلَبْتُ إِلَيْهَا أَنْ  
تَقُولِ ، فَكَلَّمْتُ . إِنَّمَا لَمْ تَهْلِكْ بِأَيِّ تَعْبِيرٍ عَنِ الَّذِي بَيْنَنَا . وَإِنَّمَا أَنَا طَلَبْتُ إِلَيْهَا  
أَنْ تَقُولِ ، فَكَلَّمْتُ . وَلَيْتَ تَفْعَلْ فَتَفْصَلْتُ .

وَأَحْسَبْتُ أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ فِي شَيْءٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَقُلْ شَيْئًا .

وَأَلْسِي مِثْلَ مَلْعُونٍ وَهِيَ مَطْرُوبَةٌ .. وَأَنَا الَّذِي لَقِيتُهَا الْخَبْرَ . وَكَلَّمْتُ وَجَدْتِهَا

بؤدى اللحن كما علمته لها ، أسعنى ذلك . فاللحن من عدى ، والأداء من  
عددا ، وسعدنى أنها حفظت اللحن وأنها تنطقه ورائى ، بما كما أنطقه أنا ..  
أو أنها ممثلة وأنا المخرج وأنا الذى تفتتها الحركة المسرحية والأداء : الجد  
والهزل والمضحك واليكاء . وأسعدنى ، مثل أى مخرج ، أن يتطابق أدائها مع  
تعليماتى . هى إذن مطربة مطربة وممثلة عطرة .

لما غلطنى هى أنى سميت أنى أنا الذى طلبت . أمرت .. لنى أنا رسمت  
الأداء . والحركة المسرحية !

فلا هى أحب ، ولا هى قلت ذلك . وإنما أنا الذى توهمت . إنها غلطنى  
إذن .. إنها وهى ..

قلت : هل تعرفين أننى إرددت إحزاما لك .

فالت : لماذا !

قلت : لم نكنى فى شيء . لم تصارحينى بشعورك نحوى . وإنما أنت  
رددت بالصبط ما كنت أقوله لك .. طلبت أن تقولى أنك تحببى فقلت .  
وأعجبى صدق . ونسيت أن صوتك هذا من تلحينى من إخراجى .. من  
صمنى .. كما أن حبك لى هو من صميم وهى .. واكتشفت لنى موهوم مرة  
أخرى .. فقد أهديتك أيضا عندما وجدت هذا الحب العار العميق الذى  
صارحتنى به . فكنسى كنت أتكلم بصوتك ، ثم أرد عليك بصوتى .. فانا أرد  
على نفسى - إننى لصاعف وهى بتصديق وهى ..  
ولكنى أحببتك ..

بصورة لا أظن أنك الحب الذى أحتاج إليه .. فهو كائن غريب يولد فى  
ظروف أكثر غرابية .. باقه عليك كيف يكون حب بين أناس حفاة عراة جهاج  
خالصين متنا .. إلى الدين يحبونه هو الرغبة والفرش والشهادة . ويخطئون فى  
فراءة هذه الأسماء ويظنون أنه الحب المطلقى .. أو هو المرأة هو الذى  
ينقصنا .. إلى المرأة لا نحل لنا مشكلة .. بل هى مشكلة .. هى عبء .. كما  
أن الثوب يواجه الإنسان وحده .. فكذلك النجاح والفشل : قدر شغص .. وإلا  
ما الذى يمكنك عمله لكى أنجح .. وما الذى يمكنك فعله إذا رسبت ؟ ..

لا شيء .. ولا أنت ولا أحد يستطيع عمل شيء إننا لم نحبك وإنما أحببت  
عسى . أحببت أن أجد نفسي قد تكرر . قد زاد واحدا . أنا الملحن وأنت  
المطربة .. إن صوتك هو صوت أصيف إلى صوتي . أنا المخرج وأنت  
ممثلة . فحركتك وأداؤك وصوتك وصحكتك وبكوكك . هو صدى لغزائي  
كمخرج .. وليس هذا الحب الذي توهمته إلا حبا لنفسي .. حبي لنفسي . حتى  
هو الحب . ليس حقيقي .. إنه وهم .. إنه للصوت والصدى .. إنه الصواء  
، يعني .. إنه جهل قد أصيف إلى جهلك أنت أيضا . وإني مستقبل بظننا نحن  
الذين . إن الزواج ليس مؤهلا عظيما ولا اجتماعيا . إني بك ومعك  
لا نستطيع أن أحرق الأرض وأبلغ الجبال طولا .

. يعني ماذا ؟

. يعني أن كل الذي قلت لك هو إغلاق لكتاب مليء بالهيداي .

. يعني ماذا ؟

. لا أب ضروري لك .. ولا أنت .. وأنا لست ضروريا لأي أحد .

. أنت خدعتني إن ؟

. بل خدعت نفسي .. أنا لم أقل لك شيئا إلا لكي أسمع منك .. نون أن  
معدل عن مدى تصديقك لما أقول .. لقد كانت علاقة هبة ، ويجب أن تنتهي  
كما ينتهي نور الملحن والمخرج عند ظهور المطرب والممثل على المسرح .  
وبهرت على المسرح وجلست أنا في مقعده الوحيد .. أنت غيببت وأنت سمعت ،  
أنت مثلت وأنا أعجبت .. إنتهى الدور . المنار يجب أن يدرول والأصواء يجب  
أن تنطفيء . فقد نعلق مجاحي وفشلي في شخص واحد في لحظة واحدة .  
وأنا لن أصفق لك بيد على يد .. وإنما أصفق لك بيد على خدي .. أظلم .. يد  
صفق وحد يتلقى اللطمات . وإذا برلت من عيني دمعة ، فهي دودة أسحقها  
بحدائي . إنتهى كل شيء أيتها القرملة .. لقد كنت عبيطا .. أو كنت مغرورا ..  
وقد جعلتني المرور حيوانا له أذن طويلا .. ولكنه لم يعرف إلا عندما ينظر  
إلى نفسه هي المرأة .. وقد كنت للمرأة !

• • •

ووجدتني عدوا للمرأة .. ووجدتني لمسك سلاحا موريا أحاول أن أملاه  
بالعرف والضيق والاحتقار للمرأة .. أما النخيرة التي وسعها في السلاح فقد  
استخرجتها من مناقشة الفيلسوف الألماني شوبنهاور .. الذي رأى أن المرأة  
ليست من فصيلة الرجل .. إنها مختلفة عنه تماما . وإنما هي من فصيلة  
إسفلت فيها النساء على الرجال .. وقصت على الرجال ووجدت نكر الإنسان  
أقرب شيئا بالذكر التي قصت عليها . فكانت هذه العلاقة الشاذة بين الرجل  
والمرأة ..

والمرأة حيوان معقد شديد للعصبية ، شديد القلق ، ليس لديه شعور  
بالأمان ..

ولأن المرأة اعتادت على أن تنتظر في بيتها حتى يثق الرجل بابها ، فإن  
انتظارها عادة .. غريبة .. ولكنها هي هذا الانتظار تنربص بالرجل وتتأمر  
عليه ..

ويرى شوبنهاور أن المرأة حيوان بارد فقط . فهي مكلفة من الطبيعة باستمرار  
الحياة . فهي أم أولا .. وأى شيء آخر بعد ذلك .. فهي أم أولا وزوجة ثانيا  
وأخت ثالثا . وهي من أجل أن تكون أما ، مستعدة أن تأكل للروح والإهوة ..  
المقارب والمكذب تفعل ذلك . هذه الحشرات بعد الإخصاب تأكل ذكورها ،  
لتمش بما فيها من مواد ضرورية لتغذية الصغار .. والمرأة هي هذا المقرب !  
والمرأة كما يقول شوبنهاور طويلة للشعر طويلة اللسان ضيقة الكتفين صلبة  
الأفق .

المرأة إذا ساءلتها بك ، منطلعت عليك !  
لا توجد امرأة موسيقرة ، وإن تكون !

السؤال الذي لم يلق إجابة حتى الآن : إن كانت المرأة إنسانا !  
لم أجد كتابا يحقر المرأة مثل الكتاب المقدس !  
لم أعرف للمرأة صديقا ، أكثر أعلاها بنات جسدنا !  
المرأة حيوان ، ولكنها ليست من الحيوانات الراقية !  
المرأة قليلة ، لأنها لم تعط فرصة أخرى لتكون شريفة !

الرجل يمار لأن له كرامته ، المرأة تفار لأنها بلا كرامة !  
جمال المرأة وقصفتها كلها من صنع الرجل !

عشرات من العبارات حصلتها للشعراء الكافرين بالمرأة .. أو المحترمين  
شأنها .. وكنت أصعب بعض هذه العبارات في مقامة كرايمس المحاصرات التي  
يبدلها وتقلوبها الرميقات ووجدتني في المعسكر الذي يحادي المرأة . مع  
ن تجريبي مع المرأة قليلة أو لم تكن عندي تجربة صدمتني منها .. فلا أنا  
أعيب . ولا كنت حريصا علي هذا الشعور . وإنما نوهمت أنسى كذلك .  
فلا المرأة ولا أية علاقة بها . كل مما يشغلني .. وكلما راودتني فكرة عنها ،  
طردها ..

ولا أعرف كيف خرجت بأفكار كثيرة عن المرأة في وقت واحد .  
ولا كيف انفتحت عيني عليها ..

ولا كيف إنشغلت بها أو إيمانها عن رأسي .. ولا كيف كنت أنظر إليها في  
وجهها وأنصص ملامحها ولا كيف أستخرج الرملاء ليحدثوني عنها .. عن  
جاربهم الناجحة والفاشلة ..

ولكن يحدث عادة عندما يصعب الإنسان أن يطارد الأفكار التي طردها ..  
و تنقلب عليه الأفكار التي تغلب هو عليها ..

يقول شوبنهاور : إنها مثل ثعلب وضعت أذنيها على رأسه .. فلما نعت  
أقدام الثعلب حول سيقانها وأعناقها . إنقلما ما !

صادقت إحدى للرميلات . كانت لها سيارة صغيرة . استوقفتني أشارت  
أن أركب إلى جوارها . بهرني هي وحيويتها وشبابها وعطرها ولعان  
سيارتها .. أو سيارتها . قالت : تعال لشرب شاي من القهوة في مكتبي .

إنها موظفة في وزارة الخارجية . ما علاقة الخارجية بالظلمة ؟ كيف  
استطاعت أن تجد هذا العمل بهذه السرعة . وما الذي فعله هناك .. بالمسيرة ..  
والذي هي أصابعها وأيديها وصقها .. وسألتني إن كنت أدخل . فلتحدثت جدا .  
كيف أدخل ؟ وأدعشني أكثر أنها تدخن . وسألتني إن كان يصليقي أن تدخن .  
ولم تكن قد سمعت قبل هذا النوع من الأسئلة . ولم أجد ما أقوله . ولم تدخن .  
وسألتني : وما الذي فعله ؟

وانتقلت عيني إلى حدثتي الذي اذابة السير دهايا ودياب من الجامعة إلى  
إمبابية .. وعلاودتي الرغبة أن أهرش بين أصابعي وأهرش رأسي . ثم  
لا أقول شيئا . وعلاوت تقول : أنت تعرف لولا عمي ما وجدت عملا بهذه  
السورة !

ولم أكن أعرف عمها بل إنني بسبب اسمها بالكامل كل ما أعرفه هو  
أن اسمها : سعاديه .. شقراء ذهبية الشعر عسلية اللون كلها حيوية وشباب  
ورواء . إذا ضحكك فكل جسمها يهتز .. وإذا لم يضحك . وأل ثم أرها  
إلا ضاحكة . أي إذا لم تضحك كثيرا . جسمها يهتز أيضا . كأنها قد خلقت  
لذلك .. لو كأنها يضحك بالبدلية عن أمثالي من أبناء الهم والعم والكرب العظيم  
والبلاء الأعظم !

وفجأة أشارت إلي يدها اليسرى وقالت : الآن نعررت . !  
أي كانت مبروجة ثم انفصلت عن زوجها . قلت : عندما جلست سوبا سوف  
أحكى لك قصة مثل كانت تؤدي إلى سقوطي في الامتحان ، لولا أن الله سبحانه  
وتعالى أنركني برحمته .. أنت تعرف مصطفى زميلنا .. مصطفى : أظهر  
المحبين - كما كنت تسميه أنت !

مصطفى . هو الذي ذهبت أخطب له إحدى الزميلات .. مصطفى هذا هو  
الذي همس في أذنها بأن الشاب الذي أحبه وتزوجته كان يعرف فتاة أخرى  
وأنه رأها في الحقيقة اليابانية في حلوان . ذهبت ورأت ذلك بعينها فكان  
الطلاق بعد زواج شهرين .

وبدون تفكير متى قلت لها : وإنت كنت على صلة بواحد غيره !  
وإزداد وجهها إحمرارا وإرتجفت وظهرت فطرات العرق على وجهها .  
وبهست من مقعدها تقول : من قال لك ؟ إنها كانت صداقة بريئة .. كأنك كنت  
تعرف منذ البداية .. إنه صديقك إنه كلب إين كلب .. لا أمل له .. لقد أقسم  
على المصحف أن تظل هذه العلاقة سرا بيضا لأنها علاقة شريفة .. كنت أحكي  
وأستمع إلى بصيحته .. ولولاء ما كان هذا الطلاق للهادية . ثم إنه ،  
كما تعلم ، مخطوب لزميلة هي كلبه للحقوق إينة عمه وسوف يتزوجها في  
العيد .. وأنا مدعوة لهذا الفرح .. هو دعاني وهي دعني . هذا كل  
ما هنالك ..

وأنا لم أكن أعرف هذه العلاقة . ولكن افكارى السوداء التى ترسبت قوية  
 فى اعماقى جعلتني أتهمها بالحيلة دون أن أدري . فلماذا بها تعرف بما لم أكن  
 أعرف . وارتدت يقينا من افكارى ، وأنس على الطريق الصحيح الذى رسمه  
 ساندا العظيم شوبهور خارج عالم المرأة أو لتقنه فيها .. كلبة .. حورية . !  
 صدق الاسناد المعقد فى إحدى فصلاته : حبها ولا تخلص لها أبدا .. إلخ .  
 وكنت أكتب هذه العبارة باللغة الألمانية وأحيانا باليونانية وأحيانا باللاتينية  
 أحيانا بالعبيرية ، حتى لا يفهمها أحد .. وحتى لا تبعد عن عيني أيضا .  
 وفى يوم عدت إلى البيت مبكرا ..

بسى أعرف مقدما كل ما سوف أسمع وأرى .. لا تكاد أفتح الباب حتى يبعث  
 بكلمة ويتعلق بملابسى ولا ينتد عنى قبل أن يلحق أصابعى وحتى أعطيه  
 ما أنبت به من طعام .. وبعد ذلك أتجه إلى الغرفة التى يمتد فيها والدى  
 والدنى .. وينتظر أحدهما باليوم حتى لا أسأله عن حاله . وإن كانت قد  
 حسنت صحته .. وأنا أعرف أنه لا تحسن ، ولا يجب لذلك .. ولكنه أو  
 تكفى ، بشعافا على ، لا يريد أن يجيبا ولكن لابد أن أسأل .. وإن كان أحدهما  
 فى حاجة إلى أى شيء .. طعام .. شراب . نهاب إلى دورة المياه ..  
 طبيب .. ثم أدخل غرفتى وأحاول أن أشعر أنى فى البيت .. ألتص حديثى ،  
 ومعه افكارى السوداء وهمومى الثقيلة .. وأنظر إلى الراديو الذى لم أضعه من  
 سنوات .. وإلى الكتب التى تحركت عن مواقعها بما يدل على أن والدنى قد  
 حلت هذه الغرفة وحاولت تسويتها ، بما يبقى لديها من قوة .. ومن وراء  
 نافذة أجد بيت الجيران صبية سمراء تنطرس .. وأقول فى نفسى . جاءتك  
 حيلة .. لعلك تطير أنى شيء أو من لمعك أن أكون شيئا مستعجلة على  
 برواح .. من ؟ منى ؟ ألا ترى ؟ ألا تسمعين ؟ ألا تلاحظين ؟

ويتعالى صوتها تقول أى شيء .. فقط تريد أن تجعلنى أشعر بوجودها ..  
 ثم يكور لها كلام رمزى مع إحوتها . مثلا : وحشنى يا واد .. واللبى  
 وحشنى أشوفك بمن .. ذقوة .. كلمنى .. يا عيسى عليا وعلى بحسنا ..  
 هالينا لم يعلموا .. يعنى للى تعلموا خنوا ليه .. أحسن ؟ .. أحلى ؟ أجمل ؟  
 كنز إحلاص ؟ ومن أجيب لى بخت ؟ الصبر طيب !

وأحيانا أفتح النافذة فلجدها .. فى غاية الحبيبة .. واللمعان .. الوجه  
والعينان والأسنان .. وأصواء فى كل مكان من وجهها وعنقها .. فكيف تتدهق  
مدها هذه الأصواء .. أين يتابعها .. كل هذه الأصواء لمجرد أننى نظرت .  
تملأ كما تصاء هبلا جميلة لاستقبال صرصار .. يا سلام .. ألهذه الدرجة أنا  
مهم عندها . أو لهذه الدرجة الحب مهم .. للزواج مهم .. للرجل مهم .. ولهذا  
الدرجة الحب أعمى .. والرغبة فى الزواج عمياء . أبوها كمسارى .. إحبها  
كلهم فى المدرسة وهى التى تطبخ وتكس وتعمل .. هى نيامو البيت .  
ويقولون عنها رجل البيت ..

وعادة نجىء أصوات أخرى من فوق السطوح المجاور : يا بت اهدى ..  
اسكتى .. سببى الجدد فى حاله .. الذين ما يعلش على الحاجب .. أنت فى  
وهو فى .. كلن شهرك أنشطر ..

كلام أحيانا أتابعه وأحيانا أفكر فيه .. وأحيانا لا أسمعهم مهما طال وارتفع .  
كل ذلك أتوقع أن أراه وأن أسمع كل يوم .. وهى حياة ، أو إنعدام حياة ،  
مملة .. رتيبة .. ليس فيها حوائث . فالحياة مانت عند باب بيتنا .. الشارع  
مجرى مائى منضبط الأمواج والأصوات والروائح .. ولكن عند بيتنا وأمامه  
وهى داخله توفقت الحياة .. أو ركعت أو جمعت .. أو تلاثت .. وقد اعتدت  
على ذلك كما اعتللت للضفادع على مياه البرك ، والوطايط على الأركان  
المظلمة ، والقفاريث على الخرائب ..

إلا هى تلك اللبلة .. وجئت للفرقة التى على الشارع مصامة .. إنى عندما  
صوبت .. أو طيبت .. واقتربت من النافذة لكى أرى من فى داخل العرفة فلم  
أجد أحدا . ولكنى شممت رائحة الشاي ، إذا هناك من يصنع شاي لأحد ..  
وبسرعة ضحكت الباب . ثم أجد الكلب . لم أسأل لنجهت بسرعة إلى غرفة  
والدى للفرقة مظلمة : مساء الخير .. لم أسمع ردا .. اقتربت من الممرير .  
وصمت يدي على صدر والدى .. نائمة .. ومخدت يدي على صدر والدى ..  
نائم . الحمد لله .. ذهبت إلى غرفتى .. وجئتها مصاة . إنها إحدى  
حالاتى .. أحب للغالات .. أهلا يا حالتي .. حمد لله على سلامتك .. نورب



مصر .. نورت الدنيا .. والله صحيح .. نورت كل شيء في الدنيا ..

اجتذبت مع زوجها - وتم الطلاق بسرعة ..

إنني أحتاج إلى ألف ذراع لكي أصعب رأسي عليها .. فرأسي قد ثقلت فجأة .  
ولم أعد قادرا على حملها . جلست واستندت رأسي للحائط .. وكلل التراب يمل  
قليلًا من المنقب . واستمكنت لهذا الشعور : ولماذا لا يمسك المنقب ويذهب  
أنا وحالي نعه .. ما الذي بقي في هذه الدنيا من قيم .. هذه الطيبة الجميلة  
الحيرة الرقيقة الحنون نعجر عن الحياة مع رجل - يرفضها رجل . وإذا كانت  
كل هذه القيم لا تجد لها مكانا في الدنيا ، فما الدنيا ؟

ـ قول لي يا حاتلي ماذا حدث ؟ قول لي فأنا مسعد أن أسمعك حتى  
انصبح ، وإن أروي لك ما سمعت كثيرا وطويلا وفجأة هذه الشهور الأخيرة ..  
من التي حنك معها . واحدة من بنات البندر .. بنت العمدة لأنه يريد أن يكون  
عمدة .. بنت أخت البابا . لأن والدته تعبد هذا البابا ..

ـ لاشيء من كل ذلك .. إنه يريد أن يكون له أولاد والله لم يرفض بالأولاد  
عشر سنوات ..

وكلام كثير وحكايات ونوادر ونموع وصحكات وأغبيات . ولم تكن خالتي  
حزينة . كانت تتوقع ذلك . ولكنه حيرها بين أن يهوى على نمته ثم يتزوج  
غيرها وبين أن يطلقها . وانحازت هي الطلاق . ثم إنها هي التي انحازت  
له العروس .. وسوف يهوى الزيارتها غدا ..

وكان ذلك أكبر من عقلي . . فلم أستطع أن أستوعب كل الذي سمعت . .  
وكنت أكتفي بأن أرى حالتي وهي تحكي لي كل ذلك . . كأنها تحكي قصة  
واحدة غيرها . . ملخص هلم سيمائي . . وحاولت أن أجد في ملامحها لوبا  
ولحذا يدل على حزنها أو أسفها أو ضيقها بالدنيا أو كفرها بالإيمان . لم أجده .  
كيف ؟

ـ قول لي يا خالتي أنت حزينة ؟

ـ أنا ؟ أبدا . . بعد وفاة خالك . . لم أعد أحرص على شيء . . لقد كان جمالا

وصحة ومرحًا وحبا للدنيا ومات صغيرا .

و . وأنت قرينتين أن تكوني صغيرة ؟

- نعم . لأن الأحزان تطيل العمر . . أمي . . جنتك . . كما يتصور أنها  
بعد وفاة إبنها الكبير سموت بعد لحطاب . وهي الآن قد عاشت بعده وقد لوت  
ملايسها . . وهي شديدة الحزن عليه . . ولكنها عاشت . . و . .  
وكانت تشير إلى مرض والدي ووالدي ، وبسرعة تداركت هذه الإشارة  
المؤنمة . . ولكنها قللت بنكاه ورقة وجمال وحسن : أفضل أن أموت كما  
تراني ، على أن أعيش كما ترى أرحمة خالك .  
أنت تقولين كلاما غريبا يا حلفتي . .

- كلام على قدي . . تعلمت هذا الكلام من الدب . لا كتب . .  
ولا جامعة . .

- والله أنت لا تعرفين ما الذي تعلمنا من الكتاب ومن الجامعة .  
لا شيء . . والله العظيم لا شيء . . تعلمنا أن نصنع أسماء للمشاعر فقط . .  
بالصبط كالذي يكتب شهادة ميلاد كل طفل يولد . . فقط يكتب اسمه وتاريخ  
ميلاده . . فلا هو أب ولا هو أم . . ولما فقط يسجل أسماء الموليد وأسماء  
الوهابت . . هذا كل الذي تعلمناه في الجامعة . . فالذي أسمعه منك أختي له  
هذه العناوين : إرادة . . عزيمة . . شخصية . . حب للحياة . . واقعية . .  
بدالة . . غدر . . وتمضي السنوات ونحن نناقش معاني هذه الكلمات . . نحن  
كالرجل التركي الذي نتحدث عنه النكتة المشهورة . . لما أحبل إلى المعاش  
أنى بعدد من القلل وملأها بالماء ليشرّب منها إنترك هذه مجاب . . فكان يقول :  
هد هذه . . ليشرّب منها الناس اشرب من هذه القلة . . من تلك القلة . . فلا هو  
الذي صنع القلة ، ولا هو الذي ملأها بالماء . . ثم إنه ليس رجلا رجيما عطوفا  
على الناس . . وإنما هو خلق لنفسه ، معاشية ، لكي يأمر ويهوى كما كان يفعل  
من قبل !

وبنكاه عجيب فاجئني بهذا السؤال : كأنك لن تتزوج !

- أفزوج ؟!

- طبعاً إذا كانت هذه أفكارك وهذا رأيك في نفسك وفي الدب . فلا معنى  
للحياة . . ولا أمل فيها . . أنا أعترك تماماً . ولكن عندي حل وكل شيء له

من . إن كنت تريد أن تتزوج واحده مثلك .. فعلى ذلك أنك تحصل العلم  
على الجمال وعلى الطوبى ...

ولكن أنا عندي حل أسمع من هنا وألقى به من هنا .. عفاي يقول لي :  
إن حبس واحده لك هي هناك متوسطه التعليم وغيبه . أنت تعلمها بمرور  
الوقت .. وفلوسها سوف تذهب عليك البعد .. كان فلوسها هذه ثم تعلمك  
لها . وعندي وجده بهذه المواصفات .. وإذا قلت لي الآن . أنك موافق .  
فإنني أزوجك لها يوم الخميس القادم .. قلت ليه ؟! وهي تعلم بيانا هي الفخرة ..  
ويجوانتها الثلاثة في الجامعه .. ولكنها اصغرهم جميعا وأهيبهم لأبويها . وهي  
تسهر لك بتقدير خاص .. ووالدتك تعلم من حذوات .. وأنا فأنحبها في ذلك ..  
ولكن بصحتي أمك ألا أكنمك في شيء من ذلك .. والآن وقد تخرجت وبحثت  
ما رأيك ؟



طه حسين مسح بنا  
الأرض.. والسماء أيضا

## طه حسين يحيا الأرض .. والسما وأيضاً

جاء الدكتور فؤاد حسين أسناد اللغات الشرقية . وكذ يجلس على  
مكتب أمام مكتبه الجامعة . وكان يمشى بسرعة ويتطوح يمين وشمالاً فقال  
سهيته الصعدييه : تجذروا تجلبوه بعد ساعة ؟

ثم قال : لا تتكلموا في موضوعات ناهية . هو على كل حال رجل  
مبور . ولكن لا تمخلوا صبره في استعراض صفحات العيال الصغار .  
عارفين أين تجلبوه . هي مكتبه . سوف يكون وحده . وأنتم  
رسلانكم . يمكن أن يحدثوا اليه عشر دجايح ويمكن عشر ساعات .  
سلام عليكم .

ونركنا وعاد يمشى بسرعة يتطوح . وكذا سعادته بجاحه في أن يحدث  
نا موعداً مع الدكتور طه حسين . أعظم شخصية في عالم الأدب والربية  
وانفكر . إنه شخصية اسطورية . لم نرأ له كثيراً .

سمعنا إلى بعض محاضراته . ولكنه طه حسين . يكفي أن نقول : طه  
حسين . لفتحه إلك العيون والادان . طه حسين . ولا يمكن لأحد أن  
يطبق هذا لأسم بقعة . وإنما يملء الفم والابتهاج وعظيم الاحترام . طه  
حسين .

واحبنا ما الذي يقوله له . هل يشكر ؟ ليس عندنا ما نشكو منه . هل  
حزوره . ولا عيبد ما نحاوره فيه . هل يسمعه . ولكن لكي يسمعه لنا  
سوى يقوله له . هل يعمل قصة . لم تتفق . وجدناه في اسطارنا .  
الساعى واقف على الباب . وبسرعة جاء المتكرتير . ونظر إلينا .  
وذلك : انتم خمسة . عنكم شكوى ؟

لا .

هل تطببون شيئاً معينا من الامتداد الشكوى ؟

- لا .

- إذن .

- لا شيء . فقط أن نتحدث إليه . .

- في أي موضوع ؟

- في أي موضوع !

وفتح لنا الباب قائلا : الطلبة يا معادة الباشا .

ظل طه حسين جالسا في مقعده وقد تراجع قليلا إلى الوراء . . ثم عاد فأحس رأسه وظهرت ابتسامة خفيفة . . وعندما سكنت حركة المقاعد ، رفع رأسه مبتسما هائلا ثم قال بصوته المليء بالموسيقى : هه . . ومن أنتم ؟ أنت إلى أقصى اليمين ؟

- أنا أنيس منصور . . طلبت بقسم الفلسفة

- لا بد أنك اختارناها عن حب .

- ليس بعد .

- صدف . في هذه المرحلة المبكرة من الصعب أن تعجب أحدا . . ليس من الضروري أن تحب أحدا الآن . . فإحدى تقروء هو معلومات عن الفيلسوف دون أن تسمع صوت الفيلسوف . وأنت قرأت عن فيلسوف هربا بهكارت طبعا ؟

- نعم .

- وهل وجدت فيه شيئا لأراحك . . إنه البداية الحقيقية للفلسفة الحديثة . . لأن الرجل لم يدع شيئا لم يشك فيه ، ولم يدع شيئا دون أن يؤكد ويصع له قاعدة من اليقين . فالفكر هو البداية واليقين هو النهاية : هي الدين والعلوم والفلسفة . . وهو الذي أعلى كلمة العقل الإنساني . . فأتحد له شعارا هو أنا أفكر إذن أنا موجود . . فالفكر عدد الاتصال بعائل وجوده تماما . . وليس القوة ولا العصبية ولا الدين ولا المال ولا الجمال . وإنما يكون الإنسان مفكرا ، معنى ذلك أنه إتملى . . وهل تقرأ ذلك بالعربية فقط .

- وبالفرنسية والإنجليزية والإلمانية .

- وأين تعلمت ؟

- هي المنصورة .

- إذن أنت تعرف الشاعر فلاس .

لا .

- ولا الشاعر فلا .

لا .

ولا الباحث الإسلامى فلا . . إنهم من أبناء الدهلية .

.. لا .

- فكانك لم تقرأ المقنبى وأبا العلاء

لا .

- لا بد أن تقرأ هؤلاء وأن تقرأ عنهم . وأن تنقل إلى فرائد الأبناء مثل

- نفعيع وابن خلرون وعبد الحميد وابن العميد وأبى حيان التوحيدي .

.. لا .

- حاضر

- ماذا تريد أن تكون فى مستملك ؟

- أريد أن أكون كاتباً . .

- إن لا بد أن تحفظ لهم . . والذى تحفظه لا بد أن تدرسه وتحلله بعد

ت . . ولا تكتب سطراً واحداً . إعمل الكتابة آخر مشاطك . . إقرأ واحفظ

.. هم .

- أرى أحفظ القرآن الكريم

- هذا شيء هام جداً . . وهذا إنجاز عظيم . . بقى أن نعلم القرآن أيضاً .

والذى فعلته مع القرآن الكريم يجب أن نفعله مع الشعراء والأنباء

وعلاسة . . إحفظ ثم اهتم والزمى وكتب بعد ذلك . . ولمن تقرأ من الأنباء

حاضر . .

- لم أقرأ كثيراً . . لقد اكتشفت أخيراً أن الكتب الجامعية قد استعرفتنى

ونسلتنى عن القراءة الحرة .

- بل كل قراءة حرة . . بل أنت حر فى قراءة أى شيء . . وكل ما تقرأ

ت قد احترته بكامل حريتك . . حتى الكتب الجامعية ، ليست كتباً إلزامية .

ولا أحد فى الجامعة يلزمك بكتاب ، وإنما هو يلزمك بموضوع . . بقضية . .

وت حر فى قراءة ما يساعذك على فهمها . . فكل قراءة حرة ، كما أن كل

كتابة حرة . .

هل هزات المقامات ؟

لا .

مما لا يذوقه من القبحات . معناه تحرير من حر حر -  
الجاحظ الكاتب العالم الموزج المفلس .

لا .

ولم يقرأه من حفظه . معناه سمع  
منه سبعه خمسين . حتى رآه في الامم . معناه حر حبيب يخلص  
حيوية وشبابا وقورا .

ثم رفع رأسه ليقول ، وانت الذي إلى جوارحه .

أنا في كلية الحمور .

تريد أن تكون محاميا أو قاصدا

أريد أن أشغل بالسلبه .

من يدريد أن يكون وزير . ثم يسأله جوارحه . وربما  
لله رراء . ثم معارضا للحكمه في البرلمان . ثم مفكر سياسي . وكان فصحا  
بعد ذلك . معناه في الآداب والشعر . معناه مع لشعره . كما نعلم من مع  
البناء . معناه في السياسة . فطفت اليه . معناه في ذلك طائفه . معناه

فكان لا يذوقه من القبحات . معناه سمع  
منه سبعه خمسين . حتى رآه في الامم . معناه حر حبيب يخلص  
حيوية وشبابا وقورا .

ثم رفع رأسه ليقول ، وانت الذي إلى جوارحه .  
أنا في كلية الحمور .  
تريد أن تكون محاميا أو قاصدا  
أريد أن أشغل بالسلبه .

لا .

إن تريد أن تكون عند

من هو موظف ؟

معناه هو وزير .

من لا يذوقه من القبحات . معناه سمع  
منه سبعه خمسين . حتى رآه في الامم . معناه حر حبيب يخلص  
حيوية وشبابا وقورا .





يد الطل ( فتشام من افتتاحه القير . وتتبع طوال اليوم - وروى أن شتر

آخر ذهب يمتدح في يوم عيد قتال :

لا نل بشرى ولكن بشرى

غرة الداعي ويوم المهرجاني . .

من قول : لا نل بشرى . . وتطير وتشام . وأمر بضربه خمسين

جلدة . . وأبو نواس الشاعر الكبير قد وقع أيضا في هذه الغلطة للطبيعة . فقد

أنشد الفصل بن يحيى البرمكي قصيدة مطلعها :

أربع القلي إن الحثبور لبادي

عليك ، وإن لم أخذك ودادي

فتشام الفصل من هذا الابتداء . فلما انتهى أبو نواس إلى قوله :

سلام على الدنيا إذا ما تقدم

بني برحلك من راحلين وغادي

زاد تشاؤم الفصل بن يحيى البرمكي . ولم يمس أسجود حتى وقعت مأساة

البرلمكة وتم القضاء عليهم !

ويقال إن الخليفة المعتصم عندما فرغ من بناء قصره جنس فيه وجمع أهله

وأصحابه وأمرهم أن يخرجوا في ربتهم . فما رأى الناس أجمل من ذلك

اليوم . فاستأنه إسحاق بن إبراهيم الموصلی . المطرب المعروف وأنشده

شعرا جميلا إلا أنه استمنحه بنكر الديار وخرابها وقال :

يا دار غيرك قلي ومهلك

يا ليت شعري ما الذي أبكك

فتشام للمعتصم ونعامر الناس على الموصلی كيف وقع في هذه الغلطة

مع علمه بالخليفة وطول عثرته له وخرجوا من هذا القصر ولم يعد له أحد

بعد ذلك . فقد حارب تعلمنا ..

ولأبي نواس قصيدة ممتكرة الابتداء قالها في مدح الخليفة الأمين قال

أبو نواس :

يا دار ما قطعت بك الأيام

لم يبق فيك لذانة تستلم !

ومعنى طه حسين بقول :

فلا عليك يا سيدى ان اذات شعرك فى منكك بالخير . و ربما كانت هذه  
به بحث على السماعة عند البندو الذين يفتخرون . انى لعداء الذى يجعل الزمر  
صانع للزراعة . ماها ماها . .

ومك طه حبيب ثم قال . ولدى الى حوار . من أنت يا سيدى ؟  
- طالب فى كلية الهندسة

ومن المهندسين شعراء وموسيقون وفلاسفة . انى . هذا منكم  
- سبى ؟

بل انى من رجال الذين يا سيدى الاستاذ . انى من رجال الذين  
قد تربوا برؤية بيده . ووجهه فى بيتا مكتبه ضخمه . انكث عليها  
- سرحت الى بعضى ما وجدت . ولكن وجهه فى العلوم الهندسية معه  
اكثر . ولكن لم اجد الهندسة برهض الذين . ولا وجدت الذين يرفض العلوم  
حديثه . ان كل شىء حولى هندسه . قواعد ونصول وبطريات . وهى  
انما موسيقى نعم . انشاج . . ووجدت الجمال موسيقى . ووجدت  
الموسيقى شعرا . ووجدت الشعر ضربا . ومهندس الجمال ما به من  
موسيقى . ولذلك قد وجدت ان عظيمة الخلق والإبداع ليس هما يرى بعد ،  
وانما هما يرى وتحويل انما رايها وما سمع وما تحويل انما سمعه . ولست  
فى حاجة الى ان أنور مع لافلاك لاعرف حدود العظمة للكونية . ان كانت  
كله الحدود . ليس من الكلمات للاتقة . . ولكن هذه مفردانى انما  
المحدود

- ما أحسن ما تقول . قل يا سيدى انى مستمع . قل يا سيدى

- بل جئت لسمع إليك يا استاذ . .

- تريد ان سمعنى

- نعم يا استاذ .

- اسمع يا سيدى . ان الذى تقول هو أجمل ما سمعت من شاب فى  
عشرين عاما .

- انى وأرجو ان سمعنى ، ان سمعت أنت فسمعت أنا ورملائى . قل  
يا سيدى قل .

- وأنفس مع والذى كثيرا . ويسمى الحياة ان اناضه . نحن محتلفين  
فى الأسلوب . . هو يرتدى العمامة وأنا لا أرتديها . هو يقول بالسبط

ما أدبه ، لكنه ساعد على بناء ونصرايته عريضة ، وإن أعيد على  
نصران أوروبية هو ابن عصفرة وإن ابن عصفري ، هو الذي له مستقبل .  
إنك لا تحسن مستقبله . ما الذي يقوله والى أين ، فانه يذهب .  
ثم يعبر عنه سوء ، ويمكن أن يقال لآلف عام فاسمه . فهو كلام قبيح  
حاضر ومستقبل . فما ر فونه فلا مستقبل له (إنه يتغير من نظرية إلى  
نظرية ومن شخص إلى شخص) .

ويكن هذا هو المستقل . فأتى بيوم صو مصورة . ما كنت عليه  
من . وعد مصورة مصورة . فأتى بك مصورة البص . إنك على  
ب صلات مصير . سفير . إن وأنت سيطيم وأنت طلق صغير إن يترك  
من يد يد طلق . وقد يكون غير واضح بعض . ولكنها فادحة على أن  
حرفه مهم كانت ملامحك . لا ملامحك لا تغير إلا هي حطوطها  
تفصيلية . ما جعلتها الجوهريه فكيف هي .

وإذا عيود هي دمه من الكلام البديع الذي يقوله صه حسين . كأنه  
د مصرا . . ثم قال طه حسين لا يلقى عني حسد . يدى صحن على  
مرحبه بقالته . كل الذي تراه وتسمعه هو صورة موافقه . نحن جميعا نفل  
الذوق العرس إلى النسطر . الآخر . . أو نأى بالنسطر . الآخر إلى نوحه  
العرسي . . ولم يتعد هذا الشرق العام بعد . .

ثم سكت صه حسين ليطمح عني بهذه الحكمة أنأفده . إلى نفسي لم يحضره  
المرب بعد . نحن لا نعرف إلا الذي نكرهه ونسوق به . فكأن مصرا هو  
عبد لى العرب . وكفر بما هو كائن . ولكنك لم تنق بعد عني أنش  
نحوه . ما الذى يريده أن يبقى . ما الذى يحرض عني وجوده معنا ونبت  
ومامنا . إن حاضرا قلق . ومستقبل عيب . ومصير صبور . . فباته  
ب سيدى إذا كان هذا حاله . فما أشبهكم معنا ومن بعد .

ثم سكت طه حسين وقال . هل بقي أحد من أسمعته ؟

نعم . . أنا طلق في كلية الطب . .  
ولك اهتمام بالآداب ؟

نعم . بالشعر والنثر ثم أتيت أدرس الموسيقى ولقى فيها محاولات

هو الرب بار هنتا بعم سر ، د ف بعد في دقوى لخم  
 خلق دالي غور لسعر في برط طوحد خصل نصاب  
 حسن بعم بومبري في د ف في بعم ، د ف بعم د ف د ف  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم

د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم

ولها هيجوت كد الب مصلحه فرحم اصاح ، وتكر لا خرو  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم

د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم  
 د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم د ف بعم

### المسوم والعطر والاعباد والعصر

منيرة بك حدى الثمين والقمير  
 ما الدهر عندك إلا روضة أنف  
 يا من ثمانته في زهره زهر  
 ما ينتهى لك في ثلثه كرم  
 فلا تنتهى لك في أعوايه عمر

فلن حظك من تكرارها شرف

وحظ غيرك منها : النوم والسهر

وحل منكبير طه حسين وهمس للمرة العاشرة هي أدبه هذا عليه  
لأسباه . . وكان لا بد أن تمهص شكرك . وشكرناه واعتدنا عن أننا أصعب  
وفته . . ولكن لم يستحسن هذا الاعتذار وقال : أنتم تعزفون أنبي لم أصق  
بالحديث إليكم . . هه أي شيء يستدرون . . أحب أن أراكم مني وجنتم وقت  
لذلك ؟

★ ★ ★

إنني أنا لست على الطريق الصحيح فالذي قرأته ليس كثير . والذي حصصه  
ليس كثيرا أيضا . . والذي درسته وحلته واستعدته قليل : هي الفلسفة وهي  
الشعر والسفر والتاريخ . .

لقد فتح طه حسين دماغى . وأطل في دأله بسرعة . فلم يجد شيئا له  
قيمة . إنني هذا الذي درست وحفظت وحللت لا يؤهلنى أن أكون كاتب . .  
هشروط الكتابة أن يكون الإنسان قارنا معظم الوقت ، كاتباً بعد ذلك . . ولكنى  
أقرأ هي الآداب الأوروبية أصعب الذى عرفت هي الألب العربى . واجد متعة  
هي ذلك بل أجد حرية كاملة في أن أختار ولأ أنتوق . . وأجد الكتب متوافرة  
والأسلوب أبصر والحفوة بالقراءة تكبر . . فقبل أن أقرأ طه حسين . مثلاً .  
قرأت لبلال ذلك وديكر وجيته وشكبير . . وقبل أن أقرأ مسرحيات أمير  
الشعراء ، قرأت لسوهو كليس وموليير . ولكن قراءة معرفة . أى أعرف بها  
على هؤلاء الأدياء لعظماء . . ولكنها ليست قراءة عمق . . فليس من السهل  
أن أفهم سوهو كليس دون أن أفهم رمانه واسلوب عصره وقصاياه وكذلك كل  
أدياء العلم . . فهم أشجار يأنعه شاهقة هي بيئة محتلة . . لا بد أن أعرف  
البيئة ، لأفهم الشجرة ، ولا بد أن أعرف للشجرة لأنتوق الثمرة . ولكنى أنتوق  
الثمرة لا بد أن أعرف كيف أنتوقها . . فالطعام للسائل له ملقة ، والطعام  
الجاف له شوكه وسكين . . وهذا أناأوله في أول طعام وهذا في آخره . . وهذا  
نأكله بيئاً وهذا ننتأله طازجاً . . والتتوق هو استطعام . . وطعام أيضاً !  
كنت أحدث نفسي ونحن يسير معا على شاطئ النيل . . فى صمت وكل  
واحد يدير في رأسه ما سمعه من طه حسين .

قال احبنا . أن أنتم لقد مسح الرجل هذا الأرض بمسحة الأذنب . ان قال  
على أننى سبلى سوف أكون لها . ان ترى السلطة بالفطوس . وسحج  
سلطة في جمع المال

. ولأنا وصلى بانى قبل الدوق جلف . . فلاح . ولا أئومه فان الذى  
مات اختيار القصيدة التى كتبت أريد إتشانها . ثم إذا كان وصف العفد  
، اراهقى والمعزى بأنه احبنا سره . أى ان قراءه هو لاء أمر ين على سوء  
جبرى . بل هو أيضا قد اساء اختيار العلفه . . وكان من الوجه عبه  
. يوجهى برفق . . نحن غراء أذنب ولنا محبره أذنب مثله !

. وأن اعتد أنه جاملى جدا . عندما قتل أنه لم يسمع مثل كلامى بين  
لبن عشرين عاما . لقد أسعدنى . ربما كان الذى أعطاه لى قد خصمه منكم !  
. أم أنا قد أعطانى كل ما عنده وريادة . . ربما يكون قد خصمه من مات  
الطلبة الذين سوف يلقوه اليوم وغدا . . بل إنه استعار من شعر المتنبي أبياتا  
بصلى بها . . فإذا كان قد مسح بكم الأرض ، فإنه قد مسح بى السماء !

وكانت مفاجأة لنا جميعا عندما التقينا صباح السبت . لعرف أن واحدا من  
هم يذهب لصالون الأسناد العفاد . كأننا اكنهنا بما قلله طه حسين . فالذى قلله  
لنا جميعا كثير . . الذى قاله لكل واحد ما كثير جدا . ولا بد أن ينكر هو  
الذى قال . . وأن متدبر أمرا ، ويعرف وميلنا وطريقنا إلى مستعينا . وليس  
حسن من طه حسين فتوة وأسلوبا وعابة . . ولا أرق منه حديثا ولا اعمق منه  
حديث وأبوة . .

وكانت مفاجأة اخرى عندما لاحظنا أننا ، دون تعلق ببيتنا ، لم نذهب إلى  
صالون العفاد مرة ثانية !



عصرت عن حب هذا الرجل الراقص



## عجزت عن حب هذا الرجل .. الرافعي

أعظم علماء اللغة العربية والبلاغة هو مصطفى صادق الرافعي . فكلهمردات التي جاءت في كتبه لا حدود لها . والفراكتيب التي ابتدعها لا يمكن حصرها . وقد قرأت له وأنا صغير كتابا واحدا هو « السحاب الأحمر » وأدهشني وبهرسي رحبرسي .. فهذا الكتاب قد بدأ بأن وضع صادق الرافعي قلمًا كان يستحس به بين وبين المصباح ورأى اغتراق الصوء للقلم المصنوع من الزجاج .. رآه ناميا .. هو فب طويلا أمام هذا الاكتشاف .. أمام شلال الدم وشلال النور .. أمام اللهم النعوى والدم الذي هو سحاب بين أصابعه ..

قال الأستاذ سعيد العربي الذي أحبه وأرح له ولم يفهمه :

قال لي الأستاذ للرافعي : رأيت القلم الذي نراه في لي السحاب الأحمر في مصابه بين يميني وبين المصباح ؟ ثم نس بدو في درج المكتب فأخرجه ثم عطاني القلم وهو يقول : ضمع النصاب بين عيبك والمصباح وأنظر . ألسنت برى سحابا يترقق بالقلم كأن قلبا جريحا يذرف .. في شناعة هذا النور ترامت بي هذه الحواظر التي تفروها هي « السحاب الأحمر » .

ثم عاد إلي الصمت ولم أعد إلى السؤال .

ويقول الأستاذ سعيد العربي : « أحسب أن الرافعي حين نشأ « السحاب لأحمر » كان في حالة عصبية قلقة لست أعرف مآثها ومرداها . ولكن حصول الكذب تتحدث عن حبرها هي شيء من الضمور والإيهام »

وحسن أمام وضع تمولنجي للأديب ومؤرخ الأديب .

الأديب يصنخرج للمعاني من وضع قلم من الزجاج الأحمر ، والمؤرخ يرى تلك ولا يفهم ولا يحاول أيضا . ويصف حالة الرافعي بأنها عصبية وأنه لذلك يقول كلاما غامضا غير مفهوم .

والحقيقة ان اثر فهمي ليس عصفه عند كتب الكتاب ، ولكن مرجه عصبي  
تعود الى كتب ويدا لم يكتب . وهذا النوع من ليس جافه نفسيه ، لكنه اسود  
رئيس في يوليوس انطوني معصها من بعض . هذا النوع من هو الذي صيني عن  
نكاد بكتير فان معقد به ، معجب به ، بعيت به ، استطع ان اكون تعلم  
في هذه نمرجه ، سادح في هذا انعم العجب الغريب اثر فهمي جاد  
ولكني لم استطع ان اكتب عو . انيه من حين الى حين

فان عند مسئلة وممكن اني احب الوضوح والبساطة والجمال . ولكن  
اسير كنو ، بوضوح بهروسي ، وليس كتب عن انهم مبسطه جنوبي . ولكن  
شيء جدير بخشي وسجيري . ونعتب ان احسن سببا من كل ذلك . ولكن لم  
اعرف في بداية حياتي كيف ؟

هنا عندما كنت اضي لمحمد عبد الوهاب في حفلات المدرسه وفي  
الافراح وظهور الأطفال . مطوعا . ثم يكن سيب يثب ان صوتي كذا جميله  
وانما كانت عسى رعيه فويه اكتشفها فيما بعد هو . بعيت ان ثقتي في عبار  
سهله مثل موسيقى عبد الوهاب . وان يكون بي . . سهل غير دانه  
وعرفت فيما بعد ان انباره السهله سيء صعب . فانسان لا يستطيع ان  
يكتب بسهوله الا بعد ان يكون قد فهم . ولا يستطيع ان يفهم هذا الفهم اني الناس  
بسهوله . لا بعد ان يكون قد تمرس على الاراء اسهر . وان الانسان لا يكتب  
السهوله الا بمسقة . لا بعد وقت طويل . ان الوضوح والسهوله والجسم  
امل حياتي الادبيه والفلسفيه . ولا يزال .

وربما كان اعجابي المبكر بالاسد العود هو الوضوح . في انطق الفؤاد  
الذي بعثت . وز ثم كان عبارة الاسد العود مما عجبني فيه . حتى فكرت  
فيما بعد . وبصحه من الاسد بوهو التحكيم . ان عيب صيغه كتب الاسد  
العقاد ، ولكني ترددت . ثم رقصت .

وعدائي بالاسد العود قد شعنتني عن الاعجاب مرحت في علمه . ولكن  
عبارته سهل واحمل هو البكور طه حبيب . ولم اكشفه لاني مرجه مسجود  
حدا . واجد آخرتي ذلك تساما !

الاحداث الصغيره التي مرلت خدني متى كتبت مدلا عن . معنى الفن .



مقالا عن مؤتمر المشرقيين هاجموا فيه القرآن والرسول عليه السلام  
وعرضت للمقال على الأستاذ مصطفى أمين . ونزدد في نشره لعموميه ،  
وارتفاع مستواه عن القراء .. وكان عنوانه : بحر صلت المشرقيين ، في عمر  
ولمر القرآن .. وطلب منى مصطفى أمين أن أعيد كتابته بأسلوبى ، وكتيبه  
بعبول . مؤامرة على الرسول .. وقد حدثت منه كل التراكيب الظلمية  
الصعبة !

وكان لنا أستاذ اسمه محمد محمود حشيري يدرس لنا الفلسفة الإسلامية .  
وهو من أرق الناس وأطعمهم وأكثرهم أهوة لنا . وكانت له ابتسامة لطيفة وصوت  
هادئ . وكان هادئ العبارة . وكان يملئ محاضراته من كرامة معه .. أما  
الرجل فلنا أحب أن نكون فى نواصيه وأديه . وأما أسلوبه فلا أحب مطلقا .  
فهو أقرب إلى فلسفة المسلمين وعلمائهم : صعب .

وفى ذلك الوقت عرفت مؤرخا أمريكيا ليس له نظير فى العالم هو :  
ول ديورانت .. هذا هو الكاتب والمفكر والأديب . هذا هو المثل الأعلى لكل  
من يريد أن يفكر وينتلف . فقد أوى علما غريبا وأسلوبا سهلا ونواصيا  
صلوبا . ومرحا وخفة وجمالا . هذا هو الرجل وهذا هو الأسلوب ..  
وعرفت من بين مؤلفي علم النص رجلا آخر هو تودورث : أسهل عبارة  
وأمتع القصص والتفسيرات .

وعرفت كاتبا فريانيا هو جيمس جوير .. عرفت هذا الكاتب ممانرجمه د .  
أحمد زكى . فقد ترجم له : الكون الغامض ، . فى أسهل وأيسر عبارة .

وعرفت الكاتب دى كرويف من ترجمة د . أحمد زكى لكتاب له عن : قصة  
الميكروب . . وهو الذى كان رئيسا لتحرير مجلة : للعربى ، وقد طلب منى  
قبل أن أكون رئيسا لتحرير مجلة : آخر ساعة ، أن أحلفه فى مجلة : العربى ،  
وقد اعترض الأستاذ إسماعيل عبد القدوس الذى كان رئيسا لمجلس إدارة أخبار  
اليوم واعترض د . فاسم مرحلات للعصر المنتدب .. ثم اعترض الرئيس أنور  
السادات ...

وفى ذلك الوقت كنت قد وقعت أميرا لكاتب قد تهر لديه كل ما أحب فى  
لكاتب والكتبة . ذلك هو الكاتب العربى أندريه موروا . فعندما جاء ترئيسى

الأول في التوجيهية والأول في معالجة الفلسفة على مستوى مصر كان لابد أن يذهب للقائه وزير المعارف نجيب الهلالي باشا . وفي حظه علمه بقدرة مصر من مدرسة واحدة في مترجمه المنصورة القثوية : أوائل مصر في التوجيهية أدبي وعلمي ورياسة . تسلمنا من وزير المعارف شيكا بخمسة وعشرين جنيها ، أكبر مبلغ من المال تلقاه طاقب في مثل سنه .. وأهم من ذلك عدد من الكتب في معتمتها . كتاب « درر ليلي » ترجمه حسن محمود . الكتاب من تأليف أندريه موروا .. أروع ما كتب وأروع ما قرأت . ومعها كتاب « النقد الأدبي » الأبركرومبي ترجمه أسناد اساتذته الجغرافيا د . محمد عوض محمد من أبناء المنصورة اللطيفين ..

لا أعرف كم عدد المرات التي قرأت فيها درر ليلي ونيس ورواه بريطانيا اليهودي . ومن تأليف الكاتب الفرنسي اليهودي أندريه موروا .. لقد رأيت في الكتاب وشعشع ونيس الوزراء وشخص المؤلف ، ما لم تكن أعرف من أسرار الأدب والمهنية والتاريخ وصناعة الكتابة . ولم يقتنى كتاب واحد لأندريه موروا بعد ذلك في الأدب والفلسفة . ما كتبه عن الطغمة القوجونية وما كتبه عن جورج صائد . وعن صناعة القصة القصيرة وعن الحب واللعنة .. وبهرتني رواية له إسمها « ماخ » ، وهي عبارة عن رواية فيها حادثه واحدة يكتبها أنثى كل واحد من وجهة نظره ..

وعرفت في ذلك الوقت ، ومبكرا جدا ، أنينا هرمسيا هو أسناد أندريه موروا واسمه « آلان » ، أسناد أساتذته المقال القصير .. ألوف المقالات القصيرة . وعرفت كيف يقوم بتوظيف تاريخ الأدب ورموز الأساطير القديمة في عرض بطرته وطرخته وطقسه في الحياة والدنيا . أعجبت كثيرا .

هل كل ذلك جعلني أسنلم مصطفى صادق قرافى ؟ .. هل جعلني أقسم في الحكم عليه ؟ .. لا أظن ذلك وحده !

وفي نفس الوقت - في المرحلة القثوية - قرأت قصة « الحب والنسيمة » للشاعر الألماني شيلر . وهي أول رواية مترجمة أعجبها .. ولم تكن أعرف في ذلك الوقت ما هو الحب ، ولا ما هي مشكل الحب .. ولا معنى أن يذهب أحد يخطب واحدة .. وهي هذه الرواية يقول الأب لخطيب ابنته : إلى الرجل الذي يذهب إلى رجل آخر يرجوه أن يخطب ابنتي له ، لا يلهمنى لثمة به !

ولم أفهم . لأن المطلوب أن يذهب الشاب إلى والدها ويطلبها .. هذه هي  
الرجولة !

ولم أفهم هذه العبارة القوية : إذا بلس الشيطان بيضة إنقضت بنتا جميلة !  
كفنت أول رولة .. وكفنت للعبارة مهلة . والمعنى غريبا . وعالم الرواية  
شيء جديد تماما .

وبسرعة وجدت في المكتبات : روايات الجيب ، من ترجمة الأستاذ عمر  
عبد العزيز أمين .. هذا هو الكبر العظيم الذي وقفت عليه ووقفت فيه .. كل  
أبناء العالم الكبار باللغة العربية .. وهي كتب صغيرة وكثيرة .. أهم من ذلك :  
سهولة العبارة وسرعتها .

وفي ذلك الوقت أنسا عرفت روايات بوليسية ساخرة للكاتب الفرنسي  
موريس لوبلان عن معامرات : أرمن لوين ، .. وهي أمتع وأروع ما عرفت  
في ذلك الوقت . وأنكر أنني كنت أسافر من المنصورة إلى المسبكيين لكي  
أحصل على مزيد من هذه الكتب . فقد كان لدى أحد أقاربي عدد كبير منها .  
ولم أسأل كيف حصل على كل ذلك !

رفجأة ، وكأن نوافذ النور قد انضمت كلها في وقت واحد وجدت كتابا صغيرة  
الحجم من تأليف كاتب اسمه محمد صبيح . الكتاب نصسه في جيبك . وغلافه  
غريب وجميل . والمغلاف من تصميم هاشم أصبح رميلا وصديقا هو عبد السلام  
الشريف . والكاتب محمد صبيح الذي كان مكرتير تحرير جريدة : الأسس ،  
أول جريدة أعمل بها . يمتاز بسهولة ووضوح العبارة . ولديه قدرة هائلة على  
السرود والتبسوط . وإن لم يكن أسلوبه جميلا . ولكن لم أجد أحدا يكتب في  
التاريخ الإسلامي أسهل وأيسر منه .

ثم وقت هي غرام شعراء كثيرين : شوقي والدياء رهير ومحمود حسن  
إسماعيل وإسماعيل باشا صبرى . ولم أنبه في ذلك الوقت إلى غيرهم من  
الشعراء . فلم يكن وقتي يتسع لكل هذه القراءات الحرة ، أي اليميدة عن  
المقرر .

لقد وجدت نفسي . أي وجدت الذي يعجبني والذي بمنحني . ولا يعجبني  
إلا الذي يريحني ، ولا يريحني إلا الذي يبهجني . إن هذا بالضبط ما أريد

وما أحب وما أسمى . إلى ثم يكن بعلما كذلك . فهو شيء غريب من هذا .  
وأنا لا أرفض أى شيء من أول مطرة . لا نصيق بكتاب إذا هزأت صفحة  
أو عثرا فلم تعجبني . لا أجد تلك كافيا للحكم على الأديب . وإن أجد من  
الضرورى أن نقرأ الكتاب كاملا . هنا هبط أجد في نصي العزء والحق والمدر  
للحكم على صاحب الكتاب .

ولكنى مع الأستاذ مصطفى صادق الرافعى . لم تكف بكتابه . المسحب  
الأحمر . وإنما هزأت : رسائل الأحرار . ولورق الورد . وما كتبه في  
تاريخ أجب العرب .. ومآلاته في . وحى القلم . وفصله .

هذا هذا الذى أجد في كتب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ؟

وجدت هذه البراعة في تمزيج المعانى بعضها من بعض . ووجدت  
لراكيب بلاعية غير مألوفة .

ووجدت الأستاذ الرافعى يحاول أن يدرر للقارىء لمانا هو مشغول بالكتابة  
من الحب والجمال وطسعة الجمال وعن الفرام والعشق والكراميه والنمسه .  
ولم يعرف أقرب الناس من هي لتي يحيها .. وإنما كل هو يشيع ويشير  
إلى الأدبية . هي ريادة . وكانت . هي . شرفا بدعيه كل أنباء رملها . ابتداء من  
لطفى السيد وانتهاء بمسألة موسى مزورا بالمقداد وطه حسين ولسماعيل صبرى  
ومطارق خليل .. وغيرهم كثيرون .

لما المقداد فكانت بينه وبين هي رسائل دهلها وإليها . واحتلف الإتنان وأعادت  
رسائل المقداد إليه . واحتفظ ببعض هذه الرسائل .

وكان مصطفى صادق الرافعى يشير إلى الحرام بينهما أو إلى أنه حب  
من طرف واحد . طرفه هو . ومصطفى صادق الرافعى . إذا أحب من طرف  
واحد . فهو يتمشى مع أشهر القرائات في التاريخ كله . فمعظم عظماء الحب  
كانوا يحبون من طرف واحد .. ولولا هذا العتاب ما كان شعرهم للجميل .

ولكن حب مصطفى صادق الرافعى لم يكن لشي ريادة . بقدر حيه أن يكون  
في حالة حب ليكون مؤهلا لابتداع التراكيب الجمالية والبلاغية الكثيرة في  
كتبه .

وبعض لأسئال أدبياً عن حيه . إلى كان صادقاً . وإنما نحن نطلب هي لدى

كتبه . فلي أحب هبوب يرى ماذا كتب ، وإن يدعى الحب هبوب يرى ماذا كتب . وإن يخيل أنه أحب ، هبوب ينظر ماذا قال ..

والحقيقة أن مصطفى صادق الرافعي عاشق للغة العربية . وبحاول أن يبدع هذا العشق . ويخترع له قصة . فلم يجد غير قصة « مى ريادة » .. ولو لم تكن مى ريادة هناك لاخترع غيرها . وقد فعل . ولم يكن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي مقصدا لأحد من الفراء أو المعزحين ..

وإذا كان حبه لمى ريادة مشكوكا فيه ، فلي حبه للغة العربية قد تأكد ألف مرة . طه حسين ، رغم اختلافه معه ، وصيغه بأسلوبه في الكتابة ، معترف له بأنه أعظم الأدباء باللغة في زمانه ..

واختلافه مع طه حسين بدوي : فطه حسين ابن الحضارة العربية والبلاغة العربية . المتمرد على قيود اللغة وقبوض الفكر .. ومصطفى صادق الرافعي ابن الحضارة الإسلامية وأسير البلاغة العربية ، ولا أثر للحضارة الأوروبية في شيء كتبه أو فكره تعرض لها أو نجدها ..

وهو خصم لدود العقاد : ابن المنطق والحضارة الإنجليزية والألمانية . وهو الناقد العنيف الذي يستخدم أدوات علم النفس التحليلي والواقعية في غير مواد ولا رحمة . والعقاد لا يقبل كلمة أو تعبيراً ليس واضحاً وضوح الشمس . ومصطفى صادق الرافعي يفصل أن يخرج القلم الأحمر من درج مكتبه ويضعه بين عبيبه وبين المصباح ويؤلف عن ذلك كتاباً ، أما العقاد فهو ينظر في النور مباشرة ، ويعرف من أين جاء ولماذا ؟ وينظر إلى القلم فيعرف من أي شيء صنعوه وكيف باعوه ، ولماذا اختاره أي أحد .. وما هي الأسباب التي جعلته يفصل اللون الأحمر ، ثم ما معنى أن يحتفظ به في المكتب ويخرجه من حين إلى حين وما دلالة إصاعة الوقت في تغليب القلم ، وإن كانت لذلك دلالة جسمية .. أو إن كان لذلك معنى شاد ، كما كان يعمل المركيز دي صباد وكما كان يفعل أبو نولس !

ولذلك كل الخلاف بين العقاد والرافعي صديقا ، إختلاف عقليين ومراجيين وأسلوبين في الكتابة والثقافة !

وفي ذلك الوقت سمعت عن معارك الرجلين ، ولا أدعى أنني قرأت شيئا



حيثما . وفيما أن الرافعي كتب مائتة من المواليد صحت المبالغة بعدوان . عني  
السود . والمصور هو عود الحبيب الذي يصور فيها تلاحم في الخنزير ثم هو  
وصف للمبالغة بأنه الساعر للمد الحبيب . لأن المبالغة عندما رسم كنية الصغير  
قال

« مرحلته آخر ثوبها »

ورغم سعادته على حسين بهذه المعركة صد عملاق البعد الأبيض عيس العباد .  
فإنه كان يرى الرافعي حصف مودجيا فهو صورة حبه لكل الذي مجرد منه  
حسين في الكتابه (سيرة)

• • •

وهذه تصادح موجرة لاسلوب الرافعي في الكتاب : تصوير لاشخاص قال  
عن الإمام محمد عتبه

« ويظهر لي وجه الشيخ رجل كان في تركيب جسم الإسلامى أشبه بالجبهة  
في جسم الموصى . على ما يرتفع للأعلى وأول ما يستند له خلق فصيح  
لأن لسانه أعد لتفسير محمده الدنيا في هذه اللغة . فكان سيرة محمدا في  
الأنسبه ! »

• • •

« مرة أجد أفكر مجرد الفظ . مرة أجد القلب يمسح للفكر »

• • •

« لك انت أحببب فمصنع لفظك . ولكذك انت وعظمتك سائز في طريق  
ظنهم . كل محبب يقول لا هي إلا هي »

• • •

« العاشق مع المرأة كأنهم عندما انحطمت محالته وبكسر عنقه . ويسافده  
ريشه فلا يسم سحر والمعنى تجلجه »

« في قلب الرجل ألف باب ، يدخل منها كل يوم ألف شيء ، ولكن حين تدخل للمرأة بين أحدها لا ترضى إلا أن تخلقها كلها . »

• • •

« قول لعبة سلمة : أكل يترك لو خلقت امرأة ؟ قلت : فانا امرأة غير أن سمى في الناب وسمها في لسانها ! »

• • •

« يدخل إلى أن عقل النساء مثل وجوههن : تحته ما تحته وليس عليه إلا غبار من العقل ! »

ومن المؤكد أن الأستاذ الرافعي لم يكن يحب المرأة . وإن كان يكرهها ويحتقرها .. هل هو يكره المرأة التي عرفها ، أو المرأة التي أراد أن يعرفها وفشل ؟ إلى الذي يقوله عن المرأة في ظمفة الجمال والمحبة ، لا يشجع المرأة على أن تقترب منه .. فهو يخيفها بموه الظن بها .. ثم كيف يحبها ونحبه ، إذا كان يقول السمع ، بعيدا في طنطا ، تقول الحركة أيضا .

ولكن للأستاذ الرافعي شعرا رفقا جميلا ، يكون فيه أكثر حرية وأكثر انطلاقا وأخف لما كتبه إنسان آخر ..

ولكنه أقرب إلى طبيعته إذا كتب القنر . ولبعد عسى نملأ . ففي الشعر يقول :

من للمحب ومن يمينه

والحب أهله حريمه ؟

أنا ما عرفت سوى صلواته

فقلوا كيف لي به ؟

قلبي هو للذهب الكريم

فلا يفارقه ربيبه

قلبي هو الأكمل من يعرف

من أشعته نعيمه  
 قلبي يحب وإنما  
 أخلاقه فيه ودينه  
 الحب سجد عابد  
 بالرضى إلا حبيبه  
 الحب أفق طاهر  
 ما أن يندمه خفونه  
 أفق الملائكة نفسه  
 في البدء كان له نصيبه  
 وبلى على منقلب  
 ما تنقضي عسى فنونه  
 كيف السلو وفي فزادى  
 لا تفارقي عيونه !  
 ويقول أيتها :

بأمر على الحب ينسأ ونفكره  
 لمؤف ننكر ما يوما وننساكا  
 إن الظلام الذي يحلوه بالفر  
 له صباح متى نذكره أخفلكا ؟  
 ويقول مشيراً إلى أن محبوبته كانت لها صلة باسماعيل بأنا صبرى - يقصد  
 الأنسة من زيادة :

ألا بانسيم الفجر سلم على فجرى  
 فقد غاب في الليل الطويل من الهجر  
 نصيه الليالى بالنجوم وندرها  
 وليل الحظ من غير نجم ولا بدر  
 وقت وماذا أستطيع بوقتي  
 حيرا ، وأقدار الغرام بنا تجرى ؟  
 أنور بعيني نحو كل شماعة  
 على الأفق في نجم ، أو الأرض في زهر

فيلويح قلبي ماله حنى كلما  
تراءى له شبه إنسان على ثغر  
مت يا حبيب القلب هجرك ينتهي  
ومن أول الأيام فيه انتهى : صبرى ؟

• • •

ويقول الأستاذ الراهب :  
مائلها مرة : ماذا يقول البحر لو سقطت فيه جمعة من مهجور ؟  
فألت أنه يقول : إنسان أحرق أو مغبول يحاول أن يجعل له بحرا من  
قطرتين ..

قال : أراك يا هلسوفتى لاتفهمين لغة الوجود ..  
فألت : فما ترى أنت ؟  
قال : إنه يقول عندئذ : تباركت يا رب أنا الجبار الملقى ثلاثة أرباع  
الأرض ، قد ألقى جمعة منكم ، فهل هو يحمل ثلاثة أرباع الهم من  
الأرض ؟

• • •

يقول الأستاذ الراهب :  
قد عرفنا أن لنا أعمارا محدودة ، يجوز أن ساعدت الهواة والسعادة إنما  
كانت محدودة لأنها أعمار لأعمارنا ؟ فصحة أشهر من الجفاء أو البعد يكون  
عمرها هو ساعة اللقاء التي تنق بعدما ، وسنة كاملة من عمل يكون عمرها  
يوم مرور ؟

إن كان هذا صحيحا فما أقصر عمرك يا عمرى !



اهلا بك في مصر  
ضيف مصر العظيم  
دايرنات

## أهل بيك في مصر - ضيف مصر العظمى ديرمات

في عام ١٩٦٩ مثبت في هذا الطريق صاعداً من جبيل إلى برز إلى نيوشاتل ، حيث يقيم أديب سويسرا هيربيرش ديرمات وضيف مصر هذا العام ١٩٨٥ . في نفس الوقت كان راند لفصاء الأمريكي قبل أرمسترونج في طريقه إلى القمر والدوران حوله والهبوط عليه ، ليقول جملته الشهيرة : هذه خطوة صغيرة للإنسان ، خطوة عملاقة للإنسانية .. وكنت أقول لنصفي هذه خطوة هامة أن أرى الأديب السويسري الذي استطاع أن يهرك أديب الشعوب الناطقة بالألمانية الذي كان قد جمد وتلفأ بعد الحرب العالمية الثانية . تطبيقاً للعبارة الشهيرة لتنتي قالها العالم الإغريقي أرسطيمس : أعطني مكاناً خارج الكرة الأرضية وأنا أهركها لك .

ديرمات قد اتخذ مكاناً عبارة عن هيلين متجاورتيين : واحدة للكتابة والرسم ، والأخرى للمعيشة . ومن هنا استطاع أن يملأ الأديب الألماني بالكنة والسحرية من العالم ، ومن نفسه أيضاً . وكذا قد عرضنا له في مصر مسرحية : علماء الطبيعة ، من ترجمة د . عبد الرحمن بنوي ، وترجمت له أيضاً مسرحيات : رومولوس العظيم ، و هبط الملاك في بابل ، و ريلوة المونة للعجور ، و رواج السيد مسيبي ، و الشهاب . . ولما عرف ديرمات سألني عن حق الأداء اللغني أي عن نصيبه كمؤلف من الأرباح الطائلة التي حصلنا عليها من هذه المسرحية ، فقلت : أنها لم تكسب ، بل هي خسارة فادحة على المسرح القومي ، وجيل إليه أديب كذب عليه ، فبعث بحطاب إلى السفير السويسري في القاهرة ، والسفير

المويسرى بحث بحطاب إلى وزير الثقافة ، ووزارة الثقافة بحث بحطاب إلى باره المسرح ، وسألتنى . وكان لابد أن يرد أن المسرحية حاسرة ، ولكن لا شأن للمؤلف بذلك ، فهو يريد حق الأداء للعلى ، وكان ردت المعجم المحجل أيضاً أنه لا حق له ، فحتى لم توقع على اتفاقه برى ولن يعطيه مليماً واحداً . ولم توقف المسطرة السويسرية عن المطالبة بحق مواطن سويسرى عظيم ، ولم شأ أن يرد عليها ، ووجدت نيريمات عند الباب الحديدى ، واحتلظ صوت الملاسل بالمعانيح بصوت الكلب ، وبانرنى بصوته الغليظ قائلًا . لم أرك منذ عمر طويل .

قلت : ولكن هذا العمر الطويل قد جعلك أرشق وأكثر شهاباً ، وأنت لم تكبر ١٦ عاماً وإنما عدت إلى الوراء ١٦ عاماً .

وكنما حاب من العسد أو كأنه مسعها كثيراً . فهي عبارة مكررة ، وليس أمام التكرار الممل إلا الملل أو السكوت عليه .

ونقمته إلى الداخل . ليعتد أن البيت تجرى به إصلاحات . ومن بين هذه الإصلاحات أنه بعد وفاة زوجته الأولى ظهرت الثانية في حياته . طويلة نحيفة جادة الملامح والصوت أيضاً ، إنها معرجة في التليغريون الألمانية . سألته : منذ متى تزوجتما ؟ هل من سنين ؟ هل ثلاث سنوات ؟

وبدا التفكير على وجه نيريمات يحاول أن يعرف بالتصبط . فقلت هل ستان طويلتان للدرجة أنه يصعب عليكما أن تفرعا إلى كائنا سنين أو عشرين سنة . فقال هو : ستان ، وقالت هي : بل ستان ونصف .

• • •

وقبل ذلك بعشر سنوات ذهبت للقاء عريس للفلسفة الألمانية .. عريس الفلسفة الوجودية ، وهو مولانا ومجيدا من المشتغلين بالفلسفة : مارتى هابنجر . كان ذلك في مدينة تيمنج بجنوب ألمانيا ، لقد كان يوماً عظيماً أن أرى مثل هذا الفيلسوف العظيم ، وهو أعظم من رأيت من الفلاسفة . لقد رأيت للفيلسوف الوجودى سلوتر وحديثه الأنيبة سيمون دى بوهوار وأعجبت به وبها .. ولكن عميد الفلسفة الألمانية هذا أعظم .. هذا لروع . ولم أكن في حينى قد رأيت روجة لفيلسوف ، إننى أعرف كيف كانت تبدو روجة سقراط ،

وكيف نميها في كل كتاب ، وكيف إنه حملها مسئولية القموة والسحب على كثر  
سنة العالم من ٢٥ قرناً

وكان لقائى بالفيلسوف هينجر مثل اللقاء بالأديب بيرمات عند معنى  
الجبيل والطريق صعب على السياراب ، وصعب على العلماء القادمين من  
المشرق الذين لا تنبأ أحثيهم على الجليل والمصحور ، ولا يعرفون كيف  
يعتمدون على أنفسهم دون الاستعانة بمصنف لها محال يدعرون في لارمن  
وأعلى الجبل وحدث رجلاً قصير القامة بحفا حاد الاتصاف قدامى المنظره وأشار  
أحد الحكم بأنه الفيلسوف . ولم أعرف ما الذى أقوله ، لقد هزأت في سنوات  
مؤيله مذات التصحاح التي كتبها . وهرشت رئيسي بجزراى النيل وبعثت  
ومعيت . وعدى ألف سؤال ولا أعرف بابها لهذا فليس هو بصوت حفص  
إلى سيدة أطول وأعرج وأكثر بلباساً وقال : روجنى .  
وقالت روجنه : أنت تلميذه ؟

قلت : بل واحد من مذات الأثوب هي القارات الخمس  
ولا أعرف إن كانت هذه الإسماع على وجهه يوماً من الزمان بهذا  
لاستمر لتفلسفة الوجودية الألمانية ، أو يوماً من السهرية من هذه العبارة  
الشعرية التي لميت طبعه على الإطلاق ١٩  
وأشارت روجنه إلى داخل البيت الصغير لتترب معاً الفهود . وتحتل  
وجلست وشريت . يتكلم ولنا استمع . وكانى انصب إلى سجل لصفت من  
كتبه الصعبة . ولا أدعى أنى فهمت . ولكن استحسن أن أراه . لما لفهم صوف  
يكون ذلك همى وشاعلى ، وعلى مهل . في يوم .. في شهر . في سنة .

وبعد أيام من لقائى ببيرمات في ٢٢ يولييه سنة ١٩٦٩ ذهبت إلى كوب  
إلى العاصمة هانن ، لأرى البيت الذى كان يعيش فيه الأديب الأمريكى  
همنجواى الذى انصرف بسبب لا معرفه ، وقيل انهبط عصبي . وقالوا كان  
في بيته أن يزوج نفسه روجنه الأولى إلى الانصرار . وفي : إلى هذا البيت  
نذهب إليه الروجه ليلاً لما عروس المسجل هتدب بهاراً لمر من نموها على  
مصورى التصويرين والمصاحفة

ودميت أرى دموع العروس . فلم أجد لا الأرملة ولا العروس . وتحتل  
البيت . ولم يسمحوا لنا إلا برؤية عرفة يومه ، وفي الطريق إلى عرفة النرم



مرربا بالقرآن والحيوانات التي نقلها أو صالداها من الغابات الاستوائية وأطلقها في حديقة واسعة ، هذه الحقيقة كانت هدية من الرئيس كاميترو الذي كان عاشقا للأديب الأمريكي . وغرفة النوم هي أنجبه بفرقة يوم الأستاذ العقاد ، فالأرض مغطوة بالأحذية .. والأحذية من كل لون وحجم ، وهي جميعاً من حقاس واحد .. أو على الأصح ليس لها حقاس ، فهي لا تصلح إلا للأديب نفسه ، إنها واسعة ، وليس في إمكان أحد سواه أن يستعملها .. هل كان للأحذية معنى آخر ؟ هل أرادت الروجة أن تقول مثلاً : إن الأديب لم يترك وراءه إلا جزيماً ؟ هل من رأيها أن هذا هو رأيها في الناس .. أو هو رأيها في الحياة أو هو رأيها في الروولر ، والمؤرخين والنقاد الذين لم يتركوه حتى قدروا ؟ إلا بعد أن مات .. أو كان ذلك رأيها في روجته الثانية .. وأنها ليست إلا واحدة من هذه المصنوعات الجلدية ؟!

وبكفي أنسى رأيت كيف كان يعيش وكيف كان من الممكن أن يموت . فلهذه الساكنين والبنادق والمعدات التي استخدمها في صيد الحيوان وفي النقاط المعلومات والقصص .. ثم في مهلاته بعد ذلك .



وعندما نحدد موعدى مع الأديب الإيطالى ألبرتو مورافيا سألت سفيرنا في روما : إن كان من الضروري أن أحمل هدية للعرومين ؟ فكان جوابه أن هذا يتوقف على مدى العلاقة بالأديب فقلت : صديق قديم ، وأنا أول من قدمه باللغة العربية ، فقد ترجمت له أكثر من مائة وخمسين قصة قصيرة ، وعرضت له رواية وفتاة من روما ، و زمن اللامبالاة .. فضحك الممر فقلنا : بل حقه عليك أن تقدم له هدية ، ما حمت لم تدفع له شيئاً عن هذه القصص .

وسألت أديباً إيطالياً فقال : أعظم هدية أن تشتري مجموعة من مؤلفاته وتطلب إليه أن يوقع عليها ..

وهللت . أما روجته الأولى فهي الأديبة المعروفة ، البرامورانتة ، وقد دعوتها إلى غداء في فندق سمبراميس الذى يشغله الآن فندق الإنتركونتينتال

على النيل في جاردن ميس بالقاهرة ، وكل من يشهد إلى روجه بكثير من الحوف  
والعزع ، فهي تملأ عليه وسعد أيضا . وكانت تعني وجهها كلما تقرب منها  
المصور .

ثم ظهرت عرو من قرية جميلة بسوها ، نقشا عازلي ، استقرت روية  
ولعدة أسبوعا ، ثمه تصير ، مدرسة قلعة بحية القصر ، جميلة الرجة ،  
اصغر منه بثلاثين عاما ، قال فيرو موراي . كل لابد أن أزوجها بعد هذه  
الطحلة الطويلة

قلت : من حيثك الزوجية مختلفة عن العهد الزوجية في كل رويتك .  
ففي رويتك .. زوجات متعزات

فمسكك بقلأ : إنها صور من الواقع .

قلت : من واقعك ؟

قلت : نعم . فكل زوجة في أسل علمون حتى نكتب برامته .

وقالت للزوجة : ما رأيك في هذه فكراته ؟ . لقد اشترىها اليوم بمسبة  
رواجدا الناس . وما رأيك في الجزية والصدي ؟

فاحتدل موراي يقول . وما رأيك في الخاتم الذي في أسبوعها ولتعد  
الذي حول عنقه والجلت القرو . احتفالا بهذه المسبة المسبة ؟

قلت : هل هو سؤال نظدي في أسأل كيف كان اللقاء ؟ .

أجاب موراي : إنه رواج نظدي جدا . هي فارتة تريد أن تسأل عن  
مشكلة شمسية . وحال الكلام بيننا في المشكله ، وأسبعت أنا مشكلتها  
لشخصيه . وسألني كيف أجدها حلا ؟ . فلم أجدها حلا واحدا هو . الزوج  
معي . وبذلك يكون هذا الزواج موحا من الجو فاشامل من الناس كله .  
وتمدلا إلى مستهل في ظل رجل معروف فيه أن يكون حكما أي غائرا  
على صمغ المسبيل . والمسبيل هو المسلة الزوجية . أو السعلة بين  
شخصين مختلفين في كل شيء .

قلت : من ثقت لست الحل ، وإنما هذا الزواج هو ، لتجمل للحل . أي  
تأجل للحكم إلى ما بعد الجلسة ، والجلسة هي الزواج علما لو عشرين عاما ؟  
هل جادا . عشرين على ؟ إلى علما واحدا تكثير جدا  
ولم تعرفن العروس ، ولم تتدخل . إلى لزوجها موت لو موثقت

ولما طلب مؤراليا أن ينتقل إلى غرفة داخلية اعترضت العروس قائلة  
ما تزال هناك بعض الإصلاحات . فصحك مؤراليا قائلاً : هذه الإصلاحات  
التي نحولها الروجة الجديدة عادة تعبر عن رغبتها للعميقة في القيام بإصلاحات  
أخرى .. إصلاحات في تكوينه النفسي أو في وجهة نظره عن الحياة  
المشاركة ، ولكنها عندما تجد ذلك صعباً فإنها تحاول إصلاح المقاعد وتغيير  
مفارش السرير ومكانه من الغرفة .  
ولم تعترض العروس ..



قلت لفرديريش ديرنمات : هل تعلم أن أحداً لم يعرفك في مصر عندما  
ظهرت مسرحيتك : علماء الطبيعة ؟ ..  
ولم يدهشه ذلك .

ثم عدت أقول : ولكن نكتة أطلقها كاتب ساخر جعلتك حديث الناس .  
إنها نكتة الكاتب الساخر أحمد رجب فقد : فبرك : مسرحية من فصل واحد  
وجعل يسميها : : الهواء الأسود : ونميتها إلى ديرنمات ، ثم عرضها على عدد  
كبير من النقاد وبعث لي بالنص العربي لأدعشني أن يكون ذلك لديرنمات ،  
فالحوار والمعنى يدخل في مسرح العبث - أو مسرح اللامعقول الذي كنا نجربه  
على المسارح المصرية في تلك الوقت ، والذي دخله الأستاذ توفيق الحكيم  
بمسرحية : بلطاع الشجرة .. ثم طلبت من الصديق أحمد رجب أن يبعث لي  
بالنص الألماني فوجد بذلك ، ولما سألتني عن اللبب قلت له : لم أقرأ أن  
ديرنمات قد ألف شيئاً لمسرح العبث .

ثم عرض المسرحية على كبار النقاد والمخرجين في مصر فأثنوا بها  
جميعاً .. بالحوار والمنطق والطبعة والعمق والثقفة والأبعاد الدرامية والبؤرة  
التاريخية ، ونشر أحمد رجب كل هذه الآراء في مجلة : الكواكب ، ومعها أنه  
هو الذي ألّف هذه المسرحية المرمومة .

وكانت فضيحة أدبية كبرى .  
وأعرب من ذلك أنه رغم الفضيحة الأدبية المؤكدة قبل مسرح الدولة في

بعدد قد عرّض هذه المسرحية على أنها من تأليف ديريمات ؛  
وعرض ديريمات من أن يترجم أحد هذه المسرحية ويسبها إليه .  
ولكن احدا لم يفعل ذلك من ١٦ علما .

سألت ديريمات : قلت لي في قلنا الأول إنك لم تقرأ من الأديب العربي  
سوى ألف ليلة ، وكتبا واحدا للمؤرخ اللبني الأمير أرسلان ، فهل لم تفعل  
أكثر من ذلك ؟ ..

فصحت ديريمات صبيحة غليظة ألمعي فيها حجله ، وتراجع في مقعده  
ليبدو أقصر ، ووضع يده على رأسه الكروي وراح يصحك لا بل قرأت  
في الأديب العربي ، وفي المناهب النبوية والفوارق بين السنة والشيعة .. بل  
اهتمت أيضا إلى فكرة مسرحية كوميدية ، وهي أنه حدث في أيام الخليفة  
المصور أو الخليفة هارون الرشيد أن حكما صدر على حاكم يهودي وعلى  
شيخ مسلم ، فعلا السجن ، وفي السجن تناقشا طويلا ، وكان اليهودي يعتقد  
أنه لن يفلت ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وكل ذلك رأى الشيخ  
المسلم في القرآن الكريم أيضا ، ولكن بالحوار والناقشة اكتنفا معا لهما  
بزمان بعض المعاني ، ولكن بصورة مختلفة . وأخرج الحاكم اليهودي خطأ .  
فراح يلف البلاد كلها فلم يجد نمدأ يرى رأيه ، وبعد مثلت للسجين عاد إلى  
السجن ليجد أن السجين المسلم ما يزال حيا وأنه هو الوحيد الذي يتفق معه في  
الإيمان بكل شيء .

هئت : أتيت هذه هي أسطورة اليهودي الثالثة ؟ .

هألت الزوجة : هي بالأسبق

قلت محاولا الدوران حول عروسه الجديدة : لم أجد في مسرحياتك زوجة  
واحدة أو حتى سيدة واحدة جميلة أو عاصلة .

فقال : لأن المعفلات يطلبن مني أن أفعل ذلك ، ولكنني أرخص ، فلما  
لا أرى إلا الجانب الذي أعشى منه على تنمية الإنسية .

قلت : متشائم إن ؟ ..

قال : لا متشائم ولا متفائل .

قلت : إذن هألت أقرب إلى المدرسة اللاهوتية المعروفة باسم مدرسة  
، اللا أدريه ، أي التي يقول أعصابها : لا أدري .. هم ليسوا على يقين من

شيء في هذه الدنيا .

فقال : بالضبط .

قلت : هل تدري أنك متزوج ؟

قال : من الواجب على زوجتي أن تنبهني إلى ذلك .

قلت للزوجة : بل ولجب عليه أن ينبهني إلى ذلك ، وأنا أعمل من أجله  
أشياء كثيرة : مكرونة وطاولة وخادمة ومخرجة ومنجة وصديقة ، ولكن  
عليه أن يؤكد لي أنني زوجة أيضاً .. أو زوجة قبل كل شيء .

وكان فستان القهوة قد سقط على ملابسى ، فخطرت الزوجة ولم تفعل شيئاً  
ولا حتى حرصت ففعلنا آخر .

وكان لابد أن أفهم أن هذا هو البخل السويسرى المعروف ، وكان يجب  
أن أعرف ذلك من أول لحظة ، فالغرفة التى يجلس فيها بها كرة أرضية كبيرة  
مضيلة ، وهى فى بعض الوقت مصباح يوزع الضوء خافتاً فى كل مكان ، فهى  
كرة ، وهى مصباح ، وهى دليل على البخل الأنيق فى أى بيت سويسرى ..  
قلت : إن زوجة الفيلسوف الألماني هايجر قالت لى إنها هى التى  
تزوجته .. وإنها سعيدة بذلك وإنها هى التى قررت ذلك إنقاداً للفيلسوف من  
متاعب يومية كثيرة . وهو يعترف أنها هى التى تزوجته ، وليس هو الذى  
تزوجها ، أو أنها هى زوجته وليس هو زوجها .

فقال ديرنمات : زوجنى تقول ذلك أحياناً ولكن الحقيقة أبهى أنا الذى  
تعملت هذا الزواج .

قلت : إن الأديب الإيطالى ألبرتو مورافيا ...

فقلطنى : إنه صديقى وأنا من أشد المعجبين به .

وعندت أقول : إن مورافيا يرى الزواج صفقة .. فلا أهد بزواج من  
عبد ، فالزواج مثل الفلطة أو الجريمة التى يتصل منها كل إنسان ، ومع ذلك  
فهى خاطئة تستمتع بشعبية عظيمة فى كل العالم .



وبدعوة من د . ممدوح البقاجى رئيس هيئة الاستعلامات وصل الكاتب

سويسرى الكبير فريدرىش بيرمان إلى القاهرة مع زوجته السيدة شارلوت  
 كبير ، ومنها إلى مصر ولبنان وهذه هي زيارته الثانية لأفريقيا بعد زيارته  
 قبل تلك المغرب ، فرأى الصحراء المغربية ، وهو يحب منظر الصحراء  
 ويرى في أملاكها ورجالها نوعاً من الأبهة أو نوعاً من النخبة الجغرافية  
 بمسير التاريخ القديم ، ويرى أيضاً أن الإنسان لم يحرب على مدى مئات  
 الآلاف من السنين إلا نوعاً واحداً من الحروب هو زراع الحيوان وحتى عندما  
 تطورت أدوات القتال فلا يزال الإنسان يصارع الإنسان كما لو كان حيواناً  
 ، لا خلاص للإنسان من حيوانه إلا بالهوان الإنسان أنه قد تجاوز مرحلة  
 الحيوانية وأنه تحت ملائمة الإنسية ولو يصدق ذلك قبل ألف السنين . قد  
 إن استطاع الإنسان أن يفلح في ما بعد عصر الأسلحة النووية هي  
 لأرض ، وحول الأرض ، وأن يصارع بحضريته إبداع البشر وغيرها فهو في  
 قلبه



زيارة الفيلسوف اللامعقول

## زيارة الفيلسوف اللاعقول

منذ سنة ١٩٦٥ ، عرفت مصر الإنجيل السويصرى فريدرش ديرنمات ( ٦٤ سنة ) فى نفس الوقت الذى كنا نقوم بنجارب منعقة على مسرح اللاعقول أو مسرح العبث أو المسرح اللاعصرى ..

وفى نفس الوقت كنا نخوض آخر معارك الفلسفة الوجودية فى مصر .. ومسرح العبث يقوم على أنه لا يوجد منطق بين الأشياء ولا بين الناس .. وأن الإنسان أحسن أخيراً بأنه بلا معنى ، وبلا هدف ولأننا نحن الذين نصنع المعنى وبخلاف الهدف . ولكن الكون كله إما أنه بلا حكمة أو أن له حكمة لا نعرفها . المهم أننا لا نعرفها . وغير قادرين على معرفتها .. ثم إن الكون لا يمنون فإسأ أصغر من هذا الكون وحياتنا أقصر من أن نسمع لمثل هذه القصيدة .. وحتى لو عرفنا الكون على هذه المعرفة لا نوفر لنا الطعام ولا نصاعف الحرية ، ولا نحقق العدل بين الناس !

وطبعي أن يكون الأملى هم أكثر الناس إحصاساً بهذه المسألة . هي أعقاب الحرب العالمية الثانية إنهارت المانيا ينظمقتها وعلمها وقيمها الإنسانية وكانت المستعمرة الكبرى للأعرب والى .. فالتاريخ قد سحقت العالم . وأصبح الغرباء هو اللون الأسود والصليب والظلام واليأس والعار .. إذ كيف استطاع شخص واحد . هتلر . بمساعدة عدد من المفكرين ولشعراء والفلاسفة أن يهدم الدنيا على الجميع ، وأن ينولى وهذه هزيمة الإنسان . فقد كلى العالم يصدق هتلر ، يصدق دعواه بالآبوة والتمتعة وتفجير منابع الفس والصدق والإبداع ؟ وبسبب هذا الوهم أو بسبب هذه المسألة ، وقعت الكارثة الإسلامية الكبرى !



فهذا الشعور بالحياة ، و النفس والعزبة والغربة والعار العسارى هو  
الذى ظهر فى روايات ومسرحيات الأدباء الألمان - وعند اثنين من الموسميين  
الألمان هما :

فيرنر و فريش ..

ولكن المسارح فى ألمانيا قد بهتت متأخرة ، وكأنها اختارت أن تظل  
مقابر للناس بدلا من أن تكون ملاعب للأمل فى الخلاص من كل ذلك .  
لما المسرح الفرنسى والبريطانى قد توليا معا هذه المسحوة الأثيمة للمعكر  
للمرئ فى أوروبا كلها .

وفى باريس ظهرت مسرحيات عظيم المسرح الألمانى « برنولت برشت »  
والرومانى يونسكو والأسباني لرباك وغيرهم ..

ومع النشاط المسرحى فى مصر فى الستينات إنتقل إلينا « مسرح العبث »  
ورحنا نجرب نحن أيضا هذه الأشكال الجديدة .

وليس معنى العبث : إندغام المعنى .. وإنما معناه : عدم جنوى المعنى ،  
إندغام الفائدة من الحوار أيضا .. أى أنه هو هذا الشعور بميوعة الدنيا فى عيوننا  
وآذاننا .. فكما أن الإنسان يفرف من الطعام ، فالحين والأنس كذلك ..

فالمفكر الأوروبى قد أحس فجأة بأن الكلمة لا معنى لها .. ومدامت  
بلا معنى فلا إمكانية للكلام بينما قلنا كان حوار على المسرح فليكن بلا معنى  
ولا منطق .. تماما كما نقالجا أنت بأن الفلوس التى معك قد أقيت . فأنت غير  
قادر على أن تبهى أو تشتري .. وبسرعة تختفى من حياتنا كلمات : الغنى  
والعز والنفراء والإفلاس والبنوك والتجارة .. فكتلك إذا لعدم متلول الألفاظ  
لا يبقى هناك ما يربط الإنسان بنفسه ، أو بغيره ..

لقد علقت الكلمات ذات سحر خالص فى حصن الأديان ولقى حلقات  
السحر .. وفجأة : أصبحت لاشيء !

هل أدى مسرح اللامعقول فى مصر إلى تنبيه المتقنين المصريين إلى أننا  
نعانى شيئا من ذلك .. هل كان مسرح اللامعقول دعوة - أو إرهابا - لما سوب  
ويحدث فى مصر بعد ذلك بمسوت .. بعد النكسة العسكرية وبعد سقوط البطل  
جمال عبد الناصر وضواغ البطولة ؟

هل انتقلت عدوى مسرح اللامعقول إلى المعقول عندما . أى هل هذا المسرح

اللامعقول وجيشه معزولا واقصيا يعكس صورة المنعرجين القاتل في مسرح  
الجب \*

هنا أدركت أنني بدت أتكلم بالفلسفة الوجودية في مصر أيضا \*  
هل كان مسرح اللمعقول هو السبب الحقيقي في أن أسجعت إلى التعميمات  
التي أسجعت على الفلسفة الوجودية . وذلك بتفريدها عن الماركسية أو من  
التفريده الجديدة لو من الوجودية الحذبة !

• • •

في الكتاب السريسي نيريماب قد دخل تاريخ الأدب الأوروبي من باب  
اللامعقول . دخل فهل خرج ؟ بهما دخل أنا وأخرون فاعتلت الفلسفة  
الوجودية وكهوفها ولم يخرج هو حاول ونحن حاولنا أيضا  
وقد سألت نيريماب منذ ١٩ عاما في بيته في كل هو وجوبها فقال ليس  
أحرم الفلسفة الوجودية ولكنها لا تساعدني في عملي المسرحي فهي تؤكد  
فهم الفرد وينفع فيه حتى يجعل منه ملكا وبطلا ولكنها لا تقدم له الملك عرشا  
ولا توله ولا تعطيني لهذا الطفل عملا حارفا يقوم به . فإنا نحن إثننا حوله  
الناس بحدوده ولكنني أرى أن الفرد هو هذا الملك وهو هنا أبطال في  
مواجهة القوى الطاغية قوى السلطة وقوى الكون وهي هذه المواجهة  
إصرار على أن يفعل شيئا . وهي عجزه دليل على تأكيد ذاته وبأسه وهو  
مع ذلك لا يكف عن المحاولات الجبذة لا يملك إلا أن يصطك عليه ويسمى أنا  
بصطك على أنصا . تماما كما يحاول إيمان أن يطلع منجرحه ببيوس إليه .  
وهو جاد في ذلك . وهي هذه الصورة الجادة ما يجعلنا نصطك لأن قدرته  
مستفوزة والأثر في يده عاجزه فهي ليست أكثر من أصبح هزيمة أصبحت إلى  
أصابعه الخمس ولكنها تصم إيمان فور وجوده وسيله ولكنه لا يستطيع !  
والصدفة وهذا هي التي جعلنا مهندي إلى أن في سويسرا الإنسانيه أنينا  
هو نيريماب . وأنه من مترسة العبث ولذلك بدأنا نبحث عن أعماله ووجدناه  
لا تصلح لمسرح العبث ولكنها تصلح للمسرح الحديث . ومع يكن نيريماب  
، صبيبا ، تماما . كل كذبة في المعنى وليس في التمثل المسرحي

متمرحباته مصحكة وأحياناً هزلية وأحياناً نهريجية وهو يقصد ذلك وبسببه القارئ والمخرج والممثل والمشهد ، إلى أن النهريج مقصود . بل هو يطلب من المخرج أن يجعل البطل لا يلتفت للنظر بسرعة .. وألا يتعاطف المشاهد معه .. ويطلب تأجيل ذلك إلى الفصول التالية ..

قال لي ديرنمات وكأنه يتوقع ذلك : لم يعرفني المومسيريون إلا بعد أن كتب عنى الإنجليز .. والمثل العربي عنكم يقول : زمار الحى لا يطرب أحداً .. أى لابد أن يجرى أحد من بلاد بعيدة يقول : أنه أعظم زمار . وأن الناس فى الخارج يتعلمون إليه .. هنا فقط يتمسك به أهله !

وأول مسرحية قدمها ديرنمات من حوالي ٣٥ سنة . كان فشلها عظيماً . ولم يندفع ديرنمات لذلك . فهو ما يزال غريباً على الناس ، وليس لديهم رصيد من التقدير أو الإعجاب به يجعلهم يخفرون له هذه السقطة الأولى .. أو هذه الخطيئة الأولى ولكن ديرنمات قل عن ذلك : المهم أن الناس ذهبوا . وأن النقاد كتبوا وكل ذلك أفضل من أن يتأثم الناس عند مشاهدتها !

وفى إحدى محاضراته عن ، التأليف ، المسرحي قال : إننى أكتب المسرحية للناس إذا استمعوا إلى محاضرات فى الفلسفة الوجودية للفيلسوف الألماني هيجل . يتأثروا ثم يذهبون النوم !

وهذا الفيلسوف الوجودى هو أصعب للفلاسفة فى كل العصور لأن لغته معقدة . وتركيبه غير مفهومة تماماً .. فلا بد أن يتأثم أكثر الناس تخصصاً إذا استمعوا إليه .. وهنا بالصبط يبدأ نور ديرنمات بل ينمى هؤلاء الناس ويذهب عنهم القمل والقرف والباس من الفلسفة ولكننا نظهر فى أشخاص لهم حياة وقضايا على المسرح ثم إنهم يمحرون على الضحكة وهى هذا الضحكة ومن هذا الضحكة يكون الأمل للقاء على شجاعة الإنسان فى مواجهة المعنى الحزين للحياة !

ولكن لماذا هذا العناء فى الحياة ؟

يجيب ديرنمات : حتى إذا جلست وحدك ، فلمت وحدك فهناك ضغط هائل عليك ، ضغط نفسى عاتق دينى سياسى اجتماعى .. أكثر من الضغط الجوى الواقع على دماغك واعنف من جاذبية الأرض التى تتعلق من أطراف أصابعك ..

• عسى أن نرى من كل هذه الصعوبات نهائيه قد نلتبس بها . ويحرك خص  
 • كرس عصفور ، يصبح كما لو كان خوب . ويجوز ويسر لك لو كان أنها  
 • حيث عن الأنثى وهو من ويحدث عن الخوف . وهو . يقول أنا  
 • أنا يعرف أن كلمة أنا ليست إلا اسم لشخص أو هو . في أو - طانور صويل  
 • من الناس والمشاكل والمقاصد والهموم ..  
 • ها الذي يجعل الإنسان حزينا هكذا ؟

والجواب - هو إحصائه بكل ذلك وفي نفس الوقت عجزه عن عصف شيء  
 • إن العقل الإنساني منطوق مع أنه لا منطق في كل الدو حوت مثلا  
 • المنطق في أنك موجود على هذه الأرض . أو أنك تعيش في هذا البلد  
 • في هذه الأسرة أو في هذا العصر ، يكتب هذا الكلام أو غيره لا منطق  
 • وجوبا صفة وأكثر أحداث حراسا صفة . ونحن ندعو . بعضها  
 • صفة ، مثلا . يخلص إلى أي زمار . وسوف بعدد يزرعه ينجث عن خصبه  
 • وعن أخطاء الآخرين . فكل الذي يربط بين الناس هو هذا العصور  
 • النسيب .. والديمقراطية أن يكون هذا الحدث فعلا أو بحال . بعضها . فالحظ  
 • وجود . ومن السداحة أن نحاول . . جويل . هذا الحدث بالروح التي الحظية  
 • لاوتى التي أركبها أربابا اسم وأما حواء . طلب في حاجة إلى هذا التمثيل  
 • التبرهي الطويل . ويجب أن نرى بين شعور الناس والشعور بالحظية  
 • فاشعور بالنسيب هو نوع من العجز تصغير عسى . فعله . ما . ويحرك مركب  
 • تلك لبالا ونهارا ..

أما الشعور بالحظية فهو النسيب في مواضع المصراع على همه نسيب  
 • أو أخلاقيه . مثلا . إن كان الشارع مبللا بالماء ونحتب بينك وجدائك ميسج .  
 • كنت موضع مسأله هذا كان في (مكانك) أن نصف حذرك . في لا معنى لأن  
 • نوث التيب . وهي هذه الحالة سوف نعتبر . أو أنت بعد ما نأنت به نعت  
 • المعز .. ولكن إذا كانت الأمطار عزيزة . حذرك النسيب . النسيب . يصبح  
 • الأميك . فليس تنظير الحذاء مهلا . أو لم نعتف بعد في مصر . . كان من  
 • لاقتصر أن نعتف حذرك . ولكن إذا فاصب الأبرار . هيب لأعصير كما  
 • يحتث في مريك وفي الهب . فإن أحدا من ينظر إلى حدثك أو حتى منك  
 • لا معنى لأن يعتبر . لا معنى لأن حلف منك حد منك . في من الكرامة

### لا نسب ولا حظية !

ومحس الآن قد انتقلنا من عصر النبوة والحظايا إلى عصر الكوارث حيث لا نسب ولا عتر ولا غفران من أحد - وليس مطلوباً من أحد أن يفعل ذلك !

• فهل معنى ذلك أن الناس أبرياء ؟ الجواب : لا : بل إن الإنسان منبئ مجرم سماح إلى أن تثبت براعته ، فلا أحد بريء في زماننا هذا .. لأن المطلوب من كل إنسان أن يكون له رأى وله موقف .. حتى لو لم تكن لهذه الإفادة أثر .. وهذه هي عظمة الإنسان وعجزة أيضاً فعضمة الإنسان هي أنه في مواجهة كل القوى الطاغية في الكون وفي المجتمع يقول لا .

والأمثلة كثيرة في مسرحيات ديزيمات مثلاً في مسرحية « رومولوس للعظيم » . نجد أن الإمبراطور رومولوس وهو آخر ملوك الإمبراطورية الرومانية الغربية ، قد أُنشئ أنه يحكم دولة منمعة منبهة ، وأن هذه الدولة يجب أن تموت .. وأنه لا يحق له أن يساعد على البقاء .. فهي مثل مريض أصيب بمرض قاتل ، وهو يعاني سكرات الموت .. والطبيب لا يصح أن يحدد أحداً ، بل يجب أن يصارح أهل المريض مهما صلبتهم ذلك .. وأن يرفض رعايتهم في علاجه .. فهذا الإمبراطور رومولوس رفض أن تقاوم جيوشه رجف الجيوش الجرمانية الشابة .. ولذلك قرر أن يستسلم واحترار للإمبراطورية إلا تقاوم فلا داعي لأن يموت الأثوف من أجل دولة مينة .. وكان شجاعاً في مواجهة كل قوائمه وحكم التاريخ عليه .. واكتفى بأن يربي النواحي ، ويراقبها وهي تبيض ويحرص على عدد البيض وعلى نفاولها وتذوقها بشهية يومية . فهو إمبراطور مسخريخ الصمير .. لم يكن سبباً في مرض الإمبراطورية . وإنما كان شاهداً على موتها .. سافراً في جنازتها لا يدعى لنفسه البطولة أو القدرة الخارقة ..

وفي مسرحية « هبط الملاك في بابل » نجد أن الدولة قد أعلنت الحرب على النصول وأن النصول ضد الإنسانية وضد الإشرائية .. ولكن شحاذاً اسمه « عاقى » أصدر أن يعفى شحاذاً . فلا يجب إلا هذه المهنة .. وهو قادر على أن يكسب الكثير .. وحلول الملك أن يثنيه عن النصول ، ولكن « عاقى » قال : إن الملك لا يحسن إلا أن يكون ملكاً وأنا لا أتقى إلا من النصول .. وكانت

بماء قد هب ملك جميله الى هر اثناس على الارض ، فبط الملك عينا  
 على الملك وبتوى على بيها يتوى على الآخر في هذه السور ما ، عافى .  
 فهو سار أما الملك فيسره . وذلك لم يمنع ا يكسب عينا فكل تلك  
 اهر بيمن على الارض واحق اتس بالمملكة الجميله فكانت في نصيه وبكى  
 عينا عرف ان قد التحد قدى حنيه هو الملك رفسد ان عيس معه  
 بها احدث لمحد وهبط من اجله وحاولت الحنيه ان يفعو قد انكاث  
 الجميل ولكنها لم تقنع هروا طرعا من بابل الى لهم رهسوا به  
 سماء

وكار عافى اشجع اسر في القمته على مواجعه القميه ولو لم يكن هناك  
 فاسد من ذلك

وفي سرجه ، رياره السيد المجور ، بعد أن البطله التي هبطت في حبها  
 . تحت نظره الرجل الذي جرح كبريه بها هوجنه بفالا وأحاطت بالفرية و علب  
 مساعها ونعيم الطعم للجمع بنا هم حكموا بالاعدام على الرجل الهارب من  
 حبه . هوجنو بان السيد للصور قد شرب الفرية كلها ، وحكموه وأثنوه  
 وحفرو قبره كل يوم بهاها وابها وواجهت كل الناس وسكنت وسكت  
 ، فصحت فيهم الأخلاقه والنبية عداها سواك على كل منزههم للمانية  
 ، لأحمايه ولما أدانوه ومجرو اعدامه ، عافى عي عيهم هم  
 فاصبح كل واحد منهم ساعا وجلاد . هم القائلون والهللى أما الرجل الذي  
 جاءه من حل القساء عليه . فكفر هو الرجل للوجه للبهذ على سقاه  
 الناس . وكان بعض الناس إلى الناس !

وفي سرجه ، القميه ، على الاملاء والمعين أن الانيب فخر العائز  
 على جدره نوب في الانيب قد صفت . وسرالى انعطفت فيكرهه من العاد  
 ، الناسرين ولكن الانيب لم يكن قد مات . ويحاول الاضاء في يهوه بالأضاء  
 كذلك رجال الذين ، لا عونه للحيه فصحه كبرى بهم حميد . ثم ان انه  
 الذي سرح القمور وبصص في الورقه وقد كسفت ان والقم لم يرت به سب  
 فيصا بالجهن

ولكن هذا الانيب مصر على ان يوجه كل الناس بسجده . إنها نفس هذه  
 بشار الذي مات ، وحيه السيد المسيح . وبكى بعد ان سقاه خريما مكل

وكنيت بعض قري عائلته ائمة حبه به سمع مائيه من مصنفين الكتاب  
المفسرين وعنه من قصص وحكايات ونبولات ومن الإسكندر الاغريقيه  
ولكنه لا يكثر على القصص او الحكايات او الاسطوره حتى يتبع فيها اعتناء  
ويملأ بها القلوب فتكون دائره على تفسير كل شيء في تفسيرها كل اسرار  
على اسناد الذي يرضيه ويشبعه ويقنع . ولتفحص الاسماء الفلسفيه  
والفسيه وقد رتبها جند لانيب السويسري ماكنز هريش ( ٧٤ سنة ) واحد  
من اعلام مصرح الميث في تفسر الحفيد المفسر عن المعاني التي يحد  
البنسبين في اوربا وهي مصر حبه ، مشغلو النيران ، يظهر أناس مجهولون  
سحرفون اشبهت والكاكين . نلذه من هؤلاء بطليون ان يصفوا في بيت احد  
لنلاء ولهم عبيد يصمون براميل النزين في أماكن مختلفه من انبيد  
ويصمون انعام الحاره والرجل يصعد ان يكرمو من الذين يشغون النيران  
في الميه هو قد حلفي بهم واطعمهم وهم لهم الضمان والكرب والمجان  
وكان حبه ونبي معهم ورأى مشغلو النيران ان احسن طريقه لمدح هذا الرجل  
الذليل هو قول الحقيقة هو ان يصدقه فقالوا له انهم سوف حد قور هذا البيت  
والنديه كلها ؟

وهذا الرجل الطيب رأمه بما معناه أنهم يمزحون فليس معناه لا يقابرو  
الاحسن بالإمامه والحفاه بالهريق والإمامه بالوحشيه ..  
ولكنهم احرم البيت والرجل والامور عبيده  
ما السبب ؟ لا سبب .  
ما الهدف ؟ لا هدف .

ويقول ماكنز هريش انه قصد بهذه المرحية ما حدث في منكوسه فاكب  
عندما استعان الزنهن بتمشيش باعضاء الحرب الميوعى الذين صار جوه بانهم  
سوف يسطرونه ولكنه لم يصدق !

وانه قصد هنار ايضا قد استعان بالانبياء والشعراء والعلامه وصار جهنم  
بانه سوف يعزو اوربا كلها وسوف يهزم على زوومن الرأسماليين  
واليهود . ولكنهم استبعدوا ذلك عندما بطروا إلى الصروح المصاربه التي  
أقامها في ألمانيا ، ومصدعه للموسيقى وتشجيعه للثديت والاعاسي والحدائق

وجهه الشديد للأطفال .. فكثيرا ما أعلن هتلر أنه يتمنى أن يكون أب لعشرين طفلا فإذا التقدر بجعله أباً لملايين الأطفال الأملئ . وسعيا لهم أيضا !  
 وقد شاهدت الفيلم الذى أخرجه السيدة زوجته : شارلوت كير ، مفرجة التليزيون الأملئ ، الفيلم مأخوذ من اسم إحدى مسرحياته : صورة لكوكب ..  
 والفيلم يستغرق عرصه أكثر من ساعتين .. وهو نعمة أنبية فية . فالفيلم يبدأ بمرض لوحات ديرمات ولقوحت ملونة بالطول والعرض واللوحات ملينة بالخطوط والأشكال والقوى والكائنات .. فلكون ملين والإنسان ملين بهذا الكون أيضا وهناك ضغط .. أو تصاعط .. الكون يضغط ونحن مضطهين .. وفي هذه اللوحات كائنات غريبة .. البشرية منها حيوانية .. والحيوانية لها عيون بشرية .. لماذا ؟ لأن الإنسان فى حالة حرب ضد الوحوش .. وأخر حرب يخوضها وسوف يخوضها الإنسان فى الحرب ضد الوحوش البشرية ..  
 ثم نرى ديرمات يرسم لوحاته بيده اليمنى ويده اليسرى .. واقفا ..  
 وديرمات يمكن فى هذين صغيرين مجاورين واحد يعمل فيه .. والآخر ينام فيه ويلتقى بالتصوير . وهو يرسم أبطاله قبل أن يصنعهم فى مسرحياته .  
 وقد لشتغل بالإخراج المسرحى بعض الوقت .. فهو يعيش أبطاله تماما ..  
 فكرا ورسميا وحركة ..

وبعد ذلك نرى ديرمات فى الفطار لقد انحلت زوجته للفطار أنتحرك فيه .. إنه فطار العمر .. للفطار يتحرك وهو يتحرك داخل الفطار ويروى حياته بصوته الفظيظ الضئ المنخفض حتى يصعب أن نسمع ما الذى يقوله عن بداية الفكر وبداية الإبداع .. وفى نفس الوقت يصرخ فى الكون الغامض القوى التجبار ولا يملك فى مواجهة كل ذلك وصده ومن أجل للتفوق على نفسه وعلى غيره إلا أن يصحك .. فهذه هى الحرية الوحيدة المتاحة له : أن يصحك ..  
 قد استزاج ديرمات إلى الثور الإغريقى القديم مفتوروس الذى له رأس ثور وجسم إنسان .. وهو القوة الباطشة العاشمة .. ويجد من المناسب تمام أن يصف القوة فى زمانها بأنها مثل هذا الثور الهائج الأعشى .. وفى نفس الوقت يرى أن الحياة الإنسانية قد اتحدت من الثيران والأبقار مثلا أعنى هى القوة والحيوانية والحسوبة .. وفى هذا الفيلم نجد أن التفتيح الصناعى هو نموذج



للحلفاء الروجية والتي لم تعد لا روجية ولا إنسانية .. فالأطفال يجيئون من الأنابيب بلا روجة ولا حب ولا أسرة .. وإلما حيوانية تمتد عبر الأنوات الحديثة للولادة والحضانة والتربية والاستمرار .. فهناك مزارع للدواجن ومزارع للأبقار ورياض للأطفال وملاجئ ومسجون ومسكرات للعمل وللقتال .. وكلها صورة مختلفة للتبرار والأبقار أى للقوة الحيوانية التي نتحكم فيها بأجهزة علمية دقيقة ووهنا لنظريات حديثة .. فكأننا نحرص على أقدم أساليب الحياة ، باستخدام أحدث أساليب النظريات .. تماماً كما نستخدم أحدث النظريات السياسية والاقتصادية فى مواجهة أحدث أساليب الدمار .. والإنسانية لم تنتقم .. فلا يرال يحارب الوحوش والوحشية ، ولا يرال يسكن الكهوف ولا يفرق كبيراً بين الحرب فى جريزة هوكلاند وبين الحرب فوق المريخ .. ولا يفرق بين الأخوين هابيل وقابيل وبين الرعيين ريجان وجورباتشوف .. فإذا وجدت كلا منهما يدعو للسلام بصدق ، وفى نفس الوقت يبحث بسفن الفضاء تتجسس وتتصنصت على العقول الإلكترونية ، ألا يبحث هذا الموقف الصادق فى كذبه على الضحك ؟

قلت لديرعات وروجته : هذا هو آخر سؤال ؟

وكان ذلك فى بيته بالقرب من ديوشتال بعد أن امتد للقاء ساعتين ، وبعد أن أرداد ظلام الطريق الملتوى الهابط إلى المدينة ، واتخذت المحب شكلاً أسود ساماً ، وجعل المطر يدق الأشجار مثل دفات مسرح غيم : إن مسرحياتك تنتهى عادة بأن مضحك .. ولكن لم تسترح .. فأنت لم تقطع برأى فى شيء .. ومن المؤكد أنك اتهمت فرارا واحداً حاسماً ناجحاً هو أن يصبحك الحفرجون .. ألمت هكذا من المدرسة الفلسفية القديمة التى تسمى : اللاأدرية ، أى التى يقول كل واحد فيها : لا أدرى .. لا أدرى .. لا أعرف .. لأنك لست على يقين من شيء !

قلت بصورة فاطمة : نعم أنا كذلك .. فلا يوجد دليل واحد قاطع على أى شيء فى هذا الكون .. الله مثلاً  
هلفت فى نفسى : أعود بالله !!  
ولكنه مسمى يقول : الله مثلاً .. ألف تفسير ونحويل له .. وكل واحد

—مخرج من علمه ومن خياله المعنى الذى يريد .. ونشأ الكون وبهابة الكون ،  
صل الإنسان وبهابة الإنسان كل هذه المعاني وغيرها لا يوجد أى دليل قطع  
مضيق .. وإنما هى تنمير وسبيل حسب الاختصاص .. فلما لا أدرى وليس عدى  
وهت لكى أدرى .. ولا أستطيع أن أسمع عبرى فى البحث عن هذه للمعاني ،  
—وب أن يكون لهذا البحث جدوى مسرحية .. لأن المسرح هو الطريق والهدف  
إلى كل ما أرى ..

ولما نظرت إليه وجنته ما يزال منعما مستعدا لمريد من الصافىة .  
قلت : مادمت لم تتألم من أنفلى ، ولما لم تتألم من أجوبتك دعنى انكرك  
بشيء قديم .. فعندما قابلتك هنا لأول مرة سنة ١٩٦٦ قلت لى بك لا تعرف  
أدبيا عربيا واحدا .. ولم تقرأ إلا ألف ليلة ، وكتابا لكاتب لبناني اسمه  
زوسلان .. ألا تزال عند هذا التقدير للتقبل جدا من المعرفة بالأدب العربى  
و الفكر العربى ، رغم أنك مسافر إلى مصر ، وقبل ذلك سافرت إلى الصحراء  
المغربية وقبلها إلى إسرائيل قلب المشكل فى الشرق العربى ؟  
أجاب بسرعة : بل عرأت فى الأدب العربى والطبعة العربية وتاريخ  
المصور الوسطى أيضا .. فلما سافرت مع زوجتى لتصوير فيلم عن  
الصحراء .. وسافرت إلى إسرائيل وكتبت عنها .. وعرفت أثر الطبعة  
الإسلامية على أوروبا .. وأثر الأسبيل على المغرب العربى .. الأسبيل وليس  
العرب .. وتوقفت طويلا عند العلاقة بين الأدب والصراع بين المذهب  
الإسلامية .

مألت : ألا تذكر أنك قلت لى أيضا أنك اعتديت إلى أن للشيوعية طبع  
فى إحدى الدول الأوروبية قبل ظهور الماركسية بمئات السنين .. وأنت سوف  
تجعل منها مسرحية ..

قال : قلت ذلك والمسرحية ظهرت على مسرح ريو روج .. فالشيوعية أكثر  
انتشارا فى الدولة التى تدعى بالروسستانية .. ولكن للشيوعية أول ما ظهرت  
كانت عندكم فى الشرق .. فى بلاد فارس .. عند مزدك الذى تفر بمعاظم النبى  
زراشت والذى تأثر به الفيلسوف المصرى أفلاطون ..

قلت : ولكن هذه الشيوعية التى ظهرت فى فارس كانت أكثر وصوحا عند  
جماعة ، الأمميين ، أو ، الأظهارة ، الذين عاشوا فى شمال البحر الميت ..

وكان السيد المسيح ينزرد عليهم .. وقد ظهرت قلمهم وقصة حياتهم في  
: مخطوطات البحر الميت . .

قال : نعم ولكن عدد العرس كانت شيعية مطلقه .. لا مجرد تحريم  
استخدام الذهب أو التعامل بالنقد .. كما كان عدد هؤلاء الأسيين ..



وكنيت فد روت الأديب الموسمرى ديرمات برقة مهور في سويسرا  
محمد توهيق عبد الفتاح الذي قام بدور المصور - رحمه الله والنقطة له أول  
صورة نشرت في الصحف المصرية والمجلات العربية مع الأديب وروجه  
الأولى .. وكانت ممثلة ألمانية .. وبعد وفاتها تزوج سد سنتين ونصف مخرجة  
التلهزيون الألمانية - شارلوت كير التي أخرجت سلسلة بسوان : صورة ..  
لعدد من الفنانين والموسيقيين والمخرجين من بينهم السيدة ميلبا مركوري ..  
والموسيقار اليوناني الشهير نيتود ولكن مؤلف موسيقى هلم : روبرا ، وعدد  
من الفنانين الأمريكيين أيضا ..

ومن الأمانة التاريخية أن أعترف بأسي بداية عن د . ثروت عكاشة وزير  
الثقافة في ذلك الوقت وجهت دعوة للأديب هريش ديرمات وماكس فريش  
لربلوة مصر سنة ١٩٦٧ ولكن لسبب ما ، لم يبعث د . ثروت عكاشة بهذه  
الدعوة الرسمية .. هبطنا إسرائيل ووجهت الدعوة لماكس فريش ثم منحه  
جائزة المعرض الدولي للكتاب عن مسرحيته الشهيرة « أندروا » التي يهاجم  
فيها العداء للسامية .. وبعد ذلك وجهت الدعوة لديرمات أيضا .



وقد ترجمت لنا لديرمات من عشرين عاما مسرحيات : رومولوس العظيم  
التي ظهرت على المسرح ، بطولة صلاح منصور ورورو بيل وأخراج سمير  
المصغوري .. ومن الصنف العجيبة أن يقوم المرحوم صلاح منصور ببطولة  
رومولوس آخر ملوك الإمبراطورية الرومانية العربية ويقوم على التلحين بدور  
فلورق آخر ملوك مصر ثم الإمام أحمد آخر ملوك اليمن !!

ومسرحية ، هبط الملاك في بابل ، التي ظهرت معها سبعيا بسمة سبط  
 رمانه ، بطوله عبد الله عت ومثيرة اسماعيل . ومسرحية ، اشهاب طوه  
 - ابراهيم سكر .. ومن اجزاج د . فاروق النعمان وكان اجزاجها حصا هيا  
 صرحا فهي مسرحية حديثة فاجزجها على مزج اعرفى دائرى "١٤  
 وأرجو أن يصحح هذه العنطة الغية المخرج سمير العصفورى .  
 ثم مسرحية ، الريزة ، التي سبق أن ترجمها المرحوم سعد توفيق  
 وجير مسرحية ، زواج السيد مجدى ، والتي جعلت بسما هي  
 ، عشقها ..

وترجمت له الأديبه اوسمه جانو المرحوم بمجله أكتوبر ، عدد من  
 حثليات الاداعية والمسرحيات فى لغة عربية سنية رصية .  
 أما اوسى مسرحياته التي ظهرت فى القاهرة فهي ، علماء الطبيعة ، من  
 رجمة د . عبد الرحمن بدوى .

وكانت دعوى الأديب المويسرى لعصر ابعسا للحركة الأدبية والنه  
 لأبى ..

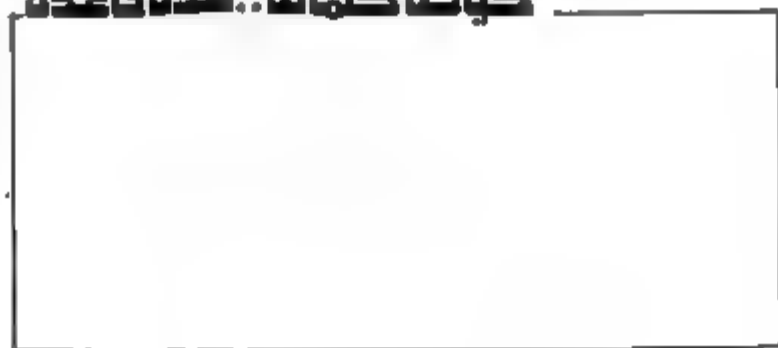
وقد أسهر هذه العرصة لأطلب من د . ممنوح البلقاجى الذى بعلم هي  
 -ريس وعاش بها سوات طويئة وعرف حباياها الأدبية والفنية ان بوجه دعوى  
 فى اديبة تكذب بالفرنسية ونباها دائما بانها مصرية .. ولكن أحدا من مصر  
 لا ينكرها ولا يشكرها ابدا السبده ، أنثريه شديد ، وقد ألفت عددا ممتازا من  
 مسرحيات والرويات .. بعضها مستوحاة من التاريخ العروى والتاريخ  
 حيث أيضا . ولم يظهر فى اللغة العربية إلا روايتها اليوم السانم ، وهي  
 حقة أدبية وقد اتحدث موسوعا لها الكوليرا فى مصر ..

وقد رأيت السبده أنثريه شديد فى التليغريون المويسرى وهم يناقشون  
 حشا أعمالها الأدبية فقدمت نفسها .. إنسى أدبية مصرية ..

وهي من أصل لبنانى وولدت فى مصر وروجا طبيب لبنانى يعمل فى  
 معهد باستور ، بباريس وقد قابلتها فى القاهرة وهي تريس مع عدد من الأديبه  
 عربيين والسبده أنثريه شديد بكل الموارى الأدبية والفنية ، أدبية ممتازة وإن  
 كانت تكذب بالفرنسية ، فإن لغتها الفرنسية رقيقة تماما . وإذا كانوا قد حجبوا  
 عنها الجوائز الأدبية التي مستحقها ، فلأنها أجنبية . فإن رصينا بمصريتها .  
 قد أصعب إلى تاريخنا الأدبى الحديث أحسن أدبية عربية فى كل العصور ..



حياته كلماته.. هذه قاعدة



## حياته .. كلماته .. هذه قاعدة ..

طفلاً يتيماً .. فرياه جده .. ولكن كان سارتر وحيداً أى أكثر عرلة من أى طفل يتيم .. وهى هذه المرحلة من حياته تولدت عنده كل الأفكار الأساسية لفلسفته بعد ذلك : الوحدة .. العزلة .. التأمل .. الحرية .. والأصالة أيضاً ..

وسنرى عندما نقف أمام سارتر هذا الموقف فقد احترنا له أعز الأفكار لديه . فهو الذى يرى أن النافذ يجب أن يكتب عن إنسان ما زال حياً . لأنه ما دام حياً والكلمة الأخيرة لم يطقها بعد . ولكن بعد أن يطرق عيبيه وأسيبه ، فمن حفا أن نتناولوه كأثر أدبى . كشمس . وبذلك يصبح النقد علمياً .

ومع ذلك فسارتر نفسه أصدر كتاباً ضخماً عن الأدب جان جينيه . وهذا الكتاب يعتبر من أروع الأعمال النقدية فى القرن العشرين . وجان جينيه ما زال حياً ، لم يكمل رسالته بعد . ولكن سارتر تناول من حياة جان جينيه طفولته ، وأثر هذه الطفولة على حياته وأثر جان جينيه على الطفولة لكل أبناء الطبقة المتوسطة . وسارتر إذن اختار جان جينيه الذى مات .. أى الطفل الذى كان فى يوم من الأيام . وكل طفولة لأى إنسان هى مرحلة تمت . وكملت . ولا يستطيع أن نصيف إليها شيئاً . ولا أن نحذف منها شيئاً . كل ما يستطيع هو أن نعرضه بها أو نكرها . أو نحش فى الطفولة باعتبارها موقفاً إجتماعياً ، من حريتنا الصغيرة فى هذا الموقف . فكل حرية هى حرية فى موقف . تتحدد بالنسبة للموقف . ويتحدد بها الموقف أيضاً .

فعبية سارتر كطفل هى الموقف التموهجي لكل من يريد أن يتناول حياته .. وحتى الذين كتبوا عن حياة سارتر لم يفرقوا بين سارتر الإنسان ، وبين سارتر الأدبى أو الفيلسوف . فسارتر هو فلسفته . فسارتر هو رواياته ومبرحياته ومقالاته .

ولذلك جاءت كل الكتب التي تناولت حياة سارتر دوعا من البحث البوليبي  
بحر توجه الشبه بين سارتر وبين شخصياته .. مقارنة مستمرة بين شخصية  
« ماتيو » في رواية « سبل الحرية » بأجزائها الثلاثة .. وبين الفنى فلورييه في  
قصة « طغولة رئيس » وبين الفنى هراس في مسرحية « سجناء  
أنطونا » .. الخ .

ومن الممكن أن نجد هناك شيئا . ولكن من الصعب أن نجعل الشبه تاما  
بين سارتر والفيلسوف وبين البطل أنطوان روكنتال في رواية « العثيان » . وإن  
كان سارتر قد أجرى على لسان هذا البطل كل أفكاره الوجودية وكيف تفتحت  
له الدنيا معنى معنى .. وكلمة كلمة .. وكيف تحول البطل إلى مرصد دقيق  
جديد وسط غابة من المعاني المبعثرة .. وكيف شعر بالندوخة والعثيان والقرف  
والملل والصياح وسط هذا الأوركسترا الصاخب من المعاني البكر .. ولكن ليس  
من المستحيل أن يكون سارتر هو هذا الفنى ..  
والناقد هنا يتحول إلى فاريه كب أو إلى أحد علماء العراسة ..

• • •

ولذلك ليس أمامنا إلا أن نرجع إلى ما كتبه صديقه الأديبة  
سيمون دي بوفوار . فقد كتبت الكثير عن سارتر الطالب والزميل والصديق  
والعبيب والإنسان التلق والأمين .. ثم الزوج ..

وهي لا تصور في متكراتها إلا جانباً من حياة سارتر . ولكن تفاصيل  
حياته ، ومشاكله اليومية الصغيرة ، لا يعرف منها إلا القليل جدا . فهل حياة  
سارتر خلت من الأشياء الصغيرة ؟ هل حياة سارتر كانت كلها قضايا فلسفية ؟  
نعم كنت حياته فكرا وبخا عن أفكار جديدة . ولم يكن سارتر يعرج بالطور  
على شيء جديد . وإنما كان يفرح جدا عندما يجد إسماء لهذا الشيء الجديد .  
فالتجربة المحبة لا يهمه أن يشعر بمرارتها ، بقدر أن يستسلم لها ويمد يده  
إلى « جيوب التجربة » ينشل إسمها السرى وطريقة استعمالها ..  
وسيمون دي بوفوار تقول لنا : إنها كانت مشغولة بمحاكاة الحياة الحارة ..  
أما سارتر فكان مشغولا بالبحث عن تسمية لهذه التجربة . وهل قاصدة لكل  
التجارب المتشعبة ..

وليس أمامنا إلا أن نرجع لبعض ما كتبه تلامذته . وتلاميذه مخلصون . ولا يروى في سارتر إلا غيلموها يتنص فكريا . ويبرهون في تعليمه . وبذلك يسمون الفيلسوف . فهم يصيغون إليه صفات ليست فيه .. أو صفات تجعل منه حسنا آخر . ويمنعه الحياة أن يدافع عن نفسه ، مكتفيا بأن كتبه هي أوراق عظماءه . وأنه ما يزال على قيد الحياة ، وفي إمكانه أن يروى للناس الحقيقة . ولم يكتب سارتر إلا جانباً ضئيلاً من حياته في كتابه : الكلمات . . وفي هذا الكتاب يحكي لنا سارتر قصة اكتشافه للكلمة واللمعة والكتب وعالم الأسباب . وعرض لنا في بعض الوقت البذور الأولى للفيلسوف سارتر ..

وفي كتاب الكلمات نجد أن سارتر قد صورنا لنا نوعاً من الوجود : اللعوى . . وطرفه ليست إلا عشرات من الكتب : هي الأرض والسقف والجدران والمواد والهواء والسماء .. هذه الكتب هي دنياه بكل ما فيها من مثل علب قديمة وجديدة . ومثل عليها يمكن تمثيلها .. حتى أنه قد عثر عليه سارتر . وأحس أمام الله أنه : مبهود . . وأنه لذلك من حق أن يفعل كما يشاء . فإنه قد أفكره قبل أن يعترف به سارتر ..

ولعلنا .. ندين فلسفة للفرد العنصرين كله . فالوجودية ما تزال أحد تفسيرات الحياة في العصر الحديث . ولا يزال سارتر هو أهم معالم الحياة والفكر في فرنسا .

وهي طفولة سارتر شعور واحد والصبح . وقد ارتد عمقا ووصوحا بمرور التجربة . فسارتر ما يزال يشعر بالغربة في هذا العالم . فهو غريب في العالم . وهو غريب عنه أيضا . وطبعة سارتر هي محاولة مستمرة لعقد صداقة مع هذا العالم . أو للتعرف .

وسارتر هو الذي يتقدم علنا . وهو الذي يسأل وهو الذي ينتظر في صمت جاد جدا أي جواب . ثم يعود يسأل وينتظر .

وهذا الشعور بالغربة بدأ عند سارتر للطفل شعورا بأنه يتيم ..

قد مات أبوه وهو في الثانية من عمره . وتزوجت أمه مرة أخرى وهو في الحادية عشرة من عمره . وهي هذه الفترة عاش سارتر في بيت جده . وجده من عائلة مشهورة المشهورة في منطقة الأكراس الفرنسية الألمانية . ولم يجد سارتر أباه وإنما وجد رجلا آخر هو : جده لأمه .. ولم يجد أمه وإنما وجد



مربية ألمانية . لم يجد لعب الأطفال ، وإنما وجد الكتب الكثيرة جدا . وكل كتاب من هذه الكتب هو مثل صندوق الأعاجيب ، مليء بالأشخاص والمعاني والحيل والأكتاف .. ولكتشف أن الكتاب هو أكبر ساحر . فهو قادر على أن يخلق أشخاصا وحوادث وبيوتا وفصورا وكثورا . وأن القارئ يستطيع أن يعم بكل ما يعم به أغنى الأعياء . واقتنع سارتر بأنه يستطيع أن يكون هو شخصيا صديقا للمعجرات . في استطاعته أن يكتب . وقد كتبت مئات الصفحات وهو في الثامنة من عمره . كتب قصصا قصيرة . ونظم قصائد سرديات . ووصف مشروعا لمسرحيات يقوم هو بدور البطولة فيها .. وأقام لنفسه حفلة تكريم باعتباره مؤلفا صغيرا ثم مولى هو بعد أعماله الأدبية .. كل هذا فعله وهو دون العاشرة ..

وأصبح من المؤكد لديه أن : على بابا ، ليس هو الإنسان الوحيد الذي يستطيع بكلمة : إفتح يا سمسم أن يجد نفسه أمام كنوز ألف ليلة وليلة . . وأن كل كاتب هو على بابا وهو كنوز ألف ليلة وليلة .. وهو مليون ليلة وليلة .. وأنه قادر على هذا كله . وأنه سوف يكون هذا كله ..

ورغم هذا الثراء الأدبي والفني في حياة الطفل سارتر فإنه كان مليئا بالوحدة .. بالعملة .. فقد أحس أنه وحده . وأنه بلا أب . ولا أم . وأنه يتيم . ولم يقبل سارتر أن يكون موضوع شغفة من أحد . فقد كان يرفض إشفاق الآخرين عليه . حتى تصور بعض أقرانه أنه إنسان شامد . فهو لا يعتقد الأب أو الأم . وأحس سارتر أنه ليس مطالبًا بالاحترام أحد . وليس مطالبًا بالانزاع آداب السلوك ولا أصول العلاقات الاجتماعية . وليس أسهل من أن يسمعهم يهيمون : أن أحدا لم يعلمه ذلك ؟

ومعنى هذا أن أمرته قد أعفته من كثير من الآداب الاجتماعية التي يجب أن يلتزمها كل طفل . كل طفل له أب وله أم . ولم يشعر سارتر للطفل أنه يملك شيئا ..

أو أن شيئا يملكه . فهو لا ينتمي إلى أحد ، ولا أحد ينتمي إليه ... فهو ليس ابن فلان ، وليس فلان ليا ..

ولستفرقه عالم الكتب . ولستفرقه العالم الجديد الذي اكتشفه . وتحول إلى سندباد ، وإلى جاليفر ، وإلى أليس ، في بلاد العجائب ..

وأحسن بأنه ليس من الضروري أن يكون للإنسان أم . فالمربية تكفى ..  
وليس من الضروري أن يكون للإنسان أب . فالمدرس يكفى .  
وليس من الضروري أن تكون للطفل لعبة جميلة ، فأى كتاب يكفى ..  
وليس من الضروري أن يعتمد الإنسان على أبيه . هى استطاعته أن يستقل  
عنه . وأن يفكر وحده ولوحده .

وسارتر كان طفلا غير عادى . بل إنه لم يكن طفلا على الإطلاق . هذا رجل  
عالم الأرجولة بمزرعة ، أو ولد رجلا . وفى نفس اللحظة التى اكتشف فنزاته  
على التحليل والإبداع ، أى على المشاركة فى الحلق ، اكتشف فنزته على  
لوقوف على قدميه : أى على أن يكون حرا فى اختيار القيم التى تعجبه . وإذا  
حنازها أصبح مسئولاً عن النتائج بعد ذلك .. إنى لقد اختار سارتر أنهم هى  
من مبتكرة . فالحرية ثقيلة لأنه لا يعيش بلا مسئولية . والمسئولية عبء .  
وهذا يعيش هم ثقيل .

فهو طفل مهموم . وقد كبر الطفل وما يزال الرجل مهموما ..  
وسارتر لأنه من أسرة متنبية كاثوليكية . فهو متنبى . أو على الأصح - فهو  
رجل أخلاقى . وهى مثالية واضحة . فهو يرى أن موقفه هذا كطفل . يجب  
أن يتخذه كل إنسان . كل طفل . والويل للطفل الذى لم يستش عن أبيه وعن  
الشموع يهما فى سن مبكرة .

وبس عزيزا أن يحنار سارتر الشاعر بولنير بموجعا للدراسة .  
هالشاعر بولنير مات أبوه . وتزوجت أمه . ولكنه لم يعمل مثل الطفل  
سارتر . وهذه غلطة وجودية فطبعة ، ولم يرحمه سارتر من النقد الصيف ..  
بولنير كان قد تعلق بأمه . واعتمد عليها . ورأى فيها مصدر قوته .  
ووسيلته إلى الوجود . فوجوده كل متطفلا على وجود أمه . فلما تزوجت أمه ،  
أحسن بولنير أنه ساع أن عملاته ليس لها رصيد . أنه هى عالم هذه قوة  
الجاذبية .. أنه فى منطقة إنعدام الوزن ..

لقد كان رواج أم بولنير قصصه للوجود .. كأن الدنيا كلها قد أنصابتها مزيف ..  
لم تعد فه قيمة . ولم تعد للدنيا كلها قيمة . وأنه ليس لديه ما يعطيه .  
فلا أهمية له . ولا أهمية لغيره ، ولا أهمية للعالم كله .. لقد أصبحت الدنيا  
عبثا . أو العبث نفسه !

وغلطة بودلير - في رأي سارتر - هو أنه جعل من أمه إلها .. جعلها المطلق في دنياه ..

ولذلك فعندما تزوجت أمه أحس أنه بلا إله !  
وكان هي استطاعت أن يقرر أن أمه قد فقدتها . وفي نفس الوقت يختار أن يعيش بنفسه . وأن يعتمد على نفسه ، وأن يختار قيمة الأخلاقية .  
ولكن بودلير ، لكي يعي نفسه من أعباء المسؤولية ، قرر أن يظل صغيرا . قرر ألا يكبر . ألا يصبح . أي أن يظل معتمدا على أمه .

وهذا الاعتماد على أمه ، جعله غير حر .. أي جعله غير مسئول .  
بودلير هو الذي رفض الحرية ورفض المسؤولية .. واختار أن يظل عالة ، على أمه .. أي أن يظل يعتمد عليها ليرسعه . وعندما لا يجد لدى أمه يتوهم أن هناك دنيا . وهذا التوهم يؤكد أنه طفل . وأنه حريص على أن يكون طفلا . وعلى أنه يرفض حريته !

وعندما تناول سارتر أدباً آخر هو جان جينيه ، جعله نموذجا للناس الوجودي ..

جان جينيه لقيط . لا يعرف له أبأ ولا أمأ . وهو نص أيضا . وعندما وصفه الناس بأنه نص . قرر أن يكون كما أراد الناس ويلاخجل . وهو شاذ جنسيا . وعرفه الناس بأنه شاذ . فقرر أن يظل كذلك . فهو يواجه الناس بما يخل منه الناس عادة .

وجان جينيه يتيم الأبوين . يتيم الأسرة ، يتيم الطبقة . فهو انسان قرر أن يصنع قيمه بنفسه . سواء كانت هذه القيم خاطئة أو سليمة . فهو الذي قررها . وهو الذي اختارها . والتزمها . وواجه الناس بعد ذلك بشجاعة . فهو لم يهرب من حريته هي أن يختار . وهو يرحب بالشعور بالبنم ، لأنه يحرره من قيود الأب والأم والأسرة والمائلة والطبقة .

وقد تناول سارتر هذا الموقف في قصة قصيرة له تجد فيها البطل يتهمه الناس بأنه يكره لليهود .. ويواجه الناس بأنه يكره لليهود فعلا ويصمم إلى الحزب الفاشي . ولذلك يتأكد موقفه هي مواجهة الناس ، قاندا وصمه الناس بسبب ، فإنه يرد القوصمة إلى الناس بأن يتمسك بها ، فالناس لا يطيعونه ، وفي استطاعته الشجاعة والتمسك بقيمه ويواجههم . وهو يواجههم باختياره بقيمه أخلاقه .. هذه القيمة تصمم الناس .. ولكنها حريته التي تختارت موقفا ...

ولأن سارتر رجل أخلاق ، أى مفكر أخلاقى ، فهو يرى أن الحرية تؤكد المسؤولية . وأن المسؤولية ليست هندية . وإنما هي اجتماعية أيضا . هالدى يحار ، يحنار نصه ، ويختار لكل الناس أيضا أى أنه يعمل ما يجب أن يعمل كل الناس ..

ومن هنا كانت الحرية أخلاقية أيضا ..

وإذا كان بعض القاصين قد اختاروا شئوهم ، سارتر لا يحبذ الشئو ، ولكن يحدد شجاعة الاختيار ، وشجاعة المسؤولية . وشجاعة المواجهة .. ومرة ثالثة يواجه سارتر موقفا من اليتيم العريب : صديقته سيمون دى بوفوار ..

هى فتاة من أسرة متدنية . لها أب ولها أم ولها طبقة اجتماعية ثرية . وهى مختلفة عنه تماما . وهى فى نفس الوقت محرومة من كل حريات الأيتام والفقراء . وهى مشدودة إلى مثالبات الأب الكاثوليكي ، وإلى أخلاقيات الأم المتدنية . ومربوطة من أنوثتها . وعندها شعور طبقي ..

وسارتر نصه يرى أنه ليس يتما . وإنما يرى أنه لقيط ، وهو لقيط مثالى لأنه ليس بالفعل لهيما . ولكن هذا شعوره ، فهو شئ ..

والفرق بين سارتر وبين جان جيبه . أن سارتر احنار أن يكون لقيط . ما جان جيبه فقد وجد نصه لقيطا . وأصر على أن يعامله الناس كلقيط .

أما سيمون دى بوفوار فقد احنارت هى الأخرى أن تكون ، لقيطة ، وحنقرت كل الأخلاقيات العائلية والطبقية . وعاشت حيثما . وحررت أن سروج سارتر . ولكن بغير وثيقة . وهى لا تحترم أخلاقيات طبقته . ولا مثالبات أمها أو أبيها . أو أهلها أو دينها

فاحقرت هى أيضا أن تكون لقيطة مثالية .

وليس سارتر هو وحده اليتيم أو اللقيط ، وإنما الإنسان كل إنسان والإنسان وحده على هذه الأرض . وعليه أن يكشف بنصه كل ما فى الدنيا من قوانين ومن معادى . لا أحد يساعده . وإنما هو وحده .. وكأنه سقط من كوكب آخر .

والعالم الذى يعيش فيه غريب عا . ونحن غرباء عنه أيضا . والأشياء  
التي حولنا بعيدة . وليس لها معنى . وإنما نحن الذين نعطيها المعنى . ونحن  
الذين نحترق لها الطعم . والوزن . والجمال . والضرورة .

ولأن كل ما هي الدنيا ليس ضروريا ، ولا نحن ضروريون أيضا ، فمن  
الممكن ألا يكون هذا العالم . ومن الممكن ألا نكون نحن أيضا . فمما لا نعرف  
ماذا سيحدث لنا أو لغيرنا . نحن لا نعرف . فالوجود محيف . لا أمان فيه .  
ولا أمان له . بل إن الإنسان يحرص دائما أن الوجود سيمسك به من الخلف .  
وأنه سيجد نفسه موجودا بصورة مباغتة . وهو لذلك يرى أن يواجه الوجود .  
أن يواجه الدنيا . لا أن تواجهه الدنيا .

هذه التحرية للوجود . أو التحرية لنا في مواجهة الوجود قد صورها سارتر  
في أروع صورة في الأدب العالمي في رواية « الفئتان » .

ولا شك أن الوجود الإنساني بهذه الصورة رهيب محيف . تمام كالعالم  
الذى يراه طفل يتيم ويقرر أنه وحده قادر على أن يكون أب وأما وإلها لنفسه ! .  
ولم يطلع سارتر في أن ينخلص من محاور الطفولة .. محاور الغربة هي  
هذا العالم . بل إنه كثيرا ما أحس بأن هناك أشبالا معترة وكثيرا ما سقط على  
فرائشه يلهث خائفا .

وخاضت سيمون دي بوفوار على سارتر أن يصاب بالجنون . ولكن سارتر  
حاول أن ينخلص من هذه المغاوب بأن يخلص على شخص فرائس في  
مسرحية « سجناء أطفال » .. ففي هذه المسرحية نجد أن فرائس هذا يتحول  
محكمة من الأسماك المتوحشة تمتجديه وتعكم عليه بالإعدام ..

ولكن هذه الأسماك لم تحتف بعد من خيال سارتر . فهو م يرال فريسة  
للمخاوب والهموم .. ولكنه - كأى طفل عملاق - قرر أن يواجه طفولته . وأن  
يواجه شعوره بالغربة ، وأن يملاء الدنيا بالمعاني والعلاقات ، وأن يجنحها ..  
ولمست طفولة سارتر إلا بداية للخيوط الذهبية الحريرية الملتصبة أيضا .  
أما كيف تحولت الخيوط بعد ذلك .. وكيف أصبحت ، هذه بقية حياة  
سارتر .. وما كانت حياته إلا كتبه . فقد كانت دنياه كلمات تعيش على  
كلمات ..

هي البدء كانت ، الكلمة .. وفي النهاية تجيء الكلمة أيضا !



**ريلكه : الناي الحزين على الإنسان**

## ربلكم : النأى الحزين على الإنسان

هناك نوع من الشخصيات التى تملأ العقل والقلب وتظل تقرب منك وتستولى عليك حتى ترى من خلالها هذه الدنيا .. إنها تشبه العنسات التى تلصق بالعين .. فتكون هى نفسها العين .. ولكنها كالعنسات المنصقة تلهب العين وتوجعها فلا تجد مفرأ من برعها من فوق العين . هذا الشاعر الألماني ربلكم الذى ولد من مائة سنة وأكثر ( ١٨٧٥ ) هو واحد من هؤلاء الأصدقاء الذين بعثت بهم سموات طويلة . لا أعرف من أين جاء ولا كيف ولا لماذا .. إنه عفریت فخر فى طعامى وفى شرابى وفى دمي وجعل ديدأى سوداء وأمالى مبندة .. وأفتنى الشعور بأن لهذه الدنيا أى طعم وأى معنى . ولم أكن أعرفه .. وإنما فجأة وجئتني أرند إسمه .. وأكرر معانيه .. ولا أدري أن هذا الذى أفعله يرزل بصي ويعصف بعقلي .. ولم أنتبه ذلك إلا بعد وقت طويل ..

كان ذلك فى يوم من الأيام .. وقد تفصل أجد أستاذة كلية الآداب فحلست لى على العشب .. وهذا سلوك عجيب .. فهذا الرجل لم يكن يدرس له .. ولكنها كد معرفه .. إنه د. عبد الهادى أبو ريده أستاذ الفلسفة الإسلامية فى تلك الوقت ومترجم بواحد من أهم كتب الفلسفة .. ترجمه من الألمانية إلى لغة عربية فصيحة . شيء عجيب كيف يستطيع ذلك أى مصرى ؟ وكنا فى تلك الوقت نعانى من ويلات اللغة الألمانية فى دراسها وحفظ قواعدها وفراعيها و ترجمها .. وفجأة وجدنا الرجل بحرج من حقيقته مع المندوبشات نسخة من مجلة « الثقافة » ويعبر لنا مقالاً منشوراً له .. إن هذا المقال هو حلقة فى سلسلة من المقالات بعنوان « رسائل إلى شاعر شاب » وهذه المقالات مترجمة عن

الألمانية ومن تأليف الشاعر الألماني ريدر ماريا ريلكه .. وكانت هذه أول مرة  
أسمع فيها اسم هذا الشاعر . وبعد ذلك سمعت له كثيرا ، واستمعت إليه  
طويلا .. وقد بهرت الفكر نور ريدم بيساطة سنوكه وعصاه عبارته .. ثم  
تركنا وحدنا مع الشاعر ريلكه وحده !

وكانت ندرس لنا اللغة الألمانية في تلك الوقت سيدة سويديه عجور اسمها  
السيدة برج . وكانت تمكن بالقرب من كوبري الجيرة .. ولها سيارة في مثل  
سها .. وكثيرا ما طلبت إلينا أن نعاينها على محرك السيارة . وكنا نعمل  
ذلك .. وكثيرا ما طلبنا ندفع السيارة حتى باب بيتها .

وفي إحدى المرات رأينا زميلة ألمانية كانت تدرس اللغة العربية فزلحت  
تصحك .. وتقول . هذه دبوة .. سوف تكون عظام هذا المصرا لولا هذه  
السيدة المجوز !

ولم أفهم هذه النكته . ولمنوصحتها وعرفت أنها تشير إلى حادثة مشهورة  
في الفكر الأوروبي . فقد حدث أن أحب ثلاثة من العظماء امرأة واحدة في  
وقت واحد . وأصرت هذه الحساء على أن تترك عربية يجرها هؤلاء الثلاثة  
ووافقوا .. والتقطت صورة للثلاثة الجميلة اليهودية ، لو أنتريا سالومي ، وقد  
نعلق في هذه العربة : المالم الكبير فرويد والفيلسوف العظيم نيتشه والشاعر  
الرفيق ريلكه !

وظل الشاعر غريبا من نفسي ومن أهم الدوائر التي أروها في مناسبات  
كثيرة .

وفي يوم ذهبت مع الشاعر عبد الرحمن صدقي إلى سور الانكية ..  
واشترت عشرات الكتب .. ولكن أهم هذه الكتب كتاب بعنوان : غراميات  
ريلكه في مصر .. ولم تكن أعرف أنه جاء إلى هنا .. أو أحب من هنا مصرية  
جميلة بحبة كانت هي أيضا شاعرة .. وهي التي قل فيها : أنت كالوردة ..  
فالوردة عشرات من الأجناس بلا عين ترى .. أنت أجناس لعين التي تراك ،  
وكانت المصرية التي أحببت الشاعر ولحبها اسمها ، نعمت علوى ، ..  
وقرعت بالإكتشاف .. وعشت معه .. وكتبته في مقال نشرته مجلة : آخر  
ساعة ، من عشرين علما ..



ورويبت في نهاية المطاف كيف مات الشاعر ريلكه وكيفية من وردة وحريه  
فصبت ذابلا .. كأش وردة قد وحرب وردة .. أو كان وردة هلت وردة . لقد  
مات بانمر من الحديث .. ولم يبق مريضاً وقفاً طويلاً .. بل إنه لم يكن في صحه  
حيد طوي حياه . إنه عرف من هذه الدنيا اثنين . المرض والمرأة . وكلاهما  
مرض !

شيء غريب جداً وفاة هذا الرجل فقد طلب إلى صاحبه الطبيب الذي يسكنه  
أن يحبره إلى كتاب وردته الحمراء قد تفتحت . فعدت سحابة البيت لمعول له :  
صحت يا سيدي ! وأغمض الشاعر عينيه لموت .. كأنه أراد أن يكون لون  
الوردة واسمها وصداها هو آخر ما يترود به من هذه الدنيا .. وأطبق جفنيه  
ونفثه ونفسه على ما سمع ومات !

وكنيت أهر رأسي مصدقاً وغير مصدق .. ولكن حدث أهدأ أن مرض  
والذي في إحدى عوامات النيل .. وكنت أزره وأحلى دموعي حتى  
لا يراه .. وفي يوم وجدت إخوتي كلهم يسألون عني . إذهب .. إنه يريد  
أن يراك . إنه لا ينام .. إنه يريدك .. وذهبت .. وسألت والدي : هل  
سجعت ؟ هلت : نعم . وهل جاء بربيك الأول في الليمان ؟ هلت : نعم .  
وأغمض عينيه وأنتبه على هذه الكلمات ، وكأنه الشاعر ريلكه .. ومات !  
وتحيرت المعاني في رأسي .. ووجهني العزير عليه .. وأرهفتي أن  
أكون آخر من رأى وآخر من سمع ، وأن يكون بجاحي هو الكس الأنهر الذي  
نعطي به ، واستراح تحته إلى الأبد .. شيء غريب أن يدعى آخر الناس وهو  
بصالحه .. أو يكون عروساً ذهبت يوم رفاها .. وأن يكون بجاحي هو هذه  
العروس التي رافها إلى قلبه .. فكيف أنسى الشاعر ريلكه الذي نظرتني  
حياته .. أو التي أطارد بها .. أو التي ألفت بها عيني ، فلا أجد غيره قريباً  
من همومي !

فما الذي هرس من كلمات الشاعر ريلكه في تلك الأنيم ؟ هو يقول : أن  
تكون وحنك هذه معمة كبرى ، بشرط أن يكون لديك ما يكحك من طعام  
الأحرار !

ويقول : أن تكون وحنك مع جزئك ، هذه معمة أكبر بشرط أن يكون لديك  
ما يكحك من سلاكم العظمة والسمو إلى ما فوق الإنسان ..

ويقول : أن تكون وحدك معناه : أن تطيق عيبك وتقبل مواطنك لتضع بالظلام الهادئ الطاهر . . ولكن من المؤكد أنك لست وحدك . فانه هناك في أعماقك . . وإذا كل الله في داخلك ، فلمت في حاجة إلى مصباح يصيء لك . . بل إنك أنت المصباح الذي يصيء لك ولعيرك !

وهو الذي قال : أن أكون في الجنة وحدي ، أنا إنس في جنين في وقت واحد . . أنا في الجنة وأنا وحدي ! ويقول أيضا : أناس كثيرون يتحدثون عن الله . . كل إنسان يقول : الله . . ولكن ليس هناك أي معنى لما يقول . إنه يقولها وحده ويقولها عند الخوف . . ويقولها عندما يشعر بالنهاية . . وأريد أن أوضح لنصبي ما أقول : لنعرض أن طلعين قد اشترى كل منهما سكينا في يوم واحد ، واحدهما الإبتال اسبوعا . . ثم عادا وهي يد كل منهما السكين . . لا فرق بين السكين في يد هذا أو السكين في يد الآخر . . الفرق الوحيد هو في أي شيء استخدم كل منهما هذا السكين . . وكذلك الله . . كيف يكون الله معنا وهما ولا استخدمه سلاحا لنا ولغيرنا . . إن الإنسان وحده تملأ ، إذا لم يكن مع الله . . وليس وحده تملأ إذا كان الله معه . . وقد استمتعت بهذه الصداقة لمطلات عميقة في حياتي !

وهي هذه الوحدة التي يعيشها الشاعر أو الفنان يكون في حالة حساب أو محاسبة أو بصيرة أو صفاء . . ولكن ما الذي يجده الشاعر أو الفنان أو المفكر .

يرى الشاعر ريلكه أن هناك مشكلة هي : مشكلة الحرز العميق في نفوس الناس . . إن الناس في العصر الحديث أكثر حزما . . ولميل إلى الحرز أيضا . . إنهم يحاولون أن يفرقوا أهلهم في العيادة أو الحمر أو في النمل . . ويحاولون أيضا أن يفرقوا بالقوة . . بالمتف . . إنهم يستغنمون السكين في صحن أفواههم . . وتنضح أفواههم ولكن دماءهم تسيل . . إنهم يحاولون أن يفتحوا قلوبهم بالسكين . . ويفتحونها . . ولكن القلوب تنزف دما . .

والحرز هو نوائم الشعراء . . أو ظلمهم . . أو أنهم ظل للأحزان . . وأن هذا هو قدرهم . . يقول ريلكه : لقد اكتشفت فجأة أنني لست في مكانتي المناسب . . وأن الذي ألقبه في مسرحية الحياة ليس دوري . . ولذلك حاولت أن أراجع للوجه الذي أحمله . . أن أعيد النظر إلى ملامحي . . ولذلك بحثت عن

مر . . . وجدت المرآة . . . ورايت وجهي في المرآة . . . ومسحت لطلاء  
لاحمر والأبيض والاسود ووجدت نفسي فمسحتهما أيضا . . . ورايت وجهي  
حقيقي . . . إن هذا هو أنا . . . ولكني رغم ذلك لم أستطع أن أزيل شيئا مما  
هو أن الإنسان يتألم في أحزانه ، ويتألم في أحزان الآخرين . . . هذه المصالحه  
هي التي لم أفلح في القضاء عليها ، إنها ليست هي طبع الإنسان ، ولكنها  
أصبحت في طبعه أو في طبع الإنسان .

ولم أنس ولن أنسى ما قلته ريلكه عندما مثل وهو على عرش العرش  
بـ كان لديه ما يقوله لاند . . . فقال : لا أحد أقول له . . . فلم أستطع أن أستمع  
بالكلام مع أحد . ولم يستطع أحد أن يدعني أقول . لعله يجد منعة فيما أقول  
بـ الناس يرونك بنصف عين . ويسمعونك بنصف آذن . . . ويفتحون لك ربع  
قلب . . . ويصوبون لك كل العقل لعلك تدخله وتسقط منه إلى غير رحمة !  
ولن أنسى ولا أنسى هذه العبارة : وحدنا ولنا ، وحدنا نموت . . . وحدنا  
وننا وحدنا نعيش ، وحدنا نموت . . . وحدنا نعيش في عذابنا ، وحدنا نطهرها . .  
وحدنا نموت . . . وحدنا نطهرها في نار النعم ، وحدنا نموت . . . وحدنا نموت إذا  
نظرنا إلى أنفسنا في المرآة . فإنا نموت في عيوبنا . عيوبنا نموت وهي  
خطر إلى عيوب . . . عيوبنا نموت في عيوبنا . . . ووجدنا نموت !

وأيام التصق الشاعر الرقيق الحريص بحياتي ، وجدني على مدى خطوات  
من الفسحة ، الوجودية . . . فهو واحد من الإباء الشرعيين للوجودية الألمانية  
والعريسية . . . ولا أقول أن إنساني للوجودية كان بسببه . ولكن هناك أنواعا  
من العذاب النصي والعقلي والاجتماعي ، كلت مؤهلاتي . . . كانت أوراق  
عمادي إلى السلك الوجودي . وإلى تلويح حياتي كلها بألوان قائمة يائسة .  
شائكة . . . وأيامها أحسست أنني المصنوع بهذه العبارة التي قلها الشاعر  
اللاتيني فرجين . من ذلك الذي يمزغ على الشوك . . . من ذلك الذي يدرع  
أوراق الوردية ويتمد على شوكها . . . من ذلك الذي إذا سما نظف على نغنى  
السجوم . وأيامها قلت : بل أنا الذي أُرذى جلد التعبد بالمقوب . . . ولكن  
ما الذي يعذبني ؟ وكنت أجد كل شيء يوحشي : أنا والناس . . . أنا والبعد عن  
الناس . . . وأنا مع الناس . . . ومن القصص الجميلة الأليمة التي اختارها الشاعر  
ريلكه ليصف حياته . . . ثم نظمها في قصائد طويلة جليظة ، أسطورة

أورفيوس . . . إنه احتارها بكل معانيها . فلأورفيوس كان صاحب الناي الجميل . كان إذا يفتح فيه بركت الطيور أعشاشها وسارت وراءه . . تركب الأسماك أنهارها وتزاحمت وراءه . . تركت الوحوش هرائسها ومشت معجوره وراءه . وأحب للجان للسلجرة أوريفيس . . وبروجه . . وراح يعسى لها وحدها . . وصاقت الآلهة بهذا العشق الأبدى . . فأوعزوا إلى حبة أن تلدغها . . ولدغتها . . وانتقلت أوريفيس . . إلى العالم الأرضى . . وذهب أورفيوس إلى العالم الأرضى يبحث عنها .

. . وراح يفتح في الناي فتوقفت كل طواحين العذاب . . حتى النيران انتهت نفسها . وحصب . . وهرع الآلهة يسمعون الناي السحر . . وشامت الآلهة أن تجيبه إلى رغبته . . فأخرجت حبيبته من العالم الآخر . واشترطت أن يمشى هو أمامها . . وألا يخطر وراءه إليها إلا إذا خرج من العالم الأرضى . ولكن أورفيوس نسى . . هضر وراءه مثلها إلى حبيبته ففلاشت . وخرج هو حزينا إلى الدنيا . . وراح يفتح في الناي في الكهوف وكانت الحشرات والزواحف تلتف حوله . . وحاولت بعض النساء أن يفرينه . ولكنه رفض . . فهجمن عليه . . ومرقته . . وقطعن رأسه . . وألقين به في الماء . . وكان الرأس كلما صدمه حجر قل صارخا : أوريفيس : ولا يزال الموج والصخر يحتفظ بهذا الاسم ويردده ليلا ونهارا . ويتساءل الشاعر ريلكه ويقول : ولكن لماذا هذا العذاب ؟ هل لأنه يغشى ؟ هل لأن الناس يجدون لذة في الغناء ؟ هل لأنه المضى الوحيد ؟ هل لأنه أحب روجته ؟ هل لأنها هي أحبها أحبته ؟ هل لأن للعذاب شعبية بين كل الكائنات ؟ يقول ريلكه : لأن الأحرار في الهواء الذى ينصه الجميع . . لأن الإنسان ناي حزين يفتح في ناي أكثر حزنا .

الذى بهزنى فى القاهرة عندما جئت إليها من المنصورة : الشوارع والمكتبات والكتب الرحيصة التى ينبعها قوات الطفلاء ثم سور الأربكة . . وكانت منعنى الكبرى أن أمشى وأمشى وما دام لا هدف هناك ، فكل الشوارع سواء . . ولم أكن أجد متعة فى النظر إلى فريينات المحلات . .

وقد اكتشفت فيما بعد أن محلات شارع قصر النيل تبدل بهذا هائلا فى أن تكون الفريينات مثل محلات باريس . ولذلك يعبرونها كل أسبوع . . وفى

د - نوقت الذى يعمنون فيه الرصيف بالماء والصابون . كان ذلك فى أو حر  
١٠ عينات . وكذا يرى العليات التجميليات بقص باعاده برسد الصابون فى  
محلات هانو وصحتاوى وبراىوى والصالون الاحصر والعليون .. ونصبح هذه  
مربية نعمة فيه فى أعيد الكريسماس ورأس السنة . وكنت أتوقف حيناً  
ولكن بعد ذلك أمضى إلى لا هدف .

ونوف طويلا عند المكتبات . مكتبة الكتاب الفرنسى وهاشيت  
كارموس وصحيت ورنول والنهضة والانجلو . كل يوم على الرغم من انسى  
عرف كل كتاب قد جاء إلى مصر ، ولكنها العادة . أى تكرار المتعة .. متعة  
سطر إلى الكتب وصانعتها .. وكنت هذه المكتبات أيضاً تحير ترتيب الكتب فى  
خسرية كل أسبوع . مع إضافة الصور والورود .. وكما أسرة مترابطة  
جميلة . أقصد أن وباعة الكتب وأصحاب المكتبات .. فحين تصافح كل يوم  
صداها ومباها ويكون السؤال عن الحال والصحة ويكون الكلام عن الكتب  
جديدة وعن الذى نشرته الصحف هذا وفى الخارج .. كل يوم بلا ملل ..  
لا عرف إلا الوجوه وإلا بعض الأسماء .. ولا يهمنى أن كانوا يهودا  
و مسيحيين أو شيعيين أو ملحنين أو متطهرين .. نحن جميعا متفقون .  
و حريصون على أن يكون كذلك .. وفى هذه المكتبات ينفى كبار المثقفين  
مصريين والأجانب .. ويستأنف الكلام والسلام والموضوع : الكتاب فى كل  
مه وفى كل موضوع .

ولكن اعظم اكتشاف كان يعطه تحول فى حياتى الثقافية هو تلك الكتب  
صغيرة : كتب الحب التى نفروها القوات البريطانية فى مصر .. كل الأعمال  
لآسيه العظيمة طبعوها فى أحجام صغيرة ورخيصة الثمن .. كل مسرحيات  
شيكسبير وجيته وموليير وكل شعراء للعالم الذين ترجمت نواويلهم  
إلى مسرحياتهم إلى اللغة الإنجليزية بفروص معنونة .. وقد اشتريت حمولة عربية  
عندو بأربعة جنيهات . إنها للمكتبة الأولى التى ملكتها وأقبلت على قراءتها ..  
وكنت أسهر الليل أكرى الكتب التى تكرر منحت أوراها أو أقوم بملصق صفحتها  
بصمغ .. وفى ذلك الوقت قررت أن أذهب إلى الجامعة سائرا على قدمي من  
مدي . لكنى أوفرت تذكرة الترام لكنى أنشردى كذا .. وكنت تذكرة الترام فى  
سكك الوقت ستة جنيهات . أى بما يساوى كتابا !

وعندما نتمعت في وسط القاهرة اكتشفت شيئا أعظم وأروع : سور حنيمة الأريكة . على السور تباع الكتب للقيمة والماتره أيضا .. فالسور ليس شارع أو رصيفا وإنما هو مكتبه ومعرض ومجتمع ومنعة يومية متغيرة .. هياكل الكتب وأنوار كل يوم بجديد .. ويميزون عرض الكتب .. ثم إنهم أناس منقرون .. وهم يعرفون كل الذين يترددون عليهم من كبار الكتاب والورراء وأسادة الجامعات ..

وعندما رأيت سور مصر السمين في باريس بعد تلك وجنته منظما نظيف .. ولكني أفضل عليه سور الأريكة بما فيه من تلقائية شرقية .. هيمسة .. وأنت تد يدك إلى الكتب وتقلب وتقرأ وتتحدث إلى البائع ويسألك إن كنت تريد كتابا أخرى أو كتابا أرخص ..

ثم يحكي لك : لقد جاء الأستاذ عباس العقاد وكان معه الأستاذ علي أدهم والأستاذ عبد الرحمن صدقي والأستاذ طاهر الجبلاوي .. واشترى كتاب « عبادة البطولة » للكاتب الإنجليزي توماس كارليل .. وجاء نكتور محمد حسين هيكل باشا وسأل عن كتاب في القانون التولي طبعه ١٨٩٣ وقد وعده بذلك .. وجاءت السيدة سيرا ميراوي . وعالم الفيزياء نكتور علي مصطفى مشرفة ..

وفي لحظات تعرف من الذي جاء وماذا قال وماذا أهد وماذا ترك ومعنى يعود .. وكان يطلب إلي أن تعود لنرى هؤلاء الكبار ..

ومن سور الأريكة التفتحت عددا كبيرا من الكتب الرائعة بأسعار زهيدة جدا .. لقد رأيت لأول مرة رواية « دون كيشوته » للأديب الأسباني سرغانتس .. ولأول مرة أرى « نيكاميرون » أو العشائريات للأديب الإيطالي بوكاتشو .. واشتريت « دائرة معارف لاروس » للتدبئة في ٢٢ مجلدا بعشرين جنبا . تصور 11 لأول مرة أقرأ بعض مؤلفات الأديب الفرنسي دي سلك ، الذي نعتت إليه لغة التعذيب الجسمية ( السادية ) . ولم أكن أعرف أنه أديب أو هيلموف .. ولكن كل الذي أعرفه ، ويتكرر معظم الناس ، أنه رجل شاد .. وعلى سور الأريكة وجدت معظم اللبانات القديمة .. في طباعات سهلة رخيصة .. ووجدت الترجمة الإنجليزية للقرآن الكريم وقرأتها كلها لأؤكد لنصي الفارق الهائل بين عظمة القرآن الكريم في لغته العربية وبين أية ترجمة

23

الرسم .. فقد كنت أمضى الليلة بطولها أرسم الشخصيات بالقلم والمسطرة مراعيًا  
النسب لكي أحتفظ بها عندما أنقلها .. ولكن لا أكاد أقدم له هذه اللوحة حتى  
يبدى عدم رضائه عنها .. وفي ظهر الورقة وبسرعه مذهلة يرسم هو اللوحة  
فتكون أنقى وأجمل .. وأنعش لهذه الموهبة التي بمنار بها الأستاذ ، وليس  
لي منها نصيب .. وكنت ألاحظ زملائي أيضا ينظرون مباشرة عن الصورة  
الأصلية بمجرد النظر إليها دون الاستعانة بالمسطرة . إذن - لم تكن عندي  
موهبة الرسم هذه . انتهى . فلم أحاول أن أذكر لو أقدم في الرسم ، وأسلمت  
قلمي وعجزي لله ..

وكان هذا الأستاذ علوى نحيفاً ، كان يصرب الطلبة . وكان يشتم الأب  
والأم ! هل كرهته ، نعم أنا وحدي ؟ أعتقد أن كثيرين كانوا يعتقدونه .

وفي يوم مشهود في مدينة المنصورة ونحن نتمشى على النيل وجننا مظاهرة  
كبيرة مع صيحات وصرخات وصحكات . شيء عجيب حقاً : إنه الأستاذ علوى  
وقد أمسكه إثنان من رجال البوليس . واقترينا بعرف . ونولينا عن عيني  
الرجل . وقالوا : إن المحافظ هو الذي أمر ، بتجريمه . أي فصحته وذلك  
عن طريق استخدام الأجراس التي ندى وتلم حوله الناس . لماذا ؟ لأنهم صيغوا  
في شقته واحدة عارية يرسمها - موديل .. ولم يكن ذلك مألوفاً أو مقبولا في  
الريف . وقد اشتكى جيرانه من أنه يفعل ذلك كل يوم ، مع صحبات وصحكات  
وأناشٍ آخرين .. وكل شيء يدل على أنهم سكارى ..

وطل اسم ، علوى ، ملصقا في خيالي بهذه الفضيحة الجنسية .. فلما وجدت  
اسم السيدة نعت علوى بك على غلاف هذا الكتاب ، كان إهتمامي مضاعفاً ..  
وكانني دون تفكير تصور أن كل ، علوى ، لابد أن تكون له فضيحة  
جنسية .. وأن هذا الكتاب سوف يروي قصة معالحة ولكن على أرفع المستويات  
الأدبية .. وظننت أقرأ الكتاب في طريق عودتي إلى البيت .. ولكن كل صحفات  
الكتاب تطالبني بالقبول هورا عن توقع فضيحة .. وإنما أنا أمام قصة عاطفية  
كالتى امتلأت بها كتب الأنبياء العالمى .. قصة حب بين شاعر كبير وفاتة  
جميلة .. ثم إن هذه الفتاة من مصر .. كيف ؟

ومن ثلاثين عاما كتبت هذه القصة في مجلة ، آخر ساعة ، ونشرت صورة



الفئة الجميلة لأول مره . وتلقت خطابات من أقاربها يستكروى ذلك .  
ويعصهم يهند بلقفل فى الخطابات وتليفونيا

وتصادف عندها فرغت من كتابة هذا المقال أن إكتشفت أن للصديق الأديب  
صلاح دهس ، وكيل دار الأوبرا ، هو الآخر مريض . وأن مرضه نص  
مرض الشاعر ريلكه . وطلبت تأجيل نشر المقال ، حتى يساهم الأستاذ صلاح  
دهس إلى نشر للعلاج . فقد حشيت أن يعرأ المقال ويرجع . وتأجل نشر المقال  
أسبوعا . ولكن صلاح دهس أجل سفره أسبوعين . وصدر المقال وفراه صلاح  
دهس . وقابلته ليلا فى كازينو بتبعة . مكان هنى شيرلتون القاهرة . وهوجنت  
بأنه قرأ المقال ، وأترك أنه هو أيضا سوف يموت مثل الشاعر ريلكه  
( ١٨٧٥ . ١٩٢٦ ) . أى بمرطان الدم وأخرنى تلك تماما ..

ثم وجدنى ألتقى بالمرحوم صلاح دهس كل ليلة ، كائنى أعذر له ..  
أو أحاول التخفيف عنه .

هذا الشاعر ولد فى براغ عاصمة تشكوسلوفاكيا وأبوه صابط جيش  
فاشل .. فلبس فى حياته قصة واحدة من الممكن أن يروبوها لأحد .. فقد ذهب  
إلى الحرب وعاد كانه لم يفعل شيئا . وأكمل إسه الكلية العسكرية لعله يصلح  
ما أمسه أبوه . ولكن الإبن ليس لديه أى استعداد لأن يكون جنيا . ولا أن  
يذهب إلى الميدان . وإنما عنده استعداد لأن يتأمل وأن يتألم وأن يتكلم .. أن  
يحكى وأن يسم طول اليوم تحت أية شجرة نون طعام أو شراب فهو ذلك النوع  
البلبد من الناس .. ثم أنحله أبوه مدرسة تجارية ، فكان هنله أعظم ..

ولكن عم الشاعر قد لمس فى ريلكه ميلا إلى الأدب واللغة فساعدته على  
ذلك . وطلب إليه أن يعرض عليه ما يكتبه . وعرض عليه بعض قصائده .  
فأعجب بها . وشجعه على أن يسم فى القراءة والكتابة . وعرف الشاعر أنه  
أن يكون غنيا . وعليه أن يمتد لك . فهو رجل غير نظيف . وأن كل ثروته  
هى معلومانه . وأن سلاحه هو كلمته . وأنه إذا لم يتفوق فى صناعة الكلام  
سوف يموت جوعا ، وإذا مات سوف تشيعه الكلاب . هكذا قل لنفسه ..

ويتخذ على الفور قرارا أن يكون صعلوكا نظيفا . وأن يتصى بعمق أفكاره  
وأحلامه أيضا ..

وكانت نقطة تحول في حياته أن يهاجر إلى روسيا . وهي روسيا التي بالمدينة « لور سلاوس » ( ١٨٦٧ - ١٩٣٧ ) وكانت محبة للأدب والفلسفة . جميلة نكهة . وقبل ذلك كانت معشوقة العنكبوت الألماني ببشره .. لقد أحبها رغم أنها يهودية ، وهو بكرة لليهود .. ثم أحبها بعد ذلك العالم الكبير فرويد .. ولذلك سخر النقاد من هذه العلاقة من امرأة واحدة وثلاثة من عباقرة زمانها .. فكانوا يرمونها بتركب عربيه وفي يدها كريات ، وهذه العربيه يجرها ثلاثة خيول ناهرة : ببشره وفرويد وريلكه !

وقد شجعت « لور » هذا الشاعر الكبير على أن يظل شاعرا .. ساعته مائتاً وطلبت إلى أصدقاء لها في باريس أن ينشروا أدبه وأن يحققوا موهبته العظيمة . أحبها وعرض عليها أن تفصل عن زوجها . ولكنها اعتكرت بعد أن مدنت سابقها الجميلتين ودرأهيهما في نار هذا الشاعر .. نار الشوق ووهج الإبداع وجهنم المحرمان . فقد كانت هذه هوايتها ومنعتها أيضاً . كل السماء قد وكلت إليها أن تعذب العباقرة وأن تنقصهم وحناء عن هذه العظمة !

وهي روسيا التي التقى الشاعر ريلكه بالأديب العظيم تولستوى . والتقى بالرسم اليهودي الكبير ليونيد باسترنالك وهو أبو الأديب الكبير بوريس ليونيد باسترنالك الذي حصل على جائزة نوبل في الأدب عن كتابه « دكتور جيفاجو » الذي منعته الرقابة المسيحية لأنه يهاجم الثورة السوفييتية ..

وقد ظهر هذا العلم على الشاشة وقام بطولته عمر الشريف مع الممثلة جولي كريستى .. وهذا العلم ظل مذبوحاً في مصر ، طول حكم الرئيس جمال عبد الناصر . مجلة للروس !

وقد تأثر الشاعر ريلكه بالحياة في روسيا . وبهره إتساع البلاد . وسهامته كل شيء .. ووجد في ذلك تفسيراً للثقافة بالفض عند الروس . والإيمان الديني العميق أيضاً . حتى الماركسية وحناء في روسيا لها مذاق ديني ، فكلمهم في روسيا متعصبون ! للمؤمنين والملحنين على سواء . وأصدر ريلكه كتابه الشهير « كتاب المساعات » . ومن يقرأ الكتاب يخيل إليه أنه يقلم راهب مؤمن بكل شيء وراقد في كل شيء وهذا هو رأي الشاعر ريلكه في الفن : إنه دين .. إنه إيمان بالحقيقة والحذل والحرية والغير .. ومن أجل كل ذلك يجب أن يعيش الناس . وأن يموت أيضاً . وقد أعجبه تولستوى العظيم الذي هو كل سافسات روسيا : السياسية والدينية والإقليمية والعقبة أيضاً !

ولما رجع إلى ألمانيا عاش في إحدى القرى النائية بالقرب من ميناء بريمن .  
 ففي هذه القرية كانت حياته شيعية .. لا بملك شيئا ، ولا من الضروري .  
 ولكن يجد كل ما يزيد من الطعام والشراب والحرية وأهم من كل ذلك أنه يجد  
 ناسا متفهمين يتحدثون معا .. ومن أعظم نعم الحياة أن يجلس الناس معا يفكرون  
 معا ومن هذا الحوار تتولد كل المعاني ، ويتلاقى الومضات الإبداعية عند  
 الجميع ..

ومزوج وكلاهما ، التي تعمل في النحت وكان يحمد الدين يعلمون من  
 النحت .. فهم فانون على تجسيد المعاني . على إيرادها .. على أن يفهموا  
 من المعاني بوصفها كل البشر . فقد تركها الناس جميعا ، من كل نوع  
 وكل لغة في نفس اللحظة ، دون حاجة إلى ترجمة .. النحت والموسيقى أكثر  
 الفنون شمولاً .. وأكثرها بلوغا لوجدان الإنسان وبلاغته أيضا . وكان مصفى  
 الصاعات ينفج على أصابع روجنه وهي بسوى اللطيف والحجارة مصى  
 حميلا .. وينصى لو أوتى شيئا من ذلك !

وأصدر الزواج عن نضال كبير : إبنه الوحيد ! ووجد في هذه الإبنة أكبر  
 دليل على أن نجاح الزواج يتأكد في الأولاد .. أما المعاشنة والعوار فكلاهما  
 مستقبلية واليوم حب وغدا حرب .. ولكن الشيء المؤكد الناجح بين الزوجين هو  
 أن يكون لهما أولاد .. فالمطل معناه أنه من لحظة سعادة واحدة كان هذا الإبداع  
 العظيم .. إنها لحظة صدق بين زوجين ، أما الباقي فقد تكفلت به حكمة الله  
 وقوانينه الأزلية !

وقد ترك الشاعر لابنه التي قررت أن تعيش مع أمها هذه الرسالة : إن  
 أردت الوصوح والتمتع القصور فكومي مثل أمك . وإن أردت الخلود فأبوك ..  
 وإن أردت الثراء فليكن لك روح أمير ، وجمالك هو ثروتك ، ونكاؤك هو نجاك ،  
 وأبوك مجدك .. إيمتي إنما لم تعرف بالضغط مصى للكثير في هذه الحياة ..  
 لا نسمى أن أحدا لم يسلنا إلى كنا نريد أن نبش .. ولا أحد عرس عليها  
 المواهب ، فأحنا الشعر ولم نحفر صياغة الذهب .. إنه قدرى وفدرك أيضا ..  
 لا إنا وجنت معنى أخرى غير التي عاش بها ومات عليها أبوك !  
 وعاش في باريس طويلا . عمل أول الأمر مسكوتيرا للصالات الكبيرة  
 رودان .. أراد أن يكون قريبا من صناعي الوضوح البلور ، يتأمل اللعان

الكبير . ولكنه صلق باللعان ، وصلى به الفان أيضا .. إنها متشابهان ، ولذلك كان التناهر والسخط عاجلا ، واستضافه أحد الأمراء في سويسرا وبرزل عدة مريضا وطال مرضه . وتعلق عليه الأطباء والشعراء والأنباء والرسامون من كل أوروبا . وأيقوا أنه لا أمل . وفي ذلك الوقت صدرت طبعة جديدة من رسائله إلى مائته بريجه . وجلست ميدة مصرية طويلة عريضة شقراء عميلة العبيد في أحد مقاهي مدينة مونترو مع صديق لها هو جورج قطاوى باشا . وأخذت تحدثه عن هذا الكتاب الذى أعجبها . وراحت تستعرض الأفكار البديعة التى قرأتها فى هذا الكتاب .

وسألها جورج قطاوى : ولا تعرفين المؤلف ؟

قلت : لا ..

قال : انظرى ورايك .. إنه هذا النحيف الشاحب .. ذو الشارب المنثلى كأنه من أبناء المقول .

ونظرت إليه ولمعت عينها وظهرت للفرحة على وجهها ، عرضى به .. فريد أن أتحدث إليه قورا ..

إنها السيدة نعمت علوى بك زوجة عزيز علوى بك .. وكان زوجها هو الآخر مريضا فى سويسرا . وكانت تراه فى تنقلاته من عيادة إلى أخرى ومن مستشفى إلى مصحة .. إنه للرجل الثنى فى حياته .. أما الأول فقد أرغمها أهلها على أن تتزوجه دون أن تراه ، وكان موطلا فى المراسم الملكية . فرفضت فأنصفت المخطوبة . و زوجها هذا أيضا لم تره إلا يوم الزفاف . ولكنها رأته مرة . ولم تكد تمضى شهر على الزواج حتى مرض ومات .. وأصابها نهن المرض المعدى ، وماتت به أيضا !

وهى من أصل شركسى وأبوها أحمد خيرى باشا .. فتعلمت اللغات الفرنسية والألمانية والتركية والعربية أيضا . وكانت تتكلمها بطلاقة نامة .. وقد ماتت أمها فى سن مبكرة ..

وتعلمت أسرتها بنزيتها وتعليمها . وكانت تعيش معظم الصيف فى جزيرة رومس ، حيث يملك كثير من الأتراك قصورا وحدائق . ولما مات أبوها ، لم تعلم إلا بعد سنوات . فقد اشتعلت الحرب العالمية الأولى وهى فى جزيرة رومس .

و أربطت بالشاعر الألماني ريلكه ، كلنته تزوره كل يوم تسبعا الورود  
 وحيى من بعدها .. وكنت تكتب له ويكتب لها .. هل أحببت الشاعر ؟ هل  
 أحبها ؟ من المؤكد أن الحب كان عبقا . ولكن الشاعر كان في أيامه الأخيرة ..  
 وهي أيضا كانت في الأيام الأخيرة مع زوجها عزيز علوى بك .. كنت هي  
 تشمل أصابع الشاعر الطويلة الناعمة ، وكان هو يمسح عينيها الجميلتين ..  
 قال هي عينيها : لا غلبت الدنيا ولا جيلها للجندية ولا هجومها ولا حكمة  
 الإغريق ولا سحر الشرق يداني ومضة ولعدة من عبيدك .. خسارة كبرى أن  
 أموت وأترك هذا الكثر الأبدى !

وتم الطلاق بين نعمت علوى وزوجها وقررت أن تعيش في باريس . وهناك  
 تروجت من الأمير بيكولا مقشوسكى . وبعد الزواج بوقت قليل نشبت الحرب  
 العالمية الثانية فذهب إلى الجبهة . ونامها المرس في باريس . مع الوحدة  
 وبرودة الجو . وكانت إصابته الأولى بالالتهاب الرئوى والسل وأمرأى أخرى  
 وسقطت بين المستشفيات . وتوفيت في ٤ أغسطس سنة ١٩٤٣ ودفنت في مقابر  
 آل مقشوسكى .

وكانت نعمت علوى قد أعجبت بالممثلة الكبيرة جريتا جاريو . وحاولت أن  
 تكون ممثلة . فوجهها الجميل يصلح . ولكن جسمها طويل عريض لا يصلح  
 للنشأة . وقد ظهرت تقاتق في بعض الأفلام . ولكن لم نستطع أن تكون ممثلا  
 سينمائيا ..

وهي على فراش الموت تشغلت بقراءة عشرين خطبا بحث بها الشاعر  
 ريلكه .. وقبل أن يموت سلمها خطاباتها إليه . كرما وبلا ، مع تعليق على  
 كل خطاب ، على نفس الخطاب .

حاولت نعمت علوى أن تكتب المسرحية .. فكتبت مشروع مسرحية من  
 فصل واحد . وهي مسرحية واقعية جدا .. أى بينها وبينه . وأرسلتها إليه .  
 وأنا أنقل هنا بعض الفصل الأول الذى لم يكتمل :

- هو : أعرب من الذى هيا لنا هذه الظروف .. أنا فى حاجة إليك .. وأنت  
 أيضا .. أنا فى حاجة إلى قلبك .. وإذا لم يمسح قلبك عوضتى عيناك .. وإذا  
 أغرقت الدموع عيناك ، فمسة من أصابعك تشيع الحياة والعافية فى كل  
 شىء .. وإذا لم تدركى أصابعك للفتنة فأنفاسك من عبير الجنة .. لقد حدثت

الجنة في هذه الدنيا ، قيل أن أنخلها في الآخرة .. إننى على يقين من أنى  
سوف أنخلها .. لأننى يا سيدى سوف أكون ظلك في الدنيا والآخرة ولا يمكن  
أن يكون الله قد أبدع صورتك ليحشرها في نار جهنم .. صدقي ١

هى : بل أنت يا سيدى نعمتى المؤجلة .. لم يشأ الله أن ينجح زواجى  
الأول .. ولو نجح ما جئت إلى سويسرا .. فقد كان رجلى الأول فى كامل  
الصحة ولا يحب السفر .. كان يؤمن بأنه إذا ترك مصر ، فلن يعود ، فهو  
بحرسها مقيم .. بل لو أغضى عينه فانه بمصرعة يفتحها حتى لا تخفى مصر  
من عينه أو عن عينه لحظة واحدة .. ولكن شاء القدر أن أتزوج رجلا مريضا  
أجلس جواره لكى أكون إلى جوارك أيضا .. ولكنى صد رأيتك يا سيدى  
وأنا إلى جوارك .. بل أنت إلى جوارك .. بل أنت هنا .. فلم تعد لكلمة الجوار  
معنى .. فلذى إلى جوارى هو للخارج عسى .. البعيد عسى .. ولكن أين أنت  
يا سيدى .. إننى أنت .. معا فى جلد واحد .. كما يتجاور القلب والمعدة بل  
كما تتشابه القرنتان فى الصدر الواحد .. نقول الجنة والنار ؟ .. لا جنة  
ولا نار .. لأن الجنة بعد الموت والنار أيضا .. ولكن بك ومعك لا موت ..  
فلا جنة ولا نار .. وإنما الحياة معا على الأرض وتحنها .. حياة بلا نهاية

ولو جاعتى الملائكة وحاسبتنى فسوف أعترف بخطيئتى أنى أحببتك متأخرة  
جدا . حتى هذه الحقيقة ليست خطيئة .. إذ كيف أعرف مستقبلى .. إذ كيف  
أندى مصيرى .. لو كنت عرفت ، لو كنت نريت ، لو كنت إهدى آلهات  
الإغريق ، لارتبطت بك من الأزل إلى الأبد .. تقول إننى لمسة الحياة وعبير  
الجنة .. أنت لا ندري ماذا أقول عنك يا سيدى إننى أراك فلا أنتفى  
يا سيدى .. إن الوجود معك حياة .. إننى أراك فلا أنتفى يا سيدى .. إننى  
الخلود .. إن كل شيء معك قد انتقل إلى .. حتى مرضك .. ما أسعدنى بمنزل  
هذه النهاية .. إننى أنسى أن أموت بمعك بلحظة واحدة .. لكى تكون آخر  
ما أرى في هذه الدنيا .. إننى لا أنمى لك طول العمر .. فتطول العمر وقصر  
العمر لا تخفى شيئا .. وإنما أنسى أن أكون معك .. أو أن أكون أنت أطول  
وقت ممكن .. ولكن من يعرف الحب لا يعرف الزمن .. من يعرف العشق  
لا يعرف إلا الأبدية .. إن الذى أنسى به ليس سعادة .. فالمسعادة كلمة  
صغيرة .. والنعمة كلمة أصغر .. ولكن هذا الذى أنت ، أو هذا الذى أنا ،

.. هـ اندي أنا .. أنت .. أو أنت .. أنا هو البركة .. إنها بركة الله قد حلت بها ..  
.. سيدى ..

هو : ماذا لو أعطيتنى يدك ..

هى : إليك .. يدى ..

هو : هل تسمحين لى أن أقبلك ..

هى : شرف يا سيدى !

هو : هل أضمن شعرك ؟

هى : سحر يا سيدى ..

هو : وطرف ثوبك ..

هى : أتمنى أن أموت ..

الآن يا سيدى .. فليس بعد ذلك شرف ولا معادة ولا بهجة ولا بركة !

هو : بل هناك يا سيدتى ..

هى : لا شيء بعد ذلك ..

هو : بل هناك .. اقتربي دعينى أشم أنفاسك .. دعينى أتنص بك .. وبمعها  
موت ! ( وتدخل للممرضة ومعها الدواء ) ..

الممرضة : الدواء يا سيدتى ..

هو : ولكنى شفيت ..

الممرضة : الحمد لله .. هذا هو أملنا يا سيدى للعظيم ..

هو : حقا شفيت ..

الممرضة : بلا دواء ؟

هو : الدواء والطبيب من مكان آخر ..

الممرضة : كيف يا سيدتى ؟

هى : كما قال لك السيد .. بل أنا أيضا تعطلت نفس الدواء .. إنه النقص  
الطبيب .. هل أطلع هـ أن تصحبوا لى مريضا هـ هذه العرفة ..

الممرضة : لا أفهم يا سيدتى .. لا أفهم .. سوف أتى بالطبيب

وتخرج للممرضة .. وقد تركت الدواء ..

هي : ( تطفى الدواء تحت المخدة ) .

هو : ( يسحب يدها ويقبها ) .

هي : ( تتحنى عليه وتقبل جبينه ) .

هو : ( يضع يده على عيني المغمضتين ) .

هي : ( تضع رأسها على صدره ) .

( يدخل الطبيب والممرضة ) .

الطبيب : يهر رأسه ويبدو الارتياح على وجهه إن كان هذا هو الدواء .. أو  
كان أحكما الطبيب لو أننا معا ، فلا دواء بعد ذلك .. ولا شعاع إلا هذا ..

الممرضة : لا أفهم .. حتى الدواء اخفضي .. أين الدواء .. إن هذا واجبى ..  
ولنا لريد أن نؤدى واجبى .. إننى أفعل ذلك من ثلاثين عاما .. إن هذه نقطة  
سوداء فى حياتى ..

الطبيب وقد وضع يده على كتفى الممرضة ويسحبها إلى الخارج .

عندها يتنقل الشاعر فى فراشه وتجلس هى إلى جواره ويضع رأسه على  
صدرها .. وتلف ذراعها حوله .. وتفتح الباب وتدخل سمكة بلادة منعشة ..  
ومعها فراشة صغيرة جميلة الألوان تدور حولهما ) .

وفى العام الماضى ظهرت دراسة عن سيدات عربيات فى حياة الشعراء  
الألملى الكتاب فى ٣٥٠ صفحة بعنوان « ساحرات الشرق فى أدبنا » . المؤلف  
أنيبة إسمها مرجريت جراف ( سن ٣٢ سنة ) . والكتاب مطبوع فى كندا .  
وفى هذا الكتاب قصص عن سبع عربيات ، ثلاث من لبنان وواحدة من سوريا  
وثلاث من المغرب وواحدة من تونس .. والسيدة نعمت علوى .

نقول للمؤلفة : إن العصفاء المصرية كانت أحق أثرا . والشاعر الألملى  
ربلكنه كان يعنى أن يموت فى سن صغيرة ككل الرومانسيين الشعراء ، ولكنه  
نم على أن السماء لم تهبه عمر التمسور عندما عرف نعمت علوى .

وتقول : إن الشاعر ريلكنه قد اعترف لأحد أصدقائه وهو على فراش الموت  
أن أكثر أفكاره كانت مشوهة من نعمت علوى .. وأنها أتمكت قلمه وبه



، كتبت عبارات من عندها .. وأتته لو طال عمره لنذكر لها هذا الفصل .. ولكن كل فصل يهون أمام هضبتها .. ووجودها ..

ويقول ريلكه : يا شعما لا أقوى على النظر إليها .. يا محيطا من التضمانيات لا أقدر أن أشر به .. يا عاصفة من العطر تكبر من صدرى الصيق ، يا شبابا أمل شبابى يا ثوبا على محصية .. لقد عصيت الآلهة عندما كفرت بالنعمة ، فجنحت نعمة النعم تكديبا فاصمعا لكل معتدلى .. يا آخر ما أبدعت السماء ، وأنسى درجات الكمال عندها !

ونشرت المزملة الأنمية عبارات كان قد كتبها على باقات للورد التى بحث بها إلى سمعت علوى مثلا : إلى جنة الله هذه للزهور من صديقى .. إلى جبل الماس هذه للقطع الزجاجية الملونة ومع أصدق الحب !

ويقول أيضا : زهورى قد خارت من رهورك ، صبيقتى ترى جمالك وتستقر عند قدميك !

ويقول : إلى سمائك هذه التقيات من أرسى !

ثم يقول : ما لم أستطع أن أقوله كلاما ، أحاول أن أنظمه وردا .. يا وردة الجمال فى مفرق الصحرا !

ويقول : سجنى .. أليس هذه الورد بعينيك .. أما أصابعك هى سلكى الدور إلى حباتى !

ثم نشرت عبارات كانت قد كتبها نعمت علوى إلى الشاعر رينر ماريا ريلكه قبل وفاته بأيام : إليك هذه العبارات الرقيقة هذه الورد تمنى أمام عظمة البلاغة وموسيقى السماء ..

وكان من عندها ألا تبعت إليه وردا . وإنما كانت تحملها إليه .. أما كيف مات الشاعر ريلكه يقول الأطباء أن شوكة من هذه الورد التى ضمتها للعانة المصرية قد وحرته وبذنت هى لحمة وأسالت نمة .. ومن هذه الوهرة نحل الميكروب ومن ورثه الموت ..

وتقول الأنبياء الأنمية ما لم تكن بحرف ..

هى التى طلبت إلى الشاعر أن يسيل نهما وأن يسيل نمة .. وأن يتسلل بها إلى نمة .. ونمة إلى نمة وهى وحدة الدم ، وحدة القوت أيضا !



رجل عظيم من أسوان

## رجل عظيم من أحوال

الأستاذ العقاد مشكلة للتقاد والمؤرخين . . لأنه لابد أن يختاروا له صفة واحدة يصنعونها بعد اسمه أو عوفانا لأي كتاب أو تقويم لحياته وأعماله الأدبية والفلسفية والشعرية التي بلغت التسمين كتابا . فهل هو شاعر ؟ مؤرخ ؟ مصر ؟ ناقد ؟ هلمسوف ؟ مفكر ؟ ميلسي ؟

لابد أن يختار المؤرخون له صفة واحدة . . وهذه الصفة هي المفتاح الصغير الذي يمسكه القارئ في يده ويفتح به كل أبواب قلعة العقاد . . مفتاح واحد فقط كالذي يجده في الفنادق فعندما يصبح مفتاح صغير في أي فندق فلن العندق بسرعة يبحث له بمن يفتح له الغرفة ولبة غرفة . . هذا المفتاح المفتاح الرئيسي ، أو ، المفتاح السود .

والمؤرخ أو الناقد يجب أن يعطى للقارئ المفتاح الرئيسي لعقيدة العقاد . .

والمفتاح الواحد أسهل من مجموعة مفاتيح تنوع القارئ أو تنصبه ، والناقد لا يريد أن ينصب نفسه ، ولا أن ينصب القارئ معه . .

فإذا قال أن العقاد شاعر ، لمسى تلك أنه شاعر معظم الوقت . ويكتب النثر بعض الوقت . ولكن القارئ بفاجأ عندما يجد أن أكثر كتب العقاد من النثر . . وإذا قال المؤرخون أن العقاد يهتم بالنقد الأدبي وأنه ناقد ، كانت مفاجأة أن يجده قد ألف عددا من قصص حياة محمد وعمر وأبو بكر وعثمان وعلي والصحيح . . فهو كاتب الترجمات الأول في الأدب العربي . .

وهو في نفس الوقت صاحب قدرة على التحليل النفسي والمنطقي الواقعي . . وهو باحث في اللغة وفي الشريعة .

وهو كل هذه الصفات معا : شاعر ناقد مؤرخ مصدر منطسق ومفكر  
مبلمى . .

ولكن القارىء يريد أن يعرف ما هي صفته . . ما هي الصفة العالقة عليه  
لكى يسهل فهم العقاد . .

إن العقاد عقلية موسوعة . .

فهو قد قرأ في أشياء كثيرة وكتب عنها . وهو قرأ الكثير لأنه قارىء  
يعاود أن يفهم . لو هو مفكر يريد أن يبحث عن أشياء كثيرة في هذه الدنيا .  
وهو يحمل في يده مصباحا قويا بوجهه في كل الاتجاهات . لأن الحقيقة الكبرى  
ليست في مكان واحد . إنها في كل مكان . . وعنده قلق عقلي ورغبة في  
المعرفة ، وقدرة على الفهم تجعله قادرا على المحاولة والفهم والتعبير بعد  
ذلك . .

ولكن الناس يسألون : ولكن ما هو الشيء الذي تخصص فيه العقاد ؟

ويكون الجواب : أنه تخصص في الفكر . .

ويقال لك : هل هو مفكر

— نعم

— مفكر في أي شيء ؟

— مفكر في أي شيء !

— مثل ماذا ؟

— مثل الإنسان ونفسية الإنسان وعلاقته بالإنسان . . وعلاقته بربه . .

أو الإنسان في كل ظروفه النفسية والاجتماعية والجسدية . . وليس سهلا أن  
يجعل المفكر فضيحة للكبرى هي : الإنسان ! أنسى اجترم جدا ما قاله الفيلسوف  
الوجودي سارتر بعد أن فرغ من أربعين كتابا من روائع الفلسفة والأدب . .  
وسئل يوما : يا لصبيط ما هي القضية التي تشغلك ؟ تصور أن هذا يقال لرجل  
أنى بجديد في الفلسفة الوجودية . . وكان رد سارتر : أنى مشغول بطبيعة  
الإنسان ؟

— أننا نقرأ أن فلانا روائي . . وفلانا قصصي ، وفلانا شاعر . . وفلانا

ناقد . . وهذا مؤرخ وهذا طبيب وهذا عالم فلك .

— معك حق . . ففي حياتنا الأدبية أناس دخلوا الأدب وأقاموا فيه وعاشوا

في طر محد عجيب لأنهم ألفوا كتابا واحدا . . . أو كتابين . . . وهي إمكانية أن  
حذر من مؤلفات العقاد كتابين في الشعر ونقول : شاعر . . . وهي النقد ونقول :  
عظيم . . . وفي الدراسات الدينية ونقول : مفكر ديني .

ولو احترت من كل مؤلفات العقاد عشرة كتب ، فهذا الكتب نكبه جدا  
كأن هذا عظيم وشاعرا عظيما ومؤرخا . . . ولكن مشكلة العقاد هي : أنه  
جر عسى جدا بأفكاره . . . ما الذي تأخذ منها ، وما الذي تترك . . . إن العقاد  
سيدة عندما عثرت للحوادث الملمية والأفراط والعقود والأساور  
الساعات والديبجيس كلها وصفت في مكان واحد . . . وهي جميعا نهر العذب  
ونقي صباه ما بمصها على بعض . . . ولو كان العقاد يملك حاتما واحدا لهذا  
لحسم باهرا . . . ولكنه يملك الكثير جدا . هذا الذي يفعله النقاد والمؤرخون .  
بهم يحارون ويحيرون الغراء معهم . . . ولكن من المؤكد أن المفكر أو الفنان  
لا تشغله كثيرا الصفة التي سوف يطلقها الناس عليه . . . وإنما هو مشغول بالذي  
في راسه بالذي يلققه ويحيره . . . إنه يريد أن يعرف وأن يفهم وأن يعبر بعد  
ذلك . . . هذا هو الذي يشغله دائما . . .

فالعقاد مشكلة للنقاد والمؤرخين . . .

ولكن الحقيقة أنه رجل واسع الأفق عميق المعاني . . . وفي استطلاعتك أن  
يطلق عليه أي اسم . . . فهو كل هذه الأسماء التي تارت في رأسك . . . فلا  
يحدث مطلق أن يجرى للكتاب ويقول : أنا نافذ . . . فلا أكتب إلا عن النقد . . .  
أو أنا مؤرخ لا أكتب إلا في التاريخ . . . فهناك أعمال تقنية هي أدب ربيع ،  
والأديب لا يمكن إلا أن يكون نافذا ، والمؤرخ أديب . . . والأديب تاريخ . . .  
ولكن الذي يحدث هو أن الكتاب له قضية تشغله وتلج عليه . . . ويحاول أن  
يهتدي إلى شيء . . . فإذا اهتدى إليه ، أهداه إلى القارئ . . . واستراح بعض الوقت  
ليبدأ الطريق من جديد ، أو يبدأ طريقا من جديد . . . فكل بداية هي ملقن  
أو معزق طرق . . . وبهذا يتجه الأديب أو المفكر أو الناقد إلى مجالات أخرى  
أوسع وأكثر تنوعا ؟

فعندما فرغ العقاد من كتاب عقيرة محمد وخرج من عقيرة المسيح وفرغ  
من كتاب إبليس ، قال : لقد جريت قدرتي العقلية في دراسة هذه الشخصيات  
العجبية . ولا بد أن أعرف حدود قدرتي العقلية . . . سوف أكتب عن الله !

وألف كتابه عن « الله » . وهو دراسة في مفهوم الألوهية عند كثير من الفلاسفة . وانتهى العقاد إلى نظريته خاصة في معنى « الألوهية » هي أن هناك « وعيا كونيا » . هذا الوعي الكوني الإلهي يلهمه الناس ويستشعروه على أشكال مختلفة . . إن كل إنسان أو كل شعب يحس بهذا « الوعي الكوني » أو بعبارة أسهل : هي هذه الغرفة أو هذا المكان الذي أنت فيه تتجمع كل إداعات العالم . وكل جهاز راديو قادر على أن يلتقط المحطات المختلفة . الراديو الصغير يلتقط المحطات المحلية . الراديو الأكبر والأقوى يلتقط الإذاعات الأجنبية البعيدة . . وهناك المراسد يستطيع أن تلتقط الموجات المغناطيسية الكهربائية الموجودة بين الكواكب التي تبعد عما ملايين الميلى الصوئية . . أى أن هناك إذاعات في كل مكان . . وكل جهاز يلتقط ما يفتر عليه . . وهذه تشبيه فقط ولكنه ليس دقيقا جدا . فهذا الوعي الكوني الذي هو قوايس الأشياء وقواعدها وحكمها والقدرة على إيقانها وتنظيمها وتحريكها هو : الله . . وكل الأفراد والشعوب هي كل المصور ، يدرك ذلك بأشكال مختلفة !

فالعقاد يحاول أن يعرف قدره وحدوده أو كيف يستطيع عقله تغطي الحدود الحسية والمعنوية لعنه يدرك الحقيقة وراء الأشياء . . وكانت للعقاد طريقة هي أنه يبحث عن « المفتاح » الذي يعالج به الأبواب المغلقة . أو الشخصيات العاصضة . . إنه يقرأ ويقلب لها حتى يعرف مدخلها . فإذا عرف ذلك وجنته يتحدث عن كل شيء بسهولة وبمنتهى الوضوح .

شيء عجيب يواجهك وأنت تقرأ كتابه « خلاصة اليومية » وهو أول كتب للعقاد . وهذا الكتاب يصم مجموعة من الآراء والحكم . وهذه المعلومات المكثفة أو الحقائق المقبلورة تدل على أن العقاد قد أترك أشياء كثيرة بوضوح . وهذا الوضوح جاء مبكرا جدا . وكان للعقاد يعجز ويسعد عندما يقال له : أن هذا ما اعتديت إليه يا أسند من أربعين أو من خمسين عاما . وأنت عرفت هذه الحقيقة وأنت شاب !

وكان يقول . الحمد لله على ذلك . فقد رأيت هذا المعنى وأنا ما أزال شابا صغيرا . فلما كبرت رأيت أنه أوضح . ولكنه هو !

حتى شعر العقاد في هذه السن المبكرة كان نوعاً من الحكمة التي لا يبلغها  
الناس إلا في سن متأخرة . فهو القائل في هذه السن الصغيرة :

لقد ثقلت علي نفسي حيواني  
وأشقى عاقلتي وشكت ألسنتي  
سئمت فما أريد اليوم إلا  
دواء الموت من داء الحياة  
إذا كانت حياة المرء مجنونا  
هنيئاً للحد باب للنجاة

يقول العقاد أيضاً :

لأنهم غنوا قسبي تنعمه  
قد يكثر المال مقروناً به الكدر  
نصفوا العيون إذا قلت مولدهما  
والماء عند ازدياد النيل يمتلئ

وكان العقاد يقول أن هناك نوعين من الناس : أناس يلتمسون الأشياء بعيونهم  
رأس برون بعينهم . فعندما قال الناس أن هتلر سوف ينتصر في النهاية لأنه  
عط النساء وهولندا وبلجيكا وفرنسا والنرويج وغيرها . . هؤلاء الناس  
يلتمسون الواقع بعينهم . لأن الذي أمامهم هو سقوط كل الدول أمام هتلر . .  
ونكر العقاد كان يؤكد أن هتلر سوف يهزم . . وكان يقول ذلك وهتلر ينتصر  
والعالم كله يتساقط أمامه . . وكانت للعقاد حجة أثبت الواقع أنها صحيحة .  
فهو لم يكن في ذلك الوقت ، ولا هي أي وقت يلتمس الواقع برموش عبيبه . .  
ربما كان يرى ما هو أبعد من الواقع !

وكان العقاد يمتاز بالفكر . ويرى أن المفكر هو أعظم مطبوعات الله . وأن  
الله قد أعطاه الموهبة أو الصفة التي رحنه عن الحيوان وعن الإنسان . ولذلك  
يجب أن يرفع رأسه وأن يرتفع . وكان العقاد عالماً . عملاقاً . وكان الذي يزور  
لعقاد يشعر أنه قد أضيف إليه بصعة أمان عن سطح الأرض .  
قال لي إبراهيم عبد الهادي باشا : أن للعقاد كان موهباً للإباء والعكبرياء .  
وأنه تعذب كثيراً بسبب ذلك . ولكنه ظل في حياته الحليمة السياسية

والأدبية الرجل العظيم الاحترام لنفسه ولغيره !

وكان العقد قلبيا على نفسه . فهو لم يكن موظفا . ولكن له كل عادات  
الموظفين . فهو يصحو في ساعة معروفة . ويجلس إلى القراءة وإلى الكتابة  
ساعات . وبعدما ينزل من مصر الجديدة إلى القاهرة . ويرتد على المكتبات  
المعروفة . وبعد ذلك يذهب إلى بعض اللجان . ثم يعود إلى بيته في ساعة  
محدودة . يأكل المملوق . ويبدأ القراءة والكتابة . ثم يمشى ليعود إلى  
بيته ليستمع إلى الموسيقى . ويأكل ويلب . وهو الذي وصح هذه القواعد  
لنفسه . والتزم بها .

وهو يطلب من الناس أن يحرسوا على القواعد والآداب والأصول . تماما  
كما يفعل هو .

ولما أعرف أن للعقد نوافذ ممرجة ومصحكة أيضا . ولكنه لم يرها كذلك  
في أحد الأيام جاءه الحاج عبد الرحمن السقايف من سفاهورة يطلب ترجمة  
مؤلفات العقد الإسلامية ونشرها في الشرق الأقصى مقابل عشرة آلاف جنيه  
استرلينى . وخرج العقد بذلك . وأبدى الحاج عبد الرحمن رغبته في زيارة  
العقد . وتحدثت الساعة الحامسة بعد الظهر . ولما أعرف جيدا ماذا يحدث في  
بيت العقد في هذه الساعة . فقبل هذا الموعد بعشر دقائق تماما ينادى العقد  
خادمه ويطلب إليه أن يعد عصير الليمون والقهوة . وأن ينتظر . ثم يرتدى  
العقد بذلته وطربوشه ويدخل غرفة الانتظار قبل الموعد بدقائق . وينظر .  
ثم يقول لابن أخيه عامل العقد . انتظر السيد فلان أنه سوب يجيء في  
الخامسة ! وجاءت الخامسة . ولم يحضر الرجل . ومضت خمس دقائق  
طويلة . ولم يحضر الرجل وبدأ الصوق على العقد . ولما كانت الساعة الخامسة  
وعشر دقائق نادى العقد بصوته العالي يقول : أغلق الباب . إذا جاء الرجل  
لللهوت فقل له لى الاستاذ نزل إلى الشارع !

لما الرجل اللهوت لم يكن هلقوتا . وإنما هو من كبار الشخصيات العربية  
في سفاهورة . ومن أكثر الناس حبا للعقد . ثم أنه جاء مصر من ألوف  
الأميال . . . ومن الممكن أن تكون للمواصلات وإشارات المرور وجهه ببيت  
العقد . قد عوقته بعض الشيء . . . ولكن هذه الأعذار لا يقبلها العقد . لأنه  
شديد الحرص على مواعيدته مع الناس . ومواعيد الناس معه . .

وعلى الخامسة والربع جاء الرجل القدام من سفاهورة . ودخل . ومد يده



للعقاد يقول : آسف يا أسناد . فالمواصلات . . آسف . وقال العقاد غاصبا :  
نعم هذه مسألة موجبة للأسف !

وهو رد عفيف . ولكن الذي في نفسه أعف من ذلك . وأحسن الرجل القادم  
من بعيد أن العقاد قد صابق به . فاستأنس وخرج .

وفي اليوم التالي طلب العقاد في التليفون أحد المسؤولين في المؤتمر  
الإسلامي وقال له . يا أسناد لقد جاءك الرجل من أحر الدنيا . ولا يعرف بهتك  
وجاء يشتري كتبك . ثقله أسوأ مقابلة .

ونار العقاد وهو يقول : وهل تتصور يا مولانا أن رجلا لا يحترم مواعيده .  
وأن رجلا فعل ذلك هل أقيم له حطة تكريم . . هل تتصور أن رجلا يشغل  
العقاد عن رياساته اليومية يستحق مني الاحترام . . ملعون أبوك على أبوه . .  
ووضع ساعة التليفون !

وكان من عادة العقاد أن يبحث لما بمقالة لكي تنشرها في جريدة ، الأملس ه  
سنة ١٩٤٨ وما بعدها في مواعيد محددة . في الساعة الحادية عشرة صباحا .  
يجيء سائق سيارته في هذا الموعد بالاصط . . وقد حمل مقالا مكتوبا على  
ورق صغير بالحرير الأحمر .

وفي يوم عرف العقاد أن مقالة قد وصل متأهرا عن الموعد المحدد .  
فجاسب السائق حسبا فاسيا . وباع سيارته . وطلب إلى السائق أن يأخذ  
الفاكسي ما دامت للسيارة تتوقف في الطريق وتمتلئ المقال عن الموعد  
المحدد . .

مع أنه في إمكان العقاد أن يبحث بمقالة في أية ساعة حتى منتصف الليل . .  
في بعد ذلك باثنتي عشرة ساعة . ولكنه انترم بموعد . وهذا يكفي !  
وكان العقاد شديد الاعتداد والاعتزاز بنفسه . ولذلك كان يستحق الاحترام  
من الجميع .

وفي إحدى المرات وحس طالبة في الجامعة طلبت إليه أن يلقي محاضرة  
طلبة قسم الفلسفة . ووافق العقاد هورا . فقال : في أي موضوع !

فقلت : في أي موضوع تراه يا أسناد ؟

فأجاب : بل أنتم الذين تختارون الموضوع . لنا لا أختار . فهو يستطيع أن  
يتحدث في أي موضوع فلهي . واختارنا له موضوعا كليل يحدنا . وكنا نحناج

منه إلى كلام واضح . وكان الموضوع هو : « منهج الغزالي في الفلسفة  
ونظرية النسبية عند أيبشتين » . وتحدد موعد المحاضرة . وكان ذلك في  
المدرج رقم ٧٨ . ولمتلاً للمدرج وسعياً ما لم نقرأ من قبل . وكان للعقاد  
رائعاً !

وازدننا إعجاباً وحفاً للعقاد . .

وفي إحدى المرات داعبني العقاد في مقال مشروء بأخبار اليوم . وكانت  
المداخلة قاسية . إما لأنني لا أتوقع ذلك من العقاد ، أو لأنه لم يخبرني بذلك  
رغم اتصاله به كل يوم . . وتضايقت . وانتظرت أن يكتب للعقاد شيئاً فأنقذه  
أو أهله . أو أصله . وإن كان يحز علي ذلك !

وكتب العقاد مقالاً عن « مسرح الحب » . ورأيت أن العقاد قد وقع في غلطة  
في اللغة اليونانية . ومن المؤكد أن العقاد لا يعرف اللغة اليونانية التي درستها .  
وأعدت مقالاً أرد به علي العقاد واستعير بعض عباراته التي بوجهها إلى النقد  
إذا أخطأوا . ولكن لم أتصور أن العقاد من الممكن أن يسقط بهذه السهولة .  
فطلبت عامر العقاد ابن أخيه ، وقلت له : أنسى صوب أهجم الأستاذ بعد أيام . .  
فقد وقع في غلطة لغوية . وإن أفوتها له . .  
ثم تكررت له الغلطة .

وبعد دقائق طلبني عامر العقاد وقال لي : الأستاذ يقول لك احترم . أنت  
الغلطان .  
وسألته : كيف ؟

لا أعرف . ولكن الأستاذ يقول لك . ويحذرك . . ويطلب إليك قبل أن  
تكتب أن تعود إلى كتاب كذا صفحة كذا . .  
وإمرعة نزلت من المكتب . وعدت إلى البيت . . وأتيت بالكتاب .  
ووصلت إلى الصفحة التي أشار إليها . . وصرخت فقد كان العقاد على حق !  
ومررت المقالة . وتضايقت . وإن كنت قد استرحت إلى أن العقاد ما يزال  
هو الرجل العالم الدقيق المتأكد من علمه ، للمعد بمقله الكبير !  
وعشرات الأمثلة على ذلك في هذه العلاقة الغريبة التي استمرت أكثر من  
عشرين عاماً أتروء فيها علي بيته وقبلها مدوات من القراءة والإعجاب عن بعد  
لكل ما كتبه في مجلة « الرسالة » الأدبية . .

وكأن العقاد يصحك جريداً وهو يقول : هذه تلك عجيبة يا مولانا . . إذا أرادوا مكافحة للتبشيرية بشرروا مؤلفاتى . إنا أراؤنا الدعوة إلى الإسلام أعادوا طبع كتبتى . إذا أرادوا أن يرشحوا أحداً لجائزة نوبل . رشحوا طه حسين ! ولكن هذه الكتب التى ألّفها العقاد قد عانت عليه بمال كثير . يئده فى شراء الكتب أنفاسا . وكما يتسابق فى ذلك . فكنت امر على المكتبات أسأل عن كتب جديدة ، فكان يقال : جاء الأستاذ العقاد وأخذ كل صناديق الكتب الجديدة إلى بيته . ومخوف يفتر منها ما يحبه وتعود إليها الصناديق . فعلم بعد غد .

وعلى إحدى المرات ذهبت إلى إحدى المكتبات فى مصر اللعظة التى جاءت فيها الكتب الجديدة . وفى ذلك الوقت كنت مشغولا بالفلسفة الوجودية . وكانت مؤلفات الفيلسوف الوجودى الدماركى كير كجورد تصدر تباعا باللغة الإنجليزية . وكنت أنتظرها ومسطعها . وفى ندوة العقاد استدرجه إلى الكلام عن الفلسفة الوجودية وعن هذا الفيلسوف بالدات لكى أقول أمام الحاضرين جميعا إننى حصلت على كتب جديدة مترجمة لم يرها العقاد بعد . وتكلم العقاد عن الفلسفة . وعن الفيلسوف الذى أريد . وقد أحسست أن فرصتى قد جاءت . فقلت : لقد قرأت له كتابين جديدين ..

وأنا أقصد أن أقول : أنى وجدت له كتابين جديدين لا اعتقد أن الأستاذ قد راعها بعد !  
فقال العقاد : أعرف الكتابين بأصولهما . . وكذا أحرى غيرهما . . ولكن لم يعجبى . .

ومضى بشرح ما الذى أعجبه وما الذى لم يعجبه من الكتب . ولابد أنه قد لاحظ شيئا من عدم التصديق فى عيني . ولذلك نادى بأعلى صوته : يا إبراهيم . . هل لك الكتب للعلاقة على السرير !  
وجاء خاتمة إبراهيم بكل الكتب .

وكانت الترجمة الكاملة لجميع مؤلفات الفيلسوف الوجودى الدماركى ، ولم تكن أعرف إلا نصفها !

وعندما ألق العقاد كتابه عن « أبى بولس » ، احتاج إلى بعض المخطوطات القديمة استراها من إيران وكلفتها عنت للجيبها . وربما نقل العقاد من هذه المخطوطات عبارته أو غيرتين . ولكن الثقة هى التى نهم . أما القلوب فإنها

لا نهم . . وهذا الكتاب لم يعجب طه حسين . . وأحبرنا بذلك . . وقت  
للعقاد : أن طه حسين يرى أن كتابك هذا عبارة عن ترجمة عربية لكل قطعة  
هرويد لملوك الشعاع العربي !

وخفض العقاد وقال : بل طه حسين نفسه هو واحد من الأمراض النفسية  
عند هرويد !!

وكاد هذا الكتاب أن ينصف العلاقة بين الأستاذ العقاد وبينى . فعندما صدر  
هذا الكتاب طلب منى الصديق طمى مراد أن تلخصه في مجلة : كتابى ،  
ولخصت الكتاب في حوالي أربعين صفحة . وغرأها العقاد وأعجبته جدا . وقال  
لى : لو لخصت كتابى بقمى ما فعلت أحسن مما فعلت !

ولكن الذى لم يدركه العقاد هو أننى كنت في بداية مشروع هو كتابة مؤلفات  
العقاد ، أو بعضها ، بعبارة سهلة . فالعقاد أسلوبه صعب في بعض الأحيان . .  
وبستخدم كلمات غير مألوفة . وقتل للعقاد : إننى سوف أحاول تلخيص بعض  
كتبك . . أو : تيسير : عبارتها . .

ولم أكمل هذه الجملة حتى ثار العقاد . ورأى أن هذا الذى أقوم به هو قصه  
على ملامح المطلوب العقادى وطمس لشخصيته . . وإنما إذا كان المرص هو  
تيسير القراءة فلا مانع . . ولكن تيسير الأسلوب وتغييره فهناك ألف مانع !  
واشكر للعقاد ثورته هذه . والا كنت قد أضعت سنوات من عمري أقدم  
العقاد سهلا للناس ، أقدمه هو ولتولى أنا .

وفي ذلك الوقت رنت في ذاكرتى عبارة استنكار لكامل الشماوى . فقد كان  
من عادة كامل الشماوى أن يروى شعر أمير الشعراء أحمد شوقى ، وأن يلقيه  
في الندوات . وكان الناس يحبون صوت كامل الشماوى في الالتقاء . . ولكن  
انسحب كامل الشماوى . . ووجد أن هذا النوع من العمل ليس إلا تدبيرا لشوقى  
وتأخيراته ، وإتكارا لشاعريته هو . . ولو علش مقربا أو منشدا لشعر شوقى ،  
لاعتد الناس أن يسموه بردد كلام غيره لا كلامه . . وابتعدت تماما عن  
تسهيل للعقاد . . أو تقريبه إلى الناس .

وكانت للعقاد قاعدة لا يحد عنها . فهو يشترك في اللجان التى يتقاضى عنها  
مربعا شهريا . ولا يشترك في اللجان التى يتقاضى عنها مكافأة كلما حضر .  
وكان يقول : هذه اللجان التى ندفع لى مكافأة كلما حضرت . أنا حر أن  
أحضر أو لا أحضر . وأنا غالبا لا أحب .

أما اللجان التي يتقاضى عنها مرتباً شهرياً . فلا بد أن يحصرها ...  
على عكس طه حسين وتوفيق الحكيم . . وعشرات من الأعضاء .

ولم تكن للعقاد موارد مادية كثيرة . والذي كان يتقاضاه كان يشتري به  
الكتب . . وما تبقى ينفقه على عشرين امرأة صديقة فقيرة . وعندما مات العقاد  
وجدنا في خزانته ثمانية أسماء الأصدقاء الذين مال عليهم الزم ، وحاول  
العقاد أن يجمعهم من الهوان . .

وعندما مرض العقاد توقف عن الكتابة لجريدة ، الأخبار . . ولم يكن  
يتقاضى مرتباً شهرياً . وإنما كان يتقاضى أجراً بعدد المقالات . ولم نعرف كيف  
سعين العقاد على مرضه .

ونذهبت إلى الأستاذ مصطفى أمين أحكى له ظروف العقاد . فأرسل إليه  
مصطفى أمين خطاباً يقول له فيه : إنه شرف عظيم لمؤسسة أخبار اليوم أن  
يكون العقاد كاتبها . ولما أخبر اليوم قررت أن تعين العقاد بمرتب شهري وأن  
تدفع له مرتبه مقدماً وتسمى له الشراء وتنتظر مقالاته ، كما تنتظر رقبته ،  
بشوق عظيم واحترام أعظم .

وأخذت الخطاب إلى العقاد في بيته . ولكن العقاد اعتذر عن القبول وعن  
الكتابة !

وعندما نقل المرحوم على العقاد رآه إبراهيم باشا عبد الهادي . وجلس  
على طرف السرير وترك مجلة أمريكية . ولما مد العقاد يده يرى المجلة  
تساقطت منها مئات الجنيهات . وصرخ العقاد يقول : خذوا هذه المجلة والفلوس  
واعطوها لدولة قبلش مع الشكر !

وعندما أعددت حديثاً للعقاد في التلفزيون دفع له التلفزيون مائتي جنيه .  
ونشرت ، الأخبار ، أن ، الأستاذ العقاد قد تقاضى مبلغ ٢٠٠ جنيه عن حديثه  
في التلفزيون ! . .

وغضب العقاد جداً . وطلبني في اليوم التالي وهو يقول : وهل كثير هذا  
المبلغ على رجل مثلي أمسى من عمره مئتين عاماً في القراءة والكتابة . . هل  
كثير على العقاد في بلد كهذا أن يتقاضى هذه الأجرة مرة في عمره . . إن أخطر  
راقصة تتقاضى هذا المبلغ في هزة أو هزتين . .

فقلت له في ذهنة : ولكن أهدأ يا أستاذ لم يقل شيئا من ذلك . لا أحد . بل  
إن الناس جميعا أستخدم أن يسمعونك وأن يرووك ..

- يا سيدى إن الطوم لا تهم العقاد . ولم تشغل العقاد .  
- ولكن من الذى قال ذلك ؟

- اقرأ جريدة « الأخبار » يا مولانا .. إنها نشرت الخبر ووصفت في  
بهاينة علامة تعجب ! علامة تعجب من ماذا ؟ بل إن هذا هو الشيء الذى يدعو  
إلى التعجب !

وتعبت في إقناع العقاد أننا نمرق في وضع علامات التعجب بلا مناسبة ،  
حتى لم نعد هذه العلامات إلا عادة أو مجرد بدول عن النقطة الواحدة في نهاية  
الكلام . بل إننا لم نعد نستخدم النقطة الواحدة إننا نستخدم النقط الكثيرة  
هكذا .... فكأن هذه النقط هي علامات تعجب انكسرت عندما وقعت على  
السطر !

وقبل ذلك عندما صدرت مجلة « الشهر » التى رأس تحريرها الأستاذ أحمد  
الصابوي محمد . وكنت مع حسن فوزد وعبد السلام الشريف كل هيئة التحرير  
فيها . وكان يملك هذه المجلة الأستاذ حامد العبد روج السيدة لطيفة العبد ،  
فطلبت من العقاد أن يكتب لنا مقالا طويلا . وبأثنى : كم يكون طوله : فقلت  
له : عشرون صفحة . قال : وهو كذلك يا مولانا !

وكان يستحسن كلمة « مولانا » لكل الناس وعليك أن تفسرها على هؤلاء :  
إحتراما ولعقارا .

وسلمنى العقاد مقاله وكان عن « الوجودية » .. هجوما عنيفا عليها ، في  
ثمرد المحدث . وأسعدنا المقال أن يكتبه العقاد . وإن لم يكن قد أسعدنى كل  
ما جاء في المقال ، ففي ذلك الوقت كنت أدعو للفلسفة الوجودية وأقوم بتدريسها  
في الجامعة . وأصدرت عنها أول كتاب سهل في اللغة العربية . وبعث منه  
أكثر من مائة ألف نسخة في سنة ١٩٥١ ..

وقررت المجلة أن تدفع للعقاد ثلاثين جنيها عن المقال . ورأيت أن هذا  
المبلغ قليل جدا . وخشيت أن أعطيه للعقاد فيضرب . وخشيت أيضا أن أبعث  
به مع أحد الأسقياء فيضرب أكثر . فذهبت للسيدة لطيفة العبد ، وطلبت منها

أن نرفع مكافأة العقاد ، لأنه العقاد .. ولأنه شرف عظيم لنا جميعا أن يكتب  
العقاد .. وأصبحت القلم وغيرت في الرقم جعلته خمسة وثلاثين جديها . وقابلت  
الأستاذ العقاد وأعطيته الشيك . ووضعه في جيبه . وسألني إن كان عدى مانع  
في أن أرافقه إلى البنك . فقلت : بمعنى يا أستاذ

ومرنا معا . وذهبا إلى البنك . وأمسك للعقاد الشيك ووقعه . وأعطاه  
لصرف البنك . وقلب الرجل في الشيك واحمر وجهه . ثم توأى . وعاد  
ببصير عرقا وهو يقول : مع احترامى العظيم لك يا أستاذ ولكن الشيك فيه  
بغير . والسيدة التي غيرت في الشيك لم توقع مرة أخرى بجوار هذا التعبير ..  
طبعاً حصرتك الأستاذ للعقاد وكنا معجبون بك . ولكنه الروتين يا أستاذ .

وغضب العقاد ، ولم أجد رأسى فوق كتفى . وبسرعة امتدحت يد العقاد  
ونحو الشيك إلى قطع تشبه ريش عصفور أبيص انفجرت فيه فبنة ..  
وهرقا عند باب البنك . ولم أعرف بالصبط ما الذى حدث .. وذهبت هورا  
إلى السيدة لطيفة العبد . ورويت لها ما حدث . ولا أعرف إن كانت السيدة قد  
اهترت لما أقول . ولابد أنها أشغقت تماما على هذا الشاب الصغير الذى أصيب  
في عريض لثيه .. واقترحت أن تعطيه خمسين جديها بلا شيك . ووافقت . ثم  
بردت . فقد حشيت أن يظل العقاد أن هذه الأموال قد جمعاها من جيوبنا نحن  
الذين نحب .. أو أنها كانت أكبر أو كانت أقل . ووافقت السيدة على كتابة شيك  
حر ذهبت به إلى العقاد في بيته .. وكانت الساعة التاسعة مساء . وكان الأستاذ  
ناما . فعمدت الله . وبركت الشيك ، وأنا مطمئن أن الأستاذ لم يغضب إلى  
درجة تمنعه من النوم المبكر !

• • •

وكننت أدعيب العقاد وأقول له : يجب أن تغير هذا البيت الذى نسكه  
بأستاذ !

وكان يسأل : ولماذا يا مولانا ؟

طم يكن من الصعب أن أقول له : إنه ضيق . وقديم . وغير صمى ..  
وكان العقاد يقول : إنه تغير على هذا البيت سنة من الملاك . والعقاد باق .  
وكان يقول : ولكن هذا البيت له مرايا هلكة .. فلاهوا يدخل من هنا ..

والشمس تجيء من هنا .. وفي الشتاء أذهب إلى هذه الغرفة .. وعلى الصيف  
أجلس هنا .. وعند تعامد الشمس على مدار السرطان ومدار الجدى وحده  
الأسفواء .. وأثناء كثيره يقولها العقاد تفعلك بأنه ليس في الدنيا أحسن  
ولا أجمل من هذا البيت !

ولم أكن أراء كذلك . فكنت أقول له : هل صحيح مايقال من أن في هذه  
الشقة غرفة أسنأجرها للبواب .  
من قال ذلك ؟  
سمعت .. وأن البواب قد ملأها بالمصالح والكرهيب .  
لم يقل ذلك أحد غيرك !

وكنت أقول له : بالأساذ هل محقول أنك تسكن في بيت .. به أول وابور  
جار نخل مصر ، وآخر كذاب عن الصواريخ ؟  
وكان يضحك ولا يرد . فهو حريص على البيت لمرايا فلكية . وهذا  
يكفى !

وفي غرفة نومه كل الاحذية الواسعة .. وهذا هو الشيء الذي اختلف فيه  
مع العقاد . فلنا لا أطيق أن أرى حذاء في غرفة النوم . وإنما كل الأحذية  
والشباب برواقها وقرابها يجب أن تكون بعيدة . ومن المألوف التي تؤدى  
وتدهشني أن أجد في الافلام واحدا جاء بهام فألقى بحذاءه وخلع جوربه ووضع  
في الحذاء وترك الاثنين إلى جوار المرير . ولأرى أن المشكلة هنا هي مشكلة  
سينمائية .. فالمخرج لا يريد الممثل أن يذهب بعيدا عن الموقع الذي يتم  
تصويره فيه .. فهي عادات سيئة قد حثمتها الإخراج وضرورة اختصار حركات  
الممثلين والممثلات أمام الكاميرا .. وربما كان عذر العقاد أن كل أحييته واسعة  
جدا مثل ملابسه .. وأن المسافات التي يمشيها قصيرة .. فلا يكون للأحذية  
رائحة كريهة .. أو لعل البيت كله قد صاق بالكاتب ، أو لعل أحدا من الذين  
يخدمون العقاد من الحماة ويرون في فصل الحذاء عن المرير عن الجورب  
نوعا من الترف ، كما أن العقاد مشغول برأسه عن قدميه !

وكل العقاد يعالج نفسه تملأ كما يفكر في نفسه . ولا يجد العقاد فارقا بين  
الورقة يكتبها والروشة ... يكتبها أيضا . فلما مرض العقاد وتقلب على جنبه



يشكو من ألم هنا وهناك . عرضت عليه أن أتى له بأستاذ الجراحة في قصر  
العيسى د . جمال بحيرى . فوافق . ونهض د . جمال بحيرى يسمع من العقاد  
وهو يصف مرضه . ويشخصه . ويروى له كيف علاج نفسه . وكيف أنه  
لأسباب طبية يعرفها العقاد قد قام بتنوع الأدوية ..

وكان د . جمال بحيرى يهر رأسه يوافق على ما يقوله العقاد . ولما  
خرجنا . سألت د . بحيرى إن كان الذى قاله العقاد صحيحا أو دقيقا . فقال :  
منتهى الدقة . إنه يتحدث كما لو كان أحسن طبيب باطنى !

ويبدو أن العقاد قد حرص على أن يكون الطبيب للعقاد أيضا . ولم يغير  
هذا الموقف : أن يكون هو الطبيب والمريض معا .. ولم يفلح أحد فى إقناعه  
بغير ذلك . هل هو عند العقاد ؟ هل هو علم العقاد ؟ هل هو عدم ثقة العقاد  
بالأطباء ؟

على كل حال إنه العقاد الطبيب الذى قتل للعقاد الأديب !  
والعقاد كان مشغولا عن البيت الذى يمكنه بالمعنى الذى نرد على رأسه  
وهو يفكر فيه طالما وبارلا . ففى كتابه « فى بيتى » يقول عن السلم الذى يرتبه  
كل يوم : « كنت أصعد ثلاثا ثلاثا .. واليوم أصعد واحدة واحدة .. كنت  
أصعد وبناس شعري ينزلون فى سواده ، واليوم أصعد وسواد شعري  
ينزلون فى بياضه .. » ولم يغير البيت !



وكان للعقاد إذا غضب يقول : عندما يحاسبنى الله يوم القيامة فإنى أقول  
له كيف تحاسبنى وقد خلقتنى فى عصر فلان من الناس !  
وهذا الفلان يكون زعيما أو وزيرا أو كتابا ، على حسب الظروف !



ولا نهاية لما يمكن أن أقوله عن العقاد كتابا وأستاذنا وصديقا وفنانا رفيعا  
ومحباً للكتابة ومهذباً وفارنا ..

وفى كل ندوة للعقاد كان هو وحده يملأها بكل أنواع المعرفة . ويملأك  
أنت أيضا . عفاك وقبك . وأحلامك . ويوصف الطريق لى بيتك . وفى

هراشك يفتو ر اشدك اننى السقف ، مطر هناك معبد ، ان يحضر الى راسى قد ، رى  
 وعلا ، الم يكن فى سوء العباد فى سوء هذا أكثر من واحد يحصى اسم  
 العبد ، انه هببه انه رابطته به مؤتمر ، به حسن فلا به به جلى  
 وإنما قل - ان العباد قد بعد بكمم هسه وكى جنسه ينگمى فيها العدد  
 القادوس وكتب راي هو اى لاعلمه الشعب ، بعدد والمورج والهيوس  
 وانفصلح والميسى ، رجل الدين والمصرى ، بل لند وابن البكنه بهه  
 جميعا : عباس محمود العقاد !



واتسعت الدنيا وثلوت  
ووجدتني مواطناً عالمياً

## واتعت الدنيا وتلاوت، ووجهتي سراطينا عالميا

كان الخوف أقوى مشاعري في كل مراحل الطولة .. وعندما أصبحت  
شبابا صدر القلق .. وعندما صرت رجلا أصبح الشك .. فقد كنت أتصور دائما  
أن الخوف أمام الباب .. ولذلك يجب ألا أفتح الباب .. ألا أخرج ليلا .. وكانت  
أمي تقول : العفاريت .. الذئاب .. القجر يخطونك ويدهونك ويصمون من  
مك كمكا ..

وكنت أحاف من الليل والمسير في الحقول .. وإذا نمت غطيت وجهي  
ودراعي وساقاي فلا يظهر مني شيء حتى لا تلمسه العفاريت .. وإذا سرت  
في الشوارع ووجدت رجلا معه فرد وحمار فهو عجزي وهو الذي يخطف  
الأطفال ويذهبهم ..

وفي هذه السن المبكرة لم أناقش هذه الممارف مع أحد .. ولا شككت بها  
لحظة واحدة .. ولذلك فأنا أعود إلى البيت بسرعة قبل غروب الشمس .. وكنت  
أندفش عندما أرى الأطفال يلعبون كرة القدم في الليل في ضوء الليوت وأحيانا  
في ضوء القمر .. ولكني لا أفكر لماذا لا يخالفون ..

وبسرعة أجد الجواب عند أُمِّي : إنهم أبناء البلد .. أما نحن فغرياء ..  
أي أن العفاريت تطارد الغرياء .. وهي تطارد الغرياء لأنهم يمشون واحدا  
واحدا .. ولا يمشون مجموعات كبيرة . ولما كنت وحدي فلا بد أن أحاف على  
عصي . وكنت أخاف .. وكنت أرى من النافذة وأحيانا من تحت الباب أشباحا  
تروح وتجيء .. وأحيانا أسمع أصواتا .. أما الخريشة في الشباك ، فهي أم  
عفاريت ولما بعض الذئاب والتمالب تريد أن تلتهم الدجاج فوق السطح .. وقد  
رأيت الذئاب والتمالب والنعابين في بيتنا .. هذه حقيقة .. ولم أستطع أن أعرف  
إن كانت هذه تمالب حقيقة أو هي عفاريت فتحدثت شكل هذه الحيوانات ..

وفي يوم لا أنصاه في ساعه متأخرة سمعت طرقات على الباب . ولم أجري  
أن أخرج رأسي من تحت العطاء .. ولا استطعت أن أوقف أنسي .. وانتقلت  
الطرقات من الباب إلى النافذة . وصحت أنسي . وكان والدي .. وقد تفسى  
الحرف الشديد إلى النوم العميق . وعندما صحبت لم أستطع أن أرفع رأسي  
من تحت العطاء .. وظللت كذلك حتى إنتصف النهار .. فكلما حاولت أن  
أسمع لم أجد صوتاً حولي .. وفي ذلك اليوم ظن والدي أنني مريض .. وقد  
أكد له صحة تلك الاستنتاج أن وجهي كان لاصع .. ولم أقل له أنني كنت  
خائفاً .. وقد ظن أنني لا أريد أن أذهب إلى المدرسة .. بهذا أول يوم في العام  
لدراسي !

وكنيت في العشرة من عمري .. وكنيت أسمك أي كتاب وأقلب صفحاته ..  
وأقرأ . ولا يهم أنني أفهم . ولكن اعتدت على ذلك . وأكثر الكتب لوالدي .  
ولذلك لم أستطع أن أفهمها .. إلا كتاباً واحداً .. هو رحلة ابن بطوطة . وكان  
هذا الكتاب هو أعظم وأروع كتاب في حياتي .. لم أفهم منه الكثير . ولكن كل  
الذي استطعت أن أعرفه من والدي أن ابن بطوطة رجل سافر إلى كل الدنيا  
وحده .. ورأى عجائب الكائنات والحالات . وسمعت حكايات من والدي ولكن  
احتفظت بالكتاب لأقرأه بعد ذلك بهام . ثم أعود قراءته مرات بعد ذلك ..  
وكان عالمي محدودة جداً .. لا أأهل أن أبعثه أكبر ولوسع .. فلما إذا  
سرت في شارع فأنسي لا أعرفه .. وإذا عرفت بقالا أنشأ منه . فهو واحد ..  
لم تكن عدى هذه الرغبة ولا هذه القدرة . على أن أألمر بمعرفة شيء جديد  
أو أحد جديد .. كلني مربوط بعلم .. وعلى قدر هذا الحبل فأنسي أنحره  
والعريب أن هذا الحبل من صنعني أو من صنع ظروفي .. بل لست مربوط  
بعلم فقط .. وإنما كأنسي أنسي تحت الأرض في بقع له أول وله آخر ..  
لا أخرج عنه .. ولا أرى غيره .. بل أنسي لا أرفع رأسي لا أرى الجانب  
العلوي من الشوارع أو البيوت .. ولا أرى إلا جانباً واحداً من الشارع .. وإذا  
ذهبت إلى البقال وقعت في نفس المكان الذي اعتدت أن أنقب فيه .. ثم أنسي  
أنحدث إلى بقال واحد . فإذا لم أجد هذا البقالع وظهر واحد آخر .. فأنسي  
أرتبك .. ولعينا أعود إلى البيت وأقول لوالدي : ليس عندهم سكر الآن ..  
ربما بعد ساعة .. أو غدا !

وأهم ما فى هذا الشارع كان عسكرى المرور . فعلى النيل توجد خيمة .  
وهذه الخيمة بنام تحتها رجال المرور . ولكن واحدا منهم قد وصع دفرا على  
مضخة . ثم هو يسجل السيارات المتجهة يمينا وشمالا .. فيكتب . فورد رقم  
٧٩ ملكى اسكتندية الساعة الثالثة و ١٥ دقيقة .. وكنت مبهوراً بعسكرى  
المرور . وكنت أنظر إليه بإعجاب . ويرناد إعجابى به عندما يشير إلى  
السيارة . أية سيارة أن تقف . وكنت تقف . وطلبت من عسكرى المرور أن  
أؤدى هذا العمل عنه ، ريثما يصنع للقهوة أو الشاي أو يحلق دقه . وكانت  
ساعات من أروع ساعات حياتى . فلما أتف وقد ارتديت للجلابيب والحقائب  
والمظافة وأؤدى هذا العمل الجليل ..

ولم يكن الذى يهرس هو الوقوف هكذا .. ولا تسجيل التبيحت .. وإنما  
مسطر السيارات تظهر صغيرة ثم تكبر ثم تنوقف .. السيارات لامعة .. والناس  
ينظرون من وراء الزجاج لللامع .. وتعضى السيارات وتضغر وتختفى ..  
جاءت من مكان بعيد ، ودعت إلى مكان بعيد .. من المجهول إلى المجهول ..  
وشكل كاوشن السيارة .. مفسول لامع .. مستدير دلتز .. وأحيانا نثير وراءها  
نراها ونخاف .. والناس وراء الزجاج بالبدل والتقصص والسيدات بالملابس  
المنومة والأطفال الصغار وأحيانا الكلاب . شيء غريب عجب .. إنه عرض  
يومى مستمر .. أنظر إليه مسحورا مبهورا .. كل شيء يشرك بسرعة من  
هد إلى هناك .. وأحيانا تنوقف السيارات لشراء للعلكة أو سبوتشات الفول .  
أو لإلقاء أكياس من الورق الملون لللامع .. وعندما يتقدم إليهم للشهانور ،  
فإنهم يعطفون بالقرش والقرشين دون أن يشتموا أو يضربوا الشحادين . وإذا  
ألقوا ، أعقاب ، السجائر فإنهم يقومونها بأخذية جديدة لامعة .. بل إننى رأيت  
سيدة تدخن وقد أدهمت ذلك تماما ..

وكنت أرى اللوريات يفسلونها بينما المائقون يشربون الشاي أو يصعدون  
أو يشاجرون .. ثم تتحرك اللوريات بمبدأ إلى مدن أخرى .. وكنت أقرب  
من السيارة وأنظر فى داخلها إلى الدريكسيون ولا أعرف ما هذا .. وأنظر إلى  
عدادات ومفاتيح ولا أهم .. وأسمع صوت للمونور بدور . ثم يعلو ويعلو  
ويهدم كأنه فى حالة عصب .. كل للسيارة عقلا وقليا .. شيء عجب حقا  
وراءنا لنيل قد امتلا بالمسح الشراعية .. وعلى المسح توجد ديران هوهيا

حلل الطعام . وسيدات يطبخن أما الرجال يصلحون أشربة السحر . وأحياناً  
يدخلون إلى الشاطئ . يجرون السحر الشراعية .. وسعالي أصوات المراكبية  
ويصرخون . حركة في الليل وعلى الشاطئ .. أناس كلهم على سحر  
يتحركون .. ليسوا مربوطين ولا جامدين وليسوا حائزين أبداً .

ومن المناظر التي كنت أحب أن أراها تراحم السحر عند الكبارى هي عندما  
أن يفتح ليسانف مسيرها .. وكذلك تراحم السيارات والتوريات وعربات  
الكارو . هذا الرجل . هذا النحور . هذا الاتجاه .. صحيح أنه رخم ولكن  
كل واحد له طريق وكل طريق له هدف . وكلهم يتحركون بعيداً . أو جاء  
من بعيد .. هناك مسافات لا نهاية لها ..

ونون تفكير متى أو من رميلي في المدرسة وكان ابن العمدة نسلنا إلى  
إحدى المراكب في الليل .. يريد أن يذهب بعيداً .. يريد أن يعرف . وتواريت  
بين شلالات الفصح .. وجاء الليل نولانا الفرع فرحنا بنكي نحن الإثنين .. وكان  
شئنا بارداً .. وتعلت أصواتنا باليكاء . ولكننشت المراكبية وجوسا . وأول  
ما يبادر إليهم أننا لصوص .. وعندما نظفروا إلى ملابسنا وإلى كتب معنا ..  
راحوا يسألوننا عن السبب .. وعندما طلع النهار ، أنزلوا وأناروا أن معنى  
على الليل في هذا الاتجاه لنجد أنفسنا في بيوتنا بعد ساعات ..

وأحسنا ما صار إليه حال أمي من اليكاء . ولا أعرف كيف عثرت لها .  
ولا كيف قبلت اعتذارى . ولكن رغم هذا العزب فقد كانت مغامرة حكيمها كثيراً  
لرمالتي في المدرسة وأصغت إليها من حيلتي ما يجعلها إحدى المعامرات . بين  
إسني كنت أهول لهم : ووجدنا أناساً لهم دبل .. وأباب يأكلون الأطفال الصغار ؟  
وكان زملائي يسألونني . وأين ذلك .. ومتى حدث ؟  
وكنت أقول : هي الليل .. حتى اسألوا فلانا .

وفلان هذا هو ابن العمدة الذي رافقني في هذه المعامرة . وكان يقول أبداً  
ويتوهم أحداثاً . ومن معارضة الرملاء وسحرية العنترسين والفرشين ، لم يعد  
يزرى هذه الحوادث الخيالية ..

وفي يوم وجدت سيده عجزيه في بيتنا .. إنها همراء اللوز وقد صبغت  
شفتيها باللون الأزرق ويندلي من أسفلها فرط كبير . ومن أتيها أبداً . وفي

- عيها تسور من ذهب .. وقد جلست على الأرض .. ونشرت قطعه من  
عمرش فوقها رمل . وكنت تصرب الودع لوالدي . أى تشوب بختها .

وسو أن والدي أحسبت بدعشتي ، هي التي كانت تحبني من المعجرات الذين  
يحبسون الأطفال . فلأبد أن تقول لي شيئا عن سبب وجود هذه المعجرات .  
وما كانت لا تريد ذلك ، طلبت مني أن أدخل وأن أقفل الباب ورأى .. أو  
خرج لأذهب أمام البيت . ودخلت وأقفلت الباب .. ثم هتعت قليلا لأسمع  
.. يسور بين السيدتين .. ولم أسمع .. ولكن لاحظت أن والدي أعطتها هروما .  
والمعجرات وعدتها بشيء ما سوف تأتي به بعد غد .. ولم أر فرعا أو صيقا  
على وجه والدي . واعتقدت أن أرى هذه السيدة كثيرا في بيتنا .. تشتري وتبيع  
سجاج والبيض والمصابيل والمقصائل والأساور .

ورأى أحد أقاربي كل بعش في الإسكندرية . وجلست مسجورا إلى  
جواره أسمعته يتحدث عن البحر والفواجات . والمصن الكبيرة التي تنقل  
لبصائع .. وعن أسماء غريبة : صفلى .. وبني .. وريشارسون .. والفواجة  
أفروس .. والسيدة فكتوريا .. وكيف أنهم لا يكتبون وأن بيوتهم عظيمة .. وأنهم  
لا يسور الأعياد .. وأنهم يأكلون لحم الخنزير .. وأنهم يشربون النبيذ  
وسبيرة .. وأنهم يذهبون إلى الكنيسة كل يوم أحد . وأفكار وأسرار كانت  
تهزني وتفتح عيني .. وتعلمني لا أريد طعاما ولا شراها ولا موما . وإنما فقط  
أن أسمع إلى ما يقوله قريبى .. وكنت أنظر إلى يديه وقدميه .. وأصابعه  
وعيينه وملابسه .. متوقفا أن أجد شيئا غير مألوف ..

وعندما سألته : وهل يذهبون الأطفال ؟

صحك وقال : ليس في مصر .. في إفريقيا ؟

يقصد أن شيئا من ذلك ؟ يحدث في بلادنا . ولكن في بلاد أخرى . ولم  
أسأل ولم أفهم .

وسأل عن الكتب التي أفروها أو من الناس الذين أجلس معهم . وعرف أنني  
أحاول أن أقرأ رحلات ابن بطوطة ..

وكنت أحب كثيرا جدا أن أنملا إلى زورق صغير يربطونه بالسفن  
الشراعية . وأجلس فيه والتموج يطو ويهبط وأنظر إلى ظلال الشمس على  
الماء .. وإلى المراكبية يخلعون ملابسهم ويخلعون تحت الشمس .. ويظهر



عزاة نملنا .. ثم يرتدون ملابسهم .. ليخلعوها ويلبسوها بأنفسهم في المنزل ..  
ويرمطون النعش في الشاطئ .. إلى الأتجار أو إلى أعمدة من الحديد يدفعونها  
في الأرض .. وأحيانا يأتون بحمار يجر السمينة .. وأحيانا بحصان أو بثلاثة  
مر الوحال . وفي يوم أعطاني واحد منهم رغيفا ساخنا . وطلب مني أن آكل  
معه .. واكثت . وعندما حكيت هذه القصة لوالدتي . فصعنتني بشدة فقلت : ماذا  
يقول عنك الناس ؟ جلتع لا يجد طعاما في بيته ؟!

وفي إحدى المرات جلست في الرورق الذي راح بهنز .. فجأة وجدت نفسي  
في السماء . أعلو وأهبط وأصرح . حتى أخرجوني من الماء .. هل قلبتي  
اليوم ؟ هل هي رغبة عميقة في أن أعوم ؟ في أن ألقه هؤلاء المراكبية . وكان  
ذلك آخر عهدي بالماء .. فظللت بعدها لا أنزل الماء ولا أحول . ولا تعلمت  
السباحة ولا سبح أحد في أن يطعمني السباحة !

بسرعة بدأت علاقتي بالماء أو بالاقتراب منه ، وبسرعة انتهت ، كأنه  
مكتوب ألا أقرب من شاطئه نهر أو بحر .. إنتهى . وكانت تجربة الأيمة  
مربعة . وعندما خرجت من الماء . لم يكن عندي سوى خوف واحد . ماذا  
أفعل بملابسي التي ابتلت . وما الذي سوف تفعله أمي . وبسرعة وجدتني  
بصف عريين وقد مشروا ملابسني على جبل في الضمير . رجفت ملابسني .  
وعندما عنت إلى البيت رويت لأمي كيف أن أحد ملائكي كان في رورق وغيبه  
النوم فوقع في النزل .. ولكنهم نفقوه . فصعنتني عدة مرات بشدة وطلبت ألا  
ألتقي به بعد اليوم . فربما حدث لي ما هو أسوأ من ذلك ، فأغرق وأموت !

• • •

وفي مواجهة هذا العالم . هذه الدنيا الصغيرة المحيطة ، كان لابد أن أحمي  
نفسى .. فأخبرعت مجموعة من الأوهام والأكاذيب ..

هكذا لاحظت ملائكي أنني أسرع إلى البيت قبل أن تغرب الشمس قلت : إن  
والدتي مريضة وأنا الذي أطهو لها الطعام وأعطيتها الدواء .

وإذا لم أشارك في اللعب مع الأطفال إدعيت أن فمى بوجعنى .. وأننى  
أنوح من الوقوف في الشمس . وإذا طلب أحد الرملاء أن يروى في البيت  
لبدلكر صبا ، قلت أنني لنم ميكرأ ..

وإذا كان أحد يأكل فاكهة أو مسدوشا مثلا وقدم لي قطعة منه قلت : إنها  
جئت لي مقصد .. أو أنني مصاب بآلها .

وفي يوم جاءني أحد الزملاء ليلا ولم تكن والدتي يقيت وراح ينفذ الباب ..  
ودر : إفتح ..

قلت : ماما ليست موجودة ..

هـ : وإيه يعني !

قلت : عندما كنت ، صوب بهجم عليك ويمرر ملايك .. غدا صباحا .. أو  
في المدرسة ملنقى !  
ولم يكن عندما كنت ..

ورجعت الزملاء قد نبأعدوا .. وأنا لا أحاول أن أقرب من أحد .. وإذا  
حدثت عنهم لا يبالون بذلك . ويسفرون قائلين : إجر يا شاطر على أمك !  
وفي يوم رارنا والدة أحد الزملاء وطلبت من والدتي أن أحضر إحتفال عيد  
ميلاد ليها . ووافقت والدتي بسرعة فالت ليها السيدة : ولكنه يقول لزملاكي في  
المدرسة أنك نصريه ليلا وبهارا ولأنفه الأمباب ..

ولكن والدتي وافقت . وخرجت مع والدة زميلي . وكان لابد أن أعود إلى  
البيت وحدي ليلا .. وكانت تجربة مروعة . لا أعرف تفاصيلها ، وكل الذي  
أتذكره أنني لم أشعر بمشي ولا بالطريق .. وإنما كنت أسير على الأرض أو  
هوقها .. فأنا لم أشعر إلا بأنني أتق باب بيتنا .. وإلا أن الباب انفتح .. وإلا  
أسي أرندى فربة جزمة واحدة .. ورويت قصصا من بينها أن الذئب طاردني .  
وأنه حاول أن يأكلني من فمى فخرجت الجزمة من بين أنيابه ..

والمعنى : حمد الله على سلامتي !

ولكن لم تصدقني والدتي . وكان لابد من الضرب المبرح بسبب إهمالي

الشديد !

• • •

ولا أعرف على التحديد متى تحطيت حواجز الخوف والفرع من الناس  
والليل ومن قزع الغطاء من فوق وجهي صيفا وشتاء ..

ولكن من المؤكد أن كل شيء في حياتي قد تغير عن طريق الكتاب  
فالكاتب هو العنكبوت الذي أحبه وأضجعه ليلاً ونهاراً وأنظر منه إلى الناس ..  
وكثفت دنيا الكتاب أوسع وأطول وأعرق وأجمل .. وكل كتاب أقرأه : بعده  
جديدة .. وصور جديدة .. وألوان جديدة .. وكل كتاب أقرأه أرتفع به شبراً عن  
الأرض وعن الناس .. وأصبحت معني أن أسأل زملائي إن كانوا قد قرأوا  
الكتاب الغامض .. فأجبتهم ثم بعروءه .. وتكون معانتي .. كتاباً بعد مائة كتاب  
بعد ألف كتاب .. ولم أجد أحداً منهم قد سمع عن : ابن بطوطة : ورحلاته ..  
وبعد ذلك عن ابن جبير .. لما الكابيس كوك ظم بعرقه أهد .. مع أن الكابيس  
كوك كان مكتوباً في قصص الأطفال الإنجليزية .. والكتاب وجنته بالصدفة ..  
فقد وجدته عند زميل أمه يونانية .. وكان أحسن للتلاميذ جميعاً في اللغة  
الإنجليزية .. وكان المدرسون يطلبون إليه أن يقرأ وأن يكتب .. لكنني نتعلم منه  
حسن الأداء .. وهو الذي مرأى في هذا الكتاب الصغير .. وقد نسبت كل الكلمات  
وكل تفاصيل الرحلات إلا صورة للرجل : طويل عريض ، شعره طويل ذهبي  
وأفقه وعينه وبنته الغربية : القميص طويل وأكمام القميص تخرج من كم  
الجاكينة . والجاكينة طويلة جداً واسعة . والبطلون صيق والجريمة لها وردة ..  
وفي يده ورقة كبيرة ملوثة والرجل له شخصية هوية .. وله نظرة مصيدة ..  
وهو ينظر بعيداً .. ووزراء الرجل مهيبة شرعية ..

بدأ حياته يعمل في بكنل بقلعة . والدكان بطل على البحر . وهو اسكتلندي .  
وكان عندما ينتهي العمل يجلس فوق صخرة وينظر إلى البحر . وفي إحدى  
المرات غلبه النوم .. ولكنه لم يقط في الماء ، وإنما نام على صخرة كبيرة ..  
وعندما سألته أمه أين ألمسى ليلته . قال : إنه نام فوق صخرة مطلة على  
البحر

وصدفته أمه ولم يصبره أحد

وسألته : ولكن لماذا يا ولدي ؟

أجبت : أريد أن تكون بحاراً .

قالت أمه : اذهب إلى فلاح وهو يعلمك .

وذهب . وبرز البقالة واشتعل خالما في إحدى سفن نقل الفحم . وكان رئيس  
المركب إذا طلب منه شيئاً أداء بسرعة . وبدقة . وإذا سقط شيء في البحر ،

- سى البحاره إلى إلقاء نفسه فى الماء والإفئاد بالأمياء المعقودة . واسفل  
معم فى سفينة أخرى وثلاثة واربعة ثم طلب إليه إحدى الشراكات الملاحية  
كان هو قبطان إحدى السفن وكان فى العشرين من عمره ..

وعد لاحظ زملاؤه من البحارة أنه يتقن بمرعة . وأنه شجاع . وأنه  
محضر . وأنه يقرأ كثيراً . وأن المركب الذى يقوده إذا وقف إلى جوار  
سوىء برز كل البحارة وذهبوا إلى بيوتهم إلا هو .. فإنه لا يترك المركب .  
بحر هناك يأكل ويشرب ويمرح ويقرأ . وكان يطلب إلى والديه رباته فى  
مركب . فهو لم يحب الشاطئ .. إنه لنس البحر وسوف يعيش فيه ومن  
حه .

، فى سنة ١٧٦٨ أى عندما كان فى الأربعين من عمره قررت الجمعية  
ملكه أن توفد سفينة إلى جرد ناهيى لرصد مرور كوكب الزهرة وراء  
شمس . وكان ذلك حادثاً هائلاً لم يتكرر إلا بعد مائة سنة . وكان العلماء  
يرصدون على رصد هذا الحادث لمعرفة المسافة البسيطة بين الشمس  
لأرض ..

وتسم لهذه المهمة كثيرون ، ولكن الكابتن كوك هو الذى فاز بهذا الشرف  
عظيم . فقد قدم للجمعية الملكية تقريراً دقيقاً كفيه قبل ذلك عندما وصف  
شرف الشمس على شبه جزيرة نيوهولاند .. لقد كان التقرير دقيقاً شاملاً  
. كان أيضاً مصححاً وأنها لشبه الجزيرة جغرافياً واجتماعياً . وقد رأت الجمعية  
- جلالاً لديه هذه الموهبة وعلى الوصف الدقيق ، فأنظر أن يقوم بالمهمة ..  
.. يكن هو الذى سوف يرصد كوكب الزهرة وإنما عدد كبير من الفلكيين .

، فى يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٧٦٨ خرج على ظهر سفينة جديدة من ميناء  
بحرث ليس إلى ناهيى بعد ثمانية شهور .. ولرصد الظاهرة العظيمة يوم ٣  
نومبر سنة ١٧٦٩ .. وكان رصد الظاهرة هو السبب المعلن من هذه الرحلة .  
ولكن السبب الأهم هو اكتشاف أستراليا . أى الأرض الجنوبية المجهولة .  
- يصنع العلم البريطانى ويصمم الأرض الجديدة إلى التاج البريطانى . هذه  
هى المهمة . وقد اختارت الجمعية الملكية أعظم مكتشف فى كل العصور ،  
عند يستطيع أحد أن يكتشف أرضاً بهذا الاتساع فى أى وقت . فهو يكتشف  
- رتب ، نيوزيلندا وجزر هاواى .. وغيرها من الجزر الصغيرة ..

وكان الكيفيت كوكب يكتب منكراته كل يوم وبنقة شديدة . ومن يقرأ منكره  
بخيل إليه أن هذا الرجل لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يمرض .. ولكنه  
لا يركب سفينة صغيرة ومط الأمواج والعواصف والشعب العرجانية وبسر-  
البحارة . وإنما كأنه يمشي على الماء ليكتشف أرضا جديدة في ظروف قاسية  
وهو لا يشكو ولا يتلأم . كأنه يعرف مكانها بالضبط عذوب إليها .. مع أنه لا  
يكن على يقين من أي شيء .. ولا كتبت للحوادث التي معه دقيقة .. ولكن شديد  
ما في أصنافه يؤكد له أن الأرض الجديدة هناك في انتظاره ليكتشفها . وقد  
يسجل لنا حوارا بينه وبين البحارة .. بل إن البحارة عندما كان يعبثهم الجوع  
والعطش والملل ، فهو يسجل أفولهم ولكن يرد عليهم .

وهو الذي يكتشف أن نقص الخضروات والفواكه قد أدى إلى موت كثير  
من البحارة بمرض الكساح والإسقيوط .. ولم تكن قد عرفنا هينامين  
الموجود في البرنقال . ولكنه بالملاحظة الدقيقة يكتشف خاصية البرنقال  
ولذلك كان يصر على إطلاع البحارة خسارا وهراكه طارحة .. فلم يمت من  
بحارته أحد !

وكان ينام قليلا جدا . كان ينام ساعة واحدة في ظرفه الدافئة . وينام ساعات  
أخرى منقطعة جالسا على ظهر السفينة .. ينام دقيقة ويصحو أخرى .  
ولا يعرف إلى كان صاحبا أو نائما . كأنه ينام بعين ويصحو بعين أخرى .  
وكان يقول في منكراته : ساعة واحدة صمقة تكفي جدا ..

وكان آخر من ينام وآخر من يأكل وآخر من يشرب وأول من يصحو  
وأول من يخلع ملابسه يتور حول السفينة يكتشف ما الذي فعلته الأمواج  
والعواصف بها ..

وفي إحدى الليالي استأذن العلماء في أن يكتب خطابا لوالدته . وقرأ عليهم  
المطاب القصور : والدي أحبك وأؤكد حيي لك وإمتناني العظيم . طولا  
تشجيعك ما جئت إلى هذا المكان في مهمة جلية . إن كل عمل أنجح في أدائه  
فالشكر لك . وإنما كان العمل جليلا . فالشكر لك واجب على التاج البريطاني .

وقبل أن يسأل العلماء كيف يرسل هذا الخطاب إلى والدته .. كان وصفا  
في زجاجة وأغلقها وألقى بها في المحيط قلالا : وعددها بأني عندما أخرج من  
كتبة خطاب لها أن أبعث به فوراً !

ثم صحك : وكانت هذه هي المرة الأولى التي يصحك فيها .

ثم استأنس العثماني في كتابة خطاب آخر لوالديه لأنه قد سمى أن يقول لها شيئاً هاماً . وجلس يكتب بحضرة وهم يصحكون . شيء آخر يا ماما سميت أن فإنه لك .. لقد فرحت انسى . وصريت نفسي قلما بالثياب عني ، هذا سميت أن بعد أوامرك في الصلاة كل يوم أحد . سميت أن أصلي وأدعوك يوم الأحد العنصرى . فليس من السهل أن تذكر الأيام . معصرة .

ثم وضع الخواب في رجاها ولفها في المحيط حول أن يصحك هذه المرة !

• • •

وأصبح البحث عن كتب للكاتب كوك من آمالي في الحياه وكان أملا صعبا . فقد مضت سنوات طويلة دون أن اعثر على كتاب له أو عنه .. ولكن وجدت كتابا عن ( الرحلات البحرية القديمة ) من تأليف عبد الرحمن بمرى . وكان كتابا صعبا ومحدث يدهى وقبيل وجدت لمصولا عن الكاتب كوك . ووقعت أنصفح الكتاب ثم جلست على الأرض أمام المكتبة وقررت الكتاب كله في ساعتين . وبظنرت إلى مانع الكتاب ووسعته وكأني سرفت ما فيه وسألتى الرجل : كنت أنت أين هذان ؟

قلت : إلى ابنه والدي

فقال الرجل : هذا الكتاب لك !

وتم أم ليلتي . جلست أقرأ الكتاب على مهل من لونه لأحده . وانظر إلى الصور والخرائط .. وأدهشني أن الكاتب كوك كان هو الآخر يضاف من الليل ومن أمواج البحر . ولكنه صامد عينا بهبه وبين نفسه . ولماذا يكرر الليل محببا ؟ ما الفرق بين الليل والذهاب .

فقرر في أحد الأيام أن ينام أمام البيت ليلا . وأن يطلع مصوح العينين ليرى ما هذه الذي يجيء في الليل ويحيي الناس ولا يطلع عليهم بالنيهار . فلم يجد شيئاً وانتهى الخوف !

أما الذي اكتشفه الكاتب كوك فهو الأسفل المنزلي من منزله .. وكانت

سفينته تنحطم في الحاجر المرجاني الممتد ألف كيلومتر .. ولكنه رغم ذلك لم يحف وإنما تفادى الموت والبحارة كلهم ياتمون .. فلما طلع النهار أصابهم الرعب .. وتأككت عظمة الكابتن كوك لديهم ..

واكتشف أيضا جزيرة موزيلندا .. ووقفت سفينته على شاطئها . وهاجمه السكان الأصليون وأطلقوا السهام والرماح .. وأطلق عليهم النار .. وقتل منهم عشرات .. ولكن امتلأت سفينته بالهواكه والحصريات . وهجم البحارة على الفتيات . وحذرهم من المرض . وبقي هو أعظمهم جميعا .

وهل لنعلماء على ظهر سفينته : إننى أسمع صوتا غريبا يملأ بصي ويقول : أمامك مهمة أكبر .. إنها النهاية !

واكتشف جرر هاواي . وكان السكان الأصليون لهذه الجزر يظنرون إليه على أنه إله . فالأماطير تقول لهم أن الإله سوف يكون طويلا عريضا ويحيى على ظهر جزيرة .. أو سفينة كبيرة كأنها جزيرة .. وواجه السكان الأصليون بضوة . وكان يستغل تقديسهم له وكان يدافع في إتهامهم .. فكان إذا نحن السجائر أمامهم سقطوا ساجدين : إذ كيف يحرق الخلق من همه ولا يحترق ! وكان يصنع يديه في جيوب البطول فيسقطون ساجدين .. إذ كيف يصنع يديه في بطنه ، ثم لا يموت بعد ذلك .

ولما أطلق النار على شيخ القبيلة وأرداه قتيلًا ، لم تفهم النار التي لا يعرفونها . وإنما أزعجهم وأعصبهم مقتل شيخ القبيلة .. فقدوا عقولهم وأطلقوا السهام والرماح على رجاله فضلوا منهم كثيرين . ثم جاء واحد من ورائه وصرب رأسه .. فسقط على الأرض .. ثم في الماء ، فهالكت عليه السهام من كل جانب .. ومات يوم ١٣ فبراير سنة ١٧٧٨ عن خمسين عاما ! ونقل جنمته إلى بريطانيا !

ولم يكن السكان الأصليون يفصرون أنه هو أيضا يمكن إصابته وقتله وموته .. فلما مات هاجموا البحارة والسفينة ونهبوها .. وكان انتصارا عظيما لهم !

وعندما ذهبت إلى جرر هاواي في أغسطس سنة ١٩٥٩ وقفت في نفس الأماكن التي وقف الكابتن كوك عندها .. وجاء من بصريدى فوق رأسي ومن

يطلب أن أسقط على الأرض نسيهال السهم إلى آخر ما حدث للمكشف العظيم !  
وعندما ذهب إلى جزيرة ميلان ( سري لانكا ) صعدت إلى قمة آدم .  
حيث وقف ابن بطوطه .. وحيث نزل أبونا آدم من السماء .. هكذا نقول  
الأمطورة .. هو صمق هنا في ميلان وهذا في عس في اليمن . وكانت قبة  
اسم كبيرة لترجه أن التجويف الذي أحدثته في الأرض ، على شكل قبة ، بحيرة  
كبيرة ؟!

• • •

ولم عذب إلى قراءة كتاب : الرحلات البحرية القيمة ، بعد ذلك . ثم أجد  
فيه شيئ يستحق القراءة . فالكتاب رديء الطباعة رديء الورق . وليست به  
صورة وإنما هي لوحات ملونة مينة .. ثم إن الصورة التي كنت أعتقد بها  
للكابش كوك ثم نكر له ، وإنما كانت لممثل سيماني ليس في كل اسمه :  
لا جيمس ولا كوك ولا كانش . ولا أعرب كيف احتفظت بهذه الصورة سنوات  
نوب أن أنظر إلى الاسم تحت الصورة .. واسلوب الكتاب ركيك . ولم أجد  
مجموعة واحدة مفيدة ولا قصة ممتعة . ولا موعظه .. ولا شيئ يشجع السلامه  
في مثل منى عنى الفراءه والمعامرة .. وللمسر وللرحلات

ولكنني كنت أقرأ هذا الكتاب بخيالي .. بحنى السبد . ورغبتي العارمة  
في أن أخرج .. في أن أحطم عالمي المصيق . في الفجر من الفصص المصنوع  
من الحرف والفلق والشعور الدائم بالحريه والمرلة . تماما كما يحاول العصفور  
أن يهرب من القفس .. وبعد أن يهرب فإنه يقف فوق القفس . والذي يرى  
العصفور جائر صاعدا مذبذب ، يحول إليه أنه إذا انطلق يصرف يطل طائر حتى  
يموت فوق السحاب . ولكنه مما يريد ألا يكون في القفس .. ثم يطل مربوطا  
بغير خيط فوق القفس !

وكذلك أنا ، لم يعجبني الكتاب ولا ما جاء به .. ولكنني ظننت محبصا بهذا  
الكتاب سنوات طويلة .. وحتى عندما وجدت كتابا أكبر عن الرحلات . وعن  
الكابش كوك ثم أتخلص من هذا الكتاب القديم . الذي هو صورة من بحاربي  
ومن حياتي . وكيف كانت تبدو الانبياء في الطفوله .. وقد عثرت على بيتي



في المنصورة . ووجدت البيت صغيرا والياب ضيقا والشارع حار ، وكنت أرى ذلك كله واسعا شامعا .

ومعنى صغير ، كانت الدنيا أكبر منا ، ومعنى كبار ، صارت الأشياء أصغر منا ..

وكذلك هذا الكتاب ، بعد أن رأيته صغيرا ذاتها ، لم أتخلص منه تماما كما لم أتخلص من ملابس الصغيرة ومنكراتي السابجة .. إنها صورة منى ومرحلة من مجاربي أنفخرج عليها من حين إلى حين . لارى كيف كنت وكيف أصبحت ..

ووجدتني بعد ذلك على سفر دائم ..

واسجعت إلى الخارج . ولم ينسح وقتي لكي أرى أماكن كثيرة من مصر . فانا رأيت إسرائيل ، ولم أر سمياط ورأيت كوبا قبل أن أرى رشيد .. وأهملت في القطب الشمالي ، قبل أن أرى أسوان .

وكانت رحلتي « حول العالم في ٢٠٠ يوم » سنة ١٩٥٩ على شكل كتاب في ٨٠٠ صفحة هذا الكتاب فاز بجائزة الدولة التوضيحية عن أدب الرحلات .. وهو أكثر الكتب العربية انتشارا بشهادة النيوسكو منذ سنة ١٩٦٣ حتى اليوم .

وكان كتابي « اليمن - ذلك المجهول »

وكتبي « أطيب تحياتي من موسكو »

وكتبي « بلاد الله خلق الله »

وكتبي « غريب في بلاد غريبة »

وكتبي « لفت في اليابان »

أما كتابي « أعجب الرحلات في التاريخ » في ٧٠٠ صفحة فقد جمعت عشرات الرحلات التاريخية للكبرى ، برا وبحرا وجوا ، وكل الهدف « تشجيع الشبان على السفر والمغامرة وتقديم المثل الأعلى والقدوة الحسنة » وكان ذلك عجب الإنهيار النصفي والهزيمة العسكرية سنة ١٩٦٧

وقد كان من نتيجة هذه الكتب أن ظهرت عشرات من الكتب عن الرحلات وكتب الرحلات والهجرة إلى القارات الخمس . وقد ساعدت كثيرين على الهجرة والسفر والرحلات والمغامرات .

١٠ من جد كساد حور العذراء في ٢٠ يوم ، بد المجلس لأعني ثلاث -  
عمر جائز الدولة في أتب الرحلات ..

نعم عانني الصبح و صبح عمو وأحمد و مر حمت الصور في  
- صور العكس والعكس والمعمرين والتبء عمو في عكس كله . واكتسب  
- طعمه وراجه وموسيقى ويهجه . وشعر - اني موضح عالمي ' ١



الفلق الوجودی  
ومشاکل أخرى

## القائم الوجودى .. ومساكن أخرى !

لم يكن واضحاً هذا السؤال : ما الذى يصلحنى فى الجامعة ؟  
ولا واضحة أية إجابة عن هذا السؤال . فليس من الممكن أن يكون لى رأى  
فى العلوم الكثيرة التى أدرسها . كيف يكون لى رأى وأنا لم أعرف منها  
إلا القليل .. وكيف يكون لى رأى وأنا غير قادر على أن أفعل شيئاً . ولماذا  
أفعل أى شيء .. فمن الضروري أن أدرس ومن الضروري أن أحرص على  
سلك وأن أنجح وأن أتفوق .. فمثلنى ليس أمامه إلا اختيار واحد : أن ينجح  
سريعاً ، فليس هناك أى سدد ماضى أو اجتماعى يجعلنى أحصل على نصيبى  
المتراسب من الحياة .. لا شيء إلا النجاح بتفوق ..

وإذا جلست إلى رملانى وجنتهم يلعبون المدرسين والمكتبة والكتب  
والامتحانات .. وهو كلام عادى جداً لا معنى له ولا قيمة أيضاً . فإلى يشكو  
من الكتب هذه مكتبة فى بيته . والذى يشكو من أن هذه الدراسة لن توصله  
إلى شيء ، يجرى إلى الكلية فى سيارة .. والذى يتحدث عن مستقبل الدراسات  
الفلسفية قد جدد مستقبله بهائياً .. فهو على إين على .. ويستطيع أن يعيش  
بلا فلسفة وبلا دراسة وبلا نجاح ..

إن فهل هذا الذى أقوله قليل على صعب شخصى ، وعلى أننى أكرر  
ما يقوله الغير دون فهم ؟ !

أو أن الذى أقوله لبعضى ليس صحيحاً .. فأنا عدى مشاكل كثيرة . وعدد  
معبور عن هذه المشاكل هبسى استعير معربات أخرى . هذا من أن أشكو  
من المواصلات ، وأننى أذهب إلى الكلية على قدمى ، فإننى أشكو من أنسى

المسيء في إهباية ، فإني أصف الظلمة بأن الذي يتسلى بها عريان . و  
 الإنسان إذا تعب تعباً فلن يجد فيها الراحة .. إنها ليست الفراش الداعم والمحب  
 الحريية التي يوضع فوقها الرأس ، ويجيء اليوم بعد ذلك .. وعندما أشكو  
 من تكلم العلوم وأن بعضها يرتطم ببعض ، فإني في الحقيقة أشكو من شيء  
 آخر . هو تكلم الأتراك في بيتنا .. ولارتطامهم به نهالاً وإياباً لئلا عندما يقطع  
 التيار الكهربى ، وعندما أستمع إلى تلوّحات أمى وأبى فأسارع لأعرف أنهم  
 يستعمل الموت ، ويستعمل أن يقول لى للكلمة الأخيرة . هذه هي التكسيات  
 الحقيقية لاني أترجع منها .. هذه الهموم الثقيلة على رأسى وعلى قلبى  
 وليست العلوم الظلمة ..

وهي الليل عندما يجتمع بلعب الشطرنج أجد أحد الزملاء يشكو من روجه  
 أبيه . وكيف أن والده ضعيف جداً أمامها وأمام إخوتها ولولادها .. وأنه يريد  
 أن يترك البيت . لولا أن عروجه من البيت يؤكد ضعف والده وقوة روجه .  
 وأبوه يريد أن يتوهم أنه قوى ، وإنما فقط يحاول أن يقتصر الشر .. وإن  
 نكون بينه وبين إخوته غير الأتقاء علاقات الأخوة والصداقة .. وأن يصبر .  
 وعلى الرغم من أن هذه الشكوى تأخذ شكل النموع في عيبيه .. فإنه من خلال  
 هذه النموع يصرخ عن المساعدة عندما يقول لى : كش الملك !  
 وأكش الملك . وبخلينى في الشطرنج . ربما كان هذا هو الإنتصار اليومي  
 الذي يسعده . بل إنه يرى في هذا النصر بشرى خير .. وأن المرح سوف  
 يأتي بعد هذا الضيق .. والله لطيف به فليس معقولا أن يكون مهروما في كل  
 مكان : هي البيت والمفهى !

هنا . إنى - منامية ضعيفة له يستخرج منها الأمل والمستقبل الأفضل بإنسى  
 الله !

ورمى ثل إذا انفرد به يقول لى صليح .. صليح . إلى الأبد !  
 فاسلى : من ؟  
 يقول : أنا ..

لماد ؟ لأن والده مسلم ووالدته مسيحية متصنكة بدينها . فهي لا تشجع  
 أولادها على الصوم والصلاة وهي نفس الوقت لا تمنعهم . حرقاً من غضب

بها ولكن لمشكلته من كل الباب والأولاد الذين يترشحون على الأمر من  
بها هي من إنه لم ير سببا حقيقيا واحدا قنوه من سواي وكل أقاربه  
والموجودين في القاهرة يعملون في حرف مواضعة وبدأ ينفي بهم  
معنى المفهي

، انه ندعي نصلا والصوم ، ولكنها ليست صالحة في ذلك .. قد صبحها  
من مرة ناكل وشرب مرأ في رمضان ، نون من بعد عن ذلك  
حتى صارحه بأنها مريضة .. كانت ومنافعة إن ؟ ونوع مخلوع وهو  
تسبع بين الرجل المؤمن الضعيف والأم الكاذبة الكافرة . ولذلك كل أكثر  
ساعة بجماعة الإخوان المسلمين . وأكثرنا إنتظاما على النسوات  
جسود

وهي يوم قرر هذا الصالح ، أن يترك البيت . مهبطا لأن يدرك مصر  
صدا . قال لي : ما رأيك ؟

قلت : عددي مشاكل تعمس من مجرد التفكير في ذلك .  
قال : أما أنا فقد قررت بهائيا أن أترك هذه القلعة مع الامس ؟  
قلت : لماذا قررت نهائيا .

قال لي إنه كان في خرافته عندما هجت أنه الباب لجدد أمسك صليب من  
حسب يحاول أن يثبت فوقه هلالا . كما كانوا يفعلون أيام ثورة ١٩١٩ .  
نور أن يسأله أمه ما الذي يفعله رفعت رأسه ثم صغته ؟ !

، ادعاه ذلك . ولم يشأ أن يسألهم ولا هي شاعت أن تستوضح ما حدث  
فقت هذا كل ما حدث ؟

قال : هل تتوقع أكثر من ذلك ؟

قلت : قد يؤكد أنها استقرت على دينها . ولنت حر في ذلك .

قال : ليس بهذه السهولة . لأنهم فيها أسي ولها مثلي الاعلى .. أو  
شدة أو كان يبعي . هذا مصنوم فيها وهي والدي .. ثم

، سار إلى حقيقة بجواره .

قلت : جمعت ملابسك ؟ وهل دركتك تفعل كل ذلك نون أن تمسك ..

قال : بل أنا جمعت ملاحسي .. وألفت بالحضيرة من الناعدة .. ومرت ..  
سمع أمي يكي في غرفتها .. انتهى !  
ثم سكت ليقل : هل تساهر معنا إلى البرازيل ؟  
- معكم ؟

أنا وهؤلاء الحلبي وركي دمشعي ووهيق العظمة .. وعريب أبو اليريد  
وهم جميعا زملاء في قسم الطمعة وقسم اللغة العربية .  
وكان حلبي إلى جوارنا زميلنا المعتقل دائما . كيف ؟ الرأسي بعبانه دائما .  
نأ ؟ المنعك بمصر والمصرية والتاريخ . ولم أفهم .. إنه شاذول ليشع .  
وهو مشهور بأسئلته القريبة المعالجة

ملا في يوم من الأيام قل لي : إسمع .. تتزوج أختي ماريث إنها تحبك ؟  
مفاجأة بكل المعاني . فلما لم أر أخته إلا مرة واحدة . وهي لطيفة نكبه  
واسعه الأفق .. وقرأ في كل شيء وفائدة على الحديث بعدة لغات .. وهي  
أصغر مني بثلاث سنوات .. وحاولت أن أفكر ملاحمها بسرعة وهو يكلمني  
لم أجدني قادرا على ذلك ..

وهل أن أمتوضع معنى هذا السؤال بقول شاذول ليشع . لا تتصور لحظة  
أنك أجمل رجل في العالم .. ولا أغنى رجل .. ولا أنكى .. إنها سمعت  
عند . وعرفت أنك طبيب وعليل وأنت ، مالك الحريين ، ذلك الطائر  
الحري إلى الأبد .. ولما قررت فيما بينها وبين نفسها أن تجعلك أسعد .. هي  
التي تقول .. وحتى لا تنوخ معي ومعها فهي وجدت علاج لك . إنك تريد فقط  
قليلا من الامتناع .. هذا القليل سوف يمكنك من الدراسة .. هذه هي  
، الوصفة ، الطبية لحالتك .. حاول أن تناقشها في رأيها هذا ..

وهو جئت بأنه يطلق على حالة زميلنا ، الصليح ، بقوله : ولا يهمك أنت  
منعك بديك .. وهي تتمسك بديدها .. في استطاعتك أن تجلس غرقتك مسجدا  
وامتج الراديو بالقرآن على الآخر .. وعلق صورة حس البنا .. فطمت وحذك  
في البيت . فأبوك مسلم أيضا .. فلنما أغلبية . هذا إذا كنت قد قررت أن  
تجعلها معركة .. وأن تتحدى إرادتها .. ولكن إذا وجدت من يحالفك للرأي ،

تذكرت له البيت ، وسوف تعود من أمريكا بعد أيام ، لأنهم جميعا سوف يحالفوك الرأي والروية والدين !

وهو أشجع من سأل للشيخ حسن البنا قاتلا : يا فضيلة المرشد العالم .. لماذا لا تتزوج يهودية .. إن الرسول عليه السلام تزوج للسينة صفية وهي يهودية .. ولماذا لا تتزوج مسيحية أيضا .. وبذلك تصرب مثلا رهيبا هي التزاوج بين الأديان .. لماذا ؟

وقد صحك الشيخ حسن البنا وسأله : وأنت ؟

قال : يهودى إن يهودى وسوف أبقى كذلك ..

ثم سأله الشيخ حسن البنا : ومن هي هذه اليهودية ؟

فأجاب : أختي راشيل .. وقد أمنت نفسها رغبة .. ما رأيك بأستاذ ؟

وصحك الشيخ حسن البنا . ولم يقل شيئا !

وفي إحدى المرات ذهبنا إلى مسجد في شبرا . لا أنكر اسمه الآن .. وكان

مركز صلاة الجمعة .. وجدت أن شاؤول قد حلق حذاه .. ثم ذهب ونوصا ..

ولم ينسج الوقت لكي أستوضحه .. ثم وجدته قد وقف إلى جولارى .. وصلى ..

وسأله : ولكن لماذا ؟

فقال : الدنيا حرجا ولا أستطيع أن أتنظركم ساعة وساعتين أمام الباب ..

وضحكنا ثم قلت له : هذا ببس وببلك ولا تقل لأحد ذلك .. بهذا عبت ..

أرجوك !

وهي يوم كنت في بيت شاؤول وقد دعاني للعداء والمناقشة بعد ذلك .. وإذا

به يماجيء أمه قاتلا : قولوا مبروك ..

ونطلقا إليه وإلى المعالجة القادمة ولم يقل أحد منا شيئا .. أمه وأختاه ماراين

وراشيل .

فقال : لقد وجدنا شقة جميلة على النيل ، أحسن من هذا البيت الحفتر في

حارة اليهود ! .. قولوا مبروك .

ولم يقل أحد شيئا ..

وإذا به يلتفت إلى والدته ويقول ماما .. مبروك .. لقد وجدت لك حريسا

يملك محل أقمشة في الأزهر .. رآك وصحب بك ويريد أن يتزوجك وأنا

موافق .. إننى جاد !



وصحكتا . وقد اعتننا منه ذلك .. وإنما به يحرص ورقة من جيبه ويقول :  
هذا اسم التاجر ورقم تليفونه في النكاح وفي اللبيب . وهو على استعداد لسماع  
صوتك الجميل في أي وقت !

إن شاول شحصبه منجثة . وعدده قصبة واحدة : كيف يمكن ترويج  
الأنبياء بعضها من بعض .. كيف يلقي العوارق والحلقات النبوية .. هذا هو  
عدليه الوحيد . وهو يكره : إسرائيل ، ويكره أن تقوم هذه النولة .. ويرى أن  
قيامها أكبر دليل على غاوة اليهود .. لأنهم بدلا من أن يعيشوا ويكتبوا نون  
أن يدرى بهم أحد في كل الدنيا ، فقد جمعوا أنفسهم في مكان واحد . جعلوا  
من أنفسهم هدفا معلوما لكل أعدائهم .. وهذه غاوة .. وهو يتمنى أن يجرى  
اليوم الذي يعود فيه اليهود متفرقين في العالم ، يكتاثرون ويحكمون السياسة  
والمال . كل سكان الكرة الأرضية .. بدلا من أن يجمع العالم على كراهتهم  
وهو مؤمن بأن اليهود سوف يصيرون بهذه النية في الشرق الأوسط وأنهم  
سوف يهربون من الدولة وهم فيها بأن يتزوجوا من المسلمين والمسيحيين .  
وتصبح معالم الديانة اليهودية .. وتصبح معالم كل الأنبياء لتعيش الشعوب كلها  
بلا نبي مملو وإنما يبدله سلوكية مثل الديانات الهندية والصينية واليابانية !  
وسرع بعد مناقشات جادة فاجأ بأن شاول يقول : هل سمعتم آخر بكته ؟

## ( ٢ )

تجمعا عشرين أمام باب جمعية . الإخوان المسلمين . في بولاق الذكور  
بالقرب من الجامعة . تقدم واجب للعراء في والد أحد الزملاء .. ثم سرب معا  
إلى المدرج ٧٨ في كلية الآداب . فقد جاء ثوري في ذلك اليوم أن ألقي بحثا  
على طلبة قسم الفلسفة . أما موضوع البحث فقد حثته رئيس قسم الفلسفة وكان  
رجلا إنجليزيا اسمه د . لامونت الموضوع هو : انطلق الوجودي . ما هو  
ولماذا ؟

ونحلت المدرج . وكانت القاعة أن أقرأ للبحث . لأنه لا يصح للباحث الجاد  
أن يزمجل في الأرجال إسخفاف بالمستمعين وغرور من التحدث وهذا  
لا يليق بطلب في مسهل حياته العلمية . ولكني اعتدت بأن نظري صعب .

١٠ - الإضاءة ليست كافية . ولأننى بسبب الوقت الطويل الذى أمضيته فى القراءة والكتابة أكاد أحفظه بكلماته ..

بدأت كلمتى بقرلى : أطلب من الله الرحمة بنا والمعرفة فالموضوع شاق وب صغير والمشاكل صعبة ، ولا أملك إلا هذه الأصابع المتواضعة التى لا تقوى على احتواء الكون والعقد والآثار والظلم والظلم والظلم لا نهاية به ، وليس عدى إلا هذا العقل المبتدىء الذى لم يتدرب بدرجة كافية على مثل هذه التهموم الكثيرة .. بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد حاولت أن أكون مبهوراً ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

ووجدتلى أقول : فى سنة ١٨٣٢ وهى إحدى الفلبات بالقرب من بونيس بريس ذهب شاب عمره ٢٤ سنة . كان قد درس أصول الشريعة المسيحية لى يهدى للجامعات ثم تحول إلى دراسة الأجسام البشرية والحيوان والنبات .. وبعد ذلك بعامين ، وبعد ذلك بعامين وعقله فى هذا العدد الهائل من الحشرات حتى وجدها تحت أوراق الشجر .. لقد وجد فى مساحة صيدل ٨٦ نوعاً من الحشرات ..

وكلها مختلفة فى الشكل واللون والحجم !

ذلك الشاب هو جيفرى المستقبل تشارلز داروين .. ثم عرفها فيما بعد تلك حانة عام أن عدد الحشرات الموجودة على الأرض تبلغ ربع مليون نوع .. هذه الحشرات لا تتراوح كأنها ليست من فصيلة واحدة .. وكان الرأى الشائع فى ذلك الوقت .. أن الله سبحانه ونعلى خلق الحيوانات والحشرات والنباتات منفصلة بعضها عن بعض .. ولهمت بها أية صلة من أى نوع .. ولكن داروين ذهب إلى جرز فى المحيط الهادى فوجد هذه الحشرات وقد تنوعت لونا وحجما وشكلا .. ووجد الحيوانات من الفصيلة الواحدة قد تباينت فى اللون والحجم . مما السبب ؟ السبب أن الحيوانات إذا عاشت فى ظروف مختلفة فإنها تطوّر بيئة ونقاومها وتتعايش معها وأن الحيوانات التى تفصل تلك تطوّر أعمالها .. ب الحيوانات التى لا تطوّر البيئة فإنها تنقرض وتموت .. فالبقاء لأقدر حيوانات على مقاومة الظروف والتعذب عليها ..

ثم قلت . دعوى أنكم بنظرية إعتدت إليها ، ورغم أن هذه عبارة

كبيرة ودعوى ضخمة ، فإننى لا أجد إسما لهذه الفكرة التى أعرضها عليك  
وهى ، نظرية العييات ، - فكل ما نتجته هو عينة .. فبحث الحنافس هو بحث  
لعينة من الحنافس . لا كل الحنافس .. ولبحث فى الإنسان هو بحث فى عينة  
من بنى البشر ، وليس كل البشر .. بل ما كما تأخذ غطرات من المطر أو من  
البحر ثم من دراسة هذه القطرات تعرج برأى أو بنظرية عن تركيب مياه  
الأمطار والبحار .. وكذلك فعل شارلر داروين .. لقد درس عييات من  
الحشرات والروافع والنباتات ، ليخرج منها بنظرية هذه النظرية ليست  
كافية لتفسير كل شيء .. ولكن تصور ما استطاع .. وكذلك البحث فى الفلق  
ليس فلق كل الناس . ولكن بعض الناس . فأننا لم ندرس إلا عددا من الرمال  
حولى .. ولم ندرس كل الطلبة ولا كل المتقربين فى مصر أو فى العالم العربى  
أو فى العالم .. استأنا العظيم مغرط عندما أراد أن يتعمق فى الإنسان ، لم  
يكس أمامه إلا تلامذته .. راح يقتلهم ويؤلمهم بمصهم على بعض .. ومن الشرير  
المنطير منهم وعلى ضوئه ، أخذ يتسلل إلى أعماق النص الإنسانية .. إنها  
- إن - عينة ليست كافية .. ولكن هذا هو المتاحة لنا ، فى هذه المرحلة من  
البحث .. وهذا عذر أنضم به مبكرا ، إذا لاحظتم أى نقص أو ملاحظات فى هذه  
الدراسة المتواصلة .

وليس من الضروري أن يكون الفلق هو حال كل الشباب .. فإننى أعرف  
شبابا لم يسمعوا عن هذه الكلمة .. فهم راصون تماما . فلتعوى تماما . وأعرف  
شبابا دفعهم الفلق إلى التفكير فى ترك مصر ، والذهاب إلى بلاد أخرى ليستأنفوا  
فيها الفلق ولكن فى ظروف أخرى .. إن قصة « روبسون كروزو » الذى وجد  
نفسه فى جزيرة مهجورة .. قد استأنف فيها الحصار الغربى وهذه .. لقد نقل  
كل ما تعلم وما تألم به إلى هذه الجزيرة .. هؤلاء الشباب لم يفكروا فى أسباب  
الفلق ولا كيف يمكن القضاء عليه .. وإنما فقط فى أن يهتروا عن جو أصل  
عن حلقة أجمل لمعاناة الفلق من جديد .. تماما كما تنقل مريض من غرفة بحث  
السلم إلى غرفة فى أجمل الصالح . دون أن تفكر فى علاجه .. أو كأن يقسم  
أحد اللصوص أن يتوب عن سرقة الغراء فلا يسرق إلا الأغنياء . فهو لم يعزل  
عن السرقة I

وقلت : إسمعوا لى أن أروى لكم قصة رمزية معها مناسب تماما . يقال

.. جلا كان يعمل في قطع أشجار العابات . القصص للأنيب الألماني باومباخ  
عن إليه زوجته الجميلة وجلست إليه بعد أن قطع الأشجار . وجاءت ظهرت  
.. صميرة الحجم وقالت لهما : عندي يبيوع الشباب ..

.. رارا وراعا وملأ الرجل رجاجة من يبيوع الشباب وقالت لهما السيدة :  
.. منها يصنع فطرات عندما نشمران بالحاجة إلى ذلك . ولكن معمول هذا  
.. يهبط إذا نظرت أنت الزوج إلى امرأة أخرى ، وأنت الزوج إلى رجل  
هر !

وعد الإنسان وأخفا الرجاجة في مكان بعيد لا تمتد إليه الأيدي . ولأنهم  
.. فلم يجدوا ضرورة لشرب فطرات من الرجاجة .. وحرص الزوج  
.. يطر إلى أية امرأة أخرى ، وهي إلى أي رجل آخر .. وأنجبا أولادا نكورا  
.. وهي يوم امتدت يد الرجل إلى الرجاجة وسقطت منه .. وحرص ولكنه  
.. من الرجاجة بماء آخر . وأخفاها في الملابس .. وهي يوم شعرت الزوجة  
.. تسب فقررت أن تشرب قهلا منها . وامتدت يدها إلى الرجاجة فسقطت منها ،  
.. تسرعت بماء رجاجة أخرى . وكانت تقول لزوجها : لماذا لا تشرب من  
رجاجة ؟

وشرب الإنسان وكل منهما يقول للآخر إن أفر الرجاجة يبدو عليك واضحا  
خسارة وحيوية وشباب وسعادة .

وقد حاول الإنسان أن يحرثا على ، يبيوع الشباب ، في الغابة ولم يهتد ..  
.. في يوم لاحظ الرجل أن شعرة يوصاه في رأسه . وانزعج . وطلبت إليه  
.. زوجته أن يشرب من الرجاجة . وشرب وشربت هي أيضا !

وكانا يقولان لبعضهما البعض : شباب وحيوية وجمال وسعادة .. وحياتة  
.. وجبة مثالية وأولاد أصحاء ..

وقد حاولت أن تطلعه على ما حدث ولكنها ترددت . وفكر هو في أن  
.. يصرحها ، ولكنه تردد . فهي نراه سعيدا وهو يراها جميلة ..

وفي يوم قررا معا أن يبحثا عن ، يبيوع الشباب ، في الغابة ووجداه ..  
.. هناك وجدا السيدة أيضا . وقالت لهما السيدة : ولكنكما لم تشرب من  
.. الرجاجة .. إلى الشيصوحة ظهرت عليكما ..

ونظر الإنسان إلى سطح الماء .. فرأى الرجل نفسه شبحاً أبيض الشعر مجعد  
البشرة .. ووجدت الزوجة نفسها كذلك ونظرت إليه ونظر إليها فسألها وكنت  
تعرفين أنني هكذا كبرت ؟

قلت : نعم . وأنت كنت ترائي كذلك ؟

قال : نعم ..

وصرخت بهما الصاعرة وهي تقول : يجب أن تشربا من اليبوع قبل  
غروب الشمس .. أسرعاً !

ونظر الرجل إلى زوجته وسألها : ما رأيك ؟ قالت : لا . إنما سعداء  
هكذا ..

وعاد الإنسان إلى البيت مقلتين ، والناس يصعدون عليهما ويرون في ذلك  
مصادقاً للمباراة الشهيرة : إن الحب أعمى وأطرش ..  
ولكنهما سعيدان !

وكذلك كثيرون من الشباب لم يعرفوا ولا يريدون أن يعرفوا ، ولا تعمقوا  
ولا يريدون أن يتعمقوا معنى للقلق النفسي والطمحي والديسي والسياسي .. إنهم  
قد شربوا من رجايات الماء العادي الذي لا يعيد الشباب .. ولا يريدون أن  
يصنوا حياتهم !

والسؤال كما نرون سهل ، ولكن الإجابة صعبة .. وأنا أحاول أن أدور  
حولها .. ولكفي بصيات من النفس لطى أهدى ..

وأنتكر بهذه المناسبة أن الفيلسوف البريطاني رسل قد طلب إلى تلامذته في  
أحد الإمتحانات أن يكتبوا : عن الفرق بين المشكك والمحدد والكاهن  
واللا أفرى . وكل الإمتحان صبيحة رأس السنة الجديدة ..

فكتب أحد الطلبة : إن الله وحده هو الذي يستطيع أن يجيب عن مثل هذا  
السؤال .. وكل سنة وأنت طيب !

فضحك الفيلسوف رسل وكتب على الورقة : عشرة على عشرة لله  
وصخر على عشرة لله .. وأنت طيب ! -

وهذا القلق ليس خلاصاً بالعلامطة والمشتغلين بعلم النفس . وإنما يصيب كل

الناس .. والمعادلة ليست من مصيبت البلهاء واليسطاء ، بل هي أيضا من خط  
الفلاسفة أيضا .

وفي يوم مثل الفيلسوف الفريسي الأنيق جدا ، أوجهت كويت : : كيف  
نكون هينسوبا ونأكل أحسن الطعام ، ونقيم في أحسن القصور ، وترتدى أجمل  
الملابس ؟ فقال : وهل تظن أن الله قد خلق كل هذه الخيرات لتكون من نصيب  
البلهاء وحدهم ؟ !

ولا أعرف كيف إنتهت المحاضرة . ولا إن كنت وجدت تعريفا جليسا  
مانعا للقلق عموما والقلق في الفلسفة الوجودية .. ولا أين ذهبت بعد  
المحاضرة . ولا ما أدى كان يقوله الطلبة عند خروجي من المدرج .. ولا إن  
كان رئيس قسم الفلسفة د . لامونت كان ينادي أو يستوفتي ..

وانتهت إلى حديقة الأورمان .. عالم آخر .. كوكب آخر .. الأشجار  
والأزهار .. الظلال .. الأطفال .. الوجوه الصاحكة .. وعلى أحد المقاعد  
جلست . ولم أتابع ما يدور من حواري هناك .. وكيف تتلاقي الأحاديث  
ورائي ومن فوق رأسي كأنهم أسرة واحدة ..

إلى جوارى جلس رجل إلى بلد وروجه وطفلا صغيران ..  
قال الرجل . تعالى يا ولد هنا .. أترك مكانا لحصرة التلميذ .. أنت تلميذ ؟  
قلت : نعم ..

قال : أنت وروجتي .. هي أيضا تلميذة .. كلمه يا حوطف ..  
فالت عوطف : أنا تلميذة في كلية للتجارة .

قال : لا يبدو عليها ذلك .. أو يبدو عليها ، ولكن أنت لا تتصور أن يكون  
رجل مثلي روجا لها .. صحيح أنا أليس الجذاب ولكني جدد وأعجبك .. وأنا  
الذي أحطتها الجلوسة .. وأريدنا أن نشارك في التكاليف . وفي زراعة  
الأرض . العلم مور .. وأنا ليست عدي رغبة في التعلم ، ولا أحب أن يسخر  
منى المتعلمون .. ولكن عوطف إذا تنورت ، سوف تقف في وجه كل هؤلاء  
اللسووس الأعدية .. وإن شاء الله سوف أتى لها بعدد من العائلات من البلد  
لكي تنزع للمذكرة .. يبقى أنا رجل أعجبك .. أليس كذلك ؟

قلت فعلا أنت أفضل من آلاف من المعلمين الذين لا يحبون روحانهم  
أن يتعلمن ..

قال هذه هي مشكلة حباسي كلها أنا بعيت كثيرا وطربوسى من  
المدرسة . تكن سوف يكون الولادى أفضل من وجسى الحمد لله  
سواء عال العال الحمد لله وعلى فكره نحن عسافا جديده فى القبله التي  
ممكنها فى المعادى . تكن أفضل ان نعت الولادى مع الاطفال وليس رحتهم  
هذه كانت هذه غلطة والذى جعلنى ذلوعه أعيش وحدى وألعب وحدى  
غلطه لا أكررها أبدا أب أعجبك اليس كذلك ؟

نه ، لا شك احسن وأسهل حالا وأكثر واقعية . هذه مشكلة عرفها  
بوضوح ووجد لها حلا !



حتى إذا ظهر  
الطفل المعجزة قتلناه



## حتى إذا ظهر الطفل المعجزة قلنا هـ

الأطباء وقفوا حول شاب مريض ، ١٩ سنة ، يعزفونه يمينا وشمالا . ولكنه لا يهرى . والتفت أحد الأطباء قائلا : بعد أسبوعين سوف يدبر من السرير !

ولكن الشاب لمح مجلة هبة قد سقطت على أرض المعرفة فأشار إليها . وفتحها له . وبسرعه مرت عيناه على المصور . وقهر الشاب واقفا ثم ألقي بنفسه على السرير قائلا : الآن يمكن أن أموت سعيدا !

كان ذلك في سنة ١٨٥٣ فقد قرأ هذا الموسيقار الشاب برامز مقالا بقلم الموسيقار شومان يقول : أيتها الناس سوف يظهر من بيننا هنار عظيم قادر على أن يعبر ببلاغة عن أعظم مشاعرنا . سوف يكون له أسلوب جديد هريد . وإذا ظهر هذا الشاب المعجزة فلا ترفضوا عيونكم عنه ولا تبسوا أذانكم . إفتحوا له قلوبكم وكل الطرق التي تؤدي إلى المجد . . أيتها الناس سوف يخرج هذا الشاب كامل الأوصاف والمعدات والنعمة . . تماما كما كانت تخرج الآلهة من رأس كبير الآلهة زيوس . . أيتها السادة إن هذا الشاب قد ظهر . . إنه بيننا وهي مقننتنا . . إنه سينتج وناج رأسا إلى الأبد . . إنه الموسيقار برامز ، وكان ذلك حدثا هيا نادرا . نحن لا نجد كثيرا في تاريخ الموسيقى أو العصور الأخرى من يعترف عظيم لعظيم آخر بمصله وبقوته ..

وهو في عالم الأخلاق أكثر ندرة . . فأعظم عظماء الموسيقى موتسارت عندما رآه الشاب بيتهوفن واستمع إلى موسيقاه قال : إنتظروا هذا الشاب سوف يكون حديث الدنيا كلها !

ولكن الشاب الذي أصبح حنث الموسيقي لم يقل كلمة طيبة واحدة عن موتسارت !

هي تاريخ الموسيقى مذايح بثرة ، وحداثات ومؤامرات واعتقالات بالسبب والحمد . ولذلك كانت هذه المعلة من أروع ما سجل تاريخ الموسيقى . .

وما قاله الموسيقار شومان بيرند في كل زمان . . فالناس ينتظرون المعجزة . يتوقعون الحدث العريد . والشخص الهادي إلى ما هو أروع وأفضل . يتوقعون المهدي المنتظر هي الموسيقى والأدب والسياسة والدين . وعندما يظهر هذا الشخص ، ينتاب الناس حوله . وقد يطول هذا السلوك بين الناس وقد ينتهي بسرعة بالفصاء على هذا الشخص الذي صدم الناس في عريز لديهم : للكمل والمير بياما . لأن صوته يوجع العين . وصوته يزلزل الآذان . . وما يدعو إليه يجعل الناس يمرضون على عاداتهم القديمة . .

فكان الناس تنتظر المعجزة ، ثم لا يقرى الناس على التعبير . . هيضيقون بصاحب المعجزة . كثير من الأنبياء قد قتلوا . وكثير من المصلحين قد أعدموا . .

ولم يعرف التاريخ كله طفلا معجزة مثل الموسيقار النمساوي موتسارت ( ١٧٥٦ . ١٧٩١ ) . . لم يذهب إلى المدرسة . علمه أبوه الموسيقي دراسة وكتابة وإبداعا . فكتب أول سمفونية وهو في التاسعة من عمره . وعندما بلغ الخامسة عشرة كان قد كتب بيده ٥٥٨ صفحة من تأليفه . لم يصنفه أحد كانوا يظنون أن والده يكتب له . حبسوه في غرفة سدوا أبوابها وشبابيكها حتى لا يدخل المماريت تكتب له . أتوا بالكتاب المغض ووضعه حوله حتى لا تقترب منه الشياطين . فكتب وأدخل . وعندما زار بابا الفاتيكان نهامس التكرامة بأن كل شيء يدل على أن هذا الطفل على صلة بالمماريت . فطلبوا إليه أن يعزف . عرف . أن يرتجل ارتجل . أن يدخل تعديلات على ألحان قديمة . هل . ثم طلبوا أن يوزل موسوعات حداثها له . كتب وعرف . إن هو صغرى ليس له نظير في التاريخ .

وعندما ذهب إلى لندن ، أثنوا له بعدد من الأطباء ليكنتموا على قواه العظيمة . . ولم يجد الأطباء شيئا غير عادي ، إن العبقرية في أعماق محه .  
أليس ؟ لا أحد يدري !

وأمن الأطباء في ذلك الوقت من القرن الثامن عشر أن العبقريّة هي صفة الملح . وكلما كبر الرأس كانت العبقريّة أعظم . أنظر إلى رأس الصغار والنور وبهية الحيوانات إنها أكبر بكثير جدا من رأس أي إنسان ؟؟ وفي القرن العشرين عندما فتحوا دماغ أعظم علماء العبرياء ليجتنبوا ويضعوا الملح تحت الاحتيار لم يجدوا شيئا غير عادي . إن العبرية شيء من عند الله ينحل أي مخ وأي رأس من أي حجم ومن أي لون ! وأصبح من أمال أي أب أن يكون له طفلا معجزة ، ومن أعلام أي شعب أيضا . وفي تاريخ الشعوب نجد عددا من أطفال المعجزة . ويكون ذلك لئلا على أن شعبا من الشعوب لديه هذه القدرة على ولادة المعجزات . . في الفن والعلم والحرب . فالشعوب الشابة هي الفائزة على الولادة . والشعوب الحلاقة هي المكلفة من السماء . بتقديم أطفال المعجزات . . وفي تاريخ الموسيقى لامية والطبقة والأدب ، أطفال وشباب المعجزات . .

والأمريكان فهموا في هذا القرن الممثلة شيرلي تمبل ، طفلة معجزة في التمثيل والرقص والغناء . بقلبها في العالم العربي كله في هذا القرن الطلعة هيرور . أتت كاتبة معجزة للسيماء العربية . ولم تعد معجزة ، يكفي أن نذهب إلى أي فرح ونخرج على الأطفال كهف برقصون لقد صقلهم للتلفزيون وتشجيع الناس فكانوا ألف ألف هرور !

حتى يظل الأطفال محمد على كلاً جاء في قصة حياته أنه مشى وعمره ١٨ شهرا . . ولما بلغ الشهر الثامن والعشرين صرب أمه في فيها فحطم لها ست أسنان . هنا نشأ له الفككيون بأنه سوف يكون معجزة الملاك في أمريكا !

وفي إنجلترا استطاع جون استيوارت ميل أن يتكلم اليونانية واللاتينية وهو في السابعة من عمره . وكان بعد صبي .  
وهربا تحدثت عن العيلوف العظيم مونتني الذي تعلم اللاتينية وهو في السادسة من عمره !

وزير الثقافة الفرنسي الأنيب أندريه مالرو علم إيسيه اليونانية واللاتينية فكلنا نعلم أن الشعر بهائين اللحنين وهما في العاشرة !  
والعيلوف الفرنسي مونتسكيو كان يتكلم سبع لغات وهو في الحادية عشرة .

وفي إحدى المرافات الجوية على لندن إكتشف جوان أن إينتهما لها صوت  
جميل وأنه يعطى ثلاثة أرباع السلم الموسيقى . فهي إن ططة معجزة . إنها  
المطربة جولي أندروز . وعمرها ١٨ سنة !

وفي هذه المس أيضا عكف الأديب فلبنافى خليل جبران على كتابة المطور  
الأولي من كتبه الجميل « النبي » ..

وفي الخامسة عشرة استطاع الممكر العرسمى بالسنكل أن يقدم لنا أول  
كومبيوتر . أول آلة حاسبة كلها من تفكيره وتصييده ، قد أكملها بدقة وكمثال  
شديد !

وفي مثل هذه المس بدأ التناهي شديدا بين الطفل المعجزة يوهان اشتراوس  
مؤلف « الدانوب الأزرق » وبين والده ملك الغاليس ..

وفي التاسعة عشرة من عمره قام المحفزع الإيطالي ماركوني بمحاولاته  
الأولي في الإرسال اللاسلكي . الراديو .

وفي هذه المس أعلن الشاعر العرسمى رامبو : أنا إنتهيت ! .  
وكان قد نظم مئات من القصائد الجميلة ابتداء من التاسعة من عمره . ثم  
هاجر إلى الحبشة .

ولم يظم بعد ذلك بيتا واحدا !

وفي هذه المس أيضا كانت المعاجزة الأدبية الكبرى سنة ١٩٥٤ عندما  
صدرت رواية « مرحبا فيها الحرب » للأديبة الفرنسية هرسواز ساجال التي  
أخذت إسمها من رواية « البحث في الزمن الصلتع » للأديب العرسمى مارسيل  
بروست !

والشعوب تبحث عن المعجزة في المجال الذي نحتاج إليه . فإن كل  
الإقتصاد هو المشكلة أخذت تبحث عن العقول الإقتصادية الجبارة . « كثيرا  
ما اختلطت مشاعر الشعوب » فجمعت عبقريا من ليس كذلك . وراحت  
سحبه ، أو ذهب المعقري للمرغوم ضحية لآمال الناس .

أو يبحثون عنه في الفيزياء أو الكيمياء أو الطب أو إكتشاف أرض جديدة  
كما حدث في القرون الأربعة العاصية في القارات الخمس .

وفي الغرب عند الشعوب العلمية التفكير . يصمون صاحب المعجزة

العبقري . . ولكن في الشعوب اليلاعية التي يؤمن بمعبرة الكلمة ظهر الأنبياء أصحاب الرسالات الإصلاحية وكان أسلوب الأنبياء هو للكلمة والحكمة . عشرات الأنبياء والقيسين وأدعاء النبوة . قد ظهوروا في مهبط النبوات الثلاث : اليهودية والمسيحية والإسلام . كما ظهر أنبياء آخرون في اليهودية والكوشية والزرانخشية والبهائية والشموية . . وسجل لنا تارخ الأنبياء العربي أطفالا معجزة كالذي يحفظ القصيدة من مائة بيت ، إذا سمعها مرة واحدة . . أو يحفظ كتابا من أوله لآخره إذا قرأه أحد على مسمع منه مرة واحدة . . أو يحفظ حوارا بين رجلين يتكلمان الفارسية أو التركية وكان المستمع لا يعرف هاتين اللغتين . كل ذلك رواء التاريخ عن شاعريا العظيم أبي العلاء المعري . وكان أحسن !

يحكي لنا شاعريا الكبير البحتري . أنه كان يلقي قصيدة بين يدي أحد الملحاء . القصيدة طويلة وعندما طواها ووضعها في جيبه بين إعجاب الحاضرين . تقدم شيخ وقور بقول له : كيف تدعى شعرا ليس لك ، أيها النصاب الكذاب ، إنها قصيدتي وأنا أعيدها عليك كلها !

وأعادها . وكان حزن البحتري شديدا . فهي من نظمته وإبداعه . وعند البحتري إلى بيته . . وخرجوه بمن يمتدعيه . وذهب إلى بيت المليحة . وتقدم له الرجل الوفور محفرا قلنا : إنها لك يا ولدي . ولكني رأيتك تتجاهلني !

ولم يكن البحتري يعرف أن هذا هو الشاعر الأعظم أبو تمام ! ويقال مثل ذلك أيضا عن الشاعر العبقري أبي الطيب المتنبي . بل إن المتنبي لم يكتب بمطمنه وتقوفه على كل الشعراء طملا وشابا ورجلا ، فإدعى النبوة . وقال أنه نبي مرسل . ولما الوحي قد برز عليه بقرآن جديد . . برز عليه مرة واحدة . . وطلب من الناس أن يؤمنوا به . .

ورقف على رهوة مرتفعة وبطار إلى الدنيا والناس تحت قدميه يعرب عن عظيم احتقاره لكل شيء وكل أحد . قال المتنبي :

أي محل أرثقي

أي عظيم ألقى ؟

وكل ما قد خلق

الله وما لم يخلق

محنت في معنى

كشيرة في مغربي ١

وكنك إذعى أبو العلاء المعرى النبوة . واهترع سوراً وآيات يحلكي بها  
القرآن الكريم !!

ووصف القاضي أبو جعفر شاعراً المعرى إير مدينة معرة النعمان

كلب عوى بمعرة النعمان

لما خلا عن ريقة الإهمال

أميرة النعمان ما أنجبت إذ

أخرجت منك معرة النعمان !!

ولكنها التقاليد الشرقية أن يكون الطفل المعجزة نبياً . من عند الناس أو من  
عند الله . . . ولذلك زعم لنفسه هذه الصفة العظيمة عند كبير من ملك المتنبي  
والمعري . . .

ثم تغير مفهوم المعجزة ، بنمو احتياجات الشعوب . وتصورها لتخلص  
من عذابها المادي والمعنوي . هي للقرن العشرين ، ورغم التطور العلمي  
الهائل ، فما يزال هناك أناس يدعون النبوة والألوهية أيضاً . ويحدثون أناس  
يمشون وراءهم . إلى خارج المجمع وإلى الخروج على القانون . وإلى الهجرة  
من قارة إلى قارة وإلى الموت الجماعي بإشارة من إصبع هذا الإله !

ولدى الإنسانية كلها شعور بلقمة على لدى أصاب عبرى العبارة  
موسسات . هذه على طفل هتير وأبوه أيضاً . وكبر شاباً معدياً مريضاً نعيماً .  
وهي كل مرة تمنع إلى موسيقاه العظيمة . يستنصر الناس بنما أعظم فقد أماته  
الإهمال والحسد والجهل . ولذلك يجب ألا يموت طفل جوعاً أو مريضاً . .  
يجب أن يتاح لكل الأطفال كل الفرص . . من بدري ريم ظهر موسسات في  
الشعر والعيزياء والإقتصاد والنساء والإحلاق !

وهي المعرض الدولي في بروكسل سنة ١٩٥٨ ، فتمت كل دولة أروع  
ما افتدع عطاؤها .

أما النعمان ، بلد موسسات ، فتمت لنا نموذجاً لرباص الأطفال . . للرعاية



أما الهدف فهو : لماذا تفوقت اليابان ؟ ولماذا تأخروا هم ؟ ما الذى يجب عمله من أجل « تخليق » أطفال للمعجزة وعابرة المستحيل . .

إن روسيا والدول التابعة لها . وأمريكا والدول الشبيهة بها ، قد أضعفوا جميعا عفرا واحدا هو : المستحيل

فكل هذه الدول ترى أن لحظة غدا وبعد غد . . وأن عصورهم الذهبية قادمة ، وأنهم سلكون إليها . .

وعلى عكس الدول التى تؤمن بالمعجزة والغيبيات فإلها ترى العصر الذهبى فى الماضى . . وأن اللحظة كانت ههنا ماضى . وأنا يجب أن نستعد للموت لكى ندخل اللحظة التى قلنا أن تكون فى ربوعها . . نحن نعيش من أجل أن نموت مستورين . وبأ الله جسس الختام - منتهى المجر عن المساهمة من أجل ما هو أفضل - وهو كبر بما ندعو له كل الأنبياء بأن يعمل الإنسان ويكده . ويعيش لتحقيق الخير والعدل والحرية والسلام بين الناس . وبذلك يريح نفسه وغيره ويكون مستعفا لرحمة الله فى الدنيا وجنته فى الآخرة . . بدلا من أن يختار الموت ، أو ما يشبه الموت ؟

وهى البحث عن المعجزة وتخليقها وإستعمالها ، ظهر فى الثلاثينيات والسبعينات أطفال للمعجزة فأمريكا إهترت طريا بمئات ملايينها فى كل مرة ترى شابا يجيب بسرعة خارقة على مثل هذه الأسئلة : كم شعرة فى ذيل الحصان إذا كان عمره شهرا ؟ وكان يجيب . أو كم عدد النجوم فى السماء التى يمكن أن تراها من ثقب أبهى ؟ كم عدد الدموع التى يذرفها الإنسان فى كل حياته ؟ وما الذى قلته مايكسون لأحد جنوده فى روما يوم كذا ؟ من هو القائد العسكرى الذى كانت قدمه اليسرى أصغر من قدمه اليمى ، وبده اليمى أكبر من يده اليسرى ولسانه أقصر من طول اللسان ثلاثة ملليمترات ؟ وكان يجيب . كم عدد الحاصريين الآن لملكك ؟ أنظر بمرعة 1 وكان يقول . . والناس تصفق وتندوخ من الإعجاب بهذا الطفل الذى لم تلد مثله الأمهات فى عشرين قرنا .

وقد جاء إنكتف السرى إته غشاش . . وأن هناك إتفاقا بينه وبين مخرج البرنامج على إقتسام المكافأة المالية وهى ملايين الدولارات . ولا يزال المخرجون يعملون !



والمعنى . إنهم في أمريكا هي إنتظار المعجزة . . من أى نوع هي أى  
وقت ؟

وظهر في أمريكا أدعياء النبوة والأكوهية أيضا ؟

وبعد مائة سنة من المقال الذى كتبه شوملى ، كتب الأديب الفرنسي أندريه  
موروا مقالا في مجلة « الأخبار » الأدبية يشير هو الآخر بظهور طغلة معجزة  
تجبر عن عصرها وعن جيلها . عن جمال عصرها وعن عيوب شبائها . وعن  
الملل والبأس والقرف . ولكنها هي نص الوقت استطاعت أن تمشي على القربل  
وأن تنقص الملل ، وأن تذيب القرف ، وأن تملو على الناس فتكون أملا جديدا  
لكل شباب الأدب والفن والعلم . .

ثم قدم للعالم الأدبية الفرنسية فرانسواز ساجان . .

وعرفنا لها بعد أن روائية ، موحيا لها البحر ، التي ألقتها فرانسواز ساجان  
كانت طويلة جدا . وأن إحدى دور النشر قد طلبت إلى أندريه موروا أن  
يختصرها . فاختصرها إلى الربع فكانت عملا أدبيا جميلا ، وحادثا هائلا في  
أوروبا وأمريكا وفي العالم العربي أيضا .

وكننت ، وكنا ، من أكثر الناس حفاوة بهذا الجديد . . وتبارى للتفقد يبحثون  
لهذه الأدبية عن مدرسة أدبية ، يعطونها من تلاميذها . . أو شجرة يعطونها  
من ثمارها .

المهم أن الأدبية الشابة ظهرت ولقيت من الحفاوة ما لم يلقه مليون مؤتمرات  
لأنها ظهرت في كل مدينة في الدنيا .

وفي الخمسينات كانت الفلسفة الوجودية قد بلغت قممها . . في فرنسا وألمانيا  
 وإيطاليا وأسبانيا . وبدأ الإهتمام الشديد بها في مصر وسنذكر في أول كتاب من  
الفلسفة الوجودية . .

وأحدث دور النشر في العالم أنها لابد أن تبحث عن معجزة أدبية تؤدى  
إلى رواج كتب الأدب وكل الأعمال الأدبية الشابة . . وظهرت في ذلك الوقت  
أدبيات صغيرات في فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وإنجلترا . ولكن بقيت فرانسواز  
ساجان هي الأدبية وهي الأولى وهي المعجزة !

وهي فرسا ظهرت طفلة في السابعة من عمرها تنظم الشعر الطبع  
أسمها مينو نورية ، وظهر ديوانها الأول بعنوان « أينما الشجرة أنت  
صديقتي » ولتف النقد والمورجون حول الطفلة الصغيرة بمألوفها  
ويعحصونها . . وكان لهذه الطفلة دوى القنابل ودوى أجراس مليون كنيسة في  
العالم . وراح الرهبان والقساوسة يهشون أنفسهم : أن الله لم يترك الإنسان معبر  
معجزة !

وفجأة تكلمت أفراح الكتكتم وأفلام النقاد عندما إنكشف أمر هذه الطفلة  
فاشعر من نظم والديها مدرسة اللغة العربية التي لم تنتج لها فرصة الظهور  
رغم محاولتها ذلك !

وكاننا نحن أيضا في الشرق العربي كما ينتظر مثل هذا الحدث الذي يهر  
الفكر للراكد ، والأنب الرسمي ، والظلمة الوجودية المطلقة . فكان الحديث عن  
فراتسوار سلجان وروايتها التي ترجمت في بيروت ، هو الحديث . .

ولذلك كان اهتمامنا بأدبيات عربيات نوعا من الرد على المعجزة ، بمعجزة  
أخرى . . لو كان نبيلا على أن أرض الديانات والأنبياء قادرة على أن تلد  
المعجرات الأدبية أيضا . .

فكان الاهتمام بالأدبية السورية عادة السماء . وكانت مجموعتها القصصية  
« عيبك فدى » حدثا أدبيا فالصبرة جميلة والتعبيرات جديدة . ووهج للحبوبة  
والتمرد والبللق والسخط والفرحة بالحب والألم للتمتعش وظلزل الهأس . .  
ولمضاهير الوجودية !

أو هكذا تصورنا في تلك الوقت . ورأيت ورأينا ، أنها أعشق وأروع من  
فراتسوار سلجان ، لو أننا يريدنا كذلك !

ثم ظهرت رواية « أنا أحيا » لأدبية ليلى بعلبكي . وكان حماسي  
وحماسيا ، لهذه الأدبية هاتلا . واقترحت على الناشر اللبناني أن يختصرها كما  
فعل أندريه مورا في مائتي صفحة بدلا من خمسمائة ، ووافق ولكنني ترددت .  
قد رأيت دورى متواضعا جدا !

وأعجبتني رواية « أنا أحيا » ولكن وجدت في عباراتها عتقا وغلظة وكرهت  
أن نجس على لسان الكاتبة عبارات أقرب إلى البصق على وجه الأب والأم .

وكتبت مقالاً بعنوان : أنا أحيا ولكن لا أسحي ! وقلت أن الرواية أعجبتني لو لا  
 قلة أدب المؤلفة وأسلوبها الضعيف في صفع وركل اللواتي ، بلا سبب حقيقي  
 في مسار أحداث الرواية . . حتى لو كان هناك سبب ، فليس أعرض على  
 مثل هذا الأسلوب القبط العليظ . . وظهرت لها بعد ذلك قصص قصيرة ثم أجدها  
 ذات قيمة وإن كانت لها دلالة أخلاقية ، فهي قلة أدب فقط . ولذلك ظهرت ليلى  
 بملبكي وإحتفت مع روايتها الأولى : أنا أحيا ، وإحتفت الأديبة بعد ذلك  
 بصوات حين تزوجت صحفياً إنجليزياً وكسرت قلمها !

حتى عادة السماح ظهرت لها أعمال أدبية أخرى هي تنويعات على ألحان  
 من الكتاب المقدس . . كلها أعلنت صراحة ، شديد الإنشاد ، هي لغة عربية  
 ومشاعر متوردة . ولحقت كاديبية وظهرت صحفية لها أسلوب أدبي . ولم تعد  
 معجزة الضميمة !

وكذلك كونيت حوري الأديبة السورية . ولكن قد حرمتها الظروف من أن  
 تلقى ما يستحقه من العناية . فقد إرتبط اسمها بالشاعر الرومانسي بزار قباني .  
 وألقى طلالاً على روايتها الأدبية الأولى والكتب التالية !  
 وظهرت أدبية لباس لبني عسري ظهر لها ديوان شعر صرخات للشاعرة  
 المنصورية الشابة جويس منصور . ولأنه كان بالفرنسية لم يلق ما يستحقه من  
 اهتمام كبير . وظهرت أدبيات أخريات من لباس وسوريا أيضاً . ولكن لم يكن  
 لهم صدى . . فقد اعتدنا على الصغيرات في الأدب العالمي حتى لم يعد نلقت  
 إلى الأنباء للكبار . . كثرة زمن الصغيرات حتى يكبرن . وكبرت الصغيرات  
 ولم يعد أحد يقرأ لهن . كأننا أعجبنا بهن صغيرات فقط ، ولا نريد أن يكبرن .  
 فإذا كبرن ، فهن مثل كل الأنباء في كل العصور . .

• • •

وظلنا في مصر نتفرج على الأحداث الأدبية العربية والأوربية ، دون أن  
 نساهم إلا بالقراءة والنقد والإعجاب . .  
 وكنا سعداء بلتشير والتبشير بكل ذلك . .

أو كُنّا سعداء بأنّ عددا كبيرا الأبناء العقاد وطه حسين والحكيم والشعر ،  
أبسطه وصالح جونت وأحمد رمزي والمطربين عبد الوهاب ولم كلثوم وسيد  
درويش : ولّى لدى الآخرين صغيرات الأبناء . .

وعندما إنضمنا مع سوريا كلّ القوميين يهروننا بتوقعهم الأدبي . . فكل  
ممنول بفرد به يروي لك شعرا من حظه أو من نظمه . . وكتبت الصحف  
والمجلات المصرية على هذا الشيء الغريب : الندوق الأدبي . . وعن الناس  
الذين لا يخطنون في النحو والصرف وعن المرأة السورية التي هي الأخرى  
بنظم الشعر وترويه بصوت جميل ووجه أجمل .

وفي مؤتمر الأبناء في بلودان قامت الشاعرة عريضة هارون تقول والأبناء  
يصرخون لهمال الشعر والشعر ، بكسر الشين وفتحها ، والصوت والوجه  
والصق . .

وظهرت شاعرة أخرى وهي ضوء القمر تلقى بقصيدة جميلة ثم أعد أنكر  
منها إلا نصف بيت تقول :

نحوصين عطرا وشيئا حرام !

وجعلت هذا النصف بيت عنوانا لمقال مشروته في أخبار اليوم وبسرعة تحول  
الشيء الحرام ، إلى عناوين لمجموعة من القصص القصيرة وأفلام  
وأغنيات . .

ولما ملنا من تكون الشاعرة الجريفة . وعرفنا . ونسبنا الاسم بعد ذلك . .  
وفجأة جامسى في مكتبي وكنت وقتها رئيسا لتحرير مجلة ، الجيل ، وريز  
الثقافة السابق في سوريا د . الجندي . وقال أن الشاعرة اسمها . خالدة عبد  
الله .

ونشرت للشاعرة قصائد . . ثم نشرت لها قصصا قصيرة وكتبت في  
مقدمتها . إن لم تكن هذه لحظة أدبية مجرة فهي استئناف للمعجزات الأدبية .  
ومألت بعد ذلك إلى كل أحد قد رأى هذه الأدبية في دمشق مقال كثيرون :  
بم . . وقال آخرون : ولكن هذه القصص من تأليف الزوير نفسه . . هو الذي  
نظم لها القصائد وكتب لها القصص !

و قد عثرت في أوراقى أحيى على مجموعة من القصص القصيرة بقلم جالده  
عنه ، بحظها أو بحظه . ولعلها ولعله لم يشرها . فإن كان أحدهما حيا ،  
فقصص عدى . ولئن كانت هذه الأنيبه تنتمى إلى عصر المعجزات الأنبياء ،  
فهى لا تحلو من أنبياء ومداد شائك مجدد . . بمرءة شريفة على  
هذه الأنبياء والأم والمدرة والشارع . .

، ، يقال في مصر والملم العربي الآن عن إحتفاء العظماء أو قرب إحتفالهم  
في الشتر والشعر والطرب والسباسة . والتطلع إلى المواهب الجديدة ليس  
لا يكرار لنداءات وصلوات قديمة من أجل ظهور الطفل المعجزة ليلقى ما لقيه  
كثير أصحاب المعجزات . . يرحل لها ثم يركب عليها ويحرق على غيابة ونصلي  
من أجل ظهورها لندعها في إحتفال سهيب !!



إنها أم كلثوم  
الله .. الله .. يا ست

## انجها أم كلثوم .. الله .. الله .. يا رب

لم تكن حياتي جميلة . ولكن كان فيها كلام جميل .. أو كانت مليئة  
بأصوات جميلة ..

فلى الصباح الباكر أستمع إلى الأذان الجميل . والذي كان هو الذي  
يؤذن في البيت .. وكان يتلو القرآن بصوت جميل .. وكان لي خال جميل  
الصوت والصورة .. وكان يستريح إلى وجودي معه .. أذهب معه في الليل  
إلى بيوت أقاربه . وكانوا يطلبون إليه أن يغني . وكانت لي خالة صوتها  
جميل أيضا .. فلى صوتها ، حبة ، لم أسمع لها مثيلا إلا عند ممثلة إيطالية  
اسمها ، إليانورة روسي دراجو ، .. وحفظت القرآن الكريم - أجمل كلام -  
وحفظت مثلت الأبيات من الشعر . أرددها وراء أبي . بعض هذه الأبيات  
أعرف معانيها ، والباقي أعرف موسيقاها .

أما طعولتي بعصا فلم تكن جميلة . ولا أنظن أنني في هذه السن المبكرة قد  
أحسست بشيء من كل ذلك .. مما الذي يعرفه طفل .. بل هو طول اليوم ثم يأتي  
إلى فراشه والنموح على حده معظم الوقت ، فقد كانت أمي تضربني كثيرا .  
وعرفت فيما بعد أنني لم أكن المفضوود بذلك .. فقد كانت في صيق دائم هو الذي  
على معر . ولا يراه ولا أراه إلا قليلا . وهي لا تستطيع أن تضرب والدي ،  
لأنها البديل . أما لماذا الضرب ؟ فلأنني أقول النيل ، ولا أعرف السباحة .  
وأصعد النحل وأضرب الأطفال .. وأمشي وراء أحد الشحابين .. وكان صوته  
قويا وكنت لا أتبين الذي يقوله . وكنت أعتقد في تلك الوقت أن صوته  
جميل .

ونميب وأنا صغير أن أجدل الأهر .. فلم أعط القرآن ؟ أليس أحب أن  
أكون قارئنا جميل الصوت . فقد كنت أنظن أن الأهر هو الذي يعلم الناس

التفاحة المحمّلة . ولم أنبئ أن والذي كلى جميل الصوت وحالى وحالى .. وأنا  
أيضا ، ولم نحل الأهر

وأنا طعل ذهب مع والذي لسماع السنة ميرة المهديه . أنا لا أنكر صوته  
ولا صورته . ولا أعرف المكان . وأنكر أنى ذهبت معه لكى أسمع إلى  
المطرب عبد اللطيف آسيا . ولم أراه إلا قبل وفاته فى بيت الأستاذ محمد عبد  
الوهاب . وجدت رجلا محبلا ماعم الشجرة والصوت أيضا . .

وفى إحدى المرات ذهبت إلى السيارة وسط الحفول وقيل لنا . هنا ولدت  
أم كلثوم . إنها قرية طماى الزهيرة .. وكان لى رجل فى القرية من هذه  
القرية اسمه مبر . وكان فى مثل سى جميل الصورة . أشقر .. أررق  
العينين ذهبى الشعر . وكنا نسميه السطل . هو يركب حمرا أبيص كبيرا .  
ويصلى وهو على ظهر الحمار .. وأغبيلته لأم كلثوم .. وكنا نلتف حوله ونطلب  
إليه أن يحنى . وسمعا بعد ذلك أنه ذهب إلى القاهرة وأنه أصبح مطربا  
مشهورا . ولكن عرفنا هما بعد أنه دخل الجيش . خرج من القرية ولم يعد .  
ونأكد حنى للقاء . فقد كان يتردد على بيبي شحاذ . وكان يحنى . فهذا سمعنا  
صوته منارنا بإعطائه الجبر وبغايا الطعام . وكان يطلب بعض السكر . وكنت  
أنتقل بالسكر والنأى والقمع مغايل أن يحنى . وكنت اطلب إليه أن يقف أمام  
الباب وأبأ فى البلكونه . وكانت المرة الأولى التى استمعت فيها إلى أغنية :  
يا جارة الوادى لمحمد عبد الوهاب .

كل يوم يحنى هذا الشحاذ ، يقف أمام الباب ، وأنا أطل عليه من البلكونه .  
وبعضى يا جارة الوادى . ولبيل حيران . باللى طالمنى ..

وفى يوم صبطنى والذي وقد أمسكت غطاء ماكينة الحبيطة ، وهو من حشب  
رقيق . نصف إسطوانتى . وقد أصبحت رأسى فيه ورحت أغنى : يا جارة  
الوادى .. وكان هذا الغطاء يصحم الصوت ويجهل له صدى فى أنسى .. ثم  
معضى وأنا أرتل القرآن فى داخل هذه الإسطوانة الخشبية . وكان يصحك .  
ولم يكن أنى ترى ذلك حتى صريرى نصف . هنى لا تريد شيئا مما أريد أو  
مما يريد والذي .. لا قرأ .. ولا أهر . وإنما أن أكون مثل أقاربها من  
المحامين والوزراء .. وهى التى اعترضت على أن أحفظ القرآن فى الكتاب  
حرفا من أن أصبح شيخا معصما أو قارئا فى المقابر أو خطيبا فى مسجد . و



سم إصرار والذى ، لم يطع فى الإعراس ولم تمنعه دموعها وبهديدها بترك البيت .. ومرت البيت . وأمام يكتننا جميعا عانت . ولمنعت أنا عن الذهاب إلى الكتاب برضاء لها وحقا منها . ولكن لسبب ما عبرت رأيها ، وكانت تشجعنى على الذهاب إلى الكتاب ..

وأول « فوموغراف » أو « جرموهر » رأيته فى حباتى كان فى ذلك يملكه ابن العمدة . وهو عبارة عن صندوق خشبي كبير . وله إسطوانات سوداء وتدور هذه الإسطوانات وتنتقل فوقها إبرة . هذه الإبرة لها ذراع .. وهذه الإبرة هى التى تجعل الإسطوانات تنطق بكل الأغاني القديمة .. أعجوبة .. معجزة .. وكانت أصوات الإسطوانات « مبرسعة » . لم كلثوم وعبد الوهاب وصالح عبد الحى .. وكان الأداء مريحا . وكنت أكثر الأطفال إنتظاما فى الذهاب إلى هذا المكان .

هل فى هذا الوقت بدأت أغنى لنصبي بصوت مرتفع . من الذى قال لى أن صونى جميل ، جدا ، .. لا أعرف .. فهل أنا الذى قررت أن أغنى . فلما سمعت أن صونى جميل ، مصيت فى الصاء .. وفى ذلك الوقت حفظت الأغاني ، وشعرا كثيرا صوفا .. ورحلت أقرد سرا على العوالد .. وأقف إلى جوار المنشدتين وأشارك فى حلقات الذكر .. وأتمايل وأدوخ وأتساقط من الإعياء .. ولكنى مأجود بما يعمود ويشنون .

وكانت أول مرة أرى للقصة من والدى . لم يصعنى على خدى . ولكنى أحسست أن بدء كتابها فعلت ذلك . فقد وجس قد لعبت حراما حول وسطى وأمسكت مضمة ورحلت إكمن أمام بيت سوف يقام فيه ذكر .. والذى حدث أن رجلا رأى واقفا هاديا يا ولد .. إكتس أمام البيت !

وفى الليل قال لى والدى : يا بنى .. إن كان يعجبك صوت حمن . الشحاد . سوف أجعله يأتى إليك كل يوم نلعب معه .. وسوف أبحث إليك بمتولي .. إن عبد الزمبول حولى الزراعة مصونه أيضا جميل !  
وكان والدى يستطيع ذلك وأكثر .. فهو مأور تفش زراعة عر اللين بك يكن ..

والشحاد أصبح يعمل فى بيضا .. وإن للخلوى أيضا .. وكان حمن يصيق

بالحاحي المستمر على أن يظل يعني أعبية واحدة طوال اليوم .. هو يرهق أم  
أنا فلم تكن أمل .. وكبت أصحابه هي المناء .. ثم أغنى وحدي .

وسمعت من الزاديو محمد عبد الوهاب ولم كلثوم وعبدية للمهدية وفتحية  
أحمد وأصوات كثيرة أخرى لا أنكرها . وألصقت أنسى بالزاديو . وبحركت  
حججتي مع كل الأصوات . ويبس ويبس يعني أحسست أنني سوف أكون  
مطربا .. ولا شيء آخر .. ولا أعرف ما معنى أن يكون الإنسان كذلك .  
ما الذي يفعله . ما الذي يكون عليه مستقبلي .. لا شيء .. فقط أريد أن  
أغنى .. وكثيرا ما فتحت الكتاب ورجعت أغنى ولا أقرأ ..

وكان ذلك لعبا ولها . وجاء الجد . ودخلت المدرسة . وكان لابد أن أنجح  
وأن أتفوق . وأن أكون الأول . هذا ما كانت تصرخ به أمي .. فهي لا تريدني  
أن أكون مثل فلان الذي فشل . وفلان الفاسد . وفلان الذي أنصاع أمره على  
البيات .. وككل طفل كنت أسمع ذلك ، ولا أعرف ما هو المطلوب بالضبط ..  
ما هو المطلوب أكثر من أن أذاكر وأن أنجح وأن أكون الأول . وعرفت  
فيما بعد أن عصبها وبسطها ليس بسبب خوفي من ألا أتفوق ، وإنما هو خوف  
علم وقلق عام .. فزع من كل شيء حولي وحولنا ..

ثم إنضخت أمي موقفا محمدا : معيش غناء ولا كلام فارغ .. حسن لا يدخل  
البيت .. ومتولى لا يدخل البيت .. ما حرصك على أن تصاحب الشحاذين  
والخدامين .. لماذا ترخص إلى الأمور .. ولماذا تكره إلى العدة .. هل تريد  
أن تكون شحاذا ؟ هل تريد أن تكون لصا يسرق الدجاج .. تحفظ القرآن وتكنس  
الأرض ؟

وفي يوم بلدتني أمي من القيلولة ثم فكت بالجراموهن .. ونهطم على  
الأرض ومعه كل الإسطوانات . لا أعرف كيف أصعب ذلك . ولا عرفت هي  
ذلك الوقت .. فقد جريت حربا غامرا ، لم أستطع أن أبكي .. ولم أستطع أن  
أكل ولا أن أشرب .. ولا أن أفتح كتابا .. ولا أن أعترض !

إنهي . لا أعرف ما الذي إنتهى في داخلي ، لا أعرف ما الذي إنشد هي  
وجهي . ولا الذي إنسحب من الهواء فاصبحت مخنوقا .. إلى الأرض قد إنضخت  
تحتي .. وهويت في هدوء وصحب تام إلى أعماق مظلمة صامتة .. لا صوت  
لا ضوء .. لا أحد في الدنيا في تلك اللحظة .. إنتهى الذي ابتدأ !

ومضت سنوات طويلة والدراسة هي شاغلي .. ولتنقلت من الصورة إلى القاهرة لأتحل الجامعة . وكنت أسكن في بيت في شارع الأمير حسين بالرمالك .. ليس في البيت الذي هو قصر عظيم ملكه السيد سمعت هانم يكن ، وإنما في بيت مجاور له . له سلم حشبي . وكنت أعيش مع والدي . وفي حديقة الصميرة يظهر جنود هواب الحلفاء إياهم يوغسلان . يأكلون ويشربون ويرقصون .. وفي الليل يطلون إلى البوابين أن يرقصوا حول أسر .. كأنهم في أواصر أفريقيا .. وكان يهزى شكل النار والأشباح السوداء حولها .. وكان الجنود اليوغوسلاف يتمايلون ويرقصون وزجالات الحمر في أيديهم .. كل ليلة . وكان البوابون يسمون هم أيضا . ويعصمهم واحد يفسى وهم يذوقون الطبول بعنف . وبعضهم أمسك غطبان الحبل وراح يذوقها بالشوك والسكاكين ..

وفجأة وفي إحدى المرات برز والدي بسرعة . وطلب إليهم أن يكفوا عن كل ذلك هورا . ويوقفوا . وتوارى البوابون .. والحدود .

إنها أم كلثوم .. أم كلثوم وتردنت هذه الكلمة ألوف المرات .. همسا ولمسا بالغم للأذن .. وتصفيقا وقرا عاليا .. أم كلثوم مرفوعة نجىء اللبلة لتعنى في عيد ميلاد الهام .. وكانت ذهنتي عميقة . هل كنت سعيدا ؟ لا أنظر وإنما كنت في ذهنة غير واضحة .. أم كلثوم التي سمعها ولا أراها . ولا أهل أمي رأيت لها صورة واضحة ولابد أن الصحف والمجلات تنشر صورتها . ولكني في ذلك الوقت لم أكن من هراء الصحف . فكيف معلوماتي السيسيه والإجتماعية متواضعة جدا . فقد أحسنت في تلك الوقت أن الطلّاب لا يرفع عيبه عن الكتاب ولا يذهب إلا لمكانين اثنين : الكلية والبيت ولذلك فلا مفهى ولا سيما ..

ووقفت مع كثيرين على باب القصر . وجاءت أم كلثوم ووراءها عند من المراهين يحملون العود والكمائن والقنور .. هتائها طويل وعلى كتفيها بالظن .. ونجحت إلى السلام وصعبت وأصعبت الأتوار كلها وأغلقت النوافذ الزجاجية .. وعندما سمعنا نغمات موسيقية تجيء من بعيد تسلكت على السلم إلى ما يقرب من النوافذ .. ومن بعيد وقفت أم كلثوم تضليل ، ونحن لا نسمع ما تقول وانمنا عثرون أو نلانون من الصيوع . جاءوا ودخلوا دون أن

يبرى بهم أحد .. ولم أجد والدى بين الحاضرين . ولكنه هـى داخل القصر وبقيـه  
الموظفين أيضا .

وعندما ذكرت السيدة أم كلثوم بهذه الحادثة بعد ذلك بوقت طويل صحت  
وقلت كـان من الممكن أن تقع كارثة ..  
فقد أصر أحد الباشوات على أن نفس أم كلثوم عود ميلاد سعيد  
بالإنجليزية ..

وهى رصت . لأنها لا تريد ولأنها لا تعرف هذه الأغنية .  
فلما بأحد الباشوات يقترح أن تشدو السيدة أم كلثوم بأغنية رفة العروسة .  
لماذا ؟ لأن أحد الباشوات قد لاحظ أن نعمت هانم بكى كانت هـى تلك الليلة  
عروسا لا بنفسها إلا عريس .. وأصرت أم كلثوم على الرفض .. أو .. يخرج  
هـورا !

ولم تكن ليلة سعيدة .. فلا لهنـم راصية عن هذا الرفض أو التعالى من أم  
كلثوم ولا أم كلثوم كانت سعيدة .. ولا والدى عندما إنضم بها جانبها يدفع لها  
الأجر .. فقد كـان أقل من الذى إنفتحت عليه .. ولا أنا .. فقد سكـت والذى حنى  
الصباح ، ولم يثنأ أن يحكى لى ما حدث !  
ثم جاء بواب أم كلثوم وهى يده مطروفا يقول : الست مش عاوزه الفلوس  
دى !

• • •

وأحببت صوت أم كلثوم .. وسهرت وسعدت بأغانيها .. وعصت سنوات  
طويلة قبل أن أراها وأن أجلس إليها . كان ذلك فى بيتنا . دعوتها للششاء .  
فجاءت . والآن أراها بوصوح : إنها قصيرة القامة ، وراها فى الصور طويلة  
قارعة . إنها سمراء ضمية ، وراها فى الصورة وعلى الشاشة بيضاء .. إلى  
المناس ينثنى طويلا من أنفها ، ويحتشد هـلالا على صدرها . وهى عندما  
تدخل ، كأنها تمشى على المسرح .. فهى مركز الصوت . وكل الأصوات يجب  
أن تتوقف . ولكل يجب أن يقفوا . وأن يصافحوها . وأن يتزاحموا عليها ..  
وبسرعة ينقسم للصيوف نصفين : المجدات حولها ، والرجال هـى انتظارها ..  
وبسرعة يتعالى الصحك : إنها نكت أم كلثوم وقضائها .. وهـا يطالب الرجال  
بصبيهم من التكت وحقة الدم .

وأم كلثوم تفصل أن تجلس مع الرجال فهم يتحدثونها في الموصلة وهي أخبار الدنيا وهي تريد أن تعرف ..

وأم كلثوم تأكل أى شيء ولكن بحساب . وهي لا تشرب السالك جدا ولا البارد جدا . وهي تمشي ساعة وساعتين كل يوم . وهي التي صانت نفسها وجسمها .. وهي التي جعلت المطربة محترمة .. فهي لا تمشي في الكباريات ولا تمشي للمسكاري . وهي لا تمشي بينما حولها أناس يرقصون .. هي التي رفعت قدر المطربة .. وهي التي حرصت إحترامها على الناس . فواجهها الناس بمثلوك محترم .. هم محترمون وهي عظمى الإحترام .

وحفلات أم كلثوم الشهيرة حفلات فرمجة . قد وجدت بين العرب من المحيط إلى الخليج .. جمعهم على الحب والفرح .. وصعدت رؤوسهم على أيديهم وهي نفس واحد يقولون : الله .. يا ميت .. الله ..

وجاءت الطائرات من كل العالم تعمل عشقا لصوتها مرة كل شهر .. فإذا غنت أم كلثوم فالإداعة كلها قد تعرضت لها .. وأغانيها تداع كما هي بما فيها من صوصاء ونصيق .. فذلك عنصر هام من معالم اللحظة الحية .. وظالت الأغنية الواحدة ساعة وساعتين .. وللجمهور يطلب منها أن تريد رنجد ويقولون : للصحيح يا ست !

وعشاقها يحفظون أغانيها تماما ، فإذا أنفخت تمديلا جديدا صرخوا بهجة وشوة مؤكنين أنهم يعرفون أن هذا جديد قد أنصيف للأغنية .. ويتحدث عشاقها يقولون : أنا عدى التسجيل الذي رددت فيه أم كلثوم : بطولوك يا ليل ٧٥ مرة ..

يقول آخر : وأنا عدى التسجيل الذي قالت فيه : يا ليلي كان يتجيك أنيني ٩١ مرة !

وتسجيلات صحتت بها ، وتسجيلات مهدت بها .. وتسجيلات ظهرت صعة في عينيها .. قصص وحكايات ومواقف ، والناس يعرفون من الذي يجلس في الصف الأول من عشرين علما ، ولا يمر مكانه .. ومن الذي يجلس في الصف الثاني ..

وكلت حفلات أم كلثوم هي العرصة الأبية لكل سيدات المجتمع هيرتدين  
لثيكن وأجمل ما عندهن حفلات تؤدي إلى رواج الكواهيرات والفريفة  
والتكسيلات والمطاعم والمصالح وشركات المجاحة ..

والناس يهرعون إلى أم كلثوم قبل حفنها تجرى للبروقات .. ثم نلهم مكره  
قبلها بيوم . ولا تاكل ولا تشرب .. ثم تجيء في سيارتها الكابلاك وتدخل بها  
ممرح الازيكية . والناس ينتظرونها على الباب . ويظنون إلى وجهها  
ويطمئنون عليها ويؤكدون لبعضهم البعض في داخل المسرح : رأيتها ..  
فمر .. فمر ١٤ .. اللهم صل على النبي ... للصباح إن شاء الله !

ويفتح المنار عن أم كلثوم . وقد جلست على مفعد ، ومن وراءها : عارف  
القانون أحمد عبده صالح وعارف العمود القصبي وعارف الكمان الحفاوي .  
معالم التخت الختاني .

وبقية الطقوس المعروفة للعالم العربي كله .. وتبدأ الموسيقى .. ثم نهض  
أم كلثوم . والممرح يرزله للتصفيق . وتتقدم أم كلثوم مشدودة القوام عالية  
الرأس : كبرياء وأبهة وعظمة وثقة بالنفس وحب الناس .. وفي يدها المنديل  
الحريز الذي تمسكه بيد ثم تمسكه باليدى معا .. وتغمره وهي تغنى .. وترفع  
يديها الإثنيتين وتترجع برأسها .. ثم تتراجع كلها وتتقدم من الميكروفون ..  
ويمسح طبع المشاهدين إلى يتحدوا للمشاهدين أنفسهم كل حيلة ، إن كان أحد  
يسطيع أن يصف لك ملامح أم كلثوم .. أو وجهها أو شعرها الأسود الذي لم  
تغير تميزته .. لا أحد . فهي طاقة من النور .. فهي باهرة من النعيم .  
وهي عروس في حلة رملها إلى مليون قلب عربي .. إنهم يجدونها طويلة  
علاقة .. وهم لا يرونها وإنما هم يرون صوتها يصل الأرض بالسماء ..  
ويبقى في السماء كثيرا وطويلا وعميقا .. ثم يبرق ويلعب ويلبس ويسحر بطبع  
بالمثل فلكل صغارا وكبارا فتدوا عقولهم .. وأسلموا قيادهم وزمامهم لأم  
كلثوم .. طاعية ؟ طاغية جميلة ؟

ساحرة ؟ ساحرة بيلة ..

وهي اليوم التالى لا نسمع إلا صوت أم كلثوم في كل بيت وفي كل شارع  
وهي كل سيارة .. كأن الناس يستمعوا إليها بياها . ويريدون أن يتحققوا مما رأوا

هي المنام .. كأنهم يريدون أن ينلموا على ذراعها . على صدرها تحت  
جميعها .. إنها لم كلثوم .

- ومقبول منك أي شيء يا مت !

قال لي الموسيقار ريلس السباطي أنه رار أم كلثوم هي اليوم التالي لإحدى  
الحفلات . وكانت تستمع لإحدى الأغنيات هوجدها جالسة تنمايل ونقول : الله  
يا أم كلثوم !

• • •

وعرفت أم كلثوم هي الحرب .. بعد النكسة العسكرية والهريمة النفسية  
والفقر التاريخي . كنا جميعا في الأرض ، تحت الأرض .. حفرنا لأنفسنا  
قبورا هربا من أنفسنا . كنا الشهيد والحنوني .. وكنا الممددة ، التي تزرق  
بأعق صوتها ونقول : يا سبي !  
يا مائة ألف سبع في ست ساعات ..

ولم تكن أم كلثوم في حاجة إلى قصة أو دراسة عميقة للتاريخ لكي تساهم  
بصوتها . وساهمت . ولكن أرادت أن تنهب إلى أبعد من ذلك ، فطلبت مني  
مجموعة من النداءات .. مئات النداءات تتوجه بها إلى الشعب تطلب إليه الصبر  
على الهلاك .. تطلب إليه أن يربط الحرام .. وألا يشكو من الحرمان .. فقد  
عانت شعوب عبرنا وبلات الهريمة ؟ فلمانيا والبولان وفريسا ..  
وأذيعت نداءات أم كلثوم .

وطلبت أم كلثوم من عشاقها أن يتبرعوا بالذهب .. بالنيل والأسلور  
والأفراط من أجل المجهود العربي .. وتبرع الناس .  
وقد طبعت لها هي ، أحياء اليوم ، بحالات تعطيها لمن يتبرع بشيء . وقد  
جعلت لها شعارا مصف بيت من أحد أشعرها الوطنية : نسي ولا يهون !  
وكانت مطلبي كل ليلة ونسألني عن أخبار الحرب . وإن كنت لأمركا فد  
أسابنها كارثة . أو أن الله كما خلقها أغرقها في المحيطين الأطلسي والهادي ..  
وقد إفرح على أم كلثوم أحد عشاقها المؤمنين قراة : عدي ياسين ، على  
إسرائيل وإنجلترا وفريسا وأمريكا . ورينا قادر على أن يمسح هذه الشعوب .

ولكن قيل لأم كلثوم أيضا أن الرئيس جمال عبد الناصر بعد انفصال سوريا  
وبعد النكسة العسكرية قد غاب عن الوجود .. أو هي جالسة غيبوبة أو غيبوبة ..  
وأنه لم يعد هناك .. وأن مصر يتغيرها الذين حولته وأنه لا يترى ولم يعد  
يترى .. إنهم كل شيء . وإنهم الرجل . وكان الذي يحدثها هو المرحوم  
كامل الشناوى . ولم يكتمل هذه المعلومات والتحليلات حتى بكت أم كلثوم ..  
فعلما كطفل سمع كل هذه الأخبار المفاجئة عن والده !

ودخلت أم كلثوم إلى غرفتها . وخرجنا ليكمل كامل الشناوى ما الذى عساه  
أن يحدث فى مصر بعد ذلك !

وفى الليل وقيل أن أنام كان صوت أم كلثوم الأجناس المملوطة يسألنى فى  
التليفون إن كان صحبها ما قاله كامل الشناوى .. أو أنه يتابع على طريقته فى  
الكلام : وإن كان هذا هو رأى كل الناس .. لقد جعلنى أعذل عن السفر  
للخارج .. ولم يعد عدى أية رغبة فى اللقاء فى حفلات عامة .. ولا أريد أن  
أقبل أو أرى أحدا !

وكان لابد أن يذهب إليها كامل الشناوى من جديد . ورافقه وقال لها صاعدا  
يا بنت إنما أردت أهيك نصبا لغناء قصيدة جديدة حربية وهى نفس الوقت تشعل  
الهمم من أجل القناز .. وأنت لم تنتهى إلى ما قلت .. فإن قلت لك : كأى عبد  
الناصر .. ليس هنا .. ولكن أنا سمعت من رجال حول عبد الناصر ، أنه مثل  
الكرة المطاط كلما ضربته فى الأرض يرتفع أكثر .. وهو سوف ينتقم أعظم  
إنتقام .. وأن الإنسحاب كان خطة .. وعلى رأى ( وأشار ناحيتى ) أنه كالأذى  
يزيد أن يضر فوق شاة واسعة ، فلا بد أن يتراجع إلى الوراء . !

وصدقته أم كلثوم . وأكلت وصحكت . وترددت على صديقات لها . وباتت  
يوما عميقا !

• • •

ومعرضت أم كلثوم لكثير من النقد والتجريح ..

مرة هوجمت لاختيارها الأغنيات المملوطة بالذل والهوى .. وبعض أغانيها



من تأليف الشاعر الرومانسي أحمد رمزي .. أي أنها تدعو إلى الدل والهوان  
في الحب .. تدعو إلى الإسلام الإجتماعي ، والندى الميامي .. والنواكل  
الديني .

وقيل أن حملاتها المسائية لطويلة ، جعلت الناس يتعاملون بالمصدرات حتى  
لا يشعروا بمرور الوقت . إذن ألم كلثوم هي التي نشرت السلبية وروجت  
الحديث في مصر والعالم العربي ؟

مع أنهم في تركيا يزرعون التحشيش ولا يعرفون ألم كلثوم . وإلى الصين  
حيث مئات الملايين تتعاطى الأفيون في نهاية القرن التاسع لم يسمعوها حتى عن  
مصر !

ولا أظن أم كلثوم هي المسؤولة الآن عن إنتشار كل أنواع المولد والبودرة  
المفخرة . ولاهي التي قتلت سيد درويش !

ولما هوجمت أم كلثوم لأنها - أيضا - بغض الفساد الديني ، قيل أنها تدعو  
إلى انتعاص الديني . فكأن لابد من الدعاية لمرور المارونية .

والذين يؤمنون باللهجة العامية ضد الفصحى ، هاجموا أم كلثوم لأنها إتجهت  
إلى غناء الفساد الشعري التي لم يكن أحد يسمع بها لولا أنها غنت بهج البردة  
والهجرية والبلد وفسائد إبراهيم بنجي وكامل الشاوي .

وهوجمت أم كلثوم أنها حجبت الكثير من المواهب المسائية عن الجمهور .  
لا بعظميتها وأغنياتها الباهرة .. ولكن بشخصيتها والصحف التي نساندها . مثل  
صحف أخبار اليوم أكبر أو ركسيرا صحفى

ومالت أم كلثوم وفتحت الأبواب والإستديوهات لكل الأصوات من الشرق  
والغرب . وظل ممكن أم كلثوم شاعرا ..

وبدأت ، حرب الكواكب ، بين الأصوات من الجزائر والمغرب ونونس  
ونيل . ولم تكن هذه الحرب تبدأ حتى حصلت .. فهي حرب بلا قضية .. لأن  
أم كلثوم قد ذهبت بجمعها ، أما مقامها ومكانتها وعرشها . فهو كما هو . .

وبدأنا نرى المواقف الهرمية .. ولحده نسمي نفسها ، سيده العناء . وهو  
اللقب الذي أعطته لجمالير لأم كلثوم ..

وأخلفت أنا عليها : سيده العناء العربي ..

ولشفت من يقول لها في حفلاتها يا ست .. يا عظمة على عظمة .  
فلا هي ست ولا هي عظمة .. ولا هذه أصوات .. وإنما هي شوشرة  
مأجورة .. وتوالت الوجوه العائنة على المناشة . وكما ظهرت إختفت .  
وسوف تظهر وكأنها لم تظهر . فالفن الجميل إستقاء حذر شعبي ..  
أما الذي وراء الآن فهي حملات إنتخابية مدعومة الأجر ..  
وليس من الضروري أن يكون صوت آخر يحلف أم كلثوم . أو يكون في  
مثل عظمتها ، هذا العام أو الذي يليه أو حتى هذا القرن .. ولكن سوف تظهر  
موهبة يوما ما . ولكن نحن نستهجل الموهبة لأنها (عندنا) أن نلقب حول أحد ..  
فالقلب له واحد .. والحب لشخص واحد .. وهذا الواحد يستغنى به عن  
الأصوات المكسرة التي لمست صحبة ولا كاملة ..

سألت أم كلثوم عن أحب الأصوات إليها قالت : عابزة أحمد  
وعن أطرف الأصوات قالت : شادية  
وعن أفقر الناس على تكبير للفصلد قالت لي : السباطي  
وعن أعظم الملحنين قالت : محمد عبد الوهاب  
وعن الصوت المتميز قالت لي : هيرور  
وعن الصوت الذي فخرج في مدرستها السائنة قالت لي : سعاد محمد  
وعن أم كلثوم قالت لي : أم كلثوم !

• • •

كنت أم كلثوم تحب أن تبدو أثيقة ..  
وكانت السيدات يتوقعن منها في كل حفلة أن ترتدي فستانا جديدا ..  
للشاش هدية نهية من صديقات عريبات بحضرته من باريس . والتي تفصل  
لها الأزياء دائما هي مدلم فاسو ..  
إفترحت على أم كلثوم أن أصور كل أزيائها وأنشرها في مجلة آخر  
ساعة . وكنت ونفها رئيسا للتحرير وواضت ..  
ورافقتي للصديق أحمد يوسف كبير مصوري أخبار اليوم . وكنت حريصا  
على إنقلده مما هو فيه .. فقد وقع في الأسر سنة ١٩٦٧ . وحتى لا يمزقه

اليهود ، ذبح الكاميرات في الأرض . ودفع معها رغبته في أن يعود إلى  
الصور . فلم يكن من الممكن أن يحمل الكاميرات وأن يصور الذي رآه من  
إنسحاب القوات المصرية . ولا من الوحشية الإسرائيلية . وأن يعود بكل ذلك  
إلى « آخر ساعة » .. وكأنه أحسن بأنه أفضل في أداء ولجبه ..

ولم أكد أعرض عليه فكرة أن نذهب معا إلى « أم كلثوم » أملا في أن يولد  
على يديها .. وأن تهرق عذباته أمام حسنها حتى وافق عذرا ..  
ودمدم وأمصيا ساعلت طويلة وهي ترتدي فستانا بعد فستان . ونقب كلبة  
ملبيكال .. فقد إعبادت أن يتحدث الناس عن صونها ، لا قولها ، وعن جمال  
الأداء لا عن جمال الفنانين .. فكانها لمست صاحبة أجمل صوت ولكن أجمل  
فنانين أيضا ..

وأسمدها أكثر عندما عرفت أن الجيل الجديد من الفنانين يتراحمون على  
حفلاتها وعلى أغانيها القديمة . (إن لقد تكامل حب الناس لها : صوتا وتكاه  
ومرحا وأناقة ووطنية )

ونهاض الناس بعد ذلك بأن صونها بدأ « يجمع » .. أي يفتن .. وأنها لم  
تعد قادرة على أن تصعد السلم الذي كانت تصعد مقامها مقام . الموسيقيين  
لاحظوا ذلك .. وعشاقها أيضا . وتمينا جميعا ألا نرى ولا نسمع هذا الذي  
أمامنا .. وكانت هي أول من أدرك ذلك . وكأنها أدركت أن تثبت لنفسها أنها  
ما تزال كما هي .. وحاولت ونصبت وبدأ الناس يحرمون على ذلك ..

وأدرك الناس أن محمد عبد الوهاب كان حكيما ، عندما انصحب من أمام  
الميكروفون . نازكا المجال لأصوات شابة أقوى وأقدر .. وإن كان محمد عبد  
الوهاب ، يفتن ، أحيانا .. فبعد في ذلك فلكية مادرة . ولكم ابتعد .. ولكنني  
بأن يكون صاحب القلم والموسيقى !

ودميت لأرى لم كلثوم لأول مرة . فلم أذهب إلى حفلاتها قبل ذلك . وتألمت  
كثيرا . فهي تجد صعوبة شديدة في الأداء . وهي تهتز بعنف عندما تغني  
بالصوت غير قادر على الخروج .. فقد إندب الطريق إليه .. أو هو ينشأ ..  
ويقال في تلك الليلة أنها بككت .. ويقال أن بعض الحاضرين بكوا . وكانت آخر  
حفلاتها الفنية .

ويقال أنها مرضت لما أصابها . وكنت سمعي لو كانت هي قمها .  
وهي أن أحد الأطباء سوف يعالجها . يعالجها من ماذا ؟ من السن ؟ من  
المرض ؟

ولكن أحدا لم يستطيع أن يقول لها : كفى يا ست !  
حاولت فيما كتبت .. واستدرجتها إلى أن تقرأ . فلم تفهم ما أردت .  
وعانت أم كلثوم في قلوب الناس ويقلوب الناس ، وما تزال

• • •

قلت لأم كلثوم . هل تعرفين أنسى غبيت إحدى أغبياتك في مؤتمر تولي ؟  
فقلت بسرعة : ومتى أفرجوا عنك ؟ !

حدثت .. كان ذلك مهرجانا للشباب في هيدا . ذهبت شابا صغيرا على أنسى  
طالب . مع أنسى كنت وقتها متدرا في الجامعة . سألت : إن كان أحد من  
المصريين قد شارك في هذا المؤتمر . هل : لا أحد . فقلت : إن أقوم بتمثيل  
مصر .

وجلست . وبعد أن تولي أعصاه وفرد الدول المختلفة . كل واحد يتحدث  
عن بلاده وعن مشاكل الشباب . فجأة وبسرعة غريبة سمعت من يقول :  
مندوب مصر يتفضل !

ونهبست والنار في راسي . لا أرى أحدا حولي . ولا أسمع . فلم يخطر  
على بلي أن أفق وأن أحجب عن أسئلة كثيرة . وفجأة وكالصاعقة جاء السؤال  
المدوي : هل يتفضل المندوب المصري ههههه مقطعا من النشيد القومي !  
هل تحول الناس إلى موج يطو ويهبط .. هل اشتعلت النار في هذا الماء .  
كما يتفجر البركان وسط البحر . هل حريقه كانت في جسمي ، وأن أسمع  
صوت البحار في أنفي .. هل أنا الذي أغنى : هل ليالي القمر

لقد سميت النشيد القومي .. أو النشيد الوطني . ولم أتذكر إلا هذه الأغنية  
لأم كلثوم .. وحولتها إلى نشيد حماسي ثم عدت إلى مقعدى والموصاه  
تعالى في كل مكان .. وبطرت حولي .. وانخفضت درجة حرارتي فجأة ..  
وكل لوحا من الزجاج كان مضطى بالصليب فامتنت بدسحرية تمنحه هز أيت

يوصوح وجوهاً بصحك .. وعلى المفاعد وساقطة على الأرض .. إليهم جماعة  
من المصريين جاءوا في آخر لحظة وسمعوني أنف للقر !

• • •

سئل الشاعر الطريف كامل الشنقوي : من هم بحلاء مصر ؟  
أجاب بسرعة : محمد عبد الوهاب وتوفيق الحكيم وأم كلثوم محمد عبد  
الوهاب وبصل لك أن تشرب القهوة قبل أن تزوره ..  
وتوفيق الحكيم يدعوك بحماس شديد لأن تشرب معه على حساب نجيب  
محفوظ !  
وأم كلثوم تذكره أن يفتح أحد هذه السيرة !

• • •

فما الذي تسمعه من الميكروفون وعلى الشاشة الآن .. ؟  
إنها أصوات محدودة الدجل .. إلى أصحابها من سعار الملاك .. إنهم  
فكرة ، ضائقة .. لا مانع . ما نصا لا نجد أم كلثوم ولا فليزة أحمد ..  
فالموجود بعد . ولابد أن يبيع المواهب الصغيرة فرصة أن تكبر ، من ثم  
تكبر ، فسوف تظهر مواهب أخرى يوما ما .  
وقد مرت على مصر مئات السنين قبل أن تظهر أم كلثوم ومحمد عبد  
الوهاب وعبد الحليم حافظ ..  
والأصوات التي نترحم على أذانها لها صفة واحدة : الجراءة ..  
إنها أصوات جريئة فقط . أي عندها القدرة على الظهور والبقاء  
والإستمرار . هي تعني ونحن نعتاد عليها ..  
وبعض الأصوات التي لم تقبلها الإذاعة إتجهت إلى شركت الكسكاف .  
تعني ما يعجب الناس من العبارات العادية والنكت الملية . وتكسب كثيرا .  
وتعني أيضا هي التحفلات وهي الكليزيات  
والأصوات المحدودة جدا تعني للأطهال ..

وارتفع لجر الملحنيين . وعجز المصريون عن الدفع . ولذلك لابد أن يعملوا  
في أماكن كثيرة قبل أن يتجمع لديهم المبلغ الكبير . فبعض المطربين المغاربة  
جلس ومعهن الطبول . فكانت لهم الأغاني والفرصة . و تراحم على  
الميكروفون . ووجودهن في مصر دليل على سعة الصدر المصرية . ودليل  
على أن مصر هي قاعدة إطلاق الصواريخ القنابية .. والتي لم تطلقها مصر  
في الفراغ الذي تركته أم كلثوم ، فلا هي غيت ولا أمل عديدا في أن تسمى  
بعد ذلك في أي مكان .

نعلما مثل فائزة أحمد وصباح وسجاح سلام وسعاد محمد ونور الهدى  
وعزيرة جلال وسعيدة وميلدة وغيرهن ..

ولكن لم تظهر مطربة واحدة إلى جانب شادية وساجدة ومها صبري  
وباسمين . فالأصوات التي لديها صغيرة قدرتها تبحث على الأسى والحر .  
أو هي قدرات تقليدية . - قدرتها على تقليد أم كلثوم فقط .. حتى الأداء  
لا تملك إلا أن نهر كنيتك له .. كأنه طائر وفه على كنظك فهورته لكي يقع  
بعيدا عنك ، بعيدا من أن تساعد صاحبات هذه الأصوات ، فلنا يتبارى في  
التغلب عليها ، لعلها تسقط بعيدا ، لأن مطلبها في أن تعيش . مبالغ فيه جدا .  
إستمعت إلى أصوات غرة أم كلثوم . أغانيها الجماعية ، وأغانيها الفردية ..  
ليس لها من أم كلثوم سوى الاسم .. والإثم - أقصد تقليدها !  
فأم كلثوم لم تمت هيأ وسوف تبقى ما دام الجمال متعة وهذا .

أما الشيء الذي سوف يموت بالتدريج فهو نخت الموسيقى العربية . هذا  
التحت قد طال عمره الإغتراسي . أكثر مما ينبغي .

أم كلثوم هي التي أنطقت عمره كما أنطقت الأغاني .. ونحن قد قبلنا منها  
ذلك لأسباب شخصية . أي من أجلها هي شخصيا .

وأم كلثوم مثل يوشع الذي جاء في التوراة ، فقد أشار إلى الشمس ألا تغرب  
حتى يكمل معركة ، وتوقفت الشمس حتى ينتصر ..

وأم كلثوم هي التي أطلعت غروب المميرح الغنائي الشرقي .. وبعد أن غربت  
أم كلثوم ، فقد جاء دوره لكي يمسح به بعد آلة . ليظهر تحت الأوربي  
الياباني ، وتقتصر الأغنية ويحرك المطرب أو المطربة .. وإلا إنجبه الناس إلى  
الموسيقى الغربية الرافضة !

وهي مصر مطربون كان يجب أن يبحثوا عن مهنة أخرى .  
وأصوات أخرى كان يجب أن يعنى . صوب ، احمد عدوية ، رأيت  
التخصصي أنه صوت قوى سليم ، ولكن إحتار أن يغنى فيلا وسرا . وأن يردد  
كلاما ناديا يهرح به زواة الكباريهات .. وأن يبشر في السيارات وأن يكسب .  
وقد سبقته هذه السمعة السيئة إلى كل مكان . فهو الذي مد على نفسه الطريق  
إلى الإذاعة والتليفزيون . وإن كان يفضّل إلى الأفلام . ولكنه لا يظرب أحدا !  
إنه المسؤول عن ، ثروير ، وشويه هذه الموهبة العنصرية . وهو في حاجة  
إلى ، توبة ، لكي ينتقل إلى الإذاعة والتليفزيون قبل هوات الاوار .  
أما اصوات الثهاب فهي أيضا محدودة النوع . أي محدودة ومقتربة وليس  
قبل وقت طويل شعسل وتنمير بعضها عن بعض . فأصوات بعضها لم يكد  
يطور حتى بدأ يذبل ويهرى لأسباب صحية ، ولأسباب نفسية . ولم يقد بجعله  
من التبهلة الليلية هي الكباريهات إلا باسمين الحيام وعفاف راضي وهنئ شاكر  
ومحمد ثروت وأحمد إبراهيم وندية مصطفى .. وكان من الممكن لرهف الشبح  
أن يكون أفضل الأصوات الطالعة ولكن ..

وعد سمعت بالصديقة إلى واحدة من أعضاء هرة أم كنثوم ومن الممكن أن  
تكون صوت جميلا كما أن ملاحتها أفضل وهي حياة محمد ..  
وأهه هذا العصر للضياء الليلي مع الدخان والندحين والسهرة الذي يشق  
الحجرة ويقصف عمرها ..

ولا بد أن نواصل البحث عن أصوات جديدة ومواهب شابة .  
قال لي طبيب الأذن العظمى رورى أن أم كنثوم معجزة صوتية لأسباب  
عديدة .

السبب الأول أن صوتها قوى مليء جميل .  
والسبب الثاني أن هي بلاد من مصر مليئة بالهواء الفاسد . من الصعب أن  
تسلم لاي إنسان عين أو أنف أو أذن أو . حجرة . وقد سلمت لأم كنثوم  
حجرتها !

والسبب الثالث أن سلامة حجرتها قد بقيت زما طويلا . لما معجزة الشعب  
المصري كله ، أن سلمت له أنه .. فهو يسمع ويسمع ويتنوى وبأعلى صوته  
يقول : الله . أي أن حجرتها قد سلمت أيضا !

وكنا في أخبار اليوم ، ( ١٩٧٢ . ١٩٧٦ ) نعتل أعظم قوة دفاع عن أم كلثوم بكل الأفلام وكل الصحف ( أخبار اليوم والأخبار وآخر ساعة والجيل ) .. أعظم أوركسترا .. أعظم تحت صحفى .. وكان مصطفى أمين وعلى أمين في مقدمة الذين يسيرون لأم كلثوم كل الصفات الجميلة في الحديث والنكتة والفهم والإدراك . ولكن مصطفى أمين وعلى أمين لا يتدفقان العن ولا الموسيقى . وكانت أم كلثوم إذا رأتهما في مقعة الجالسين فإنها تنزعج لأنه لن يمضي وقت طويل حتى يكونا قد دخلا في حديث مع من يجلس إلى جوارهما .. ولابد أنهما يتكلمان في السلسلة .. أو يسألان عن أخبار الدنيا .. وكانت تحذرهما من الكلام أثناء العشاء . ويقال أنهما كانا يفعلان ذلك ! وفي إحدى المرات دخلت مكتب على أمين فوجدته يدور حول المكتب ويقول : الله .. يا أم كلثوم ..

ولم أجد في المكتب صوتا يبعث من أى مكان .. لا عده رائير ولا ثلثيون .. ولا يوجد رائير في الشارع .. ولم أكن في حاجة إلى نكاه كبير لأعرف ما الذى هز على أمين وجعله يدور سعيدا هكذا . إنه صوت المطبعة .. وهي تدور بلا توقف .

ولكن أعجاب مصطفى أمين وعلى أمين بأم كلثوم بلا حدود . فهي محبة بهما . وهي قد منعت في نجاح أخبار اليوم .. وهما معجبان بالفتاة الراقية غير المنعومة التي استطاعت بالموهبة أن تمشي على قدميها إلى عرش الفضاء وأن تبقى خمسين عاما !

وهي أخبار اليوم تكونت فرقة غنائية ، أطلق عليها كامل الشناوى اسم فرقة البلايل الموسيقية ، وكانت تصمم على حمدى الجمال نائب رئيس تحرير الأخبار وصلاح هلال نائب رئيس تحرير آخر ساعة وعثمان لطفي سكرتير تحرير أخبار اليوم وأنا رئيس تحرير الجيل . وهي صبلحية جعلت أم كلثوم تلتقى في إحدى الغرف وتعلق عليها الباب . ونفى ونسمع إلى بعضنا البعض . وكان يشاركنا عبد الحليم حافظ . وكل ما يزال مهتكتا . غنى فقط أغنيتين صاهبي مرة وبيا أبو قلب خالى ..

وكما مضى له أكثر مما كان يغنى لنا .. وكنا نحس أننا نتفصل عليه بجلوسه معنا . واستمعنا له .. فلم تكن موهبته الغنائية قد ظهرت بعد ..



وكان كامل الشلوى يسخر مما يقوله إلى فرقة البلابل قد إنحدث إسمها من  
البلبلنة ، لا من الهمبل !

قلت لأُم كلثوم - مداعبا - أن فرقة البلابل تريد أن تستأجر شقة وأنا في  
حاجة إلى مساعدتها ، فقلت بسرعة ما دلم لا جمهور لكم ، فلماذا لا تغنون  
كل واحد في بيته ؟ !

• • •

وقبل أن تمسكت أم كلثوم عن الضاء ، كنا جميعا قد ابتلعنا ألسنتنا وهاجريا  
أيضا ، وإن كان لا يزال - والحمد لله - نستمع بالتدقيق للصيق - للصوت الجميل ..  
لصوت أم كلثوم ومعجزات غنائية أخرى !



قل لعم من انت؟

## قل لي .. من أنت ؟!

س : ما حكمك ؟

ج : الحكمة : لم أعرف بعد الحكمة وراء كل أى شيء .

س : هل ما تزال طفلاً ؟

ج : بالأمس كنت طفلاً خائفاً من الآخرين ، ثم صرت شاباً قلقاً على نفسي ،  
واليوم أكثر قلقاً على بلدى !

س : فى أى ظروف ولدت

وفى أى ظروف كنت تحب أن تولد ؟

ج : نحن نولد فى ظروف سبقنا إلى الوجود . ظروف أقوى وأصعب . قبل  
أن أولد قد تحدثت ، إلى حد ما صفاتى الجسمية ، وسماتى الأخلاقية ، لأننى  
سوف أرتبها عن والدى .. وسبقتنى إلى الوجود : طبيعتى ولغنتى ودينى ..  
وقدرة الأميرة على تعليمى أو عجزها عن ذلك .. وفى حالتى كان عجزها  
واصبها منذ اللحظة الأولى . ولذلك كنت مهدداً بعدم استمرارى فى المدرسة  
فى أى وقت .

كل ذلك قبل أن أولد .

فلما ولدت ، كان من الضرورى أن أعرف وأفهم وأتوافق .. أى كان لابد  
أن أستعير لغة العصر وأساليب التربية ، لأصبح قادراً على المنافسة والتقدم ..  
والتحدى بعد ذلك .

والإنسان - عادة - لا يكون راضياً عن أى عصر يولد فيه . لأنه فى حالة  
مستمرة للتوافق والتوفيق بين الذى يريد وهو كثير ، وبين الذى يستطيعه وهو  
قليل .

ومع ذلك فقد كنت أتمنى ، فلتسبها ، أن أعيش في عصر ، سقراط ،  
وعاطليا ، في عصر مجنون تيلي ، عصور الامتراق في شيء كبير ،  
يجعل كل ما في الدنيا متواسعا .. إلا للحكمة وراء كل شيء ، إلا الحب الذي  
يستغرق أي شيء .

سقراط كان يقضي اليوم كله وسأل ويتأمل ويحجب هو ..  
إذا قال له أحد : صباح الخير يا سقراط ، أجلسه إلى جواره وسأله :  
وما معنى الخير ..

ويحصى العمر كله يبحث عن الخير المطلق والمهرب للمسي ، والنشر  
الأندى والخير الذي هو ضيق غريب على الأرض ..

وفي عصر المجنون أو الشعراء العذريين أو عصر الطروبانور  
Troubador في أسياتيا طيس هناك إلا الحب والعشق والشوق والحسب  
والوصال والشعر والموسيقى والنجوم والقمر .. وكل ما في الكون كورس ،  
يفنى للمحبين .. ولديها كلها شهود على ذلك .

س : هل أنت قسبان طموح ؟

ج : لم يكن لي طموح في أي وقت .. ولا أعرف كيف انتقلت من حالة إلى  
حالة .. فأنا كالأدي يظف على سلم متحرك .. أو حصيرة متحركة .. أنا واقف  
وهي تطلع وتترن أو تتقدم وتتأخر ..

فكما للمصاهر أجيحة لكي نظير ، وللأممك حياشيم لكي نفوس ، فأنا  
لي عيبان لكي أقرأ ، وأقرأ ولكتب .. فعملي محدود شرقا بالكتاب وغربا  
بالكتاب وجنوبا بدائرة معارف وشمالا بمعارض الكتب .. هذه هي دنياي ..  
ورق في ورق ..

والقراءة علمتي الصمت الطويل .. أي أن أستمع بعناية فائقة لما يقوله  
الآخرون ، وبعد ذلك يجيء دوري في التماثل ثم أستمع .. ثم أتناول . هذه  
هي حياتي ..

فلدي كنيث كال بضاعتني أعرضها على الناس .. والناس يرون فيها شيئا  
جيدا .. ولذلك يختاروني لكي أكون رئيسا للتحريز أو رئيسا لمجلس الإدارة  
أو عصوا في لجان جوائز الدولة .. أو يشفرون كتبي أكثر من غيري ؟ أي

أن بصاعتي في سوق الكلام هي التي أعطى هذه الصفات الإدارية أو القيادية .

ولكني لم أقصد ذلك . كل ما قصدت هو أن أقرأ وأن أفكر وأن أكتب ..  
فإن كان عددي طموح فهو أن أكتب أسهل وأجمل وأمتع .. ملأه كتاب  
ألف كتاب إلى استطعت !

س : كيف كانت بدايتك الأدبية ؟

ج : أول ما كتبت لم يكن مقالا ، وإنما كان قصة بعنوان « موري » .. قصة  
حب حقيقي ، لأنه حب من جانب واحد .. حب بلا مقابل .. حب أقرب إلى  
الوثنية . عملا بالأغنية المشهورة : كلما يحب القمر القمر والقمر بهحب من ..  
حننا منه النظر والنظر راح يرضى من !

ولكن هذا هو الحب الوثني ، الضيق الإلهي .

وهو حب يائس ..

فأنت عندما تقول للقمر ما أروعك ما أجملك .. تعلم أنه قطعة من  
الحجر .. له وجهان .. منير حار يطل علينا ، وآخر شديد البرودة لانراه ..  
ورغم ذلك نحن سعداء بهذا الوهم الجميل ..

س : مقال فتمت عليه ؟

ج : لم أكن أعرف من هو يوسف السباعي في سنة ١٩٥٣ . فاحترت عشر  
فصص ورأيت فيها أحسن ما كتب الأدباء في ذلك العام ، ولم أختر ليوسف  
السباعي شيئا .

فهاجمي قائلا : من أنا حتى أفضل ذلك !

وكان ردي : ومن أنت حتى تقول ذلك !

ثم قلت : أنت أنيب عريال ، وأصحبك أن تتعلمي بورشيه من القوت :

إحداهما على منك !

س : ما صلتك بكتبك بعد أن تفرغ منها ؟

ج : بريطين بمؤلفاتي علاقه غريبة فلنا لا أفروها بعد صدورها .. نالما  
كلحساسك بعد وجية أنت طبختها وأنت أكلتها - نر بعد عناق طويل لستعد كل  
رغبائك وقد حثلك .

نالما ككل أم تعبت في الحمل والولادة والرصاعة .. ثم إنها تعمل بعد

ذلك من جديد .. وبمسئها العمل الجديد متاعب العمل القديم .. وفرحتها بالمولود الأول .. صا بذلك يص يحمل ويلد كل يوم .

فأنا كالنحلة لا تدور العمل الذى نعرزه .. أو كحبوب اللؤلؤ يظل تحت الماء يخرق جموعا لامعة حتى ينفذ للصيادين ويستخرجوا من بطنه حبات اللؤلؤ .. ثم يتركوه متعبا مرهقا تحت سطح الماء .. لكى يلكى من جديد .. وهكذا حتى الموت ..

هذا هو الإحسان العميق الذى أعرفه وأتعجب به .. وعلى كل مرة يحيل إلى نفسى أسحر بذلك لأول مرة .. ثم أتجاوز إلى عمل جديد .

عندما مرغت من كتابى « فى صالون العقاد » ١٩٨١ فى ٨٠٠ صفحة تصور أصدقاتى أنسى أن أكتب شيئا بعد ذلك ولمدة عشر سنوات .. لأن هذا الكتاب هو تاج على رأس كتابى .. وإننى سوف أجد صعوبة فى تأليف أى كتاب جديد .. ولكننى أصدرت بعد ذلك ستة كتب من بينها كتاب بعنوان « إلا قليلا » .. هو أول كتاب أولفه فى جلمة واحدة استغرقت أسبوعا .. وبصفت به من التبيت إلى المطبعة ، فبعض كتابى قد صدرت فى مقالات أو سلاسل ثم جمعتها فى كتاب إلا هذا الكتاب .

واليوم سميت ثلثا كتاب « فى صالون العقاد » .. ونسيت أيضا .. « إلا قليلا » فأنا مشغول بكتب أخرى كثيرة !

من : هل أنت فيلسوف ؟

ج : أنا دارس للطبفة ومدرسها أيضا . الباحث عن الحكمة وعاشقها .. وسوف أظل كذلك .. هذا قدرى .

وأنا هنا أقوم موقف أستاذنا العظيم الفيلسوف الألماني هيجل ، رائد الفلسفة الوجودية فهو يقول . لقد ركمت عدد فخمى سيدنى وأحببت رأسى . ولستظن أنها أن تقول لى شيئا وقالت . ولكن الذى فاقته قليل جدا ..

أما سيدنى هذه هى « الحقيقة » .. الحكمة وراء كل شيء فى حياتنا وعلى هذا الكون ..

ولكننى ، ولكنه ، سأظل خلشما صابرا !

من : هل كانت لك أعمال أخرى غير الكتب والصحافة ؟

ج : لم أفهم إلا بعمل واحد طوال حياتى اكتب :

حتى عندما كنت مدرسا في الجامعة كنت ألقى محاضرات في المبدعيات  
وتاريخ الحضارة وعلم العمال . ولم أكن متحدثا ، وأما كتب أكتب على مسمع  
من ألوف الطلبة . كنت أفكر بصوت مرمع أحطط الطلعة بالأدب بالتاريخ  
بالتكنة بالواقع . كنت أنتدب علما على تيسير الكلام وبسيطة المعاني وهك  
رزاير المعصلات العقلية ..

وكنيت أقوم بتفصيل الألفاظ على قدر المعاني .. وكنيت عباراتي مثل هساتين  
سوقة شعافة تغطى المعاني وبصحتها أيضا وبين السر والقصبة بأرجح  
جمال الكلام .

ومنذ ذلك الوقت وأنا أعرف أن العاطفي ، معرفة ، متقصدة بالمعاني .. وأن  
الكلمات ومعانيها في عناق دائم .

ولا بد أن شعوري العميق بأنني أكتب على مسمع من الطلبة هو الذي جعلني  
ألمس مرتبة لعدة سنين .. فقد سميت في أنفاسي أجرى على ذلك . ولم أنتكر  
هذا الموقف الغريب إلا بعد أن تركت الجامعة بأكثر من عشر سنوات .

وفي ذلك الوقت كنت كاتبا مشهورا مشغولا بأن أكتب أسهل وأجمل  
وامنع ..

فقد كنت في كل الأحوال كاتبا وهذا ما أعتر به .. ولا أعرف إن كان هذا  
التعبير صحيحا . لأنه لم يكن أمامي خيار : فلما أن أكتب وإما أن أكتب .  
فأخبرت أن أكتب !

س : هل ما تزال تشعر بأنك شاب ؟

ح : لم أشعر بذلك .. ولو فعلت لكذبني ألف ألف شعرة بيضاء !

س : كيف أخبرت زوجتك ؟

ح : يجتمع في زوجتي هذا الذكاء والحب . أو هذا الذائق .. النار التي تنفخ  
والمر الذي يضيء ..

ولا بد أن تكون مرآياها الكثيرة واحتمالها لاستعراضي في عملي ،  
وامتدادها للتصحية ، والتصحية دائما ، هو الذي جعلها غدري .

والإنسان لا يكون أعرب متحدثا ، لمحاول طويلة . وإما فقط عندما يبلغ  
المر التي يراها مناسبه للزواج . ويكون ذلك عادة بعد الثلاثين ..

ولا يوجد من مناسبة محددة للزواج فكل حسب ظروفه البسيطة والاجتماعية . وقد تزوجت في الثامنة والثلاثين .

ولابد أن تكون الصفات الجميلة لزوجي هي التي مظهرتني من أعزب متشدد إلى متزوج أكثر تشددا . أي الجمال والذكاء والشجيع والصبر على المكاره . والمكاره هي انشغالي كثيرا واستغرافي في القراءة والكتابة .. أي بين الحمل والولادة والرعاية الفكرية والحصول على الماطية . والكاتب لا يعرف تحديد الحمل الفكري . بل إنني كثيرا ما فكرت في ثلاثة أو أربعة كتب هي وقت واحد إلى جانب كتابتي اليومية والأسبوعية والشهرية .. وكثيرا ما كنت في حالة حمل كتاب ، أو جاءت الولادة مبصرة . فالكاتب هو الرجل الوحيد الذي له كل صفات الأنثى .. فلا هو رجل ولا هو أنثى .. وإنما هما معا . أو إنه يتجرد من الذكورة والأنوثة .. فعلمنا كسلة العسل التي لا هي ذكر ولا هي أنثى ، وإنما هي مصنع رقيق فقط !

والكاتب الوحيد في حلية الحمل الذي هو أنثى : الملكة .. فهي المصنع .. وهي أم للحلية .. وللحلية والمحل والملكة والعسل هي الكاتب في كل وقت ؟ ألا ترى أنها مهمة شاقة أن تحمل مبددة وحدها كل هذا العبء . ثم إن هذه الروضة رغم أنها صاحبة عمل كبير تكفي بأن تعيش في الظل قمرًا بعكس طوره الشمس الذي هو الكاتب !

س : ما الحب ؟

ج : الحب : عاطفة .. تتولد من الإعجاب والتعظيم والتمود والرغبة في الامتلاك ..

ويكون الحب في الزواج ، ويكون الحب بعير رواج ..

ويمكن أن يقال : من زواج بلا حب تحب بعير رواج !

س : امرأة أثرت في حياتك ؟

ج : قبل الزواج : لمي .

بعد الزواج : زوجتي .

وكلفت لمي هي مبيع الألم الدائم والعذاب المتدفق وكل ما هو مؤلم مطلم مر .. ولبست هي ، وإنما رملنا على ألبانها .. أيام كنت طفلا أسفل من قرية



إلى قرية وراء أنسى .. في ذلك الوقت تعمق عدى السور بالقرية والغربة والإعتراب .. أحسست أنى مثل البدو الرجل .. أو مثل أبناء العجر ..

أو الشعراء الصعلوك . أو اللامتمنى .. ومن هذه المعاني وتصلبها تفجر في داخلي إحساس بكل معنى للطبقة الوجودية .

ولكن بعد الزواج بحلول روجنى أن نخصى بالأمل ولكنى يلىس .. وبالتنازل ولكنى مثبتم .. ورغم الخلاف فى تكوينى وتكوينها فإنى قد توافقت معها إلى حد بعيد .. فهى فى غاية الحبوبة ولكن ليس عندها طاقة .. فهى تستطيع أن تنشط يوما كاملا ، تتحرك وتعمل وتندم وتندم وتنبى . وبعد ذلك نهار من التعب ألهما طويلة ..

أما أنا فعندى طاقة ولكن ليس عدى حيوية .. من الممكن أن أجلس على مقعد واحد ساكنا جامدا كنسى قطعة من الحجر يوما كاملا ، وإن تحركت فلكى أقلب صفحة فى كتاب .. ومن الممكن أن أغلق بهى يوما أو عشرين يوما ، أقرأ وأكتب .

وروجنى اجتماعية ، ولست كذلك . وهى شديدة الحساسية بالآخرين وبما هو واجب ، ولست كذلك . وهى مجاملة إلى أبعد درجة ولست مجاملة درجة واحدة . فس دعاها إلى العشاء ، دعته إلى العشاء والعشاء ، ولما أنا فأنسى أنسى تخطيت ، أو أن أهدأ قد دعاني إلى شيء من ذلك ..

فالأزواج قد أدخل فى حسابى ، بعدا . اجتماعيا وبعدا أخلاقيا ، وبمرور الوقت ، وجدت أن الحق معها فى معظم الأحيان ..

وهى باقة عيب .. لا تجامل ولا ترحم . وتكثر المقالات التى أوجعت رأسى . هى التى لم أشعر فيها بالآخرين - وهى أول من يقول لى ذلك . وثبتت لأيام صحة رأيها ونفة ملاحظتها وعمق إحساسها . واستمرارى فى الخطأ ..

وعدى نظرة ، أحادية ، .. فأنا أكتب كأنه لا أحد هناك .. وسبب ذلك هو هى المتقاعد من الناس . أى حرصى على أن تكون هناك مسافة .. ومادامت هناك مسافة فكل شيء يبدو صغيرا . فأرى الأشياء عموما لا خصوصيا .. والناس خصوصيون عادة . أى يهتمون بأنفسهم أكثر من أى شيء آخر .. يهتمون بالجزء الذى هو أنفسهم ، ولا يهتمون بالعموميات وهذا دفع فى الخطأ !

أى إنسى ماكنت أتعجب فى التفكير والتعبير ، أى ماكنت جادا ، وإنسى أحب أن يكون الناس كذلك . هذا أمل !

ولا أقول أن هذه كانت نظرتى دائما ، فكثيرا ماأحببت اللعب والمزاح والمحبة والاستمتاع دائما بالعمل اليومي وصيفا بالمعطق ، ودغدغة الحياة الزائفة .. فالكاتب الجاد ينعب ، ويريد أن يحلل من قيود العقل وأن يتغلب من الملامح الاجتماعية ، ويرتدى الملبوس . حتى ولو لم يكن هناك شاطئه أو يمشى حافيا عاريا .. كثيرا ما أسمع للناس فهم الكاتب . بل إن الكاتب عندما يتوجع ويشكو لقلبه . فإن القارئ يصيق بذلك قائلا : إنسى تعبنا ولا تنفصنى مناعبك !

فهمه الكاتب أن يحفظ عن الناس . لا أن يصب على رؤوسهم مناعبه ومصائبه . وهذا حق للقارئ . لولا أن الكاتب بشر . فهو الآخر يعب .. كالطبيب يمرض ويموت . فالكاتب لا يملك بساط التريح وعصا موسى وخاتم سليمان ومال هاشقوجى وقوة شمشون ..

والكتابة . كل أنواع الكتابة . هى ترجمة ذاتية .. فالكاتب يكتب عن نفسه فى مواجهة الآخرين . وهو يصف الدنيا كلها . من خلاله هو . أى مرورا بعقله وقلبه وأعصابه وخوفه وشجاعته وبأسه وألمه . فكل شيء هو : أنا .. مرورا .. بالآنا ..

وعندما يمسى الكاتب ويقول : أنا يرد للقارئ عليه .. بل أنا !

★ ★ ★

س : ماأذى تمنناه للعرب ؟

ج : أريد أن ينبت للعقل العربى عقل !

★ ★ ★

س : أى جيل هذا ؟

ج : هذا الجيل هو جيل للتحويلات الاجتماعية والسياسية الكبيرة والمحيرة بين البرامج التى تقدمها للتوار المصلحون !

★ ★ ★

س : هل تغير العرب ؟

ج : لم يغير العرب . فكل عنصر انموذ أصبحت هي أسباب الضعف .. نحن  
نكلم لغة واحدة ، ولنا دين واحد وتاريخ واحد وجغرافيه واحدة ..  
ولكن بتطبيق علينا ما قاله الكاتب السحر برنادو شو على الإنجليز  
والأمريكان . انهم شعب واحد يفصل بينهما لغة واحدة !  
وكذلك نحن العرب ..

وليس بيضا إلا كلام في كلام . ولذلك يصنع علينا ما قاله كاتب سموري  
ساخر هو الأستاذ الصيبي : إن العرب طاهرة صوبية !

★ ★ ★

س : ما السياسة ؟

ج . السياسة : هي هي المعاملة الآتية !

★ ★ ★

س : ما أعظم التحديات ؟

ج : أعظم تحديات العرب : العرب وإسرائيل !

★ ★ ★

س : أنت تكرر كلمة : المسائل بيننا دلتما ، فما مضاهي ؟

ج : أما تفسير هذه العبارة التي تناولتها في كتاب ، وداعاً أيها الملل ، ثم هي  
كتاب ، نحن أولاد العجز ، وهي كتاب ثالث .. ، إلا قليلاً ، فهو أن بشأني  
الريعية الخائفة الثقافة جعلتني أفرح على المجتمع من بعيد دون أن أشرك فيه .  
ولو أردت ما استطعت .

فمد طهرتني وأنا أكثر الناس إحساناً ، بالمصافات ، لتي بيضا . بيبي وبين  
الناس .. فالانتقال من مكان إلى مكان جعلني كما يقول المثل اليوناني القديم :  
كالحجر المتحرك لا يبيت عليه العشب ؟! ولم يبيت عشب الصداقة والمودة  
والآفة والقرب والعربي . فكنت أرى من بعيد وأصغى من بعيد .. وأذهب  
إلى بعيد في المكان وفي الحيال .. ولذلك لم يكن عريباً أن أوى إلى الكتب ..

اسكن ههنا واسكن إليها .. عالم جميل أنيق . ولكنه ليس واقعا .. فأصدقائي  
 نداء . وعائلتي فلاسفة . ولذلك لم أشعر بالأمن والأمان .. لم أعرف النعم  
 فانا في مهب الريح .. لم أعرف اللذات ، لأنني لم أجد الشجر . ولم يهت العشب  
 على أحجارى ، لأنها لم تعرف الامتزاز . والسياسة علاقات واستغلال  
 للعلاقات ، والسياسة هي التوثيق بين الناس . معهم وبعدهم . والسياسة  
 كالمسحبة .. تقاوم الماء وتتحرك فوقه ولا تمس بغيره .. والسياسة .. هواء ..  
 بطير به وعليه وضده ..

ولست سياسيا وإن كل أسناننا ترسطن يقول : الإنسان حيوان سياسى . أى  
 انه يفكر فى حياته وربطها بالآخرين . ولكن لست مشتغلا بصحة خاصة بالعمل  
 السياسى . وإنما أشتغل بالفكر السياسى . ولست من رجال الدولة . وكان من  
 الممكن أن أكون منذ عشر سنوات وزيراً للتقافة . وأحمد الله أن هذا لم يتحقق .  
 فانا ما أزال فى حاجة إلى تنقيف نفسى ، قبل أن أشتغل بتنقيف الآخرين .. ولو  
 عاش مخرط وهرمس عليها دولته المثالية لكنت فى صدرها قد استنى الفلسفة  
 بذهنى إلى ذلك . أما أعمالى الأدبية والنقدية فهو يكون مكانها فى الصناديق  
 الأنيقة للربالة 1

ولكن فى غول هذه الدولة التى لن تتحقق فى أى وقت ، نحن جميعا فى  
 الصدارة وعند القمة . قمة الفكر . وإن كنت لا أعرف أين القمة وأين القاع ..  
 فالإنسان إما أن يفكر وإما أنه لا يفكر .. وأنت تكون حيث تضعك قضائك .  
 أو أنك حيث تصنع قضائك . أى تحدياتك 1



س : كم يبلغ طولك ؟

ج : طولى ١٧٩ سنتيمترا . هذا إذا وقفت على الأرض .. أما إذا وقفت فوق  
 كتفى فإس أصيغ إلى ذلك أمثارا عديدة ..

وأكثر الناس لا يقفون على أقدامهم .. وإنما يقفون كما يجلس حيوان  
 الكانجرو على ذيله .. وذيلى وديك هو تاريخى !  
 ولذلك فأنت أطول مما تتصور !

ويقال أن ملكة جمال تزوجت رجلا قصيرا فبيحا . وسألوها . فقالت  
 مستكرة : هل لأنه قصير .. ولكن عندما يقف على قدميه كم يبدو عملاقا !

س : أنت تقول أنك ماتزال طفلا فما معنى ذلك ؟

ج : لا تزال ذلك الطفل الذى يصحو مبكرا لكى يذكر قبل أن يذهب إلى المدرسة . فى الساعة الزائفة من صباح كل يوم . أجدنى على مكتبى أقرأ وأكتب حتى العاشرة ، لذلك كنسى أسعد كل يوم ؟

• • •

س : أنت وأصدقاؤك ؟

ج : لى إحساس بأننى مثل حيوان الفهد لا أقرب كثيرا من الناس خوفا من أشواكهم ، وأما أنسى لم أعرف طعم الصداقة .. لذلك لا أعتد بها . لأن الإنسان لا يطلب المزيد من طعام لم يتدفعه . وأما أنسى مثل إيكاروس نزل إنسان طار بأجنحة من الزيش الصفيت إلى ذراعه فاضرب من الشمس هباب الشمع من ريشه .. سقط ميتا .. وأما أنسى أشبه السحبة المعروفة فى ، ألف ليلة وليلة ، التى اقتربت من جريدة المعاصيس هجبت مساميرها تحولت إلى أفراس حشبية . وغرق كل من فيها . فأنا أخاف مصير إيكاروس وأخاف مصير سحبة ألف ليلة وليلة !

أنسى أن يكون لى هذا الصديق العزيز ، لولا أن هذه الدنيا لا فيها صديق ولا لها عزيز !

• • •

س : أنت حزين ؟

ج : الذى أحس به نيس حزنا ، وإنما هو قدر كبير من اليأس بدوب فى مقادير أخرى من الشاؤم وسوء الطن وعدم الحكمة وراء كل شيء ..

ولذلك فأنا مشائم غالبا ، متعائل أحيانا !

الفرح لاحظت .. فلا يطول جلوسه ، ولا يطول وقوفه .. إما لأنه كذلك وإما لأننى لا أتوقفه !

• • •

س : ما مشكلات العصر ؟

ج : أهم مشكلات العصر : القلق لانعدام الشعور بالأمل !

• • •

س : ما قضيتك ؟

ج : الإنسان قضيتي ..

فأنا أحب أن أرقب الناس .. وأن أفهم وأن أحلل وأن أعود النظر والمناظرة والملاحقة . وليس الإنسان وحده : قصيتي .. وإنما الحكمة وراء هذه الحياة .. هذا الوجود .. فطعت في حاجة إلى أن أنظر إلى النجوم في السماء لأعرف عظمة الخالق .. بل إلى حبة واحدة تحت الميكرومكوب فأندرك على أن تؤكد عجزى عن فهم حكمة الله .. وتؤكد عظمة الله التي لا حدود لها .. وهذا المجر يجعلني أتواضع كثيرا جدا عندما أتحدث عن العقل والفكر والإنسان .. فلا أقطع برأى أو بظن .. وإنما أسرف في استخدام كلمات مثل : ربما .. بجزر .. لعلة ..

من الصعب أن أقطع بصحة شيء ، أو أقطع ببقي في أي أمر من أمور الحياة الإنسانية .. والحيوانية .. والنباتية .. والصخرية .. فالصخور لها حياة ولها عقل . وهذه أحدث نظرية في العالم .. وذلك قصة طويلة !  
فلأكون له عقل واحد ، وله لغة واحدة .. وله منطق واحد .. والله من وراء ذلك محيط .. هذه هي تحديثات العصر . وهي كبرى تحديثات من يفكر في نفسه وهي غيره !

وأنا واحد من ملايين المفكرين الذين يمسون مصباح الفيلسوف الإغريقي ديوجين ويبحثون عن إنسان في وضح النهار ..  
لولا أن هذا المصباح في داخلي أعاود به أن أتبر أعماقي لكي أراعي وأرثك !

وقصيتي الخاصة هي سدى كل ذلك .

فقيست عدي إلا هذه الرغبة القوية في أن أتمس بأصابعي هذا للكون . وأن أقبس السماء بالنسور .. وأن أحنض الأبدية .. وأن أعصر الدور في قلبي : سهولة ووضوحا وجمالا ومنعة .. وألا أكون قادرا على ذلك حتى الموت !

س : من أنت في هذا الكون ؟

ج : لن أقول ما قاله جداريس التراثي السويدي للصائد وأول رائد في التاريخ عندما دار حول الأرض على ارتفاع مئات الأميال : ولكني لم أجد الله ؟  
إنه جاهل .. فأنا لمست في حاجة إلى أن أرفع عن الأرض شيئا ولحدا  
أو مليون مليون ميل لكي أرى الله .. إنه هنا .. في نصي .. في عقلي .. في  
أصغر خلية من خلاياي ..  
أما جداريس فهو راكب سيارة جاهل . بل إنه يربل ومرونة علمية يندرونها  
من الأرض ..

وما هذه الأرض .. فلها قطعة من الحجر تدور حول نفسها أمام الشمس ..  
وما هذه الشمس .. إنه نجم مثنيب . واحد من ملايين النجوم في  
المجرة .. وما هذه المجرة فلها واحدة من ملايين ملايين المجرات في هذا  
الفضاء الذي لا تعلم عنه إلا القليل جدا !

وإذا وقفت فوق أبي للهول فأنسى أرى ذلك الطفل الذي دخل مكتبه وجلس  
ثم أمسك كل الأوراق التي كتبها في ساعات ومزقها جميعا .. ثم برل هانكا  
كأنه لم يفعل شيئا .. ذلك الطفل الصغير جدا أمام عشرات الألوف من الكتب .  
هو أنا - لأن بيننا قريب من أبي للهول !

• • •

س : بصراحة : ما الحب ؟

ج : الحب تعبير مهذب عن رغبة خير مهذبة !

• • •

س : امرأة بكيت عليها ؟

ج : بكيت على امرأتين : أمي .. ومارلين مونرو !

• • •

س : رجل بكيت عليه ؟

ج : وعلى رجلين : أبي .. والأستاذ العقاد !

س : ما معنى وراء كل رجل عظيم امرأة ؟

ج : وراء كل رجل امرأة أو أكثر ..

أو المرأة . أى يجاربه مع المرأة التى هى أمه و زوجته أو التى أحبها أو التى قرأ عنها أو التى رآها .. أى هو الإحسان للمرأة ..

وليس من الضروري أن يكون الرجل عظيماً ، لتكون وراءه امرأة . ولكن إذا كانت وراء العظيم امرأة ، فلا بد أن تصيق بأعباء العظمة .. أو مقتضيات العظمة ، أو تكاليفها النفسية والاجتماعية

وإذا كانت المرأة ، رغم هذه الأعباء تقف وراءه فمعنى ذلك أنها تعمل مناعب العظمة وبرتصاها وترى أن هذه المناعب هى نوائم العظمة ..

وبقاء المرأة وراء الرجل سببه أن المرأة تنظر إلى الرجل على أنه مشروع .. على أنه حطة ، هى تحرص عليها وعلى تنفيذها على أحسن وجه ..

وترى فى نجاحها نجاحاً لها ، وعلى فشله سقوطاً له ولها . فإذا نجح فهمى التى مسعنة وإذا فشل فلانها قد نعتت فى نفوسهم وإدارته ودفعه إلى الأمام ؟

\* \* \*

س : ما أقوى امرأة فى العالم ؟

ج : أقوى امرأة : شجرة الدر .

كانت مملوكة تزوجت ملكاً وحكمت فى ظله ولما مات تزوجت رجلاً لا تحبه ، لتظل فى الحكم .. وأرغمته على أن يطلق زوجته ، ولما علمت أنه يفكر فى الزواج من غيرها قتلته بالعاقب . وواجهت فرسنته .. وقتلت يده .. وواجهت رجال الدين وفى معصمتهم قاصى القصة العسيف : المر بن عبد السلام .. وهاجمها خدامها . وقتلوا بالعاقب ، تماماً كما قتلوا انديرا غاندى .. ولكن قبل أن يقتلوا قالت لهم : قبل أن تقتلوا أعصوا عيني حتى لا أراكم .. حتى لا أرى حشمى الذين نوهت أنهم محاصرون لى ، يقتلوا عيني أعصوا عيني حتى لا أرى كلنى أقتل نفسى !

ولم يشعر خدامها بهذه السفريه بهم والاحتقار لهم ؟  
وقتلوا !



س : ما نصيحتك لهذا الجيل ؟

ج : يتعلم الجيل الحاضر ما يريد أن يعلم . أو ما يجب أن يتعلم . ولكن ليس من الضروري أن يتعلم ذلك بكل جيل . مثل كل شاب . عنه اعتراض شديد بنصه وأنه أقوى وأنكى بطوراً . والله عني نفسه . وليس في حاجه إلى الآخرين .

وقد علمنى للتجارب أن الناس يكرهون النصيحة . وأن أحدا عندما يطلب إليك النصيحة فهو يطلب عادة أن تؤيده في وجهة نظره . وبصحبى إليك ألا تنصح أحدا ؟

• • •

س : ماذا يفيلك ؟

ج : إننى أحاف على الأطفال والرجال . على مستقبل الإنسانية . فالتعلم الحديث لم يسعد البشرية . إلا بقدر أن ينمىها ويصحبها أيضاً . فحسن بالعلم . أى بالعقل نقصى على العقل !

س : ما صيغة الصراع الآن في العالم ؟

ج : القوة : حق !

والحق : قوة !

هذا هو الصراع الدائم بين الطغاة والأنبياء . بين كل موسى وكل فرعون وسوف يبقى هذا الصراع إلى الأبد .. مرة تجلس القوة على العرش . ومرة يجلس الحق .

وقد كان الحق . ولا يزال . غريباً ولذلك بعث الله أنبياءه ومعهم خطابات توصية .. التنوير والإنجيل والقراء . لعل الناس يؤمنون بالدين يحملون هذه الخطابات .. حتى يكون للحق قوة !

وبعد تعرف ما الذى أصاب الأنبياء . وما الذى يصيب الطفلة .. وسوف يبقى للصراع إلى نهاية الإتمان !

وموسى عليه السلام هو الذى وصف نفسه في أرض المعاد . أو على مشارفها بأنه : العريب في الأرض العريبة !

والرسول عليه السلام يقول : ولد الإسلام غريباً وسيعود كما بدا . أى الحق غريب فى أرض القوة ..

• • •

س : كيف حالنا نحن العرب ؟

ج : حالنا مع العرب يبدو كأننا فى نهاية الدنيا .. أو نهاية الحضارة العربية .. تماماً كأننا فى الأنتلس أو كأننا فى نهاية الإمبراطورية الرومانية .. أى أننا فى حالة من التفكك والتحلل والانفلات .. فى نهاية الخط الحيدى .. أو عند المروء .. فالصحف والصح : اختفاء الرأى وانعدام الرؤية . ليست هناك نظرية . وليس هناك للرجل القوى القادر على تطبيقها أو على فرضها على الجميع .. ولذلك لم يعد الهدف واضحاً أو تحددت الأهداف والطرق .. حتى صاع الهدف الواحد الذى يريد .. وتداخلت الطرق فلم يعد هناك طريق ..

و نحن أمام هذه النهاية أو الشعور بها ، وواجب المتقنين أن يوضحوا ذلك وأن يدفعوا الشعوب بعيداً عنها .. أو يزيلوا هذه النهاية العربية .. النهاية المأسوية للأمة العربية .. أو الشعوب العربية ..

أننى : إنسان غفلاً وقلباً .. والذى يستيقظ فى أعماق هو : الإنسان البدائى ، .. إنسان الكهف . وقد تدرت طويلاً وكثيراً فى النسلط عليه .. ومشكلتى هى أننى أروى وحشاً فى داخلى ، فسدى هو نفس بضم عنداً كبيراً من الوحوش والطيور الكسرة . وأنا صاحب مبرك .. وبسبب العشرة الطويلة تجدنى أحياناً مثل مربى الكلاب أو الخيول أو الصقور .. وفى هذه الحالة وبسببها لا أعرف أين للوحش وأين الإنسان فى داخلى وخارجى !

• • •

س : من نحن الآن ؟

ج : الإنسان ملك وهو يعلم ، وشحاذ عندما يصحو من النوم !

فأروماتسيون ملوك ، والواقعيون مسئولون ..

وإذا أحببنا فكنا شعراء ، وإذا صبحوا من أملائنا فكنا مدرسون

ومحامون وقضاة وسامحون ولكن ما هذا الذي يمكن ان يصعبه رومانسياً .. ان  
الحب عندنا : بكاء وعذاب .

وإذا سمعت أعانى أم كلثوم فانت أمام من يحب ويمسى أن يظل يحب بغير  
نهاية وبغير أمل ، فتبقى فى حالة من العذاب الدائم ، والهول الأبدى .  
وإذا نحن انشغلنا بالسليمة ، أى بإدارة شلوى الضعوب ، فنحن أمام العواجم  
المسرحية : القتل والتضحية .

فمن إذن « درفسيون » - أى درلسيون رومانسيون !

• • •

س : كلام .. كلام .. ماذا نقصد بذلك ؟

ج : ليس من قبل الصدقة أن تظهر الديانات السماوية فى هذه المنطقة  
من العالم : تورات اليهود وإنجيل النصارى وقرآن المسلمين .. وقبل ذلك  
الزرادشتية وبعد ذلك البهائية كلها تعتمد على « الكلمة » :  
وأول عبارة فى الإنجيل : فى البدء كان الكلمة .

ولمى القرآن : اقرأ .

ولذلك فمن نعش ونموت بالكلام .. وسوف تبقى كذلك !

• • •

س : هل كل معلوماتك مؤكدة ؟

ج : لست على يقين من أشياء كثيرة !

• • •

س : ماذا تريد ؟

ج : أعرف نفسى ، لكنى أعرف غيرى .. فأعرف الحكمة وراء كل  
شيء !

• • •

س : هل أنت راض ؟

ج : أكثر الأهلان لست راضاً .

• • •

س : ما الذى تقوله كثيراً ؟

ج : إتنى أتحدث عن ضغنى كثيراً ؟

• • •

س : أنت معقد ؟

ج : الناس كالأقمشة : أقمشة غليظة الحبوط ، وألئك عندها راحة .  
وأقمشة من حرير لها عند أكثر ولكن لأن هذه القصد مجاورة تماماً ،  
فلمست راحة !

• • •

س : ما هوايتك ؟

ج : مع الأسف لست لى هواية !

• • •

س : ماذا تقول فى نهاية المشوار ؟

ج : لم يسه المشوار . فأنا ما أزال فى الطريق . وهو طريق بلا نهاية ..  
وبما هناك محطات أتوقف عندها لكن أوقع فى نهاية كتاب هرعت منه ..  
وأستأنف للمسير . فى كتاب آخر حتى الموت . أرجو ذلك !

• • •

من : هل هناك انباء شيان ؟

ج : نعم : ولكن من الصعب الحكم عليهم قبل ان تظهر ملامحهم !

• • •

من : ما هو الأديب ؟

ج : الأديب : ترجمة دلتية . فكل الذى يكتبه هو من بصى وعيشها . وإذا تحدثت عن الجبل أو البحر أو السماء فليس أنتحدث عن إحساسى بالجبل فى تلك اللحظة .. ومن الممكن أن أكتب عن الجبل عشرين مرة بعد ذلك .. وفى كل مرة سوف يجد تعبيراً مختلفاً ، أى إحساساً مختلفاً ، ولذلك ما كتبته عن الأستاذ العقاد فى كتابى ، فى صالون العقاد ، كان عن جبل ، وكان عن قلقي وحيرتي بين المذاهب والأشخاص وهى مواجهة العقاد الذى اعجبت به إلا قليلاً واحتللت معه . فأنا كتبت عن العقاد الذى أراه أو الذى أحب أو لا أحب أن أراه ..

فأنا - إذن - أكتب عن بصى فى جميع الأحوال ..

• • •

من : ما الطغيان ؟

ج : الطغيان يعمل بالناس ما فعلته عصا موسى بشعابين آل فرعون ..  
فموسى تلقى عصاه فإذا هى حية تسعى فلتهم حيات سحرة فرعون . وكذلك  
الطغيان : إرادة فرد تلتهم إرادات الآخرين !

• • •

من : ما خلاصة تجاربك فى الحياة ؟

ج : لا أعرف خلاصة لتجربتي فى الحياة .. فى كل مرحلة من مراحل  
الحياة ، كانت عندي حكمة .. ونجلورتها سنوات .. ثم اكتشفت معنى جديداً ..

( عاشوا فى حياتي )

وخلاصة هذه التجربة ، إذا كان ولابد من خلاصة فهي : أنك لست مهماً جداً كما تتصور . وبدونك سوف تستمر الحياة ولكننا نحن الذين نجعل لحياتنا أهمية . ومن غير هذا الشعور ، هل يكون لحياتنا معنى . ولكن يجب ألا نصرف في أهميتك وهي ضروريك ، وفي أن الكون يعتمد على وجودك .. فأقرب الناس إليك سوف يعيش من غيرك ، وربما أفضل وسوف يسمى دورك في حياته . فأنت مهم جداً عند نفسك وعدد من يحتاج إليك .. ولكن أنت وكل الناس ، وهذه الأرض ، والحصارة الإنسانية ، لا أهمية لها وإنما نحن مثل العكبوت نمرر خيوطنا ... هذه الخيوط هي بيت العكبوت .. وهي مصيدة صحاباه وهي بعضه أيضاً . المطلوب أن نتواضع كثيراً ولحسن الحظ أننا ننسى كل ذلك ولو تذكرنا هذه المعاني ما أكلنا ولا شربنا ولا نام لنا جهن !

• • •

س : هل أنت ملتزم !

ج : إذا كان الالتزام معناه : أن تكون مسئولاً عن كل كلمة قلتها وعن فصايأ بلدي وعصري ، فأنا ملتزم ...

• • •

س : ما ثروتك ؟

ج : لا عدى ثروة حقيقية ولا ثروة وهمية ..  
وكان من أحلامي أن أعيش في جمهورية أفلاطون ، حيث لا يملك أحد شيئاً .. وإنما يكفى أن يأكل ويشرب ويفكر ، !

• • •

س : ما الذي أعطته لك الصحافة ؟

ج : أعطتني بعض القوة ، وأخذت بعض الحرية !

• • •

س : ماذا أخذت من الكتابة السياسية ؟

ج : حصصت من الكتابات السياسية ، صدقات وهمية وعدوات حقيقية !

• • •

س : ما الذى ينقص للمثقف العربى ؟

ج : المثقف العربى ينقصه الثقافة !

• • •

س : قل لى حكمة ؟

ج : استعيرها من صديقى أمير الشعراء الصعاليك ، عروة بن الورد ،  
تربنى للفنى أسمى فأتى

رأيت الناس : شرمهم التقير

وأناهم وأهونهم عليهم

وإن أسمى له حب وهم

يباعده القريب وتردريه

حنينه ويهزه الصغير

ويلقى ذو الفنى وله جلال

يكاد فراد لا فيه يطير

قليل نتهه ، والنصب جم

ولكن للعنى رب غور !

ولكنى أختلف مع أمير الصعاليك فى معنى الفنى والعز وأتممك بالحديث  
النسوى الشريف الذى يقول : إنما للعنى على النفس

## نحن أولاد الفجر

وأن صغير كنت أرى عبداً من الناس ، ساء وأطعاً ورجلاً يعيشون في أطراف مدينة المنصوره .. إنهم أناس مثلي . ولكن السبب لا أعرفه كنى الناس يظنّون إنهم بشيء من الجوع والافتقار ، ولم أجد شيئاً لذلك إلا أنهم يعيشون في هيام . والحيام قد امتلأت بهم وبحيواناتهم وطيورهم . ولم أجد في ذلك شيئاً غريباً .

وعندما اقتربت من أحد الأطفال وجدته مثلي تماماً . يريد أن يلعب . وقد لعبت ، وجاءت أمه وطلبت إليه أن يكف عن اللعب وأن يهتم بالماعر والطيور وإلا . وقبل أن يرد عليها الطفل كانت قد صفعته على وجهه . وطرقت بابي بقسوة شديدة . وكان لا بد أن أترك المكان .

ولم أجد في ذلك شيئاً عجباً . فقد عرفت المصرب والصفع والركل من الدنتي ، ولأسباب من هذا النوع وربما لأسباب أنه كثيراً .

وفي يوم انتهت معي بطعام وطلت واقفاً بالقرب من هذه الحمام وكان في بيتي أن أقدم هذا الطعام إلى صديقي ، حسن . إنه أحد الأطفال . أجدّه لطيفاً وأجندى حريصاً على أن أجلس معه وأن يلعب معا . وكان يحنثني عن الذي تفعله أمه بأبيه .. قال إنها تصر به كثيراً . وقد أدهشني ذلك . فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها أن أمّا تصر بولدها ..

ولم يظهر ، حسان . . وأتقتبط بالطعام إلى الكلاب . وعنت إلى البيت حزيناً .

وسمعت والدنتي وصديقات لها يحنثن عن هؤلاء الناس .. هؤلاء المعجر ، وكيف أنهم يسرقون الملابس والطعام والطيور وأى شيء . ثم يحملون حيلهم ليلاً . ويذهبون إلى مكان آخر .. هم لصوح منجولون . وسمعت أن أحداً لا يعرف من أين جاءوا أو إلى أين ذهبوا . إنهم هكذا يعيشون على الحدود ..



على حدود مصر .. وعلى حافة التجمع . وعلى المسافة الصغيرة بين القنول  
والخروج عليه .

هنا لا يجرهم عجزهم لصوص \* أو هل لأنهم لصوص فرروا أن يكونوا  
عجرا . أي أن يكونوا مجموعة من الناس يعيش معا ويهرب معا ، ولا يبقى  
في مكان واحد . حتى لا يكشف أمرها . ويعاقبها الناس ..

ولم أشعر لحظة واحدة بالصيق مو هؤلاء الناس . أو بهذا الاحتقار لهم .  
إنني لا وافق على أنهم يسرقون ونكر أجد في أعماقي عدرا جاهزا لهذه  
السرقات فأقول لا بد أنهم يحتاجون إلى الطعام ولو أعطاهم الناس ماسرفوا ،  
ولو كانت لهم بيوت ماسرفوا . ثم إنهم ليسوا اللصوص الوحدين . فالتسليم لهم  
بيوت يسرقون والناس يملكون الكثير يسرقون أيضا إنني لا أسي فرعى يوم  
رأيت البوليس يلقي القبض على أحد أقاربي وكان ابن العمدة . أما نعمته فإنه  
قد ساعد عددا من العلاحين على سرعة جواميس وأبقار ! وسعدت وأنا صغير  
أن العمدة كان غنيا وأن هذا هو ابنه الوحيد !!

وهي أول رحلة إلى أوروبا سنة ١٩٥٠ قرأت في الصحف الإيطالية أن ملكة  
المجر قد ماتت ولم أفكر حينئذ نكرو . ولا معنى أن للفجر ملكة . ولكن ركبت  
القطار وذهبت إلى حيث بيتها وحناياها ووقفت في طابور المعزين . وبرت  
الدموع من غمي . ووجدت من يتلنى : من أي البلاد أنت ؟ قلت : من  
مصر .. أي من عجز مصر !

ولا أعرف إن كان الرجل قد أتبعه ذلك . ولكن كنت قد استسلمت لإحساس  
غريب في أعماقي . إنهم عجز . وهم لذلك ينثرون المطف والحزن . لماذا لم  
أفكر كثيرا في ذلك ؟

وانتهت أيام حياة المجر . تلك الجماعات للصلة في أوروبا شرقا وغربا .  
وجدت أن الأغلبية المطلقة من المجر يعيشون في بولندا ورومانيا .. وأن  
عددا كبيرا منهم يعيشون في ألمانيا .

ولا أنسى كيف اهتزت أعماقي يوم رأيت فيلم « غراميات كارمن » بطولة  
رينا هيوارت وجلين هورد . والقصة من تأليف الأديب الفرنسي ميريميه ..

ولا أعرف كم عدد المرات التي رأيت فيها أوبرا ، كارمن ، ولا أعرف لماذا سمعت عيباً أكثر من مرة .. إلى كارمن عجيبة جميلة وعندما شجاعه وشخصية وجرة واعتزاز بعصها ، ورغم أنها لا تنف على أرض ولا تربطها امرأة طويلة عريضة وتشدّها حصاراً عربية أو شرقية . فإن يديوع قوتها يتعجر من أعماقها . وهذا اليبديوع يندفع قوة وجمالاً وجلالاً .. وهي عندما تنف وحدها فإنها مثل مليون امرأة قد تحولت جميعاً إلى خلايا حية في جسم امرأة واحدة تكاملت محاسنها ، وتعاطمت صفاتها - هكذا رأيتها .

وكنيت كثيراً جداً عن هذا الفيلم وكيف أن عبارة واحدة قالها بطل هذا الفيلم قد غيرت مجرى حياتي . وعلقتني أتحوّل من مدرس في الجامعة إلى أديب فقط وحريص على أن أظل كذلك . أما العبارة فهي أن الإنسان ليس دائماً مايفعله ..

أي أن الإنسان لا يمكن أن يحكم عليه بما يفعله لأنه من الممكن أن يكون قاتلاً وهو مضطّر إلى ذلك . ويكون أيضاً وهو مرغم على ذلك . وكان البطل يفعل باللبس مايفعله الفجر . مع أنه ليس عجبياً . ومن الممكن أن يفعل الإنسان أي شيء ، وهو في أعماقه شيء آخر . ووجدت هذه العبارة تنطبق على حياتي بعد أن تخرجت في الجامعة فقد اتجهت إلى التدريس . ولكني لا أحب ذلك . واتجهت إلى الطريق الأكاديمي الجاف القاسي . ولكني لا أحب ذلك ولا أقدر على هذا الاختناق العظيم العظيم الاحترام .

ولم رأيت هذا الفيلم للمرة الثانية أي ثلاثين عاماً لم أجد هذه العبارة التي روت وجودي . لم أجد المعنى الذي يشير إليها إلا في هذه العبارة قد خرجت من أصاقل لأنها أعماقي . وجاء هذا الفيلم نصيراً جميلاً أيقاً لها .. واكتشفت أنني واحد من أبناء العجز ....

قد تفتت طويلاً في الريف المصري . . كلن والذي يعمل في أماكن كثيرة . ونحو وراءه مجرى وبلاجه ، وسنحرج على الريف المصري ولا تثبت على أرض . ولا تثبت لنا علاقات اجتماعية : الأصقاء والأقرب والجيران .. فكانت نقيم في حيام على أطراف المدن . ولأنسحب ليصمت واسعة بصع خيامنا .

ولأسباب ليست واضحة لك حينها وحملها . ثم مضى إلى مكان آخر ..  
وعرف طهرتشي الحوف معنى . المسافة . فإلى على مسافة من الناس ، وإذا  
في حالة من الحوف . من الذي جعل هذه المسافة بعيدة . لا أعرف . من الذي  
ومالذي أحاسي ؟ لا أعرف . ولكن لم يشعر بالعبء .. ولم يشعر بالأنس .  
لم يجد العشرة . لم يعرف المودة . ولا حرارة اللقاء ، ولا نيل للعراق .. ثم  
نر الأبدى تمتد للسلام . ولا عند اللوداع .. فحين نجىء ولا يشعر بنا أحد ،  
ويعشى ولا يدرى بنا أحد ..

هناك يد بيد حفيه فتررعا في أرض غريبة ثم تمتد مرة أخرى فتنتقل  
إلى أرض غريبة . ولم أشعر لحظة لشيء بيات ررعه ثم اقتلعه .. وإنما كنت  
أشعر شي بيات ملقى دائما بعيدا . ثم لنقل من مكان وألقى فيه ، ثم إلى مكان  
آخر وألقى فيه .. وكلنا انقلنا ليلنا لماذا ؟ لا أعرف . وعرفت مع الليل المرقد  
من الحوف ..

وقد كان بيضا في أطراف القرى . وقد رأيت الذئاب والذئاب يتطدى على  
طيور ليل . ولحيانا سمعت من أمي أن اللصوص أيضا .. لقد كنت أحسن أنني  
أنسى حالا من أبناء العمر . فهم قلدروا على السطو والسرقة والقتل . فتلحق  
بفويهم ، وهم لا يحافون الناس . لما نحن فقد كنا وحدنا في أطراف  
القرى . وحدنا في بيضا . هال أمرنا على الناس وعلى الذئاب والكلاب ..  
ومهما أغلقنا الأبواب والشبابك ، نحن في خوف من أشياء كثيرة .

لم تكن جماعة من الناس يشد بعضا أرر بعض .. وإنما كنا وحدنا .. أسرة  
صغيرة قفقة حائرة . مصيرها ليس بينها . وحياتها ليست من اختيارها . بل  
لا خيار لها . عذابها هي أبدى الآخرين .. وإذا جاءها الليل . رادها فرعا ..  
وإذا انتقلت من الحوف الذي نعرهه ، فإلى الهول الذي لا نعرفه .

وعرف النظر إلى الأشياء والناس من بعيد . فكل شيء بعيد . لأنني أفت  
وأجلى وأنام بعيدا عن كل الناس .

وعندما كبرت وعندما استقر رأسي على كتفي ، ووجدت ما أملا به هذا  
العراق ، ووجدت ما يميزني عن غيري من الصغار .

عندما تعرف في الدراسة . وعندما حفظت القرآن الكريم وطمعت الشعر

احسنت متى انسب إلى هضبة أخرى من الناس . إلى طراز معيش بعيدا  
ومن الخير ان يكون كذلك لكي ترى أوضح وتسمع أصفى ، وتفكر اعقق وليس  
بذلك سجد ابراديا ، ولكنها الحرثة المعنوية .. عرلة الريحان في الأبره والعلماء  
في المعامل والاعمال في انعم . عرلة حيوان النول يعرر مسنة القصية  
وحده بعيدا عن بقية الكائنات البحرية . وحدة ثونة القر يعرر حريرها .. وحده  
الجنين في بطن أمه . وحدة يوسف في البئر . وحدة يوسف في بطن  
انحوت . وحده روينمون كزورو في جريزه . وحدة النبي في القار  
وحده علماء المراسد يعلقون عيونهم بين النجوم . وحدة زواد الغصاء . وحده  
الفسان عندما يبدع وهناك حكمه تقول . إنه لا يعر على لمرله الكامله إلا إنه  
أو حيوان ولما هراها الشاعر الأتامي حبه اكملها هكذا . او هب معا  
أى الإله الحيوان . أى الإنسان . العبقري الذى به فسر من الله . وبه  
غرائز الحيوان أيضا .

ويقول الفيلسوف الأتامي مشهور : قل لى كم ساعة تجلسها مع نفسك ،  
أقل لك من أنت لى قلت يوما فى كل يوم ، كنت إلها .. ولئ قلت نصف يوم  
من كل يوم كنت عبقريا . ولئ قلت لا يوم فى أى يوم فأنت حيوان !  
فرايتها فقلت يا إلها !

هنا أولاد الحجر .. نحن الكهنة ينسب إلى نوعية أخرى من الناس يعيش  
بعيدا لرى أقرب وتسمع أوضح . نحن سلالة نوح عليه السلام .. إنه بعد  
( آدم ) أبو البشر يكلها .. وهو الذى حمل فى سفينه بدايات الحياة كلها . ( من  
كل زوجين ) اثنين كما يقول القرآن الكريم .. وكل سفينه نوح وسط الطوفان  
حلبة معرولة عن الحياة .. ولكن من هذه الحلبة المعرولة راحت الدنيا تصبح  
بالحياة

## كتب للمؤلف

- |                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| ١ - مقالات -               | ١ - وحدي - ومع الآخرين     |
| ٢ - عذاب كل يوم            | ٢ - عذاب كل يوم            |
| ٣ - طريق المذهب            | ٣ - طريق المذهب            |
| ٤ - بسطق الحائط الرابع     | ٤ - بسطق الحائط الرابع     |
| ٥ - كرسى على الشمال        | ٥ - كرسى على الشمال        |
| ٦ - ساعت بلا عطارب         | ٦ - ساعت بلا عطارب         |
| ٧ - مع الآخرين             | ٧ - مع الآخرين             |
| ٨ - بقايا كل شيء           | ٨ - بقايا كل شيء           |
| ٩ - بحر أولاد الفجر        | ٩ - بحر أولاد الفجر        |
| ١٠ - من نصي                | ١٠ - من نصي                |
| ١١ - شيء من الفكر          | ١١ - شيء من الفكر          |
| ١٢ - حتى أنت يا أن         | ١٢ - حتى أنت يا أن         |
| ١٣ - نو كنت أيوب           | ١٣ - نو كنت أيوب           |
| ١٤ - أسراء وعصراء          | ١٤ - أسراء وعصراء          |
| ١٥ - كل شيء سبى            | ١٥ - كل شيء سبى            |
| ١٦ - الحسن اوى             | ١٦ - الحسن اوى             |
| ١٧ - بنها الآتياء للصغيرة  | ١٧ - بنها الآتياء للصغيرة  |
| ١٨ - يعيش - يعيش           | ١٨ - يعيش - يعيش           |
| ١٩ - مواقف ١               | ١٩ - مواقف ١               |
| ٢٠ - مواقف ٢               | ٢٠ - مواقف ٢               |
| ٢١ - مواقف ٣               | ٢١ - مواقف ٣               |
| ٢٢ - عربى فلا              | ٢٢ - عربى فلا              |
| ٢٣ - هي وغيرها             | ٢٣ - هي وغيرها             |
| ٢٤ - بقايا كل شيء          | ٢٤ - بقايا كل شيء          |
| ٢٥ - يوم يوم               | ٢٥ - يوم يوم               |
| ٢٦ - يا من كنت هببى        | ٢٦ - يا من كنت هببى        |
| ٢٧ - قلوب صغيرة            | ٢٧ - قلوب صغيرة            |
| ٢٨ - شارع التمهلات         | ٢٨ - شارع التمهلات         |
| ٢٩ - فوق الزكية            | ٢٩ - فوق الزكية            |
| ٣٠ - هذه الصغيرة وفصص أخرى | ٣٠ - هذه الصغيرة وفصص أخرى |
| ( ترجمة )                  |                            |
| ٣١ - الاطاهر الصغيرة       | ٣١ - الاطاهر الصغيرة       |
| ٣٢ - عزيز فاطمة            | ٣٢ - عزيز فاطمة            |
| ٣٣ - للعرباء برحمة         | ٣٣ - للعرباء برحمة         |
| ٣٤ - لنسب .. لنسب          | ٣٤ - لنسب .. لنسب          |
| ٣٥ - نولسات                | ٣٥ - نولسات                |
| ٣٦ - الوجوتية              | ٣٦ - الوجوتية              |
| ٣٧ - الخبر والفتلات        | ٣٧ - الخبر والفتلات        |
| ٣٨ - من أول نظرة           | ٣٨ - من أول نظرة           |
| ٣٩ - الحائط والدموع        | ٣٩ - الحائط والدموع        |

٤٠. الصابرا ( الجيل الجديد في  
إسرائيل )

٤١. وجع في قلب إسرائيل

٤٢. ديهشات أخرى

٤٣. على رقاب العماد

٤٤. المقاتلون مائة أصلهم مع مدرسول

الله

٤٥. دراسات في الأدب الأمريكي

٤٦. دراسات في الأدب الإيطالي

٤٧. دراسات في الأدب الألماني

٤٨. فلاسفة وجوديون

٤٩. فلاسفة العلم

٥٠. وباعاً إليها العالم

٥١. الذين هبطوا من السماء

٥٢. الذين جاءوا إلى السماء

٥٣. أرواح وأنباح

٥٤. القوى الخفية

٥٥. لغة الفراعة

٥٦. أوراق على شجر

٥٧. في السياسة جزء ١

٥٨. في السياسة جزء ٢

٥٩. وكانت العمة هي الثمن

٦٠. الولي من الحب

٦١. أنظارها الطويلة

٦٢. الدين والنيبلسيت

٦٣. لأحارب في كينوير ولاسلام

٦. ترجمة ذاتية :

٦٤. طلع البحر علينا

٦٥. قالوا

٦٦. عاشوا في حياتي

٦٧. في صالون العفاد كانت لنا أيام

٦٨. إلا قليلا

٥. رحلات :

٦٩. حول العالم في ٢٠٠ يوم ( الحائز

على جائزة الدولة التشجيعية ١٩٦٢ )

٧٠. بلاد الله .. خلق الله

٧١. أطلب نصيحتي من موسكو

٧٢. أعجب الرحلات في التاريخ

٧٣. ليس ذلك المجهول

٧٤. غريب في بلاد غريبة

٧٥. أنت في اليابان

٩. مسرعات :

٧٦. منيرة الحب

٧٧. حلمك بأشبح علام

٧٨. حين قتل حين

٧٩. العفري

٨٠. الأحياء الصمارة

٨١. حمصة كل وأنكر

٨٢. سلماني زمانه

٨٣. حقة بنج

٨٤. عش رقم ٣

٨٥. كلام لك بلجارة

ز - ترجمة :

٨٦ - ترجمة ( ريمولوس المعلم ) تأليف  
( ديرنمات )

٨٧ - ترجمة ( هبط الملاك في بابل )  
تأليف ( ديرنمات )

٨٨ - ترجمة ( زيارة السيدة المجوز )  
تأليف ( ديرنمات )

٨٩ - ترجمة ( الشهاب ) تأليف  
( ديرنمات )

٩٠ - ترجمة ( رواج السيد ميمى ) تأليف  
( ديرنمات )

٩١ - ترجمة ( هي وعشاقها ) تأليف  
( ديرنمات )

٩٢ - ترجمة ( أمير الأرضى البور )  
تأليف ( ساكن هريش )

٩٣ - ترجمة ( من أجل موك عتيها )  
تأليف ( جيزولو )

٩٤ - ترجمة ( بعد سقوط ) تأليف ( آرتر  
مفلير )

٩٥ - ترجمة ( فوق الكهف ) تأليف ( نيس  
وليمز )

٩٦ - ترجمة ( الأميراطور جونز ) تأليف  
( يوجين أوليف )

٩٧ - ترجمة ( نعب كلها الحياة ) تأليف  
( يونسكو )

٩٨ - ترجمة ( الباب والشباك ) تأليف  
( أولوف )

٩٩ - ترجمة ( ملح على جرح ) تأليف  
( آربال )

١٠٠ - أتم الناس أيها الشمره

١٠١ - مذكرات شاب غاضب

١٠٢ - كتاب عن كذب

١٠٣ - غرياه في كل عصر

١٠٤ - لعظات مسروقة

١٠٥ - أيها الموت لحظة من فضلك

١٠٦ - المودة الأولى

١٠٧ - عيد الناصر

١٠٨ - شجاب .. شجاب

١٠٩ - اثنين هاجروا

١١٠ - جسدك لا يكتب

١١١ - ما لا تعلمون

## المحتويات

### صفحة

|   |     |
|---|-----|
| مقدمة .....   | ١٧  |
| كل ما يؤلف في الريف لا يموت في المدينة .....        | ٣٥  |
| حالة فزع في نصف الليل .....                         | ٥١  |
| جاء الحب .. ذهب الحب .....                          | ٦٩  |
| فيافي وموسيقى والمستقبل .....                       | ٨٩  |
| أهلاً أستاذنا نكتور هرش .....                       | ١٠٣ |
| شجرة الدر ماما وبناتها والأهلام الضنية .....        | ١٢١ |
| شجرة الدر آخر مرة وجاء لطفى السيد .....             | ١٣٥ |
| شجرة الدر آخر العنقود .....                         | ١٥٣ |
| شجرة الدر آخر مرة .....                             | ١٦٩ |
| اللهم احمني من فولنير .....                         | ١٨٥ |
| نكلم .. حتى أراك .....                              | ٢٠٣ |
| لكن سقراط لا يمشي في يولاتي للكرور .....            | ٢١٧ |
| كأنها نهاية العالم .....                            | ٢٣٣ |
| ولا هذا ولا ذلك .. أو الاثنان معاً .....            | ٢٤٧ |
| من هنا بدأت كل مناعب المستقبل .....                 | ٢٦٧ |
| هؤلاء الصغار .. وآملهم الكبيرة .....                | ٢٨٧ |
| موعد في الكباريه . ولكن الملك لم يحضر .....         | ٣٠٣ |
| في البده كانت كارمن .....                           | ٣٢٥ |
| وقررت إنهاء هذه الطفولة المتأخرة فكتبت ونشروا ..... | ٣٤١ |
| شاعر الكوخ : لم يلتفت إليه أحد .....                | ٣٥٧ |
| موم : واحد من العظماء .....                         | ٣٦٩ |
| كامل الشناوى : شاعر الضطاليا .....                  | ٣٨٣ |
| الحكيم ثائراً .....                                 | ٣٩٣ |
| قال توفيق الحكيم وقت .....                          | ٤٠٣ |
| الذى هو توفيق الحكيم .....                          | ٤١٣ |
| توفيق الحكيم وراءه راضياً وأمامه يائساً .....       |     |



